بوزياني الدراجي

القبائل الأمازيغية

أدوارها - مواطنها - أعيانها

الجزء الأول



دار الكتاب العربي

دار الكتاب العربي
للطباعة، النشر، التوزيع والترجمة

حي العناصر عمارة 309 رقم 03. القبة. الجزائر
الهاتف/فاكس: 021 31.44.51
الجـوال: 070 91.77.73

تأليف: بوزياني الدراجي
تصميم الغلاف: لويزة الحسين
الإخراج الفني: فراس الجهماني

الإيداع القانوني:152-2007
ردمـــك: 978-9947-833-98-4

بوزياني الدراجي
القبائل الأمازيغية ج1، تصميم الغلاف لويزة الحسين، الإخراج الفني فراس الجهماني .- الجزائر: دار الكتاب العربي، 2007.- 292ص.، 23سم

تحميل كتب http://abbassa.wordpress.com

إهداء

إلى الذين سهروا الليالي في سبيل نحــت سـطور لا تنمحي...

إلى الذين جدوا وكدوا في سبيل التعليم والتعلم...

إلى الذين اختاروا سلاح القرطاس والقلـم، لمواجهـة جيوش الجهل والظلام...

إلى الذين آمنوا بأن الفقر... كل الفقر يكمن في فـراغ الأدمغة، وضحالة العقول...

إليكم جميعا أهدي هذه الباقة المزخرفـة مـن تـراث بلادي، وهذه العينات من فرسان العلوم بهذه الربوع.

بوزياني الدراجي

مقدمة

يدخل هذا الكتاب ضمن سلسلة من الأعمال التي تعالج موضوع العصبية القبلية في المغرب الإسلامي. فبعد كتاب القبائل الأمازيغية؛ سوف تتبعه كتب أخرى؛ من بينها كتاب يدرس موضوع القبائل العربية في هذه الديار، وكتاب دول المغرب ودور العصبية في قيامها وسقوطها، وكتاب العصبية القبلية ظاهرة اجتماعية وتاريخية، وكتاب أثر العصبية القبلية في النظم: السياسية والإدارية والعسكرية والاقتصادية والثقافية والدينية.

بدأت في الاشتغال بموضوع العصبية خلال السبعينيات؛ عندما وجدت نفسي في خضم إعداد أطروحة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي. وفي تلك الأثناء؛ وجدت عونا كبيرا من أستاذي الفاضل الدكتور لقبال موسى؛ فعملت بتوجيهاته المفيدة؛ فكان لي خير عون وسند؛ وبالمناسبة أشكره شكرا جزيلا على كرمه العلمي، ومعاناته، وسهره في قراءة ما كنت أعرضه عليه من فصول بحثي؛ فلا يبخل بالنصيحة والتوجيه.

ويعتبر موضوع القبائل الأمازيغية من المتطلبات الملحة، والهامة التي كان من الواجب العمل على معالجته في وقت سابق؛ غير أن ذلك لم يتحقق لأسباب عديدة؛ نتركها للمهتمين بها. لذا لم يحدث أن ظهر في سوق الكتب ــ في العصر الحديث ــ أي كتاب، أو دراسة شاملة ــ باللغة العربية ــ عن القبائل الأمازيغية بالمغرب الإسلامي؛ مع أننا شاهدنا مراجع أخرى ظهرت؛ وكانت تدرس موضوع القبائل العربية في بلاد المغرب. ولما أحسست بهذا الفراغ العجيب..!! أردت تدارك الأمر؛ والبدء بموضع القبائل الأمازيغية في بلاد المغرب الإسلامي. لعلي أكون قد قمت بسد ثغرة في تاريخ بلادنا؛ لم يقم أحد بسدها ــ بشكل شامل ــ منذ عصر ابن خلدون؛ الذي انفرد ــ حتى يومنا ــ بهذا العمل الهام.

وليس معنى هذا أن المؤرخين في البلدان المغربية تجاهلوا ــ تماما ــ موضوعا كهذا. بل قام بعضهم؛ مثل: مبارك الميلي، وعبد الوهاب ابن منصور بالحديث عن القبائل الأمازيغية؛ ولكن بشكل مقتضب؛ أو ضمن دراسة تاريخية عامة لا تخصهم وحدهم. كما قام أساتذة آخرون؛ مثل: لقبال موسى، ومحمد بن عميرة

بإعداد دراسات تخص قبيلة معينة؛ مثل كتاب دور كتامة للدكتور لقبال؛ وإن كان قد أشار لبعض القبائل الأخرى باختصار؛ ثم كتاب دور زناتة لابن عميرة. أما المراجع الأجنبية المتوفرة؛ فقد أشار بعضها إلى عينات من القبائل الأمازيغية؛ التي أثارت اهتمامهم؛ ولكن ضمن مواضيع تاريخية عامة؛ لا تخص القبائل الأمازيغية كلها تقريبا؛ وبشكل مقتضب كذلك.

ومن جهتي فقد بذلت جهدي كي يشمل عملي هذا أقطار المغرب كافة؛ دون استثناء. كما تناولت فيه القبائل الأمازيغية التي عرفت في العصور الوسطى كلها. مرتكزا بصفة خاصة على ما كان ابن حزم قد ذكره باقتضاب، وما انتشر في مصادر عربية كثيرة؛ أهمها العمل العظيم الذي أنجزه العلامة عبد الرحمن ابن خلدون. كما استعنت ـ أيضا ـ بما كتبه بعض المستشرقين؛ مثل: غوتييه Emile-Félix. Gautier، وليفي بروفنسال E. Lévi-Provençal، وجورج مارسي Georges Marçais وغيرهم..

ولم يقتصر عملي هذا على التعريف بأسماء القبائل الأمازيغية، وذكر أماكن سكناهم فحسب؛ كما حدث في كثير من المصادر والمراجع؛ بل توسعت في الحديث عن الأدوار التي قامت بها تلك القبائل: سياسية منها، وعسكرية، وثقافية. كما حرصت على إبراز أعيانهم؛ بشكل استوفى نشاطاتهم العلمية، والثقافية، والسياسية. وبهذا أكون قد عملت على إزالة طبقات الغبار التي حجبتهم، وأنست الناس في أصولهم الأولى. ومن جهة أخرى وضعت منجزات أولئك العباقرة، والعظماء بين أيدي أبناء هذا الجيل الحائر؛ لكي يتعرف على نهج أسلافه، وما تم إنجازه بواسطتهم من كنوز أثرت التراث العربي الإسلامي؛ دون تعصب، ولا تحزب، ولا انكماش، أو تنكر.

وهكذا سيجد القارئ بين يديه عينات أدبية في منتهى الروعة؛ من إبداع أبناء هذه الأرض الخصبة؛ التي أنجبت عبقريات؛ تسابقت في دروب النماء؛ لبناء، وتشييد صرح الحضارة العربية الإسلامية؛ شرقا وغربا. وكانت إسهاماتهم عظيمة الشأن، كريمة، المنبت، دائمة الفائدة.

ولابد هنا من تقديم عرض ولو بإيجاز عن المنابع التي يمكن أن ينهل منها كل دارس لتاريخ البلاد المغربية وسكانها؛ منذ العهود الأولى. ففي البدء ـــ ولمنع المغالطات، وكبح جماح الذين يحلقون في الخيال، أو الذين يصرون على إبراز شيء وإخفاء أشياء ـــ يستحسن الإشارة إلى المصادر التي يستقي منها الباحثون ـــ بمختلف معتقداتهم وتنوع اتجاهاتهم ـــ مع الإجابة على مدى أهميتها، ودرجة الصدق فيها.

وعليه فما تقدمه المادة التاريخية ـــ حتى الآن ـــ لا يخرج عن نطاق المصادر: **اليونانية**، **والرومانية**، **والعربية**، **والعينات الأثرية** التي كشفت منذ عهد الاحتلال الفرنسي. والعيب كله ليس في المصادر المذكورة؛ بقدر ما يتمثل في مستعملي تلك المصادر.. إذ أن مبعث الالتباس ـــ هنا ـــ هو تلك التأويلات التي سلطت على المادة التاريخية المطروحة للبحث من جهة، وإصرار بعض الدارسين على الاكتفاء بنوع معين من أنواع المصادر المعروضة؛ دون الأنواع الأخرى من جهة ثانية. وهذا هو ما يفسر انطلاق العناق للأهواء والميول المشبوهة..

ولمنع الأنزلاق في الاتجاه الخاطئ يستحسن تناول الموضوع بحذر وجدية وشمولية.. وقبل الخوض في أعماقه لا بد من الإشارة باختصار إلى تلك المصادر واحدة فواحدة.. فأولى المصادر المكتوبة زمنيا ــ فيما يخص تاريخ سكان بلاد المغرب ــ هي المصادر اليونانية؛ غير أنها لا تفي بالحاجة المطلوبة؛ نظرا لمحدوديتها، واقتصارها على حيز ضيق لا يتجاوز برقة؛ وإن كان هيرودوتس قد تعرض ــ باقتضاب ــ لما سمعه عن منطقة التاسيلي؛ إلا أنه لم يزر تلك الجهات؛ كما حدث بالنسبة لبرقة، ومصر، وغيرهما من الأقاليم؛ وإنما نقل أخبار تاسيلي مشافهة. وعليه يمكن القول أن معلوماته لم تكن واسعة ولا دقيقة في هذا المجال. وكل ما ذكره هي بعض أسماء القبائل المتواجدة في تلك الديار؛ مثل قبائل: **الناسامونين، والماكاي، والقارامونت، والأوليميدين، والجيتول.** وهذه القبائل كلها كانت تسكن في بلاد ما كان يعرف قديما بلوبيا أو ليبيا. كما قال باقتضاب شديد: أن بعض تلك القبائل كانت تشتغل بالصيد؛ إذ يركب أفرادها عربات؛ تسحبها أربعة خيول؛ يطاردون بها طرائدهم..

وبعد المصادر اليونانية تأتي المصادر الرومانية؛ وهذه المصادر محدودة العطاء؛ ولا تهتم إلا ببعض الجوانب؛ التي يكون الرومان فيها يمثلون المادة الأولى؛ كما أنها محتكرة من طرف بعض المؤرخين الأوروبيين، والفرنسيين على الخصوص؛ نظرا لقصر باع الدراسات المغاربية عامة، والجزائرية خاصة، واكتفائها بالمراجع الفرنسية؛ على الرغم مما تحمله من شحنات سياسية تخدم احتلالهم لبلاد المغرب. ومن هذه الكتابات الفرنسية ــ المعتمدة حاليا من طرف كثير من الباحثين ــ ما يتصف بالنزاهة، ومنها ما يميل إلى التحيز والمغالطة.. ولا يتسع المجال هنا لإحصائها، والتعليق عليها؛ ولكن يمكن ذكر عينتين منها على سبيل التوضيح. فمثلا اتفق كثير من المحللين على أن المؤرخ الفرنسي شارل أنديه جوليان Ch. André Julien، يتحلى بالنزاهة والموضوعية؛ حتى وإن صرح ببعض الآراء التي لا يقره عليها كثير من المؤرخين. وفي الجانب المقابل يقف إيميل فيليكس غوتييه E. F. Gautier موقفا متحيزا، وتغلب عليه المغالطات والارتجالية في غالب الأحيان؛ وهذا باعتراف زميله شارل أندريه جوليان الذي يتهمه بالمغامرة، والمخاطرة في الأحكام كما

يقـــول.. ومـــن يراجـــع كتبـــه سيكتشـــف بسهولـــة مغالطاتـــه..

أمـــا أوســـع المصـــادر شمـــولا وأهميـــة وعنايـــة بأبنـــاء البـــلاد المغربيـــة فـــهي المصـــادر العربيـــة الـــتي كتبهـــا وتناقلهـــا المؤرخـــون، والنسابـــة العـــرب، والأمازيـــغ ــ عـــلى الســـواء ــ باللغـــة العربيـــة. وهـــذه المخطوطـــات فيهـــا ــ بالطبـــع ــ الغـــث والسميـــن.. كتبـــت جلهـــا باسلـــوب كـــان سائـــدا في تلـــك العصـــور؛ وقـــد نقـــده ابـــن خلـــدون؛ ولا داعي لشرحـــه هنـــا.. ويمكـــن مراجعـــة ذلـــك في مقدمتـــه الفـــذة. وإلى جانـــب كثافـــة المصـــادر العربيـــة السطحيـــة توجـــد مصـــادر أخـــرى في منتـــهى الدقـــة والموضوعيـــة؛ وهي قليلـــة؛ أمـــام زخـــم وكثافـــة الكتـــب ذات الطابـــع الإخبـــاري الـــروائي. منهـــا ــ عـــلى سبيـــل المثـــال ــ جمهـــرة أنســـاب العـــرب لابـــن حـــزم، والبيـــان المغـــرب في أخبـــار الأندلـــس والمغـــرب لابـــن عـــذاري، وكتـــاب العبـــر وديـــوان المبتـــدأ والخبـــر لعبـــد الرحمـــن بـــن خلـــدون؛ وكتـــب أخـــرى عديـــدة سيشـــار إليهـــا عنـــد الحاجـــة. وقـــد احتلـــت المصـــادر العربيـــة مكانـــة أولى بيـــن المصـــادر الأخـــرى؛ لأنهـــا تنفـــرد بمعالجـــة تاريـــخ المغـــرب بكافـــة سكانـــه: أمازيغـــا كانـــوا أو عربـــا. ومـــن هنـــا تـــأتي أهميتهـــا؛ حيـــث يفهـــم لمـــاذا كـــان الباحثـــون والمؤرخـــون

الفرنسيون والأوروبيون يتسابقون على اقتنائها، ودراستها ونقدها.؟ كما تعتبر هذه المصادر العربية بمثابة معين رئيس للدارسين المحدثين؛ من البلدان المغربية، ومن غيرها.

بقي الآن جانب آخر؛ يمكن تفسير التاريخ بواسطته؛ هذا الجانب يتمثل في العينات الأثرية التي اكتشفت في بلاد المغرب ومصر وجهات أخرى. وهذه العينات الأثرية استغلت من أجل تعزيز ودعم بعض النظريات المطروحة للبحث والدراسة الآن.. منها ما يتعلق بمواضيع أنثروبولوجية، وتفسير النشاطات الحضارية والتاريخية؛ ومنها ما أخضع للأبحاث المخبرية وتتبع السلالات البشرية. وقد احتكر هذا الميدان العلمي — في السابق — بعض العلماء الفرنسيين والأوروبيين؛ إلا أن أبناء البلدان المغربية شرعوا مؤخرا في الاعتناء بهذا الميدان؛ وإن كان ذلك بجهد محتشم... وما يعيب تلك الدراسات هي أنها تستند إلى نظريات جنسية وانثروبولوجية لم ترق إلى الحقائق الثابتة. ومع هذا تبقى تلك النظريات محل بحث وعناية؛ لأنها أقرب إلى الحقيقة، وأكثر صدقا من روايات الإخباريين الخيالية.

وكما سبق قوله فكل ما قيل عن بلاد المغرب ــ قديما ــ لا يخرج عن نطاق أصناف المصادر المذكورة آنفا. لذا فقد كان لزاما علينا مراعاة المنهج الصحيح؛ الذي يحتم العودة إلى قدر ما من تلك الأصناف. على أننا أعطينا الأولوية إلى المصادر ذات المصداقية؛ وإن لم نهمل الإطلاع على المصادر الضعيفة السند، والاستفادة ما أمكن منها.

É É É

القبائل الأمازيغية

1)ـ البحث عن الجذور:

فعلى الرغم مما تم إعداده من كتب ودراسات متباينة، وبلغات مختلفة، وفي عهود شتى؛ فإنها بكاملها لم تفصل ــ قطعيا ــ في حقيقة الأصول الأولى للمجتمعات المغربية. غير أن الفرضيات التي وضعت لا سبيل إلى نكرانها ــ تماما ــ أيضا. وهكذا تبقى الحقيقة معلقة حتى يظهر ما يسندها علميا، أو ينفيها نهائيا. وعليه فلا بد من الإشارة إلى مختلف الفرضيات؛ وذلك بتلمس المؤشرات التي تقترب من الحقيقة.

إذن يمكن إجمال المناهج المتبعة في تتبع الأصول الأولى لسكان بلدان المغرب ضمن أسلوبين: الأول هو المنهج الذي يستند إلى المخطوطات والروايات، والثاني هو القائل بالمعطيات الأنثروبولوجية، والأعمال المخبرية. فأما الأسلوب الأول فيمكن تطبيقه من خلال المصادر العربية القديمة؛ التي تعتبر أهم المصادر المكتوبة عن بلدان المغرب وشعوبها. ذلك لأن المصادر اليونانية والرومانية شحيحتان في المادة التاريخية التي تدرس أصول سكان بلاد المغرب. أما

المصادر العربية القديمة ـ كما سبق ذكره ـ ففيها ما يتصف بالموضوعية، وفيها ما تخللته الأساطير والخرافات.

أ ـ تسميات وتعاريف:

محاولة معرفة التسمية الحقيقية لسكان المغرب قديما تتطلب عرض الآراء كلها؛ أوجلها على الأقل؛ لأن المصادر التاريخية مازالت ـ حتى الآن ـ عاجزة عن إقناع القراء بالأصول الأولى لسكان هذه الديار، وبالمسميات التي عرفوا بها إلى وقت قريب. فتسميات: **لوبي**، **وإفري**، **وبربر** كلها أطلقت على أبناء هذه البلاد؛ منذ القدم حسب ترتيبها زمنيا. فالأولى شاعت لدى اليونانيين، والثانية قد تكون من مبتكرات الفينيقيين، والثالثة سماهم بها الرومان بتأثير من اليونان. مع أنها كلها لا تعبر عن الحقيقة كلها؛ نظرا لكونها مسميات صدرت عن أطراف خارجية، ولم تحض باعتراف شامل من قبل المعنيين بالأمر. فكلمة **بربر** مثلا سماهم بها الرومان؛ بعد أن ورثوا معناها عن اليونانيين. ويقال أن مصدرها الأول هي الكلمة اليونانية **فارفاروس** Varvaros وهي تعني

اللغط، وتداخل الأصوات في الكلام؛ بذلك فهم ينعتون بها كل الذين لا يتكلمون لغتهم؛ ومن هنا سموا إيطاليا **بربارياً**[1].

ولما انتقلت سيادة العالم إلى الرومان حذوا حذو اليونان؛ فسموا ـ بدورهم ـ كل الشعوب التي لا تنتمي إليهم، أو قاومت نفوذهم **بربرا**؛ تحقيرا واستخفافا. من ذلك عبارة **بارباريسي** أو **باربارجيا**؛ التي كانوا ينعتون بها القبائل الخارجة عن نفوهم؛ مثل القبيلة المسماة بهذه التسمية في جزيرة سردينيا. كما كانوا يسمون المحيط الهندي **البحر البربري**، وخليج عدن **بالخليج البربري**؛ وسموا أيضا ثلمة من نهر السند **بارباريكوم**. وفي مصر العليا مدينة سميت **بارباري**. وفي معبد الكرنك بمصر عثر على كتابة تعود إلى زمن رمسيس الثاني؛ ذكر فيها أن ذلك الفرعون قد أخضع شعبا في الجنوب سموه **بيرابيرتا**؛ وهذا يبعث شكوكا في المصدر الأول للكلمة؛ فهذا النص يدل أن الكلمة مصدرها الأول ليس اليونان؛ إذ يجوز أن يكون اليونانيون قد أخذوها عن المصريين.. وفي الصومال توجد **بربرة**؛ كما سميت الشعوب

---

[1] **قبائل المغرب، ج: 1، ص: 262.**

الجرمانيــــة ((**باربــــار**)) بمعــــنى القســــاة والهمــــج الجهلــــة. وقــــد اجمــــع الباحثــــون عــــلى أن كلمــــتي **بربــــر وبربــــار** تعنيــــان: إمــــا اللغــــط والرطانــــة والضوضــــاء؛ أو الهمجيــــة والقســــوة. ولــــم تكــــن هــــذه التسميــــة ــــ في يــــوم مــــا ــــ تسميــــة صحيحــــة؛ لأي جنــــس مــــن الأجنــــاس؛ وإنمــــا كانــــت بمثابــــة النَّبَــــز والشتيمــــة. ولمــــا حــــاول بوســــكي G. H. Bousquet تفسيــــر كلمــــة **بربــــر** قــــال: أنهــــا مشتقــــة مــــن كلمــــة **بربــــاروس** BARBARUS وهي كلمــــة لاتينيــــة تنعــــت بهــــا فئــــات مختلفــــة؛ ليســــت خاضعــــة لسلطــــان الرومــــان؛ والقصــــد منهــــا هــــو وصــــف تلــــك الفئــــات بالتخلــــف[2].

وإذا كانــــت هــــذه التسميــــة لا يختــــص بهــــا سكــــان البــــلاد المغربيــــة وحدهــــم؛ فمــــا هــــو الاســــم الــــذي أقــــره هــــذا الشعــــب العريــــق، وأطلقــــه عــــلى نفســــه؟ وهنــــا يستحســــن التذكيــــر بــــأن شعــــوب المغــــرب كانــــت ــــ في الحقيقــــة ــــ تعيــــش ضمــــن قبائــــل، وأحــــلاف قبليــــة كبــــرى عديــــدة؛ لا يجمعهــــا اســــم موحــــد؛ معتــــرف بــــه مــــن طــــرف القبائــــل كافــــة؛ بــــل تســــمى كــــل قبيلــــة باسمهــــا، أو كــــل حلــــف باســــم غالــــب عليــــه. وهــــذا شبيــــه بمــــا عرفــــه العــــرب القدمــــاء؛ الذيــــن كانــــوا يتكتلــــون ــــ بدورهــــم

---

[2] Les Berbères, (Que sais-je ?) p: 8.

ـ ضمن قبائل مختلفة ومتناحرة؛ حتى جاء الإسلام فجمع شتاتهم، ووعاهم بوحدة الهوِيَّة. ومع ذلك لم ينسوا انقسامهم الرئيس إلى يمنيين وعدنانيين..

وعند تتبع مسألة المجتمعات المغربية تاريخيا سيتضح من خلال خبر مفاده: أن جماعة من **قبيلة لواتة** أرسلهم عمرو بن العاص إلى عمر ابن الخطاب بالمدينة المنورة؛ فسألهم ـ كما جرت عادة العرب ـ عن نسبهم؛ فأجابوا: أن جدهم هو **مازيغ**[1]. وإن صحت هذه الرواية؛ ستكون هي المرة الأولى في ـ العهد الإسلامي ـ التي وردت كلمة **مازيغ** كاسم لجد هذا الشعب؛ ربما تكون اسما لجد فئة منه؛ كما يعتقد بعض الباحثين[2].. وثمة من يرى أن كلمة **أمازيغ** قديمة جدا؛ ربما عادت إلى العهود الفرعونية[3]، أو عصور السيادة الإغريقية.. ودلت بعض الأبحاث على استعمال كلمة قريبة من عبارة **مازيغ**؛ حيث وردت هذه الكلمة من طرف المؤرخ اليوناني هيكتايوس Hekatoios (الذي عاش في القرن السادس قبل

---

[1] **طبقات مشائخ المغرب، ج: 1، ص ص: 16 ـ 17.**

[2] **Les Berbères, (Que sais-je ?) p p:10-11.**

[3] **عروبة البربر، ص: 178.**

الميلاد)؛ فسمى فئات منهم بـ (مازييس) Mazyes؛ وهذه الكلمة قريبة من عبارة **مازيغ.** أما هيرودوتس Herodotos ــ في القرن الخامس قبل الميلاد ــ فقد ذكر اسما هو (ماكسييس) Maxyes؛ وهي الكلمة التي نقلها عنهم اللاتين بشكل محرف؛ فسموا الشعب النوميدي: (مازاس) أو (مازكيس) أو **(مازيكس)** Mazaces -- Mazax -- **Mazikes**. وهكذا ترى أن الكلمة المسطرة قريبة جدا من العبارة المتداولة الآن.

ويبدو أن كلمة **أمازيغ** لم تنتشر بشكل واسع في الزمن الأول للفتح؛ إذ تغلبت عليها كلمة **بربر**؛ التي وجدها المسلمون متداولة بين الناس عندما فتحوا البلاد؛ فبادروا إلى منح هذه الكلمة مدلولا أكثر طهارة ونقاء مما كانت عليه قبل مجيئهم؛ وذلك تبعا لما نصت عليه التعاليم الإسلامية السمحة؛ التي تنهى عن التنابز بالألقاب؛ كما جاء في التنزيل الحكيم: **((يا أيها الذين آمنوا لا يسخَرْ قومٌ من قومٍ عسىَ أن يكونوا خيرا منهم ولا نساءٌ من نساء عسىَ أن يكُنَّ خيرا منهُنَّ ولا تلمِزوا أنفسَكُمْ ولا تنابَزوا بالألقاب**

بئسَ الاسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإيمان ومن لم يتبْ فأولئك هُمُ الظالمون))[1].

ب ــ الأساطير نصف الحقيقة:

وعليه فقد اختاروا المدلول الذي ينسجم مع فلسفة الأسماء عندهم؛ لذا فقد وجدوا أن أقرب دلالة إلى ذهنهم ومنطقهم؛ هي التي تجعل من كلمة **بربر** عبارة مشتقة من اسم إنسان؛ افترضوا أنه جد هذا الشعب؛ أو يكون فعلا جدا لهم. غير أن بعضهم الآخر رأى في كلمة **بربر** ما يدل على اللغط والرطانة أثناء الكلام؛ وربما قال بهذا الرأي الذين كانوا مطلعين على التراث اليوناني؛ لأن اليونان ــ حسبما ورد ــ منحوا المفهوم نفسه لكلمة **بربر.** ولكن الإخباريين ــ كما هي عادتهم ــ نسجوا قصصا وأخبارا؛ حاولوا من خلالها تفسير أسباب تلك المسميات.. وقد ملئت صفحات كثيرة بتلك الروايات والأساطير العجيبة؛ التي تتحدث عن الشعب الذي سموا أعضاءه **بربرا..** فقال بعضهم أنهم أبناء **بر ابن قيس عيلان بن مضر بن نزار**؛ واضعين

---

[1] سورة الحجرات، الآية: 11.

في ذلك بعض الأساطير والأشعار؛ الهدف منها هو دعم مزاعمهم وافتراضاتهم[2].. ومع هذا فهي تدل على النزعة الإنسانية في انتحال الأشياء، والمواقف؛ بغرض دعم مزاعم، وافتراضات معينة؛ على الرغم من أنها ليست منطقية؛ نظرا لغياب الدليل العلمي من جهة، وبعدها عن المعقول من جهة أخرى. من ذلك؛ أنهم زعموا أن جد البربر المدعو **برا**؛ قدم إلى بلاد المغرب هاربا من أخيه عمرو ابن قيس؛ ولما طال غيابه بَكَتْه شقيقته **تماضر** بقولها:

لِتَبْكِي كُلُّ بَاكِيَةٍ أخَاهَا
كَمَا أبْكِي عَلىَ بَرٍّ بن قَيْسِ
تَحَمَّلَ عَنْ عَشِيرَتِهِ فَأضْحَى
وَدُونَ لِقَائِهِ أنْضَاءُ عِيسِ

ومما نسب إلى تماضر أيضا:

وَشَطَّتْ بِبَرٍّ دَارُهُ عَنْ بِلاَدِنَا
وَطَوَّحَ بَرٌّ نَفْسَهُ حَيْثُ يَمَّمَا

[2] أنظر هذه الأخبار والأشعار في العبر، مج: 6، ص ص: 176 ـــ 192.

وَأَزْرَتْ بِبَرٍّ لَكْنَةٌ أعْجَمِيَّةٌ

وَمَا كَانَ بَرٌّ فِي الحِجَازِ بأَعْجَمَا

كَأَنَّا وَبَرًّا لَمْ نُغِرْ بِجِيَادِنَا

بِنَجْدٍ وَلَمْ نُقَسِّمْ نِهَاباً وَمَغْنَمَا

وهكذا ترى المسحة الأسطورية في هذه الأقوال.. **فبر** يهرب **منفردا**؛ من أخيه إلى بلاد بعيدة كالمغرب..! أي من قارة إلى أخرى؛ بكل بساطة ودون عناء..! ولما أصبح في تلك البلاد النائية؛ علمت أخته أن كلام أخيها شوهته لَكْنَة أعجمية..! ومع هذا لم يسأل المتحمسون لهذا الخبر أنفسهم: كيف علمت تماضر بذلك رغم البعد، وانعدام وسائل الاتصال..؟! هذه واحدة من الحكايات؛ أما الأخرى فيزعم رواتها: أن من أسموه الملك **النعمان بن حمير بن سبأ** فاجأ أبناءه — في أحد الأيام — فقال لهم: إني عزمت على إرسالكم إلى بلاد المغرب لتعمروها..؟! فلبوا أمره على الفور؛ وتوجهوا إلى حيث اختار لهم المقام الأبدي..!! وهؤلاء الأبناء هم: **لمت** (أبو لمتونة)، **ومسفو** (أبو مسوفة)، **ومرطا** (أبو هسكورة)، **وأصناك** (أبو صنهاجة)، **ولمط** (أبو

لمطة)، **وإيلان** (أبو هيلانة)، **ومصمود** (أبو مصمودة)، **وكزول** (أبو كزولة)، **وأجانا** (أبو زناتة)..ألخ. فنزل هؤلاء الاخوة في بلاد المغرب متفرقين: منهم من سكن جبل درن، ومنهم من اختار سكنى السوس وطنجة، ومنهم من استقر في درعة، ومنهم من توقفت رحلته في إفريقية والمغرب الأوسط. والحكاية كما يقول ابن خلدون طويلة. وهكذا ترى كيف يضيق أبٌ بأولاده..؟ فيتخلص منهم؛ بنفيهم ــ دون حماية كافية ــ إلى مغرب الشمس، وبحر الظلمات.. حيث نهاية العالم القديم آنذاك؛ ولا هدف له من ذلك؛ سوى أنه يرغب في الأعمال الخيرية..!! ويحب تعمير بلاد المغرب الشاغرة..!! تلك البلاد التي بدت له ــ فجأة ــ بأنها فارغة من السكان، ومحتاجة إلى من يعمرها.. فعمرها النعمان بفلذات كبده..؟!!

وثمة حكاية أخرى يقول أصحابها: أن ملكا من التبابعة يسمى **افريقش بن قيس بن صيفي**؛ غزا بلاد المغرب؛ فسميت باسمه إفريقية؛ بعد أن قتل بها من أسموه بالملك **جرجيس**، وتقول الرواية أيضا أن إفريقش هذا

اختط الأمصار، وشيد المدن بتلك الجهات النائية قبل أن يعود إلى بلاده في المشرق..**!** وتقول الرواية كذلك: أنه لما لاحظ رطانة سكان تلك البلاد، واختلاط الأصوات في لهجاتهم؛ قال متعجبا: **"ما أكثر بربرتكم"..!** فسموهم ـ منذئذ ـ **بربرا..** غير أن رواية أخرى تقول أنه حشد قبائل شتى؛ عبأهم في الشام؛ لغزو بلاد المغرب؛ من هذه القبائل: حمير، ومضر، والقبط، والعمالقة، وكنعان، وقريش؛ فلما سمع لغطهم؛ سماهم البربر؛ ثم أنشد:

بَرْبَرَتْ كَنْعَانُ لَمَّا سُقْتُهَا
مِنْ بِلاَدِ الضَّنْكِ لِلخِصْبِ العَجِيبْ
أيُّ أرْض سَكَنُوهَا وَلَقَدْ
فَازَتِ البَرْبَرُ بِالعَيْشِ الخَصِيبْ

وثمة حكاية أخرى تقول أن **أبرهة ذا المنار** ـ ملك اليمن ـ هو الذي تركهم ببلاد المغرب بعد أن فتحها وليس إفريقش..**!** وهكذا تلاحظ اختلاف الروايتين.. ثم يمكن التساؤل: ما هي الطريق التي سلكها إفريقش هذا..؟**!** وهل تركه الفراعنة يمر بسلام؛ كما مرت قبائل بني هلال بعده بقرون؟**!** وإن صح

ذلك..! أيكون مرور هذه الجيوش بمصر حدث هذه المرة بدون ضجة تذكر..؟! وهل من سبيل آخر يكون قد سلكه..؟ ثم ما هي المدة الزمنية التي بقي فيها إفريقش هذا ببلاد المغرب؛ التي يقال أنه منحها اسمه..؟! وكما هو معلوم فإن تخطيط المدن، وتشييد الأمصار يحتاج إلى سنوات وسنوات؛ فما هي وسائله السحرية التي استعملها في إنجاز مشاريعه الخارقة..؟! أما الذي قالوه عن تعبئته لعدد من القبائل المختلفة في بلاد الشام؛ بغرض غزو المغرب؛ فإنه ــ على ما يبدو ــ تمكن من تعبئة أمم، وشعوب مختلفة؛ وليست قبائل فحسب كما قيل..! ومن الزاوية التاريخية للأدب العربي؛ يبدو أن **إفريقش بن قيس بن صيفي، وتماضر بنت قيس** ــ في هذه الحال ــ يكونان قد سبقا من عرف حتى الآن من شعراء الجاهلية الأوائل؛ **كالمهلهل بن ربيعة، وامرؤ القيس بن حجر..!** وعليه.. يكون تاريخ أول نص شعري جاهلي؛ هو تاريخ أبيات تماضر أو إفريقش..!

ولم تنته الحكايات عند هذا الحد؛ إذ وردت روايات أخرى كثيرة ومتناقضة؛ منها: أن

البربر من أبناء **يقشان بن إبراهيم الخليل..!** أو أنهم جماعات متفرقة من أهل اليمن**..!** أو أنهم من قبائل اليمن الذين تفرقوا ــ مع **الغساسنة** ــ بعد نكبة سيل العرم**..** أو أنهم من **لخم وجذام**؛ الذين أخرجهم أحد ملوك الفرس من فلسطين؛ فنزحوا إلى مصر أولا؛ ثم واصلوا هجرتهم نحو المغرب؛ بعد أن منعهم الفراعنة من الاستقرار بمصر**..** وأشهر الروايات هي التي تقول**:** أنهم من أصحاب **جالوت**؛ وهم أخلاط من**: الكنعانيين، والعمالقة**؛ نزحوا جميعا إلى المغرب بعد مقتل جالوت؛ حيث تم ذلك بواسطة إفريقش**..** كما يزعم آخرون أن الذي طردهم من فلسطين هو داود عليه السلام بالوحي؛ ونقل ابن خلدون عن أولئك الإخباريين نصا جاء فيه **((قيل يا داود أخرج البربر من الشام فإنهم جذام الأرض))**[1]**..!** أما آخرون فيقولون أنهم هربوا إلى مصر؛ بعد مقتل جالوت؛ فأخرجهم القبط منها؛ فنزحوا إلى برقة، ثم إفريقية، ومنها إلى المغربين**:** الأوسط والأقصى**.** وثمة أخبار أخرى تنسبهم إلى **حام ابن نوح**؛ بينما قال آخرون أنهم أبناء **سام**

---

[1] العبر، مج: **6** ص: **185**.

ابن نوح.. وقد وردت في هذا الأمر حكايات عجيبة يضيق المجال بذكرها كلها.. على أن بعض الإخباريين لم يعمموا كغيرهم؛ واكتفوا بضم فئة من البربر إلى أهل اليمن؛ هي: القبائل الكتامية؛ والقبائل الصنهاجية؛ **كتامة وصنهاجة.** وقد ظلت هذه القائمة مفتوحة للأهواء؛ إذ تسابق الناس لإضافة أنفسهم أو من يحبون..

جـ ـ نقد واعتراض:

تولى ابن خلدون الرد على تلك المزاعم؛ مفندا إياها واحدة فواحدة.. فَبَدَأَ بالادعاء القائل: أن البربر من أبناء **يقشان بن إبراهيم** عليه السلام؛ فذكر أن بين **داود** (وهو قاتل جالوت) **وإسحاق** (وهو أخو يقشان) حوالي عشرة آباء؛ لا غير؛ ثم يتساءل: فهل يعقل أن يتشعب أبناؤهم، وأن يتناسلوا بهذه الكثافة العظيمة التي عليها شعوب البربر.؟! بعد ذلك ينتقل إلى الادعاء الثاني؛ فيقول ما نصه: **((وأما القول بأنهم من ولد جالوت، أو العماليق؛ وأنهم نقلوا من ديار الشام، وانتقلوا؛ فقول ساقط؛ يكاد يكون من أحاديث خرافة؛ إذ مثل هذه الأمة؛ المشتملة**

على أمم، وعوالم ملأت جوانب الأرض؛ لا تكون منتقلة من جانب آخر، وقطر محصور؛ والبربر معروفون في بلادهم، وأقاليمهم؛ متحيزون بشعارهم من الأمم؛ منذ الأحقاب المتطاولة قبل الإسلام. فما الذي يحوجنا إلى التعلق بهذه الترهات؛ في شأن أوليتهم... وإفريقش الذي يزعمون أنه نقلهم؛ قد ذكروا أنه وجدهم بها، وأنه تعجب من كثرتهم، وعجمتهم؛ وقال: ما أكثر بربرتكم؛ فكيف يكون هو الذي نقلهم؛ وليس بينه وبين أبرهة ذي المنار من يتشعبون فيه إلى مثل ذلك؛ إن قالوا أنه الذي نقلهم؟))[1]. أما المزعم القائل بانتمائهم إلى النعمان بن حمير، أو إلى قيس بن عيلان بن مضر؛ فيرفضه ابن خلدون تماما؛ بدعوى أنه منكر من القول؛ محتجا برأي محمد بن حزم؛ عندما نفى ــ بدوره ــ هذه المزاعم؛ حيث قال: **((قال قوم: إنهم من بقايا ولد حام بن نوح عليه السلام؛ وادعت طوائف منهم إلى اليمن؛ إلى حمير؛ وبعضهم إلى بر بن قيس عيلان. وهذا باطل، ولا شك فيه. وما علم**

---

[1] العبر، مج: 6، ص: 190.

النسابون لقيس عيلان ابنا اسمه بر أصلا؛ ولا كان لحمير طريق إلى بلاد البربر؛ إلا في تكاذيب مؤرخي اليمن))[2]. ويبدو أن الاعتراض على هذه المزاعم لم يقتصر على ابن حزم وابن خلدون فحسب؛ بل صدر عن علماء آخرين؛ منهم: البلاذري الذي نقل في كتابه فتوح البلدان رواية جاء فيها: **((وحدثني بكر ابن الهيثم قال: "سألت عبد الله بن صالح عن البربر فقال: هم يزعمون أنهم من ولد بر بن قيس؛ وما جعل الله لقيس ولدا يقال له بر؛ وإنما هم من الجبارين الذين قاتلهم داود عليه السلام. وكان منازلهم على أيادي الدهر فلسطين؛ وهم أهل عمود؛ فأتوا المغرب؛ فتناسلوا به"))**[3]. وهذه الرواية سبقت زمن ابن خلدون وابن حزم على السواء؛ ذلك أن البلاذري عاش في عهد المأمون العباسي، ونقلها عمن سبقوه.

وواصل ابن خلدون نقده؛ فتصدى لمزعم ابن قتيبة القائل: بأن البربر من أولاد جالوت؛ الذي نسبه إلى قيس بن عيلان. فاستبعد ابن

---

[2] الجمهرة، ص: 495.

[3] فتوح البلدان، ج: 1، ص: 265.

خلدون هذا الادعاء؛ محتجا بكون قيس بن عيلان من ولد **معد**؛ المعاصر **لبختنصر**. وهذا الأخير ــ كما هو معلوم ــ طارد العرب، واضطهدهم؛ الأمر الذي حدا بالنبي **أرميا** إلى تهريب **معد** نحو الشام؛ خوفا عليه من سخط بختنصر؛ ذلك الملك الغشوم؛ مدمر المعالم الدينية التي شيدها ببيت المقدس داود وسليمان؛ قبل ذلك بأربعمائة وخمسين سنة تقريبا. إذن فمعد جاء بعد داود؛ بنسبة زمنية تتوافق مع تلك القرون الأربعة على الأرجح؛ ثم يتساءل ابن خلدون: كيف يكون قيس عيلان بن معد أبا لجالوت المعاصر لداود.؟! وبهذا التحليل المنطقي؛ نسف ابن خلدون أوهام ابن قتيبة. ومع هذا لم يكتف بالتفنيد، والرفض لآراء الأسلاف؛ بل أرسل دلوه هو الآخر؛ لتفسير الأصول التاريخية للأمازيغ؛ فانتهى إلى القول: **((والحق الذي لا ينبغي التعويل على غيره في شأنهم؛ أنهم من ولد كنعان بن حام بن نوح؛ كما تقدم في أنساب الخليقة. وأن اسم أبيهم مازيغ،**

واخوتهم أركيش، وفلسطين إخوانهم بنو كِسلوحيم بن مصرايم بن حام))[1].

لم يشذ ابن خلدون برأيه هذا ــ كما قد يبدو لبعضهم ــ فقد سبقه إليه علماء آخرون؛ مثل القديس أوغسطين SAINT AUGUSTIN الذي نسب مجتمعه الأمازيغي إلى الكنعانيين أيضا؛ حيث كتب في إحدى رسائله: **((إذا سألتم فلاحينا عن أصلهم؛ سيجيبون: نحن كنعانيون))** Si vous demandez à nos paysans ce qu'ils sont, ils répondent, nous sommes CANANEENS))[2] . فهذا النص كتبه فيلسوف من هذه الديار؛ قبل الفتح الإسلامي بقرون. ويتفق فيه مع أقوال ابن خلدون، وبعض مؤرخي المغرب الإسلامي. وهم جميعا يستندون إلى معلومات تناقلها النسابة الأمازيغ؛ أبا عن جد. وإن اتفقوا على انتمائهم إلى كنعان؛ فإن الخلاف ظل ماثلا بخصوص انتماء كنعان نفسه إلى حام. وهذا الرأي قال به بعض العلماء المحدثين ممن اشتهروا بالتحقيق والضبط؛ مثل العلامة الألماني بروكلمان؛ في كتابه تاريخ اللغات السامية. ويرى هذا الباحث الكبير أن اليهود هم الذين

---

[1] **العبر، مج: 6 ص: 191.**

[2] **E. F. GAUTIR, Le Passé de L'Afrique du Nord, p:139.**

أقصوا كنعان من سلسلة النسب السامية؛ لأنهم كانوا من أعدائهم التقليديين. على أن يحيى بن خلدون ــ وهو أخو عبد الرحمن ــ أورد بعض الأقوال منها: أن بعض المؤرخين القدماء نسبوا البربر إلى جد يدعى **بربر بن تملا بن مازيغ بن كنعان بن سام**، وآخرون إلى **عملاق بن لاود بن أرم بن سام**؛ وهذا طبعا رأي من ينسبهم إلى العمالقة..

ويتبين مما سبق؛ أن دلالة كلمة بربر ــ في مفهوم المسلمين ــ كانت إما نسبة لأحد الأجداد يسمى **بربر**، وإما نعتا لطريقة كلامهم، ولغطهم، وبربرتهم التي لا يفهمها العرب. فالتسمية ــ في هذه الحال ــ جاءت من خارج ذلك المجتمع المعني بالأمر؛ ولم تصدر عن قناعة منه. وعليه فمن حق أبنائه أن يعترضوا على تلك المسميات التعسفية؛ كما أنهم أهلا لكي يطلقوا على أنفسهم الاسم المناسب؛ وبما أن جلهم يحبذوا اسم **أمازيغ**؛ فاليكن لهم ذلك.. إذ الراجح أن تكون هذه هي تسميتهم الحقيقية؛ خاصة عندما نعود إلى ما جاء في الرواية التي تقول بأنهم انتسبوا ــ أمام عمر بن الخطاب ــ إلى جد يدعى **مازيغ**.

على اعتبار أنه اسم لجدهم؛ وهذه إحدى وجهات النظر. أما الرأي الآخر المفسر لمعنى أمازيغ فيقول بأنها تعني صفة من صفاتهم؛ وهي: ((**الأحرار النبلاء**)). وهذا يقود إلى تصور الاعتقاد الذي اعتمده بوسكي؛ حين قال باحتمال أن تكون كلمة أمازيغ نسبة رفيعة لشخص أو لفئة أرستوقراطية قديمة[1].. وربما تكون هذه الكلمة كما وردت في النصوص اليونانية واللاتينية ــ السابقة الذكر ــ بهذا المعنى؛ الذي نعت هذا الشعب به نفسه..

ومن جهة أخرى يستحسن الإشارة إلى المعلومات التي ذكرها الباحث محمد على مادون في كتابه عروبة البربر؛ حيث أورد بعض الدلائل التي تنص على استعمال كلمة (**بر**) في العهد الجاهلي؛ بشبه الجزيرة العربية وبلاد الشام؛ إذ أتت الكلمة في كثير من المرات بعدة معاني؛ منها: كاسم لشخص يدعى **بر**، ومرات تأتي بمعنى (**ابن**). ومما قدمه هذا الباحث بعض النصوص المنحوتة في عينات أثرية؛ مثل: الوثيقة التي أعطاها رقم **4**؛ وهي عبارة عن نقش مدون بالأبجدية الصفائية؛ المتفرعة

---

[1] **Les Berbères, (Que sais-je ?) p p: 10 - 11.**

عـن الخـط المعـروف بالمسنـد؛ عثـر عليـه في موقـع عرعـر بشمـال الجزيـرة العربيـة؛ جـاء فيـه مـا نصـه[1] :(2) **(لـ: سعـد بـن أسـد ذ آل بـر)** ومعنـاه: دُوِّنَ هـذا النقـش مـن أجـل **سعـد بـن أسـد من قبيلـة بـر.** وهـذا يـدل عـلى تواجـد قبيلـة ـ في تلـك الجهـات ـ كانـت تـدعى **آل بـر.** كمـا أورد الباحـث اسـم فخـذ مـن قبيلـة لخـم وهـم: **بنـو بـر بـن كعـب بـن غنـم بـن كليـب.** وفي النقـش المسجـل تحـت رقـم: (1206) ضمـن مدونـة النقـوش العربيـة القديمـة للباحـث نفسـه؛ الـذي عثـر عليـه بمنطقـة الصفـا؛ جنـوب سوريـة؛ جـاء فيـه اسـم قبيلـة أخـرى تـدعى: **ألحـج بـن بـر.** كمـا أورد الباحـث ـ أيضـا ـ عينـات أخـرى تفيـد وقوعهـا بمعـنى **(ابـن)** وهـذا يرجـح الـرأي الـذي قصـده؛ وهـو احتمـال أن تكـون كلمـة **بربـر** هي: **(بـر ـ بـر)** أي: **(بـر ـ ابـن).** أنظـر مـا جـاء في كتـاب عروبـة البربـر؛ هـذا الكتـاب القيـم الـذي نشرتـه المنظمـة العربيـة للتربيـة والثقافـة والعلـوم.

والآن ما هي حقيقـة هـذا المجتمـع الأمازيـغي؛ الـذي تسبـب في هـذا الجـدل المزمـن..؟ فالمتأمـل في

---

[1] عروبـة البربـر، ص ص: 18 ـ 19.

المصادر التاريخية التي تهتم بالمغرب الإسلامي؛ سيندهش ــ لا محالة ــ عندما يلاحظ ظاهرة؛ قد تكون فريدة من نوعها بين الشعوب؛ تلك الظاهرة هي سعي شعب ــ بمختلف قبائله ــ إلى إثبات انتمائِهِ، وانْتِسَابِهِ إلى شعب آخر؛ قدم إلى بلاده بقوة الاحتلال..! والأمر الذي يزيد المتأمل دهشة..! هو ما عرف عن هذا الشعب من ميل للتمرد، وعدم الخضوع؛ والانقياد للمحتلين.. وكراهيته للغزاة الأجانب، واستنكافه عن الانتماء إليهم.. فما هو السر هنا إذن..؟ فحينما نتتبع حركة الفتح الإسلامي في كامل الديار المفتوحة؛ شرقا، وغربا؛ سيتضح أن شعوبها لم تحاول الانتساب إلى قحطان، أو إلى مضر؛ فما هو السبب يا ترى..؟ قد تكون الإجابة ــ هنا ــ كامنة في النزعة، والغريزة الإنسانية التي لا تقبل بغير طبيعتها.. فلا يمكن لها أن تتنصل عن ذاتها.. كيفما تكون تلك الذات.. كما أنها لا تزج بنفسها في محيط غريب عنها؛ إلا في حالات تحالف، وتزاوج؛ على أن لا يتم خلالهما نفي لكيانها.. وبهذا يمكن تفسير ظاهرة التسابق نحو إثبات الذات؛ التي عرفتها قبائل المغرب الإسلامي؛ بعد أن مرت الصدمة الأولى؛ التي أحدثها الفتح المسلح.

وهكـذا وقفـوا جميعـا موقفـا واحـدا ــ تقريبـا ــ يتفقـون فيـه علـى أنهـم مـن أصـول عربيـة، أو بالأحـرى مشرقيـة. وهـذا الادعـاء وافقهـم فيـه الفاتحـون أيضـا.. فلـم يرفضـوه؛ مـع أنهـم أشـد الخلـق تعصبـا لجنسهـم. كيـف سلَّمُـوا بذلـك.. وهـم السـادة الأقويـاء..؟ الذيـن احتلـوا تلـك البـلاد عسكريـا..؟ يبـدو أنهـم لـو لـم تكـن لديهـم قناعـة بذلـك الطـرح لمـا قبلـوا بـه.

ومـع هـذا لا بـد مـن التذكيـر بـأن الخـلاف ــ في وجهـات النظـر بينهـم ــ لـم ينحصـر إلا في تحديـد مصـدر الهجـرة لا غيـر.. هـل كانـت مـن اليمـن أم مـن الشـام..؟ ويبـدو أن أسبـاب هـذا الخـلاف تكمـن خلفـه التأثيـرات المنبعثـة عـن **العصبيـة القبليـة**؛ الـتي تجلـت في قطبيهـا: اليمـني والمضـري. وقـد استطـاع ابـن حـزم تلمسهـا؛ حيـن أشـار إلى مـا وصفـه بـ "**تكاذيـب أهـل اليمـن**". وبهـذا يمكـن أن يكـون للصـراع بيـن العصبيتيـن: المضريـة (القيسيـة)، واليمنيـة (الكلبيـة) في بـلاد المغـرب دور رئيـسي؛ في انتشـار هـذه الأخبـار المتضاربـة في قحطانيـة الأمازيـغ، أو قيسيتهـم. كمـا أن الصراعـات الداميـة بيـن الأمازيـغ والعـرب؛ في بـلاد المغـرب والأندلـس ــ وهـم جميعـا إخـوة في الديـن ــ دفـع بأهـل الخيـر والإصـلاح؛ مـن

الطرفيـــن ـــ بغـــرض شريـــف طبعـــا ـــ إلى تأكيـــد الأخـــوة الجنسيـــة، والدينيـــة. وهـــذا مـــا حـــدا بشاعـــر مـــن أهـــل الأندلـــس؛ وهـــو عبيـــدة بـــن قيـــس العقيـــلي كي يقـــول:

أَلاَ أَيُّهَـــا السَّـــاعِي لِفُرقَـــة بَيْنَنَـــا
تَوَقَّـــفْ هَدَاكَ اللَّهُ سُبلَ الأطَايِـــبِ

فَأقْسِـــمُ أَنَّـــا وَالبَرَابِـــرُ إخْــــوَة
نَمَانَـــا وَهُمْ جَدٌّ كَرِيمُ المَنَاصِـــبِ

أَبُونَا أَبُوهُمْ قَيْسُ عَيْلاَنَ فِي الـــذرَى
لَهُمْ حُرْمَـــة تَشْفِي غَلِيلَ المُحَـــارِبِ

فَنَحْنُ وَهُمْ رُكْـــنٌ مَنِيـــعٌ وَإخْـــوَة
عَلىَ رَغْمِ أعْـــدَاءِ لِئَـــامِ المَنَاقِـــبِ

فَإِنَّا لِبَـــرٍّ مَا بَـــقِىَ النَّـــاسُ نَاصِـــرٌ
وَبَـــرٌّ لَنَا رُكْـــنٌ رَفِيـــعُ المَنَاكِـــبِ

نُعِـــدُّ لِمَنْ عَادَى سَوَابِـــقَ ضُمَّـــراً
وَبيضاً تَقُـــطُّ الهَامَ يَوْمَ التَّضَـــارُبِ

وَبَـــرٌّ بْن قَيْـــسٍ عُصْبَـــة مُضَرِيَّـــة
وَفِي الفَرْعِ مِنْ أحْسَابِهَا وَالذّوَائِـــبِ

وَقَيْـــسُ قِـــوَامُ الدِّينِ فِيكلِّ بَلْـــدَةٍ
وَخَيْـــرُ مَعَدٍّ عِنْدَ حِفْظِ المُنَاسِـــبِ
وَقَيْـــسٌ لَهَا المَجْدُ الَّذِي يُقْتَدَي بـــهِ
وَقَيْسٌ لَهَا سَيْفٌ حَدِيدُ المَضَـــارِبِ

ويقـــول الطرمـــاح بـــن ساعـــدة القيـــسي أيضـــا:
يَا آلَ بَرٍّ بْن قَيْـــسٍ مَرْحَبـــاً بكُـــمُ
قَيْـــسٌ أبي وَأَبُوكُم حَيْثُ نَنْتَسِـــبُ
مَا قُلْتُ إلاَّ الَّذِي قَدْ كُنْتُ أعْلَمُـــهُ
وَكُلُّ شَيْءٍ إلىَ وَقْـــتٍ لَهُ سَبَـــبُ
اللَّـــهُ يَعْلَـــمُ أنِّي مَـــا كَذَبْتُكُـــمُ
وَالقَوْلُ أقْبَحُـــهُ البُهْتَانُ وَالكَـــذِبُ
بَـــرُّ بْنُ قَيْسٍ وَعِيـــلاَنَ لَهُ شَـــرَفٌ
عَال إلَيْهِ انْتَهَى الافْضَالُ وَالحَسَـــبُ
نَفْسِي فِدَاءُ بَنِي بَـــرٍّ وَإنْ غَضِبَـــتْ
يَوْماً فَدَامَ لَهَا الإرْغَـــامُ وَالغَضَـــبُ

تلـــك هي وجهـــة نظـــر بعـــض العـــرب فيمـــا يخـــص الأمازيـــغ؛ أولئـــك العـــرب الذيـــن يجاهـــرون بالانتمـــاء الواحـــد للأصـــل العـــربي. والآن فمـــا هي وجهـــة نظـــر الطـــرف الآخـــر؟ فهـــذه قصيـــدة لشاعـــر أمازيـــغي؛ وهـــو يزيـــد بـــن خالـــد الزنـــاتي الأندلـــسي يمـــدح فيهـــا قومـــه:

أَيُّهَــا السَّائِــلُ عَــنْ أحْسَابِنَـــــا
قَيْـــسُ عِيــلَانَ بَنُـــو العِــزِّ الأوَلْ

وَبَنُـــو بَـــرِّ بْـــنِ قَيْـــس مَنْ بِـــهِ
تُضْـــرَبُ الأمْثَـــالُ فِي كُلِّ أهَـــلْ

نَحْنُ مَا نَحْـــنُ بَنـــُو بَـــرِّ النَّـــدَى
عَـــرَفَ المَجْدَ وَفِي المَجْـــدِ دَخَـــلْ

إنْ نُسِبْنَـــا فَبَنـــُو بَـــرِّ النَّـــدَى
طَـــارِدُ الأزْمَـــةِ نَحَـــارُ الأبِـــلْ

وَابْتَـــنَى المَجْـــدَ فَـــأوْرَى زَنْـــدَهُ
وَكَفَانَـــا كُلَّ خَطْـــبٍ ذِي جَلَـــلْ

إنَّ قَيْســـاً يَعْتَـــزِي بَـــــرٌّ لَـــهُ
وَلِبَـــرٍّ يَعْتَـــزِي كُـــلُّ بَطَـــــلْ

حَسْبُـــكَ البَرْبَـــر قَـــوْمِي إنَهُـــمْ
مَلَكُوا الأرْضَ بِأطْـــرَافِ الأسَـــلْ

وَبِبِيـــضٍ تُضْـــرَبُ الهَـــامُ بِهَـــــا
هَـــامُ مَنْ كَانَ عَنِ الْحَـــقِّ نَكَـــلْ

أبْلِغُـــوا البَرْبَـــرَ عَـــنِّي مَدَحـــاً
حِيـــكَ مِنْ جَوْهَرِ شِعْـــرٍ مُنْتَحَـــلْ

هـــذه اعتقـــادات بعـــض الشعـــراء مـــن الطرفيـــن: العـــربي والأمازيـــغي. أمـــا مـــا تـــراه القبائـــل، ويؤمـــن بـــه الملـــوك والأمـــراء؛ فقـــد كـــاد جلهـــم يجمعـــون علـــى انتسابهـــم؛ إمـــا لحميـــر، وإمـــا لمضـــر، وإمـــا

للعمالقة، أو لبني كنعان. وفي هذا يقول ابن خلدون: ((**وأما نسابة البربر فيزعمون في بعض شعوبهم أنهم من العرب؛ مثل: لواتة؛ يزعمون أنهم من حمير، ومثل هوارة؛ يزعمون أنهم من كندة؛ من السكاسك، ومثل زناتة؛ تزعم نسابتهم أنهم من العمالقة؛ فروا أمام بني إسرائيل؛ وربما يزعمون فيهم أنهم من بقايا التبابعة، ومثل غمارة أيضا، وزواوة، ومكلاتة؛ يزعم في هؤلاء كلهم نسابتهم أنهم من حمير... والحق الذي شهد به المواطن، والعجمة أنهم بمعزل عن العرب؛ إلا ما تزعمه نسابة العرب؛ في صنهاجة، وكتامة. وعندي أنهم من إخوانهم؛ والله أعلم**))[1].

وهكذا ترى الخلط، والتناقض الذي وقع فيهما ابن خلدون. ففي نص سابق؛ يجزم بأنهم من أبناء كنعان بن حام. بينما يسلم ــ في قوله هذا ــ ببعض الاستثناءات المتعلقة بكتامة وصنهاجة؛ مع أنه في مواضع أخرى من كتابه العبر يميل إلى اعتبار زواوة من كتامة؛ بينما يستثنيهم ــ هنا ــ من الانتماء العربي؛ معللا ذلك بالمواطن، والعجمة؛ مع أن

---

[1] العبر، مج: 6 ص: 192.

هـذا التعليـل ينطبـق عـلى صنهاجـة، وكتامـة. ومـن جهـة ثانيـة أيَّـد رأي ابـن حـزم؛ حيـن قـال: ((**ولا كـان لحميـر طريـق إلى بـلاد البربـر؛ إلا في تكاذيـب مـؤرخي اليمـن**))؛ ولكنـه غيـر موقفـه هـذه المـرة؛ مـع صنهاجـة، وكتامـة؛ علمـا بـأن هاتيـن القبيلتيـن تشكـلان كتلـة ضخمـة بيـن قبائـل الأمازيـغ؛ ربمـا قـدرت بنصفهـم. وعنـد العـودة إلى مـا قالـه عنهـم في المجلـد السـادس مـن كتـاب العبـر؛ سيظهـر مـدى تناقضـه وتذبذبـه.. والغريـب أنـه لا يصـدق ـ هـذه المـرة ـ مـا قالـه نسابـة الأمازيـغ؛ بينمـا يتحيـز لأقـوال النسابيـن العـرب؛ دون أن يقـدم مبـررا معقـولا.. فمـا هـو السبـب يـا تـرى..؟ هـل هي الثقـة المطلقـة فيمـا يقولـه نسابـة وإخباريـون مثـل: ابـن الكلـبي، وابـن إسحـاق..؟! ومـن علامـات تناقـض ابـن خلـدون وبلبلتـه أنـه ـ مـن جهـة ـ يجـزم بانتسـاب (البربـر) إلى كنعـان بـن حـام، أو إلى العمالقـة؛ ومـن جهـة أخـرى يصـرح ـ في موضـع آخـر ـ بإنكـاره لهـذا الطـرح؛ وذلـك حسـب مـا جـاء في قولـه السابـق الذكـر: ((**والبربـر معروفـون في بلادهـم وأقاليمهـم؛ متحيـزون بشعارهـم مـن الأمـم منـذ الأحقـاب المتطاولـة قبـل الإسـلام.**

فما الذي يحوجنا إلى التعلق بهذه الترهات في شأن أوليتهم)). وعليه فما هو السبب في اضطرابه إذن..؟ قد يكون ذلك بسبب حيرته وعدم قدرته على تكوين فكرة واضحة حول الموضوع؛ نظرا لتشعبه وكثرة الآراء فيه؛ وبالمقابل اصطدم بالفراغ المهول في المادة التاريخية المغربية؛ حيث لم ينجز من قبل ما يمكن أن يستند إليه؛ سوى تلك الفرضيات المتزاحمة، والمتناقضة؛ المقدمة من طرف النسابين والإخباريين الأمازيغ والعرب على السواء..

د ـــ حديث الحفريات:

وبعد هذا.. ماذا يمكن أن نقول نحن عن الأصول الأولى للأمازيغ.؟ قبل الإجابة؛ علينا ـــ أولا ـــ التسليم بأن هذه البلاد لم تكن فارغة من الجنس البشري؛ طوال فترة زمنية تمتد إلى عشرات الآلاف من السنين. وحتى ابن خلدون نفسه يعترف بهذا عندما يصرح بأن (البربر) كانوا في ديارهم منذ حقب زمنية بعيدة.. وهذا القول لا يمنع ـــ طبعا ـــ من قدوم هجرات عديدة إلى بلاد المغرب من جهات مختلفة.. ولترسيخ الفكرة، والتعمق في عرض المعطيات الداعمة للرأي السابق؛ لا بد من

الحديث عن هذا الموضوع في جانبه العلمي المعزز بالمكتشفات الأثرية. ومن هذا المنطلق نبدأ بالحديث عما تم إنجازه في الحفريات المختلفة.

والجدير بالذكر ـ هنا ـ هو أن الأبحاث الأثرية التي تمت في أماكن عديدة من الأقطار المغربية؛ وصلت إلى اكتشاف أقدم أثر؛ لما أسموه **إنسان الأطلس** ATLANTHROPES ، الذي وصلت الفترة الزمنية التي عاش فيها ـ بهذه الربوع ـ إلى 400.000 سنة ق.م؛ ويعتقد المختصون أنه شبيه بالأثر المكتشف في الصين؛ الذي سموه Sinanthrope؛ ثم الذي عثر عليه في جاوة وتانزانيا؛ المسمى Pithecanthrope. وقد عثر على بعض الأدوات الحجرية البسيطة؛ التي كان يستعملها هذا المخلوق. وقدر العلماء الفترة التي عاش خلالها **بالعصر الحجري السفلي** Le Paléolithique inférieur. وتأتي بعد هذا ـ زمنيا ـ البقايا الهامة التي اكتشفت في مغارة جبل **أرحود** بالمغرب الأقصى، وبعض المواقع في كل من: الجزائر، وتونس. وهذا الصنف من المخلوقات سماه العلماء بإنسان **نياندرتال** Homme de Néanderthal نسبة إلى منطقة في ألمانيا؛ اكتشف فيها الآثار الأولى لهذا المخلوق. وقد حدد

العلماء زمن وجوده بفترة تنحصر بين 40.000 و 25.000 سنة ق.م. بمعنى أنه عاش خلال **العصر الحجري الأوسط** Le Paléolithique moyen؛ وقد تردد العلماء في الإقرار بإنسانية هذين المخلوقين؛ نظرا للصفات البهيمية التي يتميزان بها؛ غير أن استعمالهما لبعض الأدوات الحجرية؛ جعل بعضهم يعتقدون أنهما يمكن أن ينسبا للإنسان العاقل.

وما هو مؤكد ـ حتى الآن ـ أن البقايا الإنسانية التي لا شك فيها؛ يعود تاريخها إلى **العصر الحجري المتأخر** L'Epipaléothique؛ المحدد زمنه بفترة تمتد من 12.320 إلى 6.500 ق.م؛ وهذه البقايا الإنسانية تم اكتشاف العينات الأولى منها في **مشتى العربي** بالجزائر. ثم اكتشفت عينات أخرى في منطقة **قفصة بتونس**؛ سمي صاحبها **إنسان ما قبل المتوسطي** Protoméditerranéen؛ وهو يختلف في تقاطيع جمجمته عن إنسان مشتى العربي. ولا يعرف ـ حتى الآن ـ كيف ظهر هذا الإنسان في شمال إفريقيا.. وهكذا بقيت التساؤلات حوله قائمة إلى الآن.. هل قدم إلى هذه الديار مهاجرا..؟ أم انحدر عن الإنسان ذي الصفات البهيمية السابق الذكر..؟ فأما الاحتمال الأخير فقد استبعده العلماء؛ نظرا لكونه

يختلف كثيرا عن النياندرتالي. وعليه فقد رجحوا فرضية أن يكون قدم من الشرق؛ عبر الجنوب التونسي. ويبدو أن هذا ممكن ــ حينها ــ لأن إمكانية الاتصال متوفرة عبر الجنوب الشرقي؛ حيث تتواجد منطقة **التاسيلي** في الجنوب الجزائري؛ تلك المنطقة التي كانت تزخر بالحيويّة، وبالتجمعات البشرية. ومما يعزز هذا الاحتمال؛ هو اتضاح ما للإنسان القفصي من ميول فنية للتعبير عن مشاعره؛ وهذا بالطبع من السمات البارزة في التجمعات الإنسانية بالتاسيلي. بالإضافة إلى ذلك لاحظ المختصون تشابها واضحا بين **إنسان مشتى العربي**، والإنسان المسمى **أيبيرو مغربي** L'Ibéromaurusien؛ وعليه فقد رجحوا انتمائهما إلى فرع واحد؛ انتقل من شمال إفريقيا إلى أوروبا عبر جبل طارق. وهذه الأصناف وُجِدَ أشباهها في الساحل الشرقي من البحر المتوسط. لذا رجحوا فكرة أن يكون هذا الإنسان قدم مهاجرا من تلك الجهات المشرقية؛ وعليه تكون هجرة هذا الإنسان من الشرق إلى الغرب احتمالا وارداً..

أما العصر الحجري الحديث Le Néolithique؛ الذي حدد بحوالي 4.000 سنة ق.م؛ فقد ظل

سائدا ببلاد المغرب؛ حتى ظهور المراكز التجارية الفينيقية الأولى. وقد اكتشفت بقايا هذا العصر في شمال البلاد وجنوبها؛ حيث تميزت بقايا الإنسان المكتشفة بالجنوب (في الهقار، والتاسيلي) باختلاطها بأصول سودانية[1]. وفي هذا العصر بالذات بدأت الصحراء تكشف عن وجهها الشاحب؛ بعد الجفاف الذي أخذ يحل بالبلاد تدريجيا. وعليه يمكن ـــ في هذه الحال ـــ للهجرات أن تحدث؛ هروبا من الجفاف؛ من الجنوب نحو الشمال، ومن الشرق نحو الغرب؛ سعيا وراء المناطق الخصبة أين يسهل العثور على الغذاء. أما الافتراض القائل بحدوث هجرات من الشمال إلى الجنوب؛ في تلك الحقبة التاريخية القديمة؛ فقد استبعده العلماء؛ نظرا للظروف الطبيعية القاسية؛ التي كانت تكتنف قارة أوروبا؛ بعصورها الجليدية. وعليه فقد رجحوا حدوث هجرات بشرية من شمال إفريقية؛ نحو أوروبا بعد نزوح الجليد عنها.

---

[1] للاستزادة بمعلومات أوسع في هذا الموضوع يستحسن الإطلاع على ما جاء في:
L'Homme Avant L'Ecriture, sous la direction de André Varagnac. et L'Homme par Gustav Schenk. et Initiation a la Prehistoire de L'ALGERIE.
وتاريخ إفريقيا الشمالية. لشارل أندري جوليان.

هـ ـ القول الفصل:

والسؤال الذي يبقى يبحث عن جواب مقنع هو: لأي جنس أو سلالة ينتمي سكان المغرب الحاليين..؟ بالطبع فالجواب الشافي لا يمكن انتظاره حاليا؛ لكن من السهل تكوين صورة تتميز بشيء من الوضوح في هذا المجال؛ لو أن الدارسين اختاروا الموضوعية، وابتعدوا عن الأحكام المتأثرة بالأهواء والميول الخاطئة. من هنا لا بد من الاعتراف بوجود سكان قدماء جدا في هذه الديار؛ ولكنهم امتزجوا بأجناس عديدة؛ أتت إلى البلاد في موجات بشرية مختلفة منذ حقب موغلة في القدم. وبهذا لا يمكن تكذيب ـ بشكل قطعي ـ الأقوال التي مفادها أن هجرات بشرية أتت من الشام أو من اليمن؛ لأن الحروب والجفاف والكوارث الطبيعية كانت ـ عبر الأحقاب التاريخية ـ أهم العوامل المتسببة في انتقال الموجات البشرية من منطقة إلى أخرى. وهذا ما كان يحدث في المعمورة كلها؛ ولا سبيل إلى نكرانه.. ومع هذا لا يمكن قبول الأساطير كما جاءت؛ دون تمعن فيها أو نقدها. مع أنها وإن لم تكن هي الحقيقة كلها؛ فقد تكون نصفها أو جزءا منها على الأقل..

لذا؛ فالقول الفصل هو أن سكان البلاد المغربية مشكلين من مزيج بشري؛ تكون — عبر قرون وقرون — من سلالات مختلفة، وأجناس متباينة؛ انتقل أسلافهم إلى هذه الديار ضمن موجات بشرية عديدة، وهجرات إنسانية كثيرة؛ في فترات تاريخية يتعذر حصرها بالكامل. وكثير من الدلائل العلمية تثبت أن سكان هذه البلاد لا يجمعهم جنس واحد. وقد جمع شارل أندريه جوليان الأعمال المخبرية التي قام بها علماء مثل: برتولون Bertholon وشانتر Chantre ولوبلان Leblanc. ثم خلص إلى القول: **((وهذا البحث في الأصناف الغالبة ما زال في بدايته؛ وسيكون ثمرة المستقبل؛ إذ أن مقارنة هذه الأصناف من حيث الشكل الظاهري هي وحدها التي ستسمح بإقامة تصنيف علمي. وفي الوقت الحاضر يكون من الصلف أن نقوم بعمل آخر غير تضمين النتائج الحاصلة التي تدل على تجزؤ بلاد البربر من حيث أجناسها. إلا أنه — ما إن يتيسر لنا معرفة البربري الذي يمكن تسميته بحق: المغربي — حتى يبدو صنفا اجتماعيا له خصائصه الواضحة. وبقدر حرصنا على طرافة البربري؛**

نتمكن من إبراز ضرب من الوحدة لتاريخ بلاد البربر))[1].

ونظرا لكون شبه الجزيرة العربية منطقة معروفة بتصدير الجماعات البشرية المهاجرة منذ قديم الزمان؛ فمن الجائز ـ إذن ـ حدوث بعض الهجرات؛ انطلاقا منها نحو مصر أولا، ثم ينتقل أصحابها بعد ذلك؛ كمرحلة تالية إلى بلاد المغرب؛ التي كانت تعرف ـ آنئذ ـ باسم **لوبيا** أو **ليبيا** La Libye. وكما هو معروف لدى المهتمين عما يمكن أن تحدثه الحروب من: خلخلة واضطراب يشجعان على النزوح، ويتسببان في تشريد الجماعات المهزومة؛ هربا من القتل والاضطهاد والعبودية. لذا فاحتمال هروب فئات من أنصار جالوت المقتول نحو مصر، ثم بلاد المغرب أمر وارد، ولا يستدعي الرفض والنكران.. وعليه فلا غرابة من حدوث تلك الهجرات؛ وإنما الغرابة تكمن في عرضها بتلك الصورة الأسطورية الساذجة؛ المعتمدة من قبل الإخباريين؛ الذين حصروا الهجرات في شخص واحد، أو بعض الأشخاص المحدودين.. وبذلك فلا حرج في الاعتراف باحتمال وجود فئات ـ

---

[1] تاريخ إفريقيا الشمالية، ج: 1، ص: 70.

ببلاد المغرب ـ تنسب نفسها إلى كنعان أو العمالقة أو الأقباط أو حمير أو مضر.. فمزاعمهم تستحق التقدير ما لم يثبت عكسها..

وجملة القول؛ ففيما اتضح من معطيات تاريخية صحيحة؛ ثبت أن سكان البلاد المغاربية الحاليين هم نتاج مزيج بشري تشكل من: إنسان مشتى العربي، والإنسان القفصي، وعناصر سودانية نزحت من الجنوب؛ وكلما مرت السنوات ازدادت هذه التركيبة البشرية مزجا وتعقيدا؛ بفضل استيعابها واحتوائها لفئات بشرية جديدة؛ قدمت مهاجرة من الشرق، والجنوب والشمال. ومع مرور الزمن تفاعلت تلك الموجات البشرية المهاجرة واندمجت مع غيرها من الجماعات المستقرة من قبل، أو الآتية بعدها؛ فأضحى جميعهم يمثلون مجتمعا واحدا؛ انصهر في بوتقة التاريخ الواحدة؛ التي شكلت عبقرية هذا الشعب المتميزة، والمطعمة بالتجارب الإنسانية المختلفة. فعرف هذا المجتمع ـ عندئذ ـ لدى بعضهم باسم **البربر**، وعند الآخرين باسم **الأمازيغ**. ومن هنا يمكن قبول الأقوال التي تنص على مجيء الجماعات العربية، واليهودية، والحامية من بلاد العرب.. ولكن لا يعني هذا أن جميع من في بلاد المغرب قدموا

ضمن تلك الهجرات.. وهكذا ليس هناك ما يدعو إلى الحرج أو الاستنكار؛ عندما يعتقد بعضهم أنهم ينتسبون إلى قحطان أو كنعان أو غيره.. فكل ذلك محتمل وجائز ما لم يثبت عكسه، أو يظهر ما ينفيه.. وهذه الظاهرة ـــ كما هو معلوم ـــ لا تختص بها بلاد المغرب فحسب؛ بل عرفتها جل شعوب المعمورة؛ في العالم القديم بقاراته: الآسيوية، والأوروبية، والإفريقية. ومن خلال ما سبق؛ يبدو أن البحث عن حقيقة شعب الأمازيغ لا يكفي القيام بها في بلاد المغرب فحسب؛ بل يستحسن الشروع في أبحاث معمقة في بلاد المشرق؛ كـ: مصر وإثيوبيا واليمن ووسط الجزيرة العربية ومنطقة الهلال الخصيب. فالحقيقة كما يظهر مدفونة في تلك المناطق..

2)ــ لغة الأمازيغ وآدابهم:

لا سبيل إلى نكران أنه كانت للأمازيغ لغة يكتبونها بأبجدية **تيفيناغ**، أو **تفنغ**؛ التي انحدرت عن أبجدية لوبية قديمة؛ وهي ما زالت مستعملة ــ في هذه الأيام ــ ضمن الأوساط **التارقية**؛ وتتميز بكونها لغة صامتة consonnantique؛ وكانت في البداية تكتب منفصلة في الاتجاهات كلها: من اليمين إلى الشمال، ومن الشمال إلى اليمين؛ ثم من الأعلى إلى الأسفل، ومن الأسفل إلى الأعلى. وحروفها ليست كاملة حتى الآن.. وكانت هذه الكتابة (المعروفة بالليبية أو اللوبية) منتشرة في كامل بلاد المغرب القديم. بل تعتبر من أقدم الكتابات في لغات القارة الإفريقية؛ إلى جانب الكتابة الإثيوبية المعروفة بالمَرَوِيَّة[1]. كما أنها مصنفة ضمن أقدم لغات العالَم. وقد اختلف المختصون في أصولها الأولى: فمن قائل أنها تنتمي إلى العائلة السامية، إلي قائل بانتمائها إلى العائلة اللغوية الحامية؛ بينما اشتط آخرون في حكمهم بكونها يافثية الأصل..

والحقيقة التي أجمع عليها الثقاة والمحققون هي أنها حامية الأصول، ومتأثرة بالسامية تأثيرا

---

[1] عروبة البربر، الوثيقة رقم: 42، ص: 28. ثم ص ص: 158 ــ 160.

كبيرا..(هذا – بالطبع – إذا صحت هذه التقسيمات التوراتية التقليدية للتراث الإنساني على أنه لا يخرج من حدود ثلاث أسر: سامية وحامية ويافثية) وما يعزز هذا الرأي هو قربها الشديد من اللغة المصرية القديمة. كما أن أبجديتها تلتقي في كثير من الأحيان مع الأبجدية العربية القديمة المعروفة بالمسند؛ بفروعها: الثمودية، واللحيانية، والصفائية[1]. وتعتبر الفينيقية أهم اللغات المؤثرة في اللغة الأمازيغية؛ وهذا ما يمكن استشفافه من أبجدية **تيفيناغ** أو **تفنغ**؛ فاسمها يدل على هذا.. ويبدو أن هذه الأبجدية كانت تجد عناية من طرف أبنائها، أو من قبل فئة منهم في العهد الفينيقي؛ وهذا ما يفسره وجودها بين قبائل التوارق. ومع هذا لم يتم العثور على مؤلفات كتبت بهذه الأبجدية؛ ما عدى بعض مشاهد القبور.. وفي العهد الفينيقي أضحت كتابة **تفنغ** تكتب من اليمين إلى الشمال؛ مثلها مثل الخط الفينيقي. ومن جهة أخرى يعتقد بعضهم أن شيئا من الشبه يجمع بين الأمازيغية (الليبية) وما

---

[1] للمزيد من المعلومات حول تقارب الأبجديتين أرجع إلى كتاب عروبة البربر لمحمد علي مادون؛ فهو يحتوي على مادة غزيرة ومستوفية الشروط؛ يمكنها تعزيز هذا الرأي.

اكتشف من كتابة في جنوب أسبانيا L' Ibérique؛ بالإضافة إلى التشابه بينها وبين خط الاتروسك L'Erusgue وخطوط يونانية فرعية أخرى.. وربما حدث هذا نتيجة الاحتكاكات التي حدثت عبر فترات تاريخية مختلفة. ولكن الراجح فيما ذكر هو الارتباط القوي بين اللغة الأمازيغية واللغات الحامية بالدرجة الأولى، ثم اللغات السامية في درجة ثانية Chamito-Sémitique[2]..

أ ـــ البديل الأجنبي:

أما في العهد الروماني؛ فما يهم هو أن بعض الأمازيغ كتبوا مجلدات عديدة؛ مثل: **أبوليوس** الماضوري (آبولي) Apulée؛ ذلك الأديب والخطيب ابن بلدة (مداوروش)؛ الذي تربع ـــ في وقته ـــ على عرش الآداب والفلسفة؛ وكتب مجموعة من المؤلفات؛ في شتى العلوم، والفنون؛ ولكنها باللغة اللاتينية؛ منها: مجموعة أشعار ضمها كتاب الأزاهير، وقصة الحمار الذهبي التي شاع ذكرها؛ وكان يقول: **((أعترف بأني أوثر من بين الآلات شق القصب البسيط؛ أنظم به القصائد في جميع الأغراض الملائمة**

---

[2] Les Berbères, (Que sais-je ?) p p: 21 - 22.، وقبائل المغرب، ج: 1، ص: 288.

لروح الملحمة أو فيض الوجدان؛ لمرح الملهاة، أو جلال المأساة. وكذلك لا أقصر؛ لا في الهجاء، ولا في الأحاجي؛ ولا أعجز عن مختلف الروايات، والخطب يثني عليها البلغاء؛ والحوارات يتذوقها الفلاسفة؛ ثم ماذا بعد هذا كله؟ إني أنشئ في كل شيء؛ سواء باليونانية، أم باللاتينية؛ بنفس الأمل، ونفس الحماس، ونفس الأسلوب))[1]. ثم يوبا الثاني Juba 2؛ الملك الأمازيغي الذي اغترب وذاب في اللاتينية والإغريقية؛ فكتب مجموعة من الكتب في ميادين كثيرة؛ منها: التاريخية، والجغرافية، واللغوية، والطبيعية، والشعر، والفنون كـ: الموسيقى والتمثيل، والرسم؛ ولكنها ضاعت بكاملها. وربما يكون أحد كتبه المعنون بـ ليبيكا Libyca Les ــ في أجزائه الثلاثة ــ مفيدا في الجوانب التي تخص المجتمع الأمازيغي بعاداته، ولغته وتقاليده؛ ولكنه ــ مع الأسف ــ يبقى بين ما فقد من مؤلفاته[2]. كما أنه كتب كتابا آخر يبحث في تاريخ وجغرافية الجزيرة العربية؛ سماه: آرابيكا Les Arabica؛ واعتناؤه ببلاد العرب يبعث

---

[1] **تاريخ إفريقية الشمالية، ج: 1، ص: 252.**

[2] **نفسه، ص ص: 172 ــ 173.**

على التساؤل.. ثم القديس **أوغسطينوس** (أوغسطين) Saint Augustin (ابن تاجستة أو سوق أهراس) الذي تجاوز صيته حدود بلاد المغرب؛ بل اعتبر من أبرز فلاسفة عصره.. كتب هو الآخر مؤلفاته باللاتينية؛ ومن كتبه: الاعترافات، ومدينة الله؛ وهو الذي قال: ((**إن الدولة الرومانية التي تعرف كيف تحكم الشعوب؛ لم تفرض على المغلوبة منها سيطرتها السياسية فحسب؛ بل لغتها أيضا**))[3]. هذا وكانت مدن إفريقية ونوميديا الرومانية تزخر نشاطا وحيوية بحلقات التعليم والخطابة والمحاورات؛ كل ذلك باللغة اللاتينية التي كان الأمازيغ الأثرياء يتعلمونها في مدارس الرومان الخاصة. أما سكان الأرياف فقد ظلوا يجهلون تلك اللغة؛ ويتعاملون فيما بينهم باللغة الأمازيغية غير المكتوبة..

وبالإضافة إلى الذين ذكرناهم من علماء الأمازيغ؛ ثمة ــ أيضا ــ أدباء ومحامون آخرون؛ كانوا يكتبون ويعبرون باللاتينية كذلك؛ منهم: القانوني الشهير **سالفيوس جوليانوس** Salvius Sulianus؛ والشاعر **منيلوس**، والخطيب الفيلسوف

---

[3] تاريخ إفريقية الشمالية، ج: 1، ص: 248.

الرواقي **كرنيتوس**، والخطيب **سبتيموس سواريوس** الذي أصبح حفيده إمبراطورا على روما نفسها، ثم الشاعر والخطيب والمؤرخ **فلوروس**، ثم **فرونتيوس** وهو من مدينة سيرتا؛ وكان أستاذا لأبناء الإمبراطور، وخطيبا، ثم أصبح قنصلا[1]. غير أن شارل أندريه جوليان يبدي بملاحظة خاصة إذ يقول: **((إن هذا التكوين تبدو آثاره في المؤلفين الأفارقة: المسيحيين منهم، والمشركين. ففي قرطاج تعلموا كيف يستسيغون الأفلاطونية الحديثة، والتصوف الفلسفي، وتأملات مدرسة الإسكندرية؛ وفيها تحمسوا لسلسطيوس، وفيها كذلك هذبوا ميلهم الطبيعي إلى الخطابة العنيفة اللاذعة المتحدية. إنهم لم يكونوا بارعين في الكتابة بقدر ما كانوا بارعين في الجدال المرتجل. ولقد نشأ عن طبعهم الذي كان يحملهم إلى الاهتمام بمادة فكرية غير متنوعة ضرب طريف من التفكير والتعبير يزخران حيوية))**[2].

إذن فحتى أندريه جوليان يميل إلى الاعتقاد بأن الأمازيغي يبدع في ميادين الخطابة والارتجال؛

---

[1] تاريخ إفريقية الشمالية، ج: 1، ص: 250.

[2] نفسه، ص: 250.

أكثر منه في الأعمال الكتابية.. وما يمكن إضافته ــ هنا ــ إنه إذا لم يكن ما قاله جوليان صحيحا؛ فعلى الأقل فهم يتحملون ــ عبر التاريخ ــ مسئوليتهم في عدم العناية بلغتهم، والتراخي في العمل على تطوير أبجديتها الخاصة (التيفيناغ). وهكذا يصبح أصحاب هذه اللغة هم الذين تسببوا في ضياعها وتخلفها؛ وليس الدول التي حكمتهم..

ب ــ كتابة سكونية:

هذا عن العهود القديمة جدا؛ أما في العهد الإسلامي فقد كان أكثر وضوحا؛ نظرا لما سمحت به الحفريات الضئيلة؛ التي مكنت من رسم تلك الصورة الباهتة في موضوع اللغة الأمازيغية وأبجديتها قديما، وما قدمته المؤلفات باللغة الأمازيغية. وإذا ما راجع الباحثون ــ موضوع اللغة المستعملة ضمن الكتل الضخمة من القبائل الأمازيغية؛ ومن خلال ما تقدمه المصادر المتوفرة ــ يجد أن بعض المختصين قد حصروا اللهجات الأمازيغية الكبرى ضمن مجموعات ثلاث؛ تعتبر بمثابة لهجات أساسية؛ يتفرع عنها عدد كبير من اللهجات المحرفة والمعدلة؛ حسب المناطق الجغرافية.. وهذه

اللهجات الرئيسية هي: اللهجات الزناتية، واللهجات المصمودية، واللهجات الصنهاجية[1]. وتنتشر اللهجات الزناتية بشكل واسع في المغربين: الأوسط والأدنى؛ (ويشتملان الآن على: الجزائر وتونس وليبيا)؛ كما توجد بشكل أضعف في المغرب الأقصى. أما اللهجات المصمودية فتتمركز تقريبا في المغرب الأقصى؛ وهي التي كان يسميها أبو بكر بن علي الصنهاجي (البيذق) **باللسان الغربي**؛ ربما كان قوله هذا إشارة منه إلى اختلاف هذا اللسان عن لهجته الصنهاجية[2].. أما اللهجات الصنهاجية فهي منتشرة ـ هنا وهناك ـ في مناطق محددة من المغربين: الأوسط والأقصى، وفي المناطق الجنوبية التي تتاخم حدودهما الصحراوية..

وقد اكتفى ابن خلدون بالإشارة في اقتضاب إلى اللهجات الزناتية؛ التي قال أنها تختلف عن بقية اللهجات الأمازيغية. وفي هذا السياق يقول في تمييزه لزناتة: ((**وشعارهم بين البربر اللغة التي يتراطنون بها؛ وهي مشتهرة بنوعها عن سائر رطانة البربر**))[3]. ثم يدخل في

---

[1] Les Berbères, (Que sais-je ?) p p: 19- 21.

[2] أخبار المهدي بن تومرت، ص: 112.

[3] العبر، مج: 7، ص: 3.

بعض الجزئيات؛ حين يتطرق لمعنى كلمة زناتة؛ فيقول: **((فاعلم أن أصل هذه اللفظة؛ التي هي زناتة؛ من صيغة جانا؛ التي هي اسم أبي الجيل كله... وهم إذا أرادوا الجنس في التعميم ألحقوا بالاسم بالمفرد تاء؛ فقالوا: جانات. وإذا أرادوا التعميم زادوا مع التاء نونا فصار جاناتن. ونطقهم بهذه الجيم؛ ليس من مخرج الجيم عند العرب؛ بل ينطقون بها بين الجيم، والشين، وأميل إلى السين. ويقرب للسمع منها بعض الصفير؛ فأبدلوها زايا محضة؛ لاتصال مخرج الزاي بالسين؛ فصارت زانات؛ لفظا مفردا؛ دالا على الجنس. ثم ألحقوا به هاء النسبة، وحذفوا الألف التي بعد الزاي؛ تخفيفا لكثرة دورانه على اللسان))**[1].

ومع أن ابن خلدون لم يتطرق إلى موضوع الخط الأمازيغي القديم؛ فإن سلفه الرقيق القيرواني افترض وجوب وجود خط لهذه اللغة؛ وإن كان ــ في حقيقة الأمر لم يعرف عنه شيئا ــ ولكنه رأى أنه من غير المعقول ألا تكون لهذه اللغة حروف كانت تكتب بها في

---

[1] العبر، مج: 7، ص ص: 13 ــ 14.

القديم[2]. وقد خصص الحسن الوزان (ليون الأفريقي) في كتابه وصف إفريقيا بعض الفقرات أشار فيها إلى كتابة الأفارقة [أي الأمازيغ] ولغتهم بلهجاتها.

فبخصوص اللغة يقول: ((**إن هذه الشعوب الخمسة** [قسم الأمازيغ إلى خمسة أقسام] **المنقسمة إلى مئات السلالات وآلاف المساكن** [الأسر] **تستعمل لغة واحدة تطلق عليها اسم ((أوال أمزيغ)) أي الكلام النبيل؛ بينما يسميها العرب البربرية. وهي اللغة الإفريقية الأصلية الممتازة والمختلفة عن غيرها من اللغات. ولما كانت مشتملة على عدد من المفردات العربية استدل البعض بذلك على أن الأفارقة ينتمون إلى السبئيين؛ وهم سكان اليمن كما أسلفنا. ولكن أنصار الرأي المخالف يؤكدون أن هذه المفردات إنما أدخلها العرب عندما جاؤوا إلى إفريقية وفتحوها. وكانت هذه الشعوب في حالة من البداوة والجهالة بحيث لم تترك أي كتاب يؤيد إحدى النظريتين؛ على أن هناك**

---

[2] **وصف إفريقيا، ج: 1، ص: 71.**

اختلافا في اللهجات؛ لا في النطق فحسب؛ ولكن أيضا في معنى كثير من الألفاظ))[3].

وهذا القول يفيد أن المؤرخين — في تلك العصور — لم يطلعوا على الكتابة التي كانت نساء التوارق تكتب بها.. والسر على ما يبدو يكمن هنا؛ إذ كان الرجال التوارق لا يهتمون كثيرا بتعلم خط التيفيناغ؛ بينما اعتنت به المرأة وحافظت عليه ضد الضياع طوال قرون كثيرة.. وما ذكره الحسن الوزان بخصوص الحالة المزرية التي كان عليها الأمازيغ؛ تلك الحالة التي منعتهم من تقديم أدلة مكتوبة عن أصولهم أو أصول لغتهم لا يمكن تعميمه بهذا الشكل؛ لأن الحقيقة التاريخية تنص على وجود عدد من الأمازيغ كانوا — قبل الفتح الإسلامي — في مستوى علمي يؤهلهم لإعطاء رأي مكتوب في ذلك؛ ولكنهم لم يفعلوا..!! أو ربما تكون أعمالهم تعرضت للضياع أو التلف.. وفي العهد الروماني أيضا كان كثير من الأمازيغ مولعين بالتأليف والمحاورات الفكرية؛ وإذا لم يصل إلينا حتى الآن ما يفيد أنهم كتبوا عن أوضاعهم وأوضاع

---

[3] وصف إفريقيا، ج: 1، ص: 39.

شعبهم فلا يعني ذلك أنهم لم يكتبوا تماما؛ خاصة إذا علمنا أن كثيرا من إنتاجهم يكون قد ضاع..

ومع هذا فما ذكرناه ــ من قبل ــ لا يجعل الأمازيغ بكاملهم ــ كما قال الوزان ــ تغلبت عليهم البداوة، واستحكم فيهم الجهل؛ فلم يكتبوا كتبا يشرحوا فيها حالهم وأصولهم.. فأما تعميم الجهالة عليهم؛ فغير صحيح، وأما كتابة الكتب فقد كتبوا عشرات المجلدات في العهد الروماني؛ وربما في العهد الفينيقي. ولكن ما عثر عليه حتى الآن ــ حقيقة ــ لا يفي بالحاجة المطلوبة.. كما تميز الأمازيغ في العهد الإسلامي بالثراء الفكري، وغزارة الإنتاج العلمي المكتوب في ميادين عديدة كـ: العلوم الدينية، والفلسفة واللغة والآداب، والتاريخ والجغرافية، والرياضيات، والفلك؛ وغيره من العلوم الدينية والدنيوية. ولم يصلوا ــ في أي عصر كان ــ إلى ما وصلوا إليه في العصر الإسلامي؛ من رقي وسمو في العطاء الأدبي والفلسفي والفني، وفي العلوم كافة؛ بحيث ملئوا الأندلس بإبداعاتهم، وأضاءوا المشرق بآدابهم، وفنونهم، ومبتكراتهم.. وسيأتي الكلام عن هذا بالتفصيل لاحقا..

أما رأي الحسن الوزان بخصوص الأبجدية المستعملة في كتابة اللغة الأمازيغية؛ فهو يقول أن المؤرخين العرب كانوا يعتقدون بعدم وجود كتابة خاصة بالأمازيغية؛ وهم يرون أنها كانت تكتب بالحروف الفينيقية واللاتينية؛ لأن العرب عندما فتحوا إفريقية لم يجدوا سوى اللاتينية. ثم يقول: ((**هم** [أي العرب] **يعترفون بأن للأفارقة لغتهم الخاصة؛ ولكنهم يلاحظون أنهم يستعملون عادة في كتابتها الحروف اللاتينية... وفي الوقت الذي كان حكم إفريقية بيد المبتدعة** [يقصد الفاطميين] **الفارين من خلفاء بغداد؛ أمروا بإحراق جميع كتب الأفارقة المتعلقة بالتاريخ والعلوم... ويذهب فريق آخر من مؤرخينا إلى أنه كانت للأفارقة لغة مكتوبة خاصة بهم؛ لكنهم افتقدوا هذه الكتابة؛ من جراء احتلال الرومان لبلاد البربر... ذلك أن بلاد البربر كلها؛ سواء منها مدن الساحل أو مدن الداخل ــ أعني المدن المشيدة قديما ــ لا تحتوي على أية كتابة في الأضرحة أو في جدران أي بناء إلا وهي بالحروف اللاتينية دون استثناء. ولا أظن أن الأفارقة استعملوا هذه الحروف، واتخذوها**

لكتابة لغتهم الخاصة؛ إذ لا شك أن الرومان لما انتزعوا هذه الأماكن من أيدي أعدائهم؛ محوا ــ حسب عادة المنتصرين ــ جميع النقوش الحاملة لآثار المغلوبين بخطهم الأصلي قصد إذلالهم؛ وجعلوا عوضها كتابتهم الرومانية))[1].

جـ ــ التسامح المطلق:

أما موقف الفاتحين العرب فكان متسامحا في هذا الجانب؛ ولم تكن اللغة الأمازيغية في العصور التي سبقت العهد العثماني مضطهدة، أو مكبوحة؛ لأن الحكومات والدول التي تعاقبت في حكم ديار المغرب كلها؛ كانت جميعها أمازيغية الأصل.. فمنذ سقوط الدولة الأغلبية لم تقم في بلاد المغرب سوى دول من قبائل أمازيغية؛ وحتى قبل سقوط الأغالبة؛ فقد كانت في بلاد المغرب دول أمازيغية قائمة مثل: الدولة الرستمية بتيهارت، والدولة المدرارية بسجلماسة؛ وحتى الدولتين: الإدريسية بفاس، والفاطمية بإفريقية؛ فقد كانتا ــ في حقيقتهما ــ أمازيغية التكوين والمنبت.. وفي هذه الدول كانت الأمازيغية مستعملة في حدود قدراتها

[1] وصف إفريقيا، ج:، 1، ص ص: 69 ــ 70.

التعبيرية.. وخلال وجود الدولة الرستمية سجلت بها بعض الكتب الدينية؛ أضف إلى ذلك ما أنجزه ابن تومرت من رسائل في الدين؛ منها: ((التوحيد)) و ((المرشدة)) و((العقيدة))؛ إذ كان ابن تومرت يعمل على تسهيل وصول توجيهاته الدينية إلى عامة السكان؛ لذا فقد حرص على كتابة بعض كتبه الدينية باللغة الأمازيغية؛ التي كتبت بالحروف العربية. ولكنه تجنب ترجمة أصول الدين الإسلامي إلى الأمازيغية (القرآن والحديث).

ولم يحدث ــ في يوم ما قبل الغزو الفرنسي ــ أن قمعت الأمازيغية أو حصل اعترض عليها من طرف أي كان من الناس؛ وإنما كان قصورها، ومحدوديتها التعبيرية هي أساس مشكلتها، والسبب في اجتناب العمل بها في الميادين العلمية والإدارية.. وفي العصر الحديث عرفت اللغة الأمازيغية أيضا اهتماما كبيرا من طرف الدارسين الفرنسيين مثل: رينيه باسيت René Basset وستيفان قزيل Gsell (Steph.) وغوتييه Emile-Félix Gautier وويليم مارسي William Marçais؛ وآخرون.. وكانت دوافعهم في هذه الأبحاث مختلفة: منها ما هو في سبيل العلم والمعرفة، ومنها ما كان لأغراض مشبوهة.؛ تخدم

استعمارهم.. ومع هذا فلم تخرج أبحاثهم عن التعرف على هذه اللغة كعينة أنثروبولوجية؛ لذا فقد بقيت اللغة الأمازيغية محصورة ضمن مناطق معينة، ولم تحض بعناية جادة لترقيتها، ولا لتدريسها في المدارس أيام الاحتلال؛ مثلها في ذلك مثل اللغة العربية. ولما استقلت الجزائر أصبح الأمر مختلفا بالنسبة للفرنسيين؛ حيث سارعوا إلى تشجيع بعض الموجات المشبوهة؛ مما سمح لبعض المندسين والمغرضين من انتهاز الفرصة المواتية لهم؛ لكي يملئوا ذلك الميدان المهمل؛ بغرض ضرب استقرار البلاد؛ منطلقين من خلف البحار طبعا؛ موهمين الناس بأن ثمة مشكلة لغوية بالجزائر.. والغريب أنهم يصرون على معادات اللغة العربية؛ وتحميلها ما لحق باللغة الأمازيغية من تخلف؛ في الوقت الذي تقف فيه العربية في خندق دفاعي واحد مع الأمازيغية ضد هيمنة الفرنسية.. وبالمقابل يمجد هؤلاء المغرر بهم اللغة الفرنسية؛ ويدافعون عنها دفاعا مستميتا؛ يفوق دفاعهم عن الأمازيغية نفسها.. أو حتى دفاع الفرنسيين عن لغتهم.. وعليه يستبعد أن يخدم هذا السلوك مصلحة الجزائر..

3)ـ الفـــن الأمازيـــغي:

يمكـــن حصـــر أقـــدم النمـــاذج الفنيـــة للإنســـان المغـــربي القديـــم فيمـــا كـــان ينجـــزه مـــن نقـــوش ورسومـــات عـــلى الصخـــور، وفي بعـــض الأدوات الضروريـــة الـــتي يصنعهـــا كـــ: الحـــلي والأواني. وقـــد يكـــون ذلـــك الإنســـان ينجـــز نقوشـــه ورسوماتـــه بغـــرض مصلـــحي؛ وليـــس لغـــرض المتعـــة، أو لدوافـــع فنيـــة بحتـــة. كمـــا أن اكتشـــاف مجموعـــة مـــن المقابـــر؛ ذات الشكـــل الهـــرمي، والمخـــروطي يفـــضي إلى تشكيـــل تصـــور متقـــدم؛ لمـــا وصـــل إليـــه ذلـــك الإنســـان القديـــم مـــن تطـــور في فـــن العمـــران. هـــذا بالإضافـــة إلى نشاطـــات فنيـــة أخـــرى كالموسيـــقى والغنـــاء والرقـــص والتمثيـــل..

أ ـــ لغـــة النقـــوش والرســـوم:

تعتبـــر النقـــوش المنحوتـــة عـــلى الصخـــور في بـــلاد المغـــرب بمثابـــة السجـــل المفتـــوح؛ يسمـــح للمهتميـــن بقـــراءة تاريـــخ هـــذه البـــلاد ـــ منـــذ حقـــب زمنيـــة قديمـــة جـــدا ـــ لـــم يكـــن الإنســـان فيهـــا قـــد توصـــل إلى اكتشـــاف الكتابـــة بعـــد.. لـــذا فقـــد حـــاول الإنســـان المغـــربي أن يسجـــل تاريخـــه ومعتقداتـــه بوسيلـــة تعبيريـــة مبتكـــرة؛ وتتمثـــل في لغـــة الخطـــوط الهندسيـــة، وألـــوان الطبيعـــة المحيطـــة بـــه؛

فتفنن وأبدع أيما إبداع.. وظل ذلك السجل الثري بالمعلومات المتنوعة، والفنون الرائعة مطويا ومهملا؛ حتى سخر الله له أفواجا من العلماء والباحثين الأوروبيين؛ فنفضوا عنه غبار الزمن المتراكم عبر العصور الطويلة.. إذ انطلقت حملات البحث عن النقوش المنحوتة على الصخور ببلاد المغرب في الربع الأخير من القرن التاسع عشر؛ بمبادرة من جورج بارتليمي فلامون J. B. Flamand؛ الذي واصل أبحاثه طيلة أربعين سنة؛ عبر مناطق عديدة من شمال إفريقيا. ويبدو أن إنجازات هذا الجيولوجي العلمية اختلطت بالأعمال العسكرية الاستعمارية؛ إذ شارك في احتلال عين صالح ضمن الحملة الفرنسية عليها سنة 1899م.. وقد صدر كتابه ((الحجارة المكتوبة)) Les pierres écrites؛ بعد عامين من وفاته؛ أي في سنة 1921م؛ ومنذ هذا التاريخ أخذت أعداد الباحثين تتضاعف؛ جريا وراء ما تقوله النقوش، وما تخفيه من أسرار ضمن سطورها وأشكالها.. وقد تضاعفت قائمة الباحثين الأوروبيين في هذا الميدان؛ بحيث لا يتسع المجال لشرح إنجازاتهم كلها. فمن أولئك الباحثين من اعتنى بما في الصحراء، وتخومها الشمالية مثل: إيميل فليكس غوتييه E. F. Gautier،

وهـــ. بـــروي H. Breuil، وم. ريغـــاس M. Reygasse ، وت. مونـــورد. Th. Monod. ثـــم الذيـــن ركـــزوا أعمالهـــم عـــلى ليبيـــا مثـــل: ب. قرازيـــوزي، P. Graziosi، ول. فروبنيـــوس L. Frobenius. ثـــم مـــن المهتميـــن بالمناطـــق المعروفـــة ببـــلاد البربـــر الشرقيـــة وتونـــس: م. سولينيـــاك M. Solignac، وآرمبـــورغ Arambourg، والدكتـــور غوبيـــر Dr. Gobert. أمـــا النـــواحي الوهرانيـــة، وشمالهـــا وجنوبهـــا فـــ: ر. فوفـــري R. Vaufrey، وبـــالاري Pallary[1]. وأخيـــرا هنـــري لـــوت Henri Lhote في أعمالـــه القيمـــة بـــ: التاسيـــلي والهقـــار والجنـــوب الوهـــراني[2].

وقـــد لوحـــظ تقـــارب شديـــد بيـــن مـــا عثـــر عليـــه في المناطـــق الصحراويـــة المختلفـــة ومـــا تـــم اكتشافـــه في المناطـــق الجنوبيـــة مـــن وهـــران.. الأمـــر الـــذي يـــدل عـــلى سيـــادة حضـــارة واحـــدة في تلـــك الربـــوع كلهـــا؛ وأغلـــب الباحثيـــن يعـــودون بأقـــدم النقـــوش المنحوتـــة عـــلى الصخـــور ــ في بـــلاد المغـــرب كلهـــا ــ إلى الحضـــارة الـــتي ميـــزت العصـــر الحجـــري المتأخـــر Epipaléothique، والعصـــر الحجـــري الحديـــث Néolithique. وثمـــة مـــن صنـــف وحـــدد النقـــوش

---

[1] تاريـــخ إفريقيـــا الشماليـــة، ج: 1، ص: 58. مدنيـــة المغـــرب العـــربي في التاريـــخ، ص ص: 38 ــــ 41.

[2] أنظـــر كتابيـــه: **A La découverte des fresques du Tassili, et Vers D'Autres Tassilis.**

المنتشـــرة في هضبـــة التاسيـــلي ــ زمنيـــا بشكـــل نســـبي ــ حســـب النشاطـــات المعيشيـــة الـــتي كـــان يحياهـــا أولئـــك السكـــان القدمـــاء؛ مثـــل[1]:

ــ **عصـــر الصياديـــن** الـــذي ســـاد مـــن 5000 ق.م. إلى 3500 ق.م.

ــ **وعصـــر الرعـــاة** الـــذي ســـاد مـــن 3500 ق.م. إلى 1000 ق.م.

ــ **وعصـــر الحصـــان** الـــذي ســـاد في الألـــف الأخيـــرة قبـــل الميـــلاد.

ــ **وعصـــر الجمـــال** الـــذي ظهـــرت بـــوادره خـــلال المائـــة سنـــة الـــتي سبقـــت التاريـــخ الميـــلادي؛ وبالتحديـــد في سنـــة 46 ق.م. خـــلال معركـــة تابســـوس (رأس الديمـــاس)؛ الـــتي دارت بيـــن يوليـــوس (قيصـــر رومـــا) والملـــك الأمازيـــغي يوبـــا الأول؛ الـــذي تحالـــف مـــع خصـــم سيـــزار اللـــدود بومـــبي (بمبايـــوس). عـــلى أن باحثيـــن آخريـــن صنفـــوا تلـــك الفتـــرات الزمنيـــة إلى أقســـام أخـــرى؛ منهـــا مـــا وصـــل إلى خمســـة أصنـــاف؛ ودلالتهـــم عـــلى ذلـــك مـــا كـــان يغلـــب عـــلى الصـــور والنقـــوش مـــن حيوانـــات..

---

[1] الصحـــراء الكبـــرى، ص ص: **41 ــــ 65**.

ـ عصر الصيادين:

يسميه باحثون آخرون: فترة الرؤوس المستديرة؛ لأن صور رؤوس الإنسان فيها تظهر في شكل مستدير. وعصر الصيادين هذا تميزه رسوم ونقوش حيوانات مثل: الفيل، والزرافة، ووحيد القرن، والنعامة، والوعل، وجاموس النهر، والتمساح، والسمك؛ والأروية خاصة. ومما يميز هذه الفترة ويمنحها وضوحا أكثر؛ أن الحيوانات المذكورة كانت ترسم منفردة؛ وليست في شكل قطعان. كما كانت تلك الحيوانات في الغالب ترسم بحجمها الطبيعي. وأسلوب التصوير يميل إلى الطبعية. وفي حال النحت تكون الخطوط عميقة وتأخذ الشكل اللاتيني (V)؛ مع ميل إلى الدكنة والقتامة. وقد تخيل بعضهم التقنية التي كان يتبعها ذلك الفنان القديم في إنجاز نقوشه؛ وذلك أنه كان يبدأ برسم الموضوع المراد نقشه؛ أولا بواسطة مادة تظهر ما يريد رسمه؛ ثم يشرع في حفر نقاط متتالية فوق الخطوط المرسومة؛ بواسطة منقاش من عظام الحيوانات، أو من الصوان المدبب؛ وبعد ذلك يكمل عمله بوصل النقاط، حتى تصبح خطا متصل؛ ثم يجتهد في صقل تلك الخطوط وتعميقها بأداة حجرية صلبة

وحادة.. ومما يلفت النظر ــ في هذه الفترة ــ أن صور الإنسان كانت قليلة جدا؛ وما اكتشف منها حتى الآن تظهر ذلك الإنسان مُلَثَّماً بقناع من جلد الحيوانات؛ بينما تكون أسلحتهم عبارة عن هراوات، وعصي معقوفة. كما يبدو الكلب كرفيق دائم لأولئك الصيادين؛ وعليه فقد يكون هو الحيوان الأليف الوحيد الذي تظهره تلك الفترة.

ــ عصر الرعاة:

أما عصر الرعاة فيسميه آخرون: فترة الجاموس؛ بسبب انتشار صورها بشكل واسع. وعصر الرعاة هذا تضحى فيه الصور أصغر حجما؛ وتبرز النزعة الإطلاقية المظهرية. وهنا تغدو الرسوم متضمنة لعينات جماعية أكثر فساحة؛ وبذلك يتضح التطور الذي ساد؛ بتجاوز الصور الفردية. وفي هذه الفترة ظهرت الخطوط في شكل (U) اللاتينية؛ بعمق أقل حدة وأضعف سوادا. ومن الحيوانات المرسومة في هذه الفترة: وحيد القرن، والنعامة، والغنم البري، والغزال، والخنزير البري، والأسد، وحمار الوحش، وبقر الوحش، والسمك. وهنا بدأت صور جاموس النهر تميل نحو الاختفاء؛ بينما

تصبح صورة الثور هي الصورة السائدة والمنتشرة بين رسوم هذا العصر؛ حيث تظهر في شكل قطعان كاملة؛ وإلى جانبها الأغنام والمعز؛ في رعاية الرعاة وحراسة الكلاب. ورسمت جلود تلك الثيران وحوافرها وأذناها بدقة متناهية تبعث على الإعجاب. ومن جهة أخرى تظهر الرسوم تلك الثيران بقرون منوعة؛ منها: المعقوفة نحو الأمام، أو الأسفل؛ بحيث تشبه أنياب الفيل؛ كما تتميز تلك الثيران بالنحافة؛ الأمر الذي يبعث على الاعتقاد بأنها كانت تستعمل لحمل المتاع والأشخاص؛ لما كان عليه رعاها من ميل إلى الرحلة وانتجاع الكلأ. وكانت أثداء البقر ممتدة إلى الخلف؛ مما يفيد أنها كانت تحلب من خلفها؛ وليس من الجوانب. أما الرعاة فكانت صورهم تظهرهم عراة؛ وأحيانا يكونون مستورين بمآزر؛ وكانوا يظهرون في الرسوم منشغلين بحيواناهم، أو منهمكين في الأعمال البيتية، أو منهمكين في أداء بعض الطقوس أو منشغلين بالاحتفالات، أو بعض الأعمال الزراعية. أما أسلحتهم فقد أصبحت هي السهام والأقواس. كما تظهرهم بعض الرسوم وهم في وضع القتال؛ وقد اكتشف هنري لوت صورا لبعض المحاربات من النساء؛

كـــن فيهـــا يظهـــرن بشـــدي واحـــد؛ ولا يعـــرف إن كـــان ذلـــك سببـــه اختـــلاط الأمـــر عـــلى الرســـام؛ بحيـــث لـــم يتمكـــن مـــن التمييـــز بيـــن الصـــورة الجانبيـــة والصـــورة الكاملـــة؛ أو أنـــه كـــان صادقـــا في تصويـــره لنســـاء تعمـــدن بتـــر أحـــد ثـــدييهـــن؛ بهـــدف إزالـــة العائـــق الـــذي يمنعهـــن عـــن استعمـــال القـــوس بشكـــل جيـــد عنـــد اللـــزوم. وثمـــة مـــن يقســـم هـــذا العصـــر إلى فتـــرة مستقلـــة تـــأتي قبـــل عصـــر الحصـــان وتســـمى عصـــر الماعـــز والغنـــم؛ لأنهمـــا أخـــذا يظهـــران في منتصـــف هـــذا عصـــر الرعـــاة.

ـ عصـــر الحصـــان:

أمـــا العصـــر الـــذي نســـب إلى الحصـــان؛ فســـمي بذلـــك نتيجـــة لكثـــرة صـــور هـــذا الحيـــوان في الرســـوم المنحوتـــة عـــلى الصخـــور في تلـــك الفتـــرة الزمنيـــة. وسمـــاه بعـــض الباحثيـــن أيضـــا عصـــر الدبابـــة (العربـــة). وبالإضافـــة إلى الحصـــان تشتمـــل رســـوم ذلـــك العصـــر عـــلى صـــور: الماعـــز، والغـــزلان، والنعـــام، والزرافـــات، والأســـود الصغيـــرة، والريـــم؛ عـــلى أن صـــورة الحصـــان كانـــت تهيمـــن عـــلى تلـــك الرســـوم. وكـــان الإنســـان يظهـــر فيهـــا بأسلحـــة جديـــدة مثـــل: الـــدروع، والرمـــاح. كمـــا

أخـــذت صـــور الرجـــال والحيوانـــات تبـــدو في شكـــل هنـــدسي. وكـــان الحصـــان يـــرز مـــن خـــلال العربـــات الـــتي يجرهـــا. فلتلـــك العربـــات عجلتـــان أو أربـــع؛ ويجرهـــا جـــوادان أو أربعـــة جيـــاد وكانـــت تظهـــر باستمـــرار وهي في حـــال طـــراد. وتعلـــو تلـــك العربـــات مظـــلات تغـــطي السائـــق الواقـــف عـــلى منصتهـــا وبيـــده زمـــام الخيـــل.

ــ عصـــر الجمـــل:

أمـــا عصـــر الجمـــل ــ الجمـــل ذي السنـــام الواحـــد طبعـــا ــ فيظهـــر فيهـــا هـــذا الحيـــوان مـــن خـــلال رســـوم أقـــل جـــودة وإتقـــان فـــني؛ ممـــا عـــرف في الفتـــرات السابقـــة كـــ: عصـــر الصياديـــن، وعصـــر الرعـــاة. ويســـمى هـــذا العصـــر أيضـــا بفتـــرة التيفينـــاغ؛ بسبـــب وجـــود هـــذه الكتابـــة منقوشـــة عـــلى الصخـــور؛ إلى جانـــب الصـــور المنقوشـــة والمرسومـــة. ويبـــدو أن هـــذا العصـــر استمـــر طويـــلا؛ بحيـــث يمكـــن دمـــج الفتـــرة الإسلاميـــة ضمنـــه؛ لأن بعـــض النقـــوش أخـــذت تظهـــر الحـــروف العربيـــة إلى جانـــب حـــروف التيفينـــاغ.

ـ متحف الشمس والهواء:

وقد فتنت تلك النقوش والرسومات الفنية المنتشرة عبر هضبة تاسيلي كثيرا من العلماء والفانين؛ واعتبر موقعها المنبسط في الهواء الطلق؛ أضخم وأعظم متحف في العالم. وهذا ما جعل الباحث والرحالة السويسري جورج غيرستر يقول: ((**تذكرت معرض لوت** [هنري] **في باريس؛ فذكرت أن صور تاسيلي قد أغنت العالم بكنوز من الجمال الفني. وقد اكتشف ميدان جديد؛ يدهش عشاق الفن، ويدور برؤوسهم؛ وهو مع ذلك ليس بالميدان المجهول كلية. ووافقني موسو** [رينيه] **على رأيي وقال: "طالما أن عشاق الفن هؤلاء لا يهتمون إلا بالشكل واللون. أما الأخصائي فيستثيره هذا الاكتشاف بالطبع؛ ولكنه لا يشعر بالسعادة الفكرية. فهو يواجه عددا من المشاكل الجديدة التي لا يستطيع حلها والأسئلة التي لا يستطيع الإجابة عليها. فهو أشبه ما يكون بمحاسب يريد أن يصفي حساباته وأن يستخلص نتائجها؛ ولكنه يواجه كل لحظة بندا جديدا من الحساب؛ لم يكن لاحظه في البداية... فقد أضاف لوت**

[هنري] نفسه مادة جديدة؛ عندما قام بأول جرد منظم للصور الصخرية في وادي جرات [جراد] في عام 1959م. وقد نقل فريقه أربعة آلاف صورة من مجموع هذه الصور؛ مستخدمين طريقة جديدة استعملوا فيها المطاط السائل. وكان بين هذه الصور؛ أعظم النقوش التي سبقت التاريخ، والتي عرفت حتى الآن؛ تصور زرافات ارتفاعها أكثر من عشرين قدما، وحيوانات وحيد القرن التي يبلغ طولها 25 قدما، والفيلة التي ترتفع خمسة عشر قدما عن الأرض. ولكن بالإضافة إلى اكتشافات لوت؛ فلا يكاد يمضي شهر واحد على الصحراء؛ منذ أن استيقظت من نومها الطويل؛ إلا وتظهر اكتشافات جديدة يزاح فيها الستار عن صور صخرية جديدة. وقد تم اكتشاف نحو من عشرين ألف صورة في السنوات القليلة على الجدران الصخرية في الصحراء. وأعتقد أن هذا الرقم هو ــ على كل حال ــ أقل من الحقيقة"... ويسرد متحف صور الصحراء قصة الحركة، والحضارات المتعاقبة، والأجناس، والشعوب، والقبائل، والعشائر التي أتت معها إلى الصحراء

بفنهـــا؛ أو ورثـــت عـــن أسلافهـــا تقاليـــد فنيـــة كانـــت قائمـــة ثـــم حملـــت رسالتهـــا. ولكـــن مـــاذا تمثـــل هـــذه الأساليـــب الفنيـــة المختلفـــة؟ وهـــل يكـــون كـــل أسلـــوب منهـــا تعبيـــرا عـــن فنـــان فـــرد، أو عـــن مدرســـة، أو عشيـــرة؟ وهـــل تطـــورت هـــذه الأساليـــب في وقـــت متزامـــن وبصـــورة مستقلـــة أو في تسلســـل تاريـــخي؟ وهـــل في الإمكـــان تتبـــع آثـــار أي نظـــام متسلســـل تاريخيـــا؛ ســـواء بصـــورة نسبيـــة أو مطلقـــة؟ وأيـــة حضـــارات أو أجنـــاس أو شعـــوب أو قبائـــل أو عشائـــر لهـــا علاقـــة بهـــذه الأساليـــب؟ وهـــل كـــان سكـــان الصحـــراء مـــن الســـود أو السمـــر أو الحمـــر أو البيـــض؟ كانـــت هـــذه الأسئلـــة الـــتي نوجههـــا إلى بعضنـــا البعـــض. أمـــا القائمـــة الحقيقيـــة فأطـــول مـــن هـــذه بكثيـــر))[1].

ب ــ الأثـــاث والحـــلي:

النمـــوذج الثـــاني ــ مـــن الإنجـــازات الفنيـــة ــ هـــي الحـــلي الـــتي كـــان يتحـــلى بهـــا ذلـــك الإنســـان المغـــربي القديـــم، ثـــم المتـــاع والأثـــاث الـــذي كـــان يستعملـــه في أداء أغراضـــه الحياتيـــة. والسبـــب في

---

[1] الصحـــراء الكبـــرى، ص ص: 42 ـــ 44.

تصنيف ما ذكر بين النماذج الفنية هو تلك العناية التي كان يخص بها حليه ومتاعه؛ بحيث يتفنن في تصميم أشكالها، ثم يحرص على تزيينها ببعض الزخارف؛ قصد إضفاء شيء من الجمالية عليها. هذا وقد كان ذلك الإنسان المغربي القديم ــ في الحقيقة ــ ينظر إلى ما ينجزه من فنون؛ على أنه عمل عادي تقتضيه الحياة؛ وليس ترفيها، ولا متعة تخص نخبة معينة. أما الحلي ــ فكما هو معروف لدى المختصين ــ فهي مستمدة من أصول قديمة؛ لها علاقة وطيدة بالسحر.

والأدوات التي يستعملها ذلك الإنسان المغربي في النحت والزخرفة هي: أظافره، أو بعض الآلات الحادة المصنوعة من الصوان، والعظام؛ بالإضافة إلى المَغَرَة التي يلون بها رسوماته، ويضفي عليها ــ بواسطتها ــ جمالا ورونقا. أما الإنجازات الفنية فينجزها على: بيض النعام المزخرف، والأقراط، والقلائد، والأساور المعدنية، والخلاخل، والأواني الفخارية، والجلود، بالإضافة إلى بعض المتاع المصنوع من الألواح الخشبية، وبعض التحف والأسلحة المصنوعة بالمعادن الحديدية والنحاسية، والفضية التي أخذ يتفنن فيها في العصور المتأخرة..

وكان المغربي القديم يستمد مواضيعه الفنية من الطبيعة المحيطة به؛ وتغلب على أعماله الأشكال الهندسية؛ تلك الأشكال المميزة للفن الأمازيغي حتى الآن. ويبدو أنه كان يتجنب رسم الخطوط المنحنية بقدر الإمكان؛ وإن اضطر إليها فقد لا يبدع فيها. وقد أظهرت الأبحاث بأن المرأة لها اهتمامات فنية أكثر مما هو عليه الرجل؛ إذ كانت ــ في معظم الأحيان ــ هي التي تقوم بزخرفة الأواني الخزفية، وما لديها من متاع كالأفرشة مثلا. وجملة القول فالفن الأمازيغي حافظت عليه المرأة؛ وظل هذا التقليد قائما إلى يومنا هذا.. وهو ما تظهره الشواهد بالأوراس، وبلاد القبائل، والهقار، والتاسيلي.. وغيره من المناطق الجزائرية، والمغربية المتعددة..

هذا؛ ولابد ــ هنا ــ من الإشارة إلى أن الفن الأمازيغي ــ بنماذجه كلها ــ قد تطورت أغراضه، ومواضيعه، وتقنياته؛ عبر العصور التي مر بها هذا الشعب العريق؛ إذ تأثرت فنونه بفنون شعوب أخرى؛ جلبها معهم المحتلون لبلاد المغرب؛ من إغريق، وفينيقيين، ورومان، فعرب، وأسبان، وإفرنج إلخ.. هذا بالإضافة إلى ما اكتسبه هذا الشعب من فنون نتيجة

لاختلاط أبنائه بشعوب أخرى كذلك عن طريق الهجرات، والمعاملات التجارية؛ مثل الشعوب السودانية في جنوب البلاد، ومصر في شرقها؛ وشعوب الضفة المقابلة عبر البحر الأبيض المتوسط. وهكذا أضحي الفن الأمازيغي مطعما بالتراث الإنساني؛ الذي أبدعته ثقافات متنوعة؛ كانت معروفة منذ حقب قديمة جدا..

جـ ـ الفن المعماري:

ربما يكون أقدم إنجاز معماري بدائي شيده الإنسان القديم؛ هي تلك المصاطب أو القبور الرابضة في بعض المناطق من بلاد المغرب؛ منها ـ على سبيل المثال ـ القبور التي عثر عليها في منطقة الهقار؛ وهي التي أدهشت الباحث والرحالة السويسري جورج غيرستر؛ حيث وصفها بقوله[1]: **((وينتشر فوق مناجم البلاتين عدد كبير من القبور الحجرية ذات أشكال غريبة؛ فبعضها لا يرتفع أكثر من شبر فوق سطح الأرض، وبعضها على شكل اسطوانة قطرها ثلاث ياردات، وبعضها على شكل "حز" برتقالة** [شقها]**، كما أن بعضها**

---

[1] الصحراء الكبرى، ص: **189**.

على شكل زوج من "البوصلات" لكل منها قدمان؛ طول الواحدة منهما عشرون ياردة، ويمتد بينهما حجر مسطح على طول ثلاثين ياردة من الشمال إلى الجنوب، وفي وسطه "نقرة" غير مفتوحة مثل "خرم" الإبرة. ويعزو الطوارق هذه القبور وما شابهها من القبور المماثلة في الصحراء الوسطى إلى مردة [عتاة] أسطوريين؛ يعتقدون أنهم عاشوا في الصحراء قبلهم. وعلى الرغم من الحفريات التي قام بها غوتييه ومولود؛ إلا أن الخبراء ما زالوا حائرين أمام هذه التماثيل؛ فالقبور تمثل أضرحة تعود إلى ما قبل الإسلام، وتشير إلى نظام متطور في اللحد والدفن. والأكثر من هذا أننا لا نعرف شيئا عن هؤلاء الناس. فقد حافظت القبور على سرها)).

وحسبما يظهر فقد طرأ تطور تدريجي على تلك القبور البدائية؛ بحيث أضحت تشيد في أشكال هندسية ملفتة للنظر. وهذا ما يمكن ملاحظته من خلال الهياكل الضخمة التي تجلت في شكل مخروطي، أو على صورة أهرام صغيرة. وقد تطور حجمها، وتصميمها من البساطة إلى أوضاع فنية متقنة. وربما كان قبر

كليوباتــرة سيليـــنــه (ومعناهــا القمــر) بولايـــة تيبـــازة هـــو الشكـــل الأكثـــر تطـــورا بيـــن مجموعـــة الأهـــرام المخروطيـــة المنتشـــرة في بـــلاد المغـــرب كلهـــا؛ هـــذا بالإضافـــة إلى مدراســـن القريـــب مـــن باتنـــة، وجـــدار الرابـــض غـــرب تيـــارت. وثمـــة مـــن يـــرى مـــن الباحثيـــن أن أهرامـــات مصـــر مستمـــدة في أصولهـــا مـــن بعـــض هـــذه النمـــاذج اللوبيـــة..

ولابـــد هنـــا مـــن إثبـــات مـــا قالـــه ــ أيضـــا ــ الباحـــث السويســـري جـــورج غيرستـــر عـــن هياكـــل أخـــرى شيـــدت قديمـــا في منطقـــة الهقـــار؛ حيـــث قـــال: ((**وتقـــف ثلاثـــة أبنيـــة كاكـــواخ الأسكيمـــو "أغلـــو" فـــوق التـــل في المنطقـــة. إنها مبنيـــة مـــن الحجـــارة المنحوتـــة، وقـــد وثقـــت بعضهـــا بالطيـــن؛ وتشبـــه إلى حـــد كبيـــر ــ عنـــد الفحـــص ــ خلايـــا النحـــل. وأحـــد هـــذه الأبنيـــة خـــال، أمـــا الآخـــران فمغلقـــان. إنها تبـــدو كمخـــازن الـــذرة؛ الـــتي بنتهـــا ــ في الظاهـــر ــ إحـــدى القوافـــل المسافـــرة مـــن الســـودان نحـــو الشمـــال**))[1].

أمـــا بخصـــوص الفنيـــات الـــتي تميـــزت بهـــا مساكـــن المغاربـــة القدمـــاء؛ فيمكـــن استنتـــاج ذلـــك مـــن خـــلال تتبـــع التطـــور الـــذي عرفتـــه تلـــك

---

[1] الصحـــراء الكبـــرى، ص: 189.

الدور؛ من العصور القديمة إلى العصر الإسلامي. فمن الكهوف والأكواخ (ماقاليا) أخذ ذلك الإنسان القديم يتطلع إلى التفنن في مسكنه. غير أن الرحل من أولئك السكان ظلوا متمسكين بمساكنهم المتنقلة؛ إذ كانت سهلة للتفكيك والنقل.. أما الذين اختاروا الاستقرار منهم فقد تفننوا في مساكنهم؛ التي كانت في البداية عبارة عن كهوف زينت ببعض النقوش؛ ثم أضحت أكوخا مبنية بالطين والحجر. وغالبا ما يتم اختيار الأماكن المرتفعة لبناء القلاع والأبراج؛ التي تخصص لحفظ الذخائر ضد السلب والنهب. ومع مرور الوقت أصبحت بيوتهم تظهر في شكل مربع؛ حيث كانت الغرف تشيد على الجوانب الأربعة؛ ويترك وسط الدار معرضا للهواء الطلق. وقد غدت دور الأمازيغ بعد مدة تميل إلى الجمال، وتوفير الراحة لسكانها؛ وذلك نتيجة لاحتكاكهم بعناصر طارئة من حضارات عديدة؛ جاورتهم واختلطت بهم؛ فكان التأثير واضحا جليا؛ وهو ما يمكن تتبعه في هذه الأيام؛ من إنجازات الكيانات، والدول الأمازيغية المختلفة..

وكما استفاد أبناء هذه البلاد من فنون أمم وحضارات عديدة؛ فقد استفادت أمم

أخـــرى ـــ أيضـــا ـــ مـــن الفـــن المغـــربي؛ منـــذ حقـــب ضاربـــة في أعمـــاق التاريـــخ. ويعـــزز هـــذا الـــرأي النـــص الـــذي ورد في المختصـــر الكبيـــر لموسوعـــة لاروس؛ وترجمتـــه هي: **((مهمـــا بلـــغ نمـــو الرجـــل النياندرتـــالي** [الموجـــود بأوروبـــا] **فهـــو لـــم يعـــد يظهـــر في آخـــر الطـــور الموستيـــري إلا في شكـــل إنســـان متأخـــر؛ وإن هجـــوم رجـــال جـــدد؛ قادميـــن مـــن إفريقيـــة؛ عـــن طريـــق إيطاليـــا وأسبانيـــا؛ هـــو الـــذي سيبـــث عقليـــة مغايـــرة؛ تنبـــني عليهـــا وتنجـــر عنهـــا نشـــأة الفنـــون))**[1].

د ـــ الموسيـــقى والغنـــاء والتمثيـــل:

تملكتـــني حيـــرة؛ مبعثهـــا مـــا جـــاء في كتـــاب ورقـــات لحســـن حســـني عبـــد الوهـــاب؛ فيمـــا يتعلـــق بالفنـــون الجميلـــة والموسيـــقى ـــ عـــلى الخصـــوص ـــ لـــدى الأمازيـــغ؛ إذ ينـــفي هـــذا الباحـــث وجـــود فنـــون جميلـــة أو موسيـــقي لديهـــم.. وهـــذا هـــو قولـــه بالضبـــط: **((مهمـــا تتبـــع الباحـــث رســـوم الحضـــارة، والمجتمـــع البربـــري؛ الـــذي يقطـــن شمـــال إفريقيـــة ـــ مـــن قديـــم الزمـــان ـــ فإنـــه لا يجـــد للفنـــون**

---

[1] **Grand Mémento Larousse - Tome 1 - p: 159.**، ومدنيـــة المغـــرب العـــربي، ص ص: 42 ـــ 43.

الجميلة ــ ومنها الموسيقى ــ أدنى أثر يذكر؛ وغاية ما يقال أن الأهالي الأصليين كانوا يتغنون ببعض ألحان ساذجة بسيطة؛ ربما قلدوا فيها أغاني الزنوج المحيطين بهم من ناحية الجنوب ــ الصحراء الكبرى والسودان ــ فالقبائل المحافظة على بربريتها الأولى مازالت تصوت بألحان أقرب ما تكون إلى إيقاع السودانيين... ويمكن الاستدلال على بساطة الموسيقى ــ لأي شعب كان ــ بآلات الطرب التي يستعملها لهذا الغرض. فالأمم البربرية ليس لها من الأدوات إلا مزمار؛ وهي (الشبابة) يتخذ في الغالب من القصب؛ ينفخ فيه، أو نوع من الرباب ذي وترين لا غير (القمبري)؛ وهو عين ما يوجد عند الزنوج البدائيين. وهذا من أكبر الشواهد على تأخر التلحين عندهم. وكذلك الشأن في الأصوات نفسها، التي تتغنى بها القبائل البربرية مثل: جبل (زواوة) ــ كتامة قديما ــ وبلاد (الريف) وأهل جبال المغرب من (السوس) الأدنى والأقصى؛ فإن الإيقاع فيها بسيط جدا؛ ولا يتجاوز بعض مقامات السلم؛ شبيه ما يشاهد عند السودانيين. وهذه هي الألحان الساذجة التي

وجدها العرب عند عشائر البربر لما فتحوا البلاد عليهم؛ وبقي استعمالها شائعا بين السكان الأصليين إلى أن امتد التعريب في البلاد، ورسخ في البلاد اللوبية؛ فتحولت أوضاعهم بالتدريج إلى أوضاع عربية؛ وانتشرت على مر الزمان من الحواضر العربية أو المتعربة حتى بلغت قرارات البربر))[1].

لقد اندهشت ــ حقا ــ من أقوال هذا الباحث المعروف بالتدقيق والتحقيق. ومما زاد اندهاشي؛ ذلك المزج والخلط بين حقب مختلفة؛ فهو يخلط بين فترة ما قبل التاريخ وبعده. وكان من الأفضل أن يخصص فقرة للحديث عن الموسيقى في ذلك الزمن ــ إن وجدت طبعا من خلال النقوش المكتشفة ــ ثم ينتقل إلى زمن القرطاجيين، ثم العصر الروماني؛ وبعد ذلك يدخل في موضوع الموسيقى في العهد العربي الإسلامي. ولكنه أشار بشكل خاطف لخلو النقوش من أي إشارة للموسيقى؛ ثم انتقل مباشرة إلى الحديث عن العهد العربي. مع أن العصر الروماني لا يخلو من عينات،

---

[1] ورقات، ق: 2، ص ص: 171 ــ 172.

ونماذج تؤكد اهتمام فئة من الأمازيغ بالموسيقى؛ في شكلها المتطور..

والجميع يعلم المجهودات الجبارة التي قام بها يوبا الثاني في نشر الفنون ـ بشتى أنواعها ـ في بلاده؛ مثل الموسيقى التي أنشأ ـ لتدريسها ونشرها ـ معهداً خاصا بشرشال؛ كما قام هو نفسه بتأليف موسوعة موسيقية ضخمة. أما التمثيل فقد أسس يوبا أيضا معهدا لتدريسه في شرشال كذلك. هذا بالإضافة إلى معهد النحت الذي أسسه في عاصمته شرشال. ولم يكن يوبا هو الوحيد المهتم بالفنون الجميلة ببلاد المغرب آنئذ؛ فثمة آخرون كانت لهم الاهتمامات نفسها؛ لأن التأثير الإغريقي والفينيقي والروماني لابد أن يولد اهتماما معينا بين السكان؛ وإذا لم يهتم بذلك السكان كلهم فقد يهتم بعضهم.. وهذا ما حدث في شعوب أخرى؛ فليس أفراد تلك الشعوب بكاملهم فنانين.. وعليه فمجرد وجود تيار فني معين ـ حتى وإن كان خفيفا ـ فذلك يعني حصول النشاط وتوفره. ولكي يتسنى دراسة هذا الميدان بشكل معمق ودقيق؛ يستحسن دراسة، وتمحص الفترتين: الفينيقية والرومانية؛ فلعلهما يمنحاننا معلومات أوسع

وأشمـــل.. وقـــد مـــرّ معنـــا مـــا قالـــه المحـــامي والأديـــب الفيلســـوف الأمازيـــغي أبوليـــوس: **((أعتـــرف بـــأني أوثـــر مـــن بيـــن الآلات شـــق القصـــب البسيـــط أنظـــم بـــه القصائـــد في جميـــع الأغـــراض الملائمـــة لـــروح الملحمـــة أو فيـــض الوجـــدان، لمـــرح الملهـــاة أو جـــلال المأســـاة))**[1]. إذن فالشبابـــة الـــتي استهـــان بهـــا حســـن حســـني عبـــد الوهـــاب كانـــت مـــن الآلات المحببـــة لذلـــك الأديـــب الفيلســـوف؛ الـــذي جـــال في مصـــر، وبـــلاد الإغريـــق، وبـــلاد الرومـــان؛ وسمـــع مـــا فيهـــا مـــن آلات متطـــورة، كمـــا سمـــع وتعـــرف عـــلى نمـــاذج عديـــدة مـــن الفنـــون الموسيقيـــة؛ ولكنـــه مـــع ذلـــك ظـــل محبـــا لآلـــة الشبابـــة؛ لأنهـــا مـــن تراثـــه، وقـــادرة عـــلى أداء مـــا تفيـــض بـــه نفســـه مـــن أغـــراض..

أمـــا القـــول بالتأثيـــرات الزنجيـــة؛ فـــلا يعـــني ذلـــك خلـــو البـــلاد مـــن الفنـــون الموسيقيـــة بالتمـــام؛ خاصـــة إذا علمنـــا أن التأثيـــرات الزنجيـــة قـــد تعـــود بداياتهـــا إلى آلاف السنيـــن.. وهـــذه التأثيـــرات هي إحـــدى سنـــن الكـــون؛ فالشعـــوب كلهـــا تتأثـــر وتقتبـــس مـــن غيرهـــا؛ وبذلـــك تتبـــادل الإنسانيـــة الخبـــرات والتجـــارب، وهكـــذا تمتـــزج الثقافـــات،

---

[1] **تاريـــخ إفريقيـــا الشماليـــة، ج: 1، ص: 252.**

وتلقـــح الحضـــارات بعضهـــا بعضـــا؛ ومـــن هنـــا يـــأتي التنـــوع والثـــراء.. وقـــد مـــر أيضـــا مـــا جـــاء في موسوعـــة لاروس الـــتي تنـــص عـــلى التأثيـــرات الفنيـــة لبـــلاد المغـــرب عـــلى أوروبـــا في الحقـــب الحجريـــة: **((وإن هجـــوم رجـــال جـــدد؛ قادميـــن مـــن إفريقيـــة؛ عـــن طريـــق إيطاليـــا وأسبانيـــا؛ هـــو الـــذي سيبـــث عقليـــة مغايـــرة؛ تنبـــني عليهـــا وتنجـــر عنهـــا نشـــأة الفـــن)).** ((une invasion d’hommes nouveaux venant d’Afrique, par L’Italie et L’Espagne, répandra une mentalité différente, provoquant la naissance de l'art.))[1] . إذن فالتأثيـــر متبـــادل، والتأثيـــر قديـــم ــ أيضـــا ــ قـــدم الإنسانيـــة نفسهـــا.. فمـــا العيـــب في ذلـــك..؟

4)ــ النظـــام القبـــلي:

تـــدرج المجتمـــع المغـــربي القديـــم ــ منـــذ عصـــور قديمـــة جـــدا ــ في تنظيـــم حيـــاة أبنائـــه، وتطويرهـــا بالانتقـــال مـــن شكـــل الأســـرة الأغنيـــة (العائلـــة)؛ إلى صـــورة أوســـع؛ وذلـــك عندمـــا تكاثـــر أفـــراد النمـــوذج المذكـــور مـــن الأســـرة. وبمـــرور الزمـــن أصبحـــت تلـــك الأســـر تشكـــل مـــا صـــار يعـــرف الآن بالعشيـــرة، أو القبيلـــة.. وكغيرهـــم مـــن المجتمعـــات

---

1 Grand Mémento Larousse - Tome 1 - p: 159.، ومدنيـة المغـرب العـربي، ص ص: 42 ــ 43.

القديمة اضطرتهم الحياة القاسية للانسياق وراء هذا النهج الاجتماعي؛ الذي فرضته الطبيعة والمعروف بالقبلية أو القبيلية.. فالمشهور عن المجتمع الأمازيغي أنه كان مؤلفا من قبائل لا تحصى؛ مقسمة بدورها إلى أجزاء أصغر؛ يمكن أن تكون بمثابة بطون وأفخاذ وعشائر؛ كما كان عليه التقسيم القبلي عند العرب.. وقد تشكلت تلك القبائل من الأسر (العائلات) المتطورة، ومن مجموعات أخرى؛ تكون قد انضمت إليها بواسطة الحلف والجوار. ومن جهة أخرى يمكن أن تكون الحروب قد اضطرتهم إلى التكتل ضمن أحلاف أوسع من مستوى القبيلة؛ فتضحى في شكل جمهرات كبرى؛ ينتج عنها كيانات قد تقوم مقام الدول؛ مثل الأحلاف التي شكلت كيانات في المناطق الشمالية من بلاد المغرب؛ وهي: مورطانيا، ومازيسولة، وماسولة.. وللاستدلال على هذا ــ من خلال النصوص القديمة التي وردت عن الإغريقيين والرومانيين ــ يمكن تلخيص ما تمت معرفته عن القبائل المغربية قديما بسرد أسماء بعض منها مثل: **ماسايسيلي** Masaseli، **وباينوراي** Banivrae، **وأوتولولي** Autoles، **وكاناري** Canarii، **والجيتول** Gaetulia، **والقارمونت**

(كارمانـــتي) Garamantes، **وأيثيوبيـــا** Aethiopia، **وماسيـــلي** Massili، **وفـــزاني** Phazonii، **وماكـــاي** Macae، **وناسامـــوني** Nasamones، **ومارمايـــداي** Marmaridae، **وماريوتـــاي** Mareotae، **ولواتـــه** Louatah[1].

وطبعـــا ليســـت هـــذه كـــل مـــا في ديـــار المغـــرب مـــن قبائـــل.. فقـــد كتـــب هيرودوتـــس واصفـــا بـــلاد المغـــرب الجنوبيـــة بقولـــه: **((فهنـــاك في الداخـــل؛ صحـــراء ليبيـــا؛ وعـــلى أرض هـــذه القفـــار؛ تقـــوم مساحـــات واسعـــة مـــن الرمـــال تمتـــد مـــن طيبـــة في مصـــر إلى أعمـــدة هرقـــل... ويعيـــش العمونيـــون عـــلى بعـــد عشـــرة أيـــام مـــن طيبـــة؛ وعـــلى بعـــد عشـــرة أيـــام أخـــرى منهـــا إلى الغـــرب؛ تقـــع العقيلـــة؛ وهي واحـــة يـــزرع فيهـــا أهـــل نسامـــون أشجـــار النخيـــل... وعـــلى بعـــد عشـــرة أيـــام أخـــرى مـــن العقيلـــة؛ جبـــل رمـــلي آخـــر؛ فوقـــه ينبـــوع وواحـــة مـــن أشجـــار النخيـــل كغيرهـــا مـــن الواحـــات. وفي هـــذه المنطقـــة يعيـــش شعـــب قـــوي وعظيـــم يـــدعى القارمونـــت. وهـــذا الشعـــب يغـــطي الأرض بالملـــح ثـــم يـــزرع القمـــح..؟؟! وهنـــا تعيـــش أيضـــا الثيـــران الـــتي تـــرعى الكـــلأ وهي تسيـــر إلى الـــوراء للسبـــب التـــالي: فقرونهـــا ملويـــة إلى الأمـــام؛**

---

[1] عروبـــة البربـــر، ص ص: 178 ـــ 179.

ولــذا فــهي تضطــر إلى المسيــر إلى الخلــف عندمــا تــرعى الكــلأ... ويطــارد هــؤلاء القرامونــت الأحبــاش ـــ الذيــن يعيشــون في الكهــوف ـــ بعربــات تجرهــا جيــاد أربــع. ويعتبــر هــؤلاء الأحبــاش الذيــن يعيشــون في الكهــوف أســرع النــاس عــدوا. لكــن ساكــني الكهــوف يأكلــون الأفــاعي والسحــالي وغيرهــا مــن الحيوانــات الزاحفــة. ولا تشبــه اللغــة الــتي يتحدثــون بهــا لغــة أي شعــب آخــر؛ فهــم يهــذرون مثــل الوطــواط))[2].

فــإذا مــا دقــق الباحــث فيمــا ورد ضمــن المصــادر الإغريقيــة والرومانيــة سيتضــح لــه أن أولئــك الأحبــاش أو الإثيوبييــن؛ كمــا تسميهــم تلــك المصــادر (ومعــنى الكلمــة بالإغريقيــة: الرجــال الذيــن أحرقتهــم الشمــس)؛ ليســوا مــن الزنــوج؛ فهــم بلــون بــني؛ وتقاطيــع وجوههــم تختلــف عــن التقاطيــع الزنجيــة.. وربمــا كانــوا منتشريــن في كامــل الصحــراء؛ ومنهــم حسبمــا يبــدو الشعــوب الــتي عرفــت بــ: **البافــور، والتيبــوس**[1]. أمــا شعــب القارمونــت فهــو مــن الجنــس الأبيــض؛ وقــد كــان

---

[2] **الصحــراء الكبــرى، ص ص: 49 ـــ 50.**

[1] **نفسه، ص ص: 52 ـــ 54.**

محط اهتمام كثير من المؤرخين والباحثين؛ بدءا بهيرودوتس.. غير أن غموضا كثيفا بقي يكتنف أصوله؛ إذ لا يعرف المختصون ـ حتى الآن ـ من أين أتت الأفواج الأولى منه إلى هذه الديار. وإلى أي جهة نزحوا واختفوا فيما بعد.. وثمة من يرى أن لهم علاقة ما مع الشعوب البحرية القادمة من البحر الأسود؛ بينما يرى آخرون أن لهم علاقة ـ وإن مازالت غير واضحة المعالم ـ مع شعب الهكسوس؛ الذي احتل مصر في عام 1700 ق.م.

أما نزوحهم فيرى بعضهم أن الفتح الإسلامي أجبرهم على النزوح جنوبا؛ حيث تمركزوا في التاسيلي والهقار؛ وبذلك قد يكون أحفاد القارمونت هم الطوارق. وهذا الرأي ربما حظي بقدر من الصحة[2]. ويبدو أن هذا الشعب انضم إلى صف القرطاجيين في حروبهم ضد روما؛ إذ كانوا ضمن جيش حنبعل في تلك الحروب؛ وقد كانوا معه في حصاره لروما أيضا. ولما تغلبت روما على قرطاجة؛ بقي القارمونت مصدر إزعاج لها بمناوشاتهم، وغزواتهم المفاجئة.. وعندما تطاردهم جيوش

[2] الصحراء الكبرى، ص ص: 51 ـ 55.

روما؛ ينسحبون إلى أعماق الصحراء؛ ويغلقون آبار المياه خلفهم. وبمرور الوقت استطاعت روما ترويضهم وكسبهم إلى صفها؛ إذ غدوا ــ في القرن الأول الميلادي ــ ضمن جيشها المسلط على الصحراء. والراجح أن النواحي التي سيطرت عليها قبائل القارمونت هي مناطق: فزان والتاسيلي والهقار. ويقال أن نفوذهم امتد غربا حتى شواطئ المحيط الأطلنطي، وجنوبا إلى النيجر.

وكما نسبت الفترة الفنية ــ التي تصنف نقوش وصور الصخور ــ إلى الحصان والعربة؛ فإنها كانت تسمى أيضا بفترة القارمونت. مع أن لا شيء يثبت انهم هم الذين زخرفوا ونقشوا تلك الصخور بصور الجياد وعرباتها؛ ذلك أنه ثبت أن جماعات أخرى ــ غير القارمونت ــ كانت تجوب الصحراء المغربية؛ بواسطة عربات تجرها الخيول. ويحاول الباحث جورج غيرستر أن يضع معالم تكشف له الطريق الغامض فيقول[1]: **((ولكن الدليل قد قام على أن الليبيين الذين كانوا دائمي الإغارة على حدود مصر الغربية كانوا**

[1] الصحراء الكبرى، ص ص: 54 ــ 55.

يستخدمون الخيول في القرن الثالث عشر قبل الميلاد. وتذكر أسطورة عن دولة الفراعنة الحديثة أن جنود الفرعون وضعوا أيديهم في معركة دارت عام 1229 ق.م. على أربع عشرة عربة فردية العجلات؛ غنموها من زعيم ليبي وأولاده. ويظهر هذا الدليل؛ أن الحصان والعربة قد وصلا إلى البلاد الواقعة إلى الغرب من مصر لا من وادي النيل؛ بل من الشمال. ففي القرون الأخيرة من الألف الثاني قبل الميلاد جاءت موجة من الشعوب التي تسمى بالبحرية مقتحمة حوض البحر الأبيض المتوسط؛ وقادمة من البحر الأسود. ومن المحتمل أن يكون هؤلاء الأقوام قد هبطوا في برقة، وكانوا مسئولين عن دفع الليبيين شرقا ضد مصر. ومن المحتمل أن يكون القارمونت قد شكلوا جزءا من هذا الغزو. ويوضح هذا الافتراض الملامح البحر ـ متوسطية في الصخور الصحراوية القارمونتية كـ : ملابس الرجال والنساء، وأفخاذ سائقي العربات الضيقة وأكتافهم العريضة، وكذلك الجياد وهي في حالة غارة)).

وقبل الانتقال إلى فترة ما بعد الرومان؛ لابد من الإشارة ــ ولو بشيء من الإيجاز؛ بسبب ضحالة المعلومات ــ إلى بعض القبائل التي تردد ذكرها ــ دون أن تتعمق المصادر في الكلام عن أوضاعها الاجتماعية والسياسية ــ منها: **قبيلة جدالة، وقبيلة المزالمة.** فقبيلة جدالة كانت تحتل السهوب الجنوبية لنوميديا؛ وقد شغلت جيوش الرومان، وأقضت مضاجعهم في ديار المغرب زمنا طويلا. أما قبيلة المزالمة فكانت تجاور المقاطعة القرطاجية الرومانية؛ وبالتحديد بمحاذاة ضفاف وادي ملاق؛ وكانت قد انتفضت ثائرة ضد الحكم الروماني عدة مرات.. هذا بالإضافة إلى عدد من القبائل التي كانت محاطة بغموض كثيف؛ وكل ما يعرف عنها؛ أنها قامت بثورات ضد الرومان والوندال مثل القبائل التي ثارت في جبال البابور Bavares؛ بين سكيكدة وقسنطينة، ثم التكتل القبلي الذي عرف بالحلف الخماسي Les Quinquégentiens؛ وهو عبارة عن خمس قبائل تحالفت في المنطقة المحصورة بين دلس وبجاية؛ بالإضافة إلى قبيلة أخرى بزعامة **فاركسن**؛ انضمت إليهم؛ قادمة من مرتفعات بلعباس غربا. ثم القبائل الأوراسية التي ثارت في عهد

الوندال بزعامة **يوضاس**؛ الذي تمكن من الاستيلاء على منطقة واسعة غربي الأوراس بمحاذاة سهل الحضنة. هذا إلى جانب الممالك القبلية التي تشكلت في: بلاد النمامشة، والحضنة بإمرة **أرثاياس**، وآلطاوة Altava؛ المعرفة الآن بحجر الروم؛ شرق تلمسان، وصافار جنوب وهران؛ بقيادة الإغليد **مازونة**، ثم المملكة التي نشأت جنوب شرشال بزعامة **ماستيناس**.

هذا ما أمكن ذكره فيما يخص العصور التي سبقت الفتح الإسلامي. أما الفترة الزمنية التي تدخل ضمنها الأحداث التي حصلت بعد الفتوحات الإسلامية؛ فهي أكثر وضوحا من الفترات الماضية؛ لأن المصادر العربية كانت أكثر عناية بالسكان الأصليين، وأوسع حديثا عن القبائل الأمازيغية. وكان الكتاب العرب يعتمدون في أخبارهم على روايات أمازيغية؛ مصدرها النسابة الأمازيغ أنفسهم.

وإذا اعتمدنا على ما ذكره النسابون عن الأمازيغ، وما نقله المؤرخون العرب عنهم؛ نجد أن القبائل الأمازيغية تنتشر عبر بلاد المغرب كلها؛ بما فيها جزر الكناري (الجزر الخالدات)؛ بالإضافة إلى مساحات واسعة من الأجزاء الشمالية للبلاد السودانية؛ المعروفة الآن:

بالسينيغال ومالي والنيجر والتشاد؛ ثم الجزء الغربي من الصحراء المصرية. وكانوا مهيكلين ضمن قبائل كثيرة؛ لا يمكن معرفة عددها بالتحديد. غير أن النسابة والمؤرخين حصروها ضمن فئتين عظيمتين. قد تصل في كثافتها، وتشعبها إلى مرتبة شعب، أو جذم؛ حسب البناء القبلي المتبع لدى النسابة العرب. وعند مراجعة ما كتبه ابن خلدون يتضح أنه صنف القبائل الأمازيغية إلى صنفين؛ وجعل كل فئة منهما في مرتبة **جذم**؛ وهما:

ـ **جذم البتر**؛ نسبة إلى **مادغيس الأبتر**.

ـ **جذم البرانس**؛ نسبة إلى **برنس**.

وقد اختلف النسابة في أمرهما. فمن قائل: بأنهما ينتميان إلى أب واحد، وقائل بخلاف ذلك. وكل الذي يستحق الذكر ـ هنا ـ هو أن علي بن حزم ـ الذي كان محل تقدير واحترام من طرف ابن خلدون ـ قد سرد آباء، وأجداد مادغيس الأبتر؛ وصمت عن ذكر **آباء برنس**. غير أنه أشار ـ في موضع آخر ـ إلى احتمال عودتهما إلى أب واحد؛ هو **بر**؛ إذ قال: **((فولد بر: مادغس،**

وبرنـــس...))[1]. أمـــا ابـــن خلـــدون نفســـه فينسبهمـــا جميعـــا إلى أب هـــو **مازيـــغ بـــن كنعـــان.**

وربمـــا تســـاءل بعضهـــم؛ مـــا هـــو العائـــق الـــذي منـــع المجتمـــع الأمازيـــغي مـــن تطويـــر نظمـــه الاجتماعيـــة؛ عـــلى الرغـــم مـــن احتكاكـــه بمجتمعـــات أخـــرى متطـــورة؛ **كالفراعنـــة، والإغريقييـــن، والفينيقييـــن، والرومانييـــن.؟** ومبعـــث هـــذا التســـاؤل ــ حسبمـــا يبـــدو ــ هـــو أنـــه لوحـــظ عـــلى الأمازيـــغ تمسكهـــم بالنظـــم القبليـــة؛ في الوقـــت الـــذي تربـــض إلى جوارهـــم **الإمبراطوريـــة القرطاجيـــة** الكبـــرى؛ الـــتي كانـــت تتفاخـــر بمؤسساتهـــا المدنيـــة، والعسكريـــة، والعمرانيـــة. وبعـــد سقـــوط الإمبراطوريـــة القرطاجيـــة؛ خلفتهـــا إمبراطوريـــة أخـــرى؛ قامـــت بـــزرِع **مستعمـــرات رومانيـــة** عديـــدة بيـــن الأمازيـــغ، وفي عمـــق مَوَاطنهـــم؛ تستنـــد إلى نظـــم مدنيـــة متطـــورة؛ ولا تعـــرف القبليـــة لهـــا طريقـــا. ومـــع هـــذا بـــقي الأمازيـــغ عـــلى حالهـــم؛ الـــذي يهيمـــن عليـــه **النظـــام القبـــلي المتحجـــر.**

وعـــلى الرغـــم مـــن الاجتهـــادات المحـــدودة الـــتي قـــام بهـــا **ماسينيســـا**؛ العاهـــل الأمازيـــغي الشهيـــر كتشجيع القبائـــل عـــلى الاستقـــرار، والعمـــل بالفلاحـــة،

---

[1] جمهـرة أنسـاب العـرب، ص: 495.

وتشييد دولة بمؤسسات جديدة؛ لا تعمل بمنطق القبلية؛ فإنه فشل في تغيير التركيبة الاجتماعية؛ أو حتى بعث حركة قوية تستطيع الاستمرار في النهج الذي شرع فيه[1]. والعلة في ذلك تتمثل ــ كما يبدو ــ في عاملين اثنين: أحدهما خارجي، والآخر داخلي. فأما الخارجي فهو الوجود **الفينيقي، والروماني**؛ ذلك الوجود الأناني، القمعي، المستبد؛ وإن اختلف وجهيهما، وتباينت مواقفهما.

فالوجود الفينيقي بدأ في شكل محطات تجارية شيدت على طول الساحل؛ بدءا بسنة 1101 ق.م؛ وهي السنة التي تم فيها تأسيس مركز **أوتيكة**؛ في خليج تونس. ثم تطور ــ فيما بعد ــ حتى أضحى كيانا قريبا من الدولة. ثم دولة لها اعتبارها؛ فإمبراطورية عظمى؛ سيطرت على البحر الأبيض المتوسط بكامله. مع العلم أنهم ظلوا يقدمون الضرائب السنوية للأمازيغ أو الليبيين؛ طيلة ثلاثة قرون ونصف. وعندما استفحل أمرهم؛ وجد الأمازيغ

---

[1] ش. جوليان؛ تاريخ إفريقيا الشمالية، ج: 1، ص ص: 134. والجيلالي؛ تاريخ الجزائر العام، ج: 1، ص: 62. M. Kaddache, L'Algerie dans L'Antiquite, pp: 68-72. F. Decret et Mhamed Fantar, L'Afrique du Nord dans L'Antiquité, p: 132-139.

أنفسهم تحت سلطان من كانوا تحت حمايتهم. ولّما كان الفينيقيون في **قرطاجة** يعيشون في ظل مؤسسات الدولة المنظمة؛ فقد تفوقوا على الأعداد الهائلة من الأمازيغ، واستخدموهم، وسخروهم لمصالحهم، ومصالح دولتهم؛ كمقاتلين؛ وكعمال، وكمستهلكين لبضائعهم. وعلى الرغم من الفترة الزمنية الطويلة التي استوطنوا خلالها بلاد الليبيين؛ فإنهم ظلوا متقوقعين على أنفسهم، وحريصين على ضمان عدم اختراق الأمازيغ لمجتمعهم المحصن بالنظم الأرستقراطية المنيعة.

أما الرومان فكانوا ينظرون ـ منذ مجيئهم ـ إلى الأمازيغ نظرة متعالية؛ وبالمقابل كانوا يرصدون بلادهم بعيون مشحونة بالأطماع في ثرواتها. وعندما سنحت الفرصة المواتية؛ انقضوا على فريستهم. ولم يشذ سلوك الرومان عما عرف في تاريخ الإنسانية؛ عن سلوكيات الغزاة المحتلين؛ إذ اهتموا بما تدره البلاد عليهم من خيرات؛ دون الالتفات إلى ما ينفع سكانها. ثم انهم توغلوا في عمق البلاد؛ أكثر مما ذهب إليه الفينيقيون. فبينما اكتفى هؤلاء بالشريط الساحلي، وبعض المناطق الداخلية؛ فيما يعرف ـ الآن ـ بتونس؛ نرى الرومان قد زرعوا

معسكراتهم في داخل البلاد؛ حتى وصلوا بها إلى مشارف الصحراء. وعلى الرغم من تواجدهم بين السكان الأصليين للبلاد؛ فإنهم حرصوا على عدم الاختلاط بهم، وتجاهلوا مساعدتهم على تطوير نظمهم، أو ترقيتهم: **ثقافيا**، **واقتصاديا**. وبذلك حالوا بين السكان، وبين ما يمكن أن ينفعهم حضاريا.

هذا عن العامل الخارجي؛ أما العامل الداخلي فيتمثل في **علل نفسية، وثقافية**؛ عجز أبناء هذه البلاد عن التخلص منها أو تهذيبها. ويمكن حصر هذه العلل فيما عرف **بالعصبية القبلية**. ونظرا لضيق المجال هنا؛ أحيل القارئ الكريم إلى كتابي الذي سيصدر ضمن هذه السلسلة؛ بعنوان: **العصبية القبلية ظاهرة اجتماعية وتاريخية**؛ ففيه ما يفي بالحاجة عن نظرية العصبية. وما يمكن الإشارة إليه في هذا المجال؛ هو ما تمت ملاحظته على المجتمع الأمازيغي؛ من عدم اكتراث بما كان يتحرك حوله من نظم، ومظاهر حضارية يتميز بها المحتلون، أو المجاورون لهم. والأغرب من ذلك كله أنهم احتكوا ــ قبل معرفتهم للفينيقيين، والرومان ــ بحضارة **مصر الفرعونية**؛ التي

توصل بعض الأمازيغ (الليبيين) إلى التربع على عرشها؛ لفترة معينة من التاريخ[1]. ومع هذا لم يجلبوا معهم إلى بلادهم شيئا هاما من حضارتها، أو نظمها؛ التي تجاوزت مرحلة العصبية القبلية. ما عدا بعض المظاهر الجنائزية، والدينية المحدودة.

ولما قدم العرب ــ خلال الفتح الإسلامي ــ إلى هذه الديار؛ وجدوا في المجتمع الأمازيغي تشابها كبيرا بالمجتمع العربي. من ذلك: التقسيمات القبلية، والإفرازات النفسية للعصبية، وأسلوب العيش، وحب الغزو.. وغير ذلك. وبالمقابل لم يجد الأمازيغ لدى العرب ــ ما يمكن أن يأخذوه منهم ــ سوى **الدين الإسلامي** الحنيف؛ لما وجدوا فيه من تعاليم سمحة، وعادلة، وصادقة؛ لذا فقد سارعوا إليه، وعضوا عليه بالنواجذ؛ حتى أضحوا أكثر تمسكا به من بعض العرب الوافدين إلى بلاد المغرب أنفسهم.

---

[1] **تاريخ إفريقيا الشمالية، ج: 1، ص ص: 71 ــ 72. Mhamed Fantar, F. Decret et L'Afrique du Nord, p p: 42- 46**

5)ـ الهجــــرات:

قبـــل البــدء بالحديـــث عـــن أنســـاب القبائـــل البتريـــة؛ أو البرنسيـــة يستحســـن التوقـــف عنـــد ظاهـــرة مهمـــة؛ وهي ظاهـــرة هجـــرة بعـــض الأحيـــاء الأمازيغيـــة، وانتقالهـــا مـــن مكـــان إلى آخـــر؛ في داخـــل بـــلاد المغـــرب، أو خـــارج إطـــار مواطنهـــم الأصليـــة؛ وذلـــك بانتقالهـــم إلى الأندلـــس، أو بـــلاد المشـــرق مثـــلا. فباستقـــراء مصـــادر تاريخيـــة مختلفـــة يتضـــح أن الأمازيـــغ كانـــوا ـــ منـــذ فتـــرات تاريخيـــة قديمـــة ـــ عـــلى اتصـــال مـــع غيرهـــم؛ مـــن شعـــوب البـــلاد المحيطـــة بهـــم؛ في الشـــرق، والشمـــال، والجنـــوب.

أ ـــ الهجـــرة مـــن وإلى الشـــرق:

فـــفي الجانـــب الشـــرقي تبـــرز **مصـــر**؛ الـــتي تكـــون قـــد احتكـــت **بالأمازيـــغ** (الليبييـــن) حـــوالي 3300 سنـــة قبـــل الميـــلاد؛ حيـــث عرفـــوا ـــ آنئـــذ ـــ باســـم **التهينـــو** Tehenou. فمنـــذ هـــذا التاريـــخ بـــدأت تتكلـــم عنهـــم نقـــوش الفراعنـــة، ولوحاتهـــم الأثريـــة؛ **كلوحـــة نارميـــر، والأنشودتيـــن: الرابعـــة، والخامســـة** للآلهـــة الفرعونيـــة **نايـــت** Neit ، والآثـــار الأخـــرى الـــتي تشخـــص المقاتليـــن الليبييـــن؛ ممتشقيـــن أسلحتهـــم. كمـــا استعـــان **رمسيـــس الثـــاني** بمقاتليـــن

من **الأمازيغ**؛ في بداية القرن الثالث عشر؛ لصد هجمات **الحتيين.** واضطر **رمسيس الثالث** أيضا إلى مهادنتهم حوالي سنة 1189 ق.م؛ حيث أسكن **((عشرات الآلاف))** منهم بالدلتا.

وفي هذا الباب يقول شارل أندري جوليان: **((واستغل أحد القواد الليبيين المرتزقة الفوضى التي تبعت ذلك؛ فبسط نفوذه على هرقلة Hierakléopolis في مصر الوسطى. وغزا خليفته السابع شيشنق الأول Sheshonq1 الدلتا، وقسم الأرض بين الليبيين، وأسس الأسرة الثانية والعشرين_950 ق ـ م. ويصور لنا الفن الشعبي لأول مرة؛ مجتمعا شغوفا بالمعارك؛ مخالفا تمام المخالفة للمجتمع المصري. وخلافا لما اعتقد المؤرخون طويلا؛ فإن أحفاد رسل الإله آمون القدامى ليسوا هم الذين أسسوا مملكة نباطة Napata التي اتسعت رقعتها في أواخر القرن الثامن من الشلال الأول إلى الحبشة. وأثبتت حفريات ريسنار Reisner أن الليبيين هم الذين بسطوا نفوذهم على أرض الكوش؛ كما فعل ليبيو الشمال بالنسبة للدلتا. لقد كانوا فرسانا متحمسين لجيادهم؛ لا سائقي عربات كالفراعنة. ولم يوجد أطوع**

لتعاليم آمون، وكهنته من هؤلاء الأجانب المستوطنين بمصر. ولا شك أن المدنية المصرية أشعت بواسطتهم على الليبيين الغربيين؛ وربما بلغت أنوارها المترامية أقصى غرب إفريقيا))[1].

هذا ما سمح به المجال؛ بخصوص هجرة بعض الفئات الأمازيغية إلى مصر؛ واستقرارها في تلك الديار في العصور الفرعونية. وبالطبع لم تكن تلك الهجرة هي الأخيرة؛ بل حدثت هجرات أخرى في عصور تلتها؛ منها: انتقال القبائل التي كانت تشكل **الجيوش الفاطمية** إلى مصر؛ في مراحل عديدة. ومن بين تلك القبائل: **كتامة، وصنهاجة، وزواوة**. كما انتقلت أحياء من قبائل أخرى؛ إلى مصر تلقائيا؛ بحكم الجوار طلبا للمنفعة، وتحسين العيش؛ ومن بينهم: جماعات من قبيلة **لواتة**، وجماعات من قبيلة **هوارة**[2]. هذا بالإضافة إلى بعض الأفراد الذين اختاروا الاستقرار في الديار المصرية؛ في فترات متفاوتة؛ بعد أداء فريضة الحج. وتغلب على هؤلاء الناس صفة العلم، والمعرفة؛ فهم في الغالب **علماء**. ولم تقتصر إقامتهم في الديار

---

[1] تاريخ إفريقيا الشمالية، ج: 1، ص: 72.

[2] للتوسع أنظر موسى لقبال؛ دور كتامة.

المصرية فحسب؛ بل استقروا ـ أيضا ـ في بلاد الشام، وفلسطين.

وكما حصلت هجرات من الغرب إلى الشرق؛ حدثت ـ أيضا ـ هجرات أخرى من الشرق إلى الغرب؛ حيث كانت مصر هي المعبر الرئيسي؛ نحو بلاد الأمازيغ. فوجود جالية من الأمازيغ ببلاد النيل؛ منذ عدة قرون قبل الميلاد؛ يدعم الافتراض القائل بوجود اتصالات بين المصريين القدماء، والأمازيغ. وهذا الاتصال لا بد أن يتأثر، ويؤثر. كما أنه لا يتوقف في حدود معينة. وعليه يمكن أن يمتد التأثير ـ بواسطة الاتصال بين هذين الشعبين ـ إلى شعوب أخرى؛ من الجهة الأخرى؛ التي يفترض أنها ليست على اتصال مباشر مع الطرف الأول. وبذلك أصبحت مصر مركز الوسط؛ وبواسطته اتصل الأمازيغ بشعوب أخرى في المشرق. مثل: **الكنعانيين**، **والعبرانيين**، **والعرب**. ومن هنا.. عرفت هذه البلاد هجرات في الاتجاه المعاكس؛ من الشرق إلى الغرب؛ حيث قدم **الفينيقيون** في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد؛ في وقت كان الفينيقيون متأثرين، ومتصلين بالحضارة المصرية؛ التي كانت تضم بين أحضانها فئات من بلاد الأمازيغ.

وكتجار نشطين؛ لابد للفينيقيين من الاستطلاع؛ بواسطة الاستفسارات الشفهية أولا؛ وهو ما يوفره الأمازيغ المتواجدون معهم في المشرق. وعليه يمكن أن تكون مصر واسطة ـ بدون قصد ـ في الهجرة الفينيقية.

أما الهجرات العبرانية، والكنعانية الأخرى؛ التي ربما تكون حدثت؛ انطلاقا من فلسطين، والشام؛ فلم يظهر لها سند تاريخي قوي حتى الآن؛ وإن كانت كتب المؤرخين العرب تتكلم عنها؛ نقلا عن **نسابة البربر**، أو **نسابة العرب**؛ ولكن دون تقديم أدلة فاصلة. ومع هذا تواجدت في بلاد المغرب فئات تنتحل الديانة اليهودية؛ ويزعم أعضاؤها بأنهم من العبرانيين. مع أن وجود جماعات متدينة بالديانة اليهودية؛ لا يعني ـ بالضرورة ـ وجود جنس من اليهود العبرانيين. فكما دخلت المسيحية إلى هذه البلاد كدين؛ يمكن لليهودية أن تأتي كدين هي الأخرى. خاصة وأن المصادر التاريخية تتحدث عن قبائل من أصل أمازيغي دانت باليهودية؛ وهذا ابن خلدون يقول: **((وكذلك ربما كان بعض هؤلاء البربر دانوا بدين اليهودية؛ أخذوه عن بني إسرائيل عند**

استفحال ملكهم؛ لقرب الشام وسلطانه منهم؛ كما كان جراوة؛ أهل جبل أوراس؛ قبيلة الكاهنة؛ مقتولة العرب لأول الفتح، وكما كانت نفوسة؛ من برابر إفريقية، وقندلاوة، ومديونة، وبهلولة، وغياثة، وبنو فازان؛ من برابرة المغرب الأقصى؛ حتى محا إدريس الأكبر الناجم بالمغرب؛ من بني حسن بن الحسن؛ جميع ما كان في نواحيه من بقايا الأديان والملل))[1]. ولكن هذه الأقوال لا تمنع حدوث هجرات ــ بالفعل ــ وإن غابت الأدلة القاطعة.

والهجرات العربية ــ بدورها ــ غزها مجموعة من الأساطير؛ التي شوهت الحقيقة، ووضعتها في مسار يسوقنا إلى متاهات؛ لا تخدم التاريخ الصحيح لهذه البلاد. فإن كنا نشك في صحة كثير مما جاء في المصادر العربية؛ عن علاقة الأمازيغ بـ: **إفريقش بن صيفي، وتبع، ويقشان ابن إبراهيم الخليل، والغساسنة، ولخم، وجذام، وحمير بن سبأ، وجالوت، والعماليق، وقيس ابن عيلان**؛ فليس معنى هذا النفي القاطع لوجود آثار ما؛ تتعلق بهجرة بعض

---

[1] العبر، مج: 6، ص: 214.

الجماعات من الشرق؛ إلى بلاد الأمازيغ، واختلاطهم بسكانها، واندماجهم بهم. فكما هاجر الفينيقيون؛ يمكن لغيرهم أن يهاجروا كذلك. وعليه.. ستبقى هذه النظريات قابلة للنقاش؛ حتى يظهر ما يعزز إحداها، أو ينفيها جميعا. والحقيقة الثابتة ــ حتى الآن ــ بخصوص الهجرات العربية؛ هي: **هجرة العرب الفاتحين** في العهد الإسلامي، **وهجرة الجيوش التي بعث بها الأمويون، والعباسيون** لإخماد ثورات الأمازيغ المتتالية، **وهجرة قبائل هلال وسليم** في العهد الفاطمي. وقد استقر كثير من هؤلاء الجند، والمهاجرين في بلاد المغرب، والأندلس. وكما سبق ذكره.. فهذه الهجرات كلها؛ جاءت عن طريق مصر؛ سواء القادمة من **جزيرة العرب**، أو من **الشام**، أو من **العراق، وفارس.**

ب ــ الهجرة من وإلى الجنوب:

هذا ما سمح به المجال بخصوص الهجرات الآتية من الشرق، والذاهبة إليه. أما الهجرات الجنوبية؛ فعرفت ــ هي الأخرى ــ أخذا، وعطاء؛ من الشمال إلى الجنوب، ثم العكس؛ وإن تم في

الحال الأخيرة بشكل أقل حدة، وأكثر غموضا. فالزاحفون من الأمازيغ نحو الجنوب؛ ربما وصلوا حتى **بلاد السنغال**؛ التي يقال أن اسمها اشتق من كلمة **صناكة** أي (صنهاجة). لأن الاسم المعروف ـ سابقا لتلك الديار ـ هو **غانة** أو (غانية). ثم إلى الشرق منها **صُوصُو**، **ومالي**، **وكَوْكَوْ** أو (كاغو)، ثم **التكرور**، **وزغاي** أو (زغاوة). وتقع هذه البلاد كلها جنوب مَوَاطن الأمازيغ. وتعرضت لزحفهم؛ في فترات متفاوتة من التاريخ. ويبدو أن القبائل الأمازيغية التي نزحت إلى الجنوب هي: **صنهاجة**، **ولمطة، ومسوفة، وهوارة**. ويقول ابن خلدون: **((ثم إن أهل غانية** [غانة] **ضعف ملكهم، وتلاشى أمرهم، واستفحل أمر الملثمين؛ المجاورين لهم من جانب الشمال؛ مما يلي البربر كما ذكرناه؛ وعبروا على السودان، واستباحوا حماهم، وبلادهم؛ واقتصوا منهم الإتاوات، والجزي، وحملوا كثيرا منهم على الإسلام؛ فدانوا به))**[1]. وبالمقابل يبدو أنه حدث الشيء نفسه؛ بانتقال فئات من السودان إلى شمال مواطنهم. وإخضاعهم للأمازيغ

---

[1] العبر، مج: 6، ص: 413.

المتواجدين في عمق الصحراء. وهذا ما يشير إليه ابن خلدون؛ حين تكلم عن **منسا موسى** سلطان مالي: ((**لِمَا كان عليه منسا موسى؛ من استفحال ملكه بالصحراء الموالية لبلد واركلا؛ وقوة سلطانه**))[2]. ووجود عناصر سوداء البشرة بمواطن الأمازيغ؛ خير دليل على انتقالهم إلى هذه البلاد؛ منذ حقبة موغلة في القدم.

جـ ـ الهجرة من وإلى الشمال:

بقي علينا ـ الآن ـ التعرف على الهجرات التي تمت من المناطق الشمالية؛ نحو بلاد الأمازيغ. ويبدو أن كل ما توصل إليه الباحثون ـ في هذا الباب ـ هو أن البوادر الأولى لهذا الاتصال؛ ربما كانت بواسطة **الإغريقيين**؛ وإن كان هذا الافتراض يحتاج إلى بحث أوسع؛ لإزالة الغموض الذي خلفته الأساطير اليونانية القديمة. والثابت ـ حتى الآن ـ هو تمكن بعض الإغريقيين ـ خلال القرن السابع قبل الميلاد ـ من إقامة عدد من المستعمرات الساحلية في المنطقة المحصورة بين مصر، وطرابلس؛ تلك

---

[2] **العبر، مج: 6، ص: 415.**

المنطقة المعروفة في القديم باسم بلاد **القريني** Cyrénaique. وعن هذا يقول شارل .أ. جوليان: ((**ولم يستقر الدوريطانيون على نجد بلاد القريني** Cyrénaique **إلا حوالي سنة 631 ق.م. وكانت لهم مع الليبيين معارك عنيفة متكررة. ولكنهم اختلطوا بهم اختلاطا وثيقا، وتبنوا تقاليدهم الجنائزية، وعقائدهم، وسعوا إلى التزوج بالجميلات من نسائهم. ولئن هم أسسوا مدينة برقة في أوائل القرن السادس؛ فقد اصطدموا بقرطاج عندما كرروا محاولاتهم التوسعية**))[1]. ونتيجة لأنانية التاجر؛ التي يتميز بها القرطاجيون؛ فإنهم حرصوا على منع الاتصالات المباشرة بين الأمازيغ، والإغريقيين. ولم يتم ذلك بوضوح إلا بعد سقوط قرطاجة.

هذا عن اتصالات الأمازيغ بالإغريق. أما احتكاكهم **بالرومان**؛ الذين قدموا ــ دون قصد ــ إلى إفريقية بواسطة القرطاجيين؛ الذين مكنوهم ــ بعد هزائمهم الحربية أمامهم ــ من احتلال قرطاجة، والتعرف ــ عن قرب ــ على ثروات بلاد الأمازيغ الطبيعية. ومن هنا بدأت

---

[1] **تاريخ إفريقيا الشمالية، ج: 1، ص ص: 73ــ74.**

الفصول الأولى؛ للاحتلال الروماني، ثم الوندالي، ثم البيزنطي؛ ودام هذا من سنة 204 ق.م؛ السنة التي وطئت فيها أقدام القائد الروماني **شيبيون** أرض إفريقية؛ وحتى سنة 429 ميلادية؛ السنة التي نزلت فيها جيوش **الوندال** أرض الأمازيغ؛ حيث بقوا في هذه الديار حتى سنة 534م؛ سنة زحف **البيزنطيين**؛ الذين دام حكمهم لبلاد الأمازيغ؛ حتى قدوم الفاتحين **العرب**؛ بدءا بفتح برقة التي سقطت في أيديهم لأول مرة في سنة 642م. وخلال هذه الفترة الطويلة من الزمن؛ عرفت البلاد ـ التي أصبحت تسمى فيما بعد المغرب؛ نظرا لموقعها من بلاد العرب ـ تعرضت لملاحم، وأحداث في منتهى الأهمية؛ قامت القبائل الأمازيغية فيها بالأدوار الرئيسة. ولكن الحديث عنها بإسهاب يخرجنا عن مجال هذه الدراسة؛ لذا نتركها لمن شاء البحث فيها.

أما هجرات الأمازيغ؛ انطلاقا من بلادهم؛ في اتجاه الشمال؛ فيبدو أنهم عرفوا ـ منذ آلاف السنين؛ قبل الميلاد ـ شعوبا عديدة؛ تسكن شمال وطنهم. مثل: **الإغريق، والرومان، والوندال، والإفرنج، والجرمان، والقوط،**

والصقالبة.. وغيرهم. وهذا ما تشير إليه بعض النصوص التاريخية؛ التي تسجل وجود فئات أمازيغية ضمن الجيوش المشكلة من شعوب البحر؛ منذ بداية القرن الثالث عشر قبل الميلاد؛ وفي هذا يقول ش .أ. جوليان أنهم كانوا: **((ضمن اتحاد شعوب البحر العظيم. وهو رد فعل ضد التوسع الهندي الأوربي. وقد تحالف اللوبيون أو الليبيين مع قراصنة الشمال الليسيين، وسردان سارده أهل سغلوس** Sagalos، **وترسين أهل لمنوس، والآخيين؛ فكانوا أغلبية الجيش الذي هاجم الدلتا؛ بدون نتيجة 1227. وقد يكون أصل هؤلاء اللوبيين من الأطلس. فقد لوحظ أن أسماء قوادهم تذكر بالضبط أسماء النوميديين الوارد ذكرهم في التاريخ المألوف A. Moret . ومهما يكن من أمر فهم الذين أطلق اسمهم على ليبيا، ولعبوا في تاريخ مصر فيما بعد دورا رئيسيا؛ متزعمين كتلة غير منسجمة من التهانو Tehenou، والهندو الأوروبيين))**[1]. من هنا يحق لنا التساؤل: كيف وجدوا ضمن هذا الحلف؛ إن

---

[1] **تاريخ إفريقيا الشمالية، ج: 1، ص ص: 71ــ 72.**

لم تكن لهم اتصالات مسبقة مع أعضاء ذلك الحلف..؟

والهجرات الأمازيغية المنطلقة نحو الشمال؛ والتي ثبتت — حتى الآن — هي الهجرات التي حدثت خلال حروب قرطاجة ضد شعوب أوربا؛ إذ كان الفرسان النوميديون يشكلون جزءا كبيرا من جيشها؛ منهم من كان بقيادة ماسينيسا قبل اعتلائه عرش نوميديا. وقد كان — أيضا — إلى جانب الرومان في تلك الديار الشمالية؛ لما تغلبوا على قرطاجة. أما في العصر الإسلامي؛ فكانت شبه الجزيرة الأيبيرية مسرحا مفتوحا للقبائل الأمازيغية؛ إذ كانوا أول من دخلها في العهد الإسلامي. وتمت هذه الهجرات على مراحل عديدة؛ بدءا بالحملة العسكرية الأولى التي قادها القائد الأمازيغي **طارق بن زياد**؛ في سنة 92هـ؛ حيث بقي أعضاؤها في تلك الديار المفتوحة. وإذا علمنا أن تلك الحملة؛ كانت تتألف بالكامل — تقريبا — من عناصر **أمازيغية**؛ سيتضح عندئذ أن أول المقيمين — من المسلمين — في ديار الأندلس؛ كانوا من الأمازيغ. وقد أجمعت المصادر التاريخية على هذا؛ وإن اختلفت في تحديد عددهم بالضبط. ولكن أكثر الأقوال تقدر

عددهم باثني عشر ألفا من الأمازيغ؛ ما عدا بعض الأفراد؛ الذين لا يتجاوز عددهم العشرين. وفي هذا يقول حسين مؤنس: **((إن الجيش الذي أرسله موسى كان بربريا صرفا؛ أو يكاد)). ((ففاض سيل البربر على الأندلس، وأخذوا يستقرون في النواحي المفتوحة)). ((لأن البربر انتشروا، واستقروا من أول الأمر في كل ناحية؛ وكانت غالبية هذه الأفواج الأولى؛ من البربر المهاجرين؛ من زناتة؛ لأن الزناتيين كانوا أول البربر إسلاما، وانضماما للعرب؛ وكان طارق بن زياد منهم)). ((من الواضح أن أعدادَ من اشترك من البربر في فتح الأندلس، وفي فتوح غالة كانت تزيد عن أعداد العرب أضعافا؛ وأن هذه الأعداد لم تقتصر على من اشترك في الجيوش الغازية؛ إذ أن تيارا من الهجرة البربرية اتصل، واستمر عقب الفتح مباشرة؛ وأن شبه الجزيرة لم يلبث أن امتلأ بهؤلاء المهاجرين))**[1]. ولم تتوقف هجرات الأمازيغ عند سنوات الفتح فحسب؛ بل استمر نزوحهم إلى ديار الأندلس حتى سقوطها نهائيا في أيدي النصارى عام 897هـ.

---

[1] فجر الأندلس، ص ص: 68. 75. 128. 378.

بخلاف العرب؛ الذين توقفت هجراتهم الجماعية إلى الأندلس بانتهاء عصر الولاة؛ وبقيت تجرى بشكل فردي؛ لا غير.

وقد توفرت فرص عديدة للهجرة الأمازيغية؛ ضمن مجموعات كبيرة؛ بفضل زحف الجيوش الضخمة؛ التي انتقلت إلى تلك البلاد؛ للجهاد، أو لنجدة بعض الحكام، أو للاستيلاء عليها؛ مثل: القبائل الأمازيغية التي استنجد بها ابن أبي عامر؛ في أواخر العهد الأموي، **وجيوش المرابطين، وجيوش الموحدين**؛ التي خضعت بلاد الأندلس تحت سلطانهما، **وجيوش بني مرين** التي نهضت مرات عديدة لنجدة الأندلسيين. بالإضافة إلى الذين هاجروا هروبا من حكومات بلاد المغرب، أو من انتقام شيوخ بعض القبائل. والمصادر التاريخية تتكلم عن عدد كبير ممن هاجر بسبب ذلك. وقد ذكر ابن حزم في جمهرة أنساب العرب[1] بعض الأسر الأندلسية؛ التي تنتمي في أصولها إلى قبائل أمازيغية عديدة؛ مثل:

[1] ص ص: 498 ــ 502.

ـ **أوربة:** ومنها **أسرة صبرون؛** التي أسندت إليهم **أليشة؛** كصبرون بن شبيب، وابنه وكيل ابن صبرون.

ـ **زناتة:** ومنها **بنو الخروبيّ؛** من **لقنت؛ وبنو الليث؛** من **شنت فبلة؛** كيحيى بن محمد ابن... الليث بن شبل. **وبنو عزون؛** أمراء **شنت برية؛** وهم أبناء سعيد؛ ((الذي ينسب إليه فحص سعيد بقرب شوذر)).

ـ **زواوة:** منهم **بنو مُشرِف الشقنديون.**

ـ **كتامة:** منهم **بنو مهلب؛** أصحاب **قرْذَ يَرة، وأشْبَرَغِيَّرَة؛** التابعتين **لإلبيرة؛** ((ومنهم كان محمد بن مهلب؛ كاتب مفرج الوزير)). **وبنو قاسم؛** أصحاب **البونت.**

ـ **صدينة:** منهم **بنو عبدوس؛** أمراء **سُرِتَة.**

ـ **صنهاجة:** منهم **بنو الغليظ؛** وإليهم ينتسب الأديب أبو عبد الله محمد بن عبد الأعلى. **وبنو دراج؛** وهم أهل الشاعر الفحل أبي عمرو أحمد بن محمد بن دراج القسطلي، ومحمد بن العاصي بن أحمد بن سليمان؛ من بني ذر بن عيسى بن دراج. و يحيى بن ضريس؛ ببُلكونة؛ ((الذي صدم ابن حفصون؛ فأبطل يده بالضربة المشهورة؛ فلم يأكل ابن حفصون بيمينه

بعدهـــا، وعـــاش بعد ذلـــك نحـــو ثلاثيـــن سنـــة)). وبنـــو عبـــد الوهـــاب؛ بأشبونـــة؛ وينتمـــون إلى ميمـــون ابـــن جميـــل؛ ابـــن أخـــت طـــارق بـــن زيـــاد؛ ((وكانـــت لهـــم ثـــروة، وعـــدد؛ وكـــان منهـــم قـــواد، وكتـــاب، وفقهـــاء))؛ بـــقي ممـــن يتحلـــون بالنشـــاط منهـــم ــ في وقـــت ابـــن حـــزم ــ عبـــد الوهـــاب ابـــن محمـــد بـــن عبـــد القـــدوس؛ خطيـــب جامـــع قرطبـــة؛ ولـــه كتـــاب سجـــل فيـــه رحلتـــه إلى الحجـــاز. **وبنـــو طاهـــر بـــن منـــاع**؛ مـــن **أشُونـــَة**.

ــ **مديونـــة:** قبـــل التطـــرق للأســـر المديونيـــة ــ هنـــا ــ يستحســـن الإشـــارة إلى أن ابـــن حـــزم قـــد أدرج ضمنهـــم بعـــض الأســـر الـــتي يـــرى آخـــرون بأنهـــم مـــن **نفـــزة**. منهـــم بنـــو الزجـــالي؛ الـــوزراء. ومنـــذر ابـــن سعيـــد السومـــاتي؛ القـــاضي. وبنـــو طرينـــة بـــن غزلـــون؛ أمـــراء تيـــروال؛ وهـــم مـــن ألهاصـــة بـــن يطوفـــت بـــن نفـــزاو. أمـــا البقيـــة فالراجـــح أنهـــم مـــن مديونـــة حقـــا؛ وهـــم: خـــال بـــني ذي النـــون؛ ثابـــت بـــن عامـــر المديـــوني. **وبنـــو هذيـــل**؛ أمـــراء **شنـــت بريـــة**. **وبنـــو الخليـــع؛ بتاكُرُنـــَّا**. وزغلـــل بـــن يعيـــش بـــن فرانـــك؛ صاحـــب أم جعفـــر بالجـــوف؛ وهـــو ((الـــذي ينســـب إليـــه مسجـــد فرانـــك بقرطبـــة)). **وبنـــو عميـــرة؛ بشاطبـــة. وبنـــو نعمـــان؛**

بشنت برية؛ وهم ((رهط عامر بن فرج بن نعمان)).

ــ **مصمودة:** منهم **بنو سفيان بن عبد ربه**؛ الحاجب. **وبنو يحيى ابن كثير**؛ ((صاحب مالك؛ وكانت لهم ثروة، وعدد)). **وبنو طريف**؛ من **أشونة**؛ ((ومنهم الذي تنبأ ببرغواطة؛ فاتبعوه على دينه)). ((ومحمود، وجميلة أخته؛ التي ذاع صيتها، واشتهرت بالشجاعة، والفروسية؛ وهما ابنا عبد الجبار بن زاقلة؛ القائم بماردة)). **وبنو دانس بن عوسجة**؛ أصحاب **قُلَنْبَيْرة**؛ **وقصر دانس بالجوف**؛ ينسب إلى جدهم. ونضيف إلى هذا ما جاء في كتاب فتح الأندلس؛ حيث ذكر أنه كان **بتاكُرُنا** (في جبال رندة) أمير بربري يدعى عبد الرحمن بن عوسجة؛ وهو جد **بني دانس، وبني عوسجة** المذكورين؛ وقد تكاثرت أعدادهم ــ بعد ذلك ــ في الجنوب من **شنت برية الغربية**؛ حتى أصبحت تسمى بلاد عوسجة. **وبنو** تاجيت؛ أصحاب ماردة؛ ومنهم مسعود بن تاجيت بن **محمد بن تاجيت**؛ ((هو وأبوه وجده؛ كانوا أصحاب **قورية، ولَجْدانية**؛ ففروا؛ إذ غلب النصارى

على تلك الجهة)). **وبنو مَضَى بن تِيهَلْت**؛ أمراء **قصر مَضَى**. **وبنو رسين**؛ من **قصر مضى** أيضا. **وبنو سالم**؛ وتنسب إليهم **مدينة سالم**؛ **وبنو الفرج**؛ **بوادي الحجارة**؛ وتنسب إليهم **مدينة الفرج**؛ نسبة إلى فرج بن سالم. **وبنو أران**. وقال ابن القوطية أن زعيم الأمازيغ بجهات **مرور** ــ لدى قدوم عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس ــ كان يسمى إبراهيم بن شجرة؛ وهو من **مصمودة**.

ــ **مغيلة**: منهم **بنو إلياس**؛ أمراء **شوذنة**؛ وهم أهل أحمد بن إلياس. **وبنو زروال**؛ أمراء **المُنتانية**.

ــ **مَكناسة**: منهم **بنو وانسوس**؛ أهل الوزير سليمان بن وانسوس.

ــ **ملزوزة**: منهم **عوسجة**؛ وإليه ينسب **بلاط عوسجة بشنت برية** ((ومنهم كان إبراهيم بن براح؛ قاتل أزهر ابن مهلب المولد؛ الفارس المشهور الذكر؛ من أهل **والبة**؛ من عمل **شنت برية**)). **وبنو تيه** أو (نبيه)؛ أمراء **شنت برية**. **وبنو أبي الأخطل**؛ أمراء **شنت برية** أيضا. **وآل عامر بن وهب**؛ صاحب **وَبْذة**، وما يتبعها.

ـ **نفزة:** منهم **بنو عميرة**؛ أمراء **شاطبة**، **وبلال**؛ أمراء **هوتوتة**؛ وينتسبون جميعا إلى **بطن ألهاصة** أو (ولهاصة).

ـ **هوارة:** ومنهم **بنو القمَرَاطيّ**؛ وهم رهط أبي معدن طالوت بن بسطام بن العاصي. **وبنو ذي النون**؛ أمراء **أقْليش، ووَبْذة**. **وبنو رَزين**؛ أمراء **السَّهْلة**. **وبنو فَرْفَرين**؛ ولاة **مَدَلّين، ومَاردة**؛ ((وكان لهم ثروة، وعدد. منهم: خطار بن سعيد بن فرفرين، وأبو عمرو بن هاشم بن فرفرين؛ كلهم ولي مَدَلّين)). **وبنو جَهْوَر المَرْشانيون**؛ ((وهم من ولد أبي موسى عبد الرحمن بن موسى الفقيه؛ المشبه بالشعبي في زمانه؛ وكان لهم عدد، وثروة؛ وبقيت منهم الآن بقية صالحة)). كما نزلت بعض الجماعات من هوارة؛ في عصر الولاة ـ حسب ابن القوطية ـ بالقرب من جيان.

ـ **وُزْداجة:** ومنهم **بنو دُلَيْم**؛ الفقهاء.

وأورد حسين مؤنس ـ نقلا عن كتاب منازل البربر في الأندلس ـ لسيزار دوبلر César E. Dubler بعض الأماكن؛ التي سميت بأسماء للقبائل

الأمازيغية؛ مما يوحي بأنها كانت منازل قديمة لتلك القبائل. من هذه المنازل[1]:

— **Villa Nova de Oureni** مكان موجود الآن في **البرتغال**؛ نسبة إلى **أمازيغ وهران.**

— **Tunis** مكان يوجد حاليا؛ في **البرتغال**؛ نسبة إلى **الأمازيغ من تونس.**

— **Alquerubim** يوجد الآن في **البرتغال**؛ نسبة إلى **أمازيغ القيروان.**

— **Arzila** يوجد في **البرتغال**؛ نسبة إلى **أمازيغ أصيلا.**

— **Adzenata** يوجد في الشرق بالقرب من **قسطليون Castellon**

نسبة إلى **زناتة.**

— **Sanet** أو **Senet** بالقرب من **لاردة**؛ نسبة إلى **زناتة.**

— **Benisanet** بالقرب من **طركونة**؛ نسبة إلى **زناتة.**

— **Butsenit** بالقرب من **لاردة**؛ نسبة إلى **زناتة.**

---

[1] فجر الأندلس، ص ص: 381 — 382.

— **Barasal** بالقرب من **جواردا** في **البرتغال**؛ نسبة إلى **بني برزال من زناتة.**

— **Mequinenza** في **الثغر الأعلى**؛ عند **الابرة**؛ نسبة إلى **مكناسة.**

— **Ceneja** قرب **قسطليون**؛ نسبة إلى **صنهاجة.**

— **Cenija** إحدى ضواحي **سرقسطة**؛ نسبة إلى **صنهاجة.**

— **Azinhaga** في **البرتغال**؛ نسبة إلى **صنهاجة.**

— **Cotanes** بالقرب من **بلد الوليد**؛ نسبة إلى **كتامة.**

— **Cotanillos** أحد أحياء **شقوبية**؛ نسبة إلى **كتامة.**

— **Cotimos** و **Alcoutim** في **البرتغال**؛ نسبة إلى **كتامة.**

— **Benigomar** بناحية **أنكا**؛ نسبة إلى **غمارة.**

— **Gomara** بناحية **صورية** **Soria**؛ نسبة إلى **غمارة.**

— **Gomeriz** و **Gomeris** في **جليقية**؛ نسبة إلى **غمارة.**

— **Albornos** بناحية **أبله**؛ نسبة إلى **البرانس.**

وقد اشتملت هذه الدراسة القيمة على كثير من العينات الأخرى؛ التي تثبت الحجم الكبير الذي وصلت إليه هجرات الأمازيغ إلى بلاد الأندلس؛ واستقرارهم بها. وثمة مواضع كثيرة في بلاد الأندلس بقيت تحمل أسماء قبائل أمازيغية؛ من ذلك مثلا: **لماية** التي سمي باسمها **إقليم لماية**؛ التابع لكورة **ريه**. ويوجد في ذلك الإقليم وادي؛ يسمى ـ أيضا ـ **بوادي لماية**. ثم **صدينة** التي سميت بها المدينة المتواجدة في كور **شذونة**. ثم **مدينة أوربة** التابعة إلى **دانية**. ثم **لواتة** التابعة لأعمال **فِرِّيش**. ثم ناحية **جراوة** وهي من أعمال **فحص البلوط**. ثم **تاكرنا** التي كان يسمى بها **إقليم رندة**. ثم **أندارة** في شرق الأندلس؛ قبل أن تخرب أثناء الفتنة. وثمة أماكن بأسماء قبائل أمازيغية كثيرة في الأندلس ـ يضيق هذا المجال عن تعدادها ـ وبالطبع.. سميت هذه الأماكن بهذه الأسماء؛ نسبة إلى القبائل الأمازيغية التي تغلبت عليها، واستوطنتها.

ويبدو أن جل المناطق الشمالية التي تسمى بالثغر؛ كانت منازل للأمازيغ؛ نظرا لكون معظم أمراء تلك النواحي كانوا منهم؛ بل

تحدثنا المصادر التاريخية؛ أن المدعو **مانوسة البربري** كان يتولى إمارة الثغر الشمالي الغربي بكامله؛ **((من حدود البرت إلى المحيط))**[1]. وعن منازل الأمازيغ في الأندلس يضيف حسين مؤنس: **((وقد ذكرنا هذه المواضع على سبيل المثال، لا على سبيل الحصر؛ لنستنتج أن البربر انتشروا ــ منذ العصر الأول ــ في نواحي شبه الجزيرة كلها. وقد اكتفينا بذكر المواضع المتطرفة؛ في أقصى الشمال الشرقي، والشمال الغربي؛ وتركنا غير ذلك؛ من مواضع الوسط، والجنوب، والجنوب الشرقي، والجنوب الغربي؛ إذ لا تكاد تخلو ناحية من هذه النواحي، أو مدينة من مدنها من منازل بربرية... بيد أننا نستطيع القول: بأن المواضع التي قامت فيها إمارات بربرية فيما بعد؛ أو التي ولي عليها أمراء بني أمية، وخلفاؤهم ولاة من البربر؛ كانت منازل بربرية من قديم الزمان؛ لأن الأمراء لا يولون أميرا بربريا على ناحية معظم سكانها عرب، أومن أهل البلاد. ومن غير الممكن كذلك أن تقوم إمارة بربرية في ناحية لا يغلب على سكانها العنصر**

---

[1] فجر الأندلس، ص: 384.

البربـــري؛ لأن حكـــم هـــذه النـــواحي كـــان لا يقـــوم إلا عـــلى عـــــزْوَة، وعصـــب متأصليـــن))[1]**.**

ثـــم يكمَـــل حسيـــن مؤنـــس قولـــه؛ معلقـــا عـــلى مـــا كتبـــه ابـــن حـــزم عـــن أمـــراء الثغـــر مـــن الأمازيـــغ: **((أضـــف إلى ذلـــك؛ أن مجموعـــة منـــازل البربـــر الـــتي ذكرهـــا ابـــن حـــزم تكَـــوِّنُ خطـــاًّ واحـــدا؛ يبـــدأ مـــن نـــواحي جبـــال ألبـــرت؛ عنـــد لاردة، ووشقـــة؛ ثـــم ينحـــدر إلى ناحيـــة مدينـــة سالـــم (قاعـــدة الثغـــر الأوســـط فيمـــا بعـــد)؛ فقـــد نزلهـــا بنـــو سالـــم مـــن البرانـــس، وأعطوهـــا اسمهـــم؛ وسكـــن إلى جوارهـــم بنـــو الفـــرج، وبنـــو عوسجـــة. وفي الدائـــرة الواسعـــة الـــتي تحيـــط بمدينـــة سالـــم؛ والـــتي تضـــم شنتبريـــة، والسهلـــة، ووادي الحجـــارة؛ نجـــد كتلـــة بربريـــة ضخمـــة تعمـــر هـــذه النـــواحي كلهـــا إلى أحـــواز طليطلـــة؛ وهـــذه الكتلـــة تتكـــون مـــن بـــني الفـــرج، وبـــني سالـــم، وبـــني عوسجـــة، وبـــني صبـــرون بـــن شبيـــب، وآل وهـــب بـــن عامـــر الهوارييـــن؛ وكـــل هؤلاء مـــن البرانـــس؛ ثـــم بـــني عـــزون، وبـــني بـــلال، وبـــني نعمـــان؛ وكلهـــم مـــن البتـــر. وتمتـــد هـــذه الكتلـــة البربريـــة شرقـــا؛ فتشمـــل تيـــروان؛ حيـــث نـــزل بنـــو غزلـــون،**

---

[1] فجـــر الأندلـــس، ص ص: 382 ـــ 383.

وناحية البونت؛ حيث نزل بنو قاسم؛ ثم تتصل هذه السلسلة البربرية ــ بناء على البيانات التي يقدمها صاحب الأخبار المجموعة ــ فتشمل مناطق طلبيرة (جنوب طليطلة)، ومادة، وقورية؛ بين التاجه، والدويرة؛ ثم تصل إلى ساحل المحيط؛ عند قلنبيرة؛ حيث نجد فرعا من بني عوسجة، وبني دانس؛ عند قصر أبي دانس. ويذكر ابن حزم فرعا من بني الفرج استقروا في طرسونة؛ أي فيما يلي جبال ألبرت؛ من نواحي غالة؛ وهذه الجماعة إن هي إلا بقية من البربر الذين كانوا يعمرون النواحي القصية من الأندلس؛ والذين كانوا يمتدون بحذاء خليج بسكاية؛ ويعمرون حوض نهر المنيو، ويتوغلون في جليقية))[1].

ومع مرور الزمن اندمج أمازيغ الأندلس بأهل تلك الديار؛ واختلطوا بهم، وبالعرب المقيمين هناك؛ وتزاوجوا فيما بينهم، وارتووا جميعهم بثقافة واحدة؛ تعذر بعدها الفرز بين من هو مولد من الأندلسيين، ومن هو عربي من الفاتحين، أو هو من الأمازيغ المهاجرين؛ فأضحوا يطلقون على أنفسهم اسم **البلديين**؛

---

[1] فجر الأندلس، ص ص: **384 ــ 385.**

تفريقا بينهم وبين **المهاجرين** الجدد. وكان الأمازيغ أسرع للاندماج مع أهل البلاد الأصليين من العرب. ويعود السبب في ذلك ـ كما يقول حسين مؤنس ـ إلى **العصبية** المهيمنة على سلوك العرب.

هذا ما سمح به المجال في هذا الباب. وبقي علينا الانتقال إلى الحديث عن القبائل الأمازيغية؛ **بتقسيماتها**، **وأنسابها**، **ومواطنها**، **وأعيانها**، **والأدوار الهامة** التي قامت بها؛ عبر التاريخ. ونظرا لما سبق ذكره عن سلسلة نسب مادغيس الأبتر، وبرنس؛ وما توصلنا إليه من عدم ثبوت سلسلة الآباء؛ لما بعد **مادغيس الأبتر**، **وبرنس**؛ وتضارب الأقوال في هذا الأمر؛ فإنني سأكتفي بذكر أهم القبائل التي تفرعت عن هذين الجذمين: **البتر**، **والبرانس**. علما بأن التقسيمات الاصطناعية، والمراتب المتداولة بين النسابين العرب؛ لا يمكن إتباعها بدقة؛ في هذا المجال؛ بسبب عدم وضوحها في المجتمع القبلي الأمازيغي. وكل ما يمكن تقريره هنا.. هو اعتبار المراتب المتفرعة عن البتر، والبرانس بمثابة **أحلاف** أو **جمهرات**؛ تتفرع بدورها إلى قبائل، ثم بطون، وأفخاذ.

وهذه التسميات — بالطبع — مجازية؛ وليست اصطلاحات ثابتة. والغرض من استعمالها — هنا — هو الرغبة في التوضيح، وتسهيل الفهم.

É É É

القبائل البترية

فـإذا كـان النسابة الأمازيغ، والعرب قد أسندوا عبارة **أبتر** إلى **مادغيس**؛ فإن بعض الباحثين المحدثين لا يخفون شكهم في صحة ذلك؛ إذ منهم من يعتقد أن هذه التسمية؛ من مبتكرات العرب؛ الذين أطلقوها على القبائل الأمازيغية التي كانت ترتدي لباسا قصيرا، وأبترا. وبذلك أضحت هذه التسمية علما يختصون به. وهذا التفسير ــ وإن كان منطقيا ــ فهو يفتقر إلى السند التاريخي. وقال آخرون أن **براً** أنجب ولدين: علوان، ومادغيس؛ فمات علوان في صغره، وبقي مادغيس فريدا؛ فلقب بالأبتر؛ أي أصبح مبتورا، ومقطوعا. وهذه الحكاية تدخل في سياق ما أشرنا إليه من أساطير. ومنهم من يصر ــ أيضا ــ على اعتبار القبائل البترية قبائل وبرية؛ تجري وراء النجعة. ويعتقد هؤلاء بأن هذه القبائل تشكلت؛ من خلال اتحادات قبلية؛ تعتمد في عيشها على الجمال، والرحلة من مكان إلى آخر؛ بتشجيع، ومباركة الأباطرة الرومان. وعليه تكون القبائل البترية ــ في نظرهم ــ هي **قبائل**

وبرية؛ بينما يضعون القبائل البرنسية في عداد **القبائل المدرية**؛ التي تركن إلى الاستقرار. ويبدو أن مرجعهم في هذا التعليل يستند إلى الكلمتين اليونانيتين: **Botros بوتروس**؛ التي تعني البدو، والرعاة. ثم **Baranos برانوس** التي يقصد بها أولئك الذين اختاروا حياة الاستقرار. ومع أن هذا التفسير فيه كثير من الصحة في شكله العام؛ إلا أنه لا ينطبق على القبائل البترية كافة؛ حيث ثبت أن بعض البطون البترية اختارت حياة الاستقرار، وسكنى المدر؛ منها بطون من: **نفزاوة، ومطغرة، ولواته، وكومية، ومغلية، ومديونة**...الخ. ويبدو أن مبعث هذا الاعتقاد؛ هي النظرة الأولية لتلك القبائل؛ التي تميزت في العصور الأولى بظاهرتي: البداوة، والترحال. غير أن بعض البطون اختارت ــ فيما بعد ــ الحياة المستقرة.

ونظرا لغياب الدليل القاطع؛ يستحسن التسليم بالرأي القائل بوجود أب للقبائل البترية؛ يدعى **مادغيس الأبتر**؛ لأن النّسابة الأمازيغ أنفسهم أجمعوا على هذا. على أنه يمكن اعتبار كلمة أبتر؛ صفة لأسلوب عيش مادغيس، وأبنائه؛ ذلك الأسلوب الذي يتميز

بالبداوة. والأخذ بهذا الرأي لا يعني التسليم بالتعليل اللغوي؛ الذي يفسر الكلمة باللباس الأبتر؛ أو أسطورة تلقيب مادغيس بالأبتر؛ بعد موت أخيه علوان. كما أميل ــ أيضا ــ إلى رواية النسابين الأمازيغ؛ التي تفيد بأنه كان لمادغيس الأبتر ولد يدعى **زحيك** أو (زجيك)؛ وعنه تفرعت قبائل أربع؛ هي من الكبر؛ والضخامة؛ إلى حد يمكن وضع كل حي منها في مرتبة أعلى من مستوى قبيلة. قد يكون في مستوى **شعب**، أو **جمهرة.** وذلك في حال إتباع الترتيب الاصطناعي المعروف لدى النسابين. وهكذا.. فالأحياء التي تفرعت عن زحيك تنتسب إلى أبنائه الأربعة؛ وهم: **أداس**، **وضرا** أو (ضري)، **ولوا**، **ونفوس.** وهذه الأحياء هي: **أداسة**، **وضريسة**، **ونفوسة**، ثم أبناء **لوا الأكبر** (لواتة، ونفزاوة).

É É É

1 ـ أداسة:

وهم أبناء **أداس بن زحيك بن مادغيس الأبتر.** وقد التحقت قبائل أداسة، وبطونها بأحياء هوارة البرنسية؛ لأن أم أداس تزوجت ـ بعد زحيك ـ بوالد هوار (أوريغ بن برنس)؛ حسب الرواية المنسوبة إلى نسابة الأمازيغ. وقد تفرعت عن أداسة بطون، وأفخاذ عديدة؛ لا يعرف عنها الكثير؛ بسبب التحامها بقبائل هوارة؛ فتداخلت أخبارهم جميعا. وعليه.. سنكتفي بذكر أسمائها؛ وهي: أندارة، **وأوطيطة، وترهونة، وصنبرة، وهداغة، وهترولة، وشتاتة.**

***

ـ *مواطنهم*: ذكر ابن خلدون ـ نقلا عن المسعودي والبكري ـ أن مواطن **بني أداس** تدخل في **موطن هوارة؛** بحكم الجوار، والحلف. وكانت مواطن هوارة عند الفتح الإسلامي في جهات **طرابلس،** وما يليها إلى **برقة.** وكان بعضهم مستقرا في أوساط مَدَرِيَّة، وبعضهم الآخر أهل وبر وظواعن؛ طلبا للنجعة. وعليه.. فقد توغلت أحياء منهم في القفار؛

قاطعة المفازة الكبرى؛ متجاورة، ومتشاركة ــ في تلك الربوع ــ مع أحياء **لمطة**؛ بمحاذاة **السودان**[1]. وما يقال عن هوارة يصح قوله عن قبائل **أداسة**.

É É É

2 ــ ضريسة:

تنسب قبيلة ضريسة إلى **ضري بن زحيك ابن مادغيس الأبتر**. وعن ضري تفرعت: القبائل المعروفة **ببني فاتن بن تمصيت بن ضري**، والقبائل المنسوبة إلى **يحيى بن ضري**. فقبائل **فاتن** هي: **درنة، وصدينة، وصطفورة** (التي عرفت فيما بعد باسم كومية)، **وكشاتة، ولماية، ومديونة، ومطغرة، ومطماطة، ومغيلة، وملزوزة**. أما قبائل **يحيى بن ضري** فهي: **زناتة، وزوارة، وزواغة، ومكناسة**. وسيقتصر كلامنا على القبائل التي لها ذكر في تاريخ المغرب؛ أما القبائل الأخرى فنتركها؛ لعدم الفائدة منها[2]. ومن أعيان ضريسة المذكورين؛

---

[1] **ابن خلدون؛ العبر، مج: 6، ص ص: 170 . 229 ــ 230.**

[2] **نفسه، ص ص: 180 ــ 181.**

والذين احتفظوا باسم القبيلة الأم؛ النسابة الشهير **هاني بن بكور الضريسي**.

É É É

أ ـ بنو فاتن:

تكاد القبائل البترية بكاملها تجتمع ضمن جمهرتين عظيمتين: تنتمي الأولى إلى **فاتن بن تمصيت بن ضري**، وتنتسب الأخرى إلى **يحيى ابن ضري**. وقد انتشرت هاتان الجمهرتان ـ بقبائلهما ـ عبر بلاد المغرب كلها. وكان لهما أثر كبير في تاريخ المغرب الإسلامي. واختصت قبائل بني فاتن ـ قديما ـ بمواطنها الأولى في المغرب الأقصى؛ ثم تفرقت جموعهم ـ فيما بعد ـ عبر المغربين: الأوسط، والأدنى. كما توغلوا في القفار الداخلية. وأهم قبائلهم هي:

É É É

(1) ــ كوميــــة:

هــم مــن أبنــاء **فاتــن.** وكانــت هــذه القبيلــة تعــرف ــ في القديــم ــ باســم **صطفــورة.** وتفرعــت عنهــا ثــلاث عمائــر؛ هــم: **بنــو يلــول، وصغــارة، وندرومــة.** وكوميــة ــ كمــا هــو معلــوم ــ هي قبيلــة عبــد المؤمــن بــن علــي (ت: سنــة 558هـ/1162م)؛ مؤســس الدولــة الموحديــة. وهــو مــن بيــت **بــني عابــد**؛ المتوطنيــن **بحصــن تاجــرا**؛ بالجبــل المشــرف علــى مدينــة **هنيــن**؛ في ناحيتــه الشرقيــة. هــذا وقــد تميــزت هــذه القبيلــة ــ في العهــد الموحــدي ــ بكثــرة العــدد، ومضــاء الشوكــة؛ حيــث كانــت تشكــل القــوة الضاربــة، والرادعــة في عهــد عبــد المؤمــن. فــهي درعــه، وعصبتــه. ولمــا كانــت الدولــة تعتمــد علــى هــذه القبيلــة في صــد المخاطــر كافــة، وقمــع أهــم الفتــن، والثــورات؛ فقــد أهلكــت أبناءهــا الحــروب، وأكلتهــم الأقطــار الواســعة؛ فانقرضــوا مــع مــرور الوقــت. وبقيــت منهــم ــ في عهــد ابــن خلــدون ــ فئــات صغيــرة؛ بمواطنهــم الأولى؛ **كبــني عابــد، وبــني سنــوس**؛ وهــم جميعــا ــ في تلــك الآونــة ــ مــن القبائــل الغارمــة؛ بعــد أن أذلتهــم قبائــل زناتــة، وإمارا‌تهــا[1].

---

[1] العبــر، مج: **6**، ص ص: **257 ــ 261.**

وذكــر عبــد الواحــد المراكــشي؛ في كتابــه المعجــب؛ هــذه القبيلــة؛ فقــال بأنهــا كانت قبــل ظهــور الموحديــن قبيلــة كثيــرة العــدد؛ ولكنهــا لــم تصــل إلى مرتبــة الرئاســة مــن قبــل؛ حيــث كــان أبناؤهــا يعملــون في الفلاحــة، والــرعي، والتجــارة البسيطــة بالأســواق[2]. بذلــك يمكــن تصنيفهــم مــن بيــن أهــل المــدر؛ مــن سكــان الأريــاف.

! ! !

ـــ ***أعيانهــم:*** سِجــلُّ هــذه القبيلــة يزخــر بالأعيــان، وعظمــاء الرجــالَ؛ منهــم الملــوك، والقــادة، والرؤســاء. كمــا نبــغ مــن بينهــم رجــال علــم، وأدب؛ نبــدأ بهــم:

ـــ هــاني بــن مصــدور بــن مَريــس بــن نقــوط. وهــو النسابــة الذائــع الصيــت في أقطــار المغــرب كلهــا.

ـــ ثــم أبــو محمــد عبــد المؤمــن بــن عــلي بــن مخلــوف بــن يعــلى بــن مــروان الكــومي (تــوفي برباــط ســلا سنــة 558هــ)؛ بينمــا كــان متجهــا إلى الأندلــس للجهــاد. وهــو المؤســس الفعــلي للدولــة

---

[2] المعجــب، ص: 339.

الموحديـــة ببـــلاد المغـــرب. ولـــد ببلـــدة تاجـــرت (تاجـــرا) بالقـــرب مـــن تلمســـان؛ مـــن والديـــن بسيطيـــن؛ إذ كـــان والـــده صانـــع فخـــار. خـــرج مـــن بلدتـــه سعيـــا وراء العلـــم؛ فالتـــقى بابـــن تومـــرت في طريقـــه؛ قـــرب بجايـــة؛ فلازمـــه؛ وتحالفـــا عـــلى الإطاحـــة بالدولـــة اللمتونيـــة. ثـــم عـــاد أدراجـــه مـــع ابـــن تومـــرت نحـــو المغـــرب؛ أيـــن أشعـــلا الثـــورة عـــلى المرابطيـــن. وبمـــوت ابـــن تومـــرت أسنـــد إليـــه الموحـــون مهـــام الخلافـــة؛ فأورثهـــا بنيـــه؛ بعـــد تشييـــده الدولـــة الموحديـــة الكبـــرى؛ الـــتي امتـــدت مـــن الأندلـــس شمـــالا إلى المفـــازة الصحراويـــة جنوبـــا، ومـــن المحيـــط الأطلـــسي غربـــا إلى برقـــة شرقـــا. ولـــم تقتصـــر مناقبـــه عـــلى براعتـــه في الحكـــم وإدارة الدولـــة، وقيـــادة الجيـــوش فحســـب؛ بـــل يعتبـــر مـــن العلمـــاء؛ في الشريعـــة، كمـــا كـــان ضليعـــا في فنـــون الأدب. وقـــد أورد المراكـــشي قصيـــدة لـــه قالهـــا مستنفـــرا عـــرب هـــلال؛ حاثـــا إياهـــم عـــلى الغـــزو بـــلاد الأندلـــس: غيـــر أن عبـــد الملـــك بـــن صاحـــب الصـــلاة ينسبهـــا لكاتـــب عبـــد المؤمـــن عبـــد الملـــك ابـــن عيـــاش؛ وإن كانـــت شاعريـــة عبـــد المؤمـــن حقيقـــة لا تنكـــر[1].

---

[1] المعجـــب، ص: 225. تاريـــخ المـــن بالإمامـــة، ص: 415.

أقِيمُوا إلى العَلْيَاءِ هُــوجَ الرَّوَاحِـــلِ
وَقودُوا إلى الهَيْجَاءِ جُرْدَ الصَّوَاهِـــلِ
وَقُومُوا لِنَصْــرِ الدِّين قَوْمَــة ثَائِــرٍ
وَشُدُّوا عَلىَ الأعْدَاءِ شَــدَّة صَائِــلِ
فَمَا العِــزُّ إلاَّ ظَهْرُ أجْــرَدَ سَابِــحٍ
يَفُوتُ الصَّبَــا فِي شَدَّةِ المُتَوَاصِــلِ
وَأبْيَــضَ مَأثــور كَــأنَّ فِرِنْــدَهُ
عَلَى المَــاءِ مَنْسُوجٌ وَلَيْسَ بسَائِــلِ
بَنِي العَمِّ مِنْ عُلْيَــا هِلاَل بْنِ عَامِــرِ
وَمَا جَمَعَتْ مِنْ بَاسِلٍ وَابْنِ بَاسِــلِ
تعَالَوْا فَقَدْ شُدَّتْ إلىَ الغَــزْوِ نِيَّــة
عَوَاقِبُهَــا مَنْصُــورَة بالأوَائِــــلِ
هِيَ الغَزْوَة الغَرَّاءُ وَالمَوْعِــدُ الَّــذِي
تَنَجَّــزَ مِنْ بَعْدِ المَــدَى المُتَطَــاوِلِ
بِهَا تُفْتَح الدنْيَــا، بِهَــا تُبْلَغُ المُــنَى
بِهَا يُنْصَفُ التَّحْقِيقُ مِنْ كُلِّ بَاطِــلِ
أهَبْنَا بِكُمْ لِلْخَيْــرِ وَاللَّــهُ حَسْبُنَــا
وَحَسْبُكُمُو وَاللَّــهُ أعْــدَلُ عَــادِلِ
فَمَــا هَمُّنَــا إلاَّ صَلاَحُ جَمِيعِكُــمْ
وَتَسْرِيحُكُمْ فِي ظِلِّ أخْضَرَ هَاطِــلِ
وَتَسْوِيغُكُمْ نُعْمَى تَــرِفُّ ظِلاَلُهَــا
عَلَيْكُمْ بِخَيْرٍ عَاجِــلٍ غَيْــرَ آجِــلِ

فَــلاَ تَتَوَانَــوا فَالبِــدَارُ غَنيمَـــــة
وَلِلْمُدْلِجِ السَّارِي صَفَــاءُ المَناهِــلِ

ومــع حــب عبــد المؤمــن للعلــم والعلمــاء، ومشاركاتــه الشعريــة، والأدبيــة؛ إلاَّ أنَّ عشقــه للحــرب، وفنونهــا مَلَــكَ عليــه مشاعــره. وفي هــذا أورد المراكــشي خبــرا عــن أبي جعفــر أحمــد بــن عطيــة؛ وزيــر عبــد المؤمــن؛ قــال: **((دخلــت عــلى عبــد المؤمــن؛ وهــو في بستــان لــه قــد أينعــت ثمــاره، وتفتحــت أزهــاره، وتجاوبــت عــلى أغصانهــا أطيــاره، وتكامــل في كــل جهــة حسنــه؛ وهــو قاعــد في قبــة مشرفــة عــلى البستــان؛ فسلمــت، وجلســت، وجعلــت أنظــر يمنــة، وشمــأة؛ متعجبــا ممــا أرى مــن حســن ذلــك البستــان؛ فقــال لي: يــا أبــا جعفــر؛ أراك كثيــر النظــر إلى هــذا البستــان؛ قلــت: يطيــل اللــه بقــاء أميــر المؤمنيــن؛ واللــه إن هــذا لمنظــر حســن... فسكــت عــني؛ فلمــا كــان بعــد يوميــن أو ثلاثــة؛ أمــر بعــرض العسكــر؛ آخــذي أسلحتهــم؛ وجلــس في مكــان مطــل؛ وجعلــت العسكــر تمــر عليــه؛ قبيلــة بعــد قبيلــة، وكتيبــة إثــر كتيبــة... فلمــا رأى ذلــك التفــت إلي وقــال: يــا أبــا جعفــر؛ هــذا هــو المنظــر الحســن؛**

لا ثمارك، وأشجارك))[1]. ويقال أنهم وجدوا على ظهر كتاب الحماسة؛ الذي كان يطالعه؛ أبياتا بخط يده جاء فيها:

وَحَكِّمِ السَّيْفَ لاَ تَعْبَأ بعَاقِبَةٍ
وَخَلِّهَا سِيرَةً تَبْقىَ عَلىَ الحِقَبِ
فَمَا تُنَالُ بِغَيْرِ السَّيْفِ مَنْزِلَة
وَلاَ تُرَدُّ صُدُورُ الخَيْلِ بِالكُتُبِ

ومن شعره قصيدة بعث بها ــ ضمن رسالة ــ مبشرا ابنه بانتصاره على النصارى، وفتحه للمهدية؛ قال فيها:

وَلَمَّا قَضَيْنَا بالَمشَارق أمْرَنَا
وَتَمَّ مُرَادُ اللَّهِ فِي كلِّ مَطْلَبِ
وَأشْرَقَتِ الشَّمْسُ الُمنيرَة فَوْقَنَا
وَأصْبَحَ وَجْهُ الحَقِّ غَيْرَ مُحَجَّبِ
وَطُهِّر هَذَا الصُّقْع مِنْ كُلِّ كَافِر
وَعَادَ بِهَا الإِسْلاَمُ بَعْدَ تَغَيُّبِ
وَكُسِّرَتِ الصُّلْبَانُ فِي كلِّ بَيْعَةٍ
وَنَادَى مُنَادِي الحَقِّ فِي كُلِّ مَرْقَبِ
أشَرْنَا بأعْنَاق الَمطِيِّ إلَيْكُمُ
فَطَارَ بِهَا شَأوُ السُّرُورِ بِمَغْرِبِ

---

[1] المعجب، ص ص: 201 ــ 202.

فَابْشِــرْ أبَا حَفْصٍ بنَصْــرٍ مُــؤَزَّرٍ
كَفِيلٍ بِمَا تَبْغِيــهِ فِي كُلِّ مَذْهَــبِ
وَلاَ بُــدَّ فِي يَوْمٍ أغَــرَّ مُحَجَّــلِ
يُسيلُ دِمَاءَ الكُفْرِ فِي كُلِّ مَذْهَــبِ
وَتُشْــفَى صُدُورُ المُؤْمِنيــنَ بغَــزْوَةٍ
تَكُونُ عَلَى حُكْمِ الحُسَامِ المُــدَرَّبِ
وَيَغْزُو بِلاَدَ الرُّومِ جَيْــشٌ عَرَمْــرَمٌ
تُخُيِّــرَ مِنْ قَيْسٍ وَأبْنَــاءُ يَعْــرُبِ
تَصُولُ بِهِ مِنْ عُصْبَةِ الحَــقِّ مَعْشَــرٌ
بجُمْلَــةِ مَا يَلْقَاهُ خَيْــرُ مُجَــرَّبِ
فَيُدْمَــغُ بِالصَّمْصَــامِ كُلُّ مُجَاهِــرٍ
وَيُقْطَــعُ بالبُرْهَــانِ كُلَّ مُشَغِّــبِ
فَطُوبَى لأهْلِ الغَــرْبِ مَاذَا يَرَونَــهُ
مِنَ النَّصْــرِ وَالفَتْحِ المُبينِ المُقَــرَّبِ

وهكــذا تــرى؛ كيــف كــان عبــد المؤمــن يعتقــد في انتمائــه ــ هــو، ومــن معــه ــ إلى العــرب؛ الممثليــن بقيــس عيــلان، ويعــرب بــن قحطــان. ومــع هــذا.. لــم يقتصــر في معاناتــه الشعريــة عــلى أغــراض الحماســة فحســب؛ بــل يقــال أنــه خــرج يومــا؛ مــع وزيــره أبي جعفــر ابــن عطيــة في نزهــة؛ وشاهــد أثنــاء عودتهمــا جاريــة في منتــهى الجمــال؛

خلف شباك من الخشب تنظر إليه؛ فقال مرتجلا:

قَدَّتْ فُؤَادِي مِنَ الشُّبَّاكِ إِذْ نَظَرَتْ

فأجاز أبو جعفر بقوله:

حَوْرَاءُ تَرْنُو إِلَى العُشَّاقِ بِالْمُقَلِ

فقال عبد المؤمن:

كَأَنَّ لَحْظَهَا فِي قَلْبِ عَاشِقِهَا

فقال أبو جعفر:

سَيْفُ الْمُؤَيَّدِ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِي

ـ ثم **أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الكومي** (ت: سنة 580هـ/1184م)؛ أحد سلاطين الدولة الموحدية العظماء. كان ـ إلى جانب منصبه السياسي ـ عالما بالعلوم الشرعية، والأدبية؛ وكان ملما بالحكمة، والفلسفة؛ ومحبا للعلماء، وأهل الفكر؛ إذ جلب إلى بلاطه نخبة من علماء عصره آنذاك؛ مثل: ابن الطفيل، وابن رشد، وابن زهر وغيرهم. ووصفه المراكشي بقوله: **((كان أحسن الناس ألفاظا بالقرآن، وأسرعهم نفوذ خاطر في غامض**

مسائل النحو، وأحفظهم للغة العربية... مع إيثار للعلم شديد، وتعطش إليه مفرط. صح عندي أنه كان يحفظ أحد الصحيحين ــ الشك مني: إما البخاري، أو مسلم؛ وأغلب ظني أنه البخاري ــ حفظه في حياة أبيه بعد تعلم القرآن؛ هذا مع ذكر جمل من الفقه؛ وكان له مشاركة في علم الأدب، واتساع في حفظ اللغة، وتبحر في علم النحو حسبما تقدم؛ ثم طمح به شرف نفسه، وعلوّ همته إلى تعلم الفلسفة؛ فجمع كثيرا من أجزائها؛ وبدأ من ذلك بعلم الطب؛ فاستظهر من الكتاب المعروف بالملكي أكثره؛ مما يتعلق بالعلم خاصة؛ دون العمل؛ ثم تخطى ذلك إلى ما هو أشرف منه من أنواع الفلسفة؛ وأمر بجمع كتبها؛ فاجتمع له منها قريب مما اجتمع للحكم المنتصر بالله الأموي.))[1]. وكانت علامته **((الحمد لله وحده))**؛ وسك الدنانير اليوسفية.

---

[1] المعجب، ص ص: 237 ــ 238.

ـ ثم **أبو يوسف المنصور يعقوب بن يوسف ابن عبد المؤمن الكومي** (ت: سنة 595هـ/1198م)؛ كان من أعظم سلاطين الدولة الموحدية؛ ترك بصماته بارزة في نظام الدولة، ومؤسساتها الإدارية، والعسكرية، والثقافية، والدينية. فهو إلى جانب حزمه، ودهائه، وحنكته السياسية، والعسكرية؛ يتمتع بمزايا علمية، وثقافية لا بأس بها؛ ولكنه يتميز بالتعصب إلى مذهبه، وبقمع الأفكار المتجددة النيرة، وبكبحه لكل مبادرة أو اجتهاد. وفي عهده شهدت الدولة الموحدية تحولات مذهبية خطيرة؛ منها: إحراق كتب الفروع، والتضييق على الفقهاء من المالكية؛ حيث ألزمهم حدودا سطرها بنفسه في الإفتاء؛ حاصرا ذلك فيما نص به القرآن الكريم، وما ثبت في الصحاح من كتب الحديث. وقد تطرق المراكشي في كتابه المعجب لتلك الأحداث بقوله[2]: **((وفي أيامه انقطع علم الفروع، وأمر بإحراق كتب المذهب؛ بعد أن يجرد ما فيها من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، والقرآن؛ ففعل ذلك، فأحرق منها جملة في سائر البلاد؛ كمدونة**

---

[2] المعجب، ص ص: 278 ــ 279.

سحنون، وكتاب ابن يونس، ونوادر ابن أبي زيد، ومختصره، وكتاب التهذيب لبراذعي، وواضحة ابن حبيب، وماجانس هذه الكتب، ونحا نحوها. لقد شهدت منها وأنا يومئذ بمدينة فاس؛ يؤتى منها بالأحمال؛ فتوضع ويطلق فيها النار؛ وتقدم إلى الناس في ترك الاشتغال بعلم الرأي، والخوض في شئ منه؛ وتوعد على ذلك بالعقوبة الشديدة؛ وأمر جماعة ممن كان عنده من العلماء المحدثين بجمع أحاديث من المصنفات العشرة: (الصحيحين، والترميذي، والموطأ، وسنن أبي دود، وسنن النسائي، وسنن البرار، ومسند ابن أبي شيبة، وسنن الدارقطني، وسنن البيهقي) في الصلاة، وما يتعلق بها؛ على نحو الأحاديث التي جمعها محمد بن تومرت في الطهارة؛ فأجابوه إلى ذلك؛ وجمعوا ما أمرهم بجمعه؛ فكان يمليه بنفسه على الناس، ويأخذهم بحفظه؛ وانتشر هذا المجموع في جميع المغرب، وحفظه الناس من العوام، والخاصة؛ فكان يجعل لمن حفظه الجعل السني؛ من الكسا، والأموال؛ وكان قصده في الجملة محو مذهب مالك، وإزالته من المغرب مرة واحدة؛ وحمل

الناس على الظاهر من القرآن، والحديث؛ وهذا المقصد بعينه كان مقصد أبيه، وجده)).

ومن منجزات المنصور التنظيمية، والعمرانية: أنه أول من خط العلامة بيده من سلاطين الموحدين؛ وهي: **((الحمد لله وحده))**، وسك الدنانير اليعقوبية، وشيد الجامع الأعظم بمراكش، وبنى عددا كبيرا من المدارس، والمساجد، والصوامع، والقناطر، والمستشفيات بالأندلس، والأقطار المغربية كلها؛ كما حفر آبار المياه، وخصص للعلماء، وطلبة العلم مرتبات ثابتة، وهو الذي بنى مدينة رباط الفتح.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن أحمد سعيد بن عبد الله الشنت مري الكومي** المعروف بقنون أو (جنون) (ت: سنة 599هـ/1202م)؛ كان من المحدثين والحفاظ؛ الذين يظهرون عناية بعلمهم؛ من مؤلفاته: البستان في علم القرآن، وفتح المنغلق وجمع المفترق، والزلفة والإرشاد إلى ما قرب وعلا من الإسناد، وغيره.

ـ ثم الأمير الشاعر **أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن بن علي** (ت: سنة 604 هـ/1207م)؛ كان واليا على بجاية؛ أين انهمك في محاربة ابن غانية، ومطاردته بسهوب إفريقية؛ ولما ولي سجلماسة سهر على مطاردة قطاع الطرق التجارية، ولصوص الصحراء، واعتنى بتمهيد السبل نحو إفريقية السوداء. ونقل المقري عن كتاب رحلة ابن حمويه السرخسي؛ خَبَرَ لِقَائِهِ بأبي الربيع؛ جاء فيه[1]: **((فرأيته شيخا بهيَّ المنظر، حسن المخبر، فصيح العبارة باللغتين: العربية، والبربرية؛ ومن كلامه في جواب رسالة إلى ملك السودان بغانة؛ ينكر عليه تعويق التجار؛ قوله : نحن نتجاور بالإحسان؛ وإن تخالفنا في الأديان، ونتفق على السيرة المرضية، ونتألف على الرفق بالرعية؛ ومعلوم أن العدل من لوازم الملك في حكم السياسة الفاضلة؛ والجور لا تعانيه إلا النفوس الشريرة الجاهلة؛ وقد بلغنا احتباس مساكين التجار، ومنعهم من التصرف فيما هم بصدده؛ وتردد الجلاَّبة إلى بلد مفيد لسكانها، ومعين على التمكن من استيطانها؛**

---

[1] نفح الطيب، ج: 3، ص: 105.

ولو شئنا لاحتبسنا من في جهاتنا من أهل تلك الناحية؛ لكنا لا نستصوب فعله، ولا ينبغي لنا أن ننهَى عن خلق ونأتي مثله؛ والسلام)). ولأبي الربيع كتاب مختصر الأغاني، وديوان شعر. ويزعم المراكشي؛ في معجبه؛ أن بعض شعره قد يكون منحولا. ومن شعره؛ مقطع أرسله لابن عمه؛ الخليفة يعقوب المنصور؛ بعد جفوة حدثت بينهما؛ فانتهز مناسبة قدوم وفد من العرب، والغز؛ من بلاد الشام؛ فاستأذنوا المثول بين يدي الخليفة؛ فكتب إليه أبي الربيع هذه الأبيات:

يَا كَعْبَةَ الجُودِ التِي حَجَّتْ لَهَا
عَرَبُ الشَّآمِ وَغُزُّهَا وَالدَّيْلَمُ
طُوبَى لِمَنْ أمْسَى يَطُوفُ بِهَا غَداً
وَيَحِلُّ بالبَيْتِ الحَرَامِ وَيَحْرِمُ
وَمِنَ العَجَائِبِ أنْ يَفُوزَ بِنَظْرَةٍ
مَنْ بالشَّآمِ وَمَنْ بمَكَةَ يُحْرِمُ

فاستحسن المنصور قوله، وعفا عنه. وفي مناسبة أخرى قال يخاطب المنصور:

فَلأمْلأنَّ الخَافِقَيْنِ بذِكْرِكُمْ
مَا دُمْتُ حَيًّا نَاظِماً وَمُرَسِّلاً

وَلأ بْذلَنْ نُصْحِيلَكُمْ جَهْدِي وَذا
جَهْدَ المُقلِّ وَمَا عَسَى أنْ أفْعَــلاَ
وَلأخْلِصَنَّ لَكَ الدُّعَاءَ، وَمَا أنَــا
أهْــلٌ لَــهُ، وَلَعَلَّــهُ أنْ يُقْبَــلاَ

ولمــا فتحــت قفصــة؛ قــال هــذه القصيــدة؛ مهنئــا بهــا الخليفــة المنصــور:

هَبَّــــتْ بِنَصْرِكُــمُ الرِّيَــاحُ الأرْبَــعُ
وَجَــرَتْ بسَعْدِكُــمُ النُّجُــومُ الطُّلَّــعُ
وَاسْتَبْشَــرَ الفُلْــكُ الأثِيــرُ تَيَقُنــاً
إنَّ الأمُــورَ إلَى مُــرَادِكَ تَرْجــــعُ
وَأمَــدَّكَ الرَّحْمَــنُ بالفَتْــحِ الَّــذي
مَــلأ البَسِيطَــةَ نُــورُهُ المُتَشَعْــشِــعُ
لــِم لاَ وَأنْــتَ بَذلْــتَ فِي مَرْضَاتِــهِ
نَفْســاً تُفَدِّيهَــا الخَلائِــــقُ أجْمَــعُ
وَمَضَيْتَ فِي نَصْــرِ الإلــَهِ مُصَمِّمــاً
بعَزِيمَــةٍ كَالسَّيْــفِ بَــلْ هِيَ أقْطَــعُ
لِلــَهِ جَيْشُكَ وَالصَّــوَارِمُ تُنْتَــضَى
وَالخَيْــلُ تَجْــرِي وَالأسِنَّــة تَلْمَــعُ

إلى أن يقــول في وصــف انهــزام الأعــداء:

إنْ ظَــنَّ أنَّ فِــرَارَهُ مُنْــجٍ لَــهُ
فِبجَهْلِــهِ قَدْ ظَــنَّ مَا لاَ يَنْفَــعُ

أيْنَ المَفَــــرُّ وَلاَ فِـــرَارَ لِهَـــارب

وَالأرْضُ تُنْشَرُ فِي يَدَيْكَ وَتُجْمَعُ

أخَلِيفَـــة اللَّـــهِ الــرِّضَى هُنِّيَتَـــهُ

فَتْـــحٌ يُمَدُّ بمَا سِـــوَاهُ وَيَشْفَـــعُ

فَلَقَدْ كَسَوْتَ الدِّينَ عِزاً شَامِخـــاً

وَلَبسْتَ مِنْهُ أنْـــتَ مَا لاَ يُخْلَـــعُ

هَيْهَاتَ سِرُّ اللَّـــهِ أودِعَ فِيكُـــمُ

وَاللَّـــهُ يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ وَيَمْنَـــعُ

لَكُمُ الهُدَى لاَ يَدَّعِيـــهِ سِوَاكُـــمُ

وَمَن ادَّعَـــاهُ يَقُولُ مَا لاَ يُسْمَـــعُ

إنْ قِيلَ مَنْ خَيْرُ الخَلائِـــقِ كُلِّهَـــا

فَإلَيْكَ يَا يَعْقُوبُ تُومِي الإصْبَـــعُ

إنْ كُنْتَ تَتْلُو السَّابقِيـــنَ فَإنَّمَـــا

أنْتَ المُقَـــدَّمُ وَالخَلائِـــقُ تُبَّـــــعُ

خُذْهَا أمِيـــرَ المُؤْمِنِيـــنَ مَدِيحَـــة

مِنْ قَلْبِ صِدْقٍ لَمْ يَشِنْهُ تَصَنُّـــعُ

فَالْمَدْحُ مِنِّ فِي عُـــلاَكَ طَبيعَـــةً

وَالمَدْحُ مِنْ غَيْرِي إلَيـــْكَ تَطَبُّـــعُ

ولـــه أيضـــا هـــذه الأبيـــات المشهـــورة:

أقُولُ لِرَكْبٍ أدْلَجُـــوا بسُحَيْـــرَةٍ

قِفُوا سَاعَـــة حَتَّ أزُورَ رِكَابَهَـــا

وَأَمْلأُ عَيْنِي مِنْ مَحَاسِنِ وَجْهِهَــا
وَأَشْكُو إِلَيْهَا أَنْ أَطَالَتْ عِتَابَهَــا
فَإِنْ هِيَ جَادَتْ بِالْوِصَالِ وَأَنْعَمَتْ
وَإِلاَّ فَحَسْبِي أَنْ رَأَيْــتُ قِبَابَهَــا

وكتــب أبــو الربيــع توقيعــا إلى عامــلٍ لديــه؛ كثــرت شكــاوى النــــاس منــه: **((قـــد كثـــرت فيـــك الأقـــوال، وإغضـــائي عنـــك رجـــاء أن تتيقـــض؛ فتنصلـــح الحـــال؛ وفي مبـــادرتي إلى ظهـــور الإنكـــار عليـــك؛ نسبـــة إلى شـــر الاختيـــار، وعـــدم الاختبـــار؛ فاحـــذر فإنـــك عـــلى شفـــا جـــرف هـــار))**[1].

ـــ ثــم الأميــر الشاعــر **أبــو الحســن عــلي بــن عمــر بــن عبــد المؤمــن الكــومي** (كــان معاصــرا لأبي الربيــع)؛ ولي هــو الآخــر تلمســان، وبجايــة؛ ولكنــه عــزل عنهــا؛ بسبــب مــا اتهــم بــه مــن إهمــال، وغفلــة، وميلــه إلى شهواتــه، ومجالــس الطــرب. وكــان أديبــا، وشاعــرا؛ كتــب يومــا إلى السلطــان يعقــوب المنصــور يمدحــه، ويطلــب عونــه؛ لتسديــد ديونــه؛ فقــال:

---

[1] نفــح الطيــب، ج: 3، ص: 105.

وُجُــوهُ الأمَــاني بكُــمْ مُسْفِــرَهْ
وَضَاحِكَــة لِــيَ مُسْتَبْشِــــــرَهْ
وَلِي أمَــلٌ فِيكُــمُ صَـــــادِقٌ
قريــبٌ عَــسَى اللَّــهُ قَدْ يَسَّــرَهْ
عَــــلَيَّ دُيُــــونٌ وَتَصْحِيفُهَــــا
وَعِنْدَكُــمُ الجُـــــودُ وَالمَغْفِــــرَهْ

ونقــل صاحــب نفــح الطيــب[2] عــن السرخــسي: **((كــان هــذا السيــد أبــو الحســن قــد ولي مملكــة تلمســان، وبجايــة؛ ولــه حكايــات في الجــود برمكيــة، ونفــس عاليــة زكيــة؛ كتــب إليــه السيــد أبــو الربيــع يومــا:**

اليَوْمُ يَوْمُ الجُمُعَــهْ يَوْمُ سُــرُورٌ وَدَعَــهْ
وَشَمْلُنا مُفْتــرَقٌ فَهَلْ تَرَى أنْ نَجْمَعَــهْ

فأجابــه بقولــه:

اليَوْمُ يَوْمُ الجُمُعَــهْ وَرَبُّنَا قَدْ رَفَعَــهْ
وَالشُّرْبُ فِيهِ بدْعَة فَهَلْ تَرَى أنْ نَدَعَهْ)).

---

[2] نفــح الطيــب، ج: 3، ص: 109.

ـ ثم الفقيه المحقق القاضي **أبو عبد الله محمد بن عبد الحق بن سليمان التلمساني الكومي** (في بغية الرواد: البطوي) (ت: سنة 625هـ/1227م)؛ فقيه مالكي؛ قال عنه ابن الأبار: ((**سمع من أبيه، وتفقه به... وولي قضاء بلده. وكان حميد السيرة؛ مشاركا في الفقه، وعلم الكلام، معتنيا بالحديث، وروايته؛ معظما عند الخاصة، والعامة؛ وجمع من الدواوين شيئا عظيما. وله كتاب في غريب الموطأ، وكتاب المختار الجامع بين المنتقى والاستذكار؛ في عشرين سفراً؛ في نحو ثلاثة آلاف ورقة، وغير. ذلك. وحدث، ودرس**))[1]. من مؤلفاته التي لم يذكرها ابن الأبار: التسلي عن الرزية والتحلي برضى باري البرية، ونظم العقود ورقم الحلل والبرود، والإقناع في كيفية الأسماع، والفيصل الجازم في فضيلة العلم والعالم، وفرقان الفرقان وميزان القرآن. وكعينة من نظمه؛ وإن دخلت في سياق النظم لا الشعر؛ بيتان أجمل فيهم أحاديث البخاري:

جَمِيعُ أحَادِيثِ الصَّحِيحِ الذِي رَوَى
البُخَارِي خَمْسَة وَسَبْعُونَ فِي العَدَدِ

---

[1] التكملة لكتاب الصلة، ج: 2، ص: 623.

وَسَبْعَـــةَ آلاَفٍ تُضَـــافُ وَمَـــا بَـــقِي
إلاَّ مَائَتيْـــنٍ عَـــدَّ ذَاكَ أولُـــوا الجَـــدِّ

ــ **ثــم أبــو العــلاء المأمــون إدريــس بــن يعقــوب ابــن يوســف بــن عبــد المؤمــن الكــومي** (ت: سنــة 630هــ/1232م)؛ فعــلى الرغــم مــن سعــة معارفــه، وفصاحتــه، وشاعريتــه، وتمكنــه مــن العلــوم الشرعيــة، والأدبيــة، ومعرفتــه بالقــراءات، وضبطــه للروايــات، وحســن تلاوتــه، وقدرتــه عــلى الحفــظ، واستيعابــه لكتــب الحديــث ــ إذ كــان يُقــْرِئ كتبهــا أيــام حكمــه؛ مثــل: الموطــأ، وصحيــح البخــاري، وسنــن أبي داود ــ وعــلى الرغــم مــن بلاغتــه، وجــودة إنشائــه، وتضلعــه في علــوم اللغــة العربيــة وآدابهــا؛ ومــا كــان عليــه مــن شجاعــة، وإقــدام؛ إلا انــه اتصــف أيضــا بالطغيــان، والجبــروت، والتعطــش إلى سفــك الدمــاء. وكــان أول مــن أدخــل الفرنجــة إلى بــلاد المغــرب؛ بغــرض قمــع المناوئيــن لــه؛ مقابــل شــروط ثقيلــة؛ منهــا: تنازلــه عــن عــدد مــن الحصــون والقــلاع بالأندلــس، والسمــاح ببنــاء كنيســة للنصــارى بمراكــش. ولمــا افتــك الحكــم بمساعــدة جنــد الإفرنــج؛ قبــض عــلى خصومــه مــن شيــوخ الموحديــن؛ وقتلهــم عــن آخرهــم. ثــم غيــر رمــوز الدولــة المُنوِّهَــة بالإمــام المهــدي؛ مــن:

سكة، وخطبة...الخ وفي عهده بدأت الدولة الموحدية تتفكك. وهذا نص كتبه صاحب الأنيس المطرب بروض القرطاس؛ يعطينا صورة عن هذه الشخصية المتناقضة؛ لهذا السلطان الدموي[1]: **((فصعد المنبر، بجامع المنصور، وخطب الناس، ولعن المهدي وقال: أيها الناس لا تدعوه بالمعصوم وادعوه بالغوي المذموم؛ أنه لا مهدي إلا عيسى؛ وأنا قد نبذنا أمره النحيس... وأمر بإسقاط اسم المهدي من الخطبة، وإزالته عن الدنانير والدراهم، ودور الدراهم المركنة التي كان ضربها المهدي... فأمر بقتل جميع أشياخ الموحدين، وأشرافهم؛ فقتلوا عن آخرهم، ولم يبق منهم أحد، ولم يراع والدا ولا ولد؛ حتى أنه أوتي بولد أخته وهو صبي صغير ابن ثلاث عشرة سنة، وكان قد حفظ القرءان؛ فلما قدم ليقتل قال له يا أمير المؤمنين أعف عني لثلاث؛ قال ما هي؟ فقال: صغر سني، وقرب رحمي منك، وحفظي لكتاب الله العزيز؛ فنظر إلى القاضي المكيدي كالمستشير له؛ ثم قال له: كيف رأيت قوة جأش**

---

[1] ص ص: 167 ــ 168.

هـذا الغـلام، وإقدامـه عـلى الكـلام في هـذا المقـام؟ فقـال لـه القـاضي: يـا أمـير المؤمنيـن إنـك إن تذرهـم يضلـوا عبـادك، ولا يلـدوا إلا فاجـرا كفـارا؛ فأمـر بـه فقتـل. ثـم أمـر بتعليـق الـرؤس عـلى أسـوار المدينـة؛ فعلقـت بدائرهـا؛ فكانـت حسبتهـا أربعـة فاجـرا كفـارا؛ فأمـر بـه فقتـل. ثـم أمـر بتعليـق الـرؤس عـلى أسـوار المدينـة؛ فعلقـت بدائرهـا؛ فكانـت حسبتهـا أربعـة آلاف رأس وسـت مائـة رأس؛ كـان زمـان الصيـف؛ فنتنـت منهـا المدينـة؛ وتـأذى النـاس مـن روائحهـا؛ فرفـع إليـه ذلـك؛ فكـان مـن جوابـه أن قـال: هنـا مجانيـن، وتلـك رؤس لهـم أحـراز؛ لا يصلـح حالهـم إلا بهـا؛ وإنهـا لعطـرة عنـد المحبيـن، ونتنـة عنـد المبغضيـن؛ ثـم أنشـد إرتجـالا:

أهْلُ الحَرَابَةِ وَالفَسَادِ مِنَ الـوَرَى
يُعْـزَوْنَ فِي التَّشْبِيـهِ لِلذُّكَـارِ
ففَسَـادُهُ فِيهِ الصَّـلاَحُ لِغَيْـرِهِ
بالقَطْـعِ وَالتَّعْلِيـقِ بِالأشْجَـار
مَرْآهُـمُ ذِكْرى إذَا مَا أبْصَـرُوا
فَوْقَ الجُذُوعِ وَفِي ذُرَى الأسْـوَارِ

وَكَذَا القِصَاصُ حَيَاة أرْبَاب النُّهَى
وَالعَدْلُ مَألـوفٌ بِكـلِّ جِـوَارِ
لَوْ عَـمَّ حِلْم اللـَّهِ كَافَّة خَلْقِـهِ
مَا كَانَ أكْثرُهُـمْ مِنْ أهْلِ النـارِ)).

ـ ثم **شمس الدين محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن علي التلمساني الكومي** الشهير بابن العفيف التلمساني (توفي بدمشق في حياة والده سنة 688هـ/1289م)؛ وكان شاعرا رقيق الطبع، لطيف المعنى، حسن السبك. جاء في كتاب فوات الوفيات؛ نقلا عن القاضي شهاب الدين بن الفضل قوله فيه: **((لم يأت إلا ما خف على القلوب، وبريء من العيوب؛ رق شعره فكاد أن يشرب، ودق فلا غرو للقضب أن ترقص والحمام أن يَطْرَب، ولزم طريقة دخل فيها بلا استئذان، وولج القلوب ولم يقرع باب الآذان؛ وكان لأهل عصره ومن جاء على آثارهم افتتان بشعره؛ وخاصة أهل دمشق؛ فإنه بين غمائم حياضهم رُبِيَ؛ وفي كمائم رياضهم حُبِيَ؛ حتى تدفق نهره، وأينع زهره؛ وقد أدركت جماعة من خلطائه لا**

يـــرون عليـــه تفضيــــل شاعـــر، ولا يـــرون لـــه شعـــرا إلا وهـــم يعظمونـــه كالمشاعـــر... وأكثـــر شعـــره ــ لا بـــل كلـــه ــ رشيـــق الألفـــاظ؛ لا يخلـــو مـــن الألفـــاظ العاميـــة، ومـــا تحلـــو بـــه المذاهـــب الكلاميـــة؛ فلهـــذا عَلَـــق بكـــل خاطـــر، وولـــع بـــه كـــل ذاكـــر))[1]**.** هـــذا.. ولـــه ديـــوان شعـــره تـــم نشـــره مـــرات عديـــدة، كمـــا أخـــرج لـــه حـــجي خليفـــة مقامـــات العشـــاق في ورقتيـــن. وهـــذه بعـــض المقاطـــع مـــن شعـــره:

بِلاَ غَيْبـــَةٍ لِلْبَدْرِ، وَجْهُـــكَ أجْمَـــلُ
وَمَـــا أنـــَا فِيمَـــا قَلْتـــهُ مُتَجَمِّـــلُ

وَلاَ عَيْـــبَ عِنْـــدِي لـــَوْلاَ صِيَانـــة
لَدَيْـــك بهَا كُـــلُّ امْـــريءٍ يَتَبَـــذلُ

لِحَاضُك أسْيَـــافٌ ذكُورٌ فَمَا لَهَـــا
كَمَا زَعَمُـــوا مِثْلِ الأرَامِيـــلِ تغْـــزلُ

وَمَا بَالُ بُرْهَـــانِ العـــذار مُسَلِّمـــاً
وَيَلْزَمُـــــهُ دُورٌ وَفِيـــهِ تَسَلْسُـــــلُ

وَعَهْدِيَ أنَّ الشَّمْسَ بالصَّحْوِ آذنـــَتْ
فَمَا بَالُ سُكْرَى مِنْ مُحَيَـــاك يُقْبِـــلُ

كَأَنَّـــك لَمْ تُخْلَـــقْ لِغَيْـــرِ نَوَاظِـــرِ
تُسَهِّدُهَـــا وَجْـــداً وَقَلبـــاً تُعَلِّـــلُ

---

[1] فـــوات الوفيـــات ج: 3، ص: 373.

حَبيبي لِيَهْـــنِ الحُسْـــنَ أَنَّكَ حُزتــَـهُ
وَيَهْـــنِ فُـــؤَادِي أَنَّـــهُ لــَكَ مَنْـــزِلُ
إذا كُنتَ ذَا ودٍّ صَحِيـــحٍ فَلَمْ يَكُـــنْ
يَضُـــرُّنيَ العُـــذالُ حَيْـــثُ تقَوَّلُـــوا
رَأَوْا مِنْكَ حَظِّي فِي المَحَبَّـــة آخـــراً
لِـــذَا حَرَّفُوا عَنِّي الحَدِيـــثَ وَأَوَّلُـــوا

ولـــه أيضـــا:

بِعَيْنَيْـــك هَذِي الفَاتِرَاتُ التِّي تسْـــبي
يَهُـــونُ عَلَيَّ اليَوم قَتْـــلِيَ يَا حُـــبِّي
إذَا مَا رَأتْ عَيْـــني جَمَالَكَ مُقْبِـــلاً
وَحَقِّكَ يَا رَوحِي سَكِرْتُ بِلاَ شُرْبِ
وَإنْ هَـــزَّ عَطْفَيْكَ الصِّبَـــا مُتَمَايِـــلاً
أضَاعَ الهَوَى نُسكِي وَغُيِّبْتُ مِنْ لُـــبِّي
فَدَعْنِي وَهَذَا الخَـــدَّ أَعْصِـــرُ فِي فَمِي
عَنَاقِيـــدَ صُدْغَيْهِ وَحَسْبِي بِهِ حَسْـــبِي
لَوَ أنَّ تُجَارَ اللُّؤْلُؤِ الرَّطْب شَاهَـــدُوا
ثَنَايَاك مَا عَنُوا عَلَى اللُّؤ لؤِ الرَّطْـــبِ
أيَا سَـــاقِيَ الكَأسِ الَّذِي زَادَ خَـــدُّه
عَلَيْهَا احْمِرَاراً عد بالكَأسِ عَنْ صحْبِي
وَمَـــا ذَاكَ بُخْـــلاً بالمُـــدَام وَإنَّمَـــا
إذَا لُحْت لَمْ آمَنْ عَلَيْهمْ مِنَ السَّلْـــبِ

وَباللَّهِ قُلْ لِي أَيُّهَا الظَّبْيُ كَيْفَ قَــدْ
تَعَلَّمْتَ صَيْد الأسْدِ فِي شَرَكِ الهــدْبِ
وَمَا الَّذِي قَدْ بعْتَ فَاسْتَرْهَنْــتَ بـهِ
لَدَيْكَ الربى رَهْنــاً كَثِيباً مِنَ الكثْــبِ
فَخُذْ قِصَّة الشَّكْوَى مِنَ الأعْيُن الَّــتِي
نَفَيْــتَ لَذِيذَ النَّــوْمِ عَنْهَا بِلاَ ذنْــبِ
وَلاَ تَعْتَبَــنْ صَبًّــا تَهَتَــكَ سِتْــرُهُ
عَلَيْكَ فَهتْكُ السِّتْرِ أَلْيــَقُ بِالصَّــبِّ

وقــال أيضــا:

أعَــزَّ اللَّــهُ أنْصَــارَ العُيُــونِ
وَخَلَّــدَ ملْكَ هَاتِيــكَ الجُفُــونِ
وَضَاعَفَ بالفُتــُور لَهَا اقْتِــدَاراً
وَإنْ تَكُ أضْعَفَتْ عَقْلِي وَدِيــنِي
وأبْــقَى دَوْلَة الأعْطَــافِ فِينــَا
وَإنْ جَارَت عَلىَ القَلْبِ الطَّعِيــنِ
وَأسْبَــغَ ظلَّ ذَاكَ الشّعْــر يَوْمــاً
عَلَى قَدّ بــهِ هَيَــفُ الغُصُــونِ
وَصَــانَ حِجَاب هَاتِيكَ الثَّنَايَــا
وَإنْ ثَنَتِ الفُــؤَادَ إلَى شُجُــونِ

وقـــال أيضـــا:

أَسِيـــرُ أَلْحَـــاظٍ لِخَـــدٍّ أَسِيـــلْ
كَلِيمُ أحْشَـــاءِ لِطَـــرْفٍ كَلِيـــلْ

فِي حُـــبِّ مَنْ حَظِّيكَشعْـــر لَـــهُ
لَكِنْ قَصِيـــرٌ ذَا وَهَـــذَا طَوِيـــلْ

لَيْـــسَ خَلِيـــلاً لِـــي وَلَكِنَّـــهُ
أضْرَمَ فِي الأَحْشَاءِ نَـــارَ الخَلِيـــلْ

يَا رِدْفَـــهُ جُـــرْتَ عَلَى خَصْـــرِهِ
رِفْقـــاً بِهِ مَـــا أنْـــتَ إلاَّ ثَقِيـــلْ

وقـــال أيضـــا:

لَمْ أنْـــسَ لَمَّـــا زَارَنِـــي مُقْبِـــلاً
أوْلاَنِيَ الوَصْـــلَ وَمَـــا ألْـــوَى

وَقعْـــتُ بالرَّشْـــفِ عَلَى ثَغْـــرِهِ
وَقـــعَ المَسَاطِيـــلِ عَلَى الحلـــوَى

وقـــال أيضـــا:

يَا مَنْ أطَالَ التَّجَنِّي وَقَدْ أسَا فِي التَّـــوَخِّي
أسْرَفْتَ تِيهاً وَعُجْباً وَكُثْرَة الشَّدِّ يُـــرْخِي

ـ ثـــم أبـــو الربيـــع عفيـــف الديـــن سليمـــان بـــن علـــي بـــن عبـــد اللـــه بـــن علـــي التلمســـاني الكـــومي؛ (تـــوفي بدمشـــق سنـــة 690هـــ/1291م)؛وهـــو

كاتب، وأديب؛ وكان من الكتاب، والأدباء البارزين؛ إذ كان يجيد النظم، والنثر؛ وله اتجاه صوفي؛ يتبع فيه طريقة ابن عربي (محمد بن علي)؛ غير أن بعضهم يتهمه بالزندقة؛ وله مؤلفات عديدة؛ منها: شرح مواقف النفزي، وشرح الفصوص لابن عربي، وكتاب في العروض، وديوان شعر. ومن شعره:

إنْ كَانَ قتْلِي في الهَوَى يَتعيَّنُ
يا قاتلي فَبسَيْفِ طرْفِكَ أهْوَنُ
حَسْبِي وَحَسْبُكَ أنْ تكونَ مَدامِعي
غُسْلي وفي ثَوْبِ السَّقامِ أُكفَّنُ
عَجَباً لِخَدِّكَ وَرْدَة في بانةٍ
وَالوَرْدُ فَوْقَ البَانِ مَا لا يُمْكِنُ
أدْنَتْهُ لي سِنَةُ الكَرَى فلثمْتُهُ
حَتَّ تَبَدَّلَ بالشَّقيقِ السَّوْسَنُ
وَوَرَدْتُ كَوثَرَ ثغْرِهِ فَحَسَبْتُني
في جَنةٍ مِنْ وجْنَتَيهِ أسْكُنُ
مَا رَاعَنِي إلاَّ بلالُ الخَال فَوْ
ق الخَدِّ في صُبْح الجَبينِ يُؤَذنُ
فَنَشَرْتُ مِنْ خَوْفِ الصَّبَاحِ ذؤابة
هِيَ كَالدُّجَى وَظَلَلْتُ فِيهَا أكَمُنُ

وقـــال في مــــدح بعــض بـــني الزبيـــر الـــوزراء:

وَبَنُو الزُّبَيْرِ كَمَا عَلِمْت حَدِيثُهُـــمْ
وَقَدِيمُهُمْ سَـــادَ الأنَـــامَ وَطَالُـــوا

أوْلادُ عَمَّـــاتِ النَّبيِّ أمَـــا تَـــرَى
أخْلاقهُـــمْ لا يَعْتَرِيهَـــا الحَـــالُ

أقْعَدَهُمْ شُغِلُـــوا بنيـــرَانَ القِـــرَى
وَلَهُمْ بِنِيـــرَان الـــوَغَى أشْغَـــالُ

ومـــن شعـــره الصـــوفي:

مُحَيَّـــاكَ يَهْوَاهُ المُحَيَّـــا أمَا تَـــرَى
حَشَـــا الكَأس فِيهِ جَمْـــرَة تَتَوَقَّـــدُ

وَلَوْلاَ بُكَاهَا مَا بَـــدَا فَوْقَ خَدِّهَـــا
دُمُـــوعٌ حَكَاهَـــا اللُّؤْلُـــؤُ المُتَفَـــرِّدُ

وَمَا كُنْتُ أدْرِي فِتْنَة الفِسْق فِعْلهَـــا
إلَى أنْ رَأتْ عَيْنَايَ حُسْنُك يَبْعُـــدُ

إنَّمَا ارْتَشَفْتُ الرَّاحَ مِنْ ثغْر كَأسِهَا
ألَسْتَ تَرَاهَا نَحْوَ وَجْهِكَ تَسْجُـــدُ

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَعْنَاكَ فِي الكَوْنِ مُطْلَقاً
لَدَلَّ عَلَيْهِ مِنْـــكَ حُسْـــنٌ مُقَيَّـــدُ

لَمَّا أبْصَرَتْ عَيْنِي جَمَالَكَ جَهْـــرَة
وَمَنْ لَمْ تُشَاهِدْ عَيْنُهُ كَيْفَ يَشْهَـــدُ

عَجِبْتُ لِكَأسٍ قَدْ صَحَوْتُ بشُرْبهَـــا
أبْـــرَأ صَحْـــواً عَـــلي يُعَرْبِـــدُ

وقـــال في رثـــاء ولـــده شمـــس الديـــن؛ الـــذي تـــوفي قبلـــه. وأثـــاء ذلـــك أشـــار إلى أخيـــه الميـــت أيضـــا:

مَـــالِي بِفَقْـــدِ المُحَمَّدَيْـــنِ يَـــدُ
مَـــضَى أخِي ثُمَّ بَعْدَهُ الوَلَـــدُ
يَا نـــَار قَلـــْبِي وَأيْنَ قَلْـــبِيَ أوْ
يَا كَبدِي لوْ يَكُونُ لِي كَبـــدُ
يَا بَائـــعَ المَوْتِ مُشْتَريـــهِ أنـــَا
فَالصَّبْرُ مَا لاَ يُصَابُ وَالجَلـــَدُ
أيْـــنَ البَنَـــانُ الَّتِي إذَا كَتَبَـــتْ
وَعَايَـــنَ النَّاسُ خَطَّهَا سَجَـــدُوا
أيْـــنَ الثنَايَـــا التِي إذَا ابْـــتَسَمَتْ
أوْ نَطقَـــتْ لاَحَ لُؤلُـــؤ نَضَـــدُ
مَا فَقَدَتْكَ الإخْـــوَانُ يَا وَلـــَدِي
وَإنَّمَا شَمْـــسَ أنْسِهِمْ فَقَـــدُوا
مُحَمَّـــدٌ يَـــا مُحَمَّـــدٌ عَـــدَداً
وَما لَمـــا لَيْـــسَ يَنْتَـــهِي عَـــدَدُ

إلى أن يقـــول:

مَاذَا عَلَى الغَاسِلِينَ إذَ قـــَرُبَ الأمـْ
ـــلاَكُ مِنْـــهُ لـــَوْ أنَّهُـــمْ بَعـــدُوا
قَدْ حَمَلَتْ نَفسُـــهُ العُلـــُومَ إلَى الــ
فِرْدَوْسِ وَالنَّعْـــشُ فَوْقَـــهُ الجَسَـــدُ

أَبْكَيْتَ خَالاَتكَ الضَّوَاحِــكِ مِــنْ
قَبْلُ وَمَا مِــنْ صِفَاتــكَ النَّكَــدُ
بِــي كِبَــرٌ مَسَّــنِي وَأُمُّــكَ قَــدْ
شَاخَتْ فَمِنْ أيْنَ لِي يُــرَى وَلَــدُ
وَهَبْــهُ قَــدْ كَـانَ لِي فَمِثْلُــكَ لاَ
يُــرْجَى وَأيْــنَ الزَّمَــان وَالأمَــدُ

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن محمد بن يحيى الكومي الندرومي** (ت: حوالي 775هـ/1373م)؛ أحد علماء المالكية؛ له ثبت تكلم فيه عن شيوخه، وإجازاتهم له.

ـ ثم الفقيه **أبو عبد الله محمد بن يوسف ابن عمر بن شعيب السنوسي** (ت: سنة 895هـ/1489م)؛ وهو من كبار علماء تلمسان في عهده؛ عالج في مؤلفاته علوما شتى؛ دينية، ودنيوية؛ وله باع طويلة في علوم: التفسير، والتوحيد، والحديث؛ ومن مؤلفاته: كتاب عقيدة أهل التوحيد؛ ويسمى العقيدة الصغرى، ثم كتاب العقيدة الوسطى، ثم شرح صغرى الصغرى، وشرح صحيح البخاري؛ لم يكتمل، وشرح الأسماء الحسنى، وشرح جمل الخونجي؛ في المنطق، وشرح مقدمات الجبر والمقابلة؛ لابن الياسمين، والعقد الفريد في حل مشكلات

التوحيد، وشرح للامية الجزائري، ومختصر في علم المنطق، وشرح كلمتي الشهادة، ومكمل إكمال الإكمال، والمقدمات في التوحيد، وتفسير سورة ص وما بعدها من السور، ونصرة الفقير في الرد على أبي حسن الصغير، وشرح التسبيح وبر الصلوات، وشرح قصيدة الحباك في الإسطرلاب، ومختصر بغية السالك في أشرف المسالك؛ للساحلي، وشرح جواهر العلوم؛ في علم الكلام، وشرح مشكلات البخاري، ومختصر الزركشي على البخاري، ومختصر حاشية التفتازاني على الكشاف، ومختصر ابن عرفة، وشرح رجز ابن سينا في الطب؛ لم يكتمل، ومختصر في القراءات السبع، وشرح الشاطبية الكبرى؛ لم يكتمل، وشرح الوغليسية؛ في الفقه؛ لم يكتمل، ومختصر الروض الآنف؛ للسهيلي؛ لم يكتمل، وشرح المرشدة والدر المنظوم؛ في شرح الأجرومية، ونظم في الفرائض، واختصار الرعاية؛ للمحاسبي، وتفسير القرآن؛ إلى قوله: أولئك هم المفلحون، وتعليق على فرعي ابن الحاجب، وشرح إيساغوجي؛ في المنطق، ومختصر لمسلم؛ في سفرين، وشرح أبيات الإمام الأليري؛ في التصوف، والمقرب المستوفي؛ شرح على الحوفية، وأم البراهين في العقائد، والحقائق في

تعريفات مصطلحات علماء الكلام، والمنهج السديد في شرح كفاية المريد؛ للجزائري.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد الغماري الكومي** (ولد بعد عام 940هـ/1533م)؛ فقيه، وخطيب بمكناسة؛ وإلى جانب الفقه فهو نحوي، ويستظهر مختصر خليل؛ وله أيضا مشاركة في علمي: الحساب، والفرائض؛ إذ كان أستاذا فيهما.

OOO

أما الذين عرفوا بالأدوار السياسية، والعسكرية، ومهام الحكم فمنهم:

ـ الوزير **عبد السلام بن محمد الكومي** المعروف بالمقرب (توفي مقتولا بسجنه سنة 557هـ/1161م)؛ عرف بالمقرب بسبب تقريب عبد المؤمن إياه؛ أو للقرابة التي بينهما؛ ومع هذا لم يستنكف هذا السلطان الدموي عن قتله؛ حيث أرسل من قتله بسجنه خنقا، أو بواسطة مسهل قضى عليه تدريجيا كما يقال.

ـ ثم الوزير **عمر بن عبد السلام بن محمد الكومي**؛ الذي خلف والده في منصب الوزارة بعد مقتله؛ وبقي في منصبه حتى وفاة عبد المؤمن.

ـ ثم **الحسن بن حيون المعابدي الكومي** (توفي مقتولا بتلمسان سنة 624هـ/1226م)؛ كان من عمال الدولة الموحدية؛ فتآمر على قبيل بني عبد الواد؛ الأمر الذي أوصله إلى القتل؛ وفتح الباب أمام رؤساء القبيل إلى الاستبداد بتلمسان؛ وتعتبر هذه الخطوة ممهدة لقيام الدولة العبد الوادية.

ـ ثم **أبو العلاء الواثق بالله إدريس بن محمد بن عمر بن عبد المؤمن الكومي** المعروف بأبي دبوس (توفي بمراكش سنة 667هـ/1268م)؛ وهو من ملوك بني عبد المؤمن؛ وبعد قتله ـ من طرف بني مرين ـ بظاهر مراكش أشرفت الدولة الموحدية على نهايتها.

ـ ثم **إسحاق بن إبراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن الكومي** (توفي بفاس مقتولا سنة 674هـ/1275م)؛ وهو آخر الملوك من بني عبد المؤمن؛ بويع في تنملل؛ بعد سقوط مراكش، ومقتل أبي دبوس.

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن عثمان بن إدريس بن محمد الكومي** المعروف بابن أبي دبوس؛ والده السابق الذكر (توفي بفاس سنة 762هـ/1360م)؛ ولد بالقاهرة؛ ولما كبر انتقل إلى بلاد إفريقية والمغرب طمعا في استرجاع ملك آبائه؛ فأعلنها ثورة في تلك الديار؛ ولكنه فشل.

ـ ومنهم أيضا الداعية الثائر بالزاب؛ المسمى **أبا عبد الله بن خديجة الكومي** (كان حيا سنة 724هـ/1323م)؛ وهو من ولد عبد المؤمن ابن علي؛ وكان يدعوا للفاطمي المنتظر.

***

ـ ***مواطنهم:*** كانت مواطن **كومية** الأولى في المغرب الأوسط؛ وبالتحديد ضمن منطقة **أرشكول**، **وتلمسان**؛ وذلك.. على امتداد شاطئ البحر، **وجبال ترارة** التي تربض شمال غرب تلمسان. ولما استولى الموحدون على **مراكش**، واتخذوها حاضرة لسلطانهم؛ استدعى عبد المؤمن بن علي قبيلته كومية؛ إلى تلك الربوع؛ ليكونوا درعا له، وعصابة يشد بها أزره.

É É É

(2) ــ لمــايــة:

وهــم مــن **بــني فاتــن** أيضــا. وتعتبــر **لمايــة** مــن أكبــر قبائــل **ضريســة**، وأوسعهــا بطونــا. وقــد لعبــت هــذه القبيلــة دورا بــارزا في تاريــخ المغربيــن: الأوســط، والأدنى؛ حيــث اعتنــق أبناؤهــا المذهــب الإبــاضي، وشاركــوا في حركــة أبي الخطــاب عبــد الأعــلى ابــن السمــح؛ عنــد تملكــه طرابلــس، وعنــد استيلائــه عــلى القيــروان؛ بغــرض إخــراج ورفجومــة منهــا. ولمــا قتــل أبــو الخطــاب؛ لجــأ عاملــه عــلى القيــروان (عبــد الرحمــن بــن رستــم) إلى **قبيلــة لمايــة**؛ بالقــرب مــن **جبــل كــزول**؛ في المغــرب الأوســط؛ نظــرا لكــون هــذه القبيلــة مــن حلفائــه وحلفــاء أميــره أبي الخطــاب. وبالفعــل أجارتــه لمايــة، وحمتــه مــن كــل مكــروه. كمــا قامــت لمايــة ببنــاء مدينــة **تيهــرت** الثانيــة؛ في سفــح **جبــل كــزول**؛ جاعلــة منهــا دار ملــك للإباضييــن؛ بإمــرة عبــد الرحمــن بــن رستــم؛ بعــد أن بايعتــه بالإمامــة. وظلــت هــذه القبيلــة سنــدا قويــا للدولــة الرستميــة حــتى سقطــت. فتشتــت ــ إثــر ذلــك ــ أبنــاء لمايــة في الأقطــار، وانقــرض معظمهــم؛ بسبــب الحــروب. ولــم يبــق ســوى بعــض الفئــات المتفرقــة، والموزعــة بيــن قبائــل أخــرى. ومــن بيــن بقايــا

لماية **جربة**؛ التي سميت بها الجزيرة المعروفة الآن؛ في **ساحل تونس.** وسكانها حتى عهد ابن خلدون كانوا من لماية. كما توجد في جربة ــ حتى الآن ــ قبيلة تسمى **آلْمَـايْ**[1]؛ يعتقد محمد علي دبوز أنهم من بقايا لماية؛ ولكن اسمها أصابه التحريف؛ وقد يكون إسمها هذا هو الصحيح. كما أن قرية **لماية** التي تتوسط الطريق بين **طرابلس، وزوارة**؛ تنسب هي الأخرى إلى هذه القبيلة. وقد نقل الشيخ مبارك الميلي عن ((أبوراس)) ما مفاده.. أن أهل **فرندة، والحوارث** من **لماية**؛ ولكنهم تركوا المذهب الخارجي[2]. كما تنسب إليهم مقاطعة لماية؛ المتواجدة ببلاد الأندلس؛ وتعتبر مدينتها إحدى حصون مالقة[3]. وهي كغيرها من مقاطعات الأندلس التي سميت باسم القبائل الأمازيغية التي استقرت بها. وينسب إليها عدد من العلماء، والأدباء.

! ! !

[1] تاريخ المغرب الكبير، ج: 3، ص: 259.

[2] تاريخ الجزائر، ص: 596.

[3] الحميري؛ الروض المعطار، ص: 511.

ــ ***أعيانهم***: من المنتسبين إلى لماية ببلاد الأندلس:

ــ الشاعر الفحل والكاتب النِّحْرير الوزير **أبو جعفر أحمد بن أيوب اللمائي**؛ (توفي بمالقة سنة 654هـ/1256م). وهو من فحول الشعراء بالأندلس. كان وزيرا لعلي بن حمود؛ أمير مالقة؛ أيام ملوك الطوائف. ولما دفن؛ كتبت على قبره أبيات من نظمه هي:

بَنَيْتُ و لم أسْكُن وحَصَّنْت جَاهداً
فَلمَّا أتى المَقْدُورُ صَيَّرَهُ قَبْري

و لم يَكُ حظِّي غَيْر ما أنْتَ مُبْصِرٌ
بعَينَيْكَ مَا بَيْنَ الذرَاعِ إلى الشِّبْرِ

فَيَا زائِراً قَبْري أوصِيكَ جَاهِداً
عَليْكَ بتقْوَى الله في السر والجَهْرِ

فَلا تُحْسِنَنَّ بالدَّهْرِ ظَنَّا فإنَّمَا
مِنَ الحَزْم ألاَّ يُسْتَنام إلى الدَّهْرِ

وحاول بعض أصحابه الترويح عليه؛ أثناء مرضه؛ فأجابهم مرتجلا:

رَوَّحَنِي عائِدِي فَقُلْتُ لَهُ
لاَ لاَ تَزِدْنِي عَلىَ الَّذِي أجِدُ

أمَا تَرَى النَّارَ وَهِيَ خامِدَة
عِنْدَ هُبُوبِ الرِّياحِ تَتَّقِدُ

ومـــن شعـــره أيضـــا:

قَدْ قُلْـــتُ إذْ سَـــارَ السَّفِيـــنُ بِـــهِ
والبَيْـــنُ يَنْهَـــبُ مُهْجَـــتِي نَهْبَـــا
لَـــوْ أنَّ لِي مُلْكـــاً أصُـــولُ بِـــهِ
لأخَـــذْتُ كُـــلَّ سَفِينَـــةٍ غَصْبَـــا

ويقـــول كذلـــك:

غَنِيٍّ وَلِلإيقَـــاعِ فَـــوْ قَ بَيَانِ مَنْطِقِـــهِ بَيَـــانُ
وَكَأنَّمَـــا يَـــدُهُ فَـــمٌ وقَضِيبُـــهُ فِيهَـــا لِسَـــانُ

ـــ ثـــم الفقيـــه **أبـــو الحســـن عـــلي بـــن عبـــد اللـــه ابـــن داود اللمـــائي**؛ المعـــروف بالمـــالطي (ت. سنـــة 538هـــ/1143م)؛ وهـــو مـــن أهـــل المريـــة؛ ولـــه تأليـــف جمـــع فيـــه بيـــن كتـــابي: المنتـــقى للبـــاجي، والاستذكـــار لابـــن عبـــد البـــر. ولا نـــدري حـــتى الآن مـــدى انتمـــاء هذيـــن العالميـــن إلى لمايـــة؛ بحيـــث بـــقي التســـاؤل قائمـــا: هـــل ينتميـــان إلى القبيلـــة أصـــلا؛ أم ينتميـــان إلى المقاطعـــة الأندلسيـــة لا غيـــر. ونظـــرا لمـــا عرفنـــاه؛ عـــن استيطـــان القبائـــل الأمازيغيـــة جماعـــات، جماعـــات؛ كـــل منهـــا في منطقـــة خاصـــة بهـــا؛ فإننـــا لا نستبعـــد انحـــدار هذيـــن العالميـــن مـــن القبائـــل المستوطنـــة فيهـــا. ومـــن جهـــة أخـــرى فقـــد تعـــذر الحصـــول عـــلى معلومـــات كافيـــة تخـــص أعيـــان

هذه القبيلة، وعلمائها ببلاد المغرب؛ وهذا عائد إلى الطابع البدوي المتفشي بين أبنائها، وإلى السلوك السلبي الذي اتبعه المؤرخون السنيون آنئذ؛ إذ كانوا يتجاهلون أخبار العلماء من الإباضيين؛ وغيرهم ممن يخالفونهم مذهبيا؛ وهذا بالطبع يدخل في باب **العصبية المذهبية.** ومع هذا فقد تضمن كتاب الدرجيني؛ طبقات المشائخ بالمغرب؛ أخبارا عن بعض علماء لماية؛ على قلتهم؛ وهم:

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن مانوج اللمائي** (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ ويقال أنه لم يكن يحفل بدينه في شبابه؛ ولم يتب إلا في كبره؛ حيث توجه إلى جزيرة جربة؛ أين تلقى العلم؛ حتى أصبح من علماء المذهب الإباضي البارزين؛ وهو أحد العلماء السبعة الذين اعتكفوا في **غار أمجاج**، أين صنفوا فيه تصنيفا يتناول موضوع الفقه الإباضي؛ وهو في اثني عشر جزءا.

ــ ثم **أبو محمد عبد الله بن الأمير اللمائي** (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو من علماء المذهب الإباضي أيضا.

***

ــ ***مواطنهم:*** يضع ابن خلدون **لماية** في عداد **القبائل الرحل**؛ التي تتنقل عبر بلاد إفريقية، والمغرب؛ طلبا للنجعة. على أن جمهورهم كان يرتع في مراتع المغرب الأوسط؛ في السهوب المتاخمة للصحراء. ثم يحدد تلك المواطن؛ **بأرض السرسو؛ جنوب منداس، وإلى الغرب أرض زواغة.** وفي **الشمال، والشرق تتواجد مطماطة، ومكناسة، وزناتة**[1].

É É É

(3) ــ مديونة:

وهم من **بني فاتن** أيضا. وتذكر المصادر التاريخية؛ بأن فئات من هذه القبيلة تكون قد لعبت أدوارا هامة في تاريخ الأندلس؛

---

[1] **العبر، مج: 6، ص ص: 246 ــ 250.**

بعـــد أن أجـــازوا إليهـــا أيـــام الفتـــح. ويبـــدو أن هجرتهـــم إلى الأندلـــس قـــد قلصـــت سطوتهـــم بديـــار المغـــرب؛ لـــذا نجدهـــم أضحـــوا في موقـــف ضعيـــف؛ عندمـــا تغلبـــت قبائـــل: **بـــني راشـــد، وبـــني توجيـــن** (مـــن زناتـــة) عـــلى ربـــوع المغـــرب الأوســـط؛ حيـــث مـــدوا سلطانهـــم عـــلى مواطـــن مديونـــة الضعيفـــة؛ بسبـــب افتـــراق أتباعهـــا، وتضـــاؤل عددهـــم؛ نتيجـــة للحـــروب، والهجـــرة. وعليـــه.. فقـــد ألزمـــت زناتـــة قبيلـــة مديونـــة بدفـــع الضرائـــب، وإعطـــاء المغـــارم. كمـــا زاحمتهـــا في مواطنهـــا؛ ممـــا أدى بهـــم إلى الإنحيـــاز إلى **حصـــون جبـــل تسالـــة، وجبـــل وجـــدة**؛ المعـــروف بهـــم. ومـــع الأيـــام.. بـــقي منهـــم مـــن يتعـــاطى حرفـــة الفلاحـــة؛ بينمـــا ظـــل آخـــرون موزعيـــن بيـــن القبائـــل. وبـــقي حي منهـــم ــ أيـــام ابـــن خلـــدون ــ بيـــن **فـــاس، وصفـــروي**؛ إذ كانـــوا مجاوريـــن **لمغيلـــة**[2].

! ! !

---

[2] المصـــدر السابـــق، مج: 6، ص ص: 256 ـــ 257.

ـ *أعيانهم:* أنجبت مديونة عددا كبيرا من العلماء، والصالحين؛ منهم:

ـ **أبو عبد الله محمد بن أسود بن شعيب المديوني**؛ فقيه؛ ولي القضاء بإفريقية. ربما كانت له علاقة ما مع محمد بن أسود؛ قاضي المرية؛ الذي انتدب لمحاورة المهدي أمام السلطان المرابطي علي بن يوسف؛ في مراكش.

ـ ثم **أبو عمر أحمد بن خلف بن محمد ابن فُرْتُون المديوني** (ت: سنة 377هـ/948م)؛وهو من الرواة، والزهاد؛ كان يسكن في مدينة الفرج؛ قال عنه ابن بشكوال[1]: ((**سمع الناس منه؛ وكان خيرا، فاضلا، زاهدا، ثقة فيما رواه. ومن روايته عن وهب بن مسرة؛ قال: دخلت على محمد بن وضاح بين المغرب والعشاء مودعا؛ فقلت له: أوصني رحمك الله؛ فقال: أوصيك بتقوى الله عز وجل، وبر الوالدين، وحزبك من القرآن فلا تنسه، وفرّ من الناس؛ فإن الحسد بين اثنين، والنميمة بين اثنين؛ والواحد من هذا سليم**)).

---

[1] الصلة، ج: 1، ص: 6.

ـ ثـــم **أحمـــد بـــن الحســـن بـــن سعيـــد المديـــوني** (ت: سنـــة 768هـــ/1366م)؛ فقيـــه، وقـــاضي. وهـــو والـــد عائشـــة المديونيـــة؛ أم ابـــن مـــرزوق الحفيـــد؛ استعملـــه أبـــو الحســـن في خطـــة تنظـــر في سمـــاع الشكايـــات، وفي جمـــع الزكـــاة؛ ثـــم ولاه أبـــو عنـــان خطـــة القضـــاء بتلمســـان.

ـ ثـــم **عبـــد الرحمـــن بـــن محمـــد بـــن عطيـــة المديـــوني**؛ المعـــروف بالجـــادري (تضاربـــت الآراء حـــول تاريـــخ وفاتـــه بيـــن: 818 و 839 و 840 هـــ/1415 و 1435 و 1436م)؛ وهـــو فقيـــه، ومحـــدث، وميقـــاتي؛ وصاحـــب منظومـــة روضـــة الأزهـــار في علـــم وقـــت الليـــل والنهـــار، كمـــا قـــام بتأليـــف فهرســـة ضمـــت معلومـــات عـــن شيوخـــه، وكتـــاب في شـــرح البـــردة، وكتـــاب اقتطـــاف الأنـــوار، ومختصـــر الاقتطـــاف، وكتـــاب اشتمـــل عـــلى طريقـــة العمـــل بالإسطـــرلاب مـــع الصفيحـــة الشاكريـــة وربـــع الدائـــرة، والعمـــل بالحســـاب والجـــدول؛ اشتمـــل عـــلى 42 بابـــا، وكتـــاب تنبيـــه الأنـــام عـــلى مـــا يحـــدث في أيـــام العـــام، وأرجـــوزة بعنـــوان النافـــع في أصـــل حـــرف نافـــع، وكتـــاب المذكـــر والمؤنـــث.. وغيـــره.

ـ ثم **يحيى بن محمد المديوني** المعروف بأبي السادات الأكبر (من أعلام النصف الأول من القرن العاشر للهجرة)؛ فقيه، وصوفي.
ـ ثم **محمد بن يحيى المديوني المعرف** بأبي السادات الأوسط توفي بعد سنة 950هـ/1543م). فقيه، ومدرس؛ تصدر للإفتاء بتلمسان.
ـ ثم **أحمد بن محمد بن محمد بن محمد ابن يحيى المديوني** المعروف بابن جيدة الجهبرزي الوهراني (ت سنة 951هـ/1544م)؛ وهو من الصوفيين الصالحين.
ـ ثم **محمد بن محمد بن يحيى بن محمد المديوني** العروف بأبي السادات الحفيد (ت: سنة 981هـ/1573م)؛ فقيه، ومحقق؛ تصدر للتدريس.
ـ ثم **محمد بن عبد الله المديوني** (توفي بعد عام 960هـ/1552م)؛ فقيه، وخطيب؛ له اهتمام بالعلوم العقلية، والنقلية. وهو من مدينة الفرج بالأندلس.
ـ ثم **أحمد بن موسى المديوني**. فقيه.
ـ ثم **محمد بن أحمد بن محمد المليتي المديوني**؛ (توفي سنة 985هـ/1577م)؛ مدرس؛ وهو والد ابن مريم.

ـ ثـم **عائشة بنت أحمد بن الحسن المديوني** (من أعلام النصف الثاني من القرن الثامن للهجرة)؛ وهي أم الإمام ابن مرزوق الحفيد؛ الذي قال في شرحه على البردة: أنها ألفت مجموعا من الأدعية؛ وكانت من النساء الصالحات؛ واشتهرت بتعبير الرؤيا؛ إذ تمكنت من هذا الفن؛ بفضل إطلاعها الواسع.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الشريف المليتي المديوني التلمساني**؛ المعروف بابن مريم (كان حيا سنة 1025هـ/1616م)؛ وهو فقيه مالكي، ومؤرخ؛ ألف 12 كتابا في علوم الدين، والتراجم؛ أشهرها كتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، كتاب كشف اللبس والتعقيد عن عقيدة أهل التوحيد، وتعليق على رسالة خليل.

ـ ثم **محمد بن بلال المديوني**. فقيه، وصوفي؛ ملم بالإقراء.

ـ ثم **أحمد بن رقية المديوني**؛ الضليع في العلوم العقلية، والنقلية.

ooo

ومـــن أمـــراء مديونـــة الذيـــن كـــان لهـــم ذكـــر في التاريـــخ:

ـ **جريــر بــن مسعــود** (مــن أعــلام النصــف الأول مــن القــرن الثــاني للهجــرة)؛ المنضــم إلى أبي قــرة، وأبي حاتــم؛ في ثورتيهمــا ضــد ولاة القيــروان.

ـ ثــم **هــلال بــن أبزيــا** (مــن أعــلام القــرن الثــاني للهجــرة)؛ وهــو الــذي خــرج عــلى عبــد الرحمــن الداخــل بشنــت بريــة بالأندلــس؛ متحالفــا بذلــك مــع الثائــر البربــري شقيــا المكنــاسي.

ـ ثــم **نابتــة بــن عامــر**(مــن أعــلام القــرن الثــاني للهجــرة)؛ هــو الــذي خلــف هــلال بــن ابزيــا عــلى قيــادة قومــه مــن مديونــة بشنتبريــة.

***

ـ ***مواطنهــم:*** يحــدد ابــن خلــدون مواطــن جمهــور مديونــة **بأطــراف تلمســان**. وبالتحديــد.. مــا بيــن **جبــل بــني راشــد** (جبــل العمــور حاليــا) وبيــن **جبــل مديونــة**؛ جنــوب وجــدة. ويقــول أنهــم كانــوا ظواعــن؛ يرتحلــون عبــر هــذه الضــواحي، والجهــات. ومواطنهــم مجــاورة لبــني يلــومي، وبــني

يفـــرن؛ مـــن جهــــة الشـــرق، وإلى الغـــرب منهـــم مكناســـة؛ أمـــا جهـــة الساحـــل فكوميـــة، ووهلاصـــة.

É É É

(4) ــ مطغـــــــرة:

ينتسبـــون إلى **بـــني فاتـــن**. ويتميـــز هـــذا الـــحي بوفـــرة أعـــداده. وتعتبـــر **مطغـــرة** مـــن بيـــن القبائـــل المدريـــة؛ الـــتي اختـــارت حيـــاة الاستقـــرار؛ في الأريـــاف، وفي بعـــض الواحـــات، والقصـــور الجنوبيـــة. ولعبـــت هـــذه القبيلـــة أدوارا خطيـــرة؛ في تاريـــخ المغـــرب الإســـلامي؛ حيـــث تزعمـــت الحلـــف القبـــلي الأمازيـــغي؛ ضـــد ولاة بـــني أميـــة؛ بعـــد أن اعتنقـــت ــ مـــع حلفائهـــا ــ المذهـــب الخـــارجي؛ الصفْـــري. وشبـــت ثورتهـــم جميعـــا؛ بقيـــادة **ميســـرة المطغـــري**؛ مـــا بعـــد العقـــد الثـــاني مـــن القـــرن الثـــاني للهجـــرة؛ حيـــث أشعلـــت ثـــورة تلـــك القبائـــل المتحالفـــة المغـــرب الإســـلامي كلـــه بنيـــران الحـــرب، والعصيـــان؛ الأمـــر الـــذي كـــاد أن يزيـــل الوجـــود العـــربي تمامـــا مـــن هـــذه الربـــوع. وقـــد انتـــهى الحـــال بقبيلـــة مطغـــرة ــ أخيـــرا ــ إلى الفرقـــة، والضعـــف؛ فاندرجـــت ضمـــن **قبيلـــة كوميـــة** ــ في العهـــد الموحـــدي ــ بحكـــم الجـــوار، والحلـــف؛ ثـــم أضحـــت

ـ بعـد ذلـك ـ في عـداد القبائـل الخاضعـة لأحكـام الدولـة، والدافعـة للضرائـب[1].

! ! !

ـ ***أعيانهـم:*** أنجبـت مطغـرة كغيرهـا مـن القبائـل عـددا مـن العلمـاء والأدبـاء؛ منهـم:

ـ **عبـد اللـه بـن عمـر المطغـري** (تـوفي بدرعـة سنـة 927هـ/1520م)؛ فقيـه، وفـرضي؛ لـه إلمـام بالحسـاب. كـان مـن الحفـاظ، والناثريـن، والناظميـن؛ وهـذه عينـة مـن منظوماتـه؛ ذات الطابـع التعليـمي:

عَلْقَمَـة وَامْرُؤُ القَيْسِ وَالنَّابغَـة
عَنْتَـرَةَ طَرَفَـة وَزهَيْـرٌ أوفـا
هَـؤُلاَءِ السِّتَـة شَهدُوا عِنْدَنَـا
لِفَصَاحَـةِ شِعْرِهِـمُ الْمُقْتَـفىَ

ـ ثـم **أبـو عبـد اللـه محمـد بـن محمـد بـن فـارس المطغـري** (ت: حـوالي 950هـ/1543م)؛ كـان أديبـا، وشاعـرا، وأستـاذا. وكمـا هـو معـروف؛

---

[1] العبـر، مج: 6، ص ص: 239 ـ 245.

ففي بلاد الغرب يلقب بالأستاذ كل المتمكنين من فنون الأدب، وعلوم اللغة، والنحو.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن موسى بن علي ابن هارون المطغري** (ت: سنة 951هـ/1544م)؛ وهو من كبار فقهاء المالكية؛ له إلمام بالتفسير، وعلوم: اللغة، والفرائض، والحسبان.

ـ ثم **عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر المطغري** (كان حيا سنة 960هـ/1552م). كان ينظم الشعر؛ من نظمه:

صَحَوْتُ وَعُدْتُ قبْلَ يَفضَحَني السُّكْرُ
وَنلْتُ الهَوَى جَهْلاً فَأدَّبَني الدَّهْرُ

وَبَيْتِي لَزِمْتُ وَانْفِرَادي ألِفْتُهُ
وَسَيَّانِ عِنْدي وَصْلُ مَيَّة والهجْرُ

فَدِينِي التعَامِي والتَّجَاهُلُ سيرَتي
وَلَسْتُ أبَالِي جَاءَ زَيدٌ وَلاَ عَمْرُ

وقال في المواضع التي تكون فيها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مكروهة:

عَجِبْتُ لِمَنْ صَلىَّ بعَثْرَةِ بَائِعٍ
وَحَاجَةِ عَطَّاسٍ وَذَبْحِ مُجَامِعِ

لِذَا سَبْعُهَا دَعِ الصَّلاَة عَلىَ النبيِّ
وَصَلِّ عَلَيْهِ فِي سِوَاهَا وَتَابِعِ

ـ ثم **محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن المطغري**؛ المعروف بابن رحمة (ت: سنة 1001هـ/1592م). كان فقيها، ومن الصوفية.

ooo

ومن أعيان مطغرة، وقادتهم الذين اشتهروا بالسياسة، وشئون الحكم فيهم:

ـ أميرهم **ميسرة المطغري** (قتله أصحابه سنة 122هـ/739م)؛ ويقال أنه كان يعمل في السقاية؛ لذا عرف أيضا بالسقاء. تولى قيادة الصفرية في ثورتهم على ولاة بني أمية بالمغرب؛ وتطلع بعد انتصاراته الأولى إلى رتبة الخلافة؛ فأعلن نفسه خليفة، وبايعه أنصاره بتلك الرتبة؛ ولكنهم خلعوه، وقتلوه بتهمة سوء السيرة.
ـ ثم **يحيى بن حارث المطغري** (من أعلام النصف الأول من القرن الثاني للهجرة)؛ وهو الذي خلف ميسرة في رئاسة قبيلة مطغرة بعد مقتله؛ وتحالف بعد انفضاض الصفرية؛ مع أمير مغراوة محمد بن خزر.

ـ ثم **بهلول بن عبد الواحد المطغري** (كان حيا سنة 197هـ/812م)؛ وهو زعيم مطغرة في عهد الأدارسة؛ كان في البداية من المقربين إلى إدريس الثاني؛ بل تولى رعاية شئونه، وشئون دولته؛ بعد موت راشد الوصي على إدريس؛ ومع هذا تغير موقفه حين أغراه ابن الأغلب؛ وتمت بينهما مراسلات عديدة انتهت إلى انحراف بهلون عن إدريس؛ ومما وصلته من وعود ما جاء في هذا البيت الشعري لابن الأغلب شعرا:

وَبَائِعْ لِهَارُون الإِمَام بطَاعَةٍ
تَجِدْهُ عَلَى الإِسْلاَمِ خَيْرَ مُكَافِي

وكان جواب بهلول شعرا كذلك:

فَعَجّلْ عَليَّ رَدّ رَأيي فَإنَّني
أرُدُّ الهَوَى لِلْحَقِّ حِينَ يُوَافِي

وبالفعل تم الاتفاق بينهما. وقد أشار صاحب الأنيس المطرب بروض القرطاس إلى هذا الموضوع بقوله[1]: **((وكان بهلول بن عبد الواحد معظما في قومه؛ وكان من خاصة**

---

[1] ص ص: **11 ـــ 12**.

إدريس؛ فكاتبه ابن الأغلب؛ عامل الرشيد على إفريقية، واستهواه بالمال؛ فمال إليه، وبايع الرشيد؛ فكتب إليه إدريس بن إدريس:

أبَهْلُول قَدْ شَمَّمَتْ نَفْسُكَ خُطةً
تَبَدَّلتْ مِنْهَا صَوْلَة برَشَادِ
أضَلَّكَ إبْرَاهِيمُ مِنْ بُعْدِ دَارِهِ
فَأصْبَحْتَ مُنْقَاداً بِغَيْرِ قِيَادِ
كَأنَّكَ لَمْ تَسْمَع بمَكْرِ ابنِ الأغْلَب
وَقَدْ تَرَامَى بالْكَيْدِ كُلَّ بِلاَدِ
وَمِنْ دُونِ مَا مَنَّتْكَ نَفْسُكَ خَالِياً
وَمَنَّكَ إبْرَاهِيمُ شَوْكَ قَتَادِ)).

ـ ثم **هارون بن موسى بن خليفة المطغري** (توفي في الأندلس بعد سنة 672هـ/1272م)؛ كان رئيسا على قبيل مطغرة في وقت قيام دولة بني عبد الواد؛ إذ تولى **يغمراسن بن زيان** بمطاردته؛ بعد أن حاول الاستقلال بندرومة؛ فلجأ إلى بني مرين، ثم هاجر إلى الأندلس؛ بغرض الجهاد؛ فاستشهد بتلك الديار. فخلفه على رئاسة مطغرة أخوه **تاشفين.**

ـ ثم **تاشفين بن موسى بن خليفة المطغري** (ت: سنة 703هـ/1303م)؛ هو الذي توارث أبناؤه زعامة القبيلة؛ فيما بعد.

***

ـ ***مواطنهم***: لقد تعددت مواطن هذه القبيلة، وتنوعت؛ إذ منها ما هو **بالتلول**، **والجبال**، ومنها ما هو في الواحات، **والقصور الصحراوية**. ففي البداية.. استوطن جمهورهم المغربين: الأوسط، والأقصى؛ ثم انتقل جمع منهم إلى الأندلس؛ أثناء الفتح؛ فاستقروا هناك. وبقي الآخرون في تلول المغرب، وصحرائه. ومواطنهم التلية محاذية للبحر؛ **بجوار كومية**؛ حيث شيدوا حصنهم المعروف **بتاونت**. كما أن محاولتهم إقامة إمارة في ندرومة؛ تدل على وقوعها ضمن مواطنهم؛ خاصة في العهد الذي تحالفوا فيه مع جيرانهم من كومية.

ويرى ابن خلدون أن بعض الأحياء من مطغرة تسكن بجبل يسمى باسمهم؛ **جنوب مدينة فاس**. كما يوجد **بأطراف سجلماسة** جمع كبير منهم. ثم يقول في سياق حديثه:

((وربما حدثت بها عصبية من جراهم)).

ويذكر ــ أيضا ــ أن أعدادا كبيرة منهم تنتشر في الصحراء؛ يحترفون فلاحة النخيل؛ على الطريقة العربية. كما يتواجدون في شريط عريض من القصور المتتالية؛ في الصحراء؛ من سجلماسة إلى توات، إلى قليعة، فيقول: **((ومنهم في قبلة تلمسان؛ وعلى ست مراحل منها؛ وهي قصور متقاربة بعضها من بعض؛ ائتلف منها مصر كبير، مستبحر بالعمران البدوي؛ معدود في آحاد الأمصار بالصحراء؛ ضاح من ظل الملك، والدول؛ لبعده في القفر. ورئاسته في بني سيد الملوك منهم. وفي شرقيها، وعلى مراحل منها؛ قرى أخرى متتابعة على سمتها؛ متصاعدة قليلا إلى الجوف؛ آخرها على مرحلة من قبلة جبل راشد...وفي جهة الشرق عن هذه القصور؛ وعلى خمس مراحل منها؛ دامعة، متوغلة في القفر تعرف بقليعة. والآن يعتمرها رهط من مطغرة هؤلاء...))**[1].

É É É

[1] العبر، مج: 6، ص: 245.

(5) ـ مطماطـــة:

وهـــم مـــن **بـــني فاتـــن** كذلـــك. ومطمـــاط لقـــب لأبيهـــم؛ أمـــا اسمـــه فهـــو **مصكـــاب**. ولهـــذا الـــحي بطـــون كثيـــرة جـــدا؛ منتشـــرة في ربـــوع المغـــرب، وإفريقيـــة. هـــذا.. وقـــد كـــان لمطماطـــة دور هـــام بالمغـــرب؛ في عهـــد الدولـــة الزيريـــة؛ حيـــث استفحـــل أمرهـــم في أواخـــر الدولـــة. وظهـــر أثرهـــم جليـــا؛ خـــلال فتنـــة حمـــاد بـــن بلكيـــن، مـــع باديـــس ابـــن المنصـــور. ورئيـــس مطماطـــة ـــ آنئـــذ ـــ هـــو **عُزانـــَة**؛ الـــذي قـــاد قومـــه في الحـــروب، والفتـــن الـــتي دارت بينهـــم وبيـــن جيرانهـــم؛ مـــن **لواتـــة**، وغيرهـــم. وبعـــد موتـــه خلفـــه ابنـــه **زيـــري**؛ الـــذي أجـــاز ـــ فيمـــا بعـــد ـــ إلى الأندلـــس؛ عندمـــا تغلبـــت لمتونـــة عـــلى بـــلاد المغـــرب؛ فاستضافـــه ابـــن أبي عامـــر، ثـــم اصطنعـــه مـــع مـــن انضـــم إليـــه مـــن أمـــراء الأمازيـــغ[1].

! ! !

---

[1] العبـــر، مج: 6، ص ص: 250 ـــ 254.

ـ ***أعيانهم***: من أشهر أعيان مطماطة، وعلمائها:

ـ **عبد الله بن إدريس المطماطي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة)؛ ولي كتابة خراج الدولة الفاطمية؛ في عهد عبيد الله المهدي.

ـ ثم النسابة الشهير **كهلان بن أبي لوا بن يصلاصن** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة)؛ وهو من علماء مطماطة، ومن النسابين المشهورين؛ أجاز إلى الأندلس؛ ونزل على الناصر لدين الله الأموي.

ـ ثم النسابة الذائع الصيت **سابق بن سليمان ابن حراث بن صولات بن دوفاس**؛ الذي وصفه ابن خلدون بـ((**كبير نسابة البربر؛ ممن علمناه**)).

ـ ثم **أبو عمران المطماطي**. فقيه؛ من أهل الصلاح.

ـ ثم **أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي المطماطي** (توفي بتلمسان حوالي سنة 680هـ/1281م)؛ فقيه؛ قال عنه ابن مريم: ((**انتهت إليه رئاسة التدريس، والفتوى**

في أقطار المغرب كلها...وله شرح على التلقين؛ لعبد الوهاب في عشر أسفار))[2]**.**

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن محمد المطماطي** المعروف بالبزاز؛ له رواية عن مالك؛ غير أن المحققين أنكروها.

ـ ثم **أبو علي بن أحمد بن إبراهيم السلاوي المطماطي** (كان حيا سنة 684هـ/1285م)؛ فقيه، وأستاذ.

ـ ثم **علي بن موسى بن إسماعيل السلاوي المطماطي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الثامن للهجرة). فقيه.

OOO

ومن الرؤساء، والشيوخ الذين ذكروا في أحداث المغرب:

ـ **إرهاص بن عصفراصن**؛ وهو الذي أخرج منداس من موطنهم، وأسكن مطماطة فيه.

ـ ثم **عزانة المطماطي** السابق الذكر (من أعلام النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة).

---

[2] البستان، ص ص: **66 ـ 67**.

ـ ثم ولده **زيري بن عزانة المطماطي** أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو الذي خلف والده في زعامة مطماطة

***

ـ ***مواطنهم***: تنتشر مواطن **مطماطة** في ربوع المغرب الإسلامي كله. فبعض الأحياء منهم ــ كما يقول ابن خلدون ـ كانوا مستقرين بـ: **((هذه شعوب مطماطة ـ كما ذكر نسابة البربر؛ سابق وأصحابه ـ وهم مفرقون في المواطن؛ فمنهم من نواحي فاس؛ من قبلتها؛ في جبل هنالك معروف بهم؛ ما بين فاس وصفروي. ومنهم بجهات قابس؛ والبلد المختط على العين الحامية؛ من جهة غربها؛ منسوب إليهم. ولهذا العهد يقال حمة مطماطة... وبقياهم أوزاع من القبائل. وكانت مواطن جمهورهم بتلول منداس؛ عند جبل وانشريس، وجبل كزول؛ من نواحي تاهرت.وكان لهم بتلك المواطن أخريات دولة صنهاجة استفحال، وصولة...وبقية هؤلاء القوم لهذا**

العهـــد بجبـــل وادَشنيـــش.[ربمـــا وانشريـــس]))[1]. ثـــم ذكـــر أن قبيلـــة مطماطـــة نزحـــت عـــن **منـــداس**؛ بعـــد إخراجهـــا منهـــا بواسطـــة بـــني توجيـــن؛ حيـــث لجـــأت إلى **جبـــل وانشريـــس**؛ أيـــن أصبحـــت في عـــداد القبائـــل الغارمـــة.

É É É

(6) ــ مغيلـــــة:

هـــم ــ بدورهـــم ــ مـــن **بـــني فاتـــن.** وقـــد لعـــبت هـــذه القبيلـــة أدوارا خطيـــرة في القـــرون الأولى مـــن الفتـــح؛ حيـــث كانـــت في مقدمـــة القبائـــل الثائـــرة عـــلى ولاة القيـــروان. وثمـــة قـــول يجعـــل أبـــا قـــرة؛ زعيـــم الثـــوار مـــن مغيلـــة؛ وإن كانـــت أقـــوال أخـــرى أصـــدق؛ تنكـــر ذلـــك. وبعـــد انحســـار الفتنـــة الصفريـــة؛ وقامـــت مغيلـــة ــ أيضـــا ــ بنشـــر دعـــوة **إدريـــس الأكبـــر** إلى جانـــب أوربـــة، وصدينـــة، والقبائـــل المنضويـــة تحـــت سلطانـــه؛ حيـــث أخضعـــوا جـــزءا مـــن المغـــرب الأقـــصى لدولتـــه. وتنـــدرج ضمن قبيلـــة مغيلـــة أخواتهـــا؛ الـــتي التحقـــت بهـــا مثـــل: **درنـــة، وكشاتـــة، وملـــزوزة.** وربمـــا اندمجـــت بهـــم ــ

---

[1] العبـــر، مج: 6، ص ص: 251 ـــ 254.

أيضا ـ قبيلة **صدينة؛** حليفتهم في عهد الأدارسة. وبذلك أضحت هذه القبائل في عداد مغيلة، ومنسوبة إليها[1].

! ! !

ـ ***أعيانهم:*** أنجبت مغيلة نخبة متميزة من العلماء؛ منهم:

ـ **عمر بن حمدون الأموي المغيلي** (من أعلام النصف الأول من القرن الثالث للهجرة)؛ وهو من سكان رية بالأندلس؛ وكان عالما، حافظا للمسائل؛ عاش في عهد عبد الرحمن بن معاوية.

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن محمد المغيلي القرطبي** (ت: سنة 334هـ/945م)؛ وهو أحد علماء الحساب، والزراعة.

ـ ثم **أبو بكر يحيى بن عبد الله بن محمد المغيلي القرطبي** (توفي سنة 362هـ/972م)؛ وهو أديب، وكاتب بليغ؛ متمكن من علوم العربية، وفن الشعر، ومحدث بارع؛ كانت له ردود شعرية مع أبي الحسن جعفر بن عثمان

---

[1] المصدر السابق، ج: 6، ص ص: 254 ـ 256.

المصحفي. ومن شعره الوعظي مقطوعة وجهها إلى أحد معارفه (هو أبو بكر اللؤلئي)؛ إثر علة ألمت به:

تَبَيَّنْ فَقَدْ وَضَحَ المَعْلَمُ
وَبَانَ لَكَ الأمْرُ لَوْ تَفْهَمُ
هُوَ الدَّهْرُ لَسْتَ لَهُ آمِناً
ولاَ أنْتَ مِنْ صَرْفِهِ تَسْلَمُ
وَإنْ أخْطَأتْك لَهُ أسْهُمٌ
أصَابَتْك بَعْدُ لَهُ أسهُمُ
لَيَالِيهِ تُدْنِي إلَيْكَ الرَّدَى
دَوَائِب فِي ذَاكَ مَا تَسْأمُ
أتَفْرَحُ بِالبُرْءِ بَعْدَ الضَّنَا
وَفِي البُرْءِ دَاؤُكَ لَوْ تَعْلَمُ
فَأيْنَ المُلُوكُ وَأتْبَاعُهُمْ
وَدُنْيَاهُمُ أدْبَرَتْ عَنْهُمُ
فَهَذِي القُبُورُ بِهِمْ عُمِّرَتْ
وَتِلْكَ القُصُورُ خَلَتْ مِنْهُمُ
لَقَدْ صَرَّحَ الحَقُّ عَنْ غَيْبِهِ
وَبَانَ لَكَ الحَزْمُ لَوْ تَعْزِمُ
فَحَتَّ مَتَ أنْتَ طَوْعَ الرَّدَى
وَتَعْصَى الإلَهَ وَلاَ تَنْدَمُ
إلَى اللَّهِ نَشْكُو قُلوُباً قَسَتْ
وَنَشْكُو مَدَامِعَ مَا تَسْجُمُ

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن سليمان بن حارث القسَّام المغيلي القرطبي** (ت: سنة 377هـ/987م)؛ فقيه؛ عمل لدى القضاة كعدل؛ وكان ظريفا، خفيف الظل، كثير الدعابة، مقرب من السلطان.

ـ ثم **أبو بكر خلف بن يوسف بن نصر المغيلي** (توفي بطلبيرة سنة 396هـ/1005م)؛ فقيه؛ مستوعب لعلوم الفقه، والحديث.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن محمد بن خلف الشاطبي المغيلي**؛ قال عنه الأوسي المراكشي: **((رَوَى عن أبي عبد الله بن بركة، وحكى عنه أبو عمر بن عياد؛ وهو في عداد أصحابه؛ وكان ثقة خيرا))**[1].

ـ ثم **أبو القاسم عبد الرحمن بن القاسم المغيلي** (من أعلام النصف الأول من القرن السابع للهجرة). فقيه.

ـ ثم **أبو الفضل محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغيلي** (توفي بتلمسان سنة 720هـ/1320م)؛ وهو من الأدباء، والكتاب، وأعلام الفقه؛ تصدر للتدريس في تلمسان؛ وقد يكون هو الذي أشار إليه ابن الخطيب في الإحاطة؛ حين

---

[1] الذيل والتكملة، سفر: 5، قسم: 1، ص: 304.

ترجم الى عبد الله بن علي بن سَلْمون الكناني؛ ولكنه كناه أبا غالب.

ـ ثم **عيسى بن مخلوف بن عيسى المغيلي** (توفي بمصر سنة 746هـ/1345م)؛ وولي قضاء المالكية بالديار المصرية؛ فكان حميد السيرة.

ـ ثم الشيخ الفقيه **أحمد بن علي بن أحمد المغيلي السلاوي** (ت: بعد 810هـ/1407م).

ـ ثم **عبد الرحمن بن يحيى بن محمد بن صالح المغيلي** (كان حيا سنة 816هـ/1416م)؛ وهو من علماء الفقه المالكي؛ أعد شرحا على التلمسانية.

ـ ثم **أبو عمران موسى بن عيسى المغيلي** (ت: سنة 833هـ/1429م). فقيه؛ وولي القضاء.

ـ ثم **محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي**؛ الشهير بالجلاب التلمساني (ت: سنة 875هـ/1470م)؛ فقيه؛ قال عنه الشيخ السنوسي: ((**إنه حافظ لمسائل الفقه**)) وكان من المختصين بالإفتاء.

ـ ثم **أبو زكرياء يحيى بن موسى بن عيسى المغيلي** (ت: سنة 883هـ/1478م)؛ فقيه. ولي قضاء مازونة.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المغيلي** (ت: بعد 884هـ/1479م)؛ فقيه؛ ولي القضاء بأزمور؛ وكان يقرض الشعر؛ ومن شعره هذه الأبيات التي يصف فيها فاس؛ إذ كان متشوقا إليها؛ بعد أن انتقل إلى أزمور:

يَا فَاسُ حَبَا اللَّهُ أرْضَكِ مِنْ ثَرَى
وَسَقَاكِ مِنْ صَوْبِ الغَمَامِ المُسْبِلِ
يَا جَنَّةَ الخُلْدِ الَّتِي أرْبَتْ عَلَى
عَدْنٍ بمَنْظَرِهَا البَهِيِّ الأجْمَلِ
غُرَفٌ عَلَى غُرَفٍ وَيَجْرِي تَحْتَهَا
مَاءٌ أَلَذ مِنَ الرَّحِيقِ السَّلْسَلِ
وَبَسَاتِينُ مِنْ سُنْدُسٍ قدْ زُخْرِفَتْ
بجَدَاولٍ كَالأيْمِ أوْ كَالفَيْصَلِ
وَبِجَامِعِ القَروِيِّينَ شَرَّفَ ذِكْرُهُ
أنْسٌ تَذَكُّرُهُ يُهيجُ تَمَلْمُلِ
وَبِصِحْنِهِ زَمَنَ المَصِيفِ مَحَابِسٌ
فَمَعَ العَشِيِّ القُرْبَ فِيهِ اسْتَقْبِلِ
وَاجْلِسْ إزَاءَ الخُصَّةِ الحَسْنَا بِهِ
وَارْكَعْ بِهَا عَنِّيَ فَدَيْتُكَ وَانْهَلِ

ـ ثم **أبو غالب محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغيلي**. فقيه.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن أبي غالب بن حسان المغيلي** (ت: سنة 898هـ/1492م)؛ خطيب، ونائب في الأحكام الشرعية.

ـ ثم **أبو محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني** (ت: سنة 909هـ/1503م)؛ وهو من كبار فقهاء المالكية، ومن المتكلمين، وأصحاب التفسير. له مؤلفات كثيرة في الفقه، والتوحيد، والتفسير، والحديث، والمنطق، والعربية، والآداب السلطانية، والشعر؛ تصل إلى 18 تأليفا تقريبا؛ أهمها: البدر المنير في علوم التفسير، وشرح بيوع الآجال من كتاب ابن الحاجب، ومختصر تلخيص المفتاح، وشرحه في البلاغة، وشرح الجمل للخونجي، ومقدمة في المنطق، ومنظومة فيها ـ أيضا ـ بعنوان منهج الوهاب؛ خصها بثلاثة شروح، وتنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين؛ وهو نقد للمتصوفين؛ حسبما يبدو، ومقدمة في العربية، وكتاب الفتح المبين، وشرح خطبة المختصر، ورسالة مصباح الأرواح في أصول الفلاح؛ التي بعث بها إلى علماء أقطار المغرب؛ لحثهم على

مناهضة اليهود، والتصدي لهيمنتهم. وحدث بينه وبين جلال الدين السيوطي خلاف؛ حول شرعية تعاطي علم المنطق؛ فأرسل إليه هذه المنظومة؛ مدافعا فيها عن هذا العلم، ومعارضا لموقف السيوطي؛ الذي ينهى عنه. ومن هنا يتبين تفوق المنهج العلمي عند المغيلي؛ الذي يستند إلى المنطق؛ الفاصل بين ما هو حق وما هو باطل؛ بالاستناد إلى أسس عقلية.
وهذه أبيات من منظومة المغيلي:

سَمِعْتُ بأمْرٍ مَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ
وَكُلُّ حَدِيثٍ حُكْمُهُ حُكْمُ أصْلِه
أيَمْكِنُ أنَّ المَرْءَ في العِلْمِ حُجَّة
وَيَنْهَى عَنِ الفُرْقانِ في بَعْضِ قَوْلِه
هَل المَنْطِقُ المَعْنيُّ إلاَّ عِبارَة
عَن الحَقِّ أوْ حَقِيقَةَ حِينَ جَهْلِه؟
مَعانيه في كلِّ الكَلامِ فَهَلْ تَرَى
دَليلاً صَحيحاً لا يردُّ لشكلِه؟
أريني هَداك اللَّهُ مِنْهُ قَضيَّة
عَلى غَيْرِ هذا تنْفِها عَنْ مَحلِّه
ودَعْ عَنْكَ ما أبْدَى كَفُورٌ وذمِّه
رجال وإن أثْبَت صِحَةَ نقْلِه

خُذ الحقَّ حتَّ منْ كفور ولا تقِمْ
دَليــلاً على شَخْص بمذْهَــب مِثلــه
عَرَفْناهُمُ بالحَقِ لا العَكْسَ فاستْبنْ
بــهِ لا بهــم إذْ هُــمْ هُــداة لأجلِــه
لئِنْ صحَّ عَنْهُمْ ما ذَكَرْت فَكَمْ هُمُ
وكْم عالِــمٍ بالشَّــرْع باحَ بِفَضْلِــه؟

فأجابــه السيــوطي بمنظومــة أيضــا:
حَمدتُ إلَهَ العَرْشِ شُكْــراً لِفَضْلِــهِ
وأهْــدي صــلاةً للنَّــبيِّ وأهْلِــه
عجبْــتُ لِنَظْــم ما سَمعْتُ بمِثلِــهِ
أَتَــانيَ عــن حَبْــرٍ أقِــرُّ بِنُبْلــه
تَعَجَّــبَ مِنِّي حينَ ألفــتُ مُبْدعــاً
كتابــا جموعــا فيه جــمٌ بنقلــه
أقــرِرُ فيه النــَّهْيُ عن علْمِ مَنْطِــقٍ
وما قالَــهُ من قال من ذمِّ شكْلِــه
وسمَّــاهُ بالفرقان ياليْــتَ لم يَكُــنْ
فــذا وصْفُ قُــرْآنٍ كَريمٍ لِفَضْلِــه
وقــدْ قــال مُحْتجا بغيــر روايَــةٍ
مَقــالاً عجيباً نائيــاً عَــنْ مَحَلــِّه
ودَعْ عنك ما أبْدَى كفور وبَعْــدَ ذا
خُــذِ الحَقَّ حَتَّ مِنْ كفور بِخَتلِــه

وقدْ جاءَتِ الآثارُ في ذَمِّ مَنْ حَـــوَى
عُلـــومَ يَهُـــودٍ أوْ نَصارَى لأجْلِـــه

يَحـــوزُ بِـــهِ عِلمـــاً لدَيْـــهِ وإنَّـــهُ
يُعَـــذبُ تَعْذيبـــاً يَليـــقُ بِفِعْلِـــه

وقَدْ مَنَـــعَ المُخْتار فاروق صَحْبِـــه
وقَدْ خَطَّ لَوْحاً بَعْدَ تَـــوْراةِ أهْلِـــه

وكَمْ جَاءَ مِنْ نَهْيٍ اتِّبَـــاعٍ لِكافِـــرٍ
وإنْ كانَ ذاكَ الأمْرُ حَقـــاً بأصْلِـــه

أقَمْت دَليلاً بالحَديـــثِ ولَـــمْ أقِـــمْ
دَليلاً عَلى شَخصٍ بمَذْهَـــبِ مِثلِـــه

سَـــلامٌ عَلى هذا الإمامِ فَكَـــمْ لَـــهُ
لَـــدَيَّ ثنـــاءٌ واعْتـــِرافٌ بِفَضْلِـــه

هـــذا وكانـــت لمحمـــد بـــن عبـــد الكريـــم المغيـــلي مواقـــف مثيـــرة للجـــدل؛ تجـــاه يهـــود تـــوات؛ هاجـــر بعدهـــا إلى بـــلاد الســـودان **(تكـــدة، وكشـــن، وكانـــو، والتكـــرور، وكاغـــو)**؛ وكـــان لـــه تأثيـــر عجيـــب عـــلى سلاطيـــن تلـــك البـــلاد؛ حيـــث ألـــف لبعضهـــم بعـــض الكتـــب في الديـــن، وفي الأحكـــام السلطانيـــة. ومـــن مأثـــور نظمـــه:

كُلُّ العَــداوَةِ قَدْ تُــرْجَى مَوَدَّتِهَــا
إلاَّ عَــدَاوَة مَنْ عَــادَاكَ فِي الدِّيــنِ

OOO

ومــن زعمــاء **مغيلــة** ورؤسائهــا المتمرسيــن في شئــون السياســة، والحكــم:

ــ **إليــاس الغيــلي (**مــن أعــلام النصــف الثــاني مــن القــرن الأول للهجــرة**)**؛ وهــو أحــد أعــلام الأمازيــغ الداخليــن إلى الأندلــس؛ مــع الفاتــح طــارق بــن زيــاد.

ــ وقــد ســرد ابــن خلــدون اسمــاء بعــض رؤسائهــم بقولــه:**((مــن رؤسائهــم مــوسى بــن خُلَيْــد، ومليــح بــن عُلــوان، وحســان بــن زروال الداخــل مــع عبــد الرحمــن. وكــان منهــم أيضــا دلــول ابــن حمــاد؛ أميــرا عليهــم في سلطــان يعــلى بــن محمــد اليفــرني؛ وهــو الــذي اختــط بلــد إيكــري عــلى اثــني عشــر ميــلا مــن البحــر؛ وهي لهــذا العهــد خــراب))**[1].

---

[1] العبــر، مج: **6**، ص: 255

ـ ثم **أحمد بن محمد بن إلياس المغيلي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة)؛ وهو الوزير القائد؛ في عهد عبد الرحمن الناصر.

وبما أن **صدينة، وملزوزة** ـ كما سبقت الإشارة إليه ـ اندمجتا في **مغيلة**؛ فكل أعيان هاتين القبيلتين يتبعان مغيلة أيضا. وعليه يصبح منهم:

ـ **أبو حاتم يعقوب بن حبيب الملزوزي** (ت: سنة 155هـ/771م)؛ هو ذلك الثائر الإباضي المتحالف مع أبي قرة اليفرني؛ ضد ولاة بني العباس بالقيروان؛ فزحف إليها، وافتكها لبعض الوقت؛ ولكنه خسر معركته أمام يزيد بن حاتم؛ الذي قتله.

ـ ثم **أبو هارون موسى بن يحيى الصديني الفاسي** (توفي بفاس سنة 388هـ/998م). فقيه.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن حسن الصديني الفاسي** (ت: بعد سنة 600هـ/1203م)؛ كان من أصحاب الدراية، والبراعة في علوم النحو العربية والفقه؛ فأهلته معارفه وسيرته الحميدة لتولي قضاء غرناطة والتدريس بها.

ـ ثم **أبو فارس عبد العزيز بن عبد الواحد بن محمد الملزوزي** المعروف بعزوز (قتل خنقا بسجن فاس سنة 697هـ/1297م)؛ شاعر الأمراء المرينيين. قال عنه ابن الخطيب في الإحاطة: ((**كان شاعرا مكثرا سيال القريحة؛ منحط الطبقة، متجندا، عظيم الكفاية والجرأة، جسورا على الأمرا، عَلِق بخدمة الملوك من آل عبد الحق وأبنايهم، ووقف أشعاره عليهم، وأكثر النظم في وقايعهم وحروبهم، وخلط المُعَرَّب باللسان الزناتي في مخاطبتهم، فعرف بهم، ونال عريضا من دنياهم، وجما من تقريبهم**))[1]. ولي في دولة بني مرين خطة الحسبة؛ من شعره قصيدة طويلة قالها في بيعة أبي يعقوب يوسف المريني بمدينة سلا؛ نسجل بعضها هنا:

يَا ظَبْيَةَ الوَعْسَاءِ قدْ بَرِحَ الخَفَا
إنِّي صَبَرْتُ عَلىَ فَرَاقِكِ مَا كَفىَ
كمْ قدْ عَصَيْتُ عَلى هَوَاكِ عَوَاذِلي
وَأَنَابُ بالتَّبْعِيدِ مِنْكِ وَبِالجَفَا
حَمَّلْتِنِي مَا لا أطِيقُ مِنَ الهَوَى
وَسَقَيْتِنِي مِنْ غُنْجِ لحْظِكِ فرقفا

---

[1] الإحاطة: ج: 1، ص: 21.

وَكَسَوْتِني ثَوْبَ النُّحُول فَمَنْظَـــرِي
لِلنَّاظِرِيـــنَ عَـــنِ البَيَـــانِ قَدِ اخْتَـــفىَ
هَـــذَا قَتِيلـــكِ فَارْحَمِيـــهِ فَإنَّـــهُ
قَدْ صَارَ مِنْ فُرُطِ النُّـــحُولِ عَلىَ شَفَـــا
لَهْـــفِي عَلى زَمَـــنٍ تَقَضَّى بالحِمَـــا
وَعَـــلىَ مَحَـــلٍّ بالأُجَيْـــرِعِ قَدْ عَفَـــا
أتُـــرَى يَعُودُ الشَّمْلُ كَيْفَ عَهدْتُـــهُ
وَيَصِيـــرُ بَعْـــدَ فَرَاقِـــهِ مُتألِّقَـــا
لِلَّـــهِ دَرَّكِ يَا سَـــلاَ مِـــنْ بَلْـــدَةٍ
مَنْ لَمْ يُعَايِـــنْ مِثلَ حُسْـــنكِ مَا اشْتَفَـــا
قَدْ حُزْتِ بَـــرًّا ثُمَّ بَحْـــراً طَامِيًـــا
وَبِـــذَاكَ زِدْتِ مَلاَحَـــة وَتَزَخْرُفَـــا
فَإذَا رَأيْـــتَ بهَا القَطَائِـــعَ خِلْتَهَـــا
طَيْـــراً يَحُـــومُ عَلىَ الوُرُودِ مُرَفْرِفَـــا
وَالجَاذِفِيـــنَ عَلىَ الرَّكِيـــمِ كَأنَّهُـــمْ
قَوْمٌ قَـــدِ اتَّخَـــذُوا إمَامـــاً مُسْرِفَـــا
جَعَلَ الصَّـــلاَة لَهُمْ رُكُوعاً كُلَّهَـــا
وَأتىَ لِيَشْـــرَعَ فِي السُّجُـــودِ مُخَفِّفَـــا
وَالمَـــوْجُ يَـــأتِي كَالجِبَـــال عُبَابُـــه
فَتَظُنُّـــهُ فَـــوْقَ المَنَـــازِلِ مُشْرِفَـــا
حَتىَّ إذَا مَا المَـــوْجُ أبْصَـــرَ حَـــدَّه
غَضَّ العِنَـــانَ عَنِ السُّـــرَى وَتَوَقَّفَـــا

فَكَأَنَّـــهُ جَيْـــشٌ تَعَاظَـــمَ كَثْـــرَةً
قَدْ جَـــاءَ مُزْدَحِمـــاً يُبَايِـــعُ يُوسُفَـــا
مَلِـــكُ بِهِ تَرْضَى الخِلاَفَـــةُ وَالعُـــلاَ
وَبِـــهِ تُجَـــدِّدُ فِي الرِّيَاسَـــةِ مَا عَفَـــا

ولـــه أيضـــا أرجـــوزة طويلـــة جـــدا؛ نظمهـــا في عـــام 684هـــ/1285م؛ وموضوعهـــا هـــو الأحـــداث التاريخيـــة الـــتي عرفتهـــا بـــلاد المغـــرب الإســـلامي؛ مـــع التركيـــز عـــلى دولـــة بـــني مريـــن؛ سماهـــا بنظـــم السلـــوك في الأنبيـــاء والخلفـــاء والملـــوك؛ فقيمهـــا ابـــن الخطيـــب بقولـــه: **((لـــم يقصـــر فيهـــا عـــن إجـــادة)).** ومـــن هـــذه الأرجـــوزة مـــا قالـــه عـــن المرابطيـــن:

مُرَابِطُـــونَ أصْلُهُـــمْ مِنْ حِمْيَـــر
قَدْ بَعُـــدَتْ أنْسَابُهُـــم عَـــنْ مُضَـــر
وَإنَّ صَنْهَـــاجَ سَلِيـــلُ حِمْيَـــر
وَهُـــوَ ابْنُـــهُ لِصُلْبِـــه لاَ العُنْصُـــر
أكْـــرِمْ بِهِ مِنْ نَسَـــب صَرِيـــح
فَقُلْـــهُ لاَ تُخْفِـــهِ بِالتَّصْرِيـــح
وَعَدْلُهُـــمْ وَفَضْلُهُـــمْ مَشْهُـــور
وَمَجْدُهُـــمْ وَسَعْدُهُـــمْ مَذْكُـــور

ومـــا قالـــه عـــن زناتـــة، وبـــني مريـــن:

فَجَـــاوَرَتْ زِنَاتَـــة البَرْبَـــرَا
فَصَيَّـــرُوا كَلاَمَهُمْ كَمَـــا تَـــرَى
مَا بَدَّلَ الدَّهْـــرُ سِوَى أقْوَالَهُـــمْ
وَلَمْ يُبَـــدِّلْ مُنْتَـــهَى أحْوَالهـــمْ
بل فعلهم أربى على فعل العرب
فِي الحال وَالإيثارِ ثـــمَّ فِي الأدَبْ
فَانْظُرْ كَـــاَمَ العُرْبِ قد تَبَـــدَّلاَ
وَحَالُهُـــمْ عَـــنْ حَالِـــهِ تَحَـــوَّلاَ
لاَ يَعْرِفُونَ اليَـــوْمَ مَـــا الكَـــلاَمُ
وَمَـــا لَهُـــم نُطْـــقٌ وَلاَ إفْهَـــامُ
وَإنْ تَمَـــادَتْ بِهـــمُ الأحْـــوَالُ
لَمْ تَبْقَ فِي الدَّهْـــرِ لَهُمْ أقـــْوَالُ
كَذَاكَ كَانَـــتْ قَبْلَهُـــمْ مَرِيـــنُ
كَلاَمُهُـــمْ كَالـــدُّرِ إذْ يَبِيـــنُ
فَاتَّخَـــذُوا سِوَاهُـــمُ خَلِيـــلاَ
فَبَدَّلُـــوا كَلاَمَهُـــمْ تَبْديـــــلاَ

إلى أن قـــال:

فِي عَـــامِ عَشَـــرَةٍ وَسِتُمِيَّـــــة
أتَـــوْا إلَى الغَـــرْبِ مِـــنَ البَرِيَّـــة
جَاءُوا مِنَ الصَّحْرَاءِ والسَّبَاسِـــبْ
عَلىَ ظُهُورِ الخَيْـــلِ وَالنَّجَائِـــبْ

كَمِثْـــلِ مَا قَدْ دَخَـــلَ الْمُلَثِّمُـــونْ
مِنْ قَبْلِ ذَا وَهُـــمْ لَـــهُ مَيْمُـــونْ

ثـــم تطـــرق إلى تـــولي محمـــد بـــن عبـــد الحـــق إمـــارة بـــني مريـــن:

ثُـــمَّ وُلِيَ مِـــنْ بَعْـــدِهِ مُحَمَّـــدُ
وَكَـــانَ فِي أمُـــورِه يَسْتَنِـــــد
فَكَـــان لاَ يفْتِـــرُ عَـــنْ قتَـــال
مُوَاظِبـــاً لِلْحَـــرْبِ وَالنِّـــــزَالِ
كَمْ عَسْكَـــرٍ لاَقَى وَكَمْ جُنُـــودِ
وَمِنْ جُمُـــوعٍ جَمَّـــة الحُشُـــودِ
وَكَمْ مِنْ جَيشٍ جَاءَ مِنْ مَرَاكِش
أفْنَـــاهُ بالحُـــرُوبِ وَالتَّنَـــــاوُش
نَهَـــارُهُ وَلَيْلُـــــهُ طِعَـــــانْ
لَكِنَّـــــه مُؤَيَّـــــدٌ مُعَـــــانْ

وهكـــذا يتبيـــن مسعـــاه للتنويـــه بنســـب زناتـــة، وبـــني مريـــن العـــربي؛ مـــع أنـــه ملـــزوزي النســـب، وحكـــام بـــني مريـــن ينتسبـــون ــ أيضـــا ــ لقبيلتهـــم الأمازيغيـــة.

***

ــ ***مواطنهم***: يمكن حصر مواطن **مغيلة** في منطقتين: الأولى بالمغرب الأوسط؛ حول مصب **نهر شلف**؛ بضواحي **مازونة**. ومن هذه المنطقة أجاز عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس. أما المنطقة الثانية فهي بالمغرب الأقصى؛ وتمتد من **مدينة فاس إلى صفروي، فمكناس، وتازة**. وقد إختلطت بهم ــ طبعا ــ أحياء صدينة، وملزوزة.

É É É

ب ــ بنو يحيى:

هذا ما أمكن ذكره عن أبناء فاتن بن تمصيت بن ضري. أما **أبناء يحيى بن ضري** فيتفرعون إلى ثلاثة فروع هم: **بنو زانا** (أو شانا أو جانا). وهم: زناتة، وبنو سمكان، وبنو ورصطف. وجميعهم أولاد يحيي بن ضري. أما **أبناء زانا** فسيأتي ذكرهم في مكان لاحق؛ بعد الكلام عن بعض قبائل **ورصطف**، وأخيه **سمكان**. وثمة قبائل أخرى نتركها؛ لعدم أهميتها.

É É É

(1) ــ ورصطف:

هو **ورصطف بن يحيى بن ضري.** ويتفرع أبناؤه إلى ثلاثة أحياء هي: **أوكتة، ومكناسة، وورتناج.** وسيقتصر الحديث هنا على مكناسة؛ بسبب دورها الهام؛ في تاريخ المغرب الإسلامي. أما أوكتة، وورتناج؛ فقد اندمجتا في مكناسة، وأضحتا جزءا منها. وعليه.. فالكلام عنهما لا يفيد شيئا.

É É É

ــ مكناسة:

وهم **أبناء مكناس بن ورصطف بن يحيى.** ونظرا لكبر مكناسة، وتشعب أحيائها؛ يمكن وضعها في **مرتبة شعب،** أو **جمهرة.** وبطونها كثيرة جدا؛ وعليه.. نكتفي منهم بذكر أسماء: **بني حوّات، وقنصارة، وبني ورفلاس، وورنيفة، وبني وريدوس، وووريفلتة.** أما الباقون فمندمجون ضمن البطون المذكورة. هذا.. وقد لعبت هذه القبيلة أدوارا هامة، وعديدة في تاريخ المغرب الإسلامي، والأندلس. وقد كانت لأبنائها عصبة معتبرة في الأندلس، كما كانت لهم أيام، وثورات؛ استهدفت

إنشـــاء دولـــة مكناسيـــة في تلـــك الديـــار؛ مثـــل **ثـــورة شقيـــا بـــن عبـــد الواحـــد المكنـــاسي**؛ الـــذي تلقـــب بالفاطـــمي. ويبـــدو أن **عصبيـــة مكناســـة** في بـــلاد المغـــرب أخـــذت تقـــوى، وتشتـــد؛ بـــدءا بمنتصـــف القـــرن الثـــاني للهجـــرة؛ إذ أصبحـــت تهيمـــن عـــلى أريـــاف المغـــرب الأقـــصى، وصحرائـــه. ونتـــج عـــن نمـــو، وعنفـــوان هـــذه العصبيـــة؛ أنهـــا تمكنـــت مـــن إخضـــاع قبائـــل عديـــدة لسلطانهـــا، وإرادتهـــا. وهكـــذا تـــدرج قبيـــل مكناســـة ـــ بفضـــل عصبيتـــه المتماسكـــة ـــ نحـــو إقامـــة دول متتاليـــة؛ في المغربيـــن: الأقـــصى، والأوســـط. فـــفي المغـــرب الأقـــصى تمكنـــت بعـــض أحيـــاء مكناســـة مـــن إقامـــة دول، وإمـــارات؛ منهـــا: **إمـــارة بـــني واســـول الصفريـــة؛ بسجلماســـة، وإمـــارة مـــوسى بـــن أبي العافيـــة بـــن أبي باســـل؛ بتـــازا، وتســـول، وكرسيـــف. وإمـــارة مصالـــة بتيهـــرت.**

فدولـــة بـــني واســـول، أو (بـــني مـــدرار) نشـــأت بعـــد تجمـــع فئـــة مـــن صفريـــة مكناســـة؛ في منطقـــة نائيـــة؛ جنـــوب بـــلاد المغـــرب الأقـــصى؛ أيـــن شرعـــوا في بنـــاء مدينـــة **سجلماســـة**؛ الـــتي أصبحـــت حاضـــرة لدولتهـــم[1]. أمـــا **دولـــة بـــني أبي العافيـــة** فقـــد نشـــأت بعـــد استفحـــال عصبيـــة مكناســـة؛ في المغـــرب

---

[1] المغـــرب، ص ص: 148 ـــ 152. العبـــر، مج: 6، ص ص: 267 ـــ 273.

الأقـصى؛ بنـواحي **تـازا، وتسـول، وكرسيـف.** وكانـت الرئاسـة في مكناسـة ـ آنئـذ ـ بيـد أبي **باسـل بـن أبي الضحـاك بـن أبي يـزول.** وكـان هـذا الـحي ظواعـن؛ بيـن ملويـة، وكرسيـف، ومليلـة، ومـا يتصـل بهـا مـن التلـول المنبسطـة؛ في جهـات تـازا، وتسـول. ومـع مـرور الزمـن؛ أصبحـت هـذه القبيلـة تتطلـع إلى إقامـة دولـة؛ بحكـم عصبيتهـا المتغلبـة عـلى تلـك المناطـق؛ فأخـذت تزاحـم نفـوذ الدولـة **الإدريسيـة؛ بفـاس،** وإمـارة **بـني سليمـان بـن عبـد اللـه؛ بتلمسـان.** وبالفعـل.. فقـد تمكنـت هـذه القبيلـة مـن زعزعـة صـرح دولـة فـاس؛ منتهـزة فرصـة؛ أخـذت فيهـا بـوادر الهـرم تتسـرب إلى الدولـة الإدريسيـة. وعليـه.. فقـد شـرع شيـخ قبيلـة مكناسـة **(مـوسى ابـن أبي العافيـة)** في التآمـر عـلى الأدارسـة؛ بفـاس، وبـني سليمـان؛ في تلمسـان؛ حيـث شـن عليهـم حروبـا، ووقائـع لا هـوادة فيهـا؛ انتهـت بسقـوط الدولتيـن، وبـروز دولـة جديـدة هي **دولـة بـني أبي العافيـة.** تـم ذلـك بفضـل عـون، ودعـم الفاطميين الذيـن بعثـوا جيوشهـم إلى المغـرب الأقـصى؛ بقيـادة **مصالـة بـن حبـوس بـن منـازل المكنـاسي.** وبالطبـع.. فقـد اقتضـت **العصبيـة** أن يتحالـف أبنـاء

العم؛ ضد سلطان بني إدريس. وعليه فقد عمل مصالة على تعزيز قوة قومه مكناسة؛ بتوسيع نفوذهم، وبسط سلطاهم على مقاطعات جديدة؛ لم تكن لهم من قبل[2]. وكان بنو أبي العافية ـ في بداية أمرهم ـ أتباعا **للفاطميين**، ثم نقضوا عهدهم ـ بعد ذلك ـ وحولوه إلى **الأمويين** بالأندلس؛ مما أدى بالفاطميين إلى إرسال حملة تأديبية ضدهم. فتذبذب حال المكناسيين؛ في الولاء للفاطميين حينا، وللأمويين حينا آخر. غير أهم ثبتوا أخيرا على الدعوة للأمويين؛ بفضل تحالفهم مع قبيلة **مغراوة**؛ المتغلبة على المغرب الأوسط. ولكن أضحت مغراوة ـ فيما بعد ـ قوة نافذة؛ بحيث تغلبت على مكناسة نفسها، وأزاحتها عن حكم المغرب الأقصى. وعندما ظهر بلكين بن زيري في مسرح الأحداث بالمغرب الأوسط؛ انقلبت الكفة؛ وعادت مكناسة إلى البروز؛ بفضل تحالفها مع حكام **الدولة الحمادية**. وبقي الحال هكذا؛ حتى ظهرت عصبية أخرى؛ أكثر قوة، وعنفوانا؛ وهي **العصبية اللمتونية**؛ المعززة **بالتعاليم الدينية**؛ فقضت على حكم **مكناسة، ومغراوة**؛

---

[2] الأنيس المطرب، ص ص: 50 ـ 53.العبر، مج: 6، ص ص: 273 ـ 280.

معـا، وأزالـت نفوذهمـا مـن ربـوع المغربيـن: الأقـصى، والأوسـط؛ وذلـك سنـة 463هـ.

أمـا الإمـارة الثالثـة لمكناسـة؛ فـهي **إمـارة مصالـة بـن حبـوس بـن منـازل؛ بتيهـرت،** والمغـرب الأوسـط. وهـذه الإمـارة ــ في الحقيقـة ــ عبـارة عـن ولايـة؛ تابعـة للدولـة الفاطميـة؛ وهي منحـة، وهبـة للمكناسييـن؛ ممثليـن في شخـص مصالـة؛ الـذي كـان أحـد قـادة الدولـة الفاطميـة الأفـذاذ؛ فكـوفئ عـلى خدماتـه؛ بتنصيبـه واليـا عـلى تيهـرت، والمغـرب الأوسـط. ثـم خلفـه ــ بعـد مماتـه ــ أخـوه **يصلتـن بـن حبـوس،** ثـم تـلاه ولـده **حميـد بـن يصلتـن؛** الـذي تنكـر **للفاطمييـن،** وأعلـن دعوتـه **لبـني أميـة،** وتحالـف ــ في ذلـك الأمـر ــ مـع بـني خـزر المغراوييـن. ولمـا تـوفي؛ خلفـه ابنـه **يصـل،** ثـم **فياطـن بـن يصلتـن،** ثـم **عـلي بـن مصالـة.** وكانـوا جميعهـم مواليـن **لبـني أميـة؛ بالأندلـس**[1].

! ! !

---

[1] العبـر، مج: 6، ص: 266.

ـ ***أعيانهم***: ومن علماء مكناسة وأعيانها المذكورين:

ـ **أبو القاسم سمغون** (أو سمكو) **بن واسول** (ت: سنة 167هـ/783م)؛ وهو يصلي؛ وكان عالما، وفقيها في الدين، وهو شيخ الصفرية في بلاد المغرب، وكبير مكناسة؛ يقال أنه ذهب إلى **المدينة المنورة**؛ أين تلقى العلم من عند **عكرمة**؛ مولى ابن عباس رضي الله عنه.

ooo

وممن دخل التاريخ من مكناسة أيضا:

ـ **أبو قرة وانسوس** (كان حيا سنة 138هـ/755م)؛ وهو ذلك الشيخ الأمازيغي؛ الذي اختفى عنده **عبد الرحمن بن معاوية**؛ قبل دخوله الأندلس؛ غير أن أحمد المقري نسبه إلى **مغيلة**؛ حيث قال: **((وحكى غير واحد؛ أنه لما هرب من الشام إلى إفريقية قاصدا الأندلس**؛ [أي عبد الرحمن] **نزل بمغيلة؛ فصار بها عند شيخ من رؤساء البربر يدعى وانسوس، ويكنى أبا قرة؛ فاستتر عنده وقتا... فلما دخل الأندلس، واستتب أمره به؛ سار إليه أبو قرة وانسوس البربري؛**

فأحسن إليه، وحظي عنده، وأكرم زوجته تكفات البربرية التي خبأته تحت ثيابها؛ عندما فتشت رسل ابن حبيب بيتها عنه. فقال لها عبد الرحمن مداعبا؛ حين استظلت بظله في الأندلس: لقد عذبتني بريح إبطيك يا تكفات على ما كان بي من الخوف، أعطتني بأنتن من ريح الجيف؛ فكان جوابها له مسرعة: بل ذلك كان والله يا سيدي منك خرج، ولم تشعر به؛ من فرط فزعك؛ فاستظرف جوابها؛ وأغضى عن مواجهتها بمثل ذلك))[1].

ooo

ومن المكناسيين الذين أقاموا ببلاد الأندلس؛ أو ولدوا بها:

ــ **أصْبَغ بن عبد الله بن وانسوس** (توفي بقرطبة سنة 192هـ/807م)؛ كان أحد قادة الجيش الأموي في عهد الأمير الحكم بن هشام الربضي؛ وكان يترأس على نواحي ماردة؛

[1] نفح الطيب، ج: 1، ص ص: 333 ــ 334.

وأسند إليه الحكم مهمة مطاردة عمه سليمان ابن عبد الرحمن؛ فأنجز المهمة، وقبض عليه.

ـ ثم **أبو الربيع سليمان بن محمد بن أصْبَغ بن وانسوس** (ت: سنة 292هـ/904م)؛ وزير، وأديب. وهو حفيد القائد **أصبغ بن وانسوس**؛ الذي كان أميرا على الثغر **بوادي الحجارة**؛ وكانت لأسلافه ـ كما سبق ـ رئاسة في مدينة **ماردة**. وجدهم الأول هو **أبو قرة وانسوس**؛ الذي اختبأ عنده عبد الرحمن الداخل؛ بإفريقية؛ خوفا من عبد الرحمن بن حبيب؛ ومع هذا.. هناك من ينسب وانسوس هذا إلى مغيلة؛ غير أن أهل الثقة منهم ـ كابن حزم ـ ينسبونه إلى مكناسة. وقد أورد الحميدي حكاية طريفة عن **وانسوس الوزير**؛ جاء فيها: ((**كان الوزير سليمان بن وانسوس رجلا جليلا، أديبا؛ من رؤساء البربر؛ كان أثيراً عند الأمير عبد الله بن محمد؛ فدخل عليه يوما؛ وكان عظيم اللحية؛ فلما رآه مقبلا جعل الأمير ينشد:**

مَعْلُوفَة كأنَّهَا جَوَالِقُ

نَكْداءُ لاَ بَارَكَ فِيهَا الخَالِقُ

لِلْقَمْــل فِي حَافَتِهَــا نَقَانــقُ
فِيهَــا لِبُلُــوغي الْمُتَّكَــا مَرَافِــقُ
وَفِي احْتِدَامِ الصَّيْفِ ظِلٌ رَائِقُ
إنَّ الَّــذِي يَحْمِلُهَــا لَمَائِـــقُ

ثــم قــال لــه: اجلــس يــا بُرَيْبَــريُّ؛ فجلــس وقــد غضــب؛ فقــال: "أيهــا الأميــر إنمــا كــان النــاس يرغبــون في هــذه المترلــة ليدفعــوا عــن أنفسهــم الضّيْــم؛ وأمــا إذا صــارت جالبــة للــذل؛ فلنــا دُورٌ تسعنــا، وتغنينــا عنكــم؛ فــإن حلتــم بيننــا وبينهــا؛ فلنــا قبُــور تسعنــا، ولا تقــدرون عــلى أن تحولــوا بيننــا وبينهــا"؛ ثــم وضــع يديــه في الأرض، وقــام؛ مــن غيــر أن يسلــم، ونهــض إلى مترلــه...فغضــب الأميــر، وأمــر بعزلــه، ورفــع دستــه الــذي يجلــس عليــه؛ وبــقي كذلــك مــدة. ثــم إن الأميــر عبــد اللــه وجــد فقــدَه؛ لغَنائــه، وأمانتــه، ونصيحتــه؛ وفضــل رأيــه؛ فقــال للــوزراء: "لقــد وجــدت لفقــد سليمــان تأثيــراً؛ وإن أردتُ استرجاعــه ابتــداء منــا كــان ذلــك غضاضــة علينــا؛ ولــودِدت أن يبتدئنــا بالرغبــة". فقــال لــه الوزيــر محمــد بــن الوليــد بــن غانــم: "إن أذنــت لي في المسيــر إليــه؛ استنهضتــه إلى هــذا"؛ فــأذن لــه،

فنهض ابن غانم إلى دار ابن وانسوس، فاستأذن. وكانت رتبة الوزارة بالأندلس ــ أيام بني أمية ــ ألا يقوم الوزير إلاّ لوزير مثله؛ فإنه كان يتلقاه، ويُنزلُه معه إلى مرتبته، ولا يَحجُبه أولاً لحظة؛ فأبطأ الإذن على ابن غانم حيناً؛ ثم أذِن له، فدخل عليه، فوجده قاعداً؛ فلم يتزحزح له، ولا قام إليه. فقال له ابن غانم: "ما هذا الكِبْر؟ عهدي بك ــ وأنت وزيرُ السلطان، وفي أبَّهة رضاه ــ تتلقّاني على قدم، وتتزحزحُ لي عن صدر مجلسك؛ وأنت الآن في مَوْجدَته؛ بضد ذلك". فقال له: "نعم! لأني كَنت حينئذ عبداً مثلك، وأنا اليوم حُرٌّ"...فيئس ابن غانم؛ وخرج، ولم يكلمه، ورجع إلى الأمير فأخبره. وابتدأ الأمير بالإرسال إليه، وردّه إلى أفضل ما كان عليه))[1]. وقد وردت بعض العينات من شعر وانسوس هذا في مصادر عديدة متفرقة؛ منها: المقتبس؛ لابن حيان، وكتاب المُغْرب في حُلَي المَغْرب؛ لابن سعيد؛ منها:

الحبُّ عَلَّمَ مُقْلتي أنْ تَسْهَرَا
وقَضَى عَلَيَّ بأنْ أذِلَّ وأصْبِرَا

---

[1] جذوة المقتبس، ص ص: 226 ــ 227.

يَا مُشْبِــهَ القمَرَينِ مَالكَ مُعْرِضا
عَــنِّ وإنـــِّي لا أزَالُ مُحَيَّــــرَا

ويقـــول أيضـــا:
كَيْفَ لِي أنْ أعِيشَ دُونَك يَا بَدْ
رَ الدَّيَــاجِي وأنْــتَ مِــنِّي بَعِيــدُ
إنَّ يَوْمــًا أرَاكَ فِيــهِ لَيَــوْمٌ
فِي حِسَابِي مَــدَى الزَّمَــانِ سَعِيــدُ
ومُــرَادِي   ألاَّ   أرَاكَ تُــدَانِي
غَيْــرَ وَصْــلِي وذَاكَ مَــالاَ تُريــدُ

ووصفــه ابــن حيــان في تاريخــه؛ مــع إيــراد حكايــة عنــه؛ إذ قــال: **((أصلــه مــن البرابــر؛ ولــه فيهــم بيــت شــرف بالأندلــس؛ وكــان جــده رئيســا بمــاردة مطاعــا؛ وكــان قــد ثــار بهــا عــلى الأميــر الحكــم بــن هشــام؛ وجــرت لــه خطــوب كبــار؛ في حــالي: المعصيــة، والطاعــة. وتمهــد ابــن ابنــه سليمــان هــذا مهــاد الطاعــة؛ مــن بعــد نــزوات سلفــه؛ وعلــق بحبــال الخدمــة؛ فتصــرف للسلطــان في أعمــال كثيــرة؛ إلى أن ارتــقى الــذروة؛ وولي خطــة الــوزارة للأميــر عبــد اللــه ابــن محمــد؛ وصــارت لــه حظــوة؛ وكــان أديبــا متفننــا،**

وشاعـــرا مطبوعـــا، حســـن البيـــان، بليغـــا، حصيفـــا، داهيـــة... وذكـــروا أن الأميـــر عبـــد اللـــه بـــن محمـــد؛ عندمـــا عـــزل جهـــور بـــن عبد الملـــك البخـــتي مـــن عمـــل كـــورة إلبيـــرة؛ لتظلـــم الرعيـــة منـــه؛ قـــدم عنهـــا بمـــال كثيـــر ممـــا غلـــه؛ وتاحـــف منـــه جماعـــة مـــن الـــوزراء؛ وأغفـــل سليمـــان بـــن وانســـوس؛ وهـــو منهـــم؛ فأحقـــده عـــلى نفســـه. وخـــلا الأميـــر عبـــد اللـــه بالـــوزراء، وشاورهـــم في إغـــرام جهـــور؛ فكلهـــم دافـــع عنـــه، وثـــنى الأميـــر عـــن همومـــه بـــه؛ إلاَّ سليمـــان؛ فإنـــه زمَّ (أي سجـــل) بـــه كتابـــا؛ فقـــال لـــه الأميـــر: "مـــا لـــك لا تقـــول يـــا سليمـــان"؟ فقـــال: "إن قلـــت خالفتهـــم؛ لكـــني ســـوف أكتـــب بمـــا عنـــدي دونهـــم؛ وفضـــل الـــرأي للأميـــر". فلمـــا أن خـــرج إلى بيـــت الـــوزارة؛ أكـــب عـــلى رقعـــة كتـــب فيهـــا إلى الأميـــر بهـــذه الأبيـــات:

جَاءَ الحِمَارُ حِمَارُ الوَحْشِ مُحْتَشِيـــاً
مِمَّا أَفَـــادَ مِنَ الأَمْـــوَالِ وَالطـــّرَفِ

خَلِيَّ لَبِيـــرَةَ قَدْ أَوْدَى بِسَاكِنِهَـــا
بِقُبْحِ سِيرَتِـــهِ وَالعُنْـــفِ وَالسَّـــرَفِ

فَاحْمِلْ عَلَى العَيْرِ حِمْلاً يَسْتَقِلُّ بِـــهِ
وَاتْـــرُكْ لَهُ سَبَبـــاً لِلتِّبْـــنِ وَالعَلَـــفِ

فلما قرأ الأمير عبد الله أبياته؛ أمر بإدخاله إليه؛ فضحك منه، وقال له: "يا سليمان؛ لو زدتنا في الأبيات لزدنا الحمار في الغرم؛ وأمر بإغرامه ثلاثة آلاف دينار))[1].

ويبدو أن أبيات ابن وانسوس علقت في الذاكرة الأدبية ــ آنئذ ــ إذ التصق بأبناء عبد الملك البختي اسم الحمار؛ فنبزوا به بين العامة، والخاصة؛ من ذلك أبيات قالها أحمد بن شهيد؛ في عبد الملك بن بختي بن عبد الملك؛ يهجوه فيها:

أَتَيْناكَ لاَ عَنْ حَاجَةٍ عَرَضَتْ لَنَا
إِلَيْكَ وَلاَ قَلْب إِلَيْك مُشَوَّقِ
وَلَكِنَّنَا زُرْنَا بفَضْلِ حُلُومِنَا
حِمَاراً تَوَلَّى بِرَّنَا بِعُقُوقِ

ــ ثم **أبو محمد عبد الله بن حماد المكناسي** المعروف بابن زَغْيُوج (كان حيا سنة 567هـ/1171م)؛ قال عنه ابن الأبار: **((كان من أهل المعرفة والنباهة))**[1].

---

[1] المقتبس، ص ص: 189 ــ 193.

[1] التكملة، ج: ص ص: 918 ــ 919.

ـ ثم **أبو محمد عبد الرحمن بن محمد السلمي الأندلسي المكناسي** (توفي بمراكش سنة 571هـ/1175م)؛ وهو أديب، وشاعر؛ متفنن في كتاباته؛ له ديوان رسائل تناقله الناس، وتهافتوا عليه، وله ـ أيضا ـ مقامات في عدة أغراض؛ وقالوا فيه: **((ختمت البلاغة به في الأندلس))**[2].

ـ ثم **أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمود المكناسي** (ت: سنة 573هـ/1177م)؛ إمام الحرم الشريف؛ وكان ورعا وزاهدا في الدنيا؛ دمث الأخلاق، حسن السيرة.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن أبي جَلاَّ المكناسي** (ت: سنة 746هـ/1345م)؛ قال عنه ابن الخطيب: **((كان شيخا ذكيا، طيب النفس، مليح الحديث، حافظا للمسائل الفقهية، عارفا لها، قائما على كتاب المدونة... حسن المذاكرة، مليح المجلس أنيسه، كثير الحكايات؛ إلا أنه كان يحكي غرائب شاهدها تملحا، وأنسا؛ فينمقها عليه الطلبة؛ وربما تعدو ا ذلك إلى الافتعال على وجه المزاح، والمداعبة؛ حتى لجمعوا من ذلك كثيرا في جزء سموه بـ"السلك المحلاَّ في أخبار ابن جلاَّ"؛ فمن**

---

[2] الزركلي؛ الأعلام، ج: 4، ص: 104.

ذلك ما زعموا أنه حدث بأنه كانت له هرة؛ فدخل البيت يوما؛ فوجدها قد بلت أحد كفيها، وجعلته في الدقيق حتى علق به؛ ونصبته بإزاء كوة فأر في الجدار، ورفعت اليد الأخرى لصيده؛ فناداها باسمها؛ فردت رأسها، وجعلت إصبعها في فمها على هيئة المشير بالصمت؛ وأشباه ذلك كثير))[3]. ألا ترى معي..؟ أنه قد ابتكر ما يعرف الآن بقصص الأطفال، والحكايات التي يمكن أن تصلح أفلاما كرتونية؛ لو كانت السينما قد اكتشفت آنذاك..

ــ ثم **أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن الفاسي المكناسي** (من أعلام النصف الثاني من القرن السابع للهجرة)؛ فقيه، ومحدث من أهل الحفظ.

ــ ثم الفقيه القاضي **علي بن أحمد بن أبي العافية المكناسي** (ت: بعد سنة 684هـ/1285م)؛ فقيه ولي قضاء مكناسة.

---

[3] **الإحاطة، ج: 4، ص ص: 184 ــ 185.**

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن سعيد القَيْجَمِيسي الورزيغي المكناسي** (توفي بفاس سنة 870هـ/1465م)؛ فقيه، وأديب؛ له مؤلفات منها: كتاب نظم مسائل ابن جماعة؛ وهو في البيوع.

ـ ثم الفقيه القاضي **أحمد بن علي بن عبد الرحمن بن أبي العافية المكناسي** (توفي بفاس سنة 955هـ/1548م)؛ ولي خطة القضاء بمكناسة.

ـ ثم **محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن أبي العافية المكناسي** (ت: سنة 962هـ/1554م)؛ كان أستاذا في النحو وعلوم العربية، وحافظا لمختصر ابن الحاجب، الرسالة.

ـ ثم **محمد بن محمد بن أحمد بن علي ابن أبي العافية المكناسي** (ت: سنة 981هـ/1573م)؛ وهو والد مؤلف درة الحجال. كان فقيها، نوازليا، متمكنا من علمي: الحساب، والفرائض.

ـ ثم **عبد بن أحمد بن محمد بن عبود علي بن أبي العافية المكناسي** (ت: سنة 987هـ/1579م)؛ كان من الحفاظ، فقيه؛ كان يستظهر مختصر خليل، والرسالة.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي العافية المكناسي** المعروف بالأحول (كان حيا سنة 824هـ/1421م)؛ فقيه. عرضت عليه خطة الخطبة بمكناسة؛ فزهد عنها؛ فأسندت إلى أخيه أبي العز.

ـ ثم **أبو العز بن أحمد بن أبي العافية المكناسي** (كان حيا سنة 824هـ/1421م)؛ فقيه. ولي الخطابة والقضاء في مكناسة.

ـ ثم **أبو القاسم محمد بن محمد بن قاسم ابن علي بن عبد الرحمن بن أبي العافية المكناسي** (ولد سنة 960هـ/1552م)؛ فقيه؛ ومن المشتغلين بعلم النحو؛ أعد تعليقا على المرادي، وكتب شرحا على ألفية ابن مالك في مجلدين كبيرين، كما أعد شرحا آخر على مقدمة ابن آجروم في مجلد ضخم؛ وهو أيضا ملم بالقراءات، والفقه، والحساب، والفرائض.

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي** الشهير بابن القاضي (ت: سنة 1025هـ/1616م)؛ له إلمام بعلوم شتى؛ منها: التفسير، والفقه، والحديث، والتاريخ، واللغة، والأدب، والمنطق، والهندسة، والحساب، والفرائض، ونظم الشعر؛ له مؤلفات كثيرة؛ منها: درة

الحجال في غرة أسماء الرجال، والمنتقى المقصور على مآثر الخليفة أبي العباس المنصور، وغنية الرائض في طبقات أهل الحساب والفرائض، المدخل في الهندسة، ونيل الأمل فيما به جرى بين المالكية العمل، ونظم تلخيص بن البناء، ونظم منطق السعد، وتقاييد على جداول الحوفي، والفتح النبيل لما تضمنه من أسماء العدد التتزيل، وفهرسة، ولقط الفرائد في تحقيق الفوائد، ودرة السلوك فيمن حوى الملك من الملوك، وجذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس؛ وهو تاريخ سياسي، وعمراني، وثقافي لمدينة فاس. ومن شعره قصيدة بعث بها إلى سلطان المغرب؛ أبي العباس المنصور يستصرخه لافتدائه من أسر الأسبان؛ نذكر منها:

تجَلَّتْ عَنِ العَاني الأسِيرِ المُكَبَّلِ
هُمُومٌ سَرَتْ في الجِسْمِ في كُلِّ مفصلِ

بذِكْرِ الإمَامِ الهَاشِمِيِّ الذي سَمَا
بِسيمَةِ خَيْرِ الخَلْقِ في كُلِّ محْفَلِ

إلى أن يقول:

بِحَقِّ الّذي أوْلاَكَ مُلْكاً فَنَجِّني
مِنَ الهُلْكِ يا قَصْدَ السبيل المُكبَّلِ

وَكُنْ يا إمامَ العَــدْلِ في عَــوْنِ خائِــرٍ
أسيرٍ كَسيــرٍ ذي جَنَــاحٍ مُذلَــلِ

ooo

أمــا رجــال السياســة، والسيــف؛ مــن مكناســة فهــم:

ـــ **أبــو المنصــور اليســع بــن سمغــون المكنــاسي** (ت: سنــة 208هـــ/823م)؛ وهــو الأميــر الثالــث في دولــة بــني واســول؛ قــام بإنجــازات هامــة خــلال حكمــه لسجلماســة؛ إذ أكمــل بنــاء سجلماســة، واختــط بهــا المصانــع، والقصــور؛ وفي عهــده استفحــل ملــك بــني سمغــون.

ـــ ثــم **مــدرار بــن اليســع بــن سمغــون المكنــاسي** (ت: سنــة 253هـــ/867م)؛ هــو أشهــر حكــام سجلماســة؛ إذ باسمــه سميــت الدولــة.

ـــ ثــم **اليســع بــن مدرار بــن اليســع بــن سمغــون المكنــاسي** (قتلــه الشيــعي سنــة 296هـــ/908م)؛ إذ دخــل في عهــده عبيــد اللــه المهــدي إلى بــلاد المغــرب؛ حيــث لجــأ إلى سجلماســة؛ هاربــا مــن عيــون بــني الأغلــب؛ فقبــض عليــه اليســع، وسجنــه عنــده؛ بإيعــاز مــن الخليفــة ببغــداد. لــذا فقــد بــذل عبــد اللــه الشيــعي (داعيــة الشيعــة) جهــده في

سبيل غزو سجلماسة، وتخليص المهدي؛ وبالفعل تم له ذلك؛ بمعونة جيوش كتامة، حيث استولى عليها، وطارد اليسع حتى قبض عليه، وقتله؛ وأقام على المدينة واليا كتاميا من قبله.

ـ ثم **الفتح بن ميمون بن مدرار المكناسي** (ت: سنة 300هـ/912م)؛ ثار على والي مدينة سجلماسة؛ الذي نصبه أبو عبد الله الشيعي؛ واستعاد ملك أجداده المكناسيين لفترة؛ ثم جاءت ـ من جديد ـ جيوش الشيعة؛ فاستردها من أخيه الذي خلفه بعد وفاته؛ ولكن أسندت إمارة المدينة هذه المرة ؛إلى أمراء من بني مدرار؛ تحت طاعة الفاطميين.

ـ ثم **محمد بن الفتح بن ميمون بن مدرار المكناسي** (توفي بسجن المهدية بعد 347هـ/958م)؛ افتك إمارة سجلماسة من ابن عمه الوالي؛ التابع للفاطميين سنة 322هـ/933م؛ وأعلن الدعوة إلى العباسيين؛ آخذا بمذهب السنة؛ نابذا بذلك مذهب آبائه الصفريين، ومذهب حكام المغرب من الشيعة. وفي سنة 342هـ/953م تسمى بأمير المؤمنين، وتلقب بالشاكر لله؛ ثم سك السكة التي عرفت بالشاكرية؛ وقد وصفه ابن حزم بقوله: **((وكان في غاية العدل))**. ولكن تغلبت

عليه جيوش كتامة، وصنهاجة الشيعية هو الآخر؛ حيث اقتادوه إلى سجن المهدية؛ أين مات.

ـ ثم **مصالة بن حبوس المكناسي** (ت: سنة 312هـ/924م)؛ من أكبر القادة العسكريين في الدولة الفاطمية؛ كان ـ في بداية أمره ـ رئيسا على بعض أحياء مكناسة؛ ثم انضم إلى الأحلاف القبلية المنحازة للفاطميين؛ حيث أسندت إليه قيادة جيش الدولة؛ المكلف بالزحف نحو غرب البلاد؛ وكان له دور أساسي في الإطاحة بالدولة الإدريسية، وتقزيم دورها؛ بعد دعمه لبني عمه بني أبي العافية المكناسيين؛ ضد نفوذ الأدارسة.

ـ ثم **موسى بن أبي العافية بن أبي باسل بن أبي الضحاك بن يزول المكناسي** (ت: سنة 341هـ/952م)؛ هو الذي أسس إمارة مكناسة بجهات مراكش. وكانت ضمن مملكته: مكناسة، وتسول، وتازا، وكرسيف؛ ولما زحف مصالة ابن حبوس المكناسي إلى غرب البلاد؛ لإخضاع الأدارسة؛ منح ابن عمه موسى بن أبي العافية ضواحي المغرب بكاملها؛ مقتطعا إياها من سلطان الأدارسة. وظل ابن أبي العافية يناجز الأدارسة؛ حتى استولى على ملكهم بالكامل

تقريبا. وعندما أحس بقوته، و بعد غياب تأثير ابن عمه مصالة؛ الذي مات؛ حول ابن أبي العافية ولاءه إلى بني أمية بالأندلس؛ الأمر الذي أغضب سلطان الدولة الفاطمية؛ فبعث إليه عدة حملات تأديبية؛ انتهت بقتله في الصحراء.

ـ ثم **محمد بن عبد الله بن إبراهيم المكناسي** (ت: سنة 363هـ/973م)؛ هو رابع أمراء بني أبي العافية المكناسيين، وآخرها؛ إذ انقرضت دولتهم بوفاته.

ـ ثم **القاسم بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن موسى ابن أبي العافية المكناسي** (ت: بعدسنة 462هـ/1069م)؛ هو أحد رؤساء مكناسة؛ تولى قيادة زناتة في محاربة المرابطين سنة 460هـ/1067م؛ فهزمهم، وافتك منهم مدينة فاس؛ بعد أن تمكنوا من فتحها؛ ولكنهم أعادوا الكرة في سنة 462هـ، واحتلوها من جديد.

***

ـ ***مواطنهم***: أما مواطن مكناسة؛ فتمتد على طول **وادي ملوية؛ من أعلاه؛ عند سجلماسة؛ وحتى مصبه في البحر الأبيض المتوسط**؛ مشتملة على **نواحي تازا، وتسول.** وكان جمهور مكناسة ظواعن؛ عبر تلك المواطن؛ يرتحلون فيها طولا، وعرضا. وقد سميت بهم مدينة مكناسة المغربية. ويقول عبد الوهاب بن منصور أن بعض البقايا من مكناسة مازالت حتى الآن بالقرب من **تازا**؛ وتدعى بهذا الاسم. كما أن قبيلة أخرى تدعى مكناسة؛ مازالت حتى الآن ـ كذلك ـ بالقرب من مدينة **عمي موسى؛ بولاية وهران**[1]. بالإضافة إلى بعض الأوزاع منهم هنا وهناك؛ في بلاد المغرب كله. أما ابن خلدون فيختم الحديث عن مكناسة بخلاصة؛ ذكر فيها ما وصل إليه حالهم. فذكر أنهم ـ في عهده ـ كانوا متواجدين في **جبال تازا**؛ بعد أن استكانوا لسلطان الدولة؛ فأعطوا الجباية بوفرة، ومدوا الدولة بالمقاتلين، وبالخيل. كما توزع بعضهم ضمن قبائل أخرى؛ **بإفريقية، والمغرب الأوسط.**

É É É

---

[1] **قبائل المغرب، ج: 1، ص: 312.**

(2) ــ زناتـــــة:

وبعـــد **أبنـــاء ورصطـــف بـــن يحـيى بـــن ضـــري**؛ يـــأتي دور أبنـــاء **زانـــا** (أو جانـــا أو شانـــا) **بـــن يـــحي ابـــن ضـــرى.** ويعرفـــون باســـم **زناتـــة**؛ وهـــم حســـب قـــول ابـــن حـــزم ثلاثـــة أحيـــاء: **الدّيديـــت، وورسيـــج، وفريـــني**[2]. وعنـــد ابـــن خلـــدون: **الديـــرت، وورسيـــك، وفـــرني.** وقـــد تناسلـــوا، وتكاثفـــت أحياؤهـــم؛ إلى حـــدٍ أصبحـــوا بـــه في مرتبـــة قبائـــل، أو شعـــوب؛ طبقـــا لـــرأي ابـــن خلـــدون؛ الـــذي يصفهـــم بصفـــات تتعـــدى صفـــات البطـــون. وبهـــذا يحتلـــون مراتـــب أعـــلى مـــن مرتبـــة بطـــن؛ وذلـــك حينمـــا نعتمـــد عـــلى الترتيـــب المتبـــع لـــدى النسابيـــن العـــرب. فابـــن خلـــدون عندمـــا يتكلـــم عـــن زناتـــة؛ يجعلهـــا في مرتبـــة **جيـــل.** كمـــا يكثـــر مـــن قـــول: **((شعـــوب زناتـــة)).** وهـــذا كلـــه يـــدل عـــلى ضخامـــة زناتـــة، وكثافـــة أحيائهـــا، وتشعبهـــا. أضـــف إلى ذلـــك أنـــه خَصَـــص لزناتـــة حيـــزا كبيـــرا مـــن كتابـــه العبـــر؛ إذ يشملـــه المجلـــد السابـــع بكاملـــه تقريبـــا. بينمـــا خصـــص المجلـــد الســـادس لبقيـــة الأمازيـــغ، مـــع بـــني هـــلال، وسليـــم. وبالموازنـــة؛ تظهـــر أهميـــة **زناتـــة.** غيـــر أن قوتييـــه E. F. GAUTIER

---

[2] **الجمهـرة، ص ص: 495 ـــ 496.**

ينسب ذلك إلى كون الزمن الذي كتب فيه ابن خلدون كتابه؛ كانت زناتة مهيمنة على الحكم في بلاد المغرب؛ مثل بني عبد الواد، وبني مرين، وغيرهم[1].

ـ مدلول زناتة ونسبها: يستعمل ابن خلدون كلمة زناتة بأسلوب يوحي أنها تقابل كلمة أمازيغ، وتتكافأ معها. ففي المقدمة يقول: **((وهؤلاء هم العرب؛ وفي معناهم ظعون البربر، وزناتة بالمغرب، والأكراد، والتركمان، والترك بالمشرق))**[2]. ويقول أيضا في كتاب العبر: **((فأما أولية هذا الجيل** [زناتة] **بإفريقية، والمغرب؛ فهي مساوقة لأولية البربر؛ منذ أحقاب متطاولة؛ لا يعلم مبدأها إلا الله تعالى... وملك الإفرنجة بها يومئذ جرجير؛ فظاهره زناتة، والبربر على شأنه))**[3]. وثمة أمثلة أخرى من هذا النوع؛ لدى ابن خلدون، وغيره من المؤرخين المسلمين.

ويبدو أن ابن خلدون ساير التعبير المتبع لدى نسابة زناتة؛ الذين كانوا يقابلون زناتة بالبربر؛ نظرا لاعتقادهم في نسبهم العربي. وذلك

---

[1] Le Passé de L'Afrique du Nord, pp: 217- 218.

[2] ج: 2، ص: 583.

[3] العبر: مج: 7، ص ص: 14 ـــ 15.

من خلال المزاعم السائدة بين قبائل زناتة؛ ومفادها أنهم ينتمون إلى العرب؛ لذا فهم عندما يتكلمون عن سكان المغرب؛ يقولون: **زناتة، والبربر.** فزناتة ــ كما سبق ــ تنسب إلى **زانا** أو (جانا) **بن يحي بن ضري بن مادغيس الأبتر.** وثمة من يعود بسلسلة الأسماء إلى المدعو **بر.** ومنه تنطلق السلسلة التي يزعمون أنها تربطهم بالنسب العربي؛ أي بقيس عيلان، أو بحمير. ولكن ابن حزم، وابن خلدون ينكران ــ كما سبق ــ تلك الأقوال؛ ويرجحان القول بانتسابهم إلى كنعان بن حام؛ مثل ما هو الحال بالنسبة لكثير من الأمازيغ. أما الظاهرتان المميزتان لزناتة عن غيرها من الأمازيغ؛ فيحددهما ابن خلدون؛ في **أسلوب العيش، وفي اللهجات.**

***

ــ أسلوب العيش: تعتمد زناتة في عيشها على النجعة، والظعن؛ عبر السهوب، والفيافي. فهم كالأعراب؛ يتخذون الخيام مساكن لهم، ويتلهفون على اكتساب الإبل، والخيل. وفي ذلك يقول ابن خلدون: **((وهم لهذا العهد آخذون من شعائر العرب: في سكنى الخيام،**

واتخاذ الإبل، وركوب الخيل، والتغلب في الأرض، وإيلاف الرحلتين، وتخطف الناس من العمران، والإباية عن الانقياد للنصفة. وشعارهم بين البربر اللغة التي يتراطنون بها؛ وهي مشتهرة بنوعها؛ عن سائر رطانة البربر))[1].

إذن.. فثمة تشابه كبير في أسلوب العيش؛ بين زناتة والأعراب. وحتى الترعة المتطرفة؛ التي تميل إلى تجاهل حق الآخرين، والانسياق وراء الغزو، والإغارة على العمران، والاعتداء على ممتلكات الناس؛ هي من خصائصهم أيضا؛ مثل ما هو حال الأعراب.

***

ـــ ***اللهجات:*** إن اللهجات التي تتكلم بها زناتة تختلف عن لهجات الأمازيغ الأخرى. وهذا ما ذكره ابن خلدون في النص السابق الذكر. وثمة أبحاث تقول بأن لهجاتهم تنتمي إلى أصول لسانية حامية ـــ سامية، وتلتقي مع اللغة العربية في بعض الخصائص المشتركة. وبالطبع.. فإن هاتين الظاهرتين: **(أسلوب العيش، واللهجات)** تبعثان على الاعتقاد في احتمال نزوح زناتة من المشرق إلى بلاد المغرب؛ في

[1] العبر: مج: 7، مج: 7، ص: 3.

عهود ليست بعيدة جدا. وربما تزامنت مع ظهور الإبل في هذه الربوع؛ وقد يكون ذلك في أواخر القرن الثالث، وبداية القرن الربع للميلاد[2]. ولكن ابن خلدون يرى غير هذا؛ حين يقول: ((**أما أولية هذا الجيل** (أي زناتة) **بإفرقية فهي مساوقة لأولية البربر منذ أحقاب متطاولة لا يعلم مبدأها إلا الله تعالى**)).

ومعنى كلمة زناتة عالجه ابن خلدون في بعض الفقرات من كتاب العبر؛ حيث قال: **((ونطقهم بهذه الجيم؛ ليس من مخرج الجيم عند العرب؛ بل ينطقون بها بين الجيم، والشين، وأميل إلى السين. ويقرب للسمع منها بعض الصفير؛ فأبدلوها زايا محضة؛ لاتصال مخرج الزاي بالسين؛ فصارت زانات؛ لفظا مفردا؛ دالا على الجنس. ثم ألحقوا به هاء النسبة، وحذفوا الألف التي بعد الزاي؛ تخفيفا...))**[1].

---

[2] Gautier, Le Passé de L'Afrique du Nord, p: 227. وللتوسع يمكن الرجوع إلى كتاب بن عميرة؛ دورة زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي.

[1] العبر، مج: 7، ص: 14.

وإذا كان اسم زناتة معروفا لدى مؤرخي العهد الإسلامي؛ فإنها بالمقابل غُلفت بغموض كثيف؛ خلال الأحقاب التاريخية السابقة للفتح الإسلامي. ومع هذا.. فلا يستبعد وجود هذه التسمية في العهد البيزنطي. لأنه حين تم العثور على بعض التسجيلات التاريخية؛ في **شلف، وشرشال**؛ اتضح أن أحد الأسماء المسجلة يدل على شخص منسوب إلى **زناتة**؛ هو **(كلوديوس زناتوس)** CLAUDIUS ZENATUS. ولا نعرف إن كان هذا الاسم يكفي للدلالة على تداول اسم زناتة في الحقبة التاريخية البيزنطية[2]. فشاهد واحد ــ كهذا ــ لا يجلي الحقيقة كلها. غير أن ابن خلدون يرى بأن أولية زناتة تعود إلى حقبة موغلة في التاريخ. وهي متماشية ــ في القدم ــ مع أزلية الأمازيغ كافة. وذكر أن زناتة كانت تؤدي ــ بصورة من الصور ــ للبيزنطيين (الإفرنج كما يسميهم) فروض الطاعة؛ على شكل خراج مؤقت، ومقاتلين؛ يحاربون إلى جانبهم، **((ويمتنعون عليهم فيما سوى ذلك))**[3].

---

[2] **Gautier, Le Passé de L'Afrique du Nord, p: 228. وبن عميرة؛ دور زناتة، ص: 15**

[3] **العبر، مج: 7، ص: 15.**

إذن.. فقد تكون زناتة معروفة في العهد البيزنطي؟ وربما كانت في عداد القبائل الجمالة؛ ذات النجعة الموغلة في الصحراء؛ والتي ظهرت في أواخر العهد الوندالي. تلك القبائل التي استعملت الجمال في حربها ضد الوندال، والبيزنطيين. وجملة القول.. أن اسم زناتة ـ في المغرب ـ لم يبدأ في الظهور بوضوح إلا بعد الفتح الإسلامي؛ حيث أصبح هذا الاسم يتردد في كتابات المؤرخين. فابن خلدون مثلا يبرز دور زناتة؛ أثناء حديثه عن الفتح الإسلامي **لسبيطلة**؛ حاضرة القائد البيزنطي GREGOIRE **(جرجير)**. ثم ينتقل إلى المقاومة التي قامت بها الكاهنة؛ التي تنتسب إلى زناتة[1]. ودور **زناتة** في المغرب الإسلامي؛ يمكن إجماله ضمن الأدوار التي قامت بها بعض فروعها؛ مثل: **جراوة، وبني يفرن، ومغراوة، وبني عبد الواد، وبني مرين، وبني توجين.**

***

[1] **العبر، مج: 7، ص ص: 16 ـ 18.**

ـ ***مواطنهم***: حدد ابن خلدون مواطن زناتة ـ بصورة عامة ـ ضمن ما يعرف **بالمغرب الأوسط**؛ لأنه منسوب إليها، ومعروف بها. ومع هذا فقبائل زناتة متواجدة في أقطار المغرب كلها. على أن جمهورهم يتواجد في المناطق التي تنبت فيها **النخيل**؛ ما **بين غدامس، والسوس الأقصى**. كما يتواجد ـ أيضا ـ بتلول **إفريقية، وطرابلس، وجبل أوراس.** **((ومواطنهم في سائر مواطن البربر؛ بإفريقية، والمغرب... والأكثر منهم بالمغرب الأوسط؛ حتى أنه ينسب إليهم، ويعرف بهم؛ فيقال: وطن زناتة. ومنهم بالمغرب الأقصى أمم أخرى. وهم ـ لهذا العهد ـ أهل دول، وملك؛ بالمغربين. وكانت لهم فيه دول أخرى في القديم))**[2].

É É É

[2] العبر، مج: 7، ص ص: 3 ـ 4.

ـ جـــــراوة:

وهـــم أبنـــاء **جـــراو بـــن الديـــرت بـــن جانـــا (زانـــا).** وقـــد بـــرز دور جـــراوة منـــذ بدايـــة الفتـــح الإســـلامي؛ وذلـــك مـــن خـــلال المقاومـــة الـــتي تزعمتهـــا هـــذه القبيلـــة؛ بقيـــادة **الكاهنـــة** (دُهيـــا بنـــت تابتـــة). وربمـــا كـــان مقتـــل عقبـــة بـــن نافـــع بإيعـــاز منهـــا؛ كمـــا قـــال ابـــن خلـــدون؛ نقـــلا عـــن النسابـــة هـــاني بـــن بكـــور الضريـــسي؛ إذ تكـــون قـــد حرَّضَـــتْ سكـــان هـــودة عـــلى قتـــال المسلميـــن. ولمـــا كـــان المسلمـــون يعرفـــون ذلـــك؛ فإنهـــم سارعـــوا ـــ بعـــد مقتـــل كَسيلـَــة ـــ إلى غزوهـــا؛ في عقـــر دارهـــا؛ بجبـــل أوراس. فتمكنـــت جـــراوة مـــع حلفائهـــا؛ مـــن القبائـــل البتريـــة ـــ في بدايـــة الأمـــر ـــ مـــن صـــد المسلميـــن؛ ولكنهـــا خســـرت الحـــرب؛ في نهايـــة الأمـــر؛ حيـــث قتـــل المسلمـــون منهـــم عـــددا كبيـــرا؛ يزعـــم ابـــن خلـــدون أنـــه وصـــل إلى مائـــة ألـــف[1]. وبعـــد هـــذه الهزيمـــة؛ تفـــرق شمـــل جـــرواة، واندثـــر أمـــرهم؛ إذ توزعـــوا بيـــن القبائـــل الأمازيغيـــة الأخـــرى؛ ومنهـــم الفئـــة الـــتي حلـــت **بسواحـــل مليلـــة؛ بالمغـــرب الأقـــصى**؛ حيـــث أقامـــوا في المدينـــة المنسوبـــة إليهـــم. ومنهـــم البطـــن المشهـــور بعلمائـــه،

---

[1] العبـــر، مج: 7، ص ص: 16 ـــ 18.

وأدبائه؛ وهم **بنو غفجوم**، بجهات **تادلا.** وفي ديارهم الجديدة بالمغرب الأقصى؛ برز مرة أخرى؛ دور جراوة في مسرح الأحداث؛ خاصة عندما استجار بهم الحسن بن أبي العيش؛ أمير تلمسان؛ بعد هزيمته أمام أمير مكناسة؛ ابن أبي العافية.

! ! !

ـ ***أعيانهم:*** ومن رجالات جراوة المشهورين بعلمهم، وآدابهم:

ـ **أبو سعيد خلف بن مسعود المالقي الجراوي**؛ المعروف بابن أمينة (توفي مذبوحا بقرطبة سنة 400هـ/1009م)؛ فقيه؛ ولد بمليلة؛ قال عنه ابن بشكوال: **((قدم قرطبة سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة؛ فحمل عنه بها علم كثير. وكان له من القاضي ابن ذَكْوان خاصة. وأغْرِي به العامة؛ فأضجعوه، وذبحوه؛ حين ثورة الأندلس بالبرابرة؛ عند قيام المهدي؛ وقتل العامة البرابرة سنة أربعمائة. وقيل بل شَدَخُوا رأسه بالحجارة؛ وأنه سألهم**

أن يمهلوه حتى يصلي ركعتين؛ ففعلوا رحمه الله. وكان ذلك بمالقة))[2].

ـ ثم أبو عمر أحمد بن محمد القيسي الإشبيلي الجراوي (توفي بمصر سنة 407هـ/1016م)؛ وهو من شيوخ الإقراء؛ إذ تصدر للإقراء بإشبيليا، ومصر.

ـ ثم عبد الله بن محمد الجراوي (توفي بالقيروان سنة 415هـ/1024م)؛ قال عنه ابن رشيق القيرواني: ((تأدب بجراوة داخل المغرب، قدم إلى الحضرة سنة سبع وأربعمائة متعلقا بالخدمة. وكان شاعرا فحلا، قويا، وصَّافاً، دَرِباً بالخبر والنسب، جيد الفكر والخاطر، تحسب بديهته رَوِيَّتَهُ، عميدي الترسيل، يتحَدَّرُ كلامُهُ كالسيل. وكان حسن الخلق، جميل العشرة، مدمنا على الشراب، متغارقا فيه، مزَّاحاً. سأله أيوب [ربما يكون أيوب بن يطوفت الصنهاجي] مرة: أي بروج السماء لك؟ فقال: واعجباً منك؛ ما لي في الأرض بيتٌ؛ يكون لي برجٌ في السماء. فضحك، وأمر له بدار جواره))[1].

---

[2] الصلة، ج: 1، ص: 178.

[1] أنموذج الزمان، ص ص: 216 ـــ 217.

وأرجع ابن رشيق سبب قتله إلى وشاية من خصومه؛ توجهوا بها إلى القائد حماد بن بلكين؛ فبعث من قتله ليلا. وبلغ عمره يوم وفاته نيفا وأربعين سنة؛ ويقال أن أحد الجراويين زعم أنه شاهده في المنام يقول له شعرا:

قَتَلُوهُ لاَ لِخِيَانَةٍ عُرِفَتْ لَهُ
إلاَّ لِفَضْلِ بَرَاعَةِ الشُّعَرَاءِ
أمَرُوا بِهِ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ وَاجِبٍ
أكَذَا تَكُونُ صَنَائِعُ الأمَرَاءِ

ولما وصل البيتان إلى حماد أسف على الجراوي. ومن شعره في وصف شرفة المنزل؛ (أو المنظرة، أو الفسقية):

قَدْ كُلِّلَتْ دُرًّا أفَارِيزٌ لَهَا
فَتَبَرَّجَتْ فِيهَا بِكُلِّ طَرِيقِ
وَكَأنَّمَا القَصْرُ المُعَظَّمُ عَاشِقٌ
قَدْ حَارَ وَهْيَ لَدَيْهِ كَالمَعْشُوقِ
يَرْنُو إلَيْهَا بَاهِتاً شُرُفَاتُهُ
نَظَرَ الحَمَام لِلَقْوةٍ فِي نِيقِ
وَكَأنَّمَا النَّهْر الَذِي قُدَّامَهَا
جريا تَسِيلُ عَلىَ رِقَابِ النُّوقِ

وقال ابن رشيق في هذه الأبيات: **((قد ناب هذا الخبر عن العيان؛ فأدى الصفة على تحقيقها، وملَّكها أوفى حقوقها))**[1].

وأورد له ابن رشيق أيضا هذه المقطوعة التي يصف فيها الديك:

وكَائِنٍ نَفىَ النَّوْمَ عَنْ عُتْرُفَانِ
بَدِيعُ المَلاَحَةِ حُلْوُ المَعَانِي
بِأجْفَانِ عَيْنَيْهِ يَاقُوتَتَانِ
كَأنَّ وَمِيضَهُمَا جَمْرَتَانِ
عَلىَ رَأسِهِ التَّاجُ مُسْتَشْرِفاً
كَتَاجِ ابْنِ هُرْمُزَ فِي المَهْرَجَانِ
وَقِرْطَانِ مِنْ جَوْهَرٍ أَحْمَرِ
يَزِينَانِهِ زَيْنَ قِرْطِ الحِصَانِ
لَهُ عُنُقٌ حَوْلَهَا رَوْنَقٌ
كَمَا حَوَتِ الخَمْرَ إحْدَى القنَانِي
وَدَارَ بُرَائِلُهُ حَوْلَهَا
كَمَا نَوَّرَتْ شَعْرَةَ الزَّعْفَرَانِ
وَدَارَتْ بِجُؤْجُئِهِ حُلَّةٌ
تَرُوقُ كَمَا رَاقَكَ الخُسْرُوَانِي
فَقَامَ لَهُ ذَنَبٌ مُعْجبٌ
كَبَاقَةِ زَهْرٍ بَدَتْ مِنْ بَنَانِ

---

[1] أنموذج الزمان، ص ص: 216 ــ 220.

وَقَــاسَ جَنَاحــاً عَــلىَ سَاقِــةِ
كَمَــا قِيــسَ سِتْــرٌ عَلىَ خَيْــزُرَانِ
وَصَفَــقَ تَصْفِيــقَ مُسْتَهْتِــــر
بِمُحْمَــرَّةٍ مِــنْ بَنَــاتِ الدِّنــَانِ
وَغَــرَّدَ تَغْرِيــدَ ذِي لَوْعَــةٍ
يَبُــوحُ بِأشْوَاقِــــهِ لِلْغَــــوَانِي

ومــن شعــره أيضــا:
وَالأعْوَجيَّــاتُ الجِيَــــا
دُ تُثِيرُهَــا الأسْــدُ الغِضَــابُ
وَالسَّابِــرِيُّ كَأنَّــــهُ
وَدَكَّــاءُ مُذْكِيَــة سَــــرَابُ
مُتَرَقْــرِقٌ كَالْمَــاءِ إذْ
يَعْلُــوهُ فِي النَّهْــر الحُبَــابُ
وَالنِّيــلُ يَحْــكِي ألْسُــنُ الْــ
ـــحَيَّاتِ أعْوَزَهَــا الشَّــرَابُ

ـ ثــم أبــو عمــران مــوسى بــن عيــسى بــن أبي حجــاج الغــفــجُــومي الجــراوي (تــوفي بالقيــروان ســنــة 430هـــ/1038م)؛ فقيــه؛ مــن كبــار أهــل العلــم بالقيــروان؛ وكـــان مـــن أحفـــظ النـــاس، وأدركهـــم للفقـــه، والحديـــث، والقراءات السبـــع؛ ولـــه بعـــض

المؤلفات منها: كتاب علق فيه على المدونة، كما سجل من أحاديثه حوالي مائة ورقة.

ـ ثم **أبو القاسم خلف بن أحمد بن جعفر الجراوي** (توفي بالمرية سنة 475هـ/1082م)؛ فقيه؛ كانت له عناية بالعلوم؛ فهو راوية، وخطيب بجامع المرية.

ـ ثم **أبو بكر محمد بن عبد الرحمن العقيلي الجراوي الوادي آشي** (من أعلام النصف الأول من القرن السادس للهجرة)؛ كان من كبار كتاب المرابطين بغرناطة. وهو فقيه، وأديب، وشاعر مطبوع؛ له اهتمامات بالطب، وبفنون عديدة؛ مدح الأمير علي ابن يوسف اللمتوني بقصيدة طويلة جاء فيها:

رَحلُوا الرَّكايبَ موهِنا
فَأذاع عُرْفُهُمُ السَّنَا

والحَلْي قَدْ أغـرَى بهمْ
لَمَّا تَرَنَّمَ مُعْلِنَا

كَمْ حَفَّ حَوْل حِماهُمُ
مِنْ كُلِّ خطَّارِ القَنَا

و مـــن قولـــه في الرثـــاء:

حَنانَيكَ قَدْ أبْكَيْتَ حَتى الغَمائِمـــَا

وشققْـــتَ عـــَنْ أزْهارِهِـــنَّ الكَمائِمَـــا

وَأدْمَيْـــتَ خَدًّا للبُرُوق بلَطْمِهَـــا

وَخلفـــتَ مِنْ نَـــوْحِ الرُّعـــُودِ مَآتِمَـــا

وَلَمْ يَبْـــقَ قَلْبٌ لا يُقَلِّبُـــهُ الأسَى

وَأشْجَيْـــتَ في أغْصَانِهِـــنَّ الحَمَائِمـــَـــا

ـــ ثـــم **أبـــو عبـــد اللـــه محمـــد بـــن داود بـــن عطيـــة ابـــن سعيـــد العـــكي الجـــراوي** (تـــوفي بفـــاس سنـــة 525هـــ/1130م)؛ فقيـــه، ومحـــدث؛ كـــان أبـــوه قـــد استوطـــن القلعـــة؛ تـــولى قضـــاء تلمســـان، وإشبيليـــة، وفـــاس.

ـــ ثـــم **أبـــو العبـــاس أحمـــد بـــن حســـن بـــن سيـــد المالـــقي الجـــراوي** (ت: سنـــة 560هـــ/1164م)؛ كـــان نحويـــا بارعـــا، وأديبـــا متفننـــا، وشاعـــرا مطبوعـــا.

مـــن شعـــره الـــذي أورده ابـــن الأبـــار:

وبَيْـــنَ ضُلوعِي للصَّبَابَـــةِ لوْعَـــة

بُحُكـــْم الهَـــوَى تقْضي عَليَّ ولا أقـــْضِي

جَنىَ نَاظِر مِنْها عَلى القلب ما جَنَى

فَيـــا مَنْ رأى بعضاً يُعِيـــن عَلى بـــعض

ـ ثم **أبو محمد يسكر بن موسى الغَفَجومي الجراوي** (توفي بفاس سنة 598هـ/1201م)؛ فقيه صوفي؛ أعد بعض الحواشي على المدونة؛ ولد في تاجنيت بتادلا.

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن عبد السلام الغَفَجومي الجراوي** (توفي بإشبيلية سنة 609هـ/1212م)؛ وأصله من تادلا؛ ثم سكن مراكش؛ كان من علماء اللغة، والأدب، وكان شاعرا فحلا، وله ديوان شعر؛ وألف كتابا سماه: صفوة الأدب ونخبة كلام العرب؛ في موضوع الحماسة؛ وقد أثنى على هذا الكتاب عدد من العلماء. وهذه أبيات من قصيدة مدح بها عبد المؤمن:

أَعْلَيْتَ دِينَ الوَاحِدِ القَهَّارِ
بالمَشْرَفِيَّةِ وَالقَنَا الخَطَّارِ

وَرَأى بِه الإسْلاَمُ قُرَّةَ عَيْنِهِ
وَغَدَتْ بِكَ الغَرَاءُ دَارَ قَرَارِ

وَمَلَكْتَ مِنْ طُرُق الهِدَايَةِ لاَحِقاً
طُوبَى لِمَنْ يَمْشِي عَلىَ الآثَارِ

وَجَرَتْ مَعَالِمُكُمْ إلىَ الأمَدِ الَّذي
بَعُدَت مَسَافَتُهُ عَلىَ الأسْفَارِ

لاَ غَــرْوَ أنْ كُنْتَ الأخِيرَ زَمَانــهِ

فَالفَضْــلُ لِلآصَــال وَالأسْحَــــارِ

وَافَيْـــتَ أنْدَلُســـاً فَآمَـــنَ خَائِـــفٌ

وَسَمَـــا لأخَـــذِ الثـــَّارِ رَبُّ الثَّـــارِ

إلى أن يقـــول:

أخَلِيفَـــةَ المَهْدِيِّ دُمْـــتَ مُؤَيَّـــداً

باللَّـــهِ مُنْتَقِمـــــاً مِـــنَ الكُفَّـــــارِ

تَـــرْمِي شَيَاطِينَ الأعَادِي فِي الوَغَى

برجُـــوم خَيْـــلٍ مِنْ سَمَـــاءِ غُبَـــارِ

رَوَّعْتَ كُلَّ مُرَوِّعٍ وَحَفِظْتَ كُـ

ـــلَّ مُضَيَّـــعٍ وَحَمَيْـــتَ كُلَّ ذِمَـــارِ

ومـــدح يوســـف بـــن عبـــد المؤمـــن بقولـــه المبالـــغ فيـــه؛ ومـــع ذلـــك قبلـــه يوســـف:

عَنْ أمْرِكُـــمْ يَتَصَـــرَّفُ الثَّقَـــلاَنِ

وَبنَصْرِكُـــمْ يَتَعَاقَـــبُ المَلَـــوَانِ

وَبِمَا يَسُـــوءُ عَدُوَّكُمْ وَيَسُرُّكُـــمْ

تَتَحَـــرَّكُ الأفْـــلاَكُ فِي الـــدَّوَرَانِ

جَاهَدْتُمـُ فِي اللَّـــهِ حَقَّ جِهَـــادِهِ

وَنَهَضْتُـــمُ بحِمَايَـــــةِ الإيمَــــانِ

وَتَرَكْتُـــمُ أرْضَ العِـــدَا وَقُلُوبَهُـــمْ

فِي غَايَـــةِ الرَّجَفَـــانِ وَالخَفَقَـــانِ

إلى أن يقــول:

هَذَا مَقَــامُ الْمُصْطَفى يَا فَوْزَ مَـــنَ
حَــازَ النِّيَابــَة فِيـــهِ عَنْ حَسَّـــانِ
مَنْ يَعْرَفِ الرَّحْمَنُ حَقًّا يَعْتــَرِفْ
بِحُقُوقِــهِ لِخَلِيفَــة الرَّحْمَـــــنِ

فــإذا كــان السلطـــان يوســف قــد صمــت عـــن هـــذه المبالغـــات، ولـــم يعتـــرض عـــلى مـــا جـــاء في هـــذه القصيـــدة؛ فـــإن ابنـــه يعقـــوب ـــ المحافـــظ ـــ قـــد استنكـــر أقـــوال الجـــراوي؛ الـــتي كانـــت تحمـــل معـــانٍ شيعيـــة؛ تضـــفي بعـــض الصفـــات الإلهيـــة عـــلى الإمـــام؛ مثـــل: **التصـــرف في الجـــن، والإنـــس، والتحكـــم في الليـــل، والنهـــار، والتأثيـــر في الأفـــلاك العليـــا.** كمـــا أنـــه وضـــع يوســـف في **مرتبـــة المصطـــفى**؛ بينمـــا تمـــنى لنفســـه **منزلـــة حســـان مـــن المصطـــفى.** ويقـــال أن يعقـــوب بـــن يوســـف غضـــب عليـــه بسببـــب ذلـــك. ومـمـــا قالـــه في مـــدح يعقـــوب؛ بعـــد الانتصار الـــذي حققـــه في موقعـــة الأرك:

هَذَا الفَتحُ أعْيَا وَصْفهُ النَّظْمَ وَالنَّثْـرَا
وَعَمَّــتْ جَمِيــعَ الْمُسْلِمِينَ بِهِ الْبُشْــرَى
وَأنْجَدَ فِي الدُّنْيَــا وَغَــار حَدِيثِــهِ
فَرَاقـَتْ بِهِ حُسْنــاً وَطَابَــتْ بِهِ نَشْــرَا

تَمَيَّــزَ بِالآحْجَــالِ وَالغُــرَرِ الَّــتِي
أقَلِّ سَنَاهَــا يُبْهِــرُ الشَّمْــسَ وَالبَــدْرَا
لَقَدْ أوْرَدَ الأَدْفُونْشُ شِيعَتُهُ الــرَّدَى
وَسَاقَهُمْ جَهْــلاً إِلَى البَطْشَــةِ الكُبْــرَى

ومــن شعــره؛ الــذي ورد في نفــح الطيــب؛ هــذه القصيــدة الــتي يهجــو فيهــا قومــه بــني غفجــوم؛ ناقــلا هجــاءه إلى بــني الملجــوم بفــاس:

يابْنَ السَّبِيــلِ إذا مَــرَرْتَ بِتَــادَلا
لا تَنْزِلَــنَّ عَــلى بَــنِي غَفَجُــومِ
أَرْضٌ أَغَارَ بِهَا العَــدُوُّ فَلنْ تــرَى
إلاَّ مُجَاوَبَــــةَ الصَّــدَى لِلْبُــومِ
قَوْمٌ طَــوَوْا ذِكْرَ السَّماحَةِ بَيْنَهُــمْ
لكِنَّهُــمْ نَشَــروا لِــواءَ اللُّــــومِ
لاَ حَــظَّ فِي أمْوالِهِــمْ ونَوالِهِــمْ
لِلسَّائِــلِ العَــافِي ولاَ المَحْــــرومِ
لاَ يَمْلِكونَ إذا استُبيــحَ حَرِيمِهِــمْ
إلاَّ الصُّــراخَ بدَعْــوَةِ المَظْلُــــومِ
يَا لَيْتَــنِي مِنْ غَيْرِهِــمْ وَلَوْ أنَّــنِي
مِنْ أرْضِ فَــاس مِنْ بَنِي المَلجُــومِ

ومن شعره في هجاء أهل فاس:

مَشى اللؤْمُ في الدنْيَا طَرِيداً مُشَرَّدَا
يَجُوبُ بِلادَ اللهِ شَرْقاً وَمَغْرِبَا
فَلمَّا أتى فَاساً تَلَقَّاهُ أهْلهَا
وقالُوا لَهُ: أهْلاً وسَهْلاً ومَرْحَبَا

وقال عنه ابن خلكان: **((وكان هذا الأديب نهاية في حفظ الأشعار القديمة، والمحدثة. وتقدم في هذا الشأن، وجالس به عبد المؤمن، ثم ولده يوسف، ثم ولده يعقوب... كانت له نوادر نادرة، وملح مستظرفة عند أهل الأدب؛ فمن ذلك أنه حضر يوما إلى باب دار الأمير يوسف المذكور؛ وهناك الطبيب سعيد الغماري... فقال الأمير يوسف لبعض خدمه: "أنظر من بالباب من الأصحاب"؛ فخرج الخادم إلى الباب ، ثم عاد إليه فقال: "أحمد الجراوي، وسعيد الغماري"؛ فقال الأمير يوسف: "من عجائب الدنيا؛ شاعر من جراوة، وطبيب من** غمارة"؛ **فبلغ ذلك الجراوي فقال: "وضرب لنا مثلا ونسي نفسه" "يس: 87"؛ "أعجب منهما والله خليفة من كومية". فيقال إن الأمير يوسف**

لما بلغه ذلك قال: "أعاقبه بالحلم عنه، والعفو؛ ففيه تكذيبه"))[1]. وكان يوسف بن عبد المؤمن حليما ومتسامحا؛ على خلاف ابنه يعقوب؛ الذي يميل إلى التشدد؛ خاصة فيما يتعلق بالخلق الديني؛ لذا فإنه أبعد الجراوي عن ديوانه؛ بسبب أفكاره التي تميل إلى التصريح بعصمة الإمام؛ وهذه الفكرة بالذات لا يستسيغها يعقوب. وذكر المقري حكاية؛ تكشف عما يكنه السلطان يعقوب من كراهية للجراوي؛ وخلاصتها أن الجراوي تصدى للشاعر يحيى بن مجبر الفهري؛ عندما أنشد قصيدة؛ مدح فيها السلطان يوسف؛ جاء فيها:

إنَّ خَيْرَ الفُتُوحِ مَا جَاءَ عَفْواً
مِثْلُ مَا يَخْطُبُ الخَطِيبُ ارْتِجَالا

فقاطعه الجراوي ــ من فرط حسده ــ وقال: **(("يا سيدنا اهتدم بيت وضاح:**

خَيْرُ شَرَابٍ مَا كَانَ عَفْواً
كَأَنَّهُ خُطْبَةُ ارْتِجَالِ

[1] وفيات الأعيان، ج: 7، ص ص: 136 ــ 137.

فَبَــدَرَ المنصــور ــ وهــو حينئــذ وزيــر أبيــه، وسنــه قريــب مــن العشريــن ــ وقــال: " إن كــان اهتدمــه؛ فقــد استحقــه؛ لنقلــه إيــاه مــن معــنى خسيــس إلى معــنى شريــف؛ فســر أبــوه بجوابــه، وعجــب الحاضــرون))[2]. ولمــا تــوفي السلطــان يعقــوب؛ وخلفــه ابنــه الناصــر؛ استعــاد الجــراوي بعــض مكانتــه؛ فــفي قصيــدة يمدحــه فيهــا المــح إلى معاناتــه، والتمــس منــه إعادتــه لسابــق عهــده:

لَبِسَــتْ بــِهِ الدُّنْيَا جَمَالاً كُنْهَــهُ
أَعْيَــا عَــلىَ الأفْكَــارِ وَالأوْهَــامِ
فَكَأَنَّهَــا دَارُ السَّــلاَمِ نَعِيمُهَــا
مُتَأبِــدٌ، وَدُخُولُهَــــا بِسَــــلامِ

إلى أن يقــول:

فَارَقْتُ مَا قَدْ كُنْــتُ فِيهِ كَأَنَّــهُ
طَيْــفٌ رَأتْــهُ العَيْــنُ فِي الأحْــلاَمِ
فَعَسَى أرَي وَجْهَ الرِّضَا فَلَطَالَمَــا
أمِّلْــتُ رُؤْيَتَــهُ مَــعَ الأعْــوَامِ

---

[2] نفــح الطيــب، ج: 3، ص: 238.

ـ ثم أبو يحيى **عتبة بن محمد بن عتبة الوادي آشي الجراوي** (ت: سنة 635هـ/1237م)؛ فقيه، وعالم بالنحو، والأدب؛ ولاه محمد بن هود خطة قاضي الجماعة بالأندلس.

***

ـ ***مواطنهم***: مواطن جراوة الأولى كانت **بإفريقية**، **والمغرب الأوسط**؛ ثم نزحوا إلى **المغرب الأقصى**؛ وهم ـ حتى عهد ابن خلدون ـ يقيمون بتلك الديار، ويندرجون ضمن قبيلة **يطوفت**، وغيرها من أحياء **غمارة**.

É É É

ـ *بنو يفرن:*

وهم أبناء **يفرن بن يصلتين**. وجدهم الأكبر هو **زانا بن يحيى**. وإخوانهم هم: مغراوة، وبنو يرنيان، وبنو واسين. وأهم الأحياء المتفرعة عنهم: **بنو واركوا**، **ومرنجيصة**. وكان بنو يفرن ـ في بداية الفتح الإسلامي ـ ضمن القبائل الأمازيغية المتحالفة مع جرواة؛

بهدف مقاومة المسلمين. وبعد هزيمة ذلك الحلف، ومقتل الكاهنة، وافتراق شمل القبائل في أقطار المغرب، تعرض بنو يفرن للمصير نفسه. ولكنهم سرعان ما ظهروا للمرة الثانية؛ ضمن أحلاف أمازيغية جديدة؛ قامت بالثورة ضد ولاة بني أمية، وبني العباس؛ بقيادة ميسرة المطغري، وخالد بن حميد الزناتي، **وأبي قرة اليفرني.** كما ظهروا أيضا ضمن أحلاف قبلية أخرى؛ ثارت على الدولة الفاطمية؛ **بزعامة أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرني**؛ وهو من **بني واركو.** وقد بلغ تأثير هذه الثورة في الدولة الفاطمية؛ درجة كادت بسببها أن تسقطها نهائيا؛ لولا بعض التصرفات السلبية؛ التي تسببت في تفرق جل القبائل عن أبي يزيد.

ومع هذا فقد استطاعت قبيلة بني يفرن أن تصل برؤسائها إلى **مرتبة الملك**؛ حيث أقامت دولا عديدة؛ في المغربين: الأوسط، والأقصى؛ وفي الأندلس؛ زمن الطوائف؛ وهذه الإمارات هي: **إمارة أبي قرة اليفرني**؛ وهي في الحقيقة إمارة بدوية؛ قامت في شكل حلف قبلي. ثم إمارة **يعلى بن محمد بن صالح اليفرني بافكان.** ثم **إمارة بني يعلى بن محمد اليفرني بسلا؛**

مـــن المغـــرب الأقـــصى. ثـــم **إمـــارة أبي نـــور بـــن أبي قـــرة اليفـــرني برنـــدة**؛ مـــن إقليـــم **تاكرُنـــا بالأندلـــس**. أضـــف إلى ذلـــك.. الكتلـــة القبليـــة الـــتي **ترأسهـــا أبـــو يزيـــد**؛ والـــتي يمكـــن اعتبارهـــا إمـــارة حـــرب؛ تجمـــع بعـــض الأحـــلاف القبليـــة الزناتيـــة؛ وهي ـــ في الحقيقـــة ـــ تتشابـــه مـــع التجمـــع القبـــلي الـــذي قـــاده أبـــو قـــرة اليفـــرني. ومـــا يستحـــق الملاحظـــة ـــ هنـــا ـــ هـــو تمكـــن تلـــك الإمـــارات مـــن الصمـــود ـــ لبعـــض الوقـــت ـــ أمـــام تكالـــب الـــدول القويـــة؛ في المنطقـــة؛ إذ كانـــت تستميـــت؛ طمعـــا في البقـــاء، والاستقـــلال؛ ولكـــن تعـــذر عليهـــا الاستمرار في صمودهـــا طويـــلا؛ نظـــرا لتضـــارب المصالـــح بيـــن القبائـــل، والبطـــون الزناتيـــة؛ إذ لـــم تتمكـــن أيـــة عصبيـــة؛ مـــن احتـــواء العصبيـــات الصغـــرى الأخـــرى. ومـــع مـــرور الزمـــن؛ مـــال حـــال بـــني يفـــرن إلى الضعـــف، والتفكـــك؛ بعـــد العـــز، والسلطـــان؛ فتفرقـــت أحياؤهـــم عبـــر بـــلاد المغـــرب، والأندلـــس[1].

---

[1] أنظـر ابـن خلـدون؛ العبـر، مج: 7، ص ص: 22 ـــ 50.

وقد عرف ابن خلدون حياً من أحيائهم بإفريقية؛ ما بين القيروان، وتونس؛ من بقايا قبيلة **مرنجيصة**؛ بعد أن **وهنت عصبيتهم**، وضاع عزهم؛ فأضحوا في عداد القبائل الغارمة. ويقول عنهم أنهم كانوا ظواعن في تلك الجهات؛ ينتجعون الكلأ، ويرعون الشاء، والبقر؛ كما يتعاطون الفلاحة؛ في بعض الحالات. وكانت الدولة الموحدية قد ألزمتهم بدفع المغارم، وتقديم حصة من المقاتلين للدولة؛ عند الحاجة. وفي زمن ابن خلدون؛ تسلط عليهم حي من بني سليم؛ يسمى الكعوب؛ كانت الدولة الحفصية قد استنجدت بهم؛ لصد قبيلة الدواودة؛ من أحياء رياح؛ فأقطعتهم المنطقة ما بين قابس، وباجة. فأضحت مرنجيصة ـــ بذلك ـــ ضمن إقطاعاتهم؛ فألزموها بدفع الخراج، والمغارم إليهم؛ دون الدولة؛ بل فرضوا على هذا الحي تقديم حصة من المقاتلين؛ عند الحاجة؛ لتكون معهم في حروبهم.

! ! !

ـ ***أعيانهم***: من علماء بني يفرن المعدودين:

ـ **أبو عبد الله محمد بن المَعِزِ اليفرني المايورقي** (ت: سنة 607هـ/1210م)؛ مقرئ، ومحدث؛ ولي خطة الشورى، والقضاء بميورقة.

ـ ثم **أبو زكرياء يحيى اليفرني** (ت: سنة 701هـ/1301م)؛ وهو من الفقهاء.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن تميم اليفرني** الشهير بالمكناسي وبالطنجي (ت: سنة 734هـ)؛ فقيه؛ من الأعلام اليفرنيين الذين ارتبط اسمهم بمدينة مكناسة؛ كان إماما في علمي: الفرائض، والحساب في زمنه.

ـ ثم **أحمد بن عبد الرحمن بن تميم اليفرني** (توفي بفاس سنة 753هـ/1352م)؛ فقيه. وهو أخو أبي الحسن الطنجي؛ واشتهر بالمكناسي؛ بسبب إقامته بتلك المدينة لبعض الوقت.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الرحمن اليفرني** الشهير بالمكناسي (ت: سنة 818هـ/1415م)؛ وهو من الضالعين في العلوم الفقهية، وعلم الفرائض.

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن محمد اليفرني** الشهير بالمكناسي (توفي بفاس سنة 856هـ/1452م)؛ فقيه؛ ومن علماء: الحساب، والفرائض.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن عبد الله اليفرني**؛ الشهير بالمكناسي أيضا (توفي بفاس سنة 917هـ/1511م)؛ فقيه؛ ولي القضاء بفاس لمدة تعدت الثلاثين سنة؛ وهو من ذرية أبي الحسن الطنجي؛ له مؤلفات منها: مجالس القضاة والحكام، والتنبيه والإعلام فيما أفتاه به المفتون وحكم به القضاة من الأحكام.

ooo

أما أعيان بني يفرن وأمرائهم، ورجال السياسة فيهم؛ فهم:

ـ **أبو قرة اليفرني** (كان حيا سنة 148هـ/765م)؛ وهو من قادة الصفرية الثائرين على ولاة القيروان.

ـ ثم **أبو يزيد مخلد بن كيداد اليفرني** (ت: سنة 335هـ/946م)؛ الإباضي، النكاري، الثائر على الفاطميين؛ فإلى جانب اشتغاله بأمور السياسة، والحكم؛ فهو ـ أيضا ـ من علماء المذهب الإباضي؛ ولكنه نكاري الإتجاه.

ـ ثم **محمد بن صالح اليفرني** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة)؛ وهو أبو السلاطين من بني يفرن؛ وإن كان شأنه قبلهم لا يتعدى حدود رئيس القبيلة.

ـ ثم **يعلى بن محمد بن صالح** (ت: سنة 347هـ/958م).

ـ ثم **يدوي بن يعلى بن محمد** (توفي بعد 383هـ/993م).

ـ ثم **حمامة بن زيري بن يعلى اليفرني** (توفي بعد 406هـ/1015م).

ـ ثم **أبو الكمال تميم بن زيري اليفرني** (ت: سنة 446هـ/1054م).

ـ ثم **أبو نور هلال بن أبي قرة بن دوناس اليفرني** (ت: سنة 450هـ/1058م). وهو الذي استبد بمنطقة تاكرُنّا؛ بالأندلس؛ حيث شيد فيها إمارة استقل بها ـ أيام حكم الطوائف ـ واتخذ من رندة حاضرة لإمارته.

ـ ثم ولده **أبو نصر فتوح بن هلال** (ت: سنة 457هـ/1064م)؛ وبموته انتهت دولتهم برندة؛ وسقطت في أيدي ابن عباد.

***

ــ ***مواطنهم***: كانت مواطن **بني يفرن** ــ في البداية ــ **بإفريقية، وجبال أوراس، وجهات تلمسان، وتيهرت**. ثم انتقل جمهورهم إلى **المغرب الأقصى**؛ حيث أقاموا **دولة في فاس، وسلا**.

É É É

ــ ***مغراوة:***

وهم أبناء **مغراو بن يصلتين**. وجدهم الأكبر هو **زانا بن يحيى**. وهم اخوة بني يفرن، وبني يرنيان، وبني واسين. ومن أهم بطون مغراوة: **لقواط** أو (لغواط)، **وريغة، وبنو سنجاس، وبنو ورا**. ويقال أن أميرهم ــ أثناء الفتح ــ كان يسمى **صولات بن وزمار**؛ ذهب إلى المدينة المنورة؛ إما موفدا، وإما أسيرا؛ فقابل عثمان رضي الله عنه؛ فأكرمه؛ بعد إسلامه، وعقد له على قومه. فأصبح صولات؛ هو وقومه مغراوة ــ منذئذ ــ من موالي عثمان، وبني أمية. وبعد قيام الدولة الإدريسية انحازت إليها مغراوة، وسلمت إليها قيادة الأمور في تلمسان. واكتفى أمراؤها بمرتبة الرئاسة على قومهم عبر الأرياف، والبوادي.

ولما تطلع حكام الأندلس؛ من بني أمية؛ إلى بلاد المغرب؛ نقل المغراويون ولاءهم إليهم. نظرا لظهور الدولة الفاطمية؛ التي تهددهم جميعا، وتبعا لهرم الدولة الإدريسية؛ العاجزة عن حماية كيانها، وردع أعدائها. هذا.. وقد عرفت مغراوة فتنا عديدة، وصراعات شديدة؛ بينها وبين الدول المتواجدة ــ آنئذ ــ بالمغرب الإسلامي مثل: الدولة الفاطمية، والدولة الصنهاجية؛ بشقيها: (الزيرية، والحمادية). هذا.. بالإضافة إلى الحروب الطاحنة؛ بينهم وبين اخوتهم من بنى يفرن؛ وذلك بسبب أنهم ــ جميعا ــ يسعون إلى إقامة دولة؛ تخضع إليها **العصبيات الزناتية** كلها. ولما كانت العصبيتان متكافئتين؛ فقد تعذر حسم الصراع لصالح أحدهما. ومع هذا فقد تمكن كل طرف من إنشاء بعض الإمارات، والدول في المغربين: الأقصى، والأوسط، ثم طرابلس؛ مثل: **إمارة محمد بن خزر** بتلمسان، **وإمارة آل زيري ابن عطية** بفاس، **وإمارة بني خزرون** بسجلماسة، **وإمارة بني خزرون** بطرابلس، **وإمارة بني يعلى** أولاد خزر بتلمسان، **وإمارة لقوط بن**

يوسف بن علي المغراوي بأغمات، **ثم إمارة بني منديل** بشلف ومازونة[1].

وبنو سنجاس منهم؛ وهم منتشرون في إفريقية، والمغربين: الأوسط، والأقصى؛ أين تركوا أثرا كبيرا؛ نتيجة لحروبهم المضنية ــ إلى جانب أبناء عمومتهم من زناتة ــ ضد صنهاجة؛ حيث اشتد عيثهم، وتضاعف فسادهم في المدن، والمسالك. وبقدوم بني هلال؛ ضعف أثرهم؛ وانسحب جمعهم إلى الحصون، والمعاقل؛ حيث أعطوا ــ صاغرين ــ المغارم إلى شيوخ القبائل الهلالية المتغلبة على تلك الجهات أحيانا، وإلى الدولة أحيانا أخرى.

أما **بنو ريغة** فيتفرعون إلى أحياء عديدة؛ توزعوا في الأقطار؛ بعد افتراق الأحلاف الزناتية: فمنهم من اختار سكنى القياطن؛ عند **جبل عياض**، وفي السهوب الممتدة إلى **نقاوس**؛ منصاعين، وخاضعين لإعطاء المغارم للدولة، أو للقبائل المتغلبة. ومنهم من اطمأن إلى بيوت الطين، والحجر؛ في **قصور الزاب**، **ووادي ريغ**، **ووركلا**؛ مستسلمين للدولة، وضرائبها. **أما لقواط** فهم كذلك فخذ من مغراوة. اشتهروا

---

[1] العبر، مج: 7، ص ص: 50 ــ 101. 131 ــ 146.

بالإبـــاء، والنجـــدة، والامتناع عـــن الدولـــة، والأعـــراب؛ في المناطـــق النائيـــة. **وأمـــا بنـــو ورا** فمتفرقـــون بيـــن: **مراكـــش، والســـوس، وقسنطينـــة، وشلـــف.** قابليـــن بإعطـــاء المغـــارم، والمقاتليـــن للدولـــة. وبعـــد أفـــول الدولـــة الموحديـــة؛ نهـــض حي مـــن مغـــراوة في **جهـــات شلـــف**؛ وهـــم **بنـــو منديـــل**؛ أمـــراء تلـــك الجهـــات[1].

! ! !

<u>*ـــ أعيانهـــم:*</u> بـــرز مـــن مغـــراوة علمـــاء، وأمـــراء، وقـــادة؛ كـــان لهـــم ذكـــر، وشهـــرة؛ منهـــم:

ـــ **أبـــو عـــلي منصـــور بـــن الخيـــر بـــن يعقـــوب ابـــن يمـــلا المالـــقي المغـــراوي** المعـــروف بالأحـــدب (تـــوفي بمالقـــة سنـــة 526هـــ/1131م)؛ وهـــو عالـــم بالقـــراءات؛ فاعتـــنى بهـــا، وبرواياتهـــا، وطرقهـــا؛ وجمـــع فيهـــا كتبـــا؛ لقنهـــا لغيـــره.

ـــ ثـــم **أبـــو زكريـــاء يحيـــى بـــن محمـــد التونـــسي المغـــراوي** (مـــن أعـــلام القـــرن الثامـــن للهجـــرة)؛ وهـــو ممـــن سمـــع منهـــم ابـــن الخطيـــب بالمدينـــة المنـــورة.

---

[1] أنظـــر العبـــر، مج: 7، ص ص: 131 ـــ 146.

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله المغراوي** (ت: سنة 820هـ/1427م)؛ من أعلام الفقه المالكي، والأصول، والنحو. ويقال أنه كان يعارض عبد الرحمن ابن خلدون، ويفتي عليه؛ كما حدث بينه وبين البساطي جدال علمي تحول إلى مشاجرة، ومشاتمة.

ـ ثم **أحمد بن عبد الرحمن المغراوي التلمساني** الشهير بابن زاغو (ت: سنة 845هـ/1441م)؛ فقيه، وصوفي؛ له مؤلفات عديدة منها: تفسير الفاتحة، وشرح التلمسانية في الفرائض؛ وله أيضا فتاوى عديدة في مختلف العلوم والأغراض؛ سجل معظمها في معيار المازوني.

ـ ثم **واضح بن عثمان بن محمد بن عيسى بن فركون المغراوي** (ت: سنة 856هـ/1452م)؛ فقيه وقاضي، ومن أعلام الفقه، والبيان.

ـ ثم **أحمد بن القاضي البجائي المغراوي** (توفي قبل سنة 920هـ/1514م)؛ من الفقهاء العاملين بجبل زواوة.

ـ ثم **أبو عبد الله شقرون محمد بن أحمد ابن أبي جمعة** (ت: سنة 930هـ/1523م)؛ مقرئ،

وأستاذ، ومتكلم؛ وله بعض المؤلفات؛ منها: الجيش الكمين في الكر على من يكفر عوام المسلمين.

ـ ثم **محمد بن يحيى بن موسى المغراوي التلمساني الراشدي** دارا؛ فقيه. وصوفي؛ من أهل التفسير، والتوحيد؛ له شرح على أرجوزة أبي زيد عبد الرحمن السنوسي.

ooo

ومن أهم رؤساء مغراوة وأمرائها العاملين في شئون الحكم، والسياسة:

ـ **صولات بن وزمار** (من أعلام القرن الأول للهجرة)؛ وهو كبير مغراوة وأميرها خلال الفتح الإسلامي؛ كما سبق ذكره.

ـ ثم ابنه **حفص بن صولات بن وزمار** (من أعلام القرن الأول للهجرة).

ـ ثم **خزر بن حفص بن وزمار** (من أعلام القرن الأول للهجرة). أمير مغراوة؛ في عهده.

ـ ثم **محمد بن خزر بن حفص**. أمير مغراوة في وقته.

ـ ثم **خزرون بن فلفول بن خزر**(توفي بعد 366هـ/976م)؛ وهو مؤسس إمارة مغراوة بسجلماسة.

ـ ثم **سعيد بن خزرون بن فلفول** (ت: سنة 381هـ/991م)؛ وهو أمير طبنة؛ تحت طاعة السلطان المنصور ابن بلكين الصنهاجي.

ـ ثم **زيري بن عطية بن عبد الله بن خرز بن حفص المغراوي** (ت: سنة 391هـ/1000م)؛ عرف عهده اضطرابات عديدة، ووقائع بينه وبين مختلف القوى المتواجدة آنذاك ببلاد المغرب؛ كبني أمية، وبني حماد، وبني يفرن.

ـ ثم ولده **فلفول بن سعيد بن خزرون** (ت: سنة 400هـ/1009م)؛ كان أميرا على طبنة؛ ثم نشبت بينه وبين بني زيري الصنهاجيين فتن، وخلافات؛ انجر عنها احتلاله لطرابلس؛ أين أقام فيها إمارة للمغراويين.

ـ ثم **المعز بن زيري بن عطية بن عبد الله بن خزر المغراوي** (ت: سنة 417هـ/1026م)؛ كان في البداية منضويا إلى بني أمية؛ ولما اضطرب حالهم؛ مال إلى الاستبداد، وعدم الرجوع إليهم.

ـ ثـم **أبـو العطـاف حمامـة بـن المعـز بـن زيـري ابـن عطيـة** (ت: سنـة 433هــ/1041م)؛ يعتبـر مـن أجَـلِّ أمـراء مغـراوة؛ علمـا، وسلطانـا؛ كـان محبـا لـلأدب، ومشجعـا للشعـراء؛ الـذيـن يتسابقـون إلى بلاطـه ببـلاد المغـرب؛ وافديـن إليـه مـن الأندلـس.

ـ ثـم **دونـاس بـن حمامـة بـن المعـز بـن عطيـة المغـراوي** (ت: سنـة 452هــ/1060م)؛ تـولى إمـارة فـاس بعـد وفـاة أبيـه؛ وعـرف عهـده هـدوءا، ورخاء؛ نمـت، وعظمـت فـاس بسببهمـا؛ وأضحـت قبلـة للتجـار، وأصحـاب الصنائـع؛ كمـا تضاعـف عمـرانهـا؛ ببنـاء أسـوار المدينـة، وتشييـد المساجـد، والفنـادق، والحمامـات، ومختلـف المنشـآت، والمرافـق.

ـ ثـم **الفتـوح بـن دونـاس بـن حمامـة بـن المعـز ابـن عطيـة المغـراوي** (ت: سنـة 457هــ/1064م)؛ في عهـده سقطـت دولـة مغـراوة بفـاس؛ بواسطـة جيـوش المرابطيـن؛ وإليـه ينتسـب بـاب الفتـوح الموجـود الآن بفـاس.

ـ ثـم **منديـل بـن عبـد الرحمـن بـن محمـد بـن عبـد الصمـد الخـزري المغـراوي** (ت: سنـة 623هــ/1226م). صاحـب إمـارة مغـراوة بشلـف.

***

ـ ***مواطنهم***: تمتد مواطن مغراوة ضمن بلاد المغرب الأوسط؛ **من تلمسان إلى شلف، وحتى جبال مديونة**. ثم هيمنوا ـ بعد ذلك ـ على المغرب الأوسط كله تقريبا، **وبعض الأقطار من المغرب الأقصى**. وبعد أن أخرجهم الصنهاجيون من المغرب الأوسط. عادوا إلى الظهور فيه؛ أواخر الدولة الموحدية؛ عبر مناطق **شلف**، **ومتيجة**، وبعض المناطق الداخلية. وحدد ابن خلدون بعض مواطن بطونهم المعروفة بقوله: **((فأما بنو سنجاس فلهم مواطن في كل عمل من إفريقية، والمغربين؛ فمنهم قبلة المغرب الأوسط؛ بجبل راشد، وجبل كريكرة؛ بعمل الزاب، وبعمل شلف...[و] بعمل قسنطينة... ومن بني سنجاس من نزل بالزاب...[و] بأرض المشنتل؛ ما بين الزاب، وجبل راشد؛ أوطنوا جباله... أما بنو ريغة فكانوا أحياء متعددة. ولما افترق أمر زناتة؛ تحيز منهم إلى جبل عياض، وما إليه من البسيط إلى نقاوس؛ وأقاموا في قياطينهم... ونزل أيضا الكثير منهم ما بين قصور الزاب ووركلا؛ فاختطوا قرى كثيرة؛ في عدوة وادٍ ينحدر من الغرب إلى الشرق،**

ويشتمل على المصر الكبير، والقرية المتوسطة، والأطم؛ قد رف عليها الشجر، ونضدت حفافيفها النخيل، وانساحت خلالها المياه، وزهت بنابعها الصحراء، وكثر في قصورها العمران؛ من ريغة هؤلاء. وبهم تعرف لهذا العهد...وأكبر هذه الأمصار تسمى تقرت... ثم بعد مدينة تقرت بلد تماسين...وأما لقواط وهم فخذ من مغراوة أيضا؛ فهم في نواحي الصحراء؛ ما بين الزاب وجبل راشد[1]. ولهم هناك قصر مشهور بهم؛ فيه فريق من أعقابهم؛ على سغب من العيش؛ لتوغله في القفر... وبينهم وبين الدوسن؛ أقصى عمل الزاب مرحلتان؛ وتختلف قصودهم إليه؛ لتحصيل المرافق منه...وأما بنو ورا فهم فخذ من مغراوة أيضا...وهم متشعبون، ومفترقون بنواحي المغرب: فمنهم بناحية مراكش والسوس، ومنهم ببلاد شلف، ومنهم بناحية قسنطينة...))[1].

É É É

---

[1] جبل عمور حالياً.

[1] المصدر السابق، ص ص: 96 ـــ 100.

ـ *بنو يرنيان:*

وهم **بنو يرنيان بن يصلتين**. جدهم الأكبر هو **زانا بن يحيى**. ومن اخوتهم: بنو يفرن، ومغراوة. عرفنا من بطونهم ـ حتى الآن ـ **بني وطاط**. وكان بنو يرنيان من أشد القبائل شكيمة، وأخلصهم جهادا؛ حيث أمدوا الدولة الأموية بالأندلس بأقوى الجنود، وأفحل المجاهدين. ولما حدثت الفتنة التي أجهزت على الدولة الأموية؛ **ثار بنو خزرون**؛ الذين ينسبهم بعض المؤرخين إلى بني يرنيان؛ **بقلشانة** سنة 402هـ**/**1011م؛ فتمكنوا بعدها من التغلب على **أركش**؛ وأعلنوا دولتهم بها. غير أنني أشك في انتماء بني خزرون هؤلاء إلى بني يرنيان؛ وأعتقد أنهم من مغراوة، وينحدرون عن الجد المدعو **عبدون بن الخير بن محمد بن خزر المغراوي**؛ القادم إلى الأندلس مع جعفر بن علي؛ في جملة زعماء الأمازيغ[1].

---

[1] **ابن حيان؛ المقتبس، القطعة المحققة من طرف حجي، ص ص: 39 ـ 40. العبر، مج: 4، ص ص: 324. 339.**

ويبدو أن الالتباس حدث بسبب كونهم من حلفاء مغراوة؛ ــ كما ذكر ابن خلدون ــ ولما كانت أعداد بني يرنيان متغلبة؛ على غيرهم من حماة إمارة بني خزرون؛ فأن بعض الناس ظنوا أن أمرائهم هم بدورهم من بني يرنيان؛ مع أنهم ــ كما يبدو لي ــ من مغراوة؛ حلفاء بني يرنيان آنذاك. وقبولهم بحكمهم؛ يرجع إلى أنهم كانوا يصنفون ضمن **أهل النصاب الملكي**؛ لما كانوا عليه أيام بني أمية. ومما يعزز هذا الرأي أن ابن خلدون لم يشر كما هي عادته ــ عند حديثه عن بني يرنيان إلى إمارتهم بالأندلس؛ بينما نراه يشير إلى إمارات أخرى لبني يفرن، وبني دمر، وبني برزال..ألخ وعلى الرغم من شكي؛ فسأضعهم مع بني يرنيان حتى يأتي اليقين بخلاف هذا.

أما في بلاد المغرب؛ فكان **بنو يرنيان** أتباعا، وأعوانا لإخوانهم مغراوة أيام الملك. وفي العهود الأخيرة تحالفوا مع بني مرين، وجاوروهم بالقفر؛ خلال عهدي: المرابطين، والموحدين؛ وكانوا سندا قويا لهم عند إسقاط الدولة الموحدية. وعليه.. فقد أشركهم بنو مرين في مناصب الدولة؛ حيث أسندوا إلى بعض

بيوتهـــم مرتبـــة الـــوزارة، كمـــا عُيـــن آخـــرون عـــلى رأس المقاطعـــات، والعمـــالات[2].

! ! !

ــ ***أعيانهـــم***: نبـــدأ بمـــن نســـب إليهـــم في الأندلـــس؛ علمـــا بـــأني سأبـــقى متحفظـــا ــ كمـــا سبـــق أن أشـــرت ــ وعليـــه.. يمكـــن أن يكـــون منهـــم:

ــ **أبـــو عبـــد اللـــه محمـــد بـــن خـــزرون بـــن عبـــدون الخـــزري** (تـــوفي حـــوالي عـــام 420هــ/1029م)؛ قـــال عنـــه ابـــن عـــذاري: **((ثـــم غلـــب عـــلى أركـــش؛ وهي أعظـــم معاقـــل الأندلـــس؛ فملكهـــا، وأقـــام ملكهـــا، ظابطـــا لهـــا، مثمـــرا لأموالهـــا؛ وكـــان فتاكـــا، هتاكـــا، قتـــالا، سفاكـــا))**[1].

ــ ثـــم **عبـــدون بـــن محمـــد بـــن خـــزرون** (تـــوفي حـــوالي عـــام 445هــ/1053م)؛ خلـــف والـــده عـــلى إمـــارة أركـــش؛ وضـــم إليهـــا مـــا جاورهـــا مـــن البـــلاد؛ كقلشانـــة، وشريـــش؛ وفي عـــام 445هــ غـــدر بـــه ابـــن عبـــاد؛ حيـــن دعـــاه مـــع محمـــد بـــن نـــوح

---

[2] العبـــر، مج: 7، ص ص: 101 ـــ 103.

[1] البيـــان المغـــرب، ج: 3، ص: 294.

إلى زيارتــه بإشبيليــة؛ ولمــا قدمــا إليــه؛ قبــض عليهمــا، وقتلهمــا في سجنهمــا.

ــ ثــم **محمــد بــن محمــد بــن خــزرون (**ت: سنــة 461هــ/1068م**)**؛ تــولى حكــم أركــش بعــد مــوت أخيــه عبــدون؛ حيــث ســارع إلى تحصيــن بــلاده؛ تحسبــا لصــد هجمــات ابــن عبــاد؛ ولكــن هــذا الأخيــر طاولــه، واستنــزف قــواه؛ حــتى سقطــت أركــش في يــده. وقتــل محمــد بــن خــزرون في المعركــة؛ بعــد أن أمــر بقتــل زوجتــه؛ ذات الجمــال الرائــع، وأختــه؛ لــكي لا تقعــا في أســر أعدائــه.

OOO

وأهــم رؤســاء، وزعمــاء بــني يرنيــان في ظــل الدولــة المرينيــة:

ــ **إبراهيــم بــن عيــسى بــن ماخــوخ اليرنيــاني** (مــن أعــلام القــرن الثامــن للهجــرة)؛ ولي خطــة الــوزارة لعــدد مــن سلاطيــن بــني مريــن؛ بــدءا بعامــر بــن عبــد اللــه بــن يوســف، فسليمــان بــن عبــد اللــه، فعثمــان بــن يعقــوب.

ــ ثــم ابنــه **مسعــود بــن إبراهيــم بــن عيــسى** (مــن أعــلام القــرن الثامــن للهجــرة)؛ ولاه السلطــان أبــو الحســن عــلى أعمــال الســوس سنــة

730هـ/1329م، واستخلفه ــ بعدها ــ بأخيه حسون؛ أما مسعود فولاه على بلاد الجريد؛ لما فتحها سنة 748هـ/1347م .

ــ ثم **حسون بن إبراهيم** (من أعلام القرن الثامن للهجرة)؛ ولي أعمال السوس هو الآخر بعد أخيه مسعود.

ــ ثم **موسى بن إبراهيم بن عيسى** (من أعلام القرن الثامن للهجرة)؛ تقلد خطة الوزارة؛ لدى أبي الحسن علي بن عثمان؛ كما أسند إليه أبو عنان مهام جليلة؛ منها ولاية أعمال سدويكش الكتاميين بجهات قسنطينة.

ــ ثم **محمد السبيع بن موسى بن إبراهيم** (من أعلام القرن الثامن للهجرة)؛ وهو الذي رشحه أبو عنان للوزارة، كما أسندها ــ أيضا ــ إليه السلطان عبد الحليم بن أبي علي (المعروف بحلي).

***

ــ ***مواطنهم***: ومواطن **بني يرنيان** الأصلية تمتد بين **سجلماسة، وكرسيف**، على ضفاف ملوية؛ حيث كانوا مجاورين لمكناسة. وفي عهد المرابطين، والموحدين من بعدهم؛ نزح الظواعن من بني يرنيان إلى القفر؛ وبقي العاجزون عن

الظعن منهم: كبني وطاط، وغيرهم؛ حيث خضعوا للدولة، وانصاعوا لفروض الطاعة، والتزموا بدفع المغارم، والجبايات. ولما استولى المرينيون على سدة الحكم في المغرب الأقصى اقطعوا بني يرنيان **البلد الطيب، في أطراف سلا، والمعمورة**؛ بالإضافة إلى مواطنهم الأصلية؛ على ضفاف ملوية. ويقول عبد الرحمن بن خلدون عن بني يرنيان؛ بأنهم كانوا ــ في زمنه ــ متواجدين بالجبال المشرفة على وادي ملوية؛ من ناحية الجنوب؛ إذ كانوا منتشرين في القصور الممتدة عبر تلك الجهات؛ **من ملوية إلى تازة، وفاس.**

É É É

ــ وجديجن:

وهم من **أولاد ورتنيص**. وجدهم هو **زانا ابن يحيى**. واخوتهم هم بنو واغمرت. كانت أعدادهم زاخرة، وقوتهم وافرة. ومن أشهر رؤسائهم الشيخ عنان. (عاش في عهد يعلى ابن محمد اليفرني؛ أمير بني يفرن؛ الذي توفي سنة 347هـ/958م). وحدثت لهذا الشيخ قصة طريفة؛ يمكن تصنيفها من بين النوادر التي

تفرزها **العصبية القبلية.** خلاصة القصة أن امرأة من وجديجن متزوجة في قبيلة لواتة؛ المجاورة لقبيلتها؛ فتخاصمت مع نساء من بيت زوجها؛ فعايرنها بالفقر؛ فكتبت لعنان؛ شيخ وجديجن تشكوه، وتحرضه. فغضب الشيخ[1] **((واستجاش بأهل عصبيته؛ من زناتة، وجيرانه. فزحف معه يعلى؛ في بني يفرن، وكلمام بن حياتي؛ في مغيلة، وعزانة في مطماطة. ودارت الحرب بينهم وبين لواتة مليا. ثم غلبوا لواتة في بلاد السرسو؛ وانهوا بهم إلى كدية العابد؛ من آخرها. وهلك عنان؛ شيخ وجديجن في بعض تلك الوقائع؛ بملاكو؛ من جهات السرسو. ثم لجأت لواتة إلى جبل كريكرة؛ قبلة السرسو)).** وهذه عينة من سخافات العصبية، وشطحاتها.

! ! !

ــ ***أعيانهم:*** فمن أهم علماء وجديجن، وأصحاب الفكر فيهم:

---

[1] العبر، مج: 7، ص: **104**.

ــ **محمد بن موسى الوجديجي التجيني** (كان حيا حوالي 930هـ/1523م)؛ وهو فقيه تلمسان ومفتيها؛ آنئذ.

ــ ثم **إبراهيم الوجديجي التلمساني** (من أعلام النصف الأول من القرن العاشر للهجرة). وهو فقيه؛ من أهل التصوف.

ــ ثم **محمد بن أحمد الوجديجي** (توفي حوالي 950هـ/1543م)؛ وهو أحد الشيوخ الصوفيين؛ وكان يعلم الصبيان.

ــ ثم **محمد بن محمد بن موسى الوجديجي** المعروف بالصغير (توفي بالوباء سنة 981هـ/1573م)؛ وهو فقيه، ومن العلماء المتفننين، والمحققين؛ وقد اختص بالإفتاء في تلمسان.

ــ ثم **محمد شقرون بن هبة الله الوجديجي التجيني التلمساني** (توفي بفاس سنة 983هـ/1575م)؛ وهو فقييه؛ كان يكنى بمالك الصغير؛ لضلوعه في الفقه، والفروع؛ كما كانت له اهتمامات بالتفسير، والحساب، والفرائض، والبيان، والمنطق؛ اختص بالإفتاء في تلمسان؛ وبعدها تولى الإفتاء بمراكش.

ـ ثم **محمد بن موسى الوجديجي التجيني.** فقيه.

***

ـ *مواطنهم*: كانت مواطنهم **بمنداس**؛ إذ كانوا مجاورين لبني يفرن من جهة الغرب، ولواتة من جهة الجنوب في السرسو، ومطماطة من جهة الشرق بالوانشريس. ولما تغلبوا على لواتة استولوا على أراضيهم، وظلوا هناك حتى تغلبت عليهم أحياء بني يلومي، وبني ومانوا.

É É É

ـ *واغمرت*:

ويسمون ـ أيضا ـ **غمرت.** وهم **أبناء ورتنيص**؛ من **أحفاد زانا.** وكان هذا الحي من أوفر الأحياء عداد. وقد انضموا إلى أبي يزيد في ثورته؛ ضد الفاطميين. وبعد فشلهم جميعا؛ تعرضوا للتصفية؛ بالقتل، والتشريد من طرف عاهل الدولة الفاطمية إسماعيل المنصور، ثم أكمل مهمة الإثخان فيهم؛ بلكين بن زيري أمير صنهاجة؛ فساءت أحوالهم نتيجة لذلك؛ خاصة عندما اكتملت مصيبتهم؛ باجتياح

ديارهـــم مـــن طـــرف بـــني هـــلال؛ الذيـــن أجبروهـــم عـــلى الاعتصـــام في الجبـــال الجنوبيـــة مـــن المسيلـــة؛ الـــتي استوطنوهـــا بعـــد أن تركـــوا الظعـــن، واستقـــروا في القـــرى، والمـــدن المتواجـــدة بتلـــك الجهـــات. فضعفـــت بذلـــك عصبيتهـــم، وانقـــادوا لغيرهـــم مـــن القبائـــل الهلاليـــة؛ مثـــل الـــدواودة؛ الذيـــن أقطعتهـــم الدولـــة الجبـــال الـــتي تسكنهـــا واغمـــرت؛ فأضحـــوا بذلـــك مـــن القبائـــل الغارمـــة؛ الـــتي تدفـــع مغارمهـــا إلى قبيلـــة الـــدواودة[1].

! ! !

ــ ***أعيانهـــم***: مـــن أهـــم علمـــاء وأعيـــان واغمـــرت أو غمـــرت:

ــ **أبـــو العبـــاس الوليـــد بـــن بكـــر بـــن مخلـــد بـــن أبي زيـــاد الغمْـــري السرقســـطي** (ت: سنـــة 392هـــ/1001م)؛ فقيـــه مالـــكي؛ كـــان قـــد تنقـــل في أقطـــار المغـــرب، والمشـــرق؛ دارســـا، ومدرســـا؛ ولـــه كتـــاب بعنـــوان كتـــاب الوجـــازة في صحـــة القـــول بالإجـــازة؛ أشـــار فيـــه إلى مـــن لقيهـــم مـــن العلمـــاء في رحلتـــه.

---

[1] العبـــر، مج: 7، ص ص: 105 ـــ 106.

ومـــن مشاهيرهـــم؛ كاهـــن زناتـــة **مـــوسى بـــن صالـــح**؛ قـــال عنـــه ابـــن خلـــدون: **((مشهـــور عندهـــم حـــتى الآن، ويتناقلـــون بينهـــم كلماتـــه برطانتهـــم عـــلى طريقـــة الرجـــز؛ فيهـــا أخبـــار بالحدثـــان؛ فيمـــا يكـــون لهـــذا الجيـــل الزنـــاتي مـــن الملـــك، والدولـــة...وأفـــرط الخـــلاف بيـــن هـــذا الجيـــل الزنـــاتي؛ في التشيـــع لـــه، والحمـــل عليـــه: فمنهـــم مـــن يزعـــم أنـــه ولي، أو نـــبي؛ وآخـــرون يقولـــون كاهـــن))**[1].

***

ــ ***مواطنهـــم:*** كانـــت مواطنهـــم في بدايـــة الأمـــر جنـــوب بـــلاد صنهاجـــة؛ **مـــن المشنتـــل إلى الدوســـن.** غيـــر أن الأحـــداث الـــتي مـــروا بهـــا أجبرهـــم عـــلى تـــرك تلـــك الديـــار لغيرهـــم، والاكتفـــاء **بالجبـــال الجنوبيـــة لمدينـــة المسيلـــة.**

É É É

1ــ العبـــر، مج: 7، ص: 105.

ـ *بنـــو واركــــــلا:*

وهـــم مـــن **أبنـــاء تمالـــة بـــن فريـــني بـــن زانـــا ابـــن يحـــيى.** ومـــن إخوانهـــم: منجصـــة، ويزمرتـــن. عددهـــم ليـــس كبيـــرا. يعيـــش معهـــم في ديارهـــم النائيـــة؛ جماعـــة مـــن بـــني زنـــداك المغراوييـــن؛ الذيـــن التجـــأ إليهـــم أبـــو يزيـــد؛ قبـــل ثورتـــه. ورئيـــس بـــني واركـــلا أيـــام ابـــن خلـــدون مـــن بيـــت منهـــم؛ وهـــو **أبـــو بكـــر بـــن مـــوسى بـــن سليمـــان مـــن بـــني أبي غبـــول.** وكـــان يلقـــب بالسلطـــان.

! ! !

ـــ *أعيانهـــم*: مـــن علمـــاء بـــني وركـــلا أو (ورجـــلا):

ـــ **أبـــو زكريـــا يحـــيى بـــن عـــلي الوركـــلاني** (الورجـــلاني) (ت: سنـــة 471هـــ/1078م)؛ وهـــو مـــن الفقهـــاء، والمؤرخيـــن؛ ألـــف كتـــاب سيـــر الأئمـــة وأخبارهـــم؛ ويعتبـــر هـــذا الكتـــاب أقـــدم أثـــر تاريـــخي ـــ معـــروف حـــتى الآن ـــ للإباضييـــن في المغـــرب الإســـلامي؛ وقـــد ترجـــم ملخـــص لـــه بالفرنسيـــة.

ـ ثـم **أبـو صالـح جنـون بـن يمريـان الورجـلاني** (مـن أعـلام النصـف الأول مـن القـرن الثالـث للهجـرة)؛ وهـو أحـد علمـاء الإباضيـة بورجـلان.

***

ـ ***مواطنهـم***: تربـض مواطنهـم **جنـوب الـزاب**. ولهـم مصـر مستبحـر بعمرانـه؛ ويبعـد عـن بسكـرة بثمـاني مراحـل (400كلم تقريبـاً)؛ إلى الجنـوب الغـربي. كانـوا قـد بنـوه قصـورا متجـاورة، وقريبـة مـن بعضهـا؛ فالتصقـت؛ وأضحـت مصـرا واحـدا؛ عـرف باسمهـم. ويقـول عنـه ابـن خلـدون: **((وهـذا البلـد لهـذا العهـد بـاب ولـوج السفـر؛ مـن الـزاب إلى المفـازة الصحراويـة المفضيـة إلى بـلاد السـودان؛ يسلكهـا التجـار الداخلـون إليهـا بالبضائـع. وسكانهـا لهـذا العهـد مـن أعقـاب بـني واركـلا، وأعقـاب إخوانهـم مـن بـني يفـرن، ومغـراوة، ويعـرف رئيسهـم باسـم السلطـان؛ شهـرة غيـر نكيـرة بينهـم.))**[1].

É É É

---

[1] العبـر، مج: 7، ص: 107.

ـ بنــو دمــر:

وهــم أبنــاء **الغانــا بــن وريســك** أو (ورسيــج)؛ لأن اســم دمــر لقبــه، وليــس اسمــه. وجدهــم هــو **زانــا بــن يحــيى.** وبطــون دمــر كثيــرة، وعديــدة؛ منهــا: **بنــو ورغمــة** أو (ورجمــة)، **وبنــو ورنيــد**؛ الذيــن تشعبــت أفخاذهــم أيضــا؛ فعــرف منهــم: **بنــو بــرزال، وبنــو تفــورت** أو (تقــورت)، **وبنــو ورتاتيــن، وبنــو غــرزول.** وقــد أجــاز منهــم إلى بــلاد الأندلــس؛ بعــض أعيانهــم، وأبطالهــم؛ فكــان لهــم ذكــر، وصولــة. وقــد تمكــن بنــو دمــر، واخوتهــم بنــو بــرزال مــن تشييــد إمارتيــن صغيرتيــن بالأندلــس؛ همــا: **إمــارة بــني بــرزال بقرمونــة.** ثــم **إمــارة بــني نــوح الدمَّــري بمــرور**Moron. وظــل بنــو دمــر متمسكيــن بمذهبهــم الخــارجي؛ خلافــا لإخوانهــم بــني بــرزال. وسقطــت ــ في النهايــة ــ هاتــان الإمارتــان بواسطــة ابــن عبــاد؛ صاحــب اشبيليــا؛ بعــد أحــداث، وخطــوب.

وكانــت **لبــني بــرزال بــن ورنيــد** ــ في بــلاد المغــرب ــ أحــداث مذكــورة، وأعــداد موفــورة. كمــا كانــت لهــم مواقــف معلنــة، وانحيــاز ظاهــر إلى صــف أبي يزيــد؛ إذ انتقــل إليهــم؛ فأجــاروه، وناصــروه، وحمــوه. ولمــا مــات عــادوا إلى طاعــة

الدولـــة الفاطميـــة؛ في مـــوالاة أميـــر المسيلـــة، والـــزاب؛ جعفـــر بـــن عـــلي بن حمـــدون. فكانـــوا لـــه أتباعـــا، وأنصـــارا. ولمـــا انشـــق عـــن دولـــة الفاطميـــن؛ ناصـــروه، ثـــم أجـــازوا معـــه إلى بـــلاد الأندلـــس؛ أيـــن استقـــروا جميعـــا. وهنـــاك ازداد نفوذهـــم، ونمـــت ثرواهـــم، وتعـــددت مناصبهـــم في الدولـــة الأمويـــة. وبعـــد سقوطهـــا؛ سارعـــوا إلى الاستبـــداد بإمارهـــم في **قرمونـــة**. ويبـــدو أن الأمـــر قـــد اختلـــط عـــلى محمـــد عنـــان؛ حيـــن نســـب بـــني بـــرزال إلى بـــني يفـــرن؛ بينمـــا هـــم ــ في الحقيقـــة ــ مـــن بـــني ورنيـــد بـــن دمـــر بـــن ورسيـــك[2].

! ! !

ــ ***أعيانهـــم***: مـــن أشهـــر أعيـــان، وعلمـــاء بـــني دمـــر؛ عـــلى اختـــلاف بطونهـــم:

ــ يحـــيى بـــن مـــوسى بـــن عبـــد اللـــه البِـــرْزالي الغرنـــاطي (ت: سنـــة 541هــ/1146م)؛ وهـــو فقيـــه، وإمـــام بقرطبـــة.

ــ ثـــم أبـــو عبـــد اللـــه محمـــد بـــن يوســـف بـــن محمـــد بـــن أبي يـــدَّاس البـــرزاليّ الإشبيـــلي (تـــوفي

---

[2] ابـــن عـــذاري؛ البيـــان المغـــرب، ج: 3، ص ص: **270 ــ 273. 275**. ابـــن خلـــدون؛ العبـــر، مج: **7**، ص ص: **108 ــ 111**.

بدمشق سنة 636هـ/1238م)؛ عالم، بالحديث؛ ثقة؛ قال فيه ابن الأبار: **((في شيوخه كثرة، وفي روايته سعة، وكان حسن الخط، جيد الضبط، صحيح العقيدة، معروفا بالحفظ؛ جمع من الحديث شيئا كثيرا...))**[1].

ــ ثم **علَمُ الدين أبو محمد القاسم بن محمد ابن يوسف البرزالي الإشبيلي** (ت: سنة 739هـ/1338م)؛ وهو فقيه، ومحدث، وراوية، ومؤرخ؛ من مؤلفاته: كتاب التاريخ؛ وهو صلة لتاريخ أبي شامة؛ وصل به إلى أحداث 738هـ/1337م، وكتابان ــ أحدهما مطول، والآخر مختصر ــ جمع فيهما أسماء، وتراجم الذين أجازوه من العلماء؛ وقد وصل عددهم حوالي ثلاثة آلاف، ثم كتاب الوفيات، وكتاب الشروط، وكتاب ثلاثيات من مسند أحمد، وكتاب مختصر المائة السابعة، وكتاب العوالي المسندة، ومجاميع وتعاليق عديدة؛.

ــ ثم **أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي** (ت: سنة 803هـ/1400م)؛ وهو من أكبر علماء تونس في عصره؛ ولي إمامة الجامع الأعظم، ثم أسندت إليه فيه خطة الخطابة،

---

[1] **التكملة، ج: 2، ص: 643.**

ثم الإفتاء بعدهما؛ من مؤلفاته: المختصر الكبير؛ في الفقه المالكي، والمختصر الشامل؛ في التوحيد، ومختصر الفرائض، والمبسوط؛ في الفقه؛ جزأه إلى سبعة مجلدات، والطرق الواضحة في عمل المناصحة، والحدود؛ في التعاريف الفقهية.

ـ ثم **أبو القاسم بن أحمد بن محمد بن العتل البرزالي القيرواني** (ت: سنة 844هـ/1440م)؛ فقيه تونس ومفتيها؛ كان ينعت بشيخ الإسلام؛ وهو صاحب الديوان الكبير في الفقه والفتاوى، وكتاب جامع مسائل الأحكام مما نزل من القضايا للمفتين والحكام؛ وهو في مجلدين اثنين .

ـ ثم **أحمد بن محمد بن محمد بن عثمان ابن يعقوب بن سعيد بن عبد الله المناوي الورنيدي** المعروف بابن الحاج (توفي حوالي 930هـ/1523م)؛ كان متمكنا من علوم، وفنون شتى كـ: الأصول، والمنطق، والعربية، والبلاغة، والحساب، والعروض؛ كما كان ينظم الشعر الصوفي. وكان يتراسل مع ابن غازي بالألغاز المنظومة؛ من ذلك ما بعثه إليه ابن غازي؛ طالبا حله:

وَمَيِّت قبْــر طَعْمِــه عِنْــد رَأسِــه
إذَا ذَاقَ مِــنْ ذَاكَ الطَّعَــامِ تَكَلمَــا
يَقُــومُ فَيَمْــشي صَامِتــاً مُتكَلِّمَــا
وَيَأوي إلى القَبْــرِ الذي مِنــْهُ قُوِّمــَا
فَــلا هُــوَ حَيٌّ يَسْتَحِــقُّ زِيَــارَة
وَلا هُــوَ مَيْــت يَسْتَحِــقُّ تَرَحُّمَــا

فأجابــه أحمــد الورنيــدي (ابــن الحــاج):
بِحَمْدِ اللَّــهِ ابْتَــدِي ثُمَّ بَعْــدَهُ
أصَــليِّ عَلىَ خَيْــرِ الأنَــامِ مُسَلِّمــاً
هُوَ القَلَمُ القَبْــرُ الدَّوَاة وَطَعْمُــهُ
مِــدَادُ كَلامُــهُ الكِتَابَــة فَافْهَمَــا
وَكَاتِبُ هَذا أحْمَدُ بْنَ مُحَمَّــدٍ
عَفَــا اللــَّهُ عَنْهُ كلَّ مَا كَانَ أجْرَمَــا

ولــه قصيــدة في مــدح الرســول صــلى اللــه عليــه وسلــم؛ يقــول فيهــا:
سَــلامٌ عَلى سُكَانِ طَيْبَة وَالحِــمَى
فَهُمْ أسْلَمُــوا قَلــْبِي سَلِيماً مُسَلّمَــا
نَــأتْ دَارُهُمْ عَنِّي فَظَلْتُ لبَيْنهِــمْ
كَئِيبــاً قَرِيحَ القَلــْبِ صَبــًّا مُتَيَّمَــا

إلى آخرها؛ حيث يقول:

فَلمَّا عَدِمْتُ القَبْرَ يَمَّمْتُ مَدْحَهُ
فَمَنْ لَمْ يَجدْ مَاءً طَهُوراً تَيَمَّمَا

وله أيضاً بعضَ المصنفات مثل: شرح السينية لابن باديس، وشرح البردة للبصيري؛ لم يكتمل.

ـ ثم **محمد بن سعيد الورنيدي** المدعو الحاج المناوي (توفي حوالي سنة 955هـ/1548م)؛ فقيه، ومفتي، وأستاذ؛ وملمٍ بالقراءات.

ـ ثم **محمد بن عبُّو المناوي الورنيدي** (توفي بعد سنة 970هـ/1562م)؛ فقيه، ومدرس، ومحدث، وخطيب، ونحوي؛ متمكن من القراءات.

ـ ثم **حَدُّو بن الحاج بن سعيد المناوي الورنيدي** (ت: سنة 998هـ/1589م)؛ فقيه، وأستاذ، وناظم.

ـ ثم **محمد بن عبد الله بن الحاج بن سعيد المناوي الورنيدي** المعروف بأمقران (ت: سنة 1009هـ/1600م)؛ فقيه، وإمام، وخطيب.

OOO

ومن أمراء، وأعيان بني برزال المشتغلين في شئون الحكم، والسياسة، والجيش:

ـ الحاجب **أبو عبد الله محمد بن عبد الله البرزالي الزناتي** (ت: سنة 434هـ/1042م). كان حاكما على قرمونة بالأندلس؛ قبل سقوط الدولة الأموية. ولما انحل شأن الدولة؛ استبد بإمارتها، واستقل بحكمها؛ سنة 404هـ.

ـ ثم **إسحاق بن محمد بن عبد الله البرزالي.**

ـ ثم **المستظهر عزيز بن محمد بن عبد الله البرزالي** (ت: سنة 459هـ/1066م)؛ ثاني أمراء بني برزال بقرمونة بالأندلس؛ حكمها بعد وفاة أبيه؛ إلى أن تغلب عليه ابن عباد؛ كغيره من الأمراء الأمازيغ .

ـ ثم **أبو حرب مقاتل بن عطية البرزالي الغرناطي**؛ وهو من الفرسان الأبطال؛ شهير باسم الرُّيَّة؛ بسبب حمرة كانت في وجهه. ويعتبر من الأبطال المذكورين في الأندلس، وكان على رأس ثلاثمائة فارس من بني برزال؛ في خدمة بني زيري بالأندلس.

ـ ثم **وانزمار بن أبي بكر البرزالي**؛ وهو أحد الفرسان الأبطال؛ من الأمازيغ الذين كانوا في خدمة المنصور بن عامر. ذكره المقري؛ بقوله: **((تقدم إلى المنصور وانزمار...وقد جلس**

للعــرض والتمييــز؛ والميــدان غــاص بالنــاس؛ فقــال لــه بكــلام يضحــك الثكــلى: يــا مــولاي؛ مــالي ولــك؛ أسكــني فــإني في الفحــص. فقــال: ومــا ذاك يــا وانزمــار؟ وأيــن دارك الواسعــة الأقطــار؟ فقــال: أخرجتــني عنهــا نعمتــك؛ أعطيتــني مــن الضيــاع مــا انصــب عــلي منهــا مــن الأطعمــة مــا مــلأ بيــوتي، وأخــرجــني عنهــا؛ وأنــا بربــري مجــوّع، حديــث عهــد بالبــؤس؛ أتــراني أبعــد القمــح عــني؟ ليــس ذاك مــن رأيي. فتطلــّق المنصــور، وقــال: للــه درك مــن فــذ عَــيِيِّ؛ لعَيِّــك في شكــر النعمــة أبلــغ عندنــا، وآخــذ بقلوبنــا مــن كــلام كــل أشــدق متزيــد، وبليــغ متفنــن؛ وأقبــل المنصــور عــلى مــن حولــه مــن أهــل الأندلــس فقــال: يــا أصحابنــا؛ هكــذا فَالْتُشْكــر الأيــادي، وتستــدام النعــم؛ لا مــا أنتــم عليــه مــن الجَحْــد الــلازم، والتشــكي المبــرّح؛ وأمــر لــه بأفضــل المنــازل الخاليــة))[1].

ooo

أمــا الأمــراء، والأعيــان المنتسبــون إلى القبيلــة الأم (دمــر)؛ فهــم:

---

[1] نفــح الطيــب، ج: 1، ص: 417.

ـ ثم **أبو تيزيري الدمري** (ت: سنة 403هـ/1012م)؛ وكان قد استولى ـ مع قومه ـ على **مورور**، وما حولها؛ أثناء الفتنة التي قضت على الدولة الأموية؛ ثم اتخذها قاعدة لإمارة بني دمر.
ـ ثم ولده **نوح بن تيزيري الدمري** (ت: سنة 433هـ/1041م).
ـ ثم **عز الدولة محمد بن نوح الدمري** (ت: سنة 449هـ/1057م)؛ اتصف بحسن السياسة؛ والسهر على أمن رعيته؛ حتى سقط في حبائل ابن عباد الذي غدر به؛ مع بقية الأمراء من الأمازيغ.
ـ ثم **عماد الدولة مناد بن محمد بن نوح الدمري** (ت: سنة 464هـ/1071م)؛ ضايقه ابن عباد ـ هو الآخر ـ وطاوله؛ حتى قبل بتسليم مرور إليه؛ والانتقال إلى إشبيليا في ضيافته؛ ولما ذهب إليها أحسن إليه، وقام به أفضل قيام، وبالغ في إكرامه.

***

ـ ***مواطنهم:*** تمتد مواطن **بني دمر** عبر إفريقية، والمغرب الأوسط؛ فمنهم أحياء **بجهات طرابلس**، وجبالها؛ ويعرفون **بوَرْغمة**؛ بينما

يتنقل الظواعن منهم؛ عبر **سهوب إفريقية، والمغرب الأوسط.** ومن بني ورنيد؛ منهم ــ أيضا ــ جماعة في **الجبل المشرف على تلمسان؛** انتقلوا إليه من السهوب الجنوبية لتمسان؛ بسبب ضغوط بني راشد؛ الذين كانوا مزاحمين لهم في تلك البسائط. ومنهم ــ كذلك ــ من كان **بجبال سالات؛ بنواحي المسيلة؛** وهم **أحياء من بني برزال.**

É É É

ــ *بنو وامانوا*:

ذكر ابن خلدون أنه لا يعرف تسلسل نسبهم؛ وإن كان يجعلهم من بين قبائل **زناتة؛** تبعا لروايات النسابين. **وبنو وامانوا** هؤلاء كانوا حلفاء لإخوانهم، وجيرانهم بني يلومي؛ فتمكنت القبيلتان من التغلب على ربوع المغرب الأوسط. ولم يفُقْهم ــ من زناتة آنئذ ــ في **قوة العصبية**، وكثرة العدد؛ سوى بني يفرن، ومغراوة. وعندما أجبر بلكين بن زيري زناتة على النزوح إلى المغرب الأقصى؛ بقي بنو وامانوا، وإخوانهم بنو يلومي في مواطنهم؛ بسبب

تحالفهم مع صنهاجة، وانضمامهم إليها في حروبها.

وقد أصهر المنصور بن الناصر بن علناس الصنهاجي إلى بني وامانوا؛ في أخت شيخ القبيلة **ماخوخ**؛ فتعززت بذلك أواصر القربى بين الدولة، والقبيلة. ولكن دب الخلاف بين الطرفين؛ عندما ناصرت قبيلتا: بني وامانوا، وبني يلومي المرابطين؛ ضد الدولة الحمادية؛ وعندما فشل المنصور في عملياته العسكرية ضد القبيلتين العاصيتين؛ التجأ إلى أسلوب الانتقام من صهره؛ بطريقة غريبة؛ إذ لم يجد أمامه سوى زوجته الضعيفة؛ أخت ماخوخ؛ شيخ قبيلة وامانوا؛ فأطفأ غليله فيها، بقتلها؛ بدلا من أخيها العاق..!! ولما توفي المنصور، وخلفه العزيز، رجع بنو وامانوا إلى طاعة الدولة الحمادية، وأصهر إليهم العزيز كذلك؛ فتزوج ابنة ماخوخ. ولما هلك ماخوخ؛ خلفه أولاده في رئاسة قبيلة بني وامانوا؛ وهم: **تاشفين، وعلي، وأبو بكر**.

هـذا.. ولـم يـدم الحلـف بيـن بـني **وامانـوا**، **وبـني يلـومي** طويـلا؛ حيـث نشبـت بينهمـا الفتـن؛ الـتي انضمـت إليهـا أحيـاء أخـرى مـن زناتـة. وكـان بنـو وامانـوا متذبذبيـن في ولائهـم للدولـة. فهـم أحيانـا مـع بـني حمـاد، وأحينـا أخـرى مـع المرابطيـن، وأخـرى مـع الموحديـن. وقـد ينتهـزون أدنى فرصـة تسنـح لهـم؛ لـكي يتنكـروا لطـرف مـا، ويقدمـوا ولاءهـم لطـرف آخـر. ووصـل بهـم الحـال إلى الوقـوف مـع الموحديـن؛ في حمـلاتهـم القتاليـة؛ ضـد إخوانهـم، وحلفائهـم بـني يلـومي. ومـع مـرور الوقـت أخـذ الضعـف، والوهـن يـدب في القبيلتيـن؛ بسبـب الفتـن، والحـروب الـتي أكلـت خيارهـم؛ فأصبحـوا مغلوبيـن لقبيلـتي: توجيـن، وبـني عبـد الـواد[1].

***

ـ *مواطنهـم*: أمـا مواطـن **بـني وامانـوا** فـهي في المغـرب الأوسـط؛ **شـرق وادي مينـاس** (مينـا حاليـا) **بمنـداس؛ وحـتى أسافـل شلـف.** ويجاورهـم عـلى الضفـة الغربيـة؛ لـوادي مينـاس بنـو يلـومي.

---

[1] العبـر، مج: 7، ص ص: **114 ـــ 119**.

وثمة بعض الأحياء من بني وامانوا تعرف **ببني يالدّاس**؛ وينتشرون في **القصور الجنوبية** التي **تسمى توات، وتيكورارين**. وهي عبارة عن حزام أخضر؛ ممتد من الغرب إلى الشرق؛ ويضم المئات من القصور، وآلاف البساتين؛ التي تزخر بأشجار النخيل، وكروم العنب، ومختلف الفواكه الأخرى. وأشهر قصورهم هي: **بودا، وتمنطيط، وتيميمون، وقليعة**. وتعتبر هذه القصور الصحراوية بمثابة محطات رئيسية؛ لقوافل التجار المتنقلين بين مالي، وأقطار المغرب. وعليه فقد ازداد نموها العمراني، وتضاعف ثراؤها، وازدهرت تجارتها.

وقد سجل ابن خلدون بعض الملاحظات؛ عن الطريقة التي يتبعها سكان تلك الجهات في استنباط المياه الجوفية. فقال: **((وفي هذه البلاد الصحراوية؛ إلى وراء العرق؛ غَرِيبَة في استنباط المياه الجارية؛ لا توجد في تلول المغرب. وذلك أن البئر تحفر عميقة، بعيدة المَهْوَى. وتطوَى جوانبها إلى أن يوصل بالحفر إلى حجارة صلدة؛ فتحت بالمعاول، والفؤوس إلى أن يرق جرمها. ثم تصعد الفعلة، ويقذفون عليها زبرة من الحديد؛ تكسر طبقها عن الماء؛ فينبعث**

صاعـدا؛ فيفعـم البئـر، ثـم يجـرى عـلى وجـه الأرض واديـا. ويزعمـون أن المـاء ربمـا أعجـل بسرعتـه عـن كـل شيء. وهـذه الغريبـة موجـودة في قصـور تـوات، وتيكورارين، ووركـلا، وريـغ. والعالـم أبـو العجائـب))[1].

É É É

ـ بنـو يلـومي:

كـل مـا قيـل عـن بـني ومانـوا ينطبـق عـلى **بـني يلـومي**؛ لأن هاذيـن الحيين يجمعهمـا مصيـر واحـد؛ نظـرا لتلاحمهمـا، وتحالفهمـا؛ وذلـك بالإضافـة إلى النسـب الواحـد الـذي جمعهمـا. ويـرى بعضهـم أن بـني يلـومي، وبـني ورتاجـن إخـوان. وبمـا أن ورتاجـن هـو أبـو قبيلـة بـني مريـن؛ فقـد أضـحى بنـو يلـومي يشاركونهـم مريـن عصبيتهـم. ولمـا ظهـر المرابطـون عـلى مسـرح الأحـداث بالمغـرب؛ بـرزت خلافـات عميقـة بيـن بـني يلـومي، وحلفائهـم بـني وامانـوا؛ وازدادت عمقـا عندمـا ظهـر الموحـدون أيضـا؛ حيـث وصـل بهـم

---

[1] العبـر، مج: 7، ص: 119.

الحـــال إلى الاقتتـــال. بسبـــب تحيـــز أحدهمـــا إلى أعـــداء الآخـــر.

ويبـــدو أن أحيـــاء زناتـــة كلهـــا انقسمـــت؛ نتيجـــة لظهـــور المرابطيـــن، والموحديـــن؛ بحيـــث اختـــار كـــل حليـــف حليفـــه الجديـــد. وقـــد تبايـــن ولاء قبيلـــتي: بـــني يلـــومي، وبـــني وامانـــوا للدولـــة؛ حيـــث انضـــم ـــ في البدايـــة ـــ **بنـــو وامانـــوا** إلى الموحديـــن؛ متخليـــن في ذلـــك عـــن أبنـــاء عمومتهـــم، وحلفائهـــم الطبيعييـــن بـــني يلـــومي.

أمـــا **بنـــو يلـــومي فظلـــوا عـــلى ولائهـــم للمرابطيـــن.** وهكـــذا.. تسببـــت تلـــك الفتـــن، والحـــروب ـــ في عهـــد الدولـــة الموحديـــة خاصـــة ـــ في إضعـــاف القبيلتيـــن؛ فاضمحـــل شأنهمـــا، وانقـــرض عزهمـــا، ووهنـــت شوكتهمـــا؛ فأصبحـــت القبيلتـــان ـــ بذلـــك ـــ أوزاعـــا بيـــن القبائـــل الزناتيـــة. والرئاســـة في بـــني يلـــومي يمكـــن حصرهـــا في **بيـــت أميـــر النـــاس**؛ مـــن خـــلال ولديـــه: **سيـــد النـــاس، وبـــدرج.**

***

ـــ **مواطنهـــم:** تتواجـــد مواطـــن بـــني يلـــومي أيضـــا ـــ بالمغـــرب الأوســـط؛ وهي في **الضفـــة الغربيـــة لـــوادي**

ميناس (مينا)؛ **بالجعبات، والبطحاء، وسيك، وسيرات، وجبل هوارة، وبني راشد.**

É É É

ـ بنو واسين:

وهم **أبناء واسين بن يصلتين.** وجدهم **زانا بن يحيى.** اشتهروا بفرعيهم: **بادين، وورتاجن.** فمن بادين تفرع: **بنو عبد الواد، وبنو توجين، وبنو زردال، وبنو مصاب.** أما ورتاجن فمنهم **بنو مرين.** أما **بنو راشد؛** فأبوهم راشد **أخو بادين** من أبيهما محمد؛ لذا اندرجوا في بني عبد الواد. أما بنو زردال، وبنو مصاب فالتحقوا ببني عبد الواد. أما بنو توجين فتأتي أهميتهم في الدرجة الثانية بعد بني عبد الواد؛ نظرا لكثرة عددهم، وشدة بأسهم. وتقول المصادر التاريخية عن بني واسين؛ أنهم ساندوا أبا يزيد في ثورته على الفاطميين؛ إذ حاصروا توزر كما أمرهم. وربما انضم ـ منهم ـ بنو عبد الواد إلى عقبة بن نافع في ولايته الثانية، وأبلوا معه في الجهاد[1].

---

[1] أنظر العبر، مج: 7، ص ص: 120 ـ 131.

وأهم بطون بني عبد الواد هم: **بنو طاع الله**، **وبنو كمي**، **وبنو مطهر**. أما بطون بني مرين فأهمهم: **بنو عسكر**، **بنو وطاس**، **وبنو يابان**. أما بطون بني توجين فهم: **بنو مدن**، **وبنو رسوغين**؛ وتفرعوا جميعا إلى عدد من الأفخاذ؛ أشهرهم: **بنو منكوش** المنتسبين إلى **بني رسوغين**، **وبنو يدلتن**، **وبنو يرناتن** المنتسبين إلى بني مدن؛ وإلى يدلتن ينتمي **بنو سلامة**؛ أصحاب **قلعة تاوغزوت** الشهيرة؛ وهي التي لجأ إليها ابن خلدون؛ أين شرع في تأليف كتابه العبر.

وكان بنو واسين — في عهودهم الأولى — مغلوبين للطبقة الأولى من زناتة، وأن اعتزوا ببداوتهم؛ إذ كانوا من أهل الظعن، وأصحاب الخيام؛ ومن المنتجعين عبر السهوب، والسباسب، في ربوع المغرب، وإفريقية؛ ما بين ملوية، والزاب. ولما أخرج الصنهاجيون أهل الطبقة الأولى من زناتة عن المغرب الأوسط؛ ظل بنو واسين في منتجعهم؛ معتزين ببداوتهم، ومنعتهم عن قهر الدولة؛ حتى العهد الموحدي. وما أن دب الهرم في الدولة الموحدية؛ حتى شرعوا في الاستبداد، **والتطلع إلى مراتب الملك**.

وهكذا.. فبنو واسين ــ أيام الطبقة الأولى من زناتة ــ كانوا معروفين بهذا الاسم. ولما تشعبت بطونهم، وتكاثرت، أفخاذهم؛ تفرعوا إلى أحياء منفصلة، ومتنافسة على الرئاسة؛ فظهر منهم في البداية فرعان؛ هما: **بنو بادين، وبنو ورتاجن.** وكانت **عصابة بني بادين** ــ في البداية ــ أقوى لاشتمالها على أربع بطون؛ هم: **بنو عبد الواد، وبنو توجين، وبنو زردال، وبنو مصاب،** بالإضافة إلى بطن آخر ينتمي إليهم؛ وهم **بنو راشد**؛ أخو بادين.

ومع مرور الزمن، وبعد وصول **بني عبد الواد** إلى مرتبة **الملك**، وانفرادهم بعزه، وشرفه؛ دون البطون الأخرى؛ عندها.. دب الخلاف بين أحياء بني بادين، **وانقسمت عصبيتهم** إلى عصبيات أصغر، وأضيق؛ فبرز ــ عندئذ ــ كل حي مستقلا بذاته. وهنا **قويت شوكة بني مرين**؛ بعد **انقسام عصبية بني بادين.** وحدث ــ من جراء الصراع، والتنافس المشتعل بين أحياء بني واسين ــ أن نشأت لهم دول، وإمارات بالمغربين: الأقصى، والأوسط. **كدولة بني عبد الواد، ودولة بني مرين، وإمارة بني توجين.** وقد اشتد الصراع، والاقتتال بين

هـــذه الـــدول؛ طـــوال سنـــوات وجودهـــا؛ وذلـــك بغـــرض احتـــواء مجمـــوع الإمـــارات؛ ضمـــن دولـــة واحـــدة؛ ولكـــن عامـــل الحســـم العسكـــري كـــان مفقـــودا لديهـــم جميعـــا.

! ! !

ــ *أعيانهـــم*: لبـــني واسيـــن عـــدد مـــن الأعيـــان، والمشاهيـــر تضيـــق بهـــم الصفحـــات؛ ذلـــك أنهـــم تمكنـــوا ــ بمختلـــف أحيائهـــم ــ مـــن تشييـــد ممالـــك، وإمـــارات عديـــدة؛ أهلتهـــم لاحتـــلال مراكـــز مرموقـــة في المجتمعـــات المغربيـــة كافـــة. وعليـــه سنكتـــفي بذكـــر أهـــم رجالاتهـــم عـــلى الإطـــلاق. نبـــدأ بذكـــر أصحـــاب القلـــم منهـــم؛ ثـــم ننتقـــل إلى أصحـــاب السيـــف، والسلطـــان. ونشـــرع في ذكـــر أعيـــان بـــني عبـــد الـــواد؛ لأنهـــم سبقـــوا الأحيـــاء الأخـــرى في إقامـــة دولتهـــم؛ فمـــن أعيانهـــم:

ــ **أبـــو حمـــو مـــوسى الثـــاني ابـــن عبـــد الرحمـــن ابـــن يحـــيى بـــن يغمراســـن بـــن زيـــان** (ت: سنـــة 791هــ/1388م)؛ ويعتبـــر هـــذا السلطـــان مـــن أبـــرز سلاطيـــن، وأدبـــاء بـــني عبـــد الـــواد؛ فهـــو ــ إلى جانـــب شـــدة عزمـــه، وقـــوة إرادتـــه ــ أديـــب ملـــم بالشعـــر، والنثـــر معـــا. فمـــن مؤلفاتـــه النثريـــة كتـــاب واسطـــة السلـــوك في سياســـة الملـــوك، ولـــه قصائـــد كثيـــرة؛ موزعـــة ضمـــن مصـــادر عديـــدة؛ جَمـــَع

عبـــد الحميـــد حاجيـــات أهمهـــا في كتابـــه ((أبـــو حمـــو مـــوسى الزيـــاني؛ حياتـــه، آثـــاره)). ومـــن شعـــره السيـــاسي؛ قصيـــدة قالهـــا عندمـــا حـــان وقـــت انطلاقـــه إلى تلمســـان؛ لاستعـــادة ملـــك آبائـــه:

حَـــانَ الفَرَاقُ فَكُنْتُ مِنْهُ بِمَنْـــزِل
وَدَنَـــا الرَّحِيلُ فَكُنْـــتُ فِيـــهِ بِـــأَوَّلِ
وتَحَكَّم البَيْـــنُ المُشَتِّتِ والنَّـــوى
فِينَـــا بفَتْكَـــةِ سَيْفِـــــهِ المُتَكَلِّـــــلِ
وبَـــدَا غُرَابُ البَيْنِ في عَرَصَاتِهَـــا
يُـــرْثِي عَلَيْهَـــا مَنْـــزِلاً فِي مَنْـــــزِلِ

إلى أن يقـــول:

والـــدَّارُ أمْسَتْ بَلقعاً منْ أهْلهـــا
يُـــرْثِي عَليْهـــا كُـــلُّ طَيْـــرٍ ألْيَـــلِ
والـــورْقُ نائِحَة على أغْصانهـــا
نَـــوْحُ الشَّـــجِي المُدْنـــفِ المُتَعَلِـــــلِ
فَسَمِعْـــتُ هاتِفَـــةٍ على أفْنانهـــا
تَشْكُـــو بصَـــوْتٍ بَيِّـــن لم يُجْهَـــلِ
فَنَشَدْتُهـــا عَنْ حَالِهَـــا فَتَرَنَّمَـــتْ
وبَكَتْ وأبْكَتْ صُمَّ صَخْـــرِ الجَنْـــدَلِ

قَالَتْ وَأشْوَاقُ النَّوَى لَعِبَتْ بهَــا:

عَنْ غيــْر حَــَالِي يَا ابْنَ آدَمَ فَاسْــأَلِ

أوَمَا رَأيْتَ الرَّوْضَ أمْسَى مُقْفـَـراً

لَعِبَـــتْ بِهِ ريــحُ الصَّبَــا وَالشَّمْــأَلِ

هَاذِي دِيَارُكمْ وَهَاذِي أرْضُكُــمْ

بالأمْــسِ قَدْ كَانــُوا بِهَــذَا المَنْــزِلِ

دَعْني أنُوحُ عَلَيْهِــمُ طُوَلَ المَــدَى

أبْــكِي عَلَيْهِمْ جَــدْوَلاً في جَــدْوَلِ

فَشَفِقْتُ لَمَّا أنْ عَلِمْتُ حَدِيثَهَــا

وَالجَفْــنُ يَغــْرَقُ بالدُّمُــوعِ الهُطَّــلِ

نَادَيْتُهَــا وَالجِسْــمُ مِنيِّ قَدْ فَــنَى

وَعَــلىَ فــؤادِي غَمْــرَةَ لَمْ تَنْجَــلِ

لَوْ ذقْــتِ يَاوَرْقــَاءُ مَا قَدْ ذقْتُــهُ

لَحَرَقْــتِ أغْصَــانَ الأرَاكِ المِيَّــــلِ

كَمْ حُرْقَــةٍ كَمْ زَفْرَةٍ كَمْ لوْعَــةٍ

يَحْلُــو لَدَيْهَــا كُل صَعْــبٍ مُذهِــلِ

وَشَوَاهِدِي هُمْ هَؤُلاَءِ كَمَا تَــرَى

بَانُــواَ وَكُــلٌّ مُبَيَّــنٍ لَــمْ يُجْهَــلِ

دَمْــعِي يَسِيحُ وزَفْرَتِي لاَ تَنْقــَضِي

والسَّهــرُ أنْحَلَــنِي وعــذلُ العــاذِلِ

لوْ ذاقَ قاسي القلْبِ مَا قَدْ ذقْتــهُ
لَغَــدَوا سَكَـــارَى في مَحَلٍ مُهْمِـــلِ
أوْ حَلَّ مَا بِي بالجِبَالِ تَدَكْدَكَـــتْ
دَكـــاً وأمْسَتْ مِثْلَ كُحْـــلِ المِكْحَـــلِ
وَالحَـــالُ تُنْبئُ وَالكَوَاكِبُ تَشْهَـــدُ
أنِّي أرَاقِبُهَـــــا وَلَـــمْ أتَخيَّــــــلِ
حَالِي يَطُولُ وَمِحْنَتِي لا تَنْقَــضِي
كَمْ لِي بمَيــْدان الـــوَغَى مِنْ مَحْفَـــلِ
لا بُدَّ مِنْ سَـــوْق النُّجُوعِ مُغَرِّبـــاً
حَــتَّ تَكِـــلَّ مُتُونُهَـــا بِالأحْمُـــلِ
وَتَرَى الفَوَارِسَ دَائرَات بالعِــدَى
تَسْـــقِي لِوَارِدِهَـــا نَقِيـــعَ الحَنْظَـــلِ

ــ **ثـــم أبـــو زيـــان محمـــد بـــن أبي حمـــو الثـــاني** (ت: سنـــة 805هــ)؛ وهـــو كأبيـــه؛ محـــب للعلـــم والأدب، ويجيـــد نظـــم الشعـــر؛ ومـــن شعـــره قصيـــدة بعـــث بهـــا؛ مـــع هديـــة إلى سلطـــان مصـــر برقـــوق؛ نذكـــر منهـــا:

لِمَنِ الرَّكَائِـــبُ سَيْرهُـــنَّ ذَمِيـــلُ
وَالصَّبْـــرُ ــ إلاَّ بَعْدَهُـــنَّ ــ جَمِيـــلُ

يَأَيُّهَــا الحَــادِي رُوَيْــدَكَ إِنَّهَــا
ظُعُــنٌ يَمِيــلُ القَلــبُ حَيْثُ تَمِيــلُ
رِفْقــاً بِمَنْ حَمَلَتْهُ فَوْقَ ظُهُورهَــا
فَالحُسْــنُ فَوْقَ ظُهُورِهَــا مَحْمُــولُ

إلى أن يقــول:

مَنْ لي بِـــزَوْرَة رَوْضَةِ الهَادي الذِي
مــَا مِثْلُــهُ فِي المُرْسَلِيــنَ رَسُــــولُ
هُوَ أَحْمَدٌ ومُحَمَّــدٌ والمُصْطَــفَى
وَالمُجْتــَبَى وَلــَهُ انْتــَهَى التَّفْضِيــلُ
يا خَيْرَ مَنْ أهْدَى الهُدَى وأجَلَّ مَنْ
أَثْــنَى عَلَيْــهِ الــوَحْيُ وَالتَّنْزِيــــلُ
وَحْيٌ مِنَ الرَّحْمَنِ يُلْقِيــهِ عَــلىَ
قَلْــبِ النَّــبِيِّ مُحَمَّــدٍ جِبْرِيــــلُ
مَدَحَتْكَ آيَاتُ الكِتَابِ وَبَشَّــرَتْ
بِقُدُومِــكَ التَّــــوْرَاة وَالإِنْجِيــــلُ
صِلَة الصَّلاَةِ عَلَيْكَ تَحْلو فِي فَــمِي
مَهْمَــا تَكَــرَّرَ ذِكْــرُكَ المَعْسُــــولُ

ثـــم يقــول:

يَا سَائِقــاً نَحْوَ الحِجَاز حَمُولَــة
وَالقَلــْبُ بَيْــنَ حُمُولِــهِ مَحْمُــولُ

لِمُحَمَّــدٍ بَلِّــغْ سَــلاَمَ سَمِيِّــهِ
فَذِمَامُــهُ بِمُحَمَّـــدٍ مَوْصُـــولُ
وَسَــلِ الإِلَهَ لَهُ اغْتِفَــارَ ذُنُوبِــهِ
يُسْمَــعْ هُنَــاكَ دُعَــاؤُكَ المَقْبُـــولُ
وعَنِ المَلِيــكِ أَبِي سَعِيدٍ فَلْتَنُــبْ
فَلَكَــمْ لَهُ نَحْــوَ الرَّسُــولِ رَسُــولُ
مُتَحَمِّــلٌ لِلَّــهِ كِسْــوَةَ بَيْتِـــهِ
يَــا حَبَّــذاكَ المَحْمِــلُ المَحْمُـــولُ
سَعْــدُ المَلِيــكِ أَبي سَعِيــدٍ أَنَّــهُ
سَيْــفٌ عَــلىَ أَعْدَائِــهِ مَسْلُـــولُ
مَلِــكٌ يَحُجُّ المَغْرِبُ الأَقْصَى بِــهِ
فَلَهُــمْ بِهِ نَحْــوَ الرَّسُــولِ وُصُــولُ

وهــذه القصيــدة طويلــة جــدا؛ ولا يتســع المجــال لذكرهــا بالكامــل.

ooo

أمــا شيــوخ بــني عبــد الــواد، ورؤســاء القبيــل الأوائــل؛ أي قبــل نشــوء دولتهــم؛ فهــم:

ــ **يوســف بــن تكفــا** (مــن أعــلام القــرن الســادس للهجــرة)؛ وهــو الــذي كــان يرأسهــم أيــام تغلــب بــني يلــومي، وبــني وامانــوا عــلى المغــرب الأوســط.

ـ ثم **أبو محمد عبد الحق بن مَنَغْفَادْ بن يغرن** (من أعلام المائة السادسة للهجرة)؛ كان زعيمهم عند ظهور الدولة الموحدية؛ وهو الذي استرد أموال عبد المؤمن بن علي من أيدي بني مرين؛ وقتل كبيرهم المسمى المخضب بن عسكر.

ـ ثم **زيان بن ثابت بن محمد** (من أعلام أواخر القرن السادس للهجرة)؛ كان شيخا على بني طاع الله؛ حينما حدثت الفتنة بينهم وبين إخوانهم بني مطهر؛ تلك الفتنة التي قتل فيها زيان بن ثابت بواسطة كندوز الكمي؛ فنهض بنو طاع الله؛ بزعامة جابر ابن يوسف؛ وتمكنوا من قتل كندوز؛ ثأرا لزيان؛ وانجر عن هذه الفتنة؛ هروب بني كمي إلى تونس؛ مع شيخهم عبد الله بن كندوز.

ـ ثم **جابر بن يوسف بن محمد** (توفي أمام أسوار ندرومة سنة 629هـ/1231م)؛ انتقل من طور الزعامة إلى طور الإمارة؛ بعد إجهاضه للمؤامرة التي دبرها ضد شيوخ بني عبد الواد إبراهيم ابن علان الصنهاجي؛ الثائر بتلمسان على الدولة الموحدية؛ فقبض عليه هو وأتباعه؛ ثم انتصب على سدة الحكم في

تلمسان؛ معلنا دعوته إلى الموحدين؛ استرضاء لهم؛ وبذلك.. مهد لقيام الدولة العبد الوادية.

OOO

أما **بنو مطهر** فمنهم:

ـ **حمامة بن مطهر** (من أعلام القرن السادس للهجرة)؛ هو الذي رافق سيد الناس بن أمير الناس؛ زعيم بني يلومي، وعطية الخير؛ زعيم بني توجين؛ لتقديم فروض الطاعة إلى عبد المؤمن بن علي؛ أثناء حصاره لوهران.

ـ ثم **عمر بن موسى المطهري** (كان حيا سنة 766هـ/1364م)؛ ولي قيادة دلس؛ من طرف أبي حمو الثاني.

OOO

ومن **بني كمي**:

ـ **كندوز بن عبد الله بن كمي** (من أعلام أواخر القرن السادس للهجرة)؛ هو الذي سبقت الإشارة إليه؛ عندما ذكرنا قتله لزيان؛ ثم مقتله هو الأخر من طرف بني طاع الله.

ـ ثم **عبد الله بن كندوز** (كان حيا سنة 665هـ/1266م)؛ وهو الذي هرب ببني كمي إلى تونس بعد مقتل أبيه؛ غير أنهم عادوا فهاجروا إلى المغرب الأقصى؛ أين التجئوا إلى يعقوب بن عبد الحق المريني؛ فأكرمهم، وأقطعهم بنواحي مراكش؛ غير أن **نزوات العصبية القبلية** أثارت فيهم جرثومة الخلاف؛ بعد أن وصلت إليهم أخبار حصار تلمسان؛ من طرف يوسف بن يعقوب المريني؛ فخرجوا عن طاعة الدولة المرينية، والتحقوا بحاحة سنة 703هـ. وبعد موت السلطان يوسف عادوا إلى طاعة الدولة المرينية.

ـ ثم **عمر بن كندوز بن عبد الله بن كمي** (توفي سنة 704هـ/1304م)؛ وذلك خلال ثورتهم على بني مرين؛ احتجاجا على حصارهم لتلمسان.

ooo

أمــا **بنــو زردال** فمنهــم:

ــ أبــو محمــد عبــد اللــه بــن مسلــم الــزردالي (ت: سنــة 747هــ/1346م). هــو القائــد الفــذ، والوزيــر المحنــك؛ الــذي أسنــد إليــه أبــو حمــو موسى الثــاني شئــون حربــه؛ فقــام بهــا أحســن قيــام.

ooo

أمــا أشهــر ملــوك؛ بــني عبــد الــواد فهــم:

ــ أبــو يحــيى يَغُمْرَاسَــنْ بــن زيــان (ت: سنــة 681هــ/1282م)؛ وهــو مؤســس دولــة بــني عبــد الــواد، وأب ملوكهــم، وأشهــر أعيانهــم عــلى الإطــلاق. قــال عبــد الرحمــن بــن خلــدون في وصفــه: ((**كــان يغمراســن بــن زيــان بــن ثابــت ابــن محمــد مــن أشــد هــذا الــحي بأســا، وأعظمهــم في النفــوس مهابــة وجلالــة، وأعرفهــم بمصالــح قبيلــه، وأقواهــم كاهــلا عــلى حمــل الملــك، واضطلاعــا بالتدبيــر والرياســة؛ مهــدت لــه بذلــك آثــار قبــل الملــك وبعــده. وكــان مرموقــا بعيــن التجلــة، مؤمــلا للأمــر عنــد المشيخــة،**

وتعظمة من أمره عند الخاصة، ويفزع إليه في نوائبه العامة))[1].

ـ ثم **أبو سعيد عثمان بن يغمراسن بن زيان** (ت: سنة 703هـ/1303م)؛ خلف والده يغمراسن في الملك. افتتح عهده بشن حملات واسعة على المقاطعات الشرقية؛ حيث أخضع معظم قبائلها، وإماراتها لسلطانه؛ ووصل فتح إلى بجاية.

ـ ثم **أبو حمو موسى الأول ابن عثمان بن يغمراسن** (ت: سنة 718هـ)؛ قال عنه صاحب العبر: **((كان صارما، يقظا، حازما، داهية، قوي الشكيمة، صعب العريكة، شرس الأخلاق، مفرط الذكاء والحدة؛ وهو أول ملوك زناتة؛ رتب مراسم الملك، وهذب قواعده، وأرهف لذلك لأهل ملكه حده، وقلب لهم مجن بأسه؛ حتى دلوا لعز الملك، وتأدبوا بآداب السلطان. سمعت عريف بن يحيى... يقول: ويعنيه؛ موسى بن عثمان هو معلم السياسة الملوكية لزناتة.))**[1]. ومن الأخبار التي تؤيد ما وصف به من شراسة، وصرامة؛

---

[1] العبر، مج: 7، ص: 162.

[1] نفسه، ص ص: 203 ــ 204.

موقفه الغريب تجاه سلطان مصر محمد بن قلوون؛ الذي أرسل خطابا يعاتبه فيه على ما نال مبعوثيه لملك المغرب من سلب، وعدوان بالمغرب الأوسط؛ وأرفق خطاب العتاب بهدية لا تناسب الحال؛ بالمقارنة مع الهدية التي وجهها لخصمه سلطان المغرب. وقد أورد ابن خلدون القصة؛ معددا محتويات الهدية؛ التي كانت عبارة عن: **((كوزين بدهن البلسان؛ المختص ببلادهم، وخمسة مماليك من الترك؛ رماة؛ بخمسة أقواس من قسي الغز المؤنقة الصنعة؛ من العرى، والعقب... ثم استدعى القاضي محمد بن هدية؛ وكان يكتب عنه؛ فقال له: الآن اكتب إلى الملك الناصر ما أقول لك، ولا تحرف كلمة عن موضعها إلا ما تقتضيه صناعة الإعراب، وقل له: أما عتابك على شأن الرسل، وما أصابهم في طريقهم؛ فقد حضروا عندي، وأبنت لهم الاستعجال؛ حذرا مما أصابهم؛ وأريتهم مخاوف بلادنا، وما فيها من غوائل الأعراب؛ فكان جوابهم: إننا جئنا من عند ملك المغرب، فكيف نخاف؟ مغترين بشأنهم؛ يحسبون أمره نافذ في أعراب قبائلنا. وأما الهدية فردت**

عليك: أما دهن البلسان؛ فنحن قوم بادية؛ لا نعرف إلا الزيت؛ وحسبنا به دهنا. وأما المماليك الرماة؛ قد افتتحنا بهم اشبيلية، وصرفناهم إليك لتفتح بهم بغداد؛ والسلام))[1].

ـ ثم **أبو تاشفين بن موسى بن عثمان بن يغمراسن بن زيان** (ت: سنة 737هـ/1336م)؛ كان حازما، غشوما؛ لم يتورع عن قتل والده، والجلوس على سدة الحكم بدلا منه. وفي عهده امتدت حدود الدولة العبد الوادية إلى أقصى نطاق لها؛ إذ وصلت إلى مشارف تونس. ومع هذا فهو محب للعمران، والعلوم؛ ويقول عنه عبد الرحمن بن خلدون: **((وأغرى دولته بتشييد القصور، والرياض، والبساتين؛ فاستكمل ما شرع فيه أبوه من ذلك؛ وأربى عليه؛ فاحتفلت القصور، والمصانع في الحسن ما شاءت، واتسعت أخباره))**[1].

ـ ثم **أبو زيان الرابع أحمد بن عبد الله ابن موسى الثاني** (ت: سنة 957هـ)؛ اختلف مع أخيه محمد؛ الذي استعان بالإسبان؛ فتمكن أحمد من القضاء على الحملة الإسبانية

---

[1] العبر، مج: 7، ص ص: 470 471.

[1] نفسه، ص: 219.

بقيادة ألفونس دي مارتينيز Don Alfonso de Martinez ثم اعتلى عرش تلمسان؛ داعيا على منابره للسلطان العثماني.

É É É

أما بنو مرين – فهم بدورهم – ظهر لهم أدباء، وعلماء؛ وقادة، وأمراء كبار؛ منهم:

– **أبو علي عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق** (توفي مقتولا في السجن بمدينة فاس سنة 734هـ/1333م)؛ كان أديبا؛ ناظما للشعر؛ منه هذه الأبيات التي بعث بها إلى أخيه السلطان أبي الحسن؛ عندما كان محاصرا له في سجلماسة:

فَلاَ يَغُرَنَّكَ الدَّهْرُ الخَئُونُ فَكَمْ
أَبَادَ مَنْ كَانَ قَبْلِي يَا أَبَا الحَسَنِ
الدَّهْرُ مُذ كَانَ لا يبْقى عَلى صِفَةٍ
لا بُدَّ مِنْ فَرَحٍ فِيهِ وَمِنْ حَزَنِ
أيْنَ المُلُوكُ التي كَانَتْ تَهَابُهُمُ
أسْدُ العَرِينِ ثَوَوْا في اللَّحْدِ والكَفَنِ

بَعْدَ الأسِرَّةِ والتِيجَانِ قَد مُحِيَــتْ
رُسومها وعَفتْ عنْ كُلِّ ذي حســنِ
فاعْمَلْ لأخْرَى وكُنْ باللَّهِ مُؤْتَمــراً
واسْتَغْــنِ باللــهِ في سِــرٍ وفي عَلَــنِ
واخْتَــرْ لنَفْسكَ أمْرا أنْتَ آمِــرهُ
كأنَّــني لم أكُــنْ يَوْمــاً ولم تَكُــنِ

ـ ثـم **أبـو العبـاس أحمـد بـن إبراهيـم بـن علـي ابـن عثمـان** (توفي بتازا سنة 796هـ/1393م)؛ اعتلى عرش بني مرين مرتين: الأولى سنة 775هـ/1373م؛ ثم خُلع في عام 786هـ/1384م؛ ثم عقدت له البيعة في المرة الثانية سنة 789هـ/1387م. وكان ضعيفا، تابعا لأبن الأحمر بالأندلس؛ وفي عهده تم قتل ابن الخطيب، بإيعاز من ابن الأحمر. وكان أديبا، وشاعرا؛ ولكنه مقل. من شعره:

أمَّا الهَــوَى يَا صَاحِــبي فَألِفْتُــهُ
وَعَهدْتُــهُ مِــنْ عَهْــدِ أيَّــامِ الصِّبَــا
وَرأيْتُــهُ فَوْتَ النُّفُوسِ وَحَلْيَهَــا
فَتخْذتُــــهُ دِينــــاً إليَّ وَمَذهَبَــــا

وَلَبِسْتُ دُونَ النّــَاسِ مِنْهُ حُلــَّة
كَانَ الوَفَــاءُ لَهَــا الطــِّرَازُ المُذَهَّبَــا
لَكِنْ رَأَيْـــتُ لَهُ الفِرَاقَ مُنَغِّصَــا
لاَ مَرْحَبــاً بِتَفَــــرُّقٍ لاَ مَرْحَبَـــــا

وقــال في مناسبــة أخــرى:
يَا عَاذِلِي دَعْ عَنْــكَ عَذلَ العَــاذِلِ
وَاخْلَــعْ عِذَارَكَ فِي الحَبِيبِ الوَاصِــلِ
وَإِذَا ذَكَــرْتَ عَشِيَّــة بِمَحَاسِــنٍ
فَاذكُــر عَشَايَانَــا بِــدَارِ العَـــادِلِ

ــ ثــم **أبــو فــارس عبــد العزيــز بــن أحمــد بــن إبراهيــم بــن علــي المريــني** (ت: سنــة 799هــ/1396م)؛ كــان رقيــق القلــب، شفوقــا؛ منقبضــا عــن سفــك الدمــاء، أديبــا، وشاعــرا؛ وإن كــان مقــلا. مــن شعــره هــذه الأبيــات الــتي يشكــر اللــه فيهــا عــلى سقــوط المطــر:
اللَّــهُ يَلْطُــفُ بالعِبَــادِ فَوَاجِــبٌ
إنْ يَشْكُــرُوا فِي كُلِّ حَــالٍ نِعْمَتَــهْ
فَهُــوَ الَذي فِيهِــمُ يُنْــزِلُ غَيْثَــهُ
مِنْ بَعْدِ مَا قَنطُــوا وَيَنْشُــرُ رَحْمَتَــهْ

أما رؤساء بني مرين؛ فمنهم الشيوخ الأوائل؛ مثل:

ــ **المخضب بن عسكر المريني** (ت: سنة 540هـ/1145م)؛ وهو الرئيس عليهم في أواخر الدولة اللمتونية، وأوائل الدولة الموحدية؛ وقتل بأيدي بني عبد الواد المنحازين إلى صف الموحدين آنئذ. ثم أبو بكر بن حمامة بن محمد المريني (ت: سنة 561هـ/1165م)؛ وهو الذي تولى رئاسة قبيل بني مرين؛ بعد موت المخضب.

ــ ثم **محيو بن أبي بكر بن حمامة بن محمد المريني** (توفي سنة 592هـ/1195م)؛ ترأس قبيل بني مرين بعد موت أبيه؛ ولما حشدت الحشود لموقعة الأرك بالأندلس سنة 591هـ/1194م؛ لبى محيو النداء، وشارك ــ هو وقومه ــ في المعركة؛ فأصيب بجروح؛ مات متأثرا بها.

ooo

أما أشهر أمرائهم، وملوكهم؛ فهم:

ــ **أبو محمد عبد الحق بن محيو بن أبي بكر المريني** (ت: سنة 614هـ/1217م)؛ وهو صاحب الخطوات الأولى نحو إنشاء الدولة المرينية؛

وصاحب مجدهم، وعزهم؛ قال عنه ابن خلدون: ((**وكان عبد الحق أكبرهم؛ فقام بأمر بني مرين؛ وكان خير أمير عليهم؛ قياما بمصالحهم، وتعففا عما في أيديهم، وتقويما لهم على الجادة، ونظرا في العواقب**))[1].

ـ ثم **أبو يحيى أبو بكر بن عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حمامة المريني** (ت: سنة 656هـ/1160م)؛ وهو أول من أدخل ملامح الدولة في الوسط القبلي لبني مرين؛ وأعلن بالدعوة إلى الحفصيين؛ لإضفاء الشرعية على الكيان الذي يتطلع لإقامته؛ وكانت له مواقع ساخنة مع الموحدين بمراكش؛ حالفه النصر في معظمها.

ـ ثم **أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق بن محيو المريني** (توفي سنة 685هـ/1286م)؛ بيده سقطت دولة الموحدين؛ كان حازما، شديد المراس؛ قام بالانتقال إلى بلاد الأندلس مرات عديدة؛ بغرض الجهاد، وصد هجمات الإسبان. توفي في الأندلس عندما كان معسكرا في الجزيرة الخضراء للجهاد؛ ويعتبر من أعظم سلاطين بني

---

[1] العبر، مج: 7، ص: 347.

مرين؛ بما له من خلال حميدة، وأعمال جليلة.

ـ ثم **أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني** (قتل سنة 706هـ/1306م)؛ كان ذلك بيد مملوك له؛ طعنه غدرا؛ وهو على فراشه. قضى معظم حياته في حروب ضد بني عبد الواد، وضد الثوار من قبيله؛ والإسبانيين، وأعراب المعقل.

ـ ثم **أبو سعيد عثمان بن إدريس أبي العلاء ابن عبد الله بن عبد الحق المريني** (توفي سنة 730هـ/1329م)؛ في الجهاد بالأندلس؛ وكان قد هاجر إليها بعد فشله في الوصول إلى عرش بني مرين؛ وفي الأندلس ولي مشيخة الغزاة؛ فأبلى في الجهاد خير البلاء؛ إذ وصلت غزواته إلى 732 غزوة ضد الإفرنج.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب ابن عبد الحق المريني** (ت: سنة 752هـ/1351م)؛ كان محبا للعلماء، مقربا إياهم، مستدعيا لكبارهم في بلاطه؛ مغرما بالبناء والعمران؛ إذ شيد القصور، والمدارس، والمورستانات، والقناطر..الخ. وكان طافح الطموح، ساعيا لاستعادة أمجاد من سبقه من الملوك المسلمين؛

غير أن الحظ خانه مرتين؛ كانت آخرها هي القاضية عليه، وعلى دولته: أولاها تمت عندما مني بهزيمة منكرة أمام جيوش النصرى بالأندلس، والثانية هي التي قصمت ظهره؛ وحدثت حينما مُنِيَ بهزيمته الثانية؛ أمام أعراب بني هلال وسليم بإفريقية.

ـ ثم **أبو عنان فارس بن علي بن عثمان ابن يعقوب المريني** (قتل سنة 759هـ/1357م)؛ خنقا بيد وزيره عمر الفردودي. كان ـ كوالده ـ محبا للعلم، والعلماء، وكانت له ـ أيضا ـ الطموحات نفسها؛ ولكنه كان ـ كذلك ـ سيئ الحظ؛ فانتهى به الأمر إلى الموت بيد أقرب مساعديه.

ـ ثم **أبو محمد عبد الحق بن عثمان بن أحمد المريني** (توفي مقتولا سنة 869هـ/1464م)؛ وهو آخر سلاطين بني مرين؛ ثارت عليه رعيته؛ بعد أن استوزر وزيرين يهوديين؛ فوّض إليهما شئون الدولة؛ فأساءا السيرة؛ فانجر عن ذلك اشتعال ثورة الناس عليه؛ فكانت نهايته، ونهاية الدولة المرينية؛ وقيام الدولة الوطاسية؛ بدلا منها.

OOO

ومن بني يابان:

ـ جدهم **يابان بن جرماط بن مرين.**

ـ ثم **يوسف بن علي اليابان** (كان حيا سنة: 656هـ/1258م)؛ ولاه يعقوب ابن عبد الحق أعمال بلاد درعة وأحوازها.

ـ ثم **عمر بن عبد الله بن علي اليابان** (كان حيا سنة 759هـ/1357م)؛ ولاه أبوعنان خطة الحجابة.

ـ ثم **محمد بن العباس بن أبي يحيى اليابان** (كان حيا سنة 760هـ/1358م)؛ ولي وزارة إبراهيم ابن أبي الحسن المريني.

ـ ثم **يعيش بن علي بن فارس اليابان** (كان حيا سنة 788هـ/1386م)؛ ولي وزارة محمد ابن أبي الفضل بن أبي الحسن المريني.

ـ ثم **إدريس بن موسى بن يوسف اليابان** (كان حيا سنة 789هـ/1387م)؛ ولي وزارة أحمد بن أبي سالم المريني.

ـ ثم **صالح بن حمو اليابان** (كان حيا سنة 789هـ/1387م)؛ ولي ـ هو كذلك ـ وزارة أحمد ابن أبي سالم المريني.

ooo

أمـــا بنـــو وطـــاس فمنهـــم:

ــ شيخهـــم الأول **وطـــاس بـــن بجـــوس المريـــني.**

ــ ثـــم **عبـــد الرحمـــن بـــن يعقـــوب الوطـــاسي؛** وزيـــر.

ــ ثـــم **أبـــو زكريـــاء يحـــيى بـــن زيـــان بـــن عمـــر ابـــن زيـــان الوطـــاسي** (ت: سنـــة 853هـــ/1449م)؛ كـــان وزيـــرا، ووصيـــا عـــلى السلطـــان الصغيـــر عبـــد الحـــق ابـــن عثمـــان بـــن أحمـــد المريـــني.

ــ ثـــم **أبـــو حســـون عـــلي بـــن يوســـف بـــن زيـــان الوطـــاسي** (ت: سنـــة 865هـــ/1460م)؛ ولي وزارة عبـــد الحـــق ابـــن عثمـــان بعـــد مقتـــل الوزيـــر الوطـــاسي يحـــيى بـــن زيـــان.

ــ ثـــم **يحـــيى بـــن يحـــيى بـــن زيـــان بـــن عمـــر الوطـــاسي** (قتـــل ذبحـــا بأمـــر مـــن السلطـــان عبد الحـــق سنـــة 866هـــ/1461م)؛ ولي وزارة السلطـــان المريـــني عبـــد الحـــق بـــن عثمـــان؛ ولكنـــه قتلـــه مـــع جمـــع مـــن بـــني وطـــاس؛ لـــكي يتخلـــص مـــن نفوذهـــم، واستبدادهـــم عليـــه.

ــ ثـــم **محمـــد الشيـــخ بـــن يحـــيى بـــن زيـــان الوطـــاسي** (تـــوفي بفـــاس سنـــة 910هـــ/1504م)؛ هـــو الـــذي أقـــام دولـــة بـــني وطـــاس؛ وأول سلاطينهـــم. في عهـــده استفحـــل شـــأن البرتغاليـــن، والإسبانييـــن؛ إذ

استولوا على آخر المعاقل الإسلامية ببلاد الأندلس، ثم استولوا بعدها على أصيلا، والبريجة، وأزمور، وتيط، وسواحل السوس بالمغرب.

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد الوطاسي** (توفي بعد سنة 956هـ/1549م)؛ وهو آخر سلاطين بني وطاس؛ تغلب عليه السلطان السعدي؛ محمد الشيخ المعروف بالمهدي؛ فاعتقله بمراكش، أو في درعة حتى مات.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن محمد الشيخ بن يحيى الوطاسي** المعروف بأبي حسون (ت: سنة 961هـ/1553م)؛ هو ثالث سلاطين بني وطاس، وقبل الأخير منهم. ثار عليه ابن أخيه أبو العباس أحمد؛ فسلم له الحكم مضطرا؛ ولكنه تمكن من الهرب إلى المغرب الأوسط؛ حيث استنجد بالأتراك؛ الذين ساعدوه على فتح فاس، وانتزاعها ـ لبعض الوقت ـ من السعديين؛ المتغلبين آنذاك على المغرب الأقصى؛ غير أن محاولته لم تعمر طويلا؛ إذ زحف إليه محمد الشيخ السعدي؛ فاسترد فاسا، وقتله.

OOO

أما **بنو توجين** فمعلوماتنا عنهم ضئيلة جدا؛ بسبب محيطهم البدوي؛ الذي اقتصر على إبراز رؤسائهم لا غير. وأشهر زعمائهم في عهد بني زيري الصنهاجيين؛ هم:

ـ **عطية بن دافلتن** (دافلين) **بن أبي بكر بن الغلب** (كان حيا سنة 395هـ/1004م).

ـ ثم **لقمان بن المعتز** (كان حيا سنة 395هـ/1004م).

وفي عهد الموحدين ترأسهم:

ـ **عطية بن مناد بن العباس بن دافلتن** (دافلين)؛ المعروف بعطية الحيو (من أعلام القرن السادس للهجرة)؛ كانت لقومه ـ برئاسته ـ وقائع، وأحداث ضد إخوانهم، ومنافسيهم ـ في الوقت نفسه ـ بني عبد الواد.

ـ ثم **العباس بن عطية بن مناد** (ت: سنة 607هـ/1210م)؛ تراجع عن الطاعة التي التزم بها سلفه للموحدين؛ فدسوا له من اغتاله.

ـ ثم **عبد القوي بن العباس بن عطية** (ت: سنة 647هـ/1249م)؛ وينتسب إلى بني منكوش من بني رسوغين. قال فيه ابن خلدون: **((ورئيسهم لذلك العهد عبد القوي بن عباس؛ والكل لأمره؛ فصار له ملك بدوي؛**

لـــم يفـــارق فيـــه سكـــنى الخيـــام، ولا إبعـــاد النجعـــة، ولا إيـــلاف الرحلتيـــن؛ ينتهـــون في مشاتيهـــم إلى مصـــاب، والـــزاب؛ ويترلـــون في المصائـــف بلادهـــم هـــذه مـــن التـــل؛ ولـــم يـــزل هـــذا شـــأن عبـــد القـــوي، وابنـــه محمـــد))[1].

ـ ثـــم **محمـــد بـــن عبـــد القـــوي بـــن العبـــاس** (ت: سنـــة 684هـــ/1285م)؛ قتـــل أخـــاه يوســـف الـــذي خلـــف أباهـــم في إمـــارة القبيلـــة؛ ثـــم استقـــل برئاستهـــا. هـــذا وكـــان متقلبـــا في ولائـــه؛ بيـــن القـــوى المتواجـــدة آنـــذاك في بـــلاد المغـــرب؛ فكـــان يومـــا مـــع بـــني عبـــد الـــواد، ويومـــا مـــع بـــني أبي حفـــص، ويومـــا مـــع بـــني مريـــن.

أمـــا الذيـــن ينتسبـــون لبـــني يدلتـــن من بني مَـــدَّن فهم:

ـ **نصـــر بـــن سلطـــان بـــن عيـــسى** (مـــن أعـــلام القـــرن الســـادس للهجـــرة)؛ هـــو الـــذي استوطـــن بقومـــه نـــواحي الجعبـــات، وتاوغـــزوت.

ـ ثـــم **سلامـــة بـــن عـــلي بـــن نصـــر بـــن سلطـــان** (مـــن أعـــلام القـــرن السابـــع للهجـــرة)؛ وهـــو الـــذي شيـــد قلعـــة تاوغـــزوت المسمـــاة باسمـــه.

OOO

---

[1] العبـــر، مج: 7، ص: 321.

أما بنو يرناتن من بني رسوغين فمنهم:

ـ نصر بن علي بن تميم بن يوسف بن بونوال (من أعلام القرن السادس للهجرة).

ـ ثم ابنه **مهيب بن نصر** (من أعلام القرن السادس للهجرة).

***

هذا وقد لاحظنا ـ من خلال تتبعنا لأخبار القبائل في بلاد المغرب ـ أن اهتماماتهم متباينة؛ فمنهم من وجدوا في أنفسهم القدرة على السعي إلى **الملك** والسلطان؛ فجعلوه هدفهم الأساسي؛ حتى وصلوا إليه؛ ومنهم من عجز عن الملك؛ فسعى إلى وجهة أخرى؛ كالاهتمام **بالعلوم**. ومن هنا.. نجد بين القبائل التي عجزت عن الوصول إلى الملك؛ اهتماما كبيرا **بالشئون الثقافية، والدينية**. وعليه.. فقد برز فيها العلماء، وأصحاب الفكر، والقلم. ومن هذه القبائل على سبيل المثال: **مغيلة، وعجيسة، ونفوسة، وزواوة، ونفزة** ..إلخ؛ وإلى هذا الصنف من القبائل؛ تنضم **قبيلة بني راشد**؛ التي أعطت بلاد المغرب الإسلامي عددا ـ لا بأس به ـ من العلماء؛ منهم:

! ! !

ـ **أبو جعفر أحمد عبد النور بن أحمد المالقي الراشدي** (ت: سنة 702هـ/1302م)؛ وهو من بني راشد المقيمين بمالقة؛ وهنا.. يمكن أن ينطبق عليه ما سبق ذكره بخصوص لماية، وصدينة، وأوربة؛ تلك الأحياء الأمازيغية التي استقرت بالأندلس. وهو من علماء العربية، والعروض، والفقه، ويقرض الشعر؛ كما يتمتع بموهبة صوتية أهلته إلى تجويد القرآن. وله بعض المؤلفات؛ منها: كتاب الحِلْية في ذكر البسملة والتصلية، وكتاب رَصْف المباني في حروف المعاني؛ قال عنه ابن الخطيب: **((هو أجل ما صنف، ومما يدل على تقدمه في العربية))**[1]. وكتاب في العروض، وكتاب في شواذ العروض، وكتاب في شرح الكوامل؛ لأبي موسى الجزولي، وكتاب في شرح مُغْرب أبي عبد الله ابن الشوَّاس؛ لم يكمله، وتقييد على الجمل؛ لم يكتمل. من شعره:

مَحَاسِنُ مَنْ أهْوَى يَضِيقُ لها الشَّرْحُ
لـهُ الهمَّة العَلْيَاءُ والخُلُقُ السَّمْحُ
لهُ بَهْجَةَ يَغْشَى البصائِر نورُها
وَتَعْشَى بِهَا الأَبْصَارُ إنْ غَلَسَ الصُّبْحُ

---

[1] الإحاطة، ج: 1، ص: 198.

إذا مَا رَنَى فَاللَّحْظُ سَهْــمٌ مُفَــوَّقٌ
وفي كُــلِّ عُضْــو مِنْ إصابَتــهِ جُــرْحُ
إذا مَا انْثَنَى زهْــواً وَوَلَّى تَبَخُّتُــراً
يَغَــارُ لِــذَاكَ القَــدُّ مِنْ لِينِــهِ الرُّمْــحُ
وَإنْ نَفَحَتْ أزْهَــارُهُ عِنْدَ رَوْضَــةٍ
فَيُخْجِــلُ رَيَّــا زَهْرِهَــا ذِلِــكَ النَّفْــحُ
هُوَ الزَّمَنُ المَأمُــوَلُ عِنْدَ ابْتِهاجِــهِ
فَلِمَّتُــــهُ لَيْــلٌ، وَغُرَّتُــــهُ صُبْــــحُ
لَقَدْ خَامَــرَتْ نَفْسِي مُدامَةُ حُبِّــهِ
فَقَلْــبِيَ مِنْ سُكْــرِ المُدامَــةِ لا يَصْــحُ
وَقَدْ هَامَ قَلْبي فِي هَوَاه فَبَرَّحَــتْ
بِأَسْــرَارِهِ عَيْــنٌ لِمَدْمَعِهــا سَبْــــحُ

ـــ ثــم الشيــخ الــولي الصــوفي **أبــو عــلي الحســن ابــن مخلــوف بــن مسعــود بــن سعــد المزيــلي الراشــدي** الشهيــر بأبركــان (ت: سنــة 857هـ/1453م)؛ وهــو فقيــه مــن الصوفيــة الزهــاد؛ ترجــم لــه ابــن مريــم؛ ولكنــه لــم يفــد القــارئ بشيء عــن ثــروة الرجــل العلميــة؛ وكــل الــذي ســرده في ترجمتــه الطويلــة؛ **حكايــات، وخــوارق عجيبــة**؛ نسبهــا للشيــخ أبركــان.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن الحسن بن مخلوف الراشدي** (ت: سنة 868هـ/1463م)؛ له بعض المؤلفات؛ منها: الثاقب في لغة ابن الحاجب، وثلاثة شروح على الشفا؛ أكبرها في مجلدين؛ وهو المسمى بالغنية، وتعليق رجال ابن الحاجب، ومؤلفات أخرى.

ـ ثم **محمد بن عياد الكبير المعمراني الراشدي** (ت: سنة 964هـ/1556م)؛ كان شاعرا، ومحدثا، ونحويا، وفقيها، وأصوليا، ومنطقيا.

ـ ثم **أبو محمد العربي بن علي المشرفي الراشدي** (ت: سنة 1096هـ/1684م)؛ من الأدباء، والمؤرخين؛ له مؤلفات منها: فتح المنان شرح قصيدة ابن الونان؛ في مجلدين.

ـ ثم **عبد القادر الراشدي** (توفي حوالي سنة 1112هـ/1700م)؛ فقيه من أصحاب الاجتهاد؛ ولي قضاء قسنطينة، والإفتاء بها؛ له مؤلفات منها: حاشية على شرح السيد للمواقف العضدية، وكتاب عائلات قسنطينة وقبائلها وعربها وبربرها، ورسالة في تحريم الدخان.

ـ ثم **أبو المكارم عبد القادر بن عبد الله ابن محمد المشرفي الغريسي** المعروف بسقط (ت: سنة 1192هـ/1778م)؛ وهو من الحدثين،

والمؤرخين؛ وهو صاحب الرسالة المعنونة بـ: بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر.

ـ ثم **محمد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد الراشدي المعسكري الجزائري** المعروف بأبي راس (ت: سنة 1239هـ/1823م)؛ هو أحد العلماء المهتمين بالتاريخ، والحديث ورجاله، والفقه، والأدب؛ ألف حولي 50 كتابا؛ أهمها: تفسير القرآن، لب أفياخي في عدة أشياخي، وتخريج أحاديث دلائل الخيرات، وشرح المقامات الحريرية، والسيف المنتضى فيما رويته بأسانيد الشيخ مرتضى، ومروج الذهب في نبذة النسب ومن إلى الشرف انتمى وذهب، وذيل القرطاس في ملوك بني وطاس، ودر السحابة فيمن دخل المغرب الأقصى من الصحابة، والزمردة الوردية في الملوك السعدية، والخير المعلوم في كل من اخترع نوعا من أنواع العلوم، وحاشية على المكودي، وحاشية على السعد، وحاشية على الشرح الكبير للخراشي، وشرح العقيقية، وشرح الشمقمقية، وشرح الحلل السندسية، وكتاب التأسيس، ودرء الشقاوة، وفتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته،

والحاوي الجامع بين التوحيد والتصوف والفتاوى، وكتاب عن رحلته في المشرق والمغرب.

ـ ثم **أبو راشد عمار الراشدي** المعروف بالغربي (توفي بقسنطينة سنة 1251هـ/1835م)؛ من أهل الفقه، والعلم، والمعرفة؛ ومن الملمين بالأدب؛ ولي إفتاء المالكية؛ له نظم، وألف حاشية على شرح الشبرخيتي على المختصر.

ooo

أما رؤساء بني راشد، وزعماؤهم الأوائل فهم:

ـ **إبراهيم بن عمران الراشدي** (من أعلام القرن السادس للهجرة)؛ كان يتولى رئاستهم عند زحفهم نحو التلول مع بني عبد الواد؛ في عهد الموحدين.

ـ ثم **ونزمار بن عمران الراشدي** (من أعلام القرن السادس للهجرة)؛ استبد على أخيه إبراهيم، وأزاحه من مرتبة الرئاسة، وتولاها بدلا منه.

ـ ثم **مقاتل بن ونزمار بن عمران** (من أعلام القرن السابع للهجرة)؛ خلف والده ونزمار؛ بعد أن قتل عمه إبراهيم؛ وأحدث

بذلك انقساما بين أسرة بني عمران؛ فأضحوا قسمين: **بنو إبراهيم، وبنو ونزمار**؛ إلا أن بني إبراهيم كانوا أظهر.

ـ ثم **ونزمار بن إبراهيم بن عمران** (ت: سنة 690هـ/1291م)؛ كان معاصرا ليغمراسن بن زيان.

ـ ثم **أبو يحيى بن موسى بن عبد الرحمن ابن ونزمار بن إبراهيم الراشدي** (كان حيا سنة 737هـ/1336م)؛ وهي السنة التي احتل فيها أبو الحسن المريني تلمسان، والمغرب الأوسط؛ فنقل ـ تبعا لذلك ـ أعيان زناتة في تلك الديار ـ إلى المغرب الأقصى؛ ومن بين من نقلهم أبو يحيى بن موسى هذا.

ـ ثم **زيان بن أبي يحيى بن موسى الراشدي** (قتل سنة 768هـ/1366م)؛ عاد إلى وطنه من منفاه بالمغرب؛ في عهد أبي حمو الثاني؛ فاحتفى به عند قدومه؛ ولكنه اتهم بالتجسس لسلاطين المغرب؛ فسجنه مرتين؛ حيث قتله في المرة الثانية في سجنه.

! ! !

وثمة ـ أيضا ـ علماء من الإباضيين؛ ينتسبون إلى بني واسين، وكانوا معروفين باسم هذه القبيلة الأم؛ قبل أن تتشعب أحياؤها، وتستقل بطونها بنفسها. وديار هؤلاء العلماء؛ هي الديار القديمة لبني واسين؛ قبل أن ينتقل جمهورهم إلى تلول المغرب الأوسط؛ وهي بلاد الجريد؛ ومن هؤلاء العلماء:

ـ **أبو القاسم يزيد بن مخلد الوسياني**؛ أي الواسيني؛ نسبة إلى بني واسين؛ (من أعلام القرن الرابع للهجرة)؛ وهو من حامة قسطيلية؛ له دراية بالأدب، وعلوم: اللسان، والأصول، والفروع، والحديث، والفقه، والقرآن، والسيرة؛ قُتِل بأمر من المعز لدين الله الفاطمي؛ بسبب وشاية من أحد اليهود.

ـ ثم **أبو خزر يغلا بن زلتاف الوسياني** (من أعلام القرن الرابع للهجرة)؛ فقيه، ومحدث؛ رافق أبو القاسم بن يزيد في مرحلة الدراسة، والعطاء العلمي؛ ثار على المعز الفاطمي؛ بعد مقتل رفيقه أبي القاسم؛ ولكنه استفاد من العفو؛ وأصبح من المقربين إلى المعز؛ حيث أخذه معه إلى مصر عندما انتقل إليها؛ وامتد عمره إلى عهد ولده نزار.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن سودرين الوسياني** (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس)؛ وهو من العلماء البارزين؛ له إلمام بعلوم النظر والمنطق، والعلوم الشرعية.

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن زورستن الوسياني** (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس)؛ وهو من شيوخ الإباضية الملمين بالعلوم الشرعية، والمنطق.

ـ ثم **ميمون حمودي بن زورستن الوسياني** (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ أحد علماء الإباضية المستوعبين لعلوم: النظر والمنطق، والعلوم الشرعية.

ـ ثم **أبو جعفر أحمد بن خيران** (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو من علماء الإباضية المجتهدين؛ اشتهر بالورع، والكرم.

ـ ثم **أبو محمد ماكسن بن الخير الوسياني** (من أعلام النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة)؛ عالم إباضي؛ كف بصره وهو صغير؛ ومع هذا لم تمنعه علته من التعلم؛ حتى أضحى من العلماء البارزين.

ـ ثم **أبو عبد الله مزين بن عبد الله الوسياني** (من أعلام النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو أحد علماء الإباضية.

ـ ثم **يوسف بن أحمد الوسياني** (من أعلام النصف الثاني من القرن السادس للهجرة)؛ قال عنه الدرجيني: **((وأما يوسف بن أحمد فلا يبعد أن يكون حامل فقه إلى من هو أفقه منه؛ فإنه كان حفاظا؛ ولكن لا يحسن التصرف فيما يحفظه...وكان الشيخ يوسف كثير الورع، والاجتهاد؛ ذا خمول، واقتصار ممن يتعلم منه ويستفاد))**[1].

ـ ثم **أبو الربيع سليمان بن عبد السلام ابن حسان الوسياني** (من أعلام النصف الثاني من القرن السادس للهجرة)؛ وهو من كبار علماء الإباضية؛ راوية، من المؤرخين؛ له مشاركة في السير.

***

ـ *مواطنهم*: تنتشر مواطن **بني واسين** في **ربوع إفريقية، والمغرب الأوسط.** إذ كانوا في **جهات قسطيلية**، **وتوزر**، **وبلاد الحمة.** وإلى الغرب من **قابس** يسكن **بنو ورتاجن**، وفي **جبال أوراس**

---

[1] طبقات المشائخ بالمغرب، ج: 2، ص: 512.

يوجد حي من بني عبد الواد، ويوجد آخرون من **بني واسين بصحراء برقة، وأرض الزاب، وقصور غدامس** التي يسكن في بعضها **بنو وطاس**؛ وهم من بني مرين. **وفي قصور مصاب** أحياء منهم؛ وقد سميت تلك الديار بهم. ويسكن في تلك البلاد ـ بالإضافة إلى مصاب ـ **فئات من بني عبد الواد، وبني توجين، وبني زردال**؛ وهم جميعا أبناء بادين. وجل بني واسين كانوا متواجدين في السهوب المحصورة ما **بين ملوية، وجبل بني راشد.** وفي أواخر الدولة الموحدية تغلبوا على تلول المغرب الأوسط كافة؛ سواء بالإقطاع، أو بالاحتلال، ثم تدرجت بعض أحيائهم ـ فيما بعد ـ نحو الملك القاهر[2].

هذا وقد عُرف ـ أيضا ـ بعض أعلامهم بنسبتهم إلى زناتة مباشرة؛ وهي قبيلتهم الأم؛ دون معرفة البطون التي ينتمون إليها؛ ومن هؤلاء:

ـ أبو عبد الرحمان بكر بن حماد بن سهل (أو سِهْر) ابن إسماعيل التاهرتي الزناتي (توفي بتاهرت سنة 296هـ/908م)؛ وهو من فحول الشعراء بالمغرب الإسلامي؛ ولكن أكثر شعره

---

[2] ابن خلدون؛ العبر، مج: 7، ص ص: 120 ـ 124.

ضاع، ولم يصل إلينا منه إلا قليله. وقد جمع الأستاذ محمد بن رمضان شاوش؛ منه بعض القصائد، والمقطوعات؛ التي كانت مبعثرة ضمن المصادر الأدبية، والتاريخية المختلفة؛ ووصل عدد ما عثر عليه: مائة وعشرة أبيات لا غير. وذكر ابن عذاري خبر ابن حماد بقوله:[1]

((مات أبو عبد الرحمن بُكْر ابن حَمَّاد بن سِهْر بن أبي إسماعيل؛ وهو زَناتِيٌّ؛ في شوال بقلعة ابن حَمَّة؛ بجوفيّ مدينة تيهرت؛ وبها كان مولده، ومنشأه؛ صلى عليه موسى بن الفارسي الفقيه؛ وهو يومَ مات ابْنُ ستّ وتسعين سنة؛ ورحل بُكْر إلى المشرق في سنة 217هـ[/832م]؛ وهو حدثُ السنّ؛ فسمع من الفقهاء، وجلَّة العلماء؛ وكان عالماً بالحديث، وتمييز الرجال؛ وشاعراً مُفْلِقاً؛ ومدح المُعْتصِم؛ ووصله بصلات جزيلة؛ واجتمع بحبيب، وصريع، ودِعْبِل، وعلي بن الجَهْم، وغيرهم من شعراء العراق. وله أبيات إلى المعتصم؛ يحرضه فيها على دعبل؛ وهي:

---

[1] البيان المغرب، ج: 1، ص ص: 153 ـــ 154.

أيَهْجُو أمِيــرَ المُؤْمِنيــنَ وَرَهْطَــهَ
وَيَمْشِي عَلىَ الأَرْضِ العَرِيضَةِ دِعْبَــلُ
أما والَّــذِي أرْسَى ثَبيــراً مَكَانَــهُ
لقَدْ كَــادَتِ الدُّنْيَــا لِــذَاكَ تُزَلْــزَلُ
وَلَكِــنَّ أمِيــرَ المُؤْمِنيــنَ بفَضْلِــهِ
يَهُــمُّ فَيَعْفُــوَ أوْ يَقــُولُ فَيَفْعَــلُ

فعاتبــه حبيــب فيــه؛ وقــال لــه: "قتلتــه واللــه يــا بكــر"؛ فقــال في قصيدتــه هــذه:
وَعَاتَبَــنِي فِيهِ حَبيــبٌ وَقــالَ لِي:
"لِسَانُــكَ مَحْــذُورٌ وَسَمُّــكَ يَقْتُــلُ"
وَإنِيِّ وَإنْ صَرَفْتُ فِي الشِّعْرِ مَنْطِقِي
لأنْصِــفُ فِيمَا قُلــْتُ فِيــهِ وَأعْــدِلُ)).

ومــن شعــره الــذي يصــف فيــه طقــس تاهــرت البــارد:
مَا أخْشَــنَ البَــرْدَ وَرِيعَانَــهُ
وَأطْــرَفَ الشَّمْــسَ بِتَاهَــرْتِ
تَبْــدُو مِنَ الغَيْمِ إذَا مَا بَــدَتْ
كَأَنَّهَــا تُنْشَــرُ مِــنْ تَحْــتِ
نَحْــنُ فِي بَحْــرٍ بَــلاَ لُجَّــة
تَجْرِي بِنَا الرِّيحُ عَلىَ السَّمْــتِ

نَفــْرَحُ بِالشَّمْسِ إذَا مَا بَــدَتْ
كَفَرْحَــةِ الــذمِّي بِالسَّبْــتِ

عــاد إلى مسقــط رأســه تاهــرت؛ هاربــا مــن بطــش الأميــر إبراهيــم بــن أحمــد بــن الأغلــب؛ فاعتــرض طريقــه اللصــوص؛ بالقــرب مــن تاهــرت؛ في المكــان المســمى بقلعــة ابــن حمــة؛ وذلــك سنــة 295هـ/907م؛ فقتلــوا ولــده، وجرحــوه هــو بجــروح بليغــة؛ مــات متأثــرا بهــا؛ فيمــا بعــد. وهــذه أبيــات مــن قصيــدة قالهــا في رثــاء ولــده:

بَكَيْــتُ عَــلىَ الأحِبــَّةِ إذْ تَوَلــَّوا
وَلــَوْ أنِّي هَلَكْتُ بَكــَوا عَلَيَّــا
فَيَا نَسْــلِي بَقــَاؤُكَ كَانَ ذُخْــراً
وَفَقْدِكَ قَدْ كَوَى الأكْبــَادَ كَيَّــا
كَفَى حُزْنــاً بِأنَّنِي مِنْــكَ خُلْــوٌ
وَأنَّــكَ مَيِّــتٌ وَبَقِيــتُ حَيَّــا
وَلَمْ أكُ آيِســاً فَيَئِسْــتُ لَمَّـــا
رَمَيْتُ التُّرَابَ فَوْقــَكَ مِنْ يَدَيــَّا
فَلَيْتَ الخَلــْقُ إذْ خُلِقــُوا أطَاعُــوا
وَلَيْتَكَ لَمْ تَــكُ يَا بَكْــرُ شَيَّــا
تُسَــرُّ بِأشْهُــرٍ تَمْــضِي سِرَاعــاً
وَتُطــْوَى فِي لَيَالِيهــنَّ طَيَّـــا

فَلاَ تَفــْرَحْ بِدُنْيَــا لَيــْسَ تَبْــقَى
وَلاَ تَأسَــفْ عَلَيْهَــا يَــا بُنَيَّــا
فَقَدْ قَطَعَ البَقــَاءُ غُرُوبَ شَمْــس
وَمَطْلَعُهَــا عــلًى يَــا أخَيَّــــا
وَلَيْــسَ الْهَــمُّ يَجْلُــوهُ نَهَــــارٌ
تــَدُورُ لــَهُ الفَرَاقِــدُ وَالثُّرَيَّــا

وفي قصيــدة أخــرى؛ قــال يــرثي ولــده أيضــا:
وَهَــوَّنَ وَجْدِي أَنَّني بكَ لاَحِــقٌ
وَأَنَّ بَقَــائِي فِي الحَيَــاةِ قَلِيــــلُ
وَأنْ لَيْسَ يَبْــقىَ لِلْحَبيب حَبيبُــهُ
وَلَيْــسَ بَبَــاقٍ لِلْخَلِيــلِ خَلِيــلُ
وَلَوْ أنَّ طــُولَ الحُــزْنِ مِمَّا يَــرُدُّهُ
لَلاَزَمَــنِي حُــزْنٌ عَلَيْــهِ طَوِيــلُ

ولمــا أحــس بدنــو أجلــه قــال يــرثي نفســه:
أحْبُو إلِىَ المَوْتِ كَمَا يَحْبُــو الجَمَلْ
قَد جَــاءَنِي مَا لَيْــسَ فِيــهِ حِيَــلْ

وقــال في قاتــل عــلي كــرم اللــه وجهــه:
قُلْ لاِبْنِ مُلْجَــمْ وَالأقْــدَارُ غَالِبَــةٌ
هَدَّمْتَ وَيْلَــكَ لِلإسْــلاَمِ أرْكَانَــا

قَتَلْتَ أفْضَلَ مَنْ يَمْشِي عَلىَ قــَدَمٍ
وَأوَّلَ النَّـــاسِ إسْلاَمَـــاً وَإيمَانَــــــا
وَأعْلَمَ النَّاسِ بِالقُــرْآنِ ثــُمَّ بمَـــا
سَـــنَّ الرَّسُـــوَلُ لَنَا شَرْعاً وَتِبْيَانـــا
صَهْــرُ النَّـــبِيِّ وَمَـــوْلاَهُ وَنَاصِـــرُهُ
أضْحَـــتْ مَنَاقِبُـــهُ نُـــوراً وَبُرْهَانَـــا
وَكَانَ مِنْـــه عَلىَ رَغْمِ الحَسُودِ لَـــهُ
مَكَانُ هَارُونَ مِنْ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَـــا
وَكَانَ فِي الحَرْبِ سَيْفاً صَارِماً ذَكَراً
لَيْثـــاً إذَا لَـــقِيَ الأقْــــرَانُ أقْرَانَـــا

ــ ثـــم **أبـــو الحســـن صالـــح الزنـــاتي الإشبيـــلي العابـــد** (ت: ســنة 587هـــ/1191م)؛ كـــان مـــن أهـــل الخيـــر والصـــلاح، ورع، زاهـــد؛ قـــضى أيامـــه في تـــلاوة كتـــاب اللـــه؛ ولا يشغـــل نفســـه بمشاغـــل الدنيـــا أبـــدا.

ــ ثـــم **أبـــو عبـــد اللـــه محمـــد بـــن خلـــف بـــن مـــرزوق بـــن أبي الأحـــوص البلنـــسي الزنـــاتي** المعـــروف بابـــن نســـع (ت: ســـنة 599هـــ/1202م)؛ قـــال فيـــه ابـــن الأبـــار: ((**وكـــان مقرئـــا صالحـــا، زاهـــدا ورعـــا؛ أخـــذ عنـــه النـــاس؛ وكثيـــرا مـــا كـــان**

يُسمع كتاب السيرة؛ لعلو إسناده فيه، وكذلك الإستيعاب؛ حتى كان يحفظهما))[1].

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الزناتي** المعروف بابن حافي رأسه (ت: سنة 725هـ)؛ من فقهاء المالكية؛ له نظم؛ منه:

كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنٌ وَلَمْ تَكُنْ فُرْقَةَ
إِذَا كَانَ مَا بَيْنَ الفُرَاقِ تَلاَقي

É É É

(3) ـ سمكان:

وهم **أبناء سمكان بن يحيى بن ضري ابن زحيك بن مادغيس الأبتر.** ذكر ابن خلدون بطنين منهم؛ هما: **زواغة، وزواوة.** غير أنه اضطرب في موقفه؛ حين أدرج **زواوة** مرة ضمن **بني سمكان بن يحيى** البتري، ومرة بين **قبائل كتامة البرنسية**؛ معللا ذلك بكون نسابة البربر قد أدرجوا زواوة ضمن بني سمكان بن يحيى، بينما أدرجهم ابن حزم ضمن أحياء كتامة. أما هو فيميل إلى رأي ابن حزم؛

---

[1] التكملة، ج: 2، ص: 567.

مستنـــدا إلى كـــون مواطـــن زواوة تقـــع في جـــوار مواطـــن كتامـــة. ويـــرى أن سبـــب الخطـــأ الـــذي وقـــع فيـــه غيـــره؛ يعـــود للالتبـــاس الـــذي سببـــه التصحيـــف، والخلـــط بيـــن قبيلتيـــن؛ همـــا: **زواوة، وزوازة.** ولكـــن عبـــد الوهـــاب بـــن منصـــور حـــاول تصحيـــح هـــذا الالتبـــاس بقولـــه: **((ويظهـــر لي أن ابـــن خلـــدون نفســـه وقـــع هنـــا في خطـــأ؛ بسبـــب التصحيـــف، فالاســـم الـــذي صحـــف، وكـــان مثـــار هـــذا الالتبـــاس هـــو زوارة بالـــراء الـــتي سميـــت بها مدينـــة، وتعـــرف بهـــا بطـــون إلى اليـــوم، وليـــس زوازة الـــتي لا تعـــرف بيـــن قبائـــل البربـــر؛ في قديـــم ولا حديـــث))**[1]. ومـــع وجاهـــة هـــذا الـــرأي الأخيـــر؛ إلا أنـــه لا يكـــفي لإقنـــاع المحققيـــن؛ فالتصحيـــف ممكـــن حدوثـــه ـــ أيضـــا ـــ في اســـم زوارة نفسهـــا؛ خاصـــة وأن هـــذه التسميـــة لـــم نعثـــر عليهـــا محققـــة، ومنسوبـــة لقبيلـــة مـــا؛ في المصـــادر التاريخيـــة القديمـــة؛ والـــتي أعـــدت قبـــل القـــرن السابـــع للهجـــرة. ولا يكـــفي وجـــود مدينـــة، أو قبيلـــة بهـــذا الاســـم في هـــذه الأيـــام. للتدليـــل عـــلى صحـــة تلـــك المزاعـــم. فاســـم المدينـــة ـــ أيضـــا ـــ معـــرض للتحريـــف. فعـــلى سبيـــل المثـــال: توجـــد ـــ في أيامنـــا هـــذه ـــ بالجزائـــر؛

[1] **قبائـــل المغـــرب، ج: 1، ص: 320.**

مدينة يسميها الناس **تامنراست بالراء**؛ بينما هي في الأصل تسمى **تامنغاست بالغين**؛ إذ تحولت الغين إلى راء؛ بسبب اللهجات. وعليه.. ألا يحتمل أن تكون **زواغة** هي **زوارة**؛ ثم تعرضت للتصحيف؟

وبينما خلت المصادر القديمة من تسمية قبيلة بهذا الاسم؛ نجدها في كتاب القلقشندي؛ (نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب)؛ مع أنه لا يذكر ــ في حرف الزاي ــ زواوة، ولا زواغة؛ ويخلط في الأمر حين يقول: **((بنو زوارة بطن من صنهاجة؛ من البرانس؛ من البربر. وهم بنو زوارة بن صنهاجة بن برنس بن بربر... بنو زواعة** [بالعين المهملة] **ويقال لهم بنو زواعة باسم أبيهم: بطن من ضري))**[1]. ومن خلال ما سبق ذكره؛ يبدو أن التصحيف بدأ في زمن غير بعيد عن زمن القلقشندي؛ الذي توفي في عام 821هـ. وربما لا يتجاوز زمن التصحيف؛ النصف الأخير من القرن السابع للهجرة. ونظرا لغياب الدليل القاطع، والسند المقنع؛ سنسجل ما هو متوفر لدينا، ونترك الباب مفتوحا للمزيد من التحقيق. وعليه..

---

[1] ص: **276**.

سنعتبر **زوارة، وزواغة؛ وزواوة** من بين أحياء بني سمكان بن يحيى؛ حتى يثبت غير هذا.

É É É

ــ زوارة:

لم أعثر ــ كما سبق أن ذكرت ــ في المصادر التاريخية القديمة المتوفرة على قبيلة تسمى **زوارة** بالراء؛ إلاّ فيما ورد من خلط ضمن كتاب نهاية الأرب، وما ذكره عبد الوهاب بن منصور في كتابه ــ الحديث ــ قبائل المغرب. حيث يقول بأنهم مندمجون في قبائل أخرى هي: قبيلة **بني موسى** (دوار سيدي حمودة)، وقبيلة **صنهاجة** (دوار الشركة)، وقبيلة **أولاد عطية** (دوار الصوادق) بالمغرب الأوسط. ومن جهتي.. لا أدري إن كان هذا يكفي؛ كدليل على وجود قبيلة باسم **زوارة**؛ فالاندماج يتبعه الذوبان.. فهل احتفظ المندمجون باسم قبيلتهم زوارة..؟ ومن جهة أخرى؛ يشير عبد الوهاب بن منصور ــ أيضا ــ إلى المدينة الساحلية المسماة باسمهم؛ في الجهة الغربية من طرابلس.

وإذا ما تصفحنا مصدرا قديما؛ مثل كتاب الرحلة المغربية للعبدري؛ الذي أُعِدّ في عام 688هـ؛ نجده يذكر اسم **قرية زوارة**؛ في سياق عام، وبأسلوب غامض؛ عن شيء اسمه زوارة؛ ولكن يصعب على القارئ التمييز إن كان المقصود بها اسم قبيلة، أو اسم قرية. أما التجّاني (الذي توفي سنة 717هـ) فتكلم عن **زوارة** كاسم لمكانين: **زوارة الكبرى**؛ التي كانت تسمى كوطين، **وزوارة الصغرى**؛ التي كانت تسمى بلد المرابطين. أما الورتلاني في رحلته؛ التي تمت في عام 1179هـ؛ فقد ذكر في كتابه ثلاثة أماكن ــ متقاربة ــ تسمى زوارة؛ هي: **زوارة الخالية، وزوارة العامرة، وزوارة الشرقية** أو (الكبرى).

أما محمد علي دبوز؛ فلا يذكر من بين القبائل اسما **لـزوارة**؛ وإن كان قد أشار إلى الاسم على أنه لإحدى المدن القريبة من طرابلس؛ التي خلفت مدينة زواغة المندثرة: **((ليست زُوّاغة هي زْوارة كما يعتقد الكثيرون. إن زواغة كانت في القرن الثاني والثالث الهجري، أما زْوارة** [بالسكون فوق الزاي]

فنشـأت في سنـة 380 **مـن الهجـرة. وزُواغـة انقرضـت وزْوارة لا زالـت...وأرى أن زْوارة نشـأت لما انقرضـت زواغـة؛ فهاجـر أهـل زُواغـة إليهـا فعمروهـا))**[1]**.** وبعـد الـذي ذكرنـاه؛ يبـدو أنـه لا داعي لذكـر المزيـد مـن المصـادر الأخـرى؛ الـتي جـاءت بعـد رحلـة التجـاني؛ لاحتمـال انتقـال العـدوى، وانتشـار الالتبـاس، والتصحيـف**.** وعليـه؛ نتسـاءل**..** ألا تكـون تسميـة **زوارة** هـذه تعرضـت ــ بدورهـا ــ للتصحيـف؟ كمـا حـدث لمدينـة **تامنغاسـت** (تامنراسـت)**..** وخلاصـة القـول**..** أنـه لـم يثبـت ــ حـتى الآن ــ وجـود قبيلـة باسـم **زوارة**؛ وإن كـان وجـود مكـان بهـذا الاسـم أمـر ثابـت لا محالـة**.**

É É É

---

[1] **تاريـخ المغـرب الكبيـر، ج: 3، ص: 603. تعليـق: 1.**

ـ *زُوّاغـــة:*

ينـــدرج **بنـــو زواغـــة** ـ باتفـــاق المؤرخيـــن ، والنسابيـــن ـ ضمـــن **أبنـــاء زواغ بـــن سمكـــان بـــن يحـــيى**. ويقـــول ابـــن خلـــدون عنهـــم: ((**وأمـــا زواغـــة فلـــم يتـــأدّ إلينـــا مـــن أخبارهـــم، وتصاريـــف أحوالهـــم مـــا نعمـــل فيـــه الأقـــلام**))[1]. ثـــم يذكـــر ثـــلاث مـــن بطونهـــم؛ هـــم: **بنـــو دمـــر بـــن زواغ (ودمـــر** هـــذا ليـــس هـــو **الغانـــا** المعـــروف بدمـــر السابـــق الذكـــر)، **وبنـــو ماجـــر بـــن تيفـــون بـــن زواغ، وبنـــو واطيـــل بـــن زحيـــك بـــن زواغ.**

! ! !

ـ *أعيانهـــم*: مـــن علمـــاء زواغـــة:

ـ **أبـــو الخطـــاب وسيـــم بـــن ستتـــن الـــزواغي** (مـــن أعـــلام النصـــف الأول مـــن القـــرن الرابـــع للهجـــرة)؛ وهـــو مـــن العلمـــاء الإباضييـــن؛ عـــرف بفضلـــه، وصلاحـــه.

ـ ثـــم **أيـــوب بـــن كلابـــة الـــزواغي** (مـــن أعـــلام النصـــف الأول مـــن القـــرن الرابـــع للهجـــرة)؛ وهـــو مـــن أفاضـــل علمـــاء الإباضيـــة؛ اشتهـــر بالثـــراء،

---

[1] العبـــر، مج: 6، ص: 264.

والكرم؛ وقد تناقل الأخباريون حكايات عديدة عن جوده، وكرمه؛ بالإضافة إلى علمه، وصلاحه.

ــ ثم **أبو موسى عيسى بن السمح الزواغي** (من أعيان النصف الأول من القرن الرابع للهجرة)؛ وهو من علماء المذهب الإباضي؛ اشتهر بالتقوى، والصلاح؛ وكان من رجال الفتوى.

ــ ثم **يزيد بن يخلف الزواغي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو من علماء الإباضية بوادي ريغ.

***

ـــ _مواطنهم_: يقول ابن خلدون[1] أنهم موزعون بين القبائل، ومتفرقون في نواحي طرابلس؛ حيث يتواجد الجبل المعروف بأحد بطونهم؛ وهو **جبل دمر.** وفي جهات **قسنطينة**، وفي **جبال شلف** جماعة منهم اسمهم **بنو واطيل.** وكذا الحال؛ في نواحي فاس؛ أين يتواجد بعضهم. وحين أشار مبارك الميلي إلى مواطن زواغة قال: **((ومنهم قرب ميلة فريق يعرفون**

---

[1] العبر، مج: 6، ص: 264.

بزواغـــة))[2]. ويقـــول ابـــن منصـــور أن آخريـــن متواجـــدون **بفـــج مزالـــة.** ويـــرى أهنـــم كانـــوا في تلـــك الديـــار في أول الفتـــح الإســـلامي؛ وينســـب إليهـــم **بسيـــط زواغـــة** الممتـــد بيـــن **فـــاس،** وبيـــن **صفـــرو، وجبـــل كنـــدر**[1].

É É É

ــ زواوة:

إذا كـــان ابـــن خلـــدون قـــد تذبـــذب في حكمـــه بخصـــوص انتمـــاء **زواوة؛** فإنـــه بالمقابـــل خصـــص لهـــم فصـــلا رئيسيـــا بيـــن قبائـــل البتـــر؛ إذ نسبهـــم ــ مـــن خلالـــه ــ إلى **سمكـــان بـــن يحيـــى ابـــن ضـــري.** وبالمقابـــل اكتـــفى ببعـــض الفقـــرات؛ الـــتي كررهـــا عنهـــم في الفصـــول المخصصـــة للبرانـــس. وقـــد تأثـــر ابـــن خلـــدون ــ في رأيـــه هـــذا ــ بـــرأي ابـــن حـــزم؛ الـــذي ينســـب زواوة إلى كتامـــة؛ ثـــم يعلـــل ابـــن خلـــدون ذلـــك؛ بكوهنـــم متجاوريـــن في الأوطـــان. مـــع أنـــه يقـــول: **((وأكثـــر النـــاس جاهلـــون بنسبهـــم. وعامـــة نسابـــة البربـــر عـــلى أهنـــم مـــن**

---

[2] **تاريـــخ الجزائـــر، ص: 599**

[1] **قبائل المغـــرب، ج: 1، ص ص: 311 ـــ 312.**

بني سمكان بن يحيى بن ضريس، وأنهم اخوة زواغة))[1]. والغريب في الأمر ــ هنا ــ هو موقف ابن خلدون المنحاز إلى رأي ابن حزم؛ ذلك الرأي الذي يخالف أقوال نسابة البربر عامة مع أنه اعترض عليه في نص آخر؛ مرجحا أقوال من سماهم بـ **((نسابة البربر))** فقال حين تكلم عن لواتة: **((وذكر ابن حزم أن نسابة البربر يزعمون أن سدراتة، ولواتة، ومزاتة من القبط. وليس ذلك بصحيح؛ وابن حزم لم يطلع على كتب علماء البربر في ذلك))**[1]. ومع هذا.. يبدو أن انحيازه لآراء ابن حزم؛ يرجع إلى ما يقوله عنه؛ من صفات تتحلى بالثقة، والتوثيق. وعلى الرغم من التردد، والاضطراب الذين وقع فيهما ابن حزم حينما أدرج **زواوة** مرة بين أبناء **سمكان بن يحيى البتريين**، ومرة أخرى ضمن **قبائل كتامة البرنسية**؛ فإن ابن خلدون بقي في موقفه المنحاز إليه؛ بل سايره في اضطرابه؛ حيث أدرج ــ هو الآخر ــ زواوة

---

[1] **العبر، مج: 6، ص: 308.**

[1] **نفسه، ص: 235.**

ضمن أبناء سمكان من جهة، وأبناء كتامة من جهة أخرى.

وعليه.. هل يمكن الحكم بانتماء جماعات معينة إلى جماعات أخرى؛ على أساس الجوار في الموطن فقط..؟ وإذا كان الرد بالإيجاب؛ فكيف نفسر وجود قبائل أخرى متجاورة؛ مع أنها لا تنتمي إلى بعضها بعضا؟ والعكس صحيح أيضا. إذ هناك قبائل تنتسب إلى نسب واحد؛ ولكن أوطانها متباعدة. ولنفرض أن الموطن، والجوار يمكن اعتبارهما حجة لتصحح الانتماء، والقربى.. فما هو الرأي إذن.. حينما نرى ابن خلدون يؤكد على كون المغرب الأوسط هو وطن زناتة؛ وبالمقابل نجد أمة عظيمة تنتسب إلى البرانس؛ مواطنها هي الأخرى في المغرب الأوسط..؟

وجملة القول.. فابن خلدون لم يتمكن من حسم موقفه تجاه **زواوة**؛ بل إنه لم يجد ما يقوله بخصوص **أبناء سمكان** كافة؛ فإذا كان قد اعترف بذلك حين تكلم عن **زواغة**؛ فإنه احتار ـــ من جهة أخرى ـــ بخصوص **زواوة**، وحاول إيجاد تأويلات، وافتراضات، ومسوغات ـــ غير مقنعة ـــ عن

تصحيف يكون قد حدث لاسم **زوازة** [بالزاي]؛ فأخذت على أنها **زواوة**. مع أن زوازة لا وجود لها بين قبائل المغرب بالكامل. وفي كتاب مفاخر البربر ـ الذي يكون كتب سنة 712هـ؛ أي قبل أن يلد ابن خلدون ـ ورد نص يسجل أسماء القبائل البترية؛ جاء فيه: **((وأعلام القبائل التي تسمى البتر؛ من البربر هم: زواغة، وزناتة، وزواوة، ونفزة، ولواتة، ومزاتة، ونفوسة، ومغيلة، ومطماطة، ومطغرة، ومديونة، وصدينة. ولكل هؤلاء شعوب وقبائل كثيرة وبطون وأفخاذ وعمائر لا تحصى نسبوا إلى جدهم الأبتر وهو مادغس بن بركان** [هكذا صحف] **يلقب بالأبتر))**[1]. وجاء في الصفحة 71 من المصدر نفسه: **((وزواو اسم رجل هو زواو بن سمجان** [سمكان] **بن يحيى ابن تمزيت** [تمصيت] **بن ضريس))**.

وما يمكن قوله في هذا المجال؛ أنه وردت في العبر[2] أسماء كثيرة للبطون المتفرعة عن قبيلة **زواوة**؛ نكتفي منها بـ: **بني كوزيت، وبني كوفي، وبني مرانة، ومشدالة، وولزاجة.** ثم

---

[1] ص: 76.

[2] العبر: مج: 6، ص ص: 262 ـ 264.

وردت في العبر ـــ أيضا ـــ أسماء بعض قبائلهم التي عاصرت ابن خلدون؛ وهم: **بنو بوشعيب، وبنو بويوسف، وبنو صدقة، وبنو غبرين، وبنو فوراسن، وبنو كشطولة، وبنو مانكلات، وبنو ماني، وبنو يتورغ، وبنو يراتن.** وكان لزواوة أثر ملحوظ في دولة بني حماد؛ حيث أضحت عاصمتهم مجاورة لمواطن زواوة؛ كما جاء في العبر: **((ثم اختط بنو حماد بعد ذلك بجاية بساحتهم، وتمرسوا بهم؛ فانقادوا، وأذعنوا لهم إلى آخر الدولة. واتصل إذعانهم إلى هذا العهد؛ إلا تمريضا في المغرم؛ يحملهم عليه الموثقون بمنعة جبالهم))**[1]. ويعتبر **بنو يراتن** من أبرز قبائلهم في عهد ابن خلدون. وبيت الرئاسة فيهم، هم رهط **عبد الصمد.** وكانت ترأسهم امرأة منهم اسمها **شمسي**؛ لها عشرة أولاد؛ فتغلبت بهم على قومها. وكان لشمسي هذه ذكر مع السلطان أبي الحسن المريني.

! ! !

---

[1] العبر: مج: 6، ص: 263.

ـ ***أعيانهم***: ومن أعلام زواوة ورجالها المشهورين بالعلم، والفضل:

ـ **أبو زكرياء يحيى بن أبي علي الزواوي** (ت: سنة 611هـ/1214م)؛ وهو من أهل التصوف، والزهد؛ إذ تفرغ للعبادة، وتدريس الفقه، والحديث، وتفسير القرآن.

ـ ثم **أبو الحسن يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي** الملقب بزين الدين (توفي بالقاهرة سنة 628هـ/1230م)؛ شاعر مجيد، وإمام كبير من أئمة النحو، واللغة العربية؛ من مؤلفاته: كتاب الدرة الألفية في علم العربية، وكتاب الفصول، وكتاب العقود والقوانين، والهوامش على ابن السراج، وشرح على كتاب الجمل للزجاجي؛ هذه كلها في النحو؛ ثم منظومة في القراءات السبع، ونظم ألفاظ الجمهرة لابن دريد في اللغة، وكتاب المثلث في اللغة، وشرح لأبيات سيبويه نظما، وديوان خطب، وديوان شعر، والبديع في صناعة الشعر، ونظم كتاب الصحاح للجواهري؛ لم يكتمل. قال عنه ابن خلكان: **((كان أحد أئمة عصره في النحو، واللغة؛ سكن دمشق زمانا طويلا؛ واشتغل عليه خلق كثير، وانتفعوا**

به، وصنف تصانيف مفيدة... ثم إن الملك الكامل أرغبه في الإنتقال إلى مصر؛ فسافر إليها؛ وتصدر بالجامع العتيق بمصر لإقراء الأدب))[1].

ـ ثم **ضياء الدين عبد الرحمن بن عبد الله الزواوي** (توفي بدمشق سنة 644هـ/1246م)؛ فقيه، وله مشاركة في علوم عديدة.

ـ ثم **أبو محمد عبد السلام بن علي بن عمر بن سيد الناس الزواوي** (توفي بدمشق سنة 681هـ/1282م)؛ شيخ مشائخ الإقراء بدمشق؛ وهو أول من تولى قضاء المالكية بها؛ ولكنه عزل نفسه بعد تسع سنوات؛ من مؤلفاته: التنبيهات على معرفة ما يخفى من الوقوفات؛ وهو في القراءات، وعدد الآي.

ـ ثم **أبو يعقوب يوسف بن عبد السلام ابن علي بن عمر الزواوي** (ت: سنة 683هـ/1284م)؛ أحد كبار العلماء؛ ولي قضاء المالكية بدمشق.

ـ ثم الشيخ **أبو إسحاق إبراهيم بن ميمون ابن بهلول الزواوي** (ت: سنة 686هـ/1287م)؛ فقيه، وشاعر.

---

[1] **وفيات الأعيان، ج: 6، ص: 197.**

ـ ثـم **أبـو يوسـف يعقـوب بـن يوسـف المنكـلاتي الـزواوي** (ت: سنـة 690هـ/1291م)؛ فقيـه، أصـولي، مشـارك في علـم العقائـد؛ تفـرغ للعبـادة، والتدريـس ببجايـة.

ـ ثـم **أبـو عبـد اللـه جمـال الديـن محمـد بـن سليمـان بـن يوسـف الـزواوي** (تـوفي بدمشـق سنـة 717هـ/1317م)؛ أحـد كبـار علمـاء المالكيـة؛ فقيـه، ومحـدث؛ تـولى القضـاء بدمشـق طـوال ثلاثيـن سنـة؛ قـال عنـه ابـن تغـري بـردي: **((كـان فقيهـا، عالمـا، عـالي الهمـة، محدثـا بارعـا، مشكـور السيـرة في أحكامـه)).**

ـ ثـم **أبـو عبـد اللـه محمـد بـن يعقـوب بـن يوسـف المنكـلاتي الـزواوي** (ت: سنـة 730هـ/1329م)؛ فقيـه، وابـن فقيـه؛ ولي القضـاء ببجايـة؛ قـال عنـه ابـن القـاضي في درة الحجـال: **((كـان فقيهـا، حافظـا، مستبحـرا في حفـظ المسائـل، والفـروع))**[1].

ـ ثـم **أبـو الـرُّوح عيـسى بـن مسعـود بـن منصـور بـن يحـيى المنكـلاتي الـزواوي** (تـوفي بالقاهـرة سنـة 743هـ/1342م) فقيـه، وعالـم في الحديـث، ومـؤرخ؛ تـولى القضـاء بدمشـق، والقاهـرة، والتدريـس بالأزهـر. مـن مؤلفاتـه:

---

[1] ج: 2، ص: 101.

إكمال الإكمال؛ وهو شرح لصحيح مسلم؛ في 12جزءا، وشرح جامع الأمهات في 7 أجزاء؛ وهو شرح لكتاب ابن الحاجب في الفقه المالكي، وشرح المدونة في الفروع، ومناقب الإمام مالك، وكتاب في الوثائق، وكتاب في المناسك، وفي علم المساحة، وشرح العضدية للسمرقندي، وكتاب في التاريخ كبير أنجز منه عشرة مجلدات.

ـ **ثم أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الزواوي** (ت: سنة 750هـ/1349م)؛ وهو من كبار القراء في المغرب، وفقيه، ومحدث؛ له فهرست سجل فيه مقروءاته، ومروياته.

ـ ثم **أبو علي منصور بن علي بن عبد الله الزواوي** (ت: سنة 770هـ/1368م)؛ وهو أحد كبار علماء المالكية؛ أصولي؛ وحافظ للحديث، ناقد، ونحوي، وشاعر؛ قال عنه ابن الخطيب في الإحاطة: **((هذا الرجل طرف في الخير، والسلامة، حسن العهد، والصون والطهارة والعفة، قليل التصنع... صدر من صدور الطلبة، له مشاركة حسنة في كثير من العلوم: العقلية، والنقلية، وإطلاع، وتقييد، ونظر في: الأصول، والمنطق، والكلام، ودعوى**

في: الحساب، والهندسة، والآلات، يكتب، ويشعر؛ فلا يعدو الإجادة، والسداد))[1]. ومن شعره الذي ذكره ابن الخطيب:

يُحَيِّيكَ عَنْ بَعْضِ المَنازِلِ صَاحِبُ
صَدِيقٌ غَدَتْ تُهْدَى إلَيْكَ رَسَايلُه

مُقَدِّمَة حِفْظ الوِدَادِ وَسِيلَة
وَلاَ وُدَّ إلاَّ أنْ تَصِحَّ وَسَائِلُه

يُسايِلُ عَنكَ الدَّارَيْنِ وَلَمْ يَكُنْ
تَغِيبُ لِبُعْدِ الدَّارِ عَنْكَ مَسَايِلُه

ومن شعره أيضا:

يَا مَنْ وَجَدْنَاهُ لَفْظاً	حَقِيقَة فِي المَعَالِي
مُقَدِّمَاتُ عُلاَكُمْ	أنْتَجْنَ كُلَّ كَمَالِ
وَكُلُّ نَظْمٍ قِيَاسٌ	خَلَوْت مِنْهُ فَخَالِ

ـ ثم بدر الدين محمد بن علي بن إسماعيل الزواوي (توفي بالقاهرة سنة 775هـ/1373م)؛ فقيه، وحافظ للحديث، وله إلمام بعلوم أخرى.

[1] ج: 3، ص ص: 324 ـــ 325.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن يللبخت الزواوي** (من أعلام القرن الثامن الهجري)؛ حافظ للحديث، وأحد كبار علماء الفقه المالكي.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن عثمان المنكلاتي الزواوي** (توفي في أواخر القرن الثامن الهجري)؛ أحد فقهاء بجاية؛ له فتاوى؛ سجل بعضها في المازونية، والمعيار.

ـ ثم **عبد الله بن عبد الله بن علي بن المحفوف الزواوي** (ت: سنة 800هـ/1397م)؛ وهو من أصحاب التنجيم، والأبحاث الغيبية؛ من مؤلفاته: المثلث في علم الرمال.

ـ ثم **نصر الزواوي** (توفي بالقدس سنة 826هـ/1422م)؛ عالم، ومن الزهاد، والعباد الصالحين، له مشاركة في علوم العربية.

ـ ثم **علي بن أحمد بن عبد المؤمن الزواوي** (ت: سنة 828هـ/1424م)؛ فقيه، ومن العارفين بالحديث، وله اهتمام بعلوم أخرى؛ من مؤلفاته: حل عقود الدرر في علوم الأثر؛ وهو لعقود المؤرخ ابن ناصر الدين.

ـ ثم **أبو الحسن منصور بن علي بن عثمان المنكلاتي الزواوي** (توفي بعد 850هـ/1446م)؛ وهو فقيه بجاية، ومفتيها، وعالمها في وقته؛ له فتاوى مسجلة في الدرر المكنونة، والمعيار.

ـ ثم **محمد بن عبد الرحمن بن يحيى بن أحمد بن سليمان الصدقاوي الزواوي** (ت: سنة 853هـ/1449م)؛ قاضي، وفقيه مالكي، وله اهتمامات بعلوم أخرى.

ـ ثم **شهاب الدين أحمد بن صالح بن خلاصة الزواوي** (ت: سنة 855هـ/1451م)؛ فقيه مالكي، ومحدث حافظ؛ هو أحد الذين أجازوا الإمام السخاوي.

ـ ثم **إبراهيم بن جابر بن موسى الزواوي** (ت: سنة 857هـ/1453م)؛ فقية من علماء المالكية له اهتمامات عديدة في علوم مختلفة.

ـ ثم **أبو إسحاق إبراهيم بن فائد بن موسى بن عمر بن سعيد الزواوي** (ت: سنة 857هـ/1453م)؛ وهو أحد كبار علماء المالكية، وله المام بالتفسير؛ من مؤلفاته: تفسير القرآن، وشرح ألفية ابن مالك، وتسهيل السبيل لمقتطف أزهار روض خليل؛ في الفقه المالكي؛

وهو في 8 مجلدات وربما 3 ، وفيض النيل في شرح مختصر خليل؛ في مجلدين، وتلخيص التلخيص؛ وهو عبارة عن شرح على تلخيص المفتاح وتحفة المشتاق؛ وهو في مجلد كبير.

ـ ثم **عيسى الزواوي** (ت: سنة 878هـ/1473م)؛ صوفي، وعالم بالحساب، والفرائض؛ له بعض المؤلفات؛ قال عنها السخاوي: ((**أوقف كتبه قبل موته**)).

ـ ثم **أحمد بن عبد الله الزواوي الجزائري** (توفي بمدينة الجزائر سنة 884هـ/1479م)؛ وهو أحد علما المالكية؛ من مؤلفاته: اللامية؛ في علم الكلام؛ شرحها الإمام السنوسي.

ـ ثم **بلقاسم بن محمد الزواوي** (ت: سنة 922هـ/1516م)؛ وهو أحد علماء المالكية؛ له شرح على الرجز للضرير المراكشي.

ـ ثم **شرف الدين قاسم بن عمر الزواوي** (توفي بالقاهرة سنة 927هـ/1520م)؛ صوفي، ومشارك في عدد من العلوم؛ قال صاحب الكواكب السائرة: ((له تصانيف)).

ـ ثم **طاهر بن زيان الزواوي القسنطيني** (ت: بعد 940هـ/1533م)؛ نزيل المدينة المنورة؛ فقيه، وصوفي؛ من مؤلفاته: نزهة المريد في معاني كلمة التوحيد؛ في التصوف؛ وهو في ثلاثة كراريس، ورسالة القصد إلى الله؛ في كراسين.

ـ ثم **يحيى بن سليمان الزواوي** (توفي بعد 999هـ/1590م)؛ وهو أحد علماء المالكية؛ له إلمام بالعقائد.

ـ ثم **إبراهيم بن محمد الزواوي** (توفي بعد 999هـ/1590م)؛ فقيه من الحفاظ، وله إلمام بالفرائض، والحساب؛ قال عنه ابن القاضي: **((وهو الآن فقيه كَنْوا من بلاد السودان، ومدرسها؛ بعد أبي عبد الله التونسي))**[1].

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن ابن أبي القاسم الحسني الزواوي** (ت: سنة 1208هـ/1793م)؛ شيخ الطريقة الرحمانية؛ قال صاحب شجرة النور: له ((**تآليف، وأوراد**)).

ـ ثم **محمد بن عامر المغازي الزواوي** (ت: سنة 1221هـ/1806م)؛ صوفي، وفقيه؛ من مؤلفاته: الوظائف المحمدية لأهل الطريقة المغازية.

---

[1] درة الحجال، ج: 1، ص: 205.

ـ ثم **أحمد الطيب بن محمد بن الصالح بن سليمان العيساوي الزواوي** (ت: سنة 1251هـ/1835م)؛ وهو من علماء النحو، والأدب، وأحد كبار علماء المالكية، وشاعر؛ ومن مؤلفاته: الدرة المكنونة؛ وهي أرجوزة في عقائد التوحيد، وتكملة الفوائد في تحرير العقائد؛ وهو شرح على أم البراهين، ومفتاح الأحكام؛ وهي منظومة في أحكام الفتوى تصل أبياتها إلى الألفين، وتذكرة الحكام؛ وهو شرح لمفتاح الأحكام، ونصرة الإخوان في احتجاج الفقهاء بالبرهان؛ وهي أرجوزة، ومنهج الوصول؛ وهي أرجوزة في علم الفرائض، ومفيد الطلبة؛ وهو شرح الأجرومية، والقرة العصرية؛ في أحكام الفتوى.

ـ ثم **علي بن محمد المغازي الزواوي** (توفي بعد 1301هـ/1883م)؛ صوفي؛ من مؤلفاته: الفيوضات الإضافية والتدرجات الإنسانية في نشر الطريقة الخلوتية؛ طبع بمصر سنة 1301هـ.

ولا تفوتني ـ هنا ـ الإشارة إلى شاعر شعبي من زواوة؛ ظهر في وقت متأخر بعض الشيء؛ ودواعي إدراجه ـ في هذا المجال ـ ترجع إلى كونه عينة صادقة للشعراء الأمازيغ الشعبيين؛

الذين يتعاملون مع هذا الفن بأسلوب شفوي غير مكتوب، وبالأمازيغية، والعربية الدارجة. وهذا الشاعر هو:

ـ **محند أو محند أمزيان حمدوش** (من أعلام أواخر القرن الثالث عشر للهجرة)؛ جاء في كتاب الحوار الرفيع بين الصوت الأمازيغي والحرف العربي؛ لعبد الرحمن بوزيدة: **((أما عائلة الشاعر فهي آيت حمدوش؛ من عرش شَرْعَوى... يسمى والد الشاعر محند أمزيان حمدوش؛ أصله من قرية أقمون وقد فر إلى شَرْعَيوى (الأربعاء أنيراثن) إثر قضية ثأر. وبعد أن حطم الاستعمار شَرْعَيوى، وشتت سكتنها سنة 1857م استقرت عائلة سي محند بأقبو... وقد كان عم الشاعر أرزقي حمدوش فقيها، ومدرسا؛ فتح زاوية بالمنطقة؛ حيث يدرس القرآن؛ وقد بدأ الشاعر تعليمه بهذه الزاوية؛ ثم انتقل بعد ذلك إلى زاوية سيدي عبد الرحمن الأيلولي بعين الحمام؛ أين تفقه في العلوم الدينية... ثم تدهورت حياة أسرته بعد ثورة المقراني سنة 1288هـ/1871م؛ حيث انضم إليها أبوه، وعمه. وقد أعدم أبوه بعد القضاء على هذه الثورة؛ أما عمه فقد**

نـفي إلى كلدونيـا الجديـدة؛ وتشـردت عائلتـه، وهـام الشاعـر ـ إثـر ذلـك ـ عـلى وجهـه؛ ضاربـا في البـلاد؛ بعـد أن نجـا مـن الإعـدام بأعجوبـة... إن الأشعـار المنسوبـة إلى الشاعـر كثيـرة جـدا، ومتنوعـة؛ وهي غيـر مكتوبـة؛ بـل بقيـت في معظمهـا خاضعـة لمنطـق أدب الحفـظ والمشافهـة. ورغـم اتفـاق الـرواة عـلى أن سي محنـد كـان يقـول الشعـر بالعربيـة، وبالأمازيغيـة معـا، ورغـم إتقانـه للعربيـة؛ لـم يكتـب أشعـاره، ولـم يتـرك تراثـا مكتوبـا))[1]. وهـذه عينـة مـن شعـره الْمُعَـرَّب:

إنَّ فِي العِشْـق اخْتِـلاَفْ
وَفُـرُوقـاً وَصُـنُـوفْ
كُـلُّ فَـرْدٍ مِحْنَتُـهْ

بَعْضُهُـمْ يَزْهُـو سَعِيـدْ
حَظُّـهُ حَـظٌّ رَغِيـدْ
لاَ يُفَـارِقْ مَـنْ يُحِـبْ

[1] ـــ بوزيـدة عبـد الرحمـن؛ الحـوار الرفيـع، ص ص: 29 ـــ 32. 42.

بَعْضُهُـــمْ يَبْــقىَ يُعَـــانِي
يَتَعَلَّـــلْ بالأمَـــاني
حَالُـــهُ، اَللَّـــهُ أعْلَـــمْ

هـــُوَ ذَا قَلْـــبي اِمْتَـــلاَ
فَيْـــضُ دَمْعِـــهْ قَدْ جَـــرَى
كَـــمْ تَلَـــقىَّ مِـــنْ مِحَـــنْ

سِـــرُّهُ هَـــدَّ الجِبَـــالْ
وَاخْتَنَـــقْ فِيـــهِ المَجَـــالْ
هُـــوَ بِالعِشْـــقِ ظُلِـــمْ

إلى أن يقـــول:

لِي جنـَــانٌ مُتَفَـــرِدْ
بنَبـــَاتٍ مُتَمَـــدِّدْ
فَحَـــمَى اللَّـــهُ غِلاَلَـــهْ

قَـــدْ بَنَيْـــتُ سُـــورَهُ
وَغَلَقْـــتُ بَابَـــهُ
حَارِسُـــهْ دَوْمـــاً يَقِـــظْ

السُّيُـــولُ اكْتَسَحَتْـــهُ
جَرَفَـــتْ مَا وَجَدَتْـــهُ

فَانْدَثَــرْ دُونَ أَثَــرْ

مَــنْ أذَانِي، لاَ سَمَــاحْ
فِي صَمِيمِي كَمْ جــرَاحْ
كَــمْ ضَمِيــرِي يَتَأَلَــمْ

***

ـــ *مواطنهــم*: يقــول ابــن خلــدون: **((ومواطــن زواوة بنــواحي بجايــة؛ مــا بيــن مواطــن كتامــة، وصنهاجــة؛ أوطنــوا منهــا جبــالا شاهقــة متوعــرة؛ تنذعــر منهــا الأبصــار، ويضــل في خمرهــا السالــك؛ مثــل: بــني غبريــن؛ بجبــل زيــري؛ وفيــه شعــراء مــن الــزان؛ يشهــد بهــا لهــذا العهــد. ومثــل بــني فراســن، وبــني يراثــن؛ وجبلهــم مــا بيــن بجايــة، وتدلــس؛ وهــو أعصــم معاقلهــم، وأمنــع حصونهــم؛ فلهــم بــه الاعتــزاز عــلى الــدول، والخيــار عليهــا في إعطــاء المغــرم. مــع أن كلهــم لهــذا العهــد قــد امتنــع لسهامــه، واعتــز عــلى السلطــان في أبنــاء طاعتــه، وقانــون مزاجــه))**[1].

---

[1] العبــر، مج: 6، ص ص: 262 ـــ 263.

هذا ما توفر لدينا من معلومات عن بني **أداس، وبني ضري.** وبقي أمامنا الآن الشروع في موضوع قبائل: **بني لوا** الأكبر، ثم **بني نفوس.** وهم جميعا **أولاد زحيك بن مادغيس الأبتر.**

É É É

3 ـ بنو لوا:

يتفرع **أبناء لوا الأكبر** إلى فرعين كبيرين؛ هما: **بنو نفزاو** (نفزاوة)، **وبنو لوا الأصغر** (لواتة). فالذين حملوا نسب **لوا**؛ هم أبناء **لوا الأصغر**؛ الذي سمي باسم أبيه؛ بعد أن مات والده؛ قبل ميلاده.

É É É

(1) ـ نفزاوة:

وهم **أبناء يطوفت بن نفزاو بن لوا الأكبر ابن زحيك.** فلوا الأكبر، وضري أخوان؛ وأبوهما هو زحيك بن مادغيس الأبتر. ولنفزاوة بطون عديدة؛ أهمها: **زاتيمَة، وزُهيلة، وسوماتَة، وغُساسَة، ومَرنيسَة، وورسيف،**

وولهاصة؛ وغيرهم كثيرون؛ لا حاجة لذكرهم بكاملهم؛ لعدم الفائدة. فأما **زاتيمة** فقد بقي منها ــ في زمن ابن خلدون ــ جماعة بساحل **برشك**. **وزهيلة** وكان منهم ــ في الزمن نفسه ــ بقية بجهات **بادس** (القرية من نكور)؛ اندمجت بقبائل غمارة؛ ومنهم الولي الصالح **الشيخ أبو يعقوب البادسي**. **وسوماتة** بقيت منهم بعض الفئات في جهات **القيروان**. ومن غساسة بقيت جماعة في قرية **بطوية** ؛ على ساحل البحر. أما **مرنيسة** فمتفرقون عبر الأقطار المغربية كلها. أما **ورسيف**. فأهم بطونهم **مكلاتة**؛ وقد تفرعت بدورها إلى أفخاذ عديدة؛ منها: **ديمار**، **وريحون**، **وسراين**، **وكزناية**، **وورياغل**، **ويصلتن**.

أما **ولهاصة**.. فمنها: **ورتدين**، **وورفجومة**. وقد دخلت قبيلة **ورفجومة** تاريخ المغرب الإسلامي من بابه المظلم؛ بسبب ارتكابها مجازر القيروان؛ التي فاقت حدود الوصف؛ من حيث الفساد، والعيث، والمنكر. وكانت ورفجومة صُفْرية المذهب، وتميل أحكام أهلها إلى التطرف الشديد. يأتمرون بأوامر قائدهم، وكاهنهم **عاصم بن جميل**؛ المقيم **بجبل أوراس**.

ومن رجالاتهم الذين قادوا حملة القيروان: **عبد الملك بن أبي الجعد، ويزيد بن سكوم**. وقد بقي من أحياء ورفجومة ـ في عهد ابن خلدون ـ جماعة **بمرمجنة**؛ وثمة قرية في نواحيها تنسب إليهم.

! ! !

ـ ***أعيانهم***: فإذا كانت **ورفجومة** قد ظهرت بذلك الوجه البشع؛ فإن القبيلة الأم **نفزاوة**؛ منحت المغرب الإسلامي، والمسلمين عامة أفضل أبنائها الصالحين؛ من: العلماء، والأدباء، والقادة؛ حماة الوطن، والدين؛ مثل:

ـ **طارق بن زياد بن عبد الله بن ولغو الولهاصي النفزي** (تاريخ وفاته غير معروف؛ ويعد من أعلام أواخر القرن الأول للهجرة)؛ وهو القائد الذائع الصيت؛ الذي فتح بلاد الأندلس، ومهد للإسلام طريقا فيها. يكون قد استدعي إلى دار الخلافة بالشام؛ بسبب خلاف نشب بينه وبين موسى بن نصير؛ لم يعد بعده إلى وطنه، ولم تذكر المصادر التاريخية شيئا عن مصيره النهائي. وربما يكون قد

تعرض لبعض المضايقات، والتجاوزات؛ كما أشار ابن قتيبة في كتابه الإمامة والسياسة.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد وارشكين بن سعيد بن موسى بن عيسى الزجالي النفزي التاكرني** المعروف بحمدون (توفي بقرطبة سنة 232هـ/846م)؛ كان يلقب بالأصمعي؛ لقوة حفظه، وحدة ذكائه. وهو رأس أسرة الزجاليين بقرطبة؛ تلك الأسرة التي نبغ منها: الكتاب، والأدباء، والوزراء. وأورد ابن حيان القرطبي في كتابه المقتبس؛ قصة وصول محمد بن سعيد هذا إلى مرتبة كاتب الأمير عبد الرحمن بن الحكم. ووردت القصة نفسها في كتابي: المُغْرِب، ونفح الطيب؛ وهي أنّ الأمير عبد الرحمن كاد يوما أن يسقط عن دابته؛ حين عثرت به؛ فحاول أن يتمثل ببيت شعر؛ لم يتذكر سوى شطر منه؛ إذ قال:

وَمَا لاَ يُرَى مِمَّا يَقِي اللَّهُ أَكْثَرُ

وتعذر عليه تذكر الشطر الآخر؛ فانشغل به؛ ثم سأل المحيطين به عنه؛ فلم يجد ضالته إلاَّ عند الزجالي؛ الذي كان كاتبا لدى وزراء الأمير. فلما مثل أمامه قال: أصلح الله الأمير؛ أول البيت:

تَــرَى الــشَّيْءَ مِمـــَّا يُتَّـــقىَ فَتَهَابُـــهُ
وَمَا لاَ نَـــرَى مِمَّا يَـــقِي اللَّـــهُ أكْثَـــرُ

وكانــت هــذه الحادثــة أول اتصــال مباشــر بينــه وبيــن الأميــر؛ ازداد التحامــا مــع الأيــام؛ حــتى أضــحى كاتبــا لســره. وقــال فيــه ابــن حيــان القرطــبي: **((كــان محمــد بــن سعيــد هــذا أحــد عجائــب الدنيــا في قــوة الحفــظ؛ يضــرب بحفظــه الأمثلــة...جــاءه يومــا مستَجْــد توســل إليــه بشعــر امتدحــه بــه؛ ســأل أن يــأذن لــه في إنشــاده، ففعــل. وجعــل الشاعــر ينشــده لــه...ومحمــد مطــرق؛ فلمــا فــرغ مــن شعــره؛ ذهــب إلى مغالطتــه لــه: "يــا هــذا؛ مــا الــذي دعــاك أن تنتحــل شعــراً لغيــرك؛ فَتقْلِبــه فينــا؛ وكنــت في غــنى عــن ذلــك؟"...فقــال لــه: "سبحــان اللــه يــا سيــدي؛ تقــول ذلــك في شعــر كــددت فيــه خاطــري، وأتعبــت فيــه ذهــني؟ فــلا واللــه مــا أخذتــه مــن أحــد، ولا سَوَّيْــتـُــهُ إلا مــن نظــمي". فقــال لــه محمــد: "باطــل؛ إنــه لشعــر قــد رويتــه قديمــاً، وحفظتــه؛ فــإن شئــت فاسمــع إليــه أنْشِدْكــهُ"؛ وبــدأ، فأعــاد الشعــر عليــه، أو أكثــره؛ فبــقي حائــرا؛ لمــا فجــأة بــه؛ قــد زال طمعــه،**

وانقطعت حجته، واشتدت فجعته. فلما رأى محمد سوء مقامه قال له: "خَفِّضْ عليك؛ فإني مزحت معك؛ وإنك الصَّادق فيما قلت؛ الحقيق بالثواب على ما قرضت؛ وإنما أعانني عليك قوة حفظي؛ الذي ذهبت إلى اختباره معك. ولا والله ما سمعت بهذا الشعر قبل يومي." فَسَرَّى عن الشاعر همَّه، وأجزل صلته))[1]. وذكر المقري خبرا آخر عن الزجالي؛ جاء فيه:[2] ((حضَر مَعَ الوزير عبد الواحد بن يزيد الإسكندراني في مجلس فيه رؤساء؛ فعُرض عليهم فرس مطهَّم، فتمثل فيه عبد الواحد بقول امرئ القيس:

"بَرِيد السُّرَى باللَّيْلِ مِنْ خَيْلِ بَرْبَرَا"

ففهم الزجالي أنّه عرَّض بأنَّه من البربر؛ فلم يحتمل ذلك؛ وأراد الجواب؛ فقال مدبَّجاً لما أراده، ومعرِّضاً: "أحسن عندي من ليل يسرى بي فيه؛ على مثل هذا يوم؛ على الحال التي قال فيها القائل:

---

[1] المقتبس، ص ص: 35 ــ 36.

[2] نفح الطيب، ج: 3، ص: 540.

"وَيَوْمٍ كَضِلِّ الرُّمْـــحِ قصَّـــرَ طُولَـــهُ
دَمُ الزِّقِّ عَنـــّا وَاصْطِفَـــاقِ المَزَاهِـــرِ"

وإنَّمـــا عـــرَّض للإسكنـــدراني؛ بأنـــَّه كـــان يشهـــد مجالـــس الراحـــات في أول أمـــره، ومعرفـــة الغنـــاء؛ فقلـــق الوزيـــر، وشكـــاه إلى الحاجـــب عيـــسى ابـــن شُهَيْـــد... فحـــكى لـــه الزجـــالي مـــا جـــرى... وأنشـــد:

"وَمَا الحُرُّ إلاَّ مَنْ يَدِينُ بمِثْـــلِ مَـــا
يُـــدَانُ وَمَنْ يُخْـــفِي القَبيحَ وَيُنْصِفُ"
هُمُ شَرَعُوا التَّعْرِيضَ قذْفاً فَعِنْدَمَـــا
تَبِعْنَـــاهُمُ لاَمُـــوا عَلَيْـــهِ وَعَنَّفُـــوا")).

ــ ثـــم ولـــده **عبـــد اللـــه بـــن محمـــد بـــن سعيـــد**؛ ولي في منصـــب أبيـــه بعـــد وفاتـــه؛ ولكنـــه تـــوفي بعـــد ستـــة أشهـــر.

ــ ثـــم ولـــده الثـــاني **حامـــد بـــن محمـــد بـــن سعيـــد** (ت: سنـــة 268هــ/881م)؛ قـــال عنـــه ابـــن حيـــان:[1] **((وأعقـــب ابنـــا نجيبـــا يســـمى حامـــد بـــن محمـــد، ورث مكانـــه في الأدب، والمعرفـــة، والكتابـــة، والبلاغـــة؛ فسلـــك سبيلـــه في خدمـــة السلطـــان،**

---

[1] المقتبـــس، ص ص: 36 ــــ 37.

وارتقى فوق ذروة أبيه بخطة الوزارة؛ بحضرة الأمير محمد بن عبد الرحمن... ومن نوادر حامد بن محمد الزجالي:... غلط إِمَامُ الوزيرِ حامد بن محمد ليلة في بعض قراءته... وحامد حاضر؛ فقرأ مكان قوله تعالى: " الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة " فقرأ: "... فانكحوهما"؛ فلما انصرف حامد قال لبعض من يخصه من جيرانه: "أما سمعت ما أتى به إمامنا من تبديل حدودنا؟" وتضاحكا؛ فقال له حامد: "فقد سنحت لي فيه بديهة فاسمعها؛ وأنشده:

أَبْدَعَ القَارِئُ مَعْنىً لَمْ يَكُنْ فِي الثقَلَيْنْ
أَمَرَ النَّاسَ جَمِيعاً بِنِكَاحِ الزَّانِيَيْنِ")).

وقد بقيت أسرة الزجالي تحتل خططا عديدة في الدولة؛ منها المتوسطة الحال، ومنها الخطط السامية؛ ككتابة السر، والوزارة؛ إذ يلاحظ أنهما أُسْنِدَتا إلى:

ـ **عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن سعيد** (ت: سنة 302هـ/914م).

ـ ثم **أبي بكر عبيد الله بن عبد الله الزجالي** (ت: سنة 375هـ/985م).

ـ ثم **محمد بن عبد الله بن محمد الزجالي** (كان حيا سنة 307هـ/919م)؛ الذي تولى خزانة المال كذلك.

ـ ثم أخوه **عبد الرحمن بن عبد الله الزجالي** (كان حيا سنة 316هـ/928م)؛ الذي أسندت إليه خزانة المال، وخطة العرض.

ـ ومن نفزاوة أيضا: **فضل الله بن سعيد ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن قاسم الكزني النفزي** (توفي حوالي 335هـ/946م)؛ وهو فقيه، ولي قضاء فحص البلوط بالأندلس؛ وهو أخو قاضي الجماعة بقرطبة؛ منذر بن سعيد.

ـ ثم **أبو الحكم منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن قاسم الكزني النفزي البلوطي** (ت: سنة 355هـ/946م)؛ وهو قاضي الجماعة بقرطبة؛ كان خطيبا مصقعا، وعالما مستبحرا، وفقيها مدققا، وأديبا بليغا؛ له مؤلفات عديدة؛ منها: أحكام القرآن، والناسخ والمنسوخ، وكتب أخرى في الفقه، وعلم الكلام؛

في الرد على أهل المذاهب. قال عنه الضبي: ((ولي قضاء الجماعة بقرطبة في حياة الحكم المستنصر بالله، وكان عالما، فقيها، وأديبا بليغا، وخطيبا على المنابر، وفي المحافل مصقعا؛ وله اليوم المشهور الذي ملأ فيه الأسماع، وبهر القلوب؛ وذلك أن الحكم المستنصر كان مشغوفا بأبي علي القالي؛ يؤهله لكل مهم في بابه؛ فلما ورد رسول ملك الروم؛ أمره عند دخول الرسول إلى الحضرة أن يقوم خطيبا؛ بما كانت العادة جارية به؛ فلما كان في ذلك الوقت، وشاهد أبو علي الجمع، وعاين الحفل؛ جبن، ولم تحمله رجلاه، ولا ساعده لسانه؛ وفطن له أبو الحكم منذر بن سعيد؛ فوثب، وقام مقامه، وارتجل خطبة بليغة على غير أهبة، وأنشد لنفسه في آخرها:

هَذَا المَقَالُ الَّذي مَا عَابَهُ فَنَدٌ
لَكِنَّ صَاحِبَهُ أَزْرَى بِهِ البَلَدُ
لَوْ كُنْتُ فِيهِمْ غَرِيباً كُنْت مُطَّرَفاً
لَكِنَّنِي مِنْهُم فَاغْتَالَنِي النَّكَدُ
لَوْلاَ الخِلاَفَة أَبْقَى اللَّهُ بَهْجَتَها
مَا كُنْتُ أَبْقَى بِأَرْضٍ مَا بِهَا أَحَدُ

فاتفق الجمع على استحسانه... ومن مصنفاته: كتاب الإفتاء على استنباط الأحكام من كتاب الله، وكتاب الإبانة عن حقائق أصول الديانة، وقد كانت له رحلة... ولقي أبا جعفر أحمد بن محمد بن النحاس النحوي بمصر؛ وله معه حكاية مشهورة؛ وذلك أنه حضر مجلسه في الإملاء؛ فأملا أبو جعفر ـ في جملة ما أملى ـ قول الشاعر[مجنون ليلى]:

خَلِيلَيَّ هَلْ بِالشَّامِ عَيْنٌ حَزِينَةٌ
تَبْكِي عَلىَ لَيْلىَ لَعَلِّي أُعِينُهَا
قَدْ اسْلمَهَا البَاكُونَ إلاَّ حَمَامَةٌ
مُطوَّقَةٌ بَاتَتْ وَبَاتَ قَرِينُهَا
تُجَاذِبُهَا أخْرَى عَلَى خَيْزُرَانَةٍ
يَكَادُ يُدنِّيهَا مِنَ الأَرْضِ لِينُهَا

فقال له منذر بن سعيد: "أيها الشيخ أعزك الله؛ باتا يصنعان ماذا"؟ فقال أبو جعفر: "فكيف تقول أنت"؟ فقال له منذر: "بانت وبان قرينها"؛ واستبان أبو جعفر ما قال؛ فقال له: "ارتفع"؛ ولم يزل يرفعه

حتى أدناه منه))[1]. ومن شعره الذي ورد في نفح الطيب:

الَموْتُ حَوْضٌ وَكُلُّنَا نَرِدُ
لَمْ يَنْجُ مِمَّا يَخَافُهُ أحَدُ
فَلا تَكُنْ مُغْرَماً بِرِزْق غَدٍ
فَلَسْتَ تَدْرِي بِمَا يَجِئُ غَدُ
وَخُذْ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ
وَيسْلَمُ الرُّوحُ مِنْكَ وَالجَسَدُ
وَالخَيْرُ وَالشَرُّ لاَ تُذِعْهُ فَمَا
في النَّاسِ إلاَّ التَّشْنيعُ وَالحَسَدُ

وأرسل إليه بعض الأدباء:

مَسْأَلَة جئْتُكَ مُسْتَفْتِياً
عَنْهَا، وَأَنْتَ العَالِمُ الُمسْتَشَارْ
عَلاَمَ تحْمَرُّ وُجُوهُ الظِّبَا
وَأَوْجُهُ العُشَّاقِ فيهَا اصْفِرَارْ

فأجابه منذر بن سعيد بقوله:

احْمَرَّ وَجْهُ الظَّبْيِ إذْ لَحْظُهُ
سَيْفٌ عَلَى العُشَّاقِ فِيهِ احْوِرَارْ

---

[1] بغية الملتمس، ص ص: 451 ـــ 452.

وَاصْفَــرَّ وَجْهُ الصَّــبِّ لَمَّا نَــأى
وَالشَّــمْسُ تُبْقي لِلْمَغِيبِ اصْفِــرَارْ

ــ ثــم **أبــو محمــد عبــد اللــه بــن عبــد الرحمــن أبي زيــد النفــزي القيــرواني** (تــوفي بالقيــروان سنــة 386هــ/996م)؛ إمــام فقهــاء المذهــب المالــكي في عصــره؛ إذ كــان يلقــب بقطــب المذهــب، وبمالــك الأصغــر؛ وعمــل عــلى تبسيــط أصــول الفقــه، والســعي إلى توضيحــه؛ قــال عنــه القــاضي عيــاض: **((مــلأ البــلاد مــن تواليفــه))**؛ وقــال فيــه ابــن خلــدون: **((وجمــع ابــن أبي زيــد جميــع مــا في الأمهــات مــن: المسائــل، والخــلاف، والأقــوال في كتــاب النــوادر؛ فاشتمــل عــلى جميــع أقــوال المذهــب، وفــرَّع الأمهــت كلهــا في هــذا الكتــاب))**[1]. أمــا ابــن فرحــون؛ فقــال: **((واســم أبي زيــد** [والــده] **عبــد الرحمــن، نفــزي النســب، سكــن القيــروان؛ وكــان إمــام المالكيــة في وقتــه... وكــان واســع العلــم، كثيــر الحفــظ، واالروايــة ـــ وكتبــه تشهــد عــلى ذلــك ــ فصيــح القلــم، ذا بيــان ومعرفــة بمــا يقــول... يقــول الشعــر، ويجيــده... وهــو الــذي لخــص المذهــب، وضــمَّ**

---

[1] المقدمــة، ج: 3، ص ص: 1158 ـــ 1159.

نشـــره، وذبَّ عنـــه؛ ومـــلأت البـــلد تآليفـــه... لـــه كتـــاب النـــوادر والزيـــادات عـــلى المدونـــة؛ مشهـــور؛ أزيـــد مـــن مائـــة جـــزء، وكتـــاب مختصـــر المدونـــة؛ مشهـــور أيضـــا؛ وعـــلى كتابيـــه هذيـــن المعـــول في التفقـــه))[2]. ولأبي زيـــد مؤلفـــات كثيـــرة؛ نذكـــر منهـــا بالإضافـــة إلى مـــا سبـــق: كتـــاب تهذيـــب العتبيـــة، وكتـــاب الإقتـــداء بأهـــل المدينـــة، وكتـــاب الـــذبِّ عـــن مذهـــب مالـــك، وكتـــاب التنبيـــه عـــلى القـــول في أولاد المرتديـــن، ومسألـــة الحُبُـــس عـــلى أولاد الأعيـــان، وكتـــاب تفسيـــر أوقـــات الصلـــوات، وكتـــاب الثقـــة باللـــه والتوكـــل عـــلى اللـــه، وكتـــاب المعرفـــة واليقيـــن، وكتـــاب المضمـــون مـــن الـــرزق، وكتـــاب المناســـك، ورسالـــة فيمـــن يأخـــذه عنـــد تـــلاوة القـــرآن والذكـــر حركـــة، وكتـــاب ردِّ السائـــل، وكتـــاب حمايـــة عـــرض المؤمـــن، وكتـــاب البيـــان عـــن إعجـــاز القـــرآن، وكتـــاب الوســـواس، ورسالـــة إعطـــاء القرابـــة مـــن الزكـــاة، ورسالـــة النـــهي عـــن الجـــدل، ورسالـــة في الـــرد عـــلى القدريـــة، ومناقضـــة رسالـــة البغـــدادي المعتـــزلي، وكتـــاب الاستظهار في الـــرد عـــلى الفكريـــة، وكتـــاب كشـــف التلبيـــس، ورسالـــة الموعظـــة والنصيحـــة،

---

[2] الديبـــاج المذهـــب، ج: 1، ص ص: 427 ـــ 429.

ورسالة طلب العلم، وكتاب فضل قيام رمضان، ورسالة الوعظة الحسنة لأهل الصدق، ورسالة إلى أهل سجلماسة في تلاوة القرآن، ورسالة في أصول التوحيد، وكتاب الرسالة الشهير؛ الذي يلخص المذهب السني، وكافة الفروض بأسلوب رائق بديع؛ وقد اهتم المختصون، والعامة بهذا الكتاب الصغير؛ حتى أنه حظي بشروح كثيرة تجاوزت المائة شرح؛ كما تناوله آخرون بالترجمة إلى أكثر من لغة أجنبية.

ـ ثم **أبو الربيع سليمان بن مُنَحل النفزي الشاطبي** (ت: سنة 456هـ/1063م)؛ فقيه، وخطيب؛ من أصحاب عمر بن عبد البر.

ـ ثم **أبو بكر محمد بن حبيب النفزي**؛ خطيب، ومقرئ، ومُجَوِّد.

ـ ثم **زينب بنت إسحاق النفزاوية**؛ زوجة يوسف بن تاشفين (ت: سنة 464هـ/1071م)؛ تزوجها ـ في البداية ـ أبو بكر بن عمر؛ أمير لمتونة؛ ثم طلقها حين قرر العودة إلى الصحراء، وأوصى ابن عمه يوسف بن تاشفين بالزواج منها؛ بعد عدتها. وعلى خلاف ما ذكره بقية المؤرخين؛ فقد نسبها صاحب الأنيس المطرب إلى هوارة، وقال أن اسم أبيها

هو إسحاق الهواري؛ تاجر من القيروان؛ ثم قال عنها: **((وكانت امرأة حازمة، لبيبة؛ ذات رأي، وعقل، وجزالة، ومعرفة بالأمور؛ حتى كان يقال لها ساحرة. فأقام الأمير أبو بكر بأغمات من ثلاثة أشهر إلى أن قدم عليه رسول من بلاد القبلة؛ فأخبره باختلال الصحراء... فلما عزم على الخروج للصحراء طلق زوجته زينب... فتزوج يوسف ابن تاشفين زينب المذكورة؛ فكانت القائمة بملكه، المدبرة لأمره، والفاتحة ــ بحسن سياستها ــ أكثر بلاد المغرب))**[1]. أما ابن عذاري فذكر ما أحيك حولها من أساطير؛ وقال: **((استقامت الأمور للأمير أبي بكر بن عمر... وكان مستوطنا بمدينة أغمات؛ وكانت بها امرأة جميلة؛ تعرف بزينب النفزاوية؛ وقد شاع ذكرها، وأمرها في قبائل المصامدة وغيرها؛ فكان يخطبها أشياخهم، وأمراؤهم؛ فتمتنع لهم، وتقول: "لا يتزوجني إلا من يحكم المغرب كله"؛ فكانوا يرمونها بالحمق، وكان لها أخبار مستطرفة، غريبة؛ كمثل أخبار الكهنة؛ فبعض يقولون: أن الجن يكلمها،**

---

[1] ص ص: **85 ــ 86.**

وبعــض يقولــون: هي ساحــرة، وبعــض يقولــون: كاهنــة. فأعلــم بجمالهــا الأميــر أبي بكــر بــن عمــر؛ فخطبهــا، وتزوجهــا... وكانــت هــذه المــرأة موسومــة بالجمــال، والمــال؛ وكــان لهــا محاســن، وخصــال محمــودة، وروية مستطرفــة... وكــان أبــو بكــر بــن عمــر لمــا عــزم عــلى حركتــه... طلقهــا؛ فذكــروا أنــه قــال لابــن عمــه يوســف ابــن تاشفيــن: "تزوجهــا فإنهــا امــرأة مسعــودة"... وتــزوج يوســف بــن تاشفيــن زينــب النفزاويــة... فبسطــت آمالــه، وأصلحــت أحوالــه، وأعطتــه الأمــوال الغزيــرة؛ فأركــب الرجــال الكثيــرة... بنفســه، وبتدبيــر زوجــه زينــب... اتصــل الخبــر بالأميــر يوســف؛ أن ابــن عمــه الأميــر أبــا بكــر بــن عمــر قــد أخــذ في الرجــوع مــن الصحــراء إلى بــلاد المغــرب؛ فاغتــم لذلــك غمــا شديــدا... وصعــب عليــه مفارقــة الملــك؛ بعــد أن ذاق حلاوتــه... فعرفــت زينــب ذلــك في وجهــه؛ فقالــت لــه: "أراك مهمومــا، مكروبــا مــن وصــول ابــن عمــك إلى ملكــه الــذي ولاك عليــه؛ واللــه لا ذاق أبــو بكــر طعمهــا أبــدا؛ فطــب نفســا، وقــر عينــا... إذا قــدم عليــك، وبعــث مقدمــات رجالــه إليــك فــلا تخــرج إليــه؛ ولكــن بــادره بهديــة

جليلة... فلا يقاتلك على الدنيا؛ فإن الرجل خير؛ لا يستحل سفك دماء"... فقال لها: "والله لا خالفتك في أمر تشيرين به أبدا"... كان وصول الأمير أبو بكر ابن عمر من صحرائه إلى مراكش؛ فوجد يوسف قد استبد بالمملكة... فعلم أنه مغلوب عليه، وعزم على تسليم الأمر إليه... فكان هذا التدبير برأي زينب النفزاوية زوجته؛ فهي التي جسرته على ذلك كله؛ حتى ملك المغرب))[1]. أما ابن خلدون فيقول أن زينب النفزاوية كانت في البداية زوجة ليوسف ابن علي بن عبد الرحمن بن واطاس: **((وكان شيخا على وريكة، وهزرجة؛ بزمن هيلانة؛ في دولة أمغارن؛ في بلاد المصامدة؛ وهم الشيوخ. وتغلب بنو يفرن على وريكة، وملكوا أغمات؛ فتزوج لقوط زينب هذه، ثم تزوجها بعده أبو بكر بن عمر))**[2]. كان ذلك عندما تغلب على أغمات، واستولى على ملك لقوط، وبعد قتله؛ **((وكانت... من إحدى نساء العالم المشهورات بالجمال،**

---

[1] البيان المغرب، ص ص: 18 ــــ 25.

[2] ، العبر مج: 6، ص: 376.

والرياســـة)). ولمـــا عـــزم أبـــو بكـــر عـــلى العـــودة إلى الصحـــراء؛ أنـــاب عنـــه في الحكـــم ابـــن عمـــه يوســـف بـــن تاشفيـــن؛ ونـــزل لـــه عـــن زوجتـــه زينـــب أيضـــا **((فكـــان لهـــا في سياســـة أمـــره، وسلطانـــه؛ ومـــا أشـــارت عليـــه عنـــد مرجـــع أبي بكـــر مـــن الصحـــراء؛ في إظهـــار الاستبـــداد؛ حـــتى تجـــافى عـــن منازعتـــه، وخلـــص ليوســـف بـــن تاشفيـــن ملكـــه))**.

ـ ثـــم **أبـــو عبـــد اللـــه محمـــد بـــن أحمـــد بـــن نصـــر النفـــزي الرنـــدي** (تـــوفي بأغمـــات سنـــة 514هـ/1120م)؛ فقيـــه، ومحـــدث، ومـــدرس.

ـ ثـــم **أبـــو عبـــد اللـــه محمـــد بـــن سليمـــان النفـــزي المالـــقي** المعـــروف بابـــن أخـــت غانـــم (ت: سنـــة 525هـ/1130م)؛ فقيـــه، ومقـــرئ، ومحـــدث، وأديـــب، ونحـــوي؛ وهـــو أحـــد شيـــوخ القـــاضي عيـــاض؛ فقـــال فيـــه **((وكـــان شيخـــا مسنـــا مـــن شيـــوخ أهـــل الأدب، والنحـــو، والروايـــة، وجمـــع الكتـــب؛ أخـــذ عنـــه النـــاس هذيـــن العلميـــن كثيـــرا، ودرسهمـــا عمـــره بغيـــر أجـــر. وسمـــع منـــه كتـــب الحديـــث، والغريـــب، وحمـــل عنـــه جملـــة مـــن المشائـــخ، والنبـــلاء؛ لعلـــو سنـــده، ومعرفتـــه))**[1].

---

[1] القـــاضي عيـــاض اليحصـــبي؛ الغنيـــة، ص: 127.

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن محمد النفزي المرسي**(ت: سنة 538هـ/1143م)؛ فقيه، وخطيب؛ وهو أحد شيوخ القاضي عياض.

ـ ثم **عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد النفزي المرسي** (توفي بقرطبة سنة 538هـ/1143م)؛ فقيه، وخطيب.

ـ ثم **أبو محمد عبد الغفور بن عبد الله ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد النفزي المرسي** (ت: سنة 539هـ/1144م)؛ فقيه؛ ألف كتاب التفتل في العبادات.

ـ ثم **أبو جعفر أحمد بن خلصة بن أبي عامر النفزي الشاطبي** (ت: سنة 540هـ/1145م)؛ فقيه من أهل الصلاح.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن سليمان بن سليمان بن خلف النفزي الشاطبي** المعروف بابن بركة (ت: سنة 552هـ/1157م)؛ فقيه، ومحدث، وحافظ للمسائل؛ من القادرين على الفتوى؛ ولي في بلده شاطبة خطة الشورى، وترأسها.

ـ ثم **أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن خليفة النفزي البيزاني الداني** (ت: سنة

564هـ/1168م)؛ من الملمين بالقراءات، وتصدر للإقراء عملا، وتدريسا؛ وكان من المحققين في القراءات، ومن المجودين الضابطين؛ وله مشاركة في الآداب، والأخبار.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن مطرف بن أبي سهل بن ياسين النفزي الشاطبي** (ت: سنة 590هـ/1193م)؛ وهو من الفقهاء، والأدباء، وله إلمام بقرض الشعر.

ـ ثم **دحمان بن مالك بن عثمان النفزي الترجيلي**؛ من العلماء، والزهاد.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن أبي العاصي النفزي الشاطبي** المعروف بابن اللَّائُيُه؛ تصدر للإقراء في بلده شاطبة؛ قال فيه ابن الأبار **((وكان من أهل الدين، والفضل، والمعرفة بالقراءات))**[1].

ـ ثم **أبو الحسن علي بن محمد بن خنسوس النفزي**؛ فقيه ومؤذن بالمسجد الجامع بقرطبة؛ كان عارفا بالأوقات، مدركا للأحكام الفقهية، عدلا.

---

[1] التكملة، ج: **1**، ص: **450**.

ـ ثم **أبو جعفر أحمد بن محمد بن علي ابن محمد بن أبي العاصي النفزي الشاطبي** المعروف بابن اللَّأيُه؛ من الملمين بالقراءات؛ قال عنه ابن الأبار: **((وكان متقدما في صناعته؛ معروفا بالضبط، والتجويد. كان أبوه أيضا كذلك))**[2].

ـ ثم **أبو عمر أحمد بن هارون بن أحمد ابن جعفر بن عات النفزي الشاطبي** (فقد في ساحة الجهاد بوقعة العقاب ولم يظهر منذ عام 609هـ/1212م)؛ قال عنه ابن الأبار: **((وكان أحد الحفاظ للحديث، يسرد المتون، والأسانيد ظاهرا؛ لا يخل بحفظ شئ منها. موصوف الدراية، والرواية؛ غالبا عليه الورع، والزهد؛ على منهاج السلف؛ يأكل الجَشِب، ويلبس الخشن؛ وربما أذن في المساجد؛ وله تآليف دالة على سعة حفظه؛ مع النظم، والنثر))**[1]. له برنامجان؛ عنوان أحدهما: التزهة في التعريف بشيوخ الوجهة؛ وهو كتاب جامع، وقيم؛ أما الثاني فهو بعنوان: ريحانة التنفس وراحة الأنفس في ذكر شيوخ الأندلس.

---

[2] التكملة، ج: 1، ص: 75.

[1] نفسه، ص: 101.

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الرحمن النفزي الأندلسي** (كان حيا سنة 613هـ)؛ فقيه، من الحفاظ؛ رحل إلى بغداد، ثم شيراز؛ حيث أقام بها.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن علي بن أحمد ابن سليمان النفزي الإسْطَبي** (ت: سنة 616هـ/1219م)؛ فقيه؛ من الملمين بمذهب مالك؛ يحسن الاستنباط في النوازل.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله النفزي الشاطبي المعروف بابن قَبُّوج** (ت: سنة 616هـ1219م)؛ فقيه، حافظ للمسائل، وللرأي، من أهل الثقة، والعدل.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد النفزي الجياني**؛ فقيه، ومحدث، وقاضي.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن عبد الملك ابن منخل بن محمد بن مشرف النفزي الشاطبي**؛ من رجال القراءات.

ـ ثم **أبو بكر بن أحمد بن عبد الملك بن منخل بن محمد بن مشرف النفزي الشاطبي** (ت: سنة 625هـ/1227م)؛ من المقرئين بالسبع.

ـ ثم **أبو الروح عيسى بن عبد الله بن محمد بن موسى بن محمد بن عبد الله بن**

إبراهيم بن خليل النفزي التاكرني (توفي بديار بكر سنة 629هـ/1231م)؛ أديب؛ له شعر حسن؛ منه:

إنْ أودَعَ الطِّرْسَ مَا وَشَّاهُ خَاطِرُهُ
أبْدَى لِعَيْنَيْك أزْهَاراً وَأشْجَارَا
وَإنْ تَهَدَّدَ فِيهِ أوْ يَعِدْ كَرَماً
بَثَّ البَرِيَّة آجَالاً وَأعْمَارَا

ويقول أيضا:

أوْصَيْتُ قَلْبي أنْ يَفِرَّ عَنِ الصِّبَا
ظَنًّا بأنِّي قَدْ دَعَوْتُ سَمِيعَا
فَأجَابَنِي لاَ تَخْشَ مِنِّ بَعْدَمَا
أفْلَتَّ مِنْ شَرَكِ الغَرَامِ وُقوعَا
حَتَّ إذَا نَادَى الحَبيبُ رَأيْتَهُ
آوَى إلَيْهِ مُلَبِّياً وَمُطِيعَا
كَذُبَالَةٍ أخْمَدتَهَا فَإذا دَنَا
مِنْهَا الضِّرَامُ تعَلَّقتْهُ سَرِيعَا

ــ ثم **أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله النفزي الشاطبي** المعروف بابن قَبُّوج (توفي ببجاية سنة 642هـ/1244م)؛ وهو من الفقهاء، والمحدثين، والحفاظ؛ له مشاركة في الآداب، وله في شبابه أشعار جيدة؛ ثم تنزه

عن نظمه؛ مال في الأخير إلى الاعتزال، والزهد، والعبادة.

ـ ثم **أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبيديس بن محمود النفزي الغرناطي** (ولد بجيان سنة 562هـ/1166م)؛ فقيه، حافظ، ومن الملمين بعلوم: اللغة، والنحو، وفنون: الأدب، والشعر؛ وله مؤلفات عديدة؛ منها: كتاب مواهب العقول وحقائق النقول، وكتاب الغيرة المذهلة عن الحيرة والتفرقة، وكتاب الجمع، وكتاب الرحلة الممنوعة، وكتاب الوسائل في الفقه والمسائل؛ ومن هذه المصنفات ما هو في باب التصوف، وغيره؛ كما أن له أشعارا حسنة. ذكره ابن الخطيب بقوله: ((**خاتمة الرحال بالأندلس، وشيخ المجاهدات وأرباب المعاملات، صادق الأحوال، شريف المقامات... وكان فقيها حافظا، ذاكرا للغة والأدب، نحويا ماهرا، درس ذلك كله أول أمره؛ كريم الأخلاق؛ غلب عليه التصوف فشهر به... له أشعار في التصوف بارعة**))[1]. من ذلك قوله:

---

[1] **الإحاطة، ج: 1، ص ص: 367 ـ 369.**

يَضيــــقُ عَلىَّ مِنْ وَجْدي الفَضَـــاء
وَيُقْلِقُــــني مِــنَ النَّـــــاسِ العَنَـــــاء
وَأرْضُ اللَّــــهِ وَاسِعَـــة وَلَكِـــــنْ
أبَـــتْ نَفْـــسي تُحِيـــطُ بِهَا السَّمَـــاء
رَأيْنَـــا العَـــرْشَ وَالكُـــرْسِيَّ أعْـــلاَ
فَوَالَيْنَاهُمَــــــا حَــــــرَمَ الــــــوَلاء
فَأيْـــنَ الأيْـــنُ مِنَّـــا أوْ زَمَـــانٌ
بحَيْـــثُ لَنَــا عَلى الكُـــلِّ اسْتِـــوَاء
شَهدْنَـــا لِلإلَـــهِ بكُـــلِّ حُكْـــمِ
فَغَـــابَ القَلْـــبُ وَانْكَشَـــفَ الغِطَـاء
وَيَدْعُـــوني الإلَـــهُ إلَيْـــهِ حَقــــاً
فَيُؤْنسُــــني مِــنَ الخَـــوْف الرَّجَـــــاء
وَيُقْبِضُـــني وَيُبْسطُـــني وَيَقْـــضِي
بتفْريـــقِي وَجَمْـــعِي مَـــا يَشَـــــاء
وَيَـــعِي فِي وُجُودِ الخَلْـــقِ نَحْـــواً
يُنْعَـــتُ مَـــنْ تَـــوَلاَّهُ الفَنَـــــاء
فَكَمْ أخْفِي وُجُودِي وَقْتَ فَقْـــدِي
كَـــأنَّ الفَقْـــدَ وَالإحْيَـــا سَـــــوَاء
فَسُكْـــرٌ ثُم صَحْـــوٌ ثُم سُكْـــرٌ
كَـــذَاكَ الدَّهْـــرُ لَيْـــسَ لَهُ انْقِضَـــاء

فَوَصْــفِي حَالَ مِنْ وَصْفِي وَلَكِـــن
ظُهُــورُ الحَــقِّ لَيْــسَ لَــهُ خَفَـــاء
إذَا شَمْــسُ النَّهَــارِ بَدَتْ تَوَلَّــتْ
نُجُــومُ الليْــلِ لَيْــسَ لَهَــا انْجــلاء

ومــن شعــره الــذي نــال شهــرة كبيــرة:
يَــا مَنْ أنَامِلُــهُ كَالْمُــزْنِ هَامِيَــة
وَجُودُ كَفَّيْــهِ أجْــرَى مَنْ مجَارِيهَــا
سَفِينَة الفَقْرِ فِي بَحْرِ الرَّجَا وَقَفَــتْ
فامْنــُــنْ عَليَّ بريــحٍ مِنْــكَ تجْرِيهَــا
بِحَقِّ مَنْ خَلقَ الإنْسَــانَ مِنْ عَلَــق
أنْظــُرْ إلىَ رُقعْــتِي وَافْهَــمْ مَعَانِيهَــا
إنِيِّ فَقِيــرٌ وَمِسْكِيــنٌ بلا سَبَــب
سِوَى حُــرُوفٍ مِنَ القُــرْآنِ أتْلوُهَــا
لا يَعْــرِفُ الشَّوْقَ إلاَّ مَنْ يُكَابِــدُهُ
وَلاَ الصَّبَابَــــة إلاَّ مَــنْ يُعَانِيهَــــا

ــ ثــم **أبــو إبراهيــم إسحــاق بــن يحيى بــن مطــر الورياغــلي** المعــروف بالأعــرج؛ وورياغــل فخــذ مــن نفــزة؛ (تــوفي بفــاس سنــة 683هــ/1284م)؛ فقيــه ألــف التعليقــات عــلى المدونــة؛ سماهــا: الطــرَر.
ــ ثــم **أبــو الطيــب صالــح بــن يزيــد بــن صالــح ابــن مــوسى بــن أبي القاســم بــن عــلي بــن**

شريـــف النفـــزي الرنـــدي (ت: سنـــة 684هـــ/1285م)؛ فقيـــه، وأديـــب، وشاعـــر مجيـــد؛ في أغـــراض: الغـــزل، والمـــدح، والزهـــد؛ لـــه إلمـــام بالحســـاب، والفرائـــض؛ ولـــه فيهمـــا بعـــض المنظومـــات؛ وممـــا كتبـــه عنـــه ابـــن الخطيـــب؛ عـــن آخريـــن؛ أنـــه: **((كـــان خاتمـــة الأدبـــاء بالأندلـــس؛ بـــارع التصـــرف في منظـــوم الكـــلام، ومنثـــوره؛ فقيهـــا، حافظـــا، فرضيـــا، متفننـــا في معـــارف شـــتى))**[1]. لـــه مؤلفـــات؛ منهـــا: جـــزء في حديـــث جبريـــل، وكتـــاب في الفرائـــض، وكتـــاب في العـــروض، وكتـــاب في صنعـــة الشعـــر بعنـــوان: الـــوافي في نظـــم القـــوافي، وكتـــاب كبيـــر في تاريـــخ الأدب بعنـــوان: روضـــة الأنـــس ونزهـــة النفـــس؛ وممـــا قالـــه في أشعـــاره:

بَرَزَتْ مِنَ الحَمَّامِ تَمْسَـــحُ وَجْهَهَـــا
عَـــنْ مِثْـــلِ مَـــاءِ الـــوَرْدِ بِالعُنَّـــابِ

وَالمَاءُ يَقْطُـــرُ مِنْ ذَوَائِـــبِ شَعْرِهَـــا
كَالطَّـــلِ يَسْقُـــطُ مِنْ جَنَاحِ غـــرَابِ

فَكَأَنَّهَا الشَّمْسُ المُنِيـــرَةَ فِي الضُّحَى
طَلَعَـــتْ عَلَيْنَـــا مِنْ خِلاَلِ سَحَـــابِ

---

[1] الإحاطـــة، ج: 3، ص: 360.

ومـــن مطولاتـــه الـــتي أجـــاد فيهـــا:

وَغَانِيَـــة يُغْنِي عَنِ العُـــودِ صَوْتُهَـــا
وَجَارِيَـــة تَسْـــقِي وَسَاقِيَـــة تَجْـــرِي

بِحَيْثُ يَجُـــرُّ النَّهْرَ ذَيْـــل مَجَـــرَّةٍ
يرُفُّ عَلَى حَافاتِهَـــا الزَّهْـــرُ كَالزَّهْـــرِ

وَقَدْ هَزَّت الأَرْوَاح خِصْر كَتَايِـــب
بأَلْوِيَـــةٍ بيـــض عَـــلىً أسَـــلٍ سُمْـــرِ

رَمَى قُزَحٌ نبْـــلاً إِلَيْهَـــا فَجُـــرِّدَتْ
سُيُـــوفٌ سَوَاقِيهَـــا عَلى دَارِعِ النَّهْـــرِ

ويصـــف رمانـــة بقـــولـــه:

لِلَّـــهِ رُمَّانَـــة قَدْ رَاقَ مَنْظَرُهَـــا
فَمِثْلُهَـــا بِبَدِيـــعِ الحُسْـــنِ مَنْعُـــوت

القِشْرُ حَقٌّ لَهَا قَدْ ضَمَّ دَاخِلَـــهُ
وَالشَّحْـــمُ قُطْـــنٌ وَالحَـــبُّ يَاقُـــوت

أَنْظرْ إلى جِذْرٍ فِي اللوْنِ مُخْتَلِفٌ
البَعْـــضُ مِنْ سَجٍّ وَالبَعْضُ مِنْ ذَهَـــب

ويصـــف القلـــم بقولـــه:

وَأَصْفَـــرُ كَالصَّـــبِّ فِي رَوْنَـــق
تَظُـــنُّ بِهِ الحُـــبَّ مِمَّـــنْ نَحَـــل

بَـــدِيعُ الصِّفَاتِ حَدِيدُ السَّبَـــاتِ
يَطُـــولُ الرِّمَـــاحَ وَإنْ لَمْ يَطُـــل
يُعَبِّـــرُ عَمَّـــا وَرَاءَ الضَّمِيــــــر
وَيَفْعَـــلُ فِعْـــلَ الظُّبَـــا وَالذُّبَـــل

ويقـــول في وصـــف البحـــر:
البَحْـــرُ أعْظَـــمُ مِمَّا أنْتَ تَحْسَبُـــهُ
مَنْ لمْ يَـــرَ البَحْرَ يَوْماً مَا رَأى عَجَبَـــا
طَـــامٍ لَـــهُ حَبَبٌ طَافٍ عَلى زَوْرَق
مِثْـــلُ السَّمَاءِ إذَا مَـــاً مُلِئَـــتْ شُهُبَـــا

وفي وصـــف النهـــر يقـــول:
وَأزْرَق مَحْفُـــوفٌ بزَهْـــر كَأَنَّـــهُ
نُجُـــومٌ بأَكْنَـــافِ المَجَـــرَّةِ تَزْهَـــرُ
يَسِيلُ عَلى مِثْلِ الجُمَانِ مُسَلسَـــلاً
كَمَا سُلَّ عَنْ غِمْدٍ حُسَامٌ مُجَوْهَـــرُ
وقَدْ صَافَحَ الأدْوَاحَ مِنْ صَفَحَاتِـــهِ
حَـــتَّ حُبَـــاب بالنَّسِيـــمِ مُكَسَّـــرُ
فَمَا كَانَ فِي عَطْفِ الخَلِيجِ قُلاَمَـــةَ
وَمَا كَانَ فِي وَجْهِ الغَدِيـــرِ فَمُغْفَـــرُ
ويقـــول في العقـــل والغربـــة:
مَـــا أحْسَـــنَ العَقْـــلَ وَآثَـــارَهُ
لَـــوْ لازَمَ الإنْسَـــان إيثَـــــاره

يَصُــــونُ بِالعَقْلِ الفــــتىَ نَفْسَـــهُ
كَمَـــا يَصُـــونُ الحُـــرّ أسْـــرَاره
لا سِيَّمَـــا إنْ كَانَ فِي غُرْبَـــةٍ
يَحْتَـــاجُ أنْ يعْـــرفُ مِقْـــــدَاره

ويصـــف الجيـــش بقولـــه:
وَكَتِيبَـــة بِالدَّارِعِيـــنَ كَثِيفَـــة
جَـــرَّتْ ذُيُـــولَ الجَحْفَلِ الجَـــرَارِ
رَوْضُ المَنايَا بَيْنَهَا القُضُبُ الـــتي
زُفَّـــتْ بهـــا الرَّايَات كَالأزْهَـــارِ
فِيهَا الكُمَاة بَنُو الكُمَاةِ كَأَنَّهُـــمْ
أسْـــدُ الشَّـــرَى بَيْنَ القَنَا الخَطـــَّارِ
مُتَهَلِّلِيـــنَ لَدَى اللَّقَاءِ كَأَنَّهُـــمْ
خُلِقَـــتْ وُجُوهُهُـــمْ مِنَ الأَقْمَـــارِ
مِنْ كُلِّ لَيْثٍ فَوْقَ بَرْق خَاطِفٍ
بِيَمِينِـــهِ قَـــدَرٌ مِـــنَ الأقْـــــدَارِ

ــ ثــم **أبــو جعفــر أحمــد بــن أبي القاســم بــن يحــيى بــن وداعــة النفــزي الرنــدي** (ت: سنــة **738هـ/1337م**)؛ كـــان مـــن رجـــال الديـــن ذوي الفضـــل؛ قـــام بتصنيـــف كتـــاب لـــم يسبقـــه إليـــه أحـــد؛ إذ جمـــع فيـــه أربعيـــن حديثـــا عـــن أربعيـــن امـــرأة مـــن

الصحابة، وله كتاب آخر سماه: الضاحي في حكم الأضاحي.

ـ ثم **أبو حيان محمد بن يوسف بن علي ابن يوسف بن حيان النفزي الغرناطي** (توفي بمصر سنة 745هـ/1344م)؛ فقيه، ومن أئمة النحو، واللغة العربية؛ وصفه ابن الخطيب بقوله: **((كان نسيج وحده في ثقوب الذهن، وصحة الإدراك، واحفظ، والاضطلاع بعلم العربية، والتفسير، وطريق الرواية؛ إمام النحاة في زمانه غير مدافع؛ نشأ ببلده غرناطة؛ مشارا إليه في التبريز بميدان الإدراك، وتغيير السوابق في مضمار التحصيل. نالته نُبُوَّة لحق بسببها بالمشرق، واستقر بمصر؛ فنال ما شاء من عز، وشهرة، وتأثُّلٍ، وبر، وحُظْوة؛ وأضحى لمن حل بساحته من المغاربة ملجأ، وعدة... شاعرا مُكْثرا))**[1]. وله مؤلفات كثيرة؛ منها: البحر المحيط؛ وهو في تفسير القرآن الكريم؛ جزأه إلى ثماني مجلدات، ولآلئ النهر المستخرجة من البحر؛ وبه اختصر البحر المحيط، والوهاج على مذهب الشافعي، وتحفة الأريب؛ في غريب القرآن، والأنوار الأجلى في

---

[1] الإحاطة، ج: 3، ص: 43.

اختصـــار المحـــلى؛ عـــلى مذهـــب أبي داود، والتكميـــل في شـــرح التسهيـــل، ومنهـــج السالـــك عـــلى ألفيـــة ابـــن مالـــك؛ لـــم يتـــم، والإدراك للســـان الأتـــراك؛ وهـــو في قواعـــد ونحـــو التـــرك، والإسفـــار الملخـــص في شـــرح سيبويـــه للصفـــار، والمبـــدع في التصريـــف، وكتـــاب الارتضـــاء في الفـــرق بيـــن الضـــاد والظـــاء، وعقـــود اللآلي في القراءات السبـــع العـــوالي، والمـــورد الغَمـــر في قـــراءة أبي عمـــرو، والأثيـــر في قـــراءة ابـــن كثيـــر، وغايـــة المطلـــوب في قـــراءة أبي يعقـــوب، والحلـــل الحاليـــة في الأسانيـــد العاليـــة، والأمـــالي في شـــرح القـــالي، وكتـــاب النكـــت الحســـان، في شـــرح غايـــة الإحســـان، وكتـــاب الشـــذا في مسألـــة كـــذا، وارتشـــاف الضَّـــرَب في معرفـــة كـــلام العـــرب، واختصـــار بدايـــة المجتهـــد، وتقريـــب التقريـــب والتدريـــب، والتنخيـــل في شـــرح التسهيـــل، ورشـــح النفـــع في القـــراءات السبـــع واللمحـــة البدريـــة في علـــم العربيـــة؛ قـــام بشرحهـــا ابـــن هشـــام، وديـــوان شعـــر في ثـــلاث مجلـــدات، وكتـــاب في التاريـــخ؛ ومـــن شعـــره الطويـــل، والقصيـــر؛ وفيـــه جـــودة؛ فمـــن مطوَّلاتـــه:

لاَ تَعْـــذِلاَهُ فَمَا ذُو الحُبِّ مَعْــذولُ

العَقْــلُ مُخْتَبَــلٌ وَالقَلْــبُ مَتْبُــولُ

هَــزَّتْ لَهُ أسْمَراً مِنْ خُوطِ قامَتِهَــا

فَمَــا انْثنَى لِلصَّب إلاَّ وَهْوَ مَقْتُــولُ

جَمِيلَــةَ فَصَّلَ الحُسْنُ البَدِيــعُ لَهَــا

فَكَــمْ لَهَا جُمَــلٌ مِنْــهُ وَتَفْصِيـــلُ

فالنَّحْــرُ مَرْمَــرُهُ وَالنَّشْــرُ عَنْبَــرُهُ

وَالثَّغْــرُ جَوْهَرُهُ وَالرِّيــقُ مَعْسُــولُ

وَالطَّرْفُ ذُو غَنَجٍ وَالعَرْفُ ذُو أرَجٍ

وَالخَصْــرُ مُخْتَطفٌ وَالعُنْقُ مَجْــدُولُ

ويقــول في منظومــة طويلــة تدعــوا إلى العلــم، والنحــو منــه بالخصــوص:

هُوَ العِلْمُ لاَ كَالعِلْمِ شَيْئٌ تُــرَاوِدُه

لَقَدْ فَــازَ بَاغِيــهِ وأنْجَــحَ قَاصِــدُه

وَمَا فَضُــلَ الإنْسَــانُ إلاَّ بعِلْمِــهِ

وَمَا امْتَــازَ إلاَّ ثَاقِبُ الذِّهْنِ واقِــدُه

وَقَدْ قَصُرَتْ أعْمارُنَــا وعُلُومُنَــا

يَطُولُ عَلَيْنَــا حَصْرُهَــا وَنُكَابــدُه

وَفِي كُلِّهَــا خَيْــرٌ ولَكِنَّ أصْلَهَــا

هُوَ النَّحْوُ فَاحْذَرْ مِنْ جَهُولٍ يُعانِــدُه

بِهِ يُعْرَفُ القُرْآنُ والسُنَّة التي هُمَــا

أصْــلُ ذَا الدِّينِ الذي أنْتَ عَابِــدُه

إلى أن يقـــول:

وَالآنَ فَلاَ شَخْصٌ عَلَى الأَرْضِ قارِئٌ
كِتَــابَ أبي بِشْــرٍ ولاَ هُــوَ رَايِــدُه

سِـــوَى مَعْشَرٍ بالغَرْب فيهِمْ تَلَفُّـــتٌ
إِلَيْـــهِ وشَـــوْقٌ لَيْسَ يَخْبُـــو مَواقِـــدُه

ومَـــا زَالَ مِنَّـــا أهْلُ أَنْدَلُسٍ لَــهُ
جَهَابِـــذُ تُبْـــدِي فَضْلَـــهُ وتُناجِـــدُه

وإِنِّيَ فِي مِصْرَ عَلَى ضُعْـــفِ نَاصِرِي
لَناصِـــرُهُ مَـــا دُمْـــتُ حَيًّا وعَاضِـــدُه

ثـــم يقـــول:

مُنِينَـــا بِقَوْمٍ صُـــدِّرُوا فِي مَجَالِـــسٍ
لإقْـــرَاءِ عِلْـــمٍ ضَلَّ عَنْهُـــمْ مَرَاشِـــدُه

لَقَدْ أخِّرَ التَّصْدِيـــرُ عَنْ مُسْتَحِقِّـــهِ
وقُدِّمَ غَمْـــرٌ خَامِدُ الذِّهْـــنِ جَامِـــدُه

ثـــم يقـــول:

أقَمْنا بِمِصْرَ عِشْرِينَ حِجَّةٍ يُشَاهِدُنَا
ذُو أمْرِهِـــــــمْ ونُشَاهِـــــــدُه

فَلَمَّا نَنَلْ مِنْهُمْ مَدَى الدَّهْرِ طَايِــلاً
وَلَمَّا نَجِــدْ فِيهِمْ صَدِيقاً نُــوَادِدُه

ويقــول في النسيــب:

كَتَمَ اللِّسَــانُ وَمَدْمَــعِي قَدْ بَاحــَا
وثَــوَى الأَسَى عِنْــدِي وأسًى رَاحَــا
إنِّي أحِــبُّ طَيَّ مَا نَشَــرَ الهَــوَى
نَشْــراً ومَــا زَالَ الهَــوَى إفْصَاحَــا
وَمُهْجَــتِي مَنْ لاَ أصَــرِّحُ باسْمِــهِ
وَمِنَ الإشَــارَةِ مَا يَكُــونُ صُرَاحَــا
رِيــمٌ أرُومُ حُنُــوَّهُ وجُنُوحَــهُ
ويَــرُومُ عَــنِّي جَفْــوَةٍ وجِمَاحَــــا
أبْــدَى لَنَــا مِنْ شَعْــرِهِ وجَبِينِــهِ
ضِدَّيْــنِ ذَا لَيْــلاً وذَاكَ صَبَاحَــــا

وقــال في أغــراض أخــرى:

أزَحْــتُ نَفْسي مِنَ الإينَاسِ بالنَّــاسِ
لَّمَــا غَنِيــتُ عَــنِ الأكْيَــاسِ بِاليَــاسِ
وصِرْتُ في البَيْتِ وَحْدِي لا أرَى أحَداً
بَنَــاتُ فِكْــرِي وكُتْبِي هُنَّ جُــلاَّسِي

ومنهـــا أيضـــا:

وَزَهَّدَنِي فِي جَمْعِي المَـــال أَنَّـــهُ إِذَا
مَا انْتَهَى عِنْدَ الفَـــتَى فَـــارَقَ العُمْـــرَا

فَـــلاَ رُوحَهُ يَوْمـــاً أَرَاحَ مِنَ العَنَـــا
وَلَمْ يَكْتَسِبْ حَمْداً وَلَمْ يَدَّخِـــرْ أَجْـــرَا

ومنهـــا أيضـــا:

عُـــدَاتِي لَهُـــمْ فَضْـــلٌ عَـــلَيَّ وَمِنَّـــة
فَـــلاَ أَذْهَـــبَ الرَّحْمَـــنُ عَنِّي الأَعَادِيَـــا

هُـــمْ بَحَثُـــوا عَـــنْ زَلَّـــتِي فَاجْتَنَبْتُهَـــا
وَهُـــمْ نَافَسُـــونِي فَاكْتَسَبْـــتُ المَعَالِيَـــا

ومنهـــا أيضـــا:

نُعِيـــدُ وُدَّ قَرِيـــــب ضَـــــلَّ
كَبِيـــرُ عَتْـــب قَلِيـــلٌ عَتْبَـــــا

كَالشَّمْسِ ظَرْفـــاً كَالمِسْكِ عَرْفـــاً
كَالخَشْـــفِ طَرْفا كَالصَّخْرِ قَلْبَـــا

ـ **ثـــم أحمـــد بـــن محمـــد النفـــزي الرنـــدي** المعـــروف بالســـراج (ت: ســـنة 759هـــ/1357م)؛ مقـــرئ.

ـ ثـــم **أبـــو عبـــد اللـــه محمـــد بـــن إبراهيـــم بـــن عبـــد اللـــه بـــن مالـــك بـــن إبراهيـــم بـــن يحـــي ابـــن عبـــاد الرنـــدي** (ت: ســـنة: 792هـــ/1389م)؛ فقيـــه،

وواعظ، وصوفي؛ ذكره المقري ضمن ما نقل عن ترجمة له من طرف أبي زكرياء السراج: **((نشأ ببلده رندة...وحفظ القرآن ابن سبع سنين، ثم تشاغل بعد بطلب العلوم النحوية، والأدبية، والأصولية، والفرعية؛ حتى رأس فيها، وحصل معانيها. ثم أخذ في طريق الصوفية، والمباحثة على الأسرار الإلهية حتى أشير إليه. وتكلم في علوم الأحوال، والمقامات، والعلل، والآفات؛ وألف فيه تواليف عجيبة، وتصانيف بديعة غريبة. وله أجوبة كثيرة في مسائل العلوم؛ نحو مجلدين... وهو من أكابر أصحاب ابن عاشر... وله كلام عجيب في التصوفن وصنف فيه... وللشيخ ابن عباد خطب مدونة بالمغرب؛ مشهورة بأيدي الناس، ويقرؤون منها ما يتعلق بالمولد النبوي الشريف؛ بين يدي السلطان تبركا بها؛ وكذا يقرؤونها في المجتمعات، والمواسم؛ كأول رجب، وشعبان؛ ونصفهما، والسابع والعشرين منهما؛ كرمضان))**[1]. ومن مؤلفاته: الرسائل الكبرى، والصغرى، وشرح الحكم، ونظمها في أرجوزة

---

[1] نفح الطيب، ج: 5، ص ص: **341 ــ 350**.

مـــن ثمانمائـــة بيـــت. وقـــال عنـــه ابـــن الخطيـــب: **((وشعـــره حســـن يـــدل عـــلى طبـــع معيـــن))**؛ منـــه:

سُرًى يُســـرُّ إِلَيَّ أَنَّـــكَ تَـــارِكِي
نَفْـــسِي الفِـــدَا لِلُطْفِـــكَ المُتَـــدَارِكِ

يَا مَالِـــكِي وَلِيَ الفَخَـــارُ بِأَنَّـــنِي
لَـــكَ فِي الهَـــوَى مِلْكٌ وَأَنَّكَ مَالِـــكِ

التَّـــرْكُ هَلْـــكٌ فَاعْفِنِي مِنْهُ وَعِـــدْ
بالوَصْـــلِ تُحْـــيِي ذِمَا مُحِبٍّ هَالِـــكِ

وَأَعِـــدْ جَمِيلاً فِي الهَوَى عَوَّدْتَـــنِي
إِنْ لَـــمْ تُعِـــدْهُ إِلَيَّ مَنْ لِلْهَالِـــكِ

يَا مُنْيَـــة القَلْـــبِ الَّذِي بِجَمَالِـــهِ
فُتِـــنَ الوَرَى مِنْ فَاتِـــكٍ أَوْ نَاسِـــكِ

أَأَتِيـــهُ دُونَكَ أَوْ أَحَارُ وَفِي سَـــنَى
ذَاكَ الجَمَال جـــلاَ الظَّـــلاَمِ الحَالِـــكِ

وَلَكَمْ سَلَكْتُ إِلَيْكَ لَكِنْ حِينَ لَـــمْ
تَكُنِ الدَّلِيـــلَ اخْتَلَّ قَصْـــدُ السَّالِـــكِ

ويقـــول أيضـــا:

يَا لِلرِّجَـــالِ أَلاَ حِـــبٌّ يُسَاعِـــدُنِي
فِي ذَا الغَـــــرَامِ فَأَبْكِيـــهِ وَيُبْكِيـــــنِ

غُلِبْــتُ فِيهِ وَمَا أجَــدْتُ مُغَالَبَــتِي

وَهَــنْتُ وَالصَّبُّ أوْلَى النَّاسِ بِالهَــوْنِ

رَكِبْتُ لُجَّتَــهُ وَحْدِي فَأدْهَشَــنِي

وَمِــتُّ فِي يَــدِهِ فَــرْداً فَدُلُــــونِ

وَاضَيْعَة العُمْرِ وَالبَــلوَى مُضَاعَفَــة

مَــا بَيْــنَ يَــأسٍ وَآمَــالٍ تُرَجِّيــنِ

وَالَهْفَ نَفْسِي إنْ أوْدَتْ وَمَا ظَفِرَتْ

فِي ذَا الهَــوَى بِتَمَــنٍّ أوْ بِتَأمِيــــنِ

فَلَيْتَ شِعْرِي وَعُمْرِي يَنْقضِي طَمَعاً

فِي ذَا الهَوَى بَيْنَ مَغْلــُوبٍ وَمَغْبــُونِ

وكتــب إلى أحــد الحكــام:

تَرَكْتُ لَكُمْ عِــزَّ الغِــنَى فَأبَيْتُــمُ

وَأنْ تَتْرُكُــونِي لِلْمَذَلَّــةِ وَالفَقْــــرِ

وَنَازَعْتُمُــونِي فِي الخُمُولِ وَإنَّــهُ

لِذِي مُهْجَتِي أحْلَى مِنَ البِنَى وَالأمْــرِ

ـ ثــم أبــو زكريــاء يحــيى بــن أحمــد بــن محمــد السـراج النفــزي الرنــدي (ت: ســنــة 805هـــ/1402م)؛ وهــو فقيــه صــوفي، وراويــة، مــن أهــل الحديــث؛ ولــه فهرســة.

ـ ثم **عبد العزيز بن موسى الورياغلي النفزي** (توفي بفاس سنة 880هـ/1475م)؛ فقيه، وخطيب القرويين.

ـ ثم **أبو الحسن علي الورياغلي النفزي** (ت: سنة 962هـ/1554م)؛ فقيه مالكي.

***

ـ *مواطنهم*: تتواجد مواطن **نفزاوة** عبر بلاد المغرب كلها. أما جمهورهم فكان **بجبل أوراس**، **وإفريقية**. مثل: تلك القرى المعروفة بهم في **قسطيلة**، وبقاياهم في نواحي **القيروان**، والشريط الساحلي **لقرية بطوية**، **وسهول بونة**؛ التي بها أحياء من **ولهاصة**؛ رئاستهم في **بني عريف**. ويتواجد آخرون من نفزاوة بساحل **برشك**، وساحل **بادس**.

É É É

(2) ـ لواتة:

وهم **أبناء لوا الأصغر بن لوا الأكبر ابن زحيك**. فلوا الأصغر، ونفزاو؛ أخوان. يقول ابن خلدون: **((ولوا اسم أبيهم؛ والبربر**

إذا أرادوا العموم في الجمع زادوا الألف، والتاء؛ فصار لوات. فلما عربته العرب؛ حملوه على الإفراد، وألحقوا به هاء الجمع))[1]. وللوا عدد من الأولاد أشهرهم: **زاير، وفاصلة** أو (ماصلت)، **وكطوفت، ونيطط.** وقد تشعبت أفخاذهم جميعا، وتفرقت في الأقطار. وسنكتفي في هذا المجال ببعضهم؛ ومن الذين اشتهروا: **فاصلة** أو (ماصلت) فتفرع عنه: **أكورة، وجرمانة، وعتروزة** أو (عزوزة)، ثم **مغانة.** ثم **فزاير**؛ ومنه **مُزاتة**؛ التي تفرع عنها عدد كبير من الأحياء؛ أهمها: **بلايان، وحمرة، ودكمة، وقرنة، ومُجيجة، ومُدَّونَة**؛ وتقع أرض مزاتة جنوب شرقي سطيف؛ وتوجد منهم فئة في إقليم الجريد؛ إذ وصل تعدادهم فيه ــ حسب قول الدرجيني ــ إلى اثني عشر ألف فارس خلا الرجالة. أما **نيطط**؛ فمنهم **سدراتة**؛ التي تنسب إليها المدينة المتواجدة بقرب ورجلاء، والمدينة المتواجدة في الشرق الجزائري؛ على الحدود التونسية.

وفي عهد الدولة الحفصية برز من بطونهم: **بنو باديس، وبنو زنجان، وبنو سعادة.** وتقول

---

[1] العبر، مج: 6، ص: 235.

المصادر التاريخية عن لواتة؛ أنه كان منهم من اختار حياة الرحلة؛ طلبا للنجعة في جهات برقة. وكانت للواتة مواقف منحازة لأبي يزيد؛ خلال ثورته على الفاطميين؛ نظرا لانتمائهم للمذهب الخارجي. وقد تذبذب منهم بعض الأحياء في ولائهم للدولة؛ فكانوا أحيانا في خدمتها (فتستعين بهم — خاصة — في جمع المغارم من القبائل المختلفة)؛ وأحيانا أخرى يتحولون إلى قبائل متمردة؛ ثائرة. وحينما أخذ الضعف يتسرب إلى الدولة، واستفحل أمر قبائل بني هلال، وسليم؛ أضحت أحياء من لواتة عرضة لابتزازهم، وضغوطهم؛ وبذلك اندرجوا ضمن القبائل الغارمة[1].

! ! !

— ***أعيانهم***: أنجبت بلاد المغرب الإسلامي رجالا نسبوا إلى لواتة؛ خلفوا ذكرا حميدا، وسمعة مشرفة. غير أن أصول بعضهم يكتنفها شئ من الغموض؛ إذ لا نعرف إن كانوا ينتسبون إلى قبيلة لواتة؛ أم حملوا هذه التسمية نسبة إلى الموضع

---

[1] العبر، مج: 6، ص ص: 235 — 238.

المسمى باسم القبيلة؛ سواء كان ذلك ببلاد المغرب أم في الأندلس؛ التي بها أماكن سميت باسم قبائل أمازيغية؛ كانت تسكنها بكثافة. ومع هذا سنعتبر كل من نُسب إلى لواتة؛ عضوا من تلك القبيلة؛ لأننا نؤمن بأن ((النسب القبلي أمر وهمي؛ لا حقيقة له))؛ كما يقول ابن خلدون. ونظرا لكون هدفنا الأساسي هو **إبراز دور أبناء المغرب الإسلامي في بناء الصرح الثقافي العربي الإسلامي؛ وليست غايتنا هي القبيلة** في حد ذاتها؛ وما إتباعنا هذه **المنهجية** ــ التي تضعهم في إطار قبلي ــ إلاَّ **وسيلة إيضاح**؛ تسمح بتصور دقيق للمحيط الذي احتضن علماء المغرب؛ ومفكريه؛ كما تسمح هذه **المنهجية** ــ أيضا ــ بإجلاء الحركة الثقافية؛ في الأوساط القبلية بهذه الديار؛ وهذا بالطبع يسوقنا إلى الاستناد إلى القول المأثور: **((النسب علم لا ينفع، وجهالة لا تضر))**. وعليه فمن الذين نسبوا إلى لواتة من العلماء:

ــ لواب بن سلام بن عمر اللواتي (كان حيا سنة 260هـ/873م)؛ وهو من العلماء الإباضيين؛ ومن مؤلفاته: رسالة عن نشأة

الإباضية، ودخولهم إلى المغرب؛ وهي وثيقة تاريخية لم يسبقه إليها أحد.

ــ ثم **أبد الله السكاك القنطراري** (القنطناري) **اللواتي**؛ وهو رأس فرقة من الإباضية؛ ولكنها خرجت عن جماعتهم؛ إذ اتبعوا مذهبا أنكره عليهم جمهور الإباضية. وقد ذكرهم الدرجيني في طبقاته بقوله: **((أن السكاك يعرف بأبد الله اللواتي النسب، قنطناري المسكن؛ وكان له أب من أهل الصلاح؛ فبلغنا أن أباه توجه إلى الحج قبل أن يولد له أبد الله؛ فلما كان في بعض الطريق رأى في منامه أن قد ولد له شيطان... ويقال سبع مسائل خالف فيها جميع أهل الحق: 1ــ أبطل السنة، ورأي المسلمين؛ قال... إن الله قد أغنى عنهما... بكتابه العزيز، ...2 ــ قوله إن الصلاة جماعة بدعة، 3 ــ قوله إن الأذان بدعة؛ فإذا سمع هو وأصحابه الأذان قالوا: نهيق الحمار، 4 ــ إن الصلاة عندهم لا تجوز بما لا يعرف معناه، وتفسيره من القرآن، 5 ــ قوله إن بقول الجنات؛ مما ينبت في سماد بني آدم؛ كل ذلك نجس؛ بنجاسة ما نبت عليه، 6 ــ إن الصلاة لا تجوز بثوب فيه قمل، 7 ــ إن بول الدواب**

في الأنـدر حيـن درسهـا إيـاه نجـس؛ فـلا يطهـر مـا بالـت عليـه إلا بالغسـل. وجـدت عـن أبي يعقـوب يوسـف بـن نفـاث رحمـه اللـه قـال: أدركنـا بقيـة أصحـاب أبـد اللـه السكـاك؛ إذا قـرب وقـت الصـلاة خرجـوا؛ متجنبيـن عـن النـاس إلى مفاحـص قـد هيئوها لأنفسهـم؛ فيصلـون فيهـا فـرادى. وعنـه؛ أدرك جماعـة الشيـوخ بقسطيليـة؛ يصلـون عـلى جميـع مـوتى أهـل القبلـة؛ كلهـم؛ مـن المخالفيـن، وغيرهـم؛ إلا أصحـاب السكـاك؛ فإنهـم مـن مـات منهـم؛ جعلـوا في رجليـه مرابـط، وجـروه بهـا إلى موضـع يوارونـه فيـه. وكـان مشائـخ السلـف تتقـارب أقوالهـم في السكـاك وأصحابـه، وتتفـاوت؛ فقائـل: بشركهـم، وقائـل بنفاقهـم؛ وهـذا المذهـب قـد فـني أصحابـه؛ فلـم تبق لهـم بقيـة))[1].

ـ ثـم أحمـد بـن إبراهيـم بـن أبي زيـد اللـواتي المـرسي (كـان حيـا سنـة 423هـ/1031م)؛ فقيـه، ومقـرئ.

---

[1] ج: 1، ص ص: 118 ــ 119.

ـ ثم أخوه **أبو الحسن يحيى بن إبراهيم بن أبي زيد اللواتي المرسي** (كان حيا سنة 423هـ/1031م)؛ فقيه، ومقرئ.

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن محمد بن حسين ابن علي اللواتي الفاسي** عرف بابن تامتيت؛ فقيه، ومحدث.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن مخلوف بن جابر اللواتي البلنسي**؛ نحوي، ومن العارفين بالعربية، وعلومها، وآدابها؛ كما يمتاز بقرض الشعر.

ـ ثم **أبو عبد الملك مروان بن عبد الملك ابن إبراهيم بن سمجون اللواتي الطنجي** (توفي بطنجة سنة 491هـ/1097م)؛ فقيه، ومقرئ، وشاعر؛ فهو عالم المغرب، وشيخه في وقته؛ كان ملما بعلوم الفقه، والأدب؛ واللغة؛ فصيح اللسان؛ يميل في حديثه وشعره إلى التقعير، والتمسك بالإعراب؛ مع الخاصة، أو العامة؛ قال عنه الشيخ عياض: **((فلا يكاد يؤخذ عليه لحن))**[1]. وولي في عهد المرابطين الصلاة، والخطبة، والإفتاء، والأحكام بمدينة طنجة؛ ومن قبلها ولي أيضا الإفتاء، والصلاة والخطبة بسبتة. وأسرة

[1] **الغنية، ص: 258.**

سمجون هذه أنجبت عددا من العلماء؛ عرفوا باسم سمجون الطنجي؛ نسبة إلى مدينتهم؛ سيتأتي الإشارة إليهم تباعا؛ كل في موضع ترتيبه.

ـ ثم **أبو الحسن يحيى بن إبراهيم بن أبي زيد اللواتي يعرف بابن البيَّان** (توفي بمرسية سنة 496هـ/1102م)؛ كان من المقرئين.

ـ ثم **أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر بن أحمد اللواتي**؛ المعروف بابن الفاسي (توفي بسبتة سنة 513هـ/1119م)؛ وهو أحد شيوخ القاضي عياض؛ الذي قال عنه في الغنية: **((كان من أهل الفقه، والعلم، والمعرفة بالوثائق، والبصر بالأحكام، والتفنن في معارف... وكتب للقضاة بسبتة، وشوور في الأحكام؛ ثم قعد عن ذلك، وانقبض عن الناس، واشتغل بنفسه، وطلب الانفراد، والتقلل، والزهد في الدنيا. وقد طلب لقضاء سبتة، وولاية خطبتها؛ فامتنع، ولم يجب...صحبته كثيرا، وقرأت عليه غير شئ))**[2].

---

[2] الغنيـة ، ص ص: 186 ـــ 187.

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن علي بن عبد الملك بن سمجون الطنجي** (توفي بتلمسان سنة 524هـ/1129م)؛ فقيه فاضل؛ ولي قضاء تلمسان.

ـ ثم **أبو محمد عبد المنعم بن مروان بن عبد الملك بن إبراهيم بن سمجون اللواتي الطنجي** (توفي بالمرية سنة 524هـ/1129م)؛ فقيه فاضل؛ ولي قضاء غرناطة، والمرية؛ فترك أثرا حميدا بين الناس.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الملك بن سمجون الطنجي** (توفي بغرناطة سنة 539هـ/1144م)؛ فقيه، فاضل، ولي قضاء تلمسان بعد عمه؛ قبل أن ينتقل إلى غرناطة.

ـ ثم **أبو محمد عبد الودود بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الملك بن سمجون الطنجي** (ت: سنة 552هـ/1157م)؛ فقيه؛ من الرواة.

ـ ثم **أبو القاسم أحمد بن عبد الودود بن عبد الرحمن بن سمجون الطنجي**؛ فقيه، وولي القضاء.

ـ ثـم **أبـو علـي الحسـن بـن مـكي اللـواتي**؛ فقيـه، وراويـة.

ـ ثـم **أبـو الحسـن علـي بـن جابـر بـن فتـح الأنصـاري اللـواتي الغرنـاطي**؛ مـن المتكلميـن الأصولييـن.

ـ ثـم **أبـو الفتـح نصـر بـن عبـد الرحمـن اللـواتي**؛ فقيـه مـن الزهـاد الصالحيـن.

ـ ثـم **أبـو الحسـن علـي بـن الحسيـن بـن علـي ابـن الحسيـن اللـواتي الفـاسي** (تـوفي بفـاس سنـة 573هـ/1177م)؛ قـال عنـه ابـن الزبيـر: **((كـان عالمـا بالفرائـض، والعقـود؛ ومـن حفـاظ المسائـل؛ ممـن تـدور عليـه الفتـوى))**.

ـ ثـم **علـي بـن أبي بكـر بـن عبـد الرحمـن بـن علـي بـن عبـد الملـك بـن سمجـون الطنـجي** (تـوفي بالمُـنَـكَّـب سنـة 599هـ/1202م)؛ فقيـه؛ مـن أهـل المعرفـة، والعلـم؛ قـال عنـه ابـن الزبيـر: **((كانـت لـه كتـب كثيـرة))**[1]. دون أن يذكرهـا.

ـ ثـم **أبـو محمـد عبـد اللـه بـن علـي بـن عُتْبـة اللـواتي** (تـوفي بعـد 625هـ/1227م)؛ مقـرئ، ومحـدث.

---

[1] صلـة الصلـة، القسـم الأخيـر ، ص ص: 147. 117 ـــ 118.

ـ ثم **أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله اللواتي الأجدابي الطرابلسي** (توفي حوالي سنة 650هـ/1252م)؛ من علماء اللغة؛ وله إلمام بعلوم أخرى؛ من مؤلفاته: كفاية المتحفظ، ومختصر في علم الأنساب، ومختصر في الأنواء، وكتابان في العروض.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن يوسف اللواتي الطنجي** (ت: سنة 779هـ/1377م)؛ وهو الرحالة الذائع الصيت المعروف بابن بطوطة. أملى رحلته؛ التي حررها الفقيه الأديب محمد ابن محمد بن جزي الكلبي؛ بأمر من السلطان المريني أبوعنان؛ فكانت أهم، وأشمل رحلة تمت في وقته؛ وترجمت إلى لغات عديدة؛ منها: الأنجليزية، والفرنسية، والبرتغالية، والألمانية.

ooo

أما اعلام لواتة؛ أصحاب الحكم، والسلطان؛ منهم:

ـ **سلام بن عمر اللواتي**؛ ولاه عبد الوهاب ابن رستم على سرت، ونواحيها.

ـ ثم **ميال بن يوسف اللواتي**؛ ولاه عبد الوهاب بن رستم على نفزاوة.

ـ ثم **أورغ بن علي بن هشام اللواتي**؛ أحد القادة في الدولة الفاطميين؛ ولكنه انحاز إلى حميد ابن يصلتن بن حبوس المكناسي (صاحب تيهرت)؛ عند عصيانه للدولة، ومبايعته للأمويين؛ ثم التحق أورغ بعدئذ بالأندلس سنة 336هـ/947م.

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن محمد بن ناصر بن ميال بن يوسف اللواتي** (من أعلام النصف الأول من القرن السادس للهجرة)؛ كان جده وزيرا للإمام أفلح بن رستم. وهو من علماء ورجالات الإباضيين.

ـ ثم **مكي بن فراج بن زيادة الله بن أبي الحسن بن محمد بن زيادة الله بن أبي الحسين اللواتي**؛ وهو كبير بني مكي رؤساء قابس.

ـ ثم **أبو القاسم عثمان بن أبي القاسم بن مكي اللواتي**؛ حليف أبي زكرياء الحفصي؛ إذ تولى أخذ البيعة له من الناس؛ عندما عزم على الاستبداد على الموحدين.

ـ ثم **عبد الملك بن عثمان بن مكي اللواتي**؛ الذي انحاز للدعي أبي عمارة.

! ! !

أمـــا أعيـــان سدراتـــة؛ وهـــي بطـــن مـــن بطـــون لواتـــة؛ كمـــا سبقـــت الإشـــارة إليـــه؛ فمنهـــم:

ــ **عاصـــم الســـدراتي** (تـــوفي أمـــام أســـوار القيـــروان سنـــة 141هــ/758م)؛ وكـــان مـــن المقربيـــن مـــن أبي الخطـــاب عبـــد الأعـــلى بـــن السمـــح؛ وهـــو أحـــد الخمســـة الذيـــن ذهبـــوا إلى البصـــرة طلبـــا للعلـــم؛ لـــدى أبي عبيـــدة مسلـــم الإبـــاضي؛ وكـــان قـــد شـــارك أبي الخطـــاب في الزحـــف عـــلى القيـــروان، أثنـــاء حصـــار ورفجومـــة في داخلهـــا.

ــ ثـــم **أبـــو يوســـف يعقـــوب بـــن يوســـف بـــن سهلـــون الســـدراتي** المعـــروف بالطـــرفي (مـــن أعـــلام النصـــف الثـــاني مـــن القـــرن الثالـــث)؛ وهـــو مـــن كبـــار علمـــاء الإباضيـــة؛ استقـــر بوارجـــلان؛ الـــتي تـــولى فيهـــا الفتيـــا، والقضـــاء بيـــن النـــاس؛ تلقائيـــا؛ دون تكليـــف مـــن الحكـــام.

ــ ثـــم **أبـــو يعقـــوب يوســـف بـــن إبراهيـــم الســـدراتي** (ت: سنـــة 570هــ/1174م)؛ كـــان لـــه إلمـــام بعلـــوم شـــتى منهـــا: علـــوم القـــرآن الكريـــم، واللغـــة، والفقـــه، والحديـــث، والفرائـــض، والكـــلام، والسيـــر والتراجـــم، والتنجيـــم؛ إلى جانـــب أنـــه كـــان يقـــرض الشعـــر. ويقـــول الدرجيـــني أن أبـــا يعقـــوب تعلـــم هـــذه العلـــوم، والفنـــون بقرطبـــة؛ عندمـــا ذهـــب

إليهـــا في صغـــره؛ طلبـــا للعلـــم؛ ومـــن مؤلفاتـــه: كتـــاب العـــدل والإنصـــاف؛ جـــزأه إلى ثلاثـــة أجـــزاء، وكتـــاب الدليـــل لأهـــل العقـــول؛ يعالـــج مواضيـــع مـــن المذهـــب الإبـــاضي، وكتـــاب مـــرج البحريـــن؛ في المنطـــق، والحســـاب، والهندســـة، وكتـــاب المغـــرب في تاريـــخ المغـــرب، وتفسيـــر القـــرآن الكريـــم؛ في سبعيـــن جـــزءا؛ قـــد تصـــل أوراق الجـــزء إلى 700 ورقـــة أحيانـــا، كمـــا قـــام بترتيـــب مسنـــد الربيـــع بـــن حبيـــب بـــن عمـــرو الأزدي البصـــري؛ وسمـــاه الجامـــع الصحيـــح؛ ولـــه قصيـــدة طويلـــة جـــدا سماهـــا الحجازيـــة؛ قـــال عنهـــا الدرجيـــني: **((أبياتها عـــدد أيـــام العـــام؛ بـــدأ فيهـــا بغـــزل رقيـــق، ثـــم الرحلـــة عـــن وارجـــلان، والتنبيـــه عمـــن صحبهـــم في ذلـــك الركـــب؛ فذكـــر الطريـــق منزلـــة منزلـــة في سيرهـــم؛ حـــتى وصلـــوا؛ وذكـــر المناســـك، ثـــم فعـــل كذلـــك حـــتى خـــرج؛ ثـــم خـــرج إلى شيـــئ مـــن علـــم الحدثـــان؛ ثـــم وعـــض أحســـن وعـــض، وتذكيـــر؛ ففيهـــا مـــا يشهـــد لـــه باتســـاع الفـــن))**[1]. وكـــان الأندلسيـــون يشبهونـــه بالجاحـــظ؛ ســـاح في الأرض مـــدة بيـــن الأندلـــس، والمشـــرق الإســـلامي؛ وإفريقيـــا الســـوداء؛ حـــتى وصـــل في رحلتـــه جنوبـــا إلى حـــدود

---

[1] طبقـــات المشائـــخ بالمغـــرب، ج: 2، ص: 494.

خـــط الاستـــواء؛ ثـــم عـــاد إلى بلـــده ورجـــلان؛ أيـــن اعتكـــف عـــلى القـــراءة، والتأليـــف حـــتى توفـــاه اللـــه فيهـــا.

ــ ثـــم ولـــده **أبـــو إسحـــاق إبراهيـــم بـــن يوســـف السـدراتي** (مـــن أعـــلام النصـــف الثـــاني مـــن القـــرن السادس للهجـــرة)؛ وهـــو أديـــب، وشاعـــر؛ إلى جانـــب إلمامـــه بالعلـــوم الشرعيـــة، والنحويـــة، واللغويـــة؛ ولكنـــه دون والـــده.

ــ ثـــم **محمـــد بـــن أحمـــد السـدراتي** (كـــان حيـا سنـــة 684هـــ/1285م)؛ وهـــو مـــن الفقهـــاء، وأهـــل الفضـــل.

! ! !

أمـــا مزاتـــة؛ فـــهي ــ بدورهـــا ــ بطـــن مـــن بطـــون لواتـــة؛ وبـــرز فيهـــا رجـــال تركـــوا وراءهـــم ذكـــرا محمـــودا؛ منهـــم:

ــ **أبـــو عثمـــان الدكـــمي المـــزاتي** (مـــن أعـــلام النصـــف الأول مـــن القـــرن الثالـــث للهجـــرة)؛ استوطـــن جبـــل نفوســـة؛ حيـــث عـــرف فيـــه باســـم **باثمـــان**؛ وهـــو مـــن الزهـــاد المتصوفيـــن؛ تناقـــل النـــاس عنـــه، وعـــن ابنتـــه **تكفـــا** حكايـــات عجيبـــة؛ تدخـــل في سيـــاق الأساطيـــر.

ـ ثـم **أبـو نـوح سعيـد بـن يخلـف المـزاتي** (مـن أعـلام النصـف الثـاني مـن القـرن الرابـع للهجـرة)؛ لـه حـظ مـن العلـم، والمـال الوفيـر.

ـ ثـم **أبـو محمـد واسـلان بـن يعقـوب المـزاتي** (مـن أعـلام النصـف الثـاني مـن القـرن الرابـع للهجـرة)؛ وهـو مـن علمـاء الإباضيـة؛ كـان في البدايـة منصرفـا عـن العلـم إلى الـرعي، والطـرب؛ ولكنـه تـدراك مـا ضـاع مـن عمـره؛ فانكـب عـلى العلـم حـتى اكتسـب منـه مـا أغنـاه.

ـ ثـم **أبـو الخطـاب عبـد السـلام بـن منصـور ابـن أبي وزجـون المـزاتي** (مـن أعـلام النصـف الأول مـن القـرن الخامـس للهجـرة)؛ وهـو أحـد علمـاء الإباضيـة.

ـ ثـم **أبـو عمـران مـوسى بـن زكريـاء المـزاتي** (مـن أعـلام النصـف الأول مـن القـرن الخامـس للهجـرة)؛ وصفـه الدرجيـني بقولـه: **((رأس مـن رؤوس المذهـب، وأعلـم علمائـه، وشمـس مـن شموسـه الكاشفـة لظلمائـه؛ العلـم والأدب حليتـه))**[1]. كـان رأس العلمـاء السبعـة؛ الذيـن اعتكفـوا في غـار امجـاج؛ بغـرض تأليـف ديـوان في

---

[1] طبقـات المشائـخ بالمغـرب، ج: 2، ص: 409.

الفقه الإباضي؛ وقد تولى كتابته بخطه؛ فنسب إليه؛ بينما هو عمل جماعي.

ـ ثم **أبو إسماعيل البصير إبراهيم بن ملال المزاتي** (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو من الزهاد، والصالحين.

ـ ثم **أبو موسى يزيد المزاتي** (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو من أهل العلم، والصلاح، وفعل الخير.

ـ ثم ولده **ضمام بن أبي موسى يزيد المزاتي** (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ سار على نهج أبيه؛ في فعل الخير؛ قال عنه الدرجيني: **((أن بلاد إفريقية أصابتها سنة؛ فاشتدت أحوال أهلها؛ وعدموا القوت؛ حتى ضمت أهل البوادي، وغيرهم إلى بلاد الجريد؛ فانتجعت مزاتة إلى قابس؛ ليمتاروا منها التمر بالدين، والقرض؛ فأتوا ضمام بن أبي موسى؛ يدلون عليه بالقرابة، والأخوة؛ وهو حينئذ عند أهل قابس معروف، وبالخير والصلاح موصوف؛ فسألوه أن يستقرض لهم، ويستدين، ويتحمل عنهم... فشاور والده في ذلك... فقال له: هل يعرفهم أحد؟ قال: لا، قال: وأنت؛ هل يعرفك أهل قابس،**

ويأمنونك؟ قال: نعم، ولا يعرفون غيري؛ فقال له أبوه: دخولك في شيء يستنقذهم من الجوع إذا فرض من الفروض اللازمة؛ إذ كانوا ينتفعون بجاهك أكثر مما ينتفعون بأموالهم؛ فقضى مآربهم أجمعين))[2].

ـ ثم **أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو من علماء المذهب الإباضي؛ كان ملما بعلمي: الأصول، والفروع؛ وله تصنيف في الأصول؛ من مجلدين.

ـ ثم **أبو يعقوب يوسف بن خلفون المزاتي** (من أعلام النصف الثاني من القرن السادس للهجرة)؛ وهو من الملمين بعلمي الأصول، والفروع؛ وتفرغ للتدريس، والإفتاء؛ ولكنه تعرض لمضايقات من طرف المتزمتين للمذهب الإباضي؛ بعدما لاحظوا أنه يطالع كتبا لعلماء المذاهب السنية؛ غير أنه صمد أمامهم؛ إيمانا برأيه.

---

[2] طبقات المشائخ بالمغرب، ج: 2، ص ص: 421 ـــ 422.

ـ ثم **ميمون بن أحمد المزاتي** (من أعلام النصف الثاني من القرن السادس للهجرة)؛ وهو من علماء المذهب الإباضي بدرجين؛ ناله ـ في أواخر أيامه ـ ضيم، وإهمال؛ وقال فيه الدرجيني: **((طال عمره حتى كف بصره؛ فتخلى عن التشديد، وكان يتمنى أن يلقى من يسأله عن المسألة سؤالَ مستفيدٍ؛ فقلما يظفر بسائل، أو بلقاء عارف أو معترف بما أوتي من الفضائل... وحدثني من لا أتهم؛ عن جدي يخلف أنه كان متى حضرته تحفة ذكر عندها السيخ ميمون بن أحمد؛ وكان يحض على إكرامه ويقول: أكرموا ميمون بن أحمد؛ قد اجتمعت فيه الصفات الثلاث: عزيز ذل، وغني افتقر، وعالم بين جهال))**[1].

***

ـ ***مواطنهم***: من مواطن **لواتة** التي ينتجعون عبرها؛ هي أراضي **برقة**؛ وقد تمتد بهم النجعة إلى **مصر**؛ حيث سكن **واحاتها** عدد كبير منهم. وفي ذلك يقول ابن خلدون: **((ومنهم أيضا بواحات مصر ـ فيما ذكره المسعودي ـ أمة**

---

[1] طبقات المشائخ بالمغرب، ج: 2، ص: 512.

عظيمة بالجيزة؛ التي بينها وبين مصر. وكان لما قرب من هذه القصور؛ شيخهم هنالك بدر بن سالم؛ وانتقض على الترك؛ وسرحوا إليه العساكر؛ فاستلحموا كثيرا من قومه، وفر إلى ناحية برقة؛ وهو الآن في جوار العرب بها... ومنهم أوزاع متفرقون بمصر، وقرى الصعيد؛ شاوية، وفلاحين))[2]. وفي **جبل أوراس** تسكن أمة عظيمة منهم؛ انحازت إلى أبي يزيد في ثورته. وقد استعانت بهم الدولة في جباية الأموال من القبائل الأخرى. ولما ضعفت الدولة الحفصية؛ أصبحت جماعة منهم ـــ يعرفون باسم **بني سعادة** ـــ في إقطاع الدواودة؛ فاستعملوهم في المهمة التي خصتهم بها الدولة. ومن بقي من أحيائهم: **بنو باديس، وبنو زنجان**؛ دخلوا في طاعة بني مزني؛ أمراء بسكرة، وأرض الزاب. وكانت لبني باديس إتاوات يتقاضونها من **بلدة نقاوس** خلال الشتاء؛ عندما ينسحب الأعراب نحو مشاتيهم في الصحراء. وإذا ما عادوا إلى مصائفهم؛ انسحبت لواتة إلى معاقلها المنيعة في الجبال.

---

[2] العبر، مج: 6، ص: 238.

وتتواجد أعداد كبيرة منهم ـــ أيضا ـــ بضواحي **تيهرت**؛ حيث كانوا يتنقلون؛ منتجعين في تلك المناطق؛ على **وادي ميناس**. وجاء في العبر: **((يقال أن بعض أمراء القيروان نقلهم معه في غزوة، وأنزلهم هنالك. وكان كبيرهم أورغ بن علي بن هشام قائدا لعبيد الله الشيعي. ولما انتقض حميد بن يصل ــ صاحب تاهرت ــ على المنصور ــ ثالث خلفاء الشيعة ــ ظاهروه على خلافه... وأجاز حميد إلى الأندلس سنة ست وثلاثين؛ وزحف المنصور يريد لواتة؛ فهربوا أمامه إلى الرمال؛ ورجع عنهم))**[1]. وهذه الفئة من لواتة هي التي حاربها بنو وجديجن؛ بسبب إهانة امرأة منهم؛ متزوجة في لواتة. وقد سبق الحديث عنها. ومن جراء تلك الفتنة أجبرت لواتة على النزوح عن ديارها؛ حيث استقرت أحياؤهم خلف الجبل المسمى دارك؛ في التلول، **وخلف الجبال المطلة على متيجة**؛ أين أصبحوا من بين القبائل الغارمة. كما توجد فئة منهم ـــ أيضا ـــ في الجبال المسماة بهم؛ **جنوب قابس، وصفاقس. وبنو مكي؛ رؤساء قابس** منهم.

---

[1] العبر، مج: 6، ص ص: 236 ـــ 237.

وفي ضـــواحي بجايـــة توجـــد قبيلـــة مـــن لواتـــة؛ تحتـــل سهـــل تاكـــرارت؛ فيتـــوزعونـــه قطعـــا؛ لزراعتهـــم، ومراعيهـــم. ومـــن رؤسائهـــم في تلـــك الجهـــات؛ بنـــو راجـــح بـــن صـــواب.

É É É

4 ــ بنـــو نفـــــوس:

وهـــم **أبنـــاء نفـــوس بـــن زحيـــك بـــن مادغيـــس الأبتـــر.** وكانـــوا مـــن أعظـــم القبائـــل الأمازيغيـــة عـــددا، وقـــوة. وهـــم جميعـــا ينتسبـــون إلى بطـــن واحـــد ممثـــلا **بنفوســـة.** ومـــن أحيائهـــم المعروفـــة: **بنـــو زمـــور**، (وهـــم غيـــر أبنـــاء زمـــور البرنسييـــن). **وبنـــو ماطوســـة**[1]. ويقـــول عبـــد الوهـــاب بـــن منصـــور أن بعـــض أحيـــاء نفوســـة اندرجـــوا ضمـــن قبيلـــة **بـــني خلفـــون** بالضفـــة اليمـــنى لـــوادي يســـر؛ في الجهـــة الشرقيـــة للجزائـــر. **وبنـــو مسكـــور.** ويقـــول عنهـــم عبـــد الوهـــاب بـــن منصـــور ــ كذلـــك ــ أن بعضهـــم مندمجـــون ضمـــن قبيلـــة **آيـــت ونيـــر**؛ المتواجـــدة عنـــد زاكـــورة بالمغـــرب الأقـــصى[2].

! ! !

---

[1] **العبـــر، مج: 6، ص: 230.**

[2] **قبائـــل المغـــرب، ج: 1، ص: 308.**

ـــ ***أعيانهم***: نفوسة كغيرها من قبائل المغرب الإسلامي؛ أنجبت رجالا عظماء؛ بعلمهم، وبكفايتهم؛ ولكن المصادر التي بين أيدينا شحيحة للغاية؛ وإن أسعفتنا؛ فإنها لا تمدنا بما يفي بالغرض. وعليه فإنه تعذر علينا معرفة أعلام نفوسة بدقة، ووضوح. ومع هذا سنذكر أهمهم؛ كما عرفنا عنهم؛ ولا يفوتنا التذكير؛ بأن جل هؤلاء الأعيان ـــ وإن لم يكونوا كلهم ـــ فهم علماء؛ بالإضافة إلى مناصبهم الزمنية؛ على أن العلوم الغالبة على اهتمام أكثرهم؛ كانت العلوم الشرعية. وهؤلاء الأعيان وهم:

ـــ **محمد بن عبد الحميد بن مغطير الجناوني النفوسي** (من أعلام أوائل القرن الثاني للهجرة)؛ ويعتبر من الرواد النفوسيين الأوائل الداعين للمذهب الإباضي؛ إذ كان قد رحل إلى البصرة؛ أين تلقى العلم من طرف أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وغيره؛ ثم عاد إلى جبل نفوسة؛ لنشر ما تعلمه من علم.

ـ ثم **إسماعيل بن زياد النفوسي**؛ (الذي تغلب سنة 132هـ/749م)؛ على قابس.

ـ ثم **عمرو بن يَمْكِتِنْ الأفَاطْمَاني النفوسي** (توفي سنة 144هـ/761م)؛ مع أبي الخطاب ـ في وقعة تورغا ـ أمام جيش ابن الأشعث؛ وكان قد بدأ حياته الأولى معلما للقرآن؛ ثم أضحى قائدا في جند أبي الخطاب عبد الأعلى؛ ثم ولاه بعد ذلك أعمال سرت، وأطرافها.

ـ ثم **أبو الحسن أيوب بن العباس النفوسي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة)؛ كان من الفرسان الأبطال؛ ولاه عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم على أعمال جبل نفوسة.

ـ ثم **مَهَدِّي الويغوي النفوسي** (توفي سنة 196هـ/811م)؛ حينما كان في جيش عبد الوهاب ابن رستم المحاصر لطرابلس. وهو من علماء نفوسة الكبار؛ وكان فقيها، ملما بأساليب الكلاميين؛ وهو الذي تصدي لعالم الواصلية من المعتزلة؛ في المناظرة الشهيرة التي عقدت بتيهرت.

ـ ثم **أبو عبيدة عبد الحميد الجناوني النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الثالث للهجرة)؛ وهو أحد علماء نفوسة الإباضيين؛ ولاه إمام الدولة الرستمية عبد الوهاب ـ بعد موت أبي الحسن أيوب ـ أعمال جبل نفوسة؛ باقتراح من سكان الجبل؛ ولكنه ـ حسبما يقال ـ رفض المنصب؛ وقال: أنا ضعيف؛ الأمر الذي جعل الإمام يصر، ويلح عليه؛ قائلا في رسالته إليه؛ أورد فقرة منها؛ علي يحيى معمر في كتابه الإباضية في موكب التاريخ؛ جاء فيها: **((إن كنت ضعيف البدن فالحق يقويك، وإن كنت ضعيفا في المال فبيت مال المسلمين تقويك، وإن كنت ضعيفا في العلم فعليك بأبي زكرياء اللواتي فاستعن به فيما يستقبل من أمورك))**[1]. فطلب مهلة للتفكير، والاستشارة. ومن الطريف إنه التجأ إلى امرأة في جبل نفوسة؛ ليستشيرها؛ ويبدو أنها كانت من الزاهدات الفاضلات؛ وتدعى **مارن**؛ التي تلقب بجدة العلماء؛ والتي تولت مهمة التدريس في مدرستها. ولما عرض عليها أبو عبيدة مشكلته قالت: **((إن تقدمت فأنت في**

[1] الحلقة: 2، القسم: 1، ص ص: 90 .

النار، وإن تأخرت فأنت في النار...إن تقدمت وأنت تعرف أن في المسلمين من هو أكفأ منك؛ فأنت في النار، وإن تأخرت وأنت تعلم أنك أكفأ المسلمين؛ فأنت في النار))[2]. بهذه الطريقة جاوبته، وتركت لضميره الخيار؛ ففكر في الأمر مليا ثم أعلن قبوله بالولاية.

ـ ثم **العباس بن أيوب بن العباس النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الثالث للهجرة)؛ ولي أعمال جبل نفوسة بعد وفاة أبي عبيدة؛ في عهد أفلح بن عبد الوهاب؛ وهو ولد أيوب عامل الجبل الأول.

ـ ثم **أبو يونس وسيم بن يونس النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الثالث للهجرة)؛ ولي أعمال قنطنار بالجريد من طرف أفلح بن عبد الوهاب بن رستم.

ـ ثم **سعد بن وسيم بن يونس النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الثالث للهجرة)؛ ولاه أفلح بن عبد الوهاب مكان أبيه كعامل على قنطنار بالجريد.

---

[2] الحلقة: 2، القسم: 1، ص: 92.

ـ ثم **نفاث بن نصر النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الثالث للهجرة)؛ نسب إليه الدرجيني حركة ما أسماه بالافتراق الثالث في الإباضية؛ ومرد ذلك كما يقول: هو حسده لرفيق دراسته؛ سعد بن وسيم؛ الذي فضله الإمام عليه؛ في ولاية قنطنار؛ وبذلك شرع في الإعلان بمخالفته لتصرفات للإمام أفلح؛ ثم أظهر بعض الاجتهادات الفقهية؛ المخالفة لما اتفق عليه.

ـ ثم **أبو ذر أَبان بن وسيم النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الثالث للهجرة)؛ ولي أعمال جبل نفوسة؛ في عهد أفلح بن عبد الوهاب. ويعتبر من أنبغ علماء نفوسة، وأبصرهم بالأحكام الشرعية. ومن الأمثلة على سرعة بديهته؛ أنه سُئِل يوما: ما هي فتوى من حلف لزوجته بالطلاق أن لا يزوج ابنتهما للذي يحبانه، أو للذي يكرهانه؟ فأجاب السائل بسرعة: يزوجها لمن لا يعرفان.

ـ ثم مجموعة من الأعلام؛ هم: **أبو زكرياء التكوتي النفوسي، وأبو مرداس مهاصر النفوسي، وأبو ميمون الجيطالي النفوسي، وأبو المنيب محمد بن يانس النفوسي، وأبو خليل**

اليدركلي النفوسي، وأبو مهاصر موسى بن جعفر النفوسي، وأبو مسور يصنيتن النفوسي (كلهم من أعلام النصف الأول من القرن الثالث للهجرة)؛ وهم جميعا من علماء نفوسة الإباضيين.

ـ ثم **أبو منصور إلياس النفوسي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة)؛ ولي أعمال جبل نفوسة في عهدي: أبي اليقظان، وأبي حاتم؛ وفي وقته زحف العباس بن أحمد بن طولون على برقة، وطرابلس؛ حيث تصدى له أبو منصور إلياس؛ ضمن مقاتلين من إباضيَّي نفوسة؛ وذلك في سنة 267هـ/880م؛ بالمكان المعروف بقصر حاتم؛ فتكبد الجيش الغازي هزيمة منكرة.

ـ ثم **أفلح بن العباس بن أيوب بن العباس النفوسي** (من أعيان النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة)؛ ولي في البداية أعمال نفوسة في عهد أبي اليقظان؛ أقيل مرتين؛ ثم أعيد في كل مرة؛ وفي عهده حدثت وقعة قصر مانو؛ (وهو موقع أثري على ساحل البحر)؛ وذلك في عام 283هـ/896م؛ بين جيش الأغالبة، ومقاتليه من إباضية نفوسة؛ فانتصر فيها إبراهيم بن أحمد

بن الأغلب؛ وكانت هذه الوقعة بداية النهاية لعنفوان نفوسة.

ـ ثم **عَمْروس بن فتح المساكين النفوسي** (توفي في وقعة مانو سنة 283هـ/896م)؛ وهو من علماء المذهب الإباضي؛ ولي في منصب قضاء نفوسة؛ في عهد أبي منصور إلياس؛ وله مؤلفات في اختصاصات شتى منها: الفقه، وعلم الكلام، والأصول، وغيره؛ أشهرها كتاب العمروسة.

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن الخير النفوسي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الثالث)؛ بايعه سكان جبل نفوسة لكي يتولى حكم الجبل؛ بعد سقوط الدولة الرستمية.

ـ ثم **أبو محمد ملي الأيدرفي النفوسي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة)؛ وهو من الزهاد الصالحين.

ـ ثم **أبو يحيى زكرياء الأرجاني النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة)؛ توفي في وقعة تيكرت بالجبل؛ التي انتصر فيها النفوسيون على جيش عبيد الله الشيعي؛ ولكن موته تمت بواسطة طعنة غادرة؛ صدرت من بين صفوف أنصاره .

ـ ثم **أبو زكرياء بن أبي يحيى الأرجاني النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة) توفي أثناء عودته من معركة بين نفوسة وبين الأغالبة؛ وبالطريقة نفسها التي قتل بها والده؛ أي بطعنة غادرة.

ـ ثم **زيد بن أفصيت الدرفي النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة) تولى حكم الجبل بوصية من أبي زكرياء.

ـ ثم **أبو يحيى سليمان بن ماطوس الشَّرْوَسي النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة) كان مدرسا للعلم في مدرسته التي فتحها لطلاب العلم، والمعرفة؛ وكان مصدرا للفتوى والحكم بجبل نفوسة.

ـ ثم **أبو هارون موسى بن يونس الجلالمي النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة) كان ملما بعلوم: الأصول، والمنطق، والرياضيات، وكان يقول عن الفقه: **"علم العجائز"**؛ أسس مدرسة نموذجية في منهجها، وفي محتوى ما تقدمه من علوم.

ـ ثم أبو الربيع سليمان بن زرقون التابديوتي النفوسي (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة) تلقى في البداية العلم عن العالم الإباضي المشرقي ابن الجمع؛ الذي التقى به في توزر، ورافقه إلى سجلماسة؛ حيث استكمل تعليمه في تلك المدينة مع أبي يزيد مخلد بن كيداد؛ ولكن اختلفت آراؤهم فيما بعد. وسرد الدرجيني بعض الروايات التي تظهر تباين أفكارهما؛ من ذلك: **((وحدث غير واحد من أصحابنا أن أبا الربيع، وأبا يزيد مخلد بن كيداد خرجا ذات مرة في بعض شؤونهما؛ فنزلا على حي من أحياء الوهبية؛ فأضافوهما، ولم يحتفلوا بهما كبير احتفال، ولا أحسنوا قراهما؛ فوقع من ذلك في نفس أبي يزيد شر. ثم مرا بحي من أحياء النكارة؛ فأكرموا مثواهما، وأحسنوا قراهما؛ فقال أبو يزيد لأبي الربيع: "ألا ترى ما بين الرجال والرجال؟ فهل لك في الرجوع إلى مذهب هؤلاء"؟ فقال له أبو الربيع: "لست أريد عرض الدنيا؛ فيما هو أجل من هذا؛ فأبتغيه بديني؛ فكيف بالشيء الحقير أبذل بسببه ديني. ولو كان مرادي طلب الأمور**

الدنيوية؛ لنلت جليلها بعلمي؛ ولكن الآخرة خير لمن اتقى؛ والذي تشير به والله لا أفعله أبدا"؛ فافترقا. وانطلق ابن كيداد؛ فأظهر ما وقع في نفسه؛ من اعتقاد مذهب النكارة، وترك مذهب الوهبية. فخاب، وحاب حوبا كبيرا؛ لما أراد الله من شقاوته؛ فخسر نفسه، ودينه، ودنياه؛ نعوذ بالله من سوابق الشقاء))[1]. ولما عاد إلى بلاد الجريد تصدى للنكارة، وحاربهم بالمنطق، والحجة. يقال أنه رافق شيخين ورعين؛ في سفر أيام شتاء شديد البرد؛ فوصلوا إلى غدير في وقت الصلاة؛ فتباينت آراؤهم في وجوب التيمم؛ فتوضأ أحدهما بالماء البارد؛ بينما اكتفى أبو الربيع ابن زرقون، وصاحبه الآخر بالتيمم؛ وبعد مدة أصيب ذلك الشيخ ـ المتمسك بالوضوء ـ بعلة بسبب البرد؛ فقال له ابن زرقون: ((لم تجز لنفسك أن تتيمم لصلاة واحدة؛ فتيمم الآن لصلوات عدة)).

[1] طبقات المشائخ، ج: 1، ص: 111.

ـ ثم **أبو محمد زيد بن أفْصيت الدَّرَفي النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة) حكم جبل نفوسة بانتخابه من طرف أهل العقد.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن جلداسن اللاَّلُوتي النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع) حكم جبل نفوسة باتفاق أهل العقد.

ـ ثم **أبو زكرياء بن أبي عبد الله التَّنْدَمِيرْتي النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع) حكم جبل نفوسة باتفاق أهل العقد.

ـ ثم **أبو هارون موسى بن هارون النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة) كان مفتيا بجبل نفوسة؛ ثم زكاه أهل العقد لتولي حكم الجبل.

ـ ثم **أبو عمرو ميمون بن محمد الشروسي النفوسي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة) حكم جبل نفوسة؛ بانتخابه من طرف أهل العقد.

ـ ثم **أبو الفضل سهل النفوسي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة) من حكام جبل نفوسة.

ـ ثـم **أبـو زكريـاء يحـيى بـن سفيـان اللاَّلـوتي النفـوسي** (مـن أعـلام النصف الثـاني مـن القـرن الرابـع للهجـرة) تـولى الحكـم في جبـل نفوسـة بتزكيـة مـن أهـل العقـد.

ـ ثـم **أبـو الربيـع سليمـان بـن أبي هـارون النفـوسي** (مـن أعيـان النصـف الثـاني مـن القـرن الرابـع للهجـرة) مـن الذيـن حكمـوا جبـل نفوسـة؛ باتفـاق أهـل العقـد.

ـ ثـم **أبـو سهـل النفـوسي** (مـن أعـلام النصـف الثـاني مـن القـرن الرابـع للهجـرة)؛ كـان مترجمـا للإمـام بتيهـرت؛ ويعـرف بالفـارسي لكـون أمـه رستميـة؛ أمـا آخـرون فينسبونـه إلى الفـرس؛ وقـال عنـه الدرجيـني: **((غلبـت عليـه هـذه العـزوة الفارسيـة؛ وليـس بفـارسي؛ وإنمـا هـو نفـوسي؛ ولا شـك أن أمـه رستميـة مـن بيـت الإمامـة؛ فغلـب نسبهـا عليـه، واشتهـر بـه. وقيـل هـو رستـمي أبا وأما؛ وأن أباه ولـد لميمـون بـن عبـد الوهـاب رحمـه اللـه؛ تمسـك مـن العلـوم بسبـب؛ فليـس بـرأس فيهـا ولا ذنـب؛ إلا أن الغالـب: همـل الدمـوع، والتلهـف عـلى فائـت ليـس لـه رجـوع؛ فجعـل هجيـراه مـراثي الديـن وأهلـه، والبكـاء عليـه بوابـل الدمـع وطلـه؛ حـتى دونـت**

الدواوين من كلامه، وانتشر في الآفاق حسن نظامه؛ وقد أعجز المراثي بما أوعظ؛ فلها بذلك في النفوس أحسن موقع، وأوفر حظ. وجميع ما حفظ من ذلك فإنما هو بلسان البربر، وأكثره بالصواب حدا؛ فقف على دواوينه تكن عليه مترجما، ولا ترمها إذا لم تجد لها مترجما... وذكر أن قبر أبي سهل بالموضع المذكور [مرسى الدجاج**] ويُزار؛ حتى أن صنهاجة كانت ــ حينئذ ــ تزوره؛ وربما قال قائلهم: انطلقوا إلى قبر النادب ذنبه، ودينه؛ وهذا مما يصحح أنه بجزائر بني مزغنان؛ لأنها بلاد صنهاجة))**[1]. وتلك الدواوين التي ذكرها الدرجيني مكونة من اثني عشر كتابا باللغة الأمازيغية؛ ألفها للإباضية من بني درجين بالجريد.

ــ ثم **أبو عبد الله محمد بن سليمان النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو من العلماء الذين تحلوا بالعلم، وعمل الخير؛ فكان يدرس للطلبة، ويتكفل بإطعامهم، وكسوقم من ماله الخاص.

---

[1] طبقات المشائخ، ج: 1، ج: 2، ص ص: 351 ــ 352.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن بكر النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو من كبار علماء الإباضية بوادي ريغ؛ كما أنه هو مرتب سيرة الحلقة؛ التي تنظم تعليم العزابة.

ـ ثم **يخلف بن يخلف التميجاري النفوسي** (من أعلام النصف الثاني من القرن السادس للهجرة)؛ وهو من علماء الإباضية بالجريد؛ ويبدو أنه كان متفتحا على المذاهب الأخرى، غير متعصب لمذهبه؛ حتى أنه كان مقصودا من أبناء المذاهب المختلفة؛ طلبا للرأي، والفتوى.

ـ ثم ولده **علي بن يخلف النفوسي** (من أعلام النصف الثاني من القرن السادس)؛ وهو من علماء الإباضية المشتغلين بعلوم الدين؛ دون غيره؛ وكان يعاتب بعض أصحابه على ميلهم إلى فنون الأدب، والشعر؛ وقد أورد الدرجيني حكاية وقعت بينه وبين خلف ابن خلف المدعو بالزناد الوارجلاني: **((وعظه يوما فقال: "أقلع عن هذه الأشعار فقد أكثرت، واشتغل بالفقه"؛ فقال مرتجلا:**

دَعْـــنِي بِفِقْهِكَ يابْنَ يَخْلف إِنَّــنِي
رَجُــلٌ غَــدَا بفَوَائِــدِي الأَشْعَــارِ
إِنَّ التَّفقُّــهَ وَالتَّنَسُّــكَ وَالتُّــقَى
أَنْســاكَ ذِكْــرَ الخُــرَّدِ الأَبْكَــارِ

ولا أقــول أن هــذا في الزنــاد مجــون، أو نقلتــه مما عبــر عنــه لســان شجــون؛ بــل إنمــا حنينــه إلى الأدب؛ فجعــل لــه صفــات المجــون))[1]**.**

ـ ثــم أبــو العبــاس أحمــد بــن سعيــد بــن سليمــان الدرجيــني النفــوسي (تــوفي حــوالي سنــة 670هــ/1271م)؛ مــن العلمــاء المهتميــن بالتاريــخ؛ إذ ألــف كتــاب طبقــات المشائــخ بالمغــرب؛ وهــو خــاص بمشائــخ الإباضيــة. وقــد نسبــه صالــح باجيــه ــ في أطروحتــه الجامعيــة المسمــاة: الإباضيــة بالجريــد؛ في العصــور الإسلاميــة الأولى ــ إلى نفوســة؛ وبالتحديــد إلى بلــدة تميجــار؛ ملحقــا إيــاه بعــلي بــن يخلــف ابــن يخلــف؛ أمــا محقــق كتــاب الدرجيــني المســمى طبقــات المشائــخ بالمغــرب؛ إبراهيــم طــلاي؛ فنسبــه إلى مزاتــة؛ متدرجــا بالنســب إلى مــن يســمى عــلي ابــن يخلــف المــزاتي. ومــن

---

[1] طبقــات المشائــخ، ج: 1، ص: 516.

جهة أخرى ذكر الدرجيني اسم يخلف من بين أجداده؛ ولكنه لم يحدد أي يخلف يقصده.

***

ـ ***مواطنهم***: يقول ابن خلدون: **((كانت مواطن جمهورهم بجهات طرابلس، وما إليها. وهناك الجبل المعروف بهم. وهم على ثلاث مراحل قبلة طرابلس؛ يسكنه اليوم بقاياهم. وكانت مدينة صبرة قبل الفتح في موطنهم، وتعزى إليهم؛ وهي كانت باكورة الفتح لأول الإسلام. وخربها العرب بعد استيلائهم عليها؛ فلم يبق منهم إلا الأطلال، ورسوم خافية. وكان من رجالاتهم اسماعيل بن زياد المتغلب على قابس سنة اثنتين وثلاثين ومائة لأول الدولة العباسية. ومنهم لهذا العهد أوزاع متفرقون في الأقطار؛ بعمالات مصر، والمغرب))**[1]. ويصف محمد علي دبوز جبل نفوسة بقوله: **((إذا جئت غرب طرابلس، وصعدت إلى جبال نفوسة الشماء؛ وجدت معادن العلم، والعبقرية... وكان جبل نفوسة الأشم يشتمل على مدن كثيرة؛ كانت**

---

[1] العبر، مج: 6، ص : 230.

مراكـــز لنواحيـــه، وقواعـــد لجهاتهـــا. وكانـــت عاصمتـــه هي مدينـــة شَـــرْوَسْ وَجَـــادُوا؛ ومـــن مدنـــه الكبـــرى: نَالـــُوتْ، وَكَبَـــاوْ، وَيَفـــْرَنْ، وَمِيـــرِي))[1].

هـــذا مـــا أمكـــن معرفتـــه مـــن معلومـــات تتعلـــق بقبيلـــة نفوســـة. وتجـــدر الملاحظـــة ـــ هنـــا ـــ أن أخبارهـــم وأخبـــار بـــني سمكـــان كلهـــم؛ يكتنفهـــا غمـــوض كثيـــف. بسبـــب شـــح المصـــادر، وندرتهـــا مـــن جهـــة؛ والاختلافـــات المذهبيـــة مـــن جهـــة أخـــرى. وبهـــذا.. نكـــون قـــد أتممنـــا الحديـــث عـــن القبائـــل البتريـــة؛ وبـــقي علينـــا الخـــوض في أخبـــار القبائـــل البرنسيـــة.

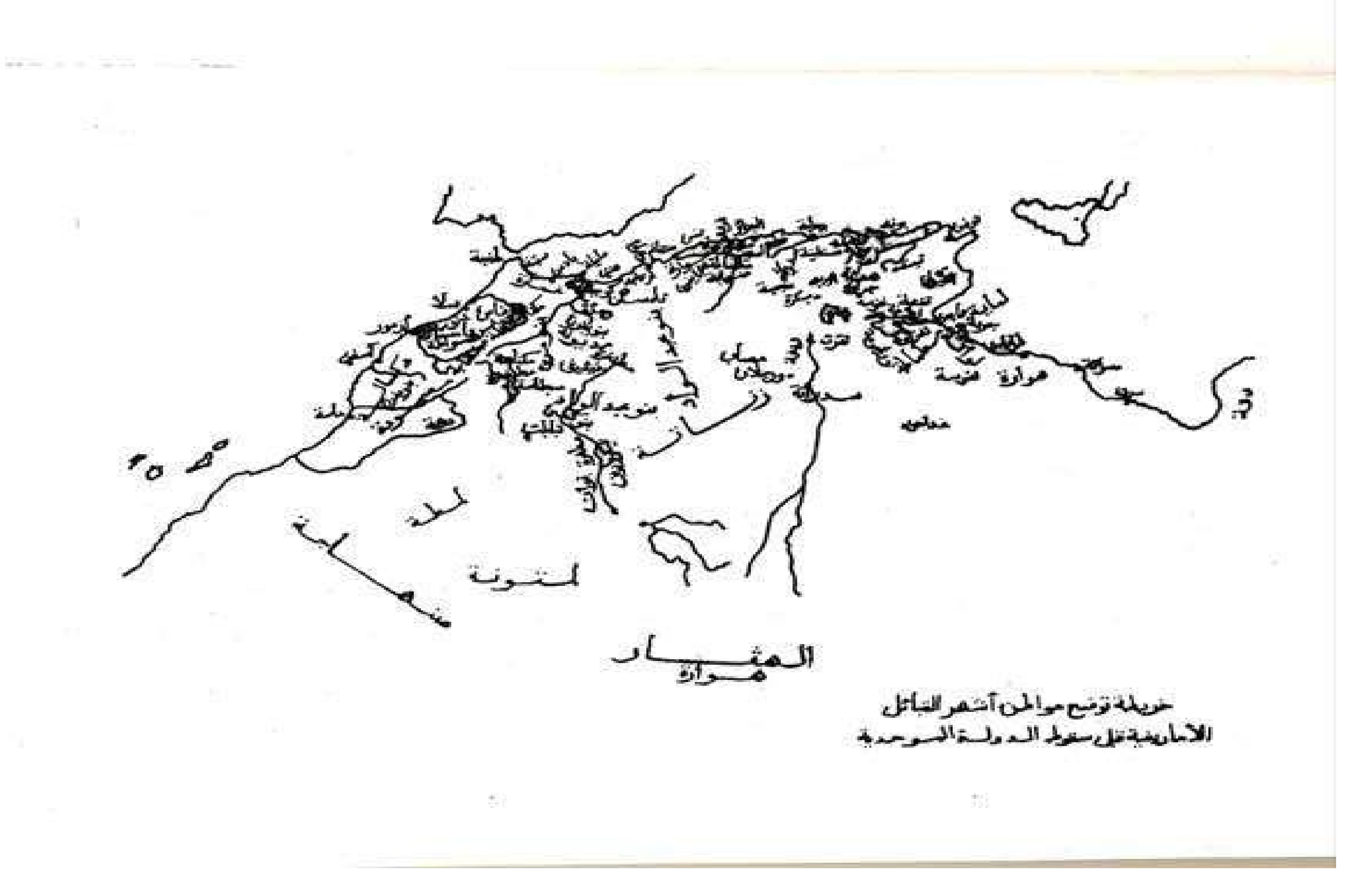
***

هـــذا مـــا تيســـر مـــن موضـــوع القبائـــل البتريـــة. وسيـــلي هـــذا الجـــزء الأول مـــن كتـــاب القبائـــل الأمازيغيـــة ـــ إن شـــاء اللـــه ـــ الجـــزء الثـــاني الـــذي يعالـــج موضـــوع القبائـــل البرنسيـــة..

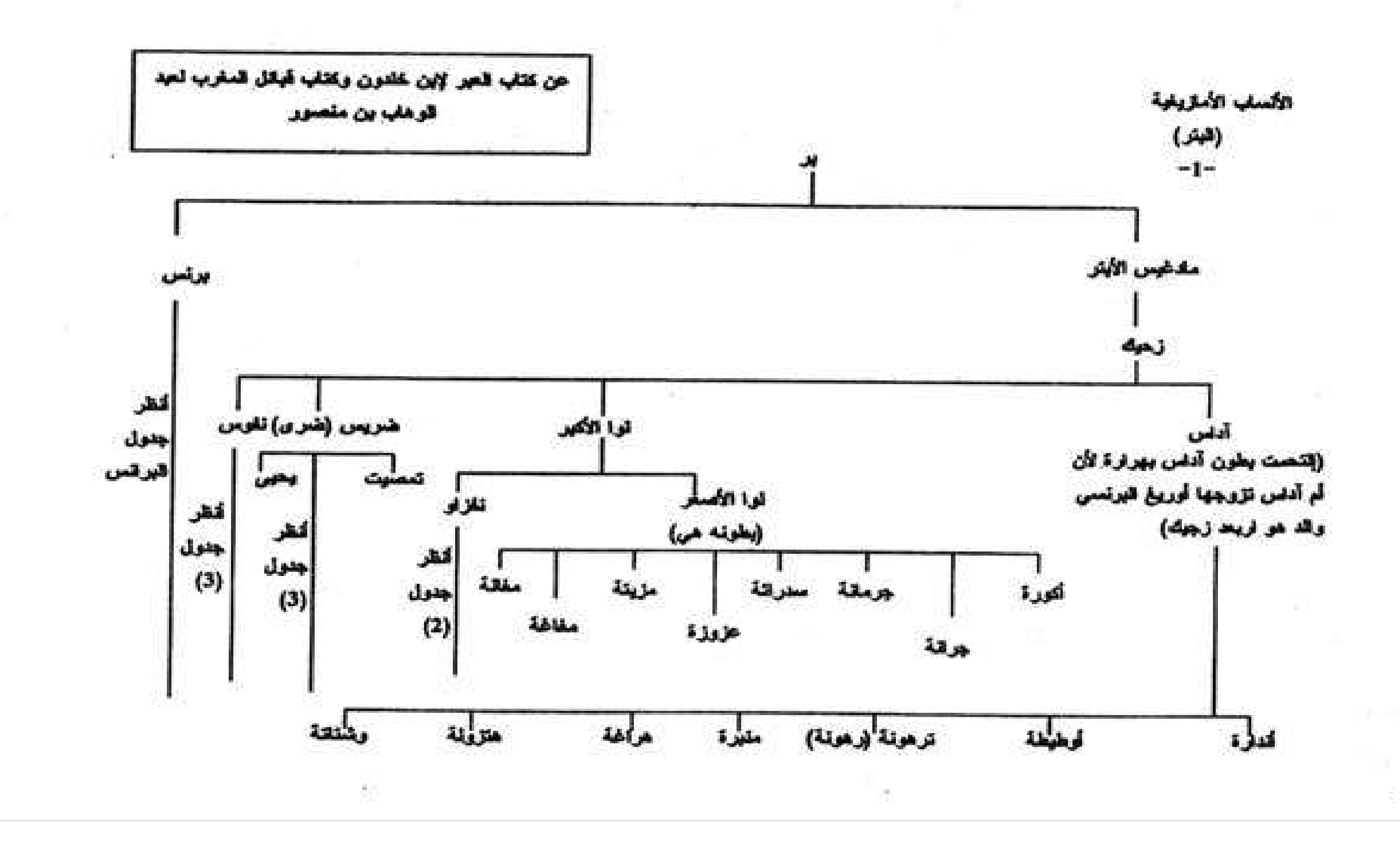
---

[1] تاريـــخ المغـــرب الكبيـــر، ج: 3، ص: 375.

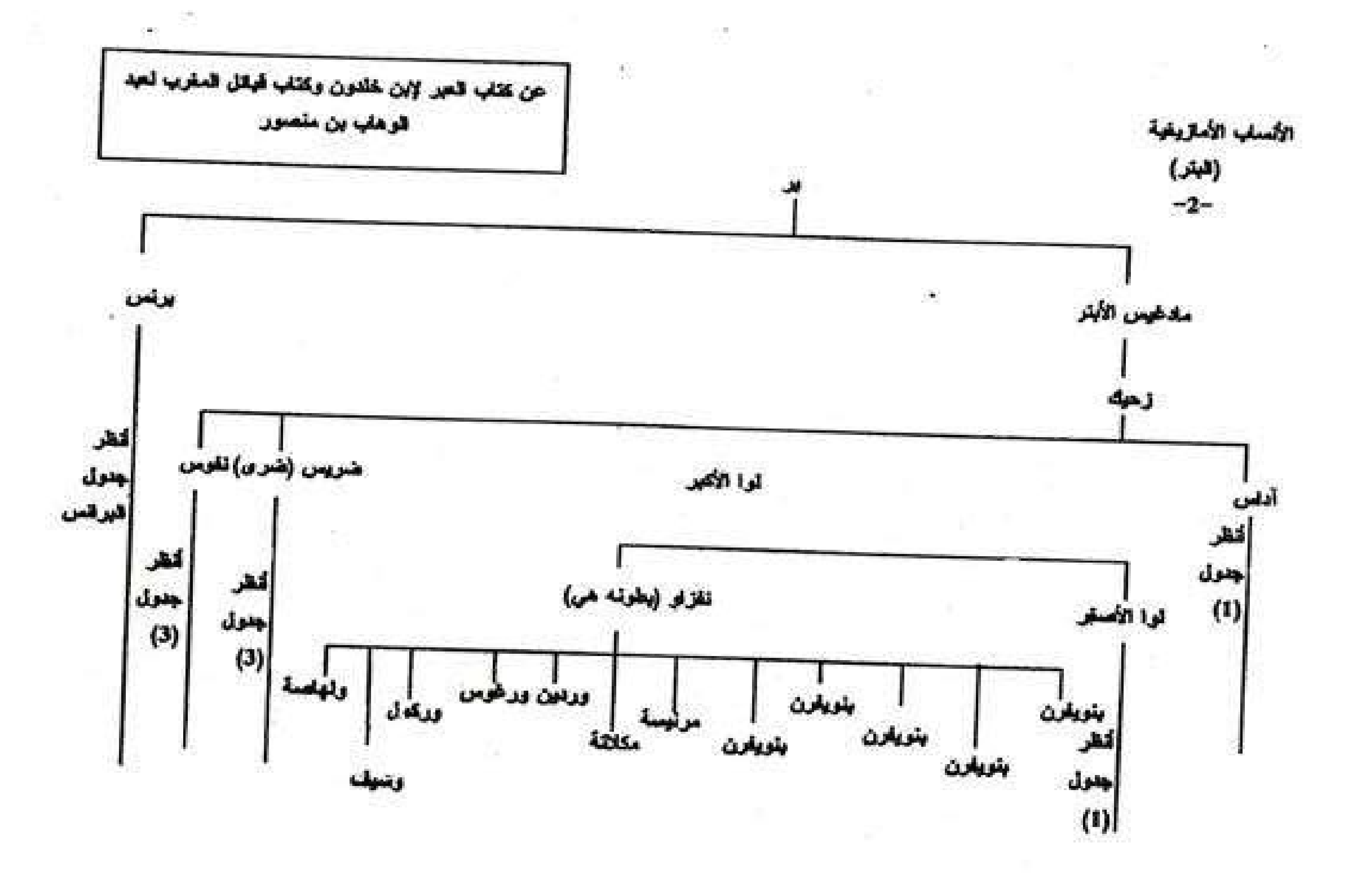
لوحات توضيحية



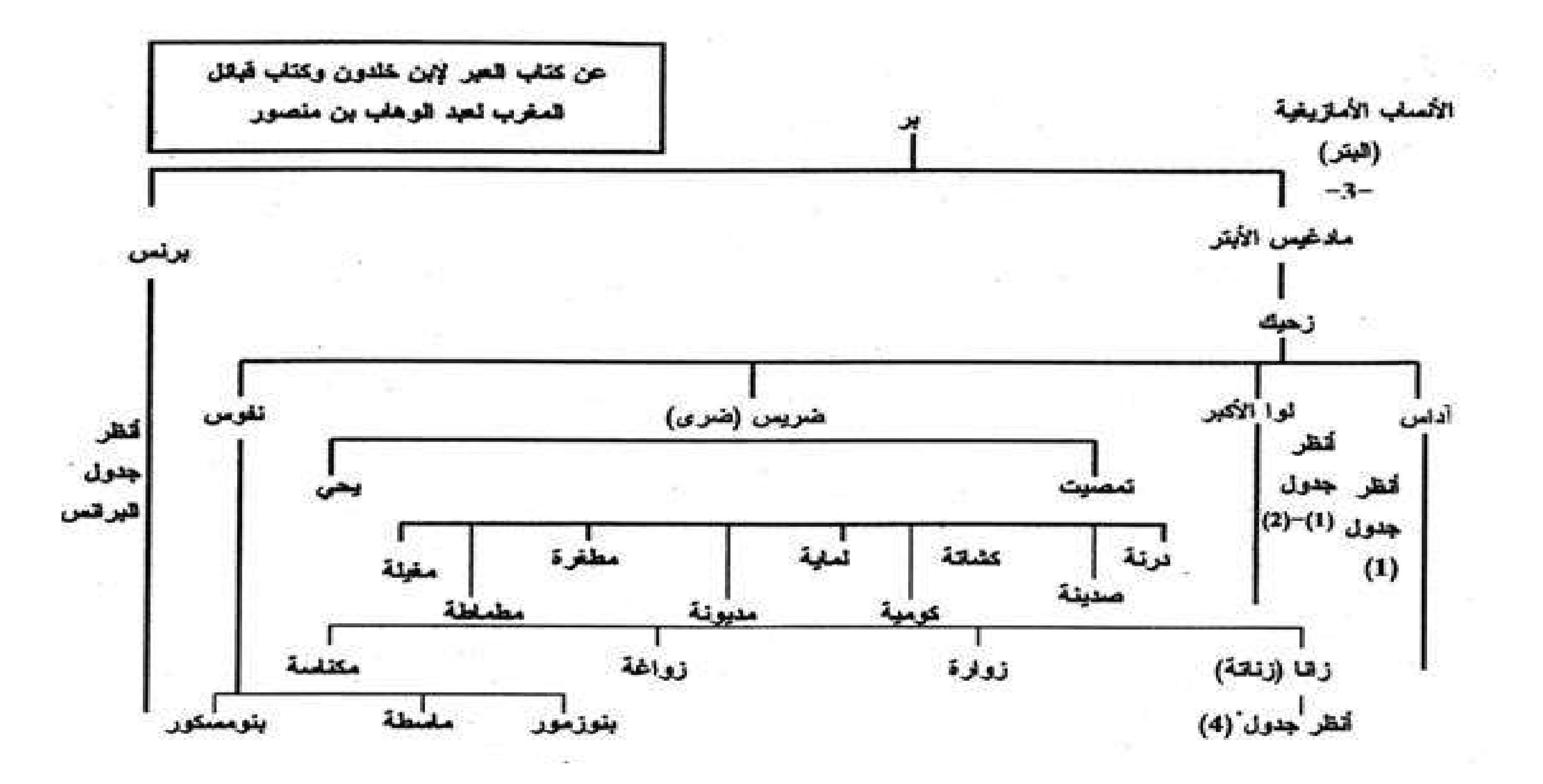
خريطة توضح مواطن أشهر القبائل
الأمازيغية قبل سقوط الدولة الموحدية



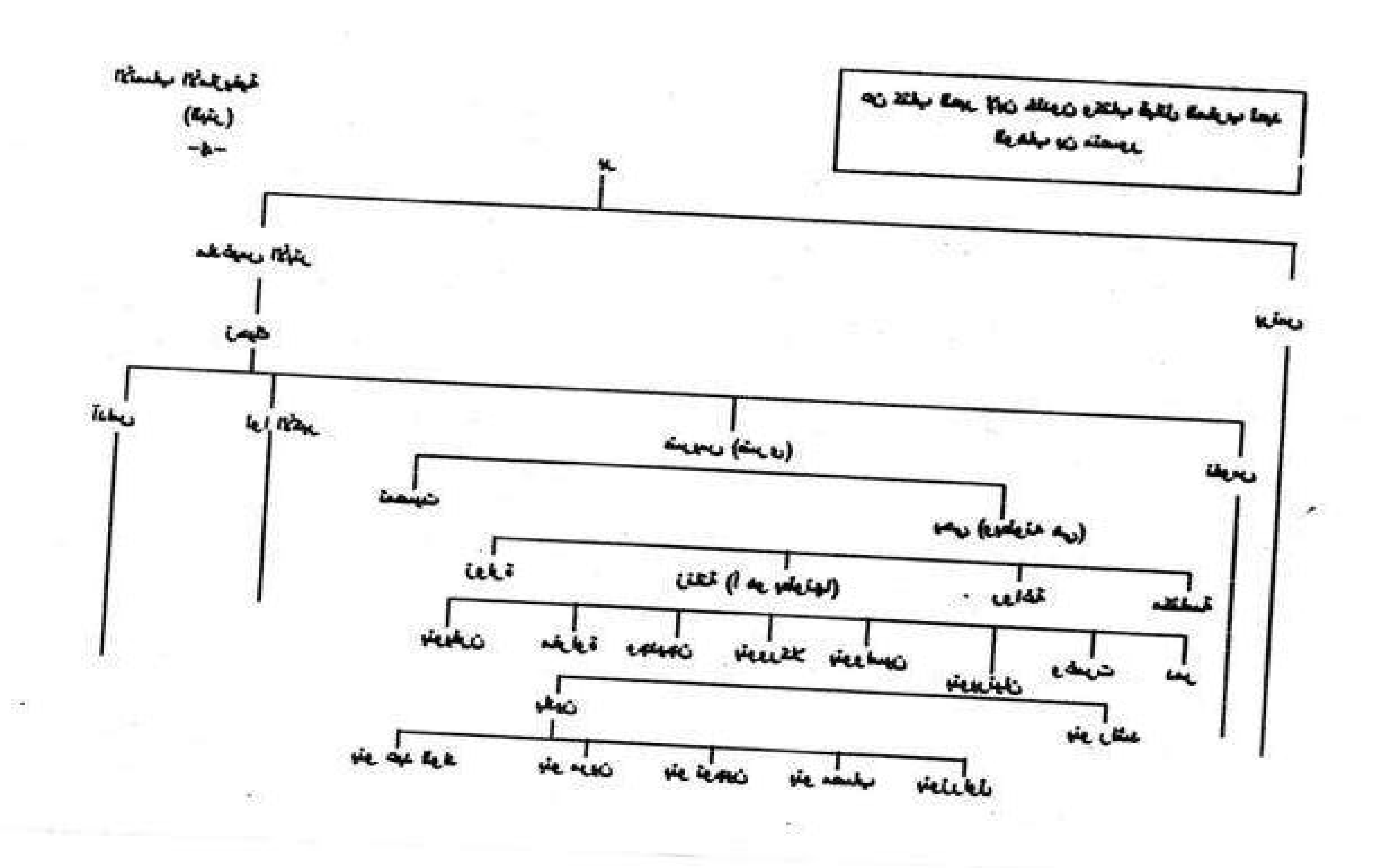
الأنساب الأمازيغية
(البتر)
-1-
عن كتاب العبر لإبن خلدون وكتاب قبائل المغرب لعبد الوهاب بن منصور
بر
مادغيس الأبتر
برنس
أنظر جدول البرانس
زحيك
آداس
(إندمجت بطون آداس بهوارة لأن أم آداس تزوجها أوريغ البرنسي والد هو أريغ زحيك)
لوا الأكبر
ضريس (ضرى) نفوس
تمصيت
يحيى
أنظر جدول (3)
أنظر جدول (3)
نفزاو
أنظر جدول (2)
لوا الأصغر
(بطونه هي)
مغاغة
مكناسة
مزيتة
عزوزة
سدراتة
جرمانة
جراوة
أكورة
وشتاتة
هنزونة
هراغة
مليلة
ترهونة (رهونة)
أوطيطة
كدالة



الأنساب الأمازيغية
(البتر)
-2-
عن كتاب العبر لإبن خلدون وكتاب قبائل المغرب لعبد الوهاب بن منصور
بر
مادغيس الأبتر
برنس
أنظر جدول البرانس
زحيك
آداس
أنظر جدول (1)
لوا الأكبر
ضريس (ضرى)
تفوس
أنظر جدول (3)
أنظر جدول (3)
لوا الأصغر
أنظر جدول (1)
نفزاو (بطونه هي)
بنويارن
بنويارن
بنويارن
بنويارن
بنويارن
مرنيسة
مكلاتة
ورتين ورغوس
ورگول
وتسيف
ولهاصة



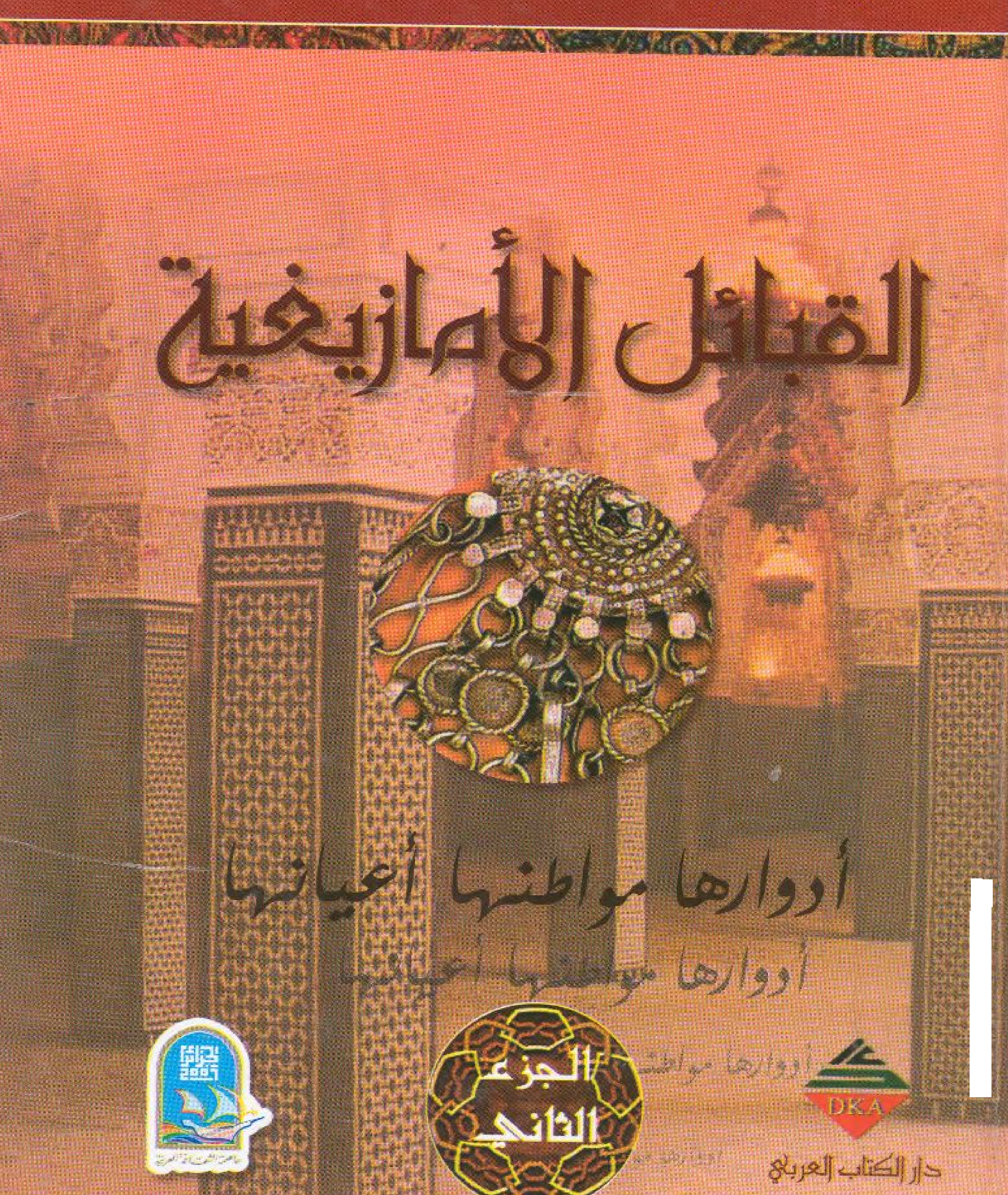
الأنساب الأمازيغية
(البتر)
-3-
عن كتاب العبر لإبن خلدون وكتاب قبائل المغرب لعبد الوهاب بن منصور
بر
مادغيس الأبتر
برنس
أنظر جدول البرانس
زحيك
آداس
أنظر جدول (1)
لوا الأكبر
أنظر جدول (1)-(2)
ضريس (ضرى)
نفوس
تمصيت
يحي
درنة
صدينة
كشانة
كومية
لماية
مديونة
مطغرة
مطماطة
مغيلة
زانا (زناتة)
أنظر جدول (4)
زوارة
زواغة
مكناسة
بنوزمور
ماسطة
بنومسكور



فهرس المحتويات

بوزياني الدراجي

سلسلة العصبية القبلية



القبائل الأمازيغية

أدوارها مواطنها أعيانها

الجزء الثاني

DKA

دار الكتاب العربي

دار الكتاب العربي
للطباعة، النشر، التوزيع والترجمة

حي العناصر عمارة 309 رقم 03. القبة. الجزائر
الهاتف/فاكس: 021 31.44.51
الجـوال: 070 91.77.73

تأليف: بوزياني الدراجي
تصميم الغلاف: لويزة الحسين
الإخراج الفني: فراس الجهماني

الإيداع القانوني: 153-2007
ردمـك: 978-9947-833-00-1

بوزياني الدراجي
القبائل الأمازيغية ج2، تصميم الغلاف لويزة الحسين، الإخراج الفني فراس الجهماني .- الجزائر: دار الكتاب العربي، 2007.- 263ص.، 23سم

بوزياني الدراجي

القبائل الأمازيغية

أدوارها - مواطنها - أعيانها

الجزء الثاني



دار الكتاب العربي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تم إصدار الجزء الأول الذي خصص لبحث الأصول الأولى لسكان بلاد المغرب، وتتبع أحوال أولئك السكان منذ العصور الحجرية الأولى؛ وحتى الفتح الإسلامي. وعليه فمن بين المواضيع التي بحثت في الجزء الأول:

- الجذور الأولى للمجتمع الأمازيغي.
- لغة الأمازيغ وآدابهم.
- الفنون لدى سكان بلاد المغرب قديما.
- النظام القبلي في هذه الديار.
- الهجرات.
- ثم دراسة نشاطات القبائل البترية في بلاد المغرب؛ وذلك من خلال التوسع في معالجة أخبارهم الاجتماعية والسياسية والثقافية؛ إذ تم التطرق للأدوار المختلفة التي لعبتها تلك القبائل، وتحديد مواطنها الأصلية والانتقالية؛ وبعدها توسع البحث في تعريف وترجمة أهم أعيان وأعلام تلك القبائل البترية؛ مع ذكر كل ما لهم من مواهب وقدرات ثقافية وسياسية وعسكرية. كما ذكرت عينات من مؤلفاتهم وإبداعاتهم الفكرية والدينية والأدبية.

هذا عن القبائل البترية التي شملها الجزء الأول من كتاب القبائل الأمازيغية. أما الجزء الثاني الذي نضعه أمام القارئ الكريم الآن؛ فيشمل كل ما له علاقة بالقبائل البرنسية. من خلال تتبع أحوالهم الاجتماعية والسياسية؛ وذلك عند الكلام عن نشاطاتهم الحثيثة؛ في سبيل إنشاء دول لهم في بلاد المغرب والأندلس.

بالإضافة إلى الإشارة لما حصل من أدوار عسكرية وسياسية كان قد قام بها أبناء تلك القبائل.

وكما جرى في الجزء الأول بالنسبة للقبائل البترية؛ فقد حددت – **أيضا** – المواطن الأصلية والانتقالية للقبائل البرنسية. بالإضافة إلى ذكر أعيان القبائل البرنسية؛ مع سرد مؤلفاتهم، والإشارة لما أنتجوه من إبداعات، وما أنجزوه من آداب وفنون وعلوم.

هذا وقد ألحقنا بالكتاب – **أيضا** – بعض اللوائح التوضيحية؛ التي تشير إلى شجرات الأنساب الخاصة بالقبائل البترية والقبائل البرنسية؛ بالإضافة إلى الخرائط التي توضح – **جغرافيا** – مواطن تلك القبائل في بلاد المغرب كلها.

وفي هذا السياق.. أنتهز الفرصة للتنويه بالعمل الجليل الذي قام به **مدير دار الكتاب العربي السيد محمد خير الجهماني** وولداه: **مهند وفراس** والرسامة **لويزة الحسين**؛ حينما سهروا بجدية على إصدار الجزء الأول من كتاب القبائل الأمازيغية في ذلك الثوب الأنيق المتقن؛ متمنيا أن يواصلوا جهودهم القيمة في سبيل إكمال ما بقي. وأنا على يقين من حبهم لعملهم، ومن حرصهم على إتقانه. كما أقدم شكري الجزيل للصحف الجزائرية التي لم تبخل بالإعلان عن صدور الكتاب وهي: **صوت الأحرار، الشعب، كواليس، الخبر، أخبار العاصمة والأصيل.**

الجزائر في 2000.05.05

بوزياني الدراجي

"

القبائل البرنسية

مرَّ اسم **برانس** بالظروف نفسها التي مر بها اسم **بتر**؛ حيث أصبحت يتردد بين الناس، وبين صفحات الكتب بعد الفتح الإسلامي. ولا يعرف ــ بيقين ــ إن كانت هاتان التسميتان من وضع المسلمين؛ أم هي من التسميات التي أطلقها الأمازيغ على أنفسهم، ثم ورثها المسلمون عنهم. غير أن بعضهم قد زعم بأن المسلمين هم الذين ابتكروا الاسمين؛ فأطلقوا اسم **بتر** على القبائل الأمازيغية التي يرتدي أبناؤها لباسا قصيرا؛ **مبتورا**. واسم **برانس** على أبناء القبائل الذين يرتدون اللباس المسمى **بالبرنوس**.

ومن جهة أخرى رأى بعض الباحثين أن البرانس هم القبائل الأمازيغية المدرية المتمدينة، والمستقرة بمدن، وقرى إفريقية، والمغربين؛ وعليه.. يصبح البتر هم أبناء القبائل الوبرية؛ ذات النجعة. وقد سبقت الإشارة إلى ذلك أثناء الحديث عن القبائل البترية. على أنه يستحسن

"

التذكيـــر بالظـــروف الـــتي كانـــت تحيـــط بقبائـــل برنسيـــة مثـــل: **لمتونـــة، ومسوفـــة، ولمطـــة، وهـــوارة...**الخ. وهي الـــتي تعـــد مـــن بيـــن القبائـــل الموغلـــة في البـــداوة، والـــتي تصنـــف ضمـــن القبائـــل الجمالـــة؛ ذات النجعـــة البعيـــدة في أعمـــاق الصحـــراء. وبالمقابـــل.. نـــرى بعـــض القبائـــل البترية قـــد اختـــارت حيـــاة المـــدر، والاستقـــرار في القـــرى، والمـــدن المتحضـــرة. مثـــل قبائـــل: **كوميـــة، ومطغـــرة، ونفوســـة، ومغيلـــة**..الخ. ومـــن هنـــا تتضـــح صعوبـــة الجـــزم بهـــذا الـــرأي الأخيـــر بســـبب تعـــذر تعميمـــه..

ومـــا يمكـــن إجمالـــه ــ هنـــا ــ هـــو أن البرانـــس فئـــة عظيمـــة مـــن الأمازيـــغ. وقـــد يكـــون هـــذا الاســـم مستمـــدا مـــن الكلمـــة اليونانيـــة Baranos **برانـــوس**؛ الـــتي تمـــت الإشـــارة إليهـــا مـــن قبـــل، أو يكـــون أخـــذ مـــن اســـم شخـــص معيـــن؛ تنتســـب إليـــه هـــذه الفئـــة مـــن الأمازيـــغ؛ الـــتي تضـــم عـــددا كبيـــرا مـــن القبائـــل العظيمـــة؛ وقـــد حصرهـــا ابـــن خلـــدون في عشـــر كتـــل؛ هي: **ازداجـــة، وأوربـــة، وأوريغـــة، وصنهاجـــة، وعجيســـة، وكتامـــة، وكزولـــة، ولمطـــة، ومصمـــودة، وهسكـــورة.**[1] وسنتكلـــم عـــن

---

[1] **ابـن حـزم؛ الجمهـرة، ص ص: 495 ــ 498. ابـن خلـدون؛ العبـر، مج: 6، ص ص: 177 ــ 178.**

"

هـــذه القبائـــل، أو الكتـــل القبليـــة في سيـــاق الموضـــوع؛ واحـــدة بعـــد أخـــرى.

É É É

1 ــ ازداجـــــة:

تعـــرف ــ كذلـــك ــ باســـم **وزداجـــة**. ولـــم تذكـــر المصـــادر المتوفـــرة اســـم أبيهـــم، أو سلسلـــة الآبـــاء الـــتي تصلهـــم ببرنـــس. ويـــرى بعضهـــم أن ازداجـــة، ووزداجـــة قبيلتـــان متباينتـــان؛ فالأولى تنتســـب إلى زناتـــة البتريـــة؛ بينمـــا تنتـــمي الثانيـــة إلى هـــوارة البرنسيـــة. وكانـــت ازداجـــة ــ في أول أمرهـــا ــ وافـــرة العـــدد، نافـــذة الشوكـــة، عزيـــزة الجانـــب. وسُجلـــت لأبنائهـــا صـــولات، وجـــولات، وفتـــن، وحـــروب؛ قلصـــت أعدادهـــم، وأفنـــت أبطالهـــم. وقـــد تمكنـــت **ازداجـــة** ــ بعصبيتهـــا المتناميـــة في عصرهـــا الذهـــبي ــ مـــن تشيـــد دولتهـــا في **نكـــور**؛ بعـــد الإطاحـــة بدولـــة بـــني صالـــح؛ ولكنهـــا لـــم تـــدم طويـــلا؛ إذ أسقطتهـــا ــ هي بدورهـــا ــ جيـــوش لمتونـــة؛ سنـــة 460هـــ/1067م؛ كمـــا التهمـــت غيرهـــا مـــن الـــدول.

ومن بطون ازداجة التي ذكرها النسابون: **مسطاسة، ومسكن.** غير أنهم اختلفوا بخصوص مسطاسة؛ إذ يرى بعضهم أن بني مسطاسة ليسوا من بطون ازداجة؛ وإن كانوا مندرجين معهم؛ بحكم الأخوة. أما بنو مسكن فكانت مواقفهم مذبذبة؛ حينما يتعلق الأمر بالولاء للدولة. وبحكم وجودهم بجوار مدينة وهران؛ فقد اشتدت الضغوط عليهم؛ من طرف الطامعين في الاستيلاء على تلك المدينة الهامة. هذا.. وقد انتهى الحال **بازداجة** إلى الشتات، والاندثار؛ بعد أن عانى أبناؤها الذل، والهوان؛ في ظل الدول القوية؛ التي فرضت عليهم الضرائب، والغرامات.[1] ومع ذلك فقد تمكن قبيل أزداجة من إقامة دولة لهم بنكور؛ بعد انتزاعها من بني صالح؛ وذلك عام 410هـ/1019م.

! ! !

---

[1] ـ العبر، مج: 6، ص ص: 293 ـــ 295. 444. ابن الخطيب أعمال الأعلام، القسم الثالث، ص: 179. دور كتامة، ص ص: 68 ـــ 69.

"

ــ ***أعيانهــم:*** مــن العلمــاء المعدوديــن في أزداجــة:
ــ **أبــو عــلي المنصــور الزمــوري المسطــاسي** (تــوفي بآزمــور سنــة 540هــ/1145م)؛ وهــو مــن الشيــوخ الصالحيــن. وكــان قــد تلــقى علومــه بقرطبــة.
ــ ثــم حفيــده الشيــخ **أبــو يعقــوب يوســف المسطــاسي.**

أمــا زعماؤهــم وأعيانهــم المذكوريــن؛ فمنهــم:
ــ **شجــرة بــن عبــد الكريــم المسطــاسي**؛ هكــذا سمــاه ابــن خلــدون؛ أمــا صاحــب مفاخــر البربــر فسمــاه **شجــرة بــن عبــد اللــه** (هاجــر إلى الأندلــس في أوائــل القــرن الرابــع للهجــرة).
ــ ثــم **أبــو عبــد اللــه محمــد بــن عبــد اللــه ابــن أبي دليــم بــن خطــاب** (تــوفي بقرطبــة سنــة 338هــ). هاجــر ــ هــو الآخــر ــ إلى الأندلــس مــن ساحــل تلمســان؛ وكــان لــه خلــف صالــح في تلــك الديــار؛ منهــم الفقهــاء؛ الذيــن تركــوا أثــرا محمــودا. أشــار إليهــم ابــن خلــدون بقولــه: **((وكــان لبنيــه بهــا ذكــر، وفي فقهــاء قرطبــة مكــان)).**[1] كمــا أشــار إليهــم أيضــا ابــن حــزم في الجمهــرة.

---

[1] **العبــر، مج: 6، ص ص: 294.**

"

ـ ثم **خزرون بن محمد الأزداجي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة)؛ وهو أحد النازحين؛ من زعماء أزداجة إلى الأندلس؛ بعد نكبة قبيلة أزداجة، واستلحام أبنائها؛ من طرف يعلى ابن محمد اليفرني سنه 343هـ.
وباستقرار خزرون هذا في تلك الديار أصبح من الأصدقاء المقربين للمنصور بن أبي عامر، وولده المظفر.

ooo

أما أمراء دولة أزداجة فهم:
ـ **يعلى بن الفتوح الأزداجي** (ت: سنة 423هـ/1031م)؛ وهو مؤسس الدولة الأزداجية بنكور. قال عنه ابن الخطيب: **((واستولى عليها** [أي نكور] **يعلى بن الفتوح الأزداجي؛ مستظهرا بوفور قبيله من أزداجة؛ فبايعته قبائل البربر، وقتل من بقي بنكور من أولاد صالح، وجرثم** [بن عبد السميع] ، **ونفى قوما منهم)).**[1]

---

[1] أعمال الأعلام، ق: 3، ص: 179.

"

ــ ثــم ولــده **يوســف بــن يعــلى بــن الفتــوح الازداجي** (ت: ســنــة 431هــ/1039م).

ــ ثــم **عــز بــن يوســف بــن يعــلى الأزداجي** (ت: ســنــة 460هــ/1067م)؛ وفي عهــده زحفــت جيــوش المرابطيــن إلى نكــور؛ حيــث أطاحــت بدولــة أزداجــة القائمــة فيهــا، وقتلــوا هــذا الأمــير؛ وهــو آخــر أمرائهــا؛ وتــم ذلــك في السنــة المذكــورة.

***

ــ ***مواطنهــم:*** لــم يذكــر ابــن خلــدون مــن مواطــن ازداجــة؛ ســوى **نــواحي وهــران.** ويمكــن ــ هنــا ــ إضافــة **نكــور** الــتي أضحــت حاضــرة لدولتهــم. أمــا عبــد الوهــاب بــن منصــور فلــم يضــف شيئــا جديــدا عمــا ذكــره ابــن خلــدون؛ بينمــا أضــاف لقبــال بعــض المعلومــات الــتي استقاهــا مــن: المغــرب، والاستبصــار، والبلــدان، وتحفــة الزائــر. ومفادهــا وجــود مراكــز عديــدة لأحيــاء ازداجــة غيــر وهــران هي: بلــدة **تانسالمــت**؛ بجبــل كيــدر القريــب مــن وهــران، **وســوق عبيــدون بــن ســنــان** الأزداجي، **وقصــر ابــن ســنــان** المذكــور، وبعــض **القــرى** المنتشــرة ضمــن **حــوض وادي سبــو،**

"

ومضارب لمسطاسة متواجدة **بين سبتة وفاس**، **وحصن مسطاسة** الرابض **ببلاد غمارة.**

É É É

2 ـ أوربة:

وهم من أبناء **أورب بن برنس.** كانوا ـ أيام الفتح الإسلامي ـ من أوفر القبائل الأمازيغية عددا. ويقال أن أكبر القبائل البرنسية ـ آنئذ ـ هي: **أوربة، وصنهاجة، وهوارة**؛ بينما كان التقدم فيهم **لأوربة**؛ نظرا لتفوقهم في العدد، والقوة، وشدة البأس. وتفرعت عنهم بطون عديدة؛ أهمها: **دقيوسة، ورغيوة، وزهجوكة، وسطة،** و**لجاية، مزياتة، ونفاسة، ونيجة.**

وقد حدث بعض التصحيف في أسماء هذه الأحياء؛ فقام عبد الوهاب بن منصور بتصحيحها، والتعليق عليها؛ واحدة بعد أخرى. فبخصوص **رغيوة** ـ التي ورد اسمها في العبر هكذا ـ قال ابن منصور أن بقية منها موجودة ـ في الوقت الحاضر، ـ وبالاسم نفسه ـ في شمال إقليم فاس. كما توجد فئة من رغيوة مندرجة ضمن قبيلة **التلاغمة** (دوار راس سكين) بالمغرب الأوسط. أما **زهجوكة**؛ فقد

"

كتبت في العبر زهكوجة؛ بينما تكلم البكري عن مدينة سماها زهجوكة؛ وقال أنها كانت مقرا للأمير إبراهيم بن محمد وبنيه (من أمراء الأدارسة). وقال ابن منصور أنها حرفت الآن؛ وأصبحت تسمى **جهجوكة**؛ ثم قال أن زهجوكة اسم قبيلة مشهورة بين **قبائل جبالة**؛ عرفت بالرقص، والطرب. أما **لجاية** فقد وردت مصحفة في العبر؛ إذ كتبت باسم بجاية؛ بينما تنتسب بجاية إلى صنهاجة؛ لا إلى أوربة. وعليه.. فقد قام ابن منصور بتصحيح الخطأ، وقال أن **لجاية** موجودة الآن بقرب وادي ورغة؛ المتواجد شمال إقليم فاس. أما **مزياتة** فيقول أنها موجودة ــ الآن كذلك ــ بجانب وادي ورغة؛ وهي معروفة باسم **مزيات**.[1] أما **نفاسة**، **ونيجة**؛ فلا يعرف عنهما شيئا حتى الآن.

وعلى الرغم من قوة **أوربة**، وتأثيرها على القبائل الأمازيغية؛ أثناء الفتح، وبعده؛ فإنها ــ حسبما يبدو ــ عجزت عن تشييد دولة بمعنى الكلمة؛ حيث وقفت طموحات أبنائها في حدود **الرئاسة**، **والمشيخة**. وحتى السنوات الخمس، أو الثلاث التي قضاها شيخهم

---

[1] أنظر العبر، مج: 6، ص ص: 296 ـــ 300. وقبائل المغرب، ج: 1، ص ص: 313 ـــ 314. ودور كتامة، ص ص: 72 ـــ 74.

"

كَسيلة؛ على رأس السلطة في القيروان؛ لا يمكن اعتبارها فترة من عمر الدولة الأوربية؛ لأنها كانت فترة مشتركة؛ بين القبائل الأمازيغية الثائرة كلها. كما كانت فترة انتظار، وتربص حربية؛ لا غير. وقد انتهى الأمر بأوربة ــ بعد هزيمة الأحلاف الأمازيغية ــ إلى التشتت، والاضمحلال. ومع هذا ظهرت طائفة منهم في المغرب الأقصى؛ كان لها دور هام في تأسيس دولة الأدارسة.

! ! !

ــ ***أعيانهم:*** أنجبت أوربة عددا كبيرا من الأعلام الذين تركوا أثرا محمودا في تاريخ المغرب الإسلامي؛ نبدأ منهم بأصحاب القلم؛ من العلماء، والأدباء؛ ثم نتبعهم بأصحاب السياسة، والسلطان؛ فمن علمائهم:

ــ **عيشون بن إسحاق بن عيشون الأستجي السطي** (ت: سنة 353هـ/964م) وهو من علماء الحديث.

ــ ثم ولده **أبو ثابت فرح بن عيشون بن إسحاق بن عيشون الأستجي السطي** (ت: سنة 389هـ/998م)؛ وهو من أهل الصلاح؛ كان محدثا وإماما بمسجد أستجة بالأندلس.

"

ـ ثم **منذر بن عياش الأوربي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع)؛ كان قد ولي القضاء؛ في عهد عبد الرحمن الناصر.

ـ ثم **أبو موسى عيسى بن حماد بن محمد الأوربي**؛ قال عنه يحيى بن خلدون: **((روى بالأندلس عن أبي علي الصدفي؛ وكان من أهل الضبط، والإتقان، والزهد، والدين المتين)).**[1]

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن سليمان بن علي السطي** (توفي غريقا سنة 750هـ)؛ وذلك أثناء عودته مع السلطان أبي الحسن المريني من تونس؛ بعد نكبة القيروان. وترجم له عبد الرحمن بن خلدون في (التعريف) بقوله: **((وأما السطي واسمه محمد بن سليمان؛ من قبيلة سطة؛ من بطون أوربة بنواحي فاس. نزل أبوه سليمان مدينة فاس؛ ونشأ محمد بها... وكان أحفظ الناس لمذهب مالك، وأفقههم فيه؛ وكان السلطان أبو الحسن ـ لدينه، وسراوته، وبعد شأوه في الفضل ـ يتشوف إلى تنويه مجلسه بالعلماء؛ واختار منهم جماعة لصحابته، ومجالسته؛ كان منهم هذا الإمام**

---

[1] بغية الرواد، ج: 1، ص: 25.

"

محمــــد بـــن سليمـــان؛ وقـــدم علينـــا بتونـــس في جملتـــه، وشهدنـــا وفـــور فضائلـــه؛ وكـــان في الفقـــه مـــن بينهـــا لا يجـــارى؛ حفظـــا، وفهمـــا... وحضـــر مـــع السلطـــان أبي الحســـن واقعـــة القيـــروان، وخلـــص معـــه إلى تونـــس... ثـــم ركـــب [السلطـــان] أبـــو الحســـن في أساطيلـــه مـــن تونـــس آخـــر سنـــة خمسيـــن [وسبعمائـــة] **ومـــر ببجايـــة؛ فأدركـــه الغـــرق في سواحلهـــا؛ فغرقـــت أساطيلـــه، وغـــرق أهلـــهُ؛ وأكثـــرُ مـــن كـــان معـــه مـــن هـــؤلاء الفضـــلاء وغيرهـــم)).**[1]

ــ ثـــم **أحمـــد بـــن حاتـــم الســـطي** (ولـــد في سنـــة 851هـــ/1447م)؛ وهـــو مـــن علمـــاء تلمســـان؛ هاجـــر إلى القاهـــر؛ واستقـــر بهـــا.

ooo

ومـــن أشهـــر أعيـــان أوربـــة، ورؤسائهـــا المعرفيـــن:

ــ سكرديـــد بـــن زوغي بـــن بـــارزت بـــن بارزيـــات الأوربي (ت: سنـــة 71هـــ/690م)؛ قـــال ابـــن خلـــدون: **((ولي عليهـــم** [أوربـــة] **مـــدة ثـــلاث وسبعيـــن سنـــة، وأدرك الفتـــح الإســـلامي، ومـــات سنـــة إحـــدى**

---

[1] التعريـــف بابـــن خلـــدون، ص ص: 31ـــ32.

"

وسبعين، وولي عليهم بعده كَسيلة بن لزم الأوربي؛ فكان أميراً على البرانس كلهم.)).[1]

ومن هذا القول يتضح بأنه مات بعد **كسيلة**؛ وفي هذه الحال؛ يكون كسيلة مجرد قائد عسكري لأوربة، والبرانس.

ــ ثم **كَسيلة بن لزم الأوربي** (ت: سنة 67هــ/686م)؛ وكانت له مواقف مشهورة مع الفاتحين العرب؛ ذلك أنه اعترض طريق أبي المهاجر؛ في زحفه نحو غرب البلاد؛ في جهات تلمسان؛ فتمكن أبو المهاجر من أسره سنة 55هــ؛ فعرض عليه الإسلام؛ فاستجاب له، وصحبه في غزواته، وتمتنت العلاقة بينهما. ولما ولي عقبة على جيوش المسلمين؛ أساء معاملة كسيلة؛ فثار لكرامته، وانتهت ثورته تلك بقتل عقبة، وتغلب كسيلة بجيوشه الثائرة على القيروان لفترة؛ ربما تكون دامت خمس سنوات، أو ثلاث سنوات.

ــ ثم **إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي** (ت: سنة 192هــ/807م)؛ هو الذي ناصر إدريس الأول، وساعده على إقامة دولته في أوليلى؛ مركز قبيلة أوربة. ولكنه قتل بأمر

---

[1] العبر، مج: 6، ص ص: 296 ــــ 297.

من ولده إدريس الثاني؛ بعد اتهامه بالتآمر عليه.

ومن أوربة ــ كذلك ــ رجال مذكورين، وقادة للجيوش ظهروا في الأندلس؛ مثل:

ــ **صبرون بن شبيب الأوربي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة)؛ ــ ولي في عهد عبد الرحمن الناصر ــ بعض الولايات ببلاد الأندلس.

ــ ثم ولده **وكيل بن صبرون الأوربي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة)؛ ولاه ــ هو الآخر ــ عبد الرحمن الناصر بعض الولايات كأبيه.

ــ ثم **صيدون بن وكيل الأوربي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة)؛ كان بدوره قائدا من قادة الجيش؛ في عهد عبد الرحمن الناصر.

***

ــ *مواطنهم:* لم يذكر ابن خلدون ــ هذه المرة كما هي عادته ــ مواطن أوربة الأولى. ولكنه أشار إلى مستقرهم الأخير؛ في **أوليلي**؛ حينما تكلم عن لجوء إدريس إليهم؛ في تلك المدينة بالمغرب الأقصى. وإن كان قد ذكر ــ

"

عرضا ـ بأن زعيمهم كَسيلة قد تصدى ـ في أول الأمر ـ لأبي المهاجر في جهات تلمسان. وذكر موسى لقبال ـ نقلا عن المالكي، والدباغ ـ بأنهم متفرقون بين **أوراس** بالمغرب الأوسط، **والريف** بالمغرب الأقصى. أما دبوز فقال أن مواطنهم تتواجد انطلاقا **من شمال تاهرت إلى وهران،** وفي **غرب فاس؛** ومنها **سقومة** قلعة أوربة، ومدينة **أوليلي.** على أنه لم يذكر المصدر الذي استقى منه هذه المعلومات. ومن المعلومات التي ذكرها ابن منصور؛ يمكننا استنتاج بعض المواطن المتبقية لأبناء أوربة إلى الآن. وهذه المواطن موزعة بين الجزائر، والمغرب الأقصى؛ مثل ناحية **تازة؛** التي تتواجد بها إلى الآن جماعة تسمى **وربة. وتلاغمة، والقصر الكبير،** ووادي **ورغة.**[1]

É É É

[1] أنظر العبر، مج: 6، ص ص: 297. 300. وقبائل المغرب، ج: 1، ص ص: 313 ـ 314. وتاريخ المغرب الكبير، ج: 2، ص: 37. المغرب الإسلامي، ص: 38. ودور كتامة، ص ص: 72 ـ 74.

"

3 ـ *أوريغة:*[1]

وهم أبناء **أوريغ بن برنس**؛ الذي خلف أربعة من الأبناء؛ هم: **قلدن، ومغر، وملد، وهوار.** وتفرعت عن هؤلاء الأبناء بطون كثيرة. فمن بطون **قلدن: بيانة، وفل، وقمصانة، وورسطيف.** ومن **مغر: زمور، وكبا، وكركودة، ومـاواس، ومنداسة، وسراي أو** (مسرات)، **وورجين.** ومن بطون **ملد: أسيل، سطات** أو (سطط)، **ومليلة، ومسراتة، ونيفن، وورفل**؛ وهؤلاء جميعهم من أبناء لهان ابن ملد. أما بطون **هوار** فهم كثيرون؛ وقد التحقت بهم بطون أخرى من اخوتهم؛ أبناء أوريغ، ومن أقاربهم **البتر**؛ مثل أبناء أداس بن زحيك بن مادغيس الأبتر؛ بعد أن تزوج أوريغ أم أداس المسماة تصكي العرجاء. وأهم بطون هوارة هي: **زكارة، ومجريس، ومسلاتة، وغريان، وورغة، وبنو كسي، ولشوة، وهكارة** أو (هقارة)، **وهيوارة، وورتاكط.** وقد اختار بعضهم حياة الاستقرار، وسكنى المدر؛ بينما فضل آخرون حياة البدو، والتجوال في قفار

---

[1] **العبر، مج: 6، ص ص: 282 ـــ 291. قبائل المغرب، ج: 1، ص ص: 314 ـــ 318. دور كتامة، ص ص: 74 ـــ 79.**

إفريقية، والمغرب الأوسط. وقد لعبت هوارة أدوارا هامة في الثورات التي اشتعلت بربوع المغرب مثل: ثورات الإباضية على ولاة القيروان، وثورة أبي يزيد على الدولة الفاطمية. وانتهى بهم الحال؛ بعد مقتل أبي يزيد إلى الشتات، والضياع؛ بسبب حملات الانتقام، والتصفيات التي سلطت عليهم؛ من طرف الدولة الفاطمية.

ومع مرور الزمن.. أضحت بقاياهم في عداد القبائل الغارمة. وفي عهد ابن خلدون كانوا منتشرين في ربوع إفريقية، والمغرب الأوسط؛ منهم المنتجعون في القفار، ومنهم المستقرون بالأرياف. وذكر ابن خلدون بعض أسماء أفخاذهم؛ في تلك الفترة الزمنية؛ مثل: **المثالينة، وقيصرون، ونصورة، وترهونة، وورقلة** (وهم غير واركلا)، **ومجريس، ومسراتة**. ويقول أنهم اختلطوا بعرب سليم، وهلال؛ واندمجوا معهم؛ حتى أصبح من الصعب التفريق بينهم في الزي، واللغة، أو أسلوب العيش. وأضحوا يعمرون ضواحي إفريقية، ويملكون الشاء، والبقر، ويمتطون الخيل. أما علاقتهم بالدولة ـــ آنئذ ـــ فيمكن حصرها في إعطاء الجباية للدولة، وتقديم حصة من المقاتلين؛ المفروضة عليهم

"

مـــن طـــرف السلطـــان. عـــلى أنـــه كـــان لرؤسائهـــم كلمـــة مسموعـــة؛ في بـــلاط الدولـــة؛ كمـــا كـــان الحـــال بالنسبـــة لبقيـــة رؤســـاء القبائـــل البدويـــة الأخـــرى.

! ! !

ــ ***أعيانهـــم:*** منحـــت هـــوارة للمغـــرب الإســـلامي ــ كغيرهـــا مـــن قبائـــل هـــذه الديـــار ــ علمـــاء، وقـــادة، وزعمـــاء؛ فمـــن بيـــن أهـــل العلـــم:

ــ **أبـــو مـــوسى عبـــد الرحمـــن بـــن مـــوسى الهـــواري** (مـــن أعـــلام النصـــف الثـــاني مـــن القـــرن الثـــاني للهجـــرة)؛ مـــن أهـــل إستجـــة؛ قـــال فيـــه ابـــن الفـــرضي: **((رحـــل في أول خلافـــة الإمـــام عبـــد الرحمـــن بـــن معاويـــة، فلـــقي مالـــك بـــن أنـــس، وسفيـــان بـــن عيينـــة، ونظراءهمـــا مـــن الأئمـــة. ولـــقي الأصمـــعي، وأبـــا زيـــد الأنصـــاري، وغيرهمـــا مـــن رواة الغريـــب. ودَاخَـــلَ العـــربَ، وتـــردد في محالهـــا. وقـــدم الأندلـــس؛ صـــادرا مـــن سفـــره؛ فعطـــب ببحـــر تُدْميـــر؛ فذهبـــت كتبـــه؛ ولمـــا قـــدم إستجـــة؛ أتـــاه أهلهـــا يهنئونـــه بقدومـــه، ويعزونـــه عـــن ذهـــاب كتبـــه؛ فقـــال لهـــم: "ذهـــب الخـــرج، وبـــقي الـــدَّرج". ويعـــني مـــا في صـــدره. وكـــان فصيحـــا ضربـــا مـــن الأعـــراب، وكـــان حافظـــا**

"

للفقـــه، والتفسيـــر، والقـــراءات؛ لـــه كتـــاب في تفسيـــر القـــرآن قـــد رأيـــت بعضـــه... وقـــال ابـــن حـــارث أن أبـــا مـــوسى استقـــضيَ عـــلى إستجـــة أيـــام الأميـــر عبـــد الرحمـــن بـــن الحكـــم)).[1]

ـــ ثـــم **أبـــو سليمـــان عبـــد الســـلام بـــن السمـــح ابـــن نابـــل بـــن عبـــد اللـــه بـــن يحيـــون بـــن حـــارث بـــن عبـــد اللـــه بـــن عبـــد العزيـــز الهـــواري** (ت: سنـــة 307هـــ/919م)؛ مـــن مواطـــني مـــورور بالأندلـــس؛ جـــال في بـــلاد المشـــرق؛ وسكـــن مـــدة باليمـــن؛ وتفقـــه بمصـــر للشافـــعي، حافظـــا لمذهبـــه. وكـــان يمتـــاز بالخـــط الحســـن.

ـــ ثـــم **أبـــو جعفـــر أحمـــد بـــن نصـــر بـــن زيـــاد الهـــواري** (ت: سنـــة 317 أو 319هـــ/929 أو 931م)؛ وهـــو مـــن فقهـــاء المالكيـــة المتمكنيـــن، والمبرزيـــن؛ كـــان ملمـــا بعلـــم الفرائـــض؛ قـــال ابـــن فرحـــون أنـــه قليـــل الكتـــب؛ علمـــه في صـــدره.

---

[1] تاريـــخ علمـــاء الأندلـــس، ج: 1، ص ص: 257 ـــ 259.

"

ـ ثم أبو بكر يحيى بن خلفون الهواري المؤدب (ت: سنة 347هـ/958م)؛ قال عنه المالكي: **((كان من أقرأ أهل زمانه. وكان فاضلا)).** ومن خلال ما ذكره المالكي؛ يفهم أنه كان حاد الطبع، سريع الانفعال؛ كما عرف بعداوته الشديدة للمذهب الفاطمي الشيعي.

ـ ثم أبو الحسن علي بن سعيد بن أحمد الفاسي الهواري (كان حيا سنة 399هـ/1008م)؛ فقيه، وراوية.

ـ ثم أبو عبد الله محمد بن سفيان الهواري (توفي بالمدينة المنورة سنة 415هـ/1024م)؛ وهو من المشتغلين بعلوم القرآن؛ وله كتاب الهادي في القراءات، وغيره.

ـ ثم أبو تمام غالب بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن نُهَيْك الأشوني الهواري (ت: سنة 440هـ/1048م)؛ كان من العلماء المهتمين بعلم الحساب.

ـ ثم أبو مسلم مؤمن بن فرج الطرابلسي الهواري (ت: سنة 442هـ/1050م)؛ وهو من أفاضل الفقهاء بطرابلس.

"

ـــ ثـــم **أبـــو محمـــد عبـــد اللـــه بـــن أحمـــد بـــن الحـــاج الهـــواري** يعـــرف بابـــن حِفـَـاظٍ (مـــن أعيـــان النصـــف الثـــاني مـــن القـــرن الخامـــس للهجـــرة)؛ وهـــو مـــن أهـــل جزيـــرة شقـــر؛ كمـــا أنـــه ممـــن لازم أبـــا سليمـــان البـــاجي، وتفقـــه عنـــده؛ وكـــان يميـــل إلى مذهبـــه؛ القائـــل بجـــواز مباشـــرة النـــبي صـــلى اللـــه عليـــه وسلـــم الكتابـــة بيـــده. ولكنـــه تخـــلى عـــن هـــذا الاعتقـــاد؛ معلنـــا توبتـــه؛ بعـــد أن شاهـــد حلمـــا أفزعـــه. وحكايتـــه وردت في الغنيـــة، والتكملـــة، ونفـــح الطيـــب.

ـــ ثـــم **أبـــو الطيـــب عبـــد المنعـــم بـــن مـــنَّ اللـــه ابـــن أبي بحـــر القيـــرواني الهـــواري** (ت: سنـــة 493هـــ/1099م)؛ كـــان أديبـــا، وشاعـــرا.

ـــ ثـــم **ذو الرئاستيـــن حســـام الدولـــة أبـــو مـــروان عبـــد الملـــك بـــن رزيـــن بـــن هذيـــل بـــن خلـــف ابـــن لـــُب بـــن رزيـــن الهـــواري** (ت: سنـــة 496هـــ/1102م)؛ اكتفـــت بعـــض المصـــادر بتلقيبـــه بالبربـــري لا غيـــر؛ بينمـــا ينســـب ابـــن حـــزم ـــ في الجمهـــرة ـــ بـــني رزيـــن؛ أمـــراء السَّهْلـــة بالأندلـــس إلى هـــوارة. وكـــان بنـــو رزيـــن هـــؤلاء يستوطنـــون السهلـــة الـــتي تمتـــد بيـــن الثغريـــن: الأعـــلى، والأدنى؛ ثـــم اقتطعوهـــا لأنفسهـــم، واستبـــدوا بهـــا أيـــام

"

جدهم هذيل بن خلف؛ منتهزين فرصة الاضطرابات؛ التي حدثت في أواخر الدولة الأموية. وإذا كان هذيل لا يجيد سوى مهنة القتال، ولغة السلاح؛ فقد نبغ في ذريته ذو الرئاستين أبو مروان عبد الملك؛ الذي أشاد بمناقبه الأدباء، والمؤرخون. فمما قاله فيه الفتح ابن خاقان: **((ورث الرياسة من ملوك عَضَدوا مُؤازِرَهم، وشدوا دون النساء مآزِرَهم، ولم يتوشحوا إلا بالحمائل، ولا جنحوا لِلباس إلا في أعنة الصبا والشمائل، وركبوا الصعاب فذللوها، وابتغوا سببا للنجوم حتى انتعلوها، وملكوا الملك بأيد، وعقلوه من النخوة بقيد؛ وكان ذو الرياستين منتهى فخارهم، وقطب مدارهم؛ شيد بناءهم، وقيد غناءهم؛ رجلا اتخذته البسالة قلبا، وضمت عليه شغافا وخلبا؛ لا يعرف جبنا ولا خوار، ولا يتلو غير سور الندى سورا؛ وكانت دولته موقف البيان، ومقذف الأعيان... وله نظم ونثر ما قصر عن الغاية، ولا أقصر عن تلقي الراية)).**[1] ومن شعره؛ هذه الأبيات التي بعثها إلى الوزير الشاعر ابن عمَّار:

---

[1] قلائد العقيان، ص: 58.

"

ضَمْـــآنٌ عَلَى الأيَامِ أنْ أبْلُغَ المُـــنَى
إذَا كُنْتَ فِي ودِّي مُســـرًّا وَمُعْلِنَـــا
فَلَوْ تَسْأَلُ الأَيَّامُ مَنْ هُـــوَ مُفْـــرَدٌ
بـــودِّ ابْنِ عَمَّـــارٍ لَقُلْتُ لَـــهُ أنَـــا
فَإنْ حَالَتِ الأَيَّـــامُ بَيْـــني وَبَيْنَـــهُ
فَكَيْفَ يَطِيبُ العَيْشُ أوْ يَحْسُنُ الغِنَا

وقـــال في شمعـــة:

رُبَّ صَفْرَاءَ تَرَدَّتْ بردَاءِ العَاشِقِينَا
مِثْلَ فِعْلِ النَّارِ فِيهَا تَفْعَل الآجَالُ فِينَا

ولـــه أيضـــا:

أتُـــرَى الزَّمَانُ يَسُرُّنَـــا بتـَــلاقِي
وَيَضُـــمُّ مُشْتَاقـــاً إلَى مُشْتَـــاقِ
وَتَعُضُّ تُفَّاحَ الخُـــدُودِ شِفَاهُنَـــا
وَنَرَى سَنَا الأحْدَاقِ بالأحْـــدَاقِ
وَتَعُـــودُ أنْفُسُنَـــا إلَى أجْسَامِهَـــا
مِنْ بَعْدِ مَا شَرَدَتْ عَلَى الآفَـــاقِ

وقـــال كذلـــك:

وَرَوْضٍ كَسَـــاهُ الطَّـــلُّ وَشْيـــاً مُجَـــدَّدَا
فَأضْحَى مُقِيماً لِلنُّفُـــوسِ وَمُقْعِـــدَا

"

إذَا صَافَحَتْهُ الرِّيحُ خِلْتَ غُصُونـــُهُ
رَوَاقِصَ فِي خُضْرٍ مِنَ القُضْبِ مُيَّدَا
إذَا مَا انْسكَابُ المَاءِ عَايَنْتَ خِلْتَهُ
وَقَدْ كَسَّرَتْهُ رَاحَـــةُ الـــرَّاحِ مِبْـــرَدَا
وَإِنْ سَكَنَتْ عَنْـــهُ حَسبْتَ صَفَاءَهُ
حُسَامـــاً صَقِيلاً صَافِيَ المَتْنِ جُـــرَّدَا
وَغَنَّـــتْ بِهِ وُرْقُ الحَمَائِمُ حَوْلَنَـــا
غِنَاءً يُنَسِّيـــكَ الغَرِيـــضَ وَمَعْبَـــدَا
فَلاَ تَجْفَوَنَّ الدَّهْرَ مَادَامَ مُسْعِـــدَا
وَمُـــدَّ إِلَى مَا قَدْ حَبَاكَ بِـــهِ يَـــدَا
وَخُذهَا مُدَاماً مِنْ غَـــزَالٍ كَأَنَّـــهُ
إِذَا مَا سَقَى بَـــدْرٌ تَحَمَّـــلَ فَرْقَـــدَا

ومـــن شعـــره أيضـــا:

دَعِ الجَفْنَ يُفْنِي الدَّمْعَ لَيْلَةَ وَدَّعُـــوا
إِذَا انْقَلَبُوا بالقَلْبِ لاَ كَـــانَ مَدْمَـــعُ
سَرَوْا كَاغْتِدَاءِ الطَّيْرِ لاَ الصَّبْرُ بَعْدَهُمْ
جَمِيلٌ وَلاَ طُولُ النَّدَامَـــةِ يَنْفَـــعُ
أَضِيقُ بِحَمْلِ الفَادِحَاتِ مِنَ النَّـــوَى
وَصَدْرِي مِنَ الأَرْضِ البَسِيطَةِ أَوْسَعُ
وَإِنْ كُنْـــتُ خَـــلاَّعَ العِذَارِ فَإِنَّـــنِي
لَبِسْتُ مِنَ العَلْيَـــاءِ مَا لَيْسَ يُخْلَـــعُ

"

إذَا سَلَّتِ الألْحَاظُ سَيْفــاً خَشيتُــهُ
وَفِي الحَرْبِ لاَ أخْشَى وَلاَ أتَوَقَّــعُ

ومــن غريــب شعــره:

أخْسِــسْ بِمَجْلِسِ مَعْشَــرِ
مَــا فِيــهِ إلاَّ الطّتربـــرُّ
جُلَسَــاؤُهُ قَــوْمٌ ثِقَــا
لٌ كُلُّهُــمْ خُبْــثٌ وَشَــرُّ
مَــا فِيهــمُ إلاَّ دَنــي
ءٌ أوْ غَــبِيٌّ أوْ مُضِــرُّ
أسْــدٌ عَلَى ثَلَــبِ الكِــرَا
مِ وَإنْ وَزَنْتَهُــمُ فَــــذَرُّ
هَــذَا يَغُــوثٌ بَــلْ أضَــ
لُّ وَذَا يَعُوقُ وَذَاكَ نَسْــرُ
ذَاكَ المَحَــلُّ كَــوَادِ عَــوْ
فٍ لَيْسَ يلْقَى فِيــهِ حُــرُّ

وقـــال أيضـــا:

أقْسَمْتُ بِالــوَرْدِ الجَــنِيِّ
وَرَنــتَيْ نَــايٍ وَعُــودِ
لأوَاصِلنَّــكَ بالـــرِّضَى
أوْ تَأنَفَــنَّ مِنَ الصُّــدُودِ

"

وَلأشْرِبَنَّـــكَ بالْمُــــــنَى
وَلأُلْثِمَنَّـــكَ مِنْ بَعِيــدِ
وَلأرْضِيَنَّـــكَ إنْ سَخِطْـــ
ـــتَ بذِلَّةِ الدَّنفِ العَمِيدِ
وَلأعْطِفَنَّـــكَ بالخُضُــو
عِ وَبالقُنُوعِ وَبالسُّجُـــودِ
فَبحَـــقِّ مَا فِي فِيكِ مِــنْ
لَعَسٍ وَمِنْ ثَغْـــرٍ بُـــرُودِ
أدْمِي يضِيـــعُ وَشَاهِـــداً
خَدَّيْكِ فِي عقْدِ الشُّهُودِ

ومن شعره كذلـــك:
أدِرْهَـــا مُدَامـــاً كَالْغَزَلَـــةِ مُـــزَّة
تَلِينُ لِرَائِيهَا وَتَـــأبَى عَلَى اللَّمْـــسِ
وَتَبْدُو عَلَى الأبْصَارِ دُونَ تَجَسُّـــمٍ
عَلَى أنَّهَا تَخْفَى عَلَى الذهْنِ وَالحِسِّ
إذَا شَعْشَعَتْ فِي الكَأسِ خِلْتَ حُبَابَهَا
لآلِيءَ قَدْ رُفِّعْنَ فِي لُبَّـــةِ الشَّمْـــسِ
مُوَكِّلَـــة بِالهَـــمِّ تَهْـــزمُ جَيْشَـــهُ
بجَيْشِ الأمَانِي وَالمَسَـــرَّةِ وَالأنْـــسِ
فَإنْ شِئْتَ قُلْ فِيهَا أرَقُّ مِنَ الهَـــوَا
وَإنْ شِئْتَ قُلْ فِيهَا أرَقُّ مِنَ النَّفْـــسِ

"

وقـــال أيضـــا:

يَا رُبَّ لَيْلٍ أطَـــالَ الهَجْـــرُ لَذتَـــه
فَأيْـــأسَ العُمْرَ عَنْ إدْرَاكِ مُنْتَصَفِـــه
لَيْلٌ تَطـــاوَلَ حَتَّى قَدْ تَبَيَّـــنَ لِي
عِنْدَ التَّأمُّلِ أنَّ الدَّهْـــرَ مِنْ سُدَفِـــه

ولـــه أيضـــا:

أنَا مَلِكٌ تَجَمَّعَـــتْ فِيَّ خَمْـــسٌ
كُلُّهَـــا لِلأنـــام مُـــحْيٍ مُمِيـــت
هِـــيَ ذِهْـــنٌ وَحِكْمَـــة وَمَضَـــاءٌ
وَكَـــلاَمٌ فِي وَقْتِـــهِ وَسُكُـــوتُ

ومـــن شعـــره:

تُزْهِدُنِي فِي الزُّهْدِ عَيْـــنٌ مَرِيضَـــة
يُمَرِّضُـــنِي مِنْ لَحْظِهَـــا مَا أعَلَّـــنِي
وَلَمْ تبْق نَفْسِي غَيْرُ عَطْفَةِ شَـــادِنٍ
عَسَـــانِي أفَدِّيـــهِ بِهَـــا وَلَعَلَّـــــنِي
شَكَوْتُ إلَى فِيهِ الذِي بِي مِنَ الظَّمَا
فَأنْهَلَـــنِي عَذْبَ الرُّضَابِ وَعَلَّـــنِي

وقـــال:

إذَا زَهَّدَتْنِي فِي الهَوَى خِيفَة الرَّدَى
جَلَتْ لِيَ عَنْ وَجْدٍ يُزَهِّدُ فِي الزُّهْدِ

"

فَلاَ دَمْــعَ مَا لَمْ يَجْــرِ فِي إِثْرِهِ دَمٌ
وَلاَ وَجْدَ مَا لَمْ يُغْنَ عَنِ صِفَةِ الوَجْدِ

وقــال أيضــا:

بَــرَّحَ السُّقْمُ بي فَلَيْسَ صَحِيحــاً
مَــنْ رَأتْ عَيْنُــهُ عُيُونــاً مِرَضَــا
إنَّ لِلأعْيُــنِ المِــرَاضِ سِهَامــــاً
صَيَّــرَتْ أنْفُــسَ الوَرَى أغْرَاضَــا
جَوْهَــرُ الحُسْنِ مُنْذُ أعْرَضَ لِلْقَلْـ
ــبِ ثَــنَى الجِسْمَ كُلَّــهُ أعْرَاضَــا

ولــــه:

يَا مُقْلَة الظــَبْي الغَريــ
ـر وَوَجْنَة القَمــَرِ المُنيــرِ
وَمُصِيبَ حَبَّاتِ القُلــُو
ب بزَاعِبِيَــاتِ الفُتُــورِ
تَاللَّـــهِ إنْ لَــمْ تتَّــركْ
عَنْ ذَا الجَفَاءِ وَذَا النُّفُورِ
لأسرحَــنَّ لَوَاحِــظِي
فِي ذَلِكَ الوَرْدِ النَّضِيــرِ
وَلآكُلَنَّـــــكَ بالمُــنَى
ولأشْرِبَنَّــكَ بِالضَّمِيــرِ

"

وقـــال :

مَنْ كَثَّـــرَ الجُنْـــدَ رأى سَعْـــدَهُ
يَصْعَـــدُ حَتَّى يَنْتَـــهِي حَـــدَّهُ
وَمَـــنْ أذَلَّ المَـــالَ عَـــزَّتْ بِـــهِ
أيَّامُـــهُ وَانْصَرَفَـــتْ جُنْـــدُهُ
فَاهْدِمْ بِنَـــاءَ البُخْلِ وَارْفُضْ بِـــهِ
مَنْ هَـــدَّمَ البُخْلَ بَنَي مَجْـــدَهُ
لاَ عَـــاشَ إلاَّ جَائِعـــاً نَائِعـــاً
مَنْ عَاشَ فِي أمْوَالِـــهِ وَحْـــدَهُ

وممـــا قالـــه:

شَأوْتُ آل رَزِين غَيْـــر مُحْتَفِـــلِ
وَهُمْ عَلَى مَا عَلِمْتُمْ أفْضَلُ الأمَـــمِ
قَـــوْمٌ إذَا سُئِلُـــوا أغْنَـــوا، وَإنْ حَرَبُـــوا
أفْنَوا، وَإنْ سُوبقُوا جَازُوا مَدَى الكَرَمِ
جَادُوا فَمَا يَتَعَاطَى جَوْدَ أنْمُلِهِـــمْ
مَـــدُّ البحَـــارِ وَلاَ هَطَّالَـــة الدِّيَـــمِ
مَا ارْتَقَيتُ إلَى العلْيَا بِـــلاَ سَبَـــبِ
هَيْهَاتَ هَلْ أحَدٌ يَسْعَى بِـــلاَ قَـــدَمِ
فَمَنْ يَـــرُمْ جَاهِداً إدْرَاكَ مَنْزِلَـــتِي
فَلْيَحْكِنِي فِي النَّدَى وَالسَّيْفِ وَالقَلَمِ

"

و لـــه أيضـــا:

قَدْ خَرَجْنَا مِنَ ازْدِحَامِ القَتَـــامِ
كَشُمُوسٍ خَرَجْنَ تَحْتَ الغَمَـــامِ
وَحَصَلْنَا فِي نُزْهَتَيْنِ وَفِي حُسْـــ
نَيْـــنِ بَيْـــنَ المِيَـــاهِ وَالآكَـــامِ
بَيْنَ رَوْضٍ مُدَبَّـــجٍ وَغُصُـــونٍ
تَتَثَـــنَّى كَشَارِبَـــاتِ المُـــدَامِ
غَـــرَّدَتْ فَوْقَنَا البَلاَبِـــلُ وَالـــوُرْ
قُ فَأَرَّقْنَـــنِي وَهِجْـــنَ غَـــرَامِي
ذَاكَ طَيْـــرٌ أطَـــارَ قَلْبِيَ شَوْقـــاً
وَحَمَـــامٌ مُغَـــرِّدٌ بِحَمَـــامِ

وقـــال في جوابـــه للوزيـــر أبي جعفـــر بـــن سعـــدون:

إلَيْكَ فَلَوْلاَ أنْتَ لَمْ يُنْظَـــمُ الـــدُّرُّ
وَلاَ التَامَ فِي مَدْحٍ نِظَـــامٌ وَلاَ نَثْـــرُ
إذَا قُلْتَ لَمْ يَنْطِقْ فَصِيـــحٌ مُـــذَرَّبٌ
وَلاَ سَاغَ فِي سَمْعٍ غِنَـــاءٌ وَلاَ زَمْـــرُ
لَكَ السَّبْقُ كَمْ رَوَّضْتَ مِنْ عَاطِلِ الرُّبَى
وَحَلَّلْتَ مِنْ سِحْرٍ وَقَدْ عُدِمَ السِّحْـــرُ
وَلَمَّا مَلَكْتَ القَوْلَ قَهْـــراً وَعُنْـــوَةً
أطَاعَكَ جَيْـــشُ النَّظْمِ وَاتُمِـــرَ النَّثْـــرُ
فَـــلاَ نَقْـــلَ إلاَّ مَا تَقُـــولُ بَدِيهَـــةً
وَلاَ خَمْرَ مَا لَمْ تَأتِ مِنْ فَمِكَ الخَمْـــرُ

"

وقال ردا على الكاتب أبي الحسن بن سابق؛ الذي تخلى عن ابن لبون؛ والتحق بالمستعين:

هَبُوا لَنَا حَظَّكُمْ مِنْ آل لَبُونِ
كَمْ تَبْخَلُونَ عَلَيْنَا بالرَّيَاحِينِ
لاَ تَعْذِلُونَا فَحَقٌّ أنْ نُنَافِسَكُمْ
فِي أكْرَمِ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا وَفِي الدِّينِ
ذَاكَ الوَفِيُّ الَّذِي نِيطَتْ تَمَائِمُهُ
عِنْدَ الفِطَامِ عَلَى حلْمِ ابْنِ سِيرِينِ
اخْتَرْنَا فَتَخَيَّرْنَاهُ صَاحِبُنَا
وَكُلُّنَا فِي أخِيهِ غَيْرُ مَغْبُونِ
إنْ كَانَ أنْشرَ ذِكْرِي فِي بلاَدِكُمُ
لأ نْشُرَنَّ لَهُ يَحْيَ بْنِ ذِي النُّونِ
وَكُلُّ مَنْ حَوْلَهُ حَاظٍ بحَظْوَتِهِ
يَغْشَى الحَسُودَ بتَرْفِيعٍ وَتَمْكِينِ
حَتَى تَقُولَ اللَّيَالِي وَهْيَ صَادِقَة
هَذَا السَّمَوْألُ فِي هَذِي السَّلاَطِينِ

ـ ثم **أبو بكر محمد بن عبد المنعم بن مَنِّ الله بن أبي بحر الهواري** يعرف بالكِمَاد (كان حيا سنة 527هـ/1132م)؛ كان أحد الرواة؛ وهو من أهل فاس؛ كان أبوه قد

"

نزح إليها من القيروان، بعد فتنة أعراب بني هلال بها.

ـ ثم **أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجة الأندلسي الهواري (**ت: سنة 533هـ/1138م**)**؛ وهو من فحول الشعراء، وعلماء اللغة، والأدب؛ قال فيه ابن الأبار: **((إبراهيم... ابن خفاجة الهواري الشاعر، من أهل جزيرة شقر... وكان عالما بالآداب، صدراً في البلغاء، متقدما في الكتاب والشعراء؛ يتصرف كيف يريد؛ فيبدع، ويجيد؛ ناظما، وناثراً، ومادحا، وراثيا، ومشببا، ومشبها. كان نزيه النفس؛ لا يكتسب بالشعر، ولا يمتدح رجاء الرفد)).**[1] وقال فيه معاصره، وصديقه الفتح ابن خاقان:[2] **((مالك أعنَّة المحاسن، وناهج طريقها، العارف بترصيعها وتنميقها، الناظم لعقودها، الراقم لبرودها... تصرف في فنون الإبداع كيف شاء، وأبلغ دلوه من الإجادة الرشاء؛ فشعشع القول وروقه، ومد في ميدان الإعجاز طلقه؛ فجاء نظامه أرق من النسيم العليل، وآنق من الروض البليل...وبلغه عني**

[1] التكملة، ج: 1، ص: 143.

[2] قلائد العقيان، ص ص: 266 ـ 267 ـ 268.

"

ما ذكرته في هذا الكتاب بقبيح، وأتيت في وصف أيام فتوته بتنديـر، وتمليح؛ فكتب إلي يعاتبني:

خُذْهَا يُرِنُّ بهَا الجَوَادُ صَهِيلاَ
وَتَسِيلُ مَاءً فِي الحُسَامِ صَقِيلاَ
بَسَّامَة تُصْبي الحَلِيمَ وَسَامَة
لَوْلاَ المَشِيبُ لَسُمْتُهَا تَقْبِيلاَ
حَمَّلْتُهَا شَوْقاً إلَيْكَ تَحِيَّة
حَمَّلْتُهَا عَتْباً عَلَيْكَ ثَقِيلاَ
مِنْ كُلِّ بَيْتٍ لَوْ تَدَفَّقَ طَبْعُهُ
مَاءً لَغَصَّ بِهِ الفَضَاءُ مَسِيلاَ
إيهٍ وَمَا بَيْنَ الجَوَانح غلَّة
لَوْ كُنْتُ أنقَعُ بالعِتَابِ غَلِيلاَ
مَا لِلصَّدِيقِ وُقِيتَ تَأْكُلُ لَحْمَهُ
حَيًّا وَتَجْعَلُ عِرْضَهُ مِنْدِيلاَ
أقْبَلتَهُ صَدْرَ الحُسَامِ وَطَالَمَا
أضْفَيْتَهُ دِرْعاً عَلَيْهِ طَوِيلاَ
مَاذَا ثَنَاكَ عَنِ الثَّنَاءِ وَنَشْرِهِ
بُرْداً عَلَى الرَّسْمِ الجَمِيلِ جَمِيلاَ

"

[إلى قولـــه:]

وَسِـــوَايَ يُنْشدُ فِي سِوَاكَ نَدَامَـــة
"يَالَيْتَــنِي لَمْ أتَّخِــذْكَ خَلِيـــلاَ"))

أمـــا ابـــن بســـام فيفيـــض ثنـــاء عـــلى **ابـــن خفاجـــة**، ويـــدرج ضمـــن كتابـــه عينـــات شعريـــة، ونثريـــة كثيـــرة لهـــذا الأديـــب الجليـــل. ومـــن قولـــه فيـــه: **((الناظـــم المطبـــوع الـــذي شهـــد بتقديمـــه الجميـــع؛ المتصـــرف بيـــن حكمـــه وتحكمـــه البديـــع... نشـــأ ببـــلاد الجانـــب الشـــرقي مـــن الأندلـــس؛ فلـــم يذكـــر معـــه هنـــاك محســـن، ولا لغيـــره فيـــه وقـــت حســـن؛ ولا لأعـــرفـــه تعـــرض لملـــوك الطوائـــف بوقتنـــا؛ عـــلى أنـــه نشـــأ في أيامهـــم؛ ونظـــر إلى تهافتهـــم في الأدب، وازدحامهـــم؛ وهـــو اليـــوم بمطلعـــه مـــن ذلـــك الأفـــق؛ يبلغـــني مـــن شعـــره مـــا يبطـــل السحـــر، ويعطـــل الزهـــر؛ وقـــد أثبـــت بعـــض مـــا وقـــع مـــن كلامـــه؛ فتصفحـــه؛ تعلـــم أنـــه بحـــر النظـــام، وبقيـــة الأعـــلام)).**[1] ونقـــل المقـــري في نفـــج الطيـــب ـــ أيضـــا ـــ مقطوعـــات كثيـــرة جـــدا؛ مـــن أشعـــار ابـــن خفاجـــة؛ كـــان يستشهـــد بهـــا المـــرة بعـــد الأخـــرى. كمـــا قـــال فيـــه: **((وأبـــو إسحـــاق**

[1] الذخيـــرة، ق: 3، مج: 2، ص ص: 541 ـــ 542.

"

ابن خفاجة كان أوحد الناس في وصف الأنهار، والأزهار، والرياض، والحياض، والرياحين، والبساتين)).[1] **((وكان صَنَوْبَري الأندلس أبو إسحاق ابن خفاجة؛ وهو من رجال الذخيرة، والقلائد، والمسهب، والمطرب، والمغرب؛ وشهرته تغني عن الإطناب فيه؛ مُغْرًى بوصف الأنهار، والأزهار، وما يتعلق بها؛ وأهل الأندلس يسمُّونه الجَنَّان؛ ومن أكثر من شيء عُرف به)).**[2] وهذه عينة من شعره:

يَا أَهْلَ أَنْدَلُسٍ لِلَّهِ دَرُّكُمُ
مَاءٌ وَظِلٌّ وَأَنْهَارٌ وَأَشْجَارُ
مَا جَنَّةُ الخُلْدِ إلاَّ فِي دِيَارِكُمُ
وَلَوْ تَخَيَّرْتُ هَذَا كُنْتُ أَخْتَارُ
لاَ تَحْسَبُوا فِي غَدٍ أَنْ تدْخُلُوا سَقراً
فَلَيْسَ تُدْخَل بَعْدَ الجَنَّةِ النَّارُ

وأورد المقري خبرا مفاده أن رسولا من الأندلس مثُل أمام سلطان المغرب الأقصى أبي عنان المريني؛ وألقى أبيات ابن خفاجة هذه

---

[1] نفح الطيب: ج: 1، ص: 681.
[2] نفسه، ج: 3، ص: 488.

"

بيـــن يديـــه؛ عـــلى سبيـــل الافتخـــار ببـــلاده الأندلـــس. فاستنكـــر أبـــو عنـــان وصـــف الأبيـــات للأندلـــس بجنـــة الخلـــد؛ الـــتي لـــو خُيـــِّر؛ لاختارهـــا؛ فقـــال أبـــو عنـــان: **(("كـــذب هـــذا الشاعـــر... وهـــذا خـــروج عـــن رِبْقَـــة الديـــن؛ ولا أقـــلّ مـــن الكـــذب، والإغـــراق؛ وإن جـــرت عـــادة الشعـــراء بذلـــك الإطـــلاق". فقـــال الخليـــلي** [الرســـول الوافـــد مـــن الأندلـــس]**: "يـــا مولانـــا؛ بـــل صـــدق الشاعـــر؛ لأنهـــا موطـــن جهـــاد، ومقارعـــة للعـــدو وجـــلاد؛ والنـــبي صـــلى اللـــه عليـــه وسلـــم؛ الـــرءوف، الـــودود، الرحيـــم، العطـــوف؛ يقـــول: الجنـــة تحـــت ظـــلال السيـــوف". فاستحســـن منـــه هـــذا الكـــلام، ورفـــع عـــن قائـــل الأبيـــات المـــلام)).**[1]

وفي الوصـــف يقـــول:

وَعَـــشِيٍّ أنـــْسٍ أضْجَعَتْني نَشْـــوَة
فِيهِ تُمَهِّدُ مَضْجَـــعِي وَتُدَمِّـــثُ
خَلَعَتْ عَلَيَّ بـــهِ الأرَاكَـــةَ ظِلَّهَـــا
وَالغُصْنُ يُصْغِي وَالحَمَامُ يُحَـــدِّثُ
وَالشَّمْسُ تَجْنَـــحُ لِلْغُرُوب مَرِيضَة
وَالرَّعْدُ يَرْقِي وَالغَمَامَـــة تَنْفُـــثُ

[1] نفـــح الطيـــب: ج: 1، ج: 1، ص: 681.

"

ويقـــول أيضـــا:

لِلــَّـهِ نَهْـــر سَـــالَ فِي بَطْحَـــاءِ
أشْـــهَى وُرُوداً مِــَـنْ لـَـمَى الحَسْنَـــاءِ
مُتَعَطِّـــفٌ مِثْــلَ السِّــوَار كَأنَّـــهُ
وَالزَّهْـــرُ يَكْنُفُهُ مَجَـــرُّ سَمَـــاءِ
قَدْ رَقَّ حَتَّ ظـُـنَّ قَوْسـاً مُفْرَغـاً
مِنْ فِضَّـــةٍ فِي بُـــرْدَةٍ خَضْـــرَاءِ
وَغَدَتْ تَحُـــفُّ بهِ الغُصُونُ كَأنَّهَـــا
هُــدْبٌ تَحُفُّ بمُقْلَـــةٍ زَرْقَـــاءِ
وَلَطَالَمَـــا عَاطَيْـــتُ فِيـــهِ مُدَامَـــة
صَفـْــرَاءَ تَخْضِبُ أيْدِيَ النَّدَمَـــاءِ
وَالرِّيحُ تعْبَثُ بالغـُـصُونِ وَقَدْ جَرَى
ذَهَبُ الأصِيلِ عَلىَ لُجَيْنِ المَـــاءِ

ويقـــول كذلـــك:

حَـــثَّ المُدَامَـــة وَالنَّسيـــمُ عَلِيـــلُ
وَالظِّـــلُّ خَفَّاقُ الـــرُوَاقِ ظَلِيـــلُ
وَالرَّوْضُ مُهْتـَـزُّ المَعَاطِـــفِ نعْمَـــة
نَشْـــوَانَ تَعْطفـــُهُ الصَّبَا فَيَمِيـــلُ
رَيـــَّانَ فَضَّضَهُ النـــَّدَى ثُمَّ انْجَـــلَى
عَنـــْهُ فَذَهَّبَ صَفْحَتَيْـــهِ أصِيـــلُ

"

وقـــال يصـــف سقـــوط البـــرد:

أَلاَ نَسَـــخَ اللـــَّهُ القُطَارَ حِجَـــارَةَ
تَصُوبُ عَلَيْنـــَا وَالغَمَامُ غُمُومَـــا
وَكَانَتْ سَمَاءُ اللـــَّهِ لاَ تُمْطِرُ الحَصَى
لَيَـــالِيَ كُنَّا لاَ نَطِيـــشُ حُلُومَـــا
فَلَمَّـــا تَحَوَّلْنَـــا عَفَارِيـــتَ شِـــرَّةٍ
تَحَوَّلَ شُؤْبُوبُ الغَمَامِ رُجُومَـــا

ويقـــول في وصـــف شجـــرة نارنـــج:

أَلاَ أَفْصِـــحَ الطَّيْـــرُ حَتَّ خَطَـــبْ
وَخَفَّ لَهُ الغُصْنُ حَتَّ اضْطَـــرَبْ
فَمِـــلْ طَرَبـــاً بَيْـــنَ ظِـــلٍّ هَفَـــا
رَطِيـــبٍ وَمَـــاءٍ هُنَاكَ انْثَعَـــبْ
وَجُـــلْ فِي الحَدِيقَـــةِ أُخْتِ المُـــنَى
وَدِنْ بِالمُدَامَـــةِ أُمِّ الطَّـــــرَبْ
وَحَامِلَـــةٍ مِـــنْ بَنَـــاتِ القَنَـــــا
أَمَالِيـــدَ تَحْمِلُ خُضْرَ العَـــذَبْ
تَنُـــوبُ مُوَرَّقَـــةً عَـــنْ عِـــــذَارٍ
وَتَضْحَـــكُ زَاهِـــرَةً عَنْ شَنَـــبْ
وَتَنْـــدَى بِهَـــا فِي مَهَـــبِّ الصَّبَـــا
زَبَرْجَـــدَةً أَثْمَـــرَتْ بِالذَّهَـــبْ
تُفَـــاوِحُ أَنْفَاسَهَـــــا تَـــــارَةً
وَطَـــوْراً تُغَازِلُهَـــا مِنْ كَثَـــبْ

"

فَتَبْسِـــمُ فِي حَالَـــــةٍ عَـــنْ رِضىً
وَتَنْظُــر آوِنَــة عَـــنْ غَضَـــبْ

ـ ثـم **أبـو الفضـل بـن عبـد اللـه بـن نـزار القابسـي الهـواري** (مـن أعـلام النصـف الثاني مـا القـرن السادس للهجـرة)؛ أديـب وشاعـر؛ وكـان في خدمـة بـني عبـد المؤمـن؛ إذ ولي خطـة الكتابـة لديهـم. ذكـر لـه الأصفهـاني قصيـدة قالهـا في مـدح الأمير محمـد بـن رشيـد بـن جامـع؛ جـاء فيهـا:

لَمْ يَبْـقَ لِي بَعْدَ الرَّحِيـلِ عَـزَاءُ
بَـانَ الخَلِيطُ وَشُتِّتَـتْ أهْـوَاءُ
فَاصْرِفْ عَنَانَ اللَّوْمِ عَنْ قَلِقِ الحَشَـا
مُغْـرَى فَـإِنَّ مَلاَمَـهُ إغْـرَاءُ
فَعَلَـتْ بِهِ أحْبَابُـهُ يَـوْمَ النَّـوَى
وَالبَيْـنُ مَا لاَ تَفْعَـلِ الأعْـدَاءُ
سَـارُوا وَلَمَّا يَسْمَحُـوا بِوَدَاعِـهِ
فَكَـأَنَّ خَالِـصَ وُدِّهِ شَحْنَـاءُ
أترَاهُمُ خَالُـوا الـوَدَاعَ مُحَرَّمـاً
أمْ أجْمَعُـوا أنْ لاَ يَكُونَ لِقَـاءُ
رَقَّتْ مِيَاهُ الحُسْنِ فَوْقَ خُدُودِهِـمْ
وَقَسَـتْ قُلُوبُهُمْ فَبَـانَ جَفَـاءُ

"

إلى أن يقـــول:

يَا وَيـــْحَ مَنْ عَبَثَ الهَوَى بفُـــؤَادِهِ
وَتَحَكَّمَتْ وَقَضَتْ عَلَيْـــهِ ظِبَـــاءُ

مِنْ كُلِّ مَا فِي القَلْب مِنْ لَحَظَاتِهَـــا
نَفثَـــاتُ سِحْـــر مَا لَهُـــنَّ دَوَاءُ

لِلْبَـــدْرِ سُنَّـــة وَجْههَا، وَقِوَامُهَـــا
لِلْغُصْنِ، مُخَطَّفَـــة الحَشَا هَيْفَـــاء

إنَّ امْتِـــدَاحِي مَا يُلِمُّ مِنَ الـــوَرَى
إلاَّ لِمَـــنْ دَانَـــتْ لَـــهُ العَلْيَـــاءُ

مِثْـــل المَلِيـــكِ ابْنِ الرَّشِيـــدِ فَإِنَّـــهُ
بَهَـــرَ المُلُوكَ وَحَلَّ حَيْثُ يَشَـــاءُ

وَتَشَابَهَـــــتْ آرَاؤُهُ وَسُيُوفُـــــهُ
كُلٌّ بمَا يَهْـــوَى لَـــهُ ضُمَنَـــاءُ

لَبِـــسَ الجَلاَلَـــة حُلَّـــة أعْلاَمُهَـــا
حُلُـــمٌ يُزَيِّـــنُ ثَوْبَهَـــا وَحَيَـــاءُ

فَهُوَ القَرِيـــبُ تَطَـــوُّلاً وَتَجَمُّـــلاً
وَهُوَ البَعِيـــدُ مَحَلُّـــهُ الجَـــوْزَاءُ

وَلَهُ المَهَابَة فِي النُّفـــوس، وَإنْ غَـــدَا
مُتَوَاضِعـــاً وَالعِـــزَّة القَعْسَـــاءُ

يَا مَنْ شَكَا جَوْرَ الزَّمَـــانِ وَظُلْمِـــهِ
وَأصَابَـــهُ مِـــنْ مَسِّـــهِ الضَـــرَّاءُ

لُـــذ بِالمَلِيـــكِ مُحَمَّـــد فَبجَـــوْدِهِ
يَحْيَا السَّمَاحُ وَتُكْشَفُ الغُمَّـــاءُ

"

سَلْهُ تَفِدْ، وَاقْصُدْ تجِدْ، وَاشْرَعْ تَرِدْ،
عَـذبَ النَّمِيـرِ وَمَا بِهِ أقْـذَاءُ
هَذَا العِيَـانُ يُرِيكَ مِـنْ أوْصَافِـهِ
فَوْقَ الَّذِي أهْـدَت لَكَ الأنْبَـاءُ
لَوْ نَظَّمَ الأمْـلاَكُ سِلْكاً لاغْتَـدى
لِسَنَـاهُ، وَهـوَ الـدُّرَّة الغَـرَّاءُ

ـ ثم **أبو يوسف حجاج بن يوسف الهواري** (توفي بمراكش سنة 572هـ/1176م)؛ وهو عالم وأديب، كان فصيح اللسان، وبليغا.

ـ ثم **أبو علي الحسن بن حجاج بن يوسف الهواري** (ت: سنة 598هـ/1201)؛ أصله من جهات بجاية، ويقيم بمراكش؛ وكان من الفقهاء؛ وولي الخطابة بإشبيلية سنة 580هـ/1184م.

ـ ثم **ميمون الهواري** (من أعيان القرن السادس للهجرة)؛ ذكره ابن الأبار بقوله: **((من سكان قرطبة؛ كان أديبا فقيها؛ وله شعر فيما جرى بين أبي الوليد بن رشد، وأبي محمد بن أبي جعفر؛ في التفضيل بين الهَيْلَلَة والحَمْدَلَة فضل فيه قول ابن رشد)).**[1]

---

[1] **التكملة، ج: 2، ص: 718.**

ـ ثم **أبو موسى عمران بن موسى بن ميمون السلاوي الهواري** (توفي بسلا سنة 640هـ/1242م)؛ كان من الحفاظ المشتغلين بعلوم التفسير، والعربية، والنحو، والأدب.

ـ ثم **أبو موسى عمران بن موسى بن معمر الطرابلسي الهواري** (توفي بتونس سنة 660هـ/1261م)؛ فقيه، ولي القضاء بطرابلس، وتونس فكان محمود السيرة.

ـ ثم **أبو القاسم بن عمر بن أبي القاسم الهواري الإسكندي** (من أعيان النصف الثاني من القرن السابع للهجرة)؛ فقيه، وهو أخو وجيه الدين منصور بن العمادية لأمه. وهو ممن أجاز لابن جابر الوادي آشي.

ـ ثم **جمال الدين محمد بن سليمان بن عبد الله بن يوسف الهواري** المعروف بابن أبي الربيع (توفي بالقاهرة سنة 673هـ/1274م)؛ كان من أفاضل الأدباء؛ له شعر متداول؛ منه:

لَوْلاَ التَّطَيُّرُ بالخِلاَفِ وَأَنَّهُمْ
قَالُوا مَرِيضٌ لاَ يَعُودُ مَرِيضَا
لَقَضَيْتُ نَحْبِي خِدْمَةً بِفَنَائِكُمْ
لأَكُونَ مَنْدُوباً قَضَى المَفْرُوضَا

"

ويقـــول أيضـــا:

أحْبَابَ قـــَلْبي إنْ تَحَكَّمَتِ النَّـــوَى
فِي بَيْنِنَا وَجَرَى القَضَاءُ بمَا جَــــرَى
فَلَقَدْ غَضَضْتُ عَنِ الوَرَى مِنْ بَعْدِكُمْ
طَرفًا يَرَى مِنْ بَعْدِكُمْ أنْ لاَ يَـــرَى

وممـــا قالـــه كذلـــك:

سَرَيْــــتُ مِـــنَ السَّـــوَادِ إلىَ السُّوَيْـــدَا
مَسيرَ البَـــدْرِ فِي طَـــرَفِي وَقَلْـــبي
قَضَيْــــتُ مِـــنَ النَّـــوَى وَطـَــراً وَهَـــا قَـــدْ
قَضَيْتُ ـــ لَكَ البَقَا ـــ فِي البُعْدِ نَحْبِي

ويقـــول في مـــوسى بـــن يغمـــور:

لَكَ اللَّهُ يَا مُوسَى فَأنْتَ مُحمَدُ الـــ
ــــصِّفَاتِ وَفِكْرِي فِيكَ حَسَّانُ مَدْحِهِ
إذَا مَا دَجَا لَيْلٌ مِنَ الخَطْبِ مُظْلِـــمٌ
فَمِنْ يَدِكَ البَيْضَـــاءِ إسْفَارُ صُبْحِـــهِ

وبعـــث إلى أحـــد أصدقائـــه؛ وكـــان يســـمى الصـــدر هـــذه الأبيـــات:

مَا زِلْتُ فِي بُعْدٍ وَقُرْب صَبًّا إلَيْكَ وَأيَّ صَبِّ
حُزْتَ القُلُوبَ بِأسْرِهَا وَالصَّدْرُ مَوضِعَ كُلَّ قلْبِ

"

وقال فيه أيضا:

وَتَوَسْوَسْتُ باشْتِيَاقِي إلَى الصَّدْ
رِ وَمَا زَالَ مَوْضِعَ الوَسْوَاسِ

ـ ثم **أبو علي الحسن بن موسى بن معمر الطرابلسي الهواري** (ت سنة 682هـ/1283م)، وهو أخو أبو موسى عمران السابق الذكر؛ وكان أبو علي من المستوعبين لعلوم الفقه والأدب، وتعرض في حياته العملية لمحن عديدة في ظل الدولة الحفصية؛ وولي خطة القضاء في عهد المستنصر الحفصي، ثم خطة العلامة الكبرى، وخطة الأرفاع، والنظر في خزانة الكتب؛ ولكن السلطان سخطه، ونفاه إلى المهدية؛ ثم رضي عنه. وله شعر كثير؛ منه:

لَوْلاَ احْورَارُ جُفُونِ أودِعَتْ سَقَماً
مَا أمْطَرَتْ سُحْبُ أجْفَاني الدُّمُوعَ دَمَا
وَلاَ وَقَفْتُ أصَيْلاَناً بِرَبْعِكُمْ
وَلاَ سَقَيْت رُبَاهُ مِنْ دَمِي دِيَمَا
وَلاَ نَثَرْتُ عَقِيقَ الدَّمْعِ فِي طَلَلٍ
مِنْهُ أذِيعُ الَّذِي قَدْ كَانَ مُكْتَتَمَا
البَيْنُ يُقْطَعُ مِنْه كُلّ مُتَّصِلٍ
وَالشَّوْقُ يُنْثَرُ مِنْهُ كُلُّ مَا انْتظَمَا

"

وَالوَجْدُ شَادَ بجسْمِي مَا يُهَدِّمُـــهُ
آهٍ عَلَى مَا بَـــنَى فِيــهِ وَمَا هَدمَـــا
مَا خَططَ النَّوْمُ فِي جَفْني رَسْمَ كَرَى
إلاَّ مَحَا السُّهْدُ مَا قَدْ خُطَّ أوْ رُسِمَا
أنْبيكُــمُ إنَّــني مِنْ يَوْمِ بَيْنكُــمُ
مَا زِلْتُ لِلسُّهْدِ وَالتِّذكَــارِ مُلْتَزِمَــا
أرْتَاحُ إنْ هَبَّ رِيحٌ مِنْ جَنَابكُــمُ
أوْ لاَحَ بَــرْقٌ بذَاكَ الأفْقِ مُبْتَسِمَــا
أمَا وَمَنْ قَــدَّرَ الأشْيَــاءَ مُقْتَــدِراً
وَحُبِّكُمْ وَكَــفَى بالحُبِّ لِي قَسَمَــا
مَا رَامَ قَلْبي اصْطِبَاراً بَعْدَ بُعْدِكُــمُ
وَلاَ تَأخــَّرَ بِي مِنْ وَجْــدِهِ قَدَمَــا

ومــن قولــه لمــا شــفي المستنصــر مــن مرضــه:
اللَّـــهُ أنْعَمَ بَعْــدَ اليَــأسِ بالفــرَجِ
يَا أزْمَة الدَّهْرِ عِنْدَ الشدَّةِ انْفــرِجِي
شُكْرُ الخَلاَئِقِ لاَ يَكْفِي لأيْسَــرِ مَــا
كَفَى وَسَكَّنَ مِنْ هَرْجٍ وَمِنْ رَهَــجِ
أبْقَى الأنَامَ بإبْقَــاءِ الإمَــامِ فَكَــمْ
بصَوْنــهِ صَانَ مِنْ مَال وَمِنْ مُهَــجِ
إذَا رَعَى اللَّــهُ لِلإسْلاَمِ رَاعِيَهُــمْ
لَمْ نَأسَ مِنْ فَقْدِ ذِي قَدر وَلاَ هَمَجِ

"

مـــن شعـــره أيضـــا:

آهاً نُـــرَدِّدُ لَوْ تشْـــفِي لَنَـــا كَرَبـــاً
وَبالتَّعِلاَتِ نَحْيَا لَوْ قَضَتْ لَنَا أرَبـــَا

وَبِالأمَـــانِي يَنَـــالَ القَلْـــبُ بُغْيَتَـــهُ
وَقَدْ تَحَقَّـــقَ مِنْ مُعْتَادِهَـــا كَذِبَـــا

يَرْتَـــاحُ إنْ لاَحَ بَرْقٌ مِنْ جَهَامَتِهَـــا
وَمَـــا تَـــرَاءى لَـــهُ إلاَّ وَقَدْ ذَهَبَـــا

يُسَـــرُّ إنْ مُـــدَّ يَوْماً حَبْـــلُ مُنْيَتِـــهِ
وَمَا تَطـــَاوَلَ إلاَّ جُـــذ وَانْقَضَبَـــا

إنْ عَـــزَّ مَا يَبْتَغِيـــهِ فَهْوَ فِي هَـــرَجِ
وَيَخْتَشِي الفَقْدَ إنْ مَا يَبْتـــَغِي قَرُبـــَا

وَارَحْمَتَـــاهُ لِقَلْـــبِيكـــمْ أجَشَّمُـــهُ
أمْـــراً يُذِيبُ مِنَ الأصْلاَدِ مَا صَلُبَـــا

وَكَمْ يُعَـــانِي مُلِمَّـــاتٌ بأيْسَرِهَـــا
يُهَـــوِّنُ المَرْءُ مِنْ دُنْيَـــاهُ مَا صَعُبَـــا

وَكَمْ يُلَجْلِـــجُ فِي أفْكَارِهِ لُجَجـــاً
سُـــوداً تُؤَجِّجُ فِي أحْشَائِـــهِ لَهَبَـــا

وَكَمْ تَهُـــبُّ سَمُـــومٌ مِنْ تَنُفُســـهِ
لَو اسْتَمَرَتْ لَمَا هَبَّتْ نَسِيـــمُ صَبَـــا

اسْتَغْفِرُ اللـــَّهَ لاَ أشْكُو الزَّمَـــانَ وَلاَ
أبْـــدِي إذَا طَرَقَتْ أحْدَاثـــُهُ رَهَبَـــا

وَلاَ أئِـــنُّ لِحَـــظٍّ مِنْـــهُ أعْـــوَزَني
وَلاَ أسَـــرُّ إذَا مَاءُ المُـــنَى انْسَكَبَـــا

"

أَنَّى يُسَـــرُّ لَبِيـــبٌ إِنْ رَأَى حُلمَـــا
وَكَيْفَ يَطْرَبُ مَنْ خَمْرَ الفَنَا شَرِبَـــا

ـ ثـم **أبـو الحسـن نـور الديـن علـي بـن يونـس ابـن عبـد اللـه التونـسي الهـواري** (ولـد سنـة 668هـ/1269م)؛ وهـو مـن العلمـاء الأفاضـل، ومـن المصنفيـن؛ شـرح أصلي ابـن الحاجـب.

ـ ثـم **منصـور بـن سليـم بـن منصـور الجزيـري الهـواري** (كـان حيـا سنـة 684هـ/1285م)؛ فقيـه أجـاز لابـن جابـر الـوادي آشي في السنـة المذكـورة.

ـ ثـم **أبـو فـارس عبـد العزيـز بـن إبراهيـم بـن عبـد العزيـز بـن أحمـد بـن نبيـه الجزيـري السبـتي الهـواري** (ت: سنـة 701هـ/1301م)؛ فقيـه. وهـو مـن شيـوخ محمـد المجـاري الأندلـسي.

ـ ثـم **أبـو يحيى بـن أبي بكـر بـن برنيـق المجريـسي الهـواري** (كـان حيـا سنـة 707هـ/1307م)؛ وهـو مـن سكـان طرابلـس؛ وكـان فقيهـا؛ لـه إلمـام ومشاركـة في علـوم شـتى؛ منهـا: أصـول الديـن، والفقـه.

ـ ثـم **أبـو عبـد اللـه محمـد بـن عبـد اللـه الهـواري** (كـان حيـا سنـة 707هـ/1307م)؛ فقيـه، وصـوفي مـن سكـان تونـس؛ لـه شعـر ؛ منـه

"

بعـــض القصائـــد بعـــث بعثهـــا للتجـــاني أثنـــاء رحلتـــه مـــع السلطـــان ابـــن اللحيـــاني الحفـــصي:

مَنْ لِي بِخِلٍّ كَانَ يُؤنسُ وَحْشَـــتِي
وَيؤُمُّـــني بالبشْـــرِ إذ يَلْقَـــــانِي

صَاحَبْتُهُ فِي اللـــَّهِ أَحْسَنَ صُحْبَـــة
فَشَكَـــرْتُ مِنْـــهُ كُـــلَّ مَا أوْلانِي

وَرَأيْـــتُ مِنْـــهُ مَـــوَدَّة وَمَحَبَّـــــة
وَفَضَائِـــلاً زَادَتْ عَـــلَى الحُسْبَـــانِ

لاَ غَـــرْوَ أنْ حَـــازَ الكَمَالَ فَإنَّمَـــا
وَقْـــفُ الكَمَال عَلَى بَنِي تِيجَـــانِ

كَمْ زَهْرَة فِي رَوْضَةٍ سَمَحَتْ بـــهِ
فَرَأيْـــتُ بُسْتَانـــاً لَـــدَى بُسْتَـــانِ

فَـــوِدَادَهُ عِنْـــدِي نَضِيـــرٌ دَائِمـــاً
وَثَنَـــــاؤُهُ غَـــــضٌ بكُـــلِّ أوَانِ

أمقَـــدِّمَ الآبَـــاءِ دُونَ مُنَـــــازِعِ
وَسُلاَلَـــة الحُسَبَـــاءِ وَالأعْيَـــــانِ

وَأجَـــلَّ حَبْرٍ قَدْ سَمَا فِي عَصْرِنَـــا
بالْعِلْـــمِ وَالآدَابِ وَالإتْقَـــــانِ

قَدْ جَاءَنِي مِنْكُمْ كِتَـــابٌ سَـــرَّنِي
بالبشْـــرِ وَالتَّرْحِيـــب إذ حَيَّـــانِي

إنِّي لأحْيَـــا إذ سَمِعْتُ بذِكْرِكُـــمْ
فَأخَـــالُ قَلْبِي فَـــاضَ مِنْ أجْفَـــانِي

"

فَاللَّــهُ يَجْمَــعُ شَمْلَنَــا بِلِقَائِكُــمْ
وَيَزِيدُكُــمْ بِالعَفْــوِ وَالغُفْــرَانِ
وَعَلَيْكُــمُ مِــنِّي سَــلاَمٌ دَائِــمٌ
مُتَعَطِّــرٌ مَا اهْتَــزَّ غُصْــنُ البَــانِ

ويقــول في قصيــدة أخــرى أرسلهــا إلى التجــاني أيضــا:

كِتَابُكُمْ أَهْدَى مِنَ الوَجْدِ مَا أَهْدَى
فَلاَ تَحْسبُوا أَنِّي نَقَضْتُ لَكُمْ عَهْــدَا
سَــرَى لِي بسِرٍّ مِنْهُ عَرْفٌ مُعَــرَّفٌ
أَفَــادَ بِمَسْرَاهُ الصَّبَابَــةَ وَالوَجْــدا
حَبَانِي بِحُبٍّ سَيِّــدٌ فِيهِ مَاجِــدٌ
بِهِ شَرَّفَ اللَّــهُ السِّيَــادَة وَالَمجْــدَا
نَسِيمُ الصَّبَا باللّــهِ سِــرْ بِتَحِيَّــةٍ
فَضَضْتُ بِهَا مِنْ شُكْرِهِ المِسْكَ وَالنَّدَا
كَأَنِّي بِهِ لَمَّا جَرَى البَيْــنُ بَيْنَنَــا
وَمَدَّ حِجَابَ البُعْدِ مَا بَيْنَنَــا مَــدَّا
يَقُولُ جَفَا أَوْ مَالَ أَوْ مَلَّ أَوْ سَلاَ
وَحَالَ عَنِ الإِخْلاَصِ أَوْ نَسِيَ الــوُدَّا
غَرَامِي غَرَامِي بالحَبِيب وَإِنْ نَــأَى
وَحُبِّي لَهُ حُــبِّي دَنَــا لِي أَوْ صَــدَّا
وَإِنِّي لَمُشْتَــاقٌ إِلَيْــكَ وَصَابِــرٌ
إِذَا لَمْ أَجِــدْ مِمَّا أُكَابِــدُهُ بُــدَّا

"

وَإذَا خَطَرَتْ ذِكْرَاكَ يَوْماً بخَاطِرِي
وَجَدْتُ لِحَرِّ الشَّوْق فِي إثْرِهَا بَــرْدَا
ألاَ نَفْحَــة مِنْكُــمْ تُبَــرِّدُ بَاطِــنِي
فَإنَّ بقَلْبي مِنْ أَلِيم النَّــوَى وَقْــدَا
ألاَ مَوْعِــدٌ مِنْكُمْ يُعَلِّــلُ مُهْجَــتِي
فَأرْتَاحُ لِلقيَــا وَأسْتَنْجــز الوَعْــدَا
لَئِــنْ جَاءَني يَوْماً بَشِيرٌ بقُرْبكُــمْ
وَهَبْتُ لَهُ نَفْسي وَأَهْونْ بهَا نَقْــدا
وَإنــِّي لأسْتَجْــدِي ودَادَكَ إنَّــهُ
أجَلُّ نَفِيس وَالأفَاضِــلُ تُسْتَجْــدَا
وَإنِّي لأسْتَهْدِي سَلاَمَــكَ جَالِبــاً
بمَأتَــاهُ أنْسِي وَالأكَارِمُ تُسْتَهْــدَى
وَإنِّي لأسْتَــدْعِي جَوَابَــكَ رَاغِبــاً
لِيُفْتَحَ بَابُ القُرْب مِنْ بَعْدِ مَا سُــدَّا
لَقَدْ ضَيَّعَ الأصْحَابُ عَهْدِي وَلاَ نَوَى
وَأنْتَ بظَهْر الغَيْب تَحْفَظُ لِيَ الوُدَّا
سَأشْكُرُكُمْ شُكْرَ الرِّيَاض بسُحْبهَــا
وَأنْظِمُ فِيكُمْ مِنْ حُلَى مَجْدِكُمْ عِقْدَا
وَأجْهَدُ فِي شُكْري لِمَجْدِكُمْ عَسَى
بفَضْلِكُمْ أنْ تَقْبَلُوا مِــنِّيَ الجُهْــدَا

"

ـ ثم **أبو بكر يحيى بن أبي القاسم بن جماعة التونسي الهواري** (ت: سنة 712هـ/1312م)؛ فقيه.

ـ ثم **أبو علي عمر بن علي بن قداح التونسي الهواري** (توفي بعد عام 730هـ/1329م)؛ إمام من أئمة الفقه المالكي؛ ومن المختصين بالفتيا؛ وولي قضاء الجماعة بتونس؛ فكان حميد الذكر؛ قام بإعداد بعض التقييدات في بعض المسائل.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن عبد السلام ابن يوسف بن كثير المنستيري الهواري** (توفي في تونس بالطاعون سنة 749هـ/1348م)؛ وهو فقيه مالكي، ومن الحفاظ، ضليع في علوم: الأصول، والعربية، والبيان، والحديث، والكلام؛ ولي قضاء الجماعة بتونس، فكان شديدا في أحكامه؛ وأنجز شرحا مفيدا لمختصر ابن الحاجب؛ وهو شرح جامع الأمهات لابن الحاجب؛ في فقه، والفتوى.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي الهواري** المعروف بابن جابر (توفي في إلبيرة سنة 780هـ/1378م)؛ وهو من المرية. قال فيه ابن الخطيب: ((**رجل كفيف البصر، مدلٌ على الشعر، عظيم الكفاية والمنة، على**

"

زمانتـــه. رحـــل إلى المشـــرق؛ وتظاهـــر برجـــل مـــن أصحابنـــا يعـــرف بأبي جعفـــر الإلبيـــري؛ صـــارا روحيـــن في جســـد؛ وَوَقـــع الشعـــر منهمـــا بيـــن لَـحْيَيْ أســـد، وشمَّـــرا لِلعلـــم وطلبـــه؛ فكـــان وظيفـــة الكفيـــف النَّظـــم، ووظيفـــة البصيـــر الكَتْـــبُ؛ وانقطـــع الآن خبرهمـــا)).[1] وأضـــاف المقـــري إلى هـــذه الترجمـــة:[2] **((ودخـــل مصـــر والشـــام؛ واستوطـــن حلـــب؛ وهـــو صاحـــب البديعيـــة المعروفـــة ببديعيـــة العميـــان؛ ولـــه أمـــداح نبويـــة كثيـــرة، وتواليـــف؛ منهـــا: شـــرح ألفيـــة ابـــن مالـــك، وغيـــر ذلـــك، ولـــه ديـــوان شعـــر، وأمـــداح نبويـــة في غايـــة الإجـــادة)).** قـــام أيضـــا بشـــرح ألفيـــة ابـــن المعـــطي الـــزواوي. ومـــن شعـــره الـــذي أثبتـــه ابـــن الخطيـــب في الإحاطـــة، والمقـــري في نفـــح الطيـــب:

سَلوُا حُسْنَ ذَاكَ الخَالِ فِي صَفحَةِ الخَدِّ
مَتىَ رقَمُوا بالِمسْكِ فِي نَاعِمِ الـــوَرْدِ
وَقُولُوا لِذَاكَ الثَّغْرِ فِي ذَلكَ اللُّـــمَى
مَتىَ كَانَ شَأنُ الدرِّ يُوجَدُ فِي الشَّهْدِ
فَتَـــاة تَفُـــتُّ القَلْـــبَ مِنيِّ بمُقْلَـــةٍ
لَهَا رِقَّة الغُزْلاَنِ فِي سَطْوَة الأسْـــدِ

---

[1] **الإحاطة، ج: 2، ص: 330.**

[2] **نفـــح الطيـــب، ج: 2، ص: 664.**

"

فَقُلْتُ أَلَيْسَ القَلْبُ عِنْدَكِ حَاصِـــلاً
فَقَالتْ قُلُوبُ النَّاسِ كُلُّهُمُ عِنْـــدِي
فَقُلتُ اجْعَلِيني مِنْ عَبيدِكِ فِي الْهَوَى
فَقَالَتْ كَفَانِي كَمْ لِحُسْنِيَ مِنْ عَبْدِ
إذَا شِئْتَ أنْ أرْضَاكَ عَبْداً فَمُتْ جَوًى
وَلاَ تَشْتَكِي وَاصْبِرْ عَلىَ أَلَمِ الصَّـــدِ
أَلَمْ تـــَرَ أنَّ النَّحْـــلَ يُحْمَلُ ضُرُّهَـــا
لأجْلِ الَّذي تَجْنيهِ مِنْ خَالِصِ الشَّهْدِ
كَذَلِكَ بَذْلُ النَّفسِ سَهْلٌ لِذِي النُّهَى
لِمَا يَكْسَبُ الإنْسَانُ مِنْ شَرَفِ الحَمْدِ
أَلَسْتَ تَرَى كَفَّ ابْنَ جَانَة طَالَمَـــا
أضَاعَ كَرِيمَ المَال فِي طَلَب المَجْـــدِ

وفي قصيـــدة أخـــرى يقـــول:

عَـــرِّجْ عَلىَ بَـــانِ العُذَيْب وَنَـــادي
وَأنْشـــدْ فَدَيْتُـــكَ أيْنَ حَلَّ فُـــؤَادِي
وَإذَا مَـــرَرْتَ عَلَىَ المَنَازل بالحِـــمَى
فَاشْـــرَحْ هُنَالِكَ لَوْعَتِي وَسُهَـــادِي
إيـــهٍ فَدَيْتُـــكِ يَانُسَيْمـــَة خَبِّـــري
كَيْفَ الأحِبَّـــة وَالْحِمَى وَالْـــوَادِي
يَا سَعْـــدُ قَدْ بَانَ الْعُذَيْبُ وَبَانُـــهُ
فَانْزِلْ فَدَيْتُـــكَ قَدْ بَـــدَا إسْعَـــادِي

"

خُـــذْ فِي البشَارَةِ مُهْجَتِي يَوْمـــاً إذَا
بَانَ العُذَيْبُ وَنُورُ حُسْنِ سعَـــادِي
قَدْ صَحَّ عِيدِي يَوْمَ أبْصِرُ حُسْنَهَـــا
وَكَـــذَا الهِـــلاَلُ عَلاَمَـــة الأعْيَـــادِ

ويقـــول في قصيـــدة مديحيـــة:
هَنَاؤُكُـــمْ يَا أهْلَ طَيْبَـــة قَد حَقَّـــا
فَبالقُرْبِ مِنْ خَيْرِ الوَرَى حُزْتُمُ السَّبْقَا
فَـــلاَ يَتَحَـــرَّك سَاكِنٌ مِنْكُـــمُ إلىَ
سِوَاهَا وَإنْ جَارَ الزَّمَانُ وَإنْ شَقَـــا
فَكَمْ مَلِـــكٍ رَامَ الوُصُولَ لِمِثْلِ مَـــا
وَصَلْتُمْ فَلَمْ يَقْدِرْ وَلَوْ مَلَكَ الخَلْقَـــا
فَبُشْرَاكُـــمُ نلْتُـــمْ عِنَايَـــة رَبِّكُـــمْ
فَهَا أنْتُمُ فِي بَحْرِ نعْمَتِـــه غَـــرقىَ
تَرَوْنَ رَسُولَ اللَّـــهِ فِي كُلِّ سَاعَـــةٍ
وَمَنَ يَـــرَهُ فَهُوَ السَّعِيـــدُ بهِ حَقَّـــا
مَتىَ جِئْتـــُمُ لاَ يُغْلَقُ البَابُ دُونَكُـــمُ
وَبَابُ ذَوِي الإحْسَانِ لاَ يَقْبَلُ الغَلْقَا
بِطَيْبَـــة مَثْوَاكُمُ، وَأكْـــرَمُ مُرْسَـــلٍ
يُلاَحِظُكُمْ فَالَّدهْرُ يَجْرِي لَكُمْ وَفْقَا
فَلاَ تَنْظُـــرُوا إلاَّ لِوَجْـــهِ حَبِيبكُـــمُ
وَإنْ جَاءَتِ الدُّنْيا وَمَرَّتْ فَلاَ فَرْقَـــا

"

وله المقصورة الموصوفة بالفريدة؛ وهي منظومة معشرات؛ على حروف المعجم؛ منها على حرف الهمزة:

بَادَرَ قَلْبي لِلْهَوَى وَمَا ارْتَأى
لَمَّا رَأى مِنْ حُسْنِهَا مَا قَدْ رَأى
فَقَرَّبَ الوَجْدَ لِقَلْبِي حُبَّهَا
وَكَانَ قَلْبِي قَبْلَ هَذَا قَدْ نَأى
يَا أيُّهَا العَاذِلُ فِي حُبِّي لَهَا
أقْصِرْ فَلِي سَمْعٌ عَنِ العَذْل بَأى
لَوْ أبْصَرَ العَاذِلُ مِنْهَا لَمْحَةً
مَا فَضَّ بَابَ عَذلِهِ وَلاَ فَأى
سَرَّحْتُ طَرْفِي طَالِباً شَأوَ العُلاَ
وَتَابعاً فِي حُبِّهَا مَا قَدْ شَأى
إنِّي لأرْعَاهَا عَلىَ تَتْبيعِهَا
عَهْدِي، وَمِثْلِي مَنْ وَفَى إذَا وَأى
مَنْ مُنْصِفِي مِن شَادِنٍ لَمْ أرْجُهُ
لِحَاجَةٍ مِنْ وَصْلِهِ إلاَّ زَأى
وَإنْ قَبضْتُ النَّفْسَ عَنْ سُلْوَانِهِ
مَدَّ أدِيمَ هَجْرِهِ لِي وَسَأى
لأقْطَعَنَّ البيدَ أفْرِي حَاذَهَا
بِضَامِرٍ يَفْرِي الحَصَى إذَا جَأى
حَتَّ أزُورَ رَبَّةَ الخِدْرِ وَقَدْ
ذَادَ الكَرَى عَنِّ الوُشَاة وَذَأى

"

وعـــلى حـــرف البـــاء يقـــول:

يَـــا رُبَّ لَيْـــلٍ قَـــدْ تَعَاطَيْنَـــا بِـــهِ
حَدِيثَ أنْـــسٍ مِثلَ أزْهَـــارِ الـــرُّبَى
فِي رَوْضَـــةٍ تَعَانَقَـــتْ أغْصَانُهَـــا
إذْ وَاصَلَـــتْ مَا بَيْنَهَا رِيحُ الصَّبَـــا
نَادَمْـــتُ فِيهَـــا مِنْ بَنِي الحُسْنِ رَشَا
يَصْبُـــو لَهُ مَنْ لَمْ يَكُنْ قَـــطُّ صَبَـــا
حُلْـــوٌ رَخِيمُ الـــدلِّ فِي أعْطَافِـــهِ
لِيـــنٌ وَفِي ألْحَاظِهِ بِيـــضُ الظُّـــبَى
أيَّـــامَ كَانَ العَيْـــشُ غَضًّا حُسْنُـــهُ
عَذْبَ الجَنَى رَيَّـــانَ مِنْ مَاءِ الصِّبَـــا

وعـــلى حـــرف التـــاء يقـــول:

تَاللَّـــهِ لاَ أعْبَـــا بِعَيْشٍ قَدْ مَـــضَى
وَلاَ زَمَـــانٍ قَـــدْ تَعَـــدَّى وَعَتَـــا
مُذْ عَلِقَتْ كَـــفِّيَ بِالهَادِي الَّـــذِي
سَـــادَ الوَرَى طِفْلاً وَكَهْلاً وَفَـــتَى

وعـــلى حـــرف الثـــاء:

لَـــوْلاَ اشْتِيَـــاقِي لِدِيَـــارٍ كَرُمَـــتْ
لِبُعْدِهَـــا يَـــرْثِي لَنَـــا مَنْ قَدْ رَثَى
وَمَـــدْحُ مَنْ أرْجُـــو بِأمْدَاحِي لَـــهُ
إصْلاَحَ مَا قَدْ عَـــاثَ مِـــنِّ وَعَثَـــا

"

لَمْ أجْعَــلِ الشِّعْــرَ لِنَفْسي خِلَّــة

وَلَمْ يَجــشْ فِكْري بــهِ وَلاَ غَثــا

فَمَا أرَى الأيَّــامَ تَبْــدِي مُنْصِفــاً

وَلوْ حَكَيْتُ المِسْكَ مِنْ حُسْنِ الثنَــا

يَا ضَيْعَــةَ الألْبَابِ فِي دَهْــرٍ غَــدَا

فِيهِ فَتِيَــتُ المِسْكِ يَعْلــُوهُ الخــثَى

ومــن حــرف الجيــم:

لاَ أسْألُ النَّــذلَ وَلَــوْ أنِيِّ بــهِ

أمْلــكُ مَا حَــازَ النَّهَارُ وَالــدُّجَى

حَسْبِي بَنُــو عَبْــدِ مَنَــافٍ بهــمُ

يَغْنَى مَنِ اسْتَــغْنَى وَيَنْجُو مَنْ نَجَــا

ثــم مــن حــرف الخــاء:

يَا عَجَبــاً مِنْ حَاسِدٍ لِي قَدْ زَهَــا

بعَيْشِــهِ الغــَضِّ عَــلَيَّ وَانْتَــخَى

كَأَنَّــنِي لَــمْ أعْــرفِ العِــزَّ وَلاَ

صَاحَبْتُ دَهْري فِي سُرُورٍ وَرَخَــا

وَإنَّمَــا الدَّهْــــرُ لَــهُ تَقَلُّـــــبٌ

إنِ ارْتَــخَى شَدَّ وَإنْ شَدَّ ارْتَــخَى

"

ثـم حـرف الـدال:

إنْ تَحْسبَ الرُّسْلَ سَمَاءً قَدْ بَـدَتْ
فَإنَّـهُ فِي أفْقِهَـا نَجْـمُ هَـدَى

وَإنْ يَكُـنْ كُلُّ كَرِيـمٍ قَدْ مَضَى
طَـلاًّ فَقَد أضْحَى لَنَا غَيْثَ جَـدَا

وَإنْ يَكُونُـوا أنْجُمـاً فِي فَلَـكٍ
فَإنَّـه مِـنْ بَيْنِهِـمْ بَـدْرٌ بَـدَا

وَاسِطَـة السِّلْـكِ إذَا مَا نُظِمُـوا
وَمَلْجَـأ القَـوْمِ إذَا الخَطْبُ عَـدَا

كَالبَحْرِ بَلْ كَالبَـدْرِ جُوداً وَسَنَـا
فَحَبَّـذَا مَنِ اجْتَـدَى أوِ اقْتَـدَى

أحْسَـن أخْلاَقـاً مِنَ الـرَّوْضِ إذَا
مَا اخْتَالَ فِي بُرْدِ الصِّبَا أوِ ارْتَـدَى

وَسَاقَـطَ القَطْـرُ عَلَيْـهِ دَمْعَـهُ
فَابْتَـلَّ بُـرْدُ الزَّهْرِ مِنْـهُ وَانْتَـدَى

وهي كمـا تـرى.. تتكـون مـن عشـرة أبيـات؛ لـكل حـرف مـن الحـروف الهجائيـة. ولـه أيضـا المطولـة المسمـاة البديعيـة؛ الـتي قـال عنهـا المقـري: **((ومـن محاسنـه أيضـا البديعيـة المشهـورة؛ وهي المعروفـة ببديعيـة العميـان؛ ولـو لـم يكـن مـن محاسنـه إلا قصيدتـه الـتي في التوريـة بسـور القـرآن، ومـدح النـبي صـلى اللـه عليـه وسلـم**

"

لكفى؛ وهي من غرر القصائد؛ وكثير من الناس ينسبها للقاضي الشهير عالم المغرب أبي الفضل عياض؛ وكنت أول الاشتغال ممن يعتقد صحة تلك النسبة؛ حتى وقفت على شرح البديعية الموصوفة لرفيقه أبي جعفر؛ فإذا هي منسوبة للناظم ابن جابر... وقد عارض منحاها جماعة فما شقوا لها غبارا)).[1] وهذه عينة من البديعية المذكورة:

فِي كُلِّ فَاتِحَةٍ لِلْقَوْلِ معتبر
حَقُّ الثَنَاءِ عَلَىَ المَبْعُوثِ أتبقره
فِي آلِ عِمْرَانَ قَدْماً شَاعَ مَبْعَثُهُ
رِجَالُهُمْ وَالنَّسَاءُ اسْتَوْضَحُوا خَبَرَه
مَنْ مَدَّ لِلنَّاسِ مِنْ نُعْمَاهُ مَائِدَةَ
عَمَّتْ فَلَيْسَتْ عَلىَ الأَنْعَامِ مقتصر
أعْرَافُ نُعْمَاهُ مَا حَلَّ الرَّجَاءُ بِهَا
إلاَّ وَأَنْفَالُ ذَاكَ الجُودُ مبتدؤه
بِهِ تَوَسَّلَ إذْ نَادَى بتَوْبَتِهِ
فِي البَحْرِ يُونُسُ وَالظَّلْمَاءُ معكره
هُودٌ وَيُوسُفُ كَمْ خَوْفٌ بِهِ أمِنَا
ولن يروع صوت الرعد من ذكره

[1] نفح الطيب، ج: 7، ص ص: 323. 326.

"

وهي على هذا المنوال في التورية لسور القرآن الكريم؛ ونظرا لشهرتها، وطرافتها فقد أغرت كثيرا من الناظمين، والناثرين على معارضتها بمختلف الأشكال. ولابن جابر الهواري قصائد كثيرة في مختلف الأغراض؛ منها:

وَقَفَتْ لِلْوَدَاعِ زَيْنَبُ لَمَّا
رَحَلَ الرَّكْبُ وَالمَدَامِعُ تُسْكَبْ
مَسَحَتْ بِالبَنَانِ دَمْعِي، وَحُلْوٌ
سَكْبُ دَمْعِي عَلَى أَصَابِعِ زَيْنَبْ

كما اشتهرت تثمينته التي يقول فيها:

لَمْ يَبْقَ فِيَّ اصْطِبَارُ
مُذْ خَلَّفُونِي وَسَارُوا
وَلِلْحَبِيبِ أشَارُوا
جَارَ الكِرَامُ فَجَارُوا
لِلَّهِ ذَاكَ الأوَارُ
بَانُوا فَمَا الدَّارُ دَارُ
يَا بَدْرُ أهْلُكَ جَارُوا وَعَلَّمُوكَ التَّجَرِّي
كَانُوا مَعَ الوُدِّ أهْلِي
مَا عَامَلُونِي بِعَدْلِ
أصْمَوْا فُؤَادِي بِنَبْلِ
يَا بَيْنُ بَيَّنْتَ ثُكْلِي
يَا رُوحَ قَلْبِيَ قُلْ لِي

"

أهُـــمْ دَعَـــوْكَ لِقَتْـــلِي
وَحَرَّمُوا لَكَ وَصْلِي وَحَلَّلُوا لَكَ هَجْرِي
حَسْـــبِي وَمَـــا ذَا عِنَـــادُ
هُـــمُ المُـــنَى وَالمُـــرَادُ
وَإِنْ عَنِ الحَـــقِّ حَـــادُوا
أَوْ جَامَلُـــونِي وَجَـــادُوا
يَا مَنْ بِه الكُـــلُّ سَـــادُوا
وَالكُلُّ عِنْـــدِي سَـــدَادُ
فَلْيَفْعَلُـــوا مَا أَرَادُوا فَإِنَّهُمْ أَهْـــلُ بَـــدْرِ

ــ **ثـــم أبـــو عبـــد اللـــه محمـــد بـــن عمـــر الهـــواري** (تـــوفي بوهـــران سنـــة 843هــ/1439م)؛ وهـــو الـــولي الصالـــح المخصـــوص بالزيـــارة في مدينـــة وهـــران. ألـــف منظومـــة غيـــر معربـــة عرفـــت باســـم سهـــو والتنبيـــه؛ انكـــب عـــلى تصحيحهـــا عروضيـــا، ولغويـــا الفقيـــه أبـــو زيـــد عبـــد الرحمـــن المقلـــش؛ ولمـــا أخبـــر أبـــو عبـــد اللـــه الهـــواري بذلـــك أجابـــه: **((هـــذا السهـــو يقـــال لـــه سهـــو المقلـــش؛ أمـــا سهـــوي فهـــو سهـــو الفقـــراء؛ إنمـــا ينظـــرون فيـــه إلى المعـــنى؛ ومـــن أيـــن العربيـــة، والـــوزن لمحمـــد الهـــواري؛ بـــل سهـــوي يبـــقى عـــلى مـــا هـــو عليـــه)).**[1] ويفهـــم ــ

---

[1] ابـــن مريـــم؛ البستـــان، ص: 229.

"

بالطبع ـ من هذا أنه تعمد كتابته بهذا الشكل غير المعرب، ولا الموزون؛ لكي تستفيد منه العامة. وله أيضا التسهيل، والتبيان، وتبصرة السائل.

ـ ثم **أبو محمد عبد السلام الفاسي الهواري** (ت: سنة 1328هـ/1910م)؛ وهو من فقهاء المذهب المالكي؛ ولي القضاء؛ وله بعض المؤلفات؛ منها: كتاب شرح وثائق البناني.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد الهواري** كان فقيها، وراوية، ومحدثا وكاتبا بليغا.

ooo

هذا ما أمكن إدراجه عن رجال العلم، والأدب من قبيل هوارة أصلا؛ أما أعلام السياسة، والحكم منهم فهم:

ـ **عبد الواحد بن يزيد الهواري** (ت: سنة 124هـ/741م)؛ وهو قائد الصفرية الزاحفين على القيروان؛ في السنة التي ولي فيها حنظلة بن صفوان الكلبي؛ فانتهت ثورته بالفشل، إذ قتل هو، وعدد كبير من أنصاره.

ـ ثم **عياض بن وهب الهواري** (كان حيا سنة 196هـ/811م)؛ قاد ثورتين على أمراء القيروان: الأولى سنة 179هـ/795م؛ ضد هرثمة بن أعين، أما الثانية فضد الأمير إبراهيم بن ألأغلب، وابنه عبد الله.

ـ ثم **مجاهد بن مسلم الهواري** (من أعلام النصف الأول من القرن الثاني للهجرة)؛ وهو أحد قادة عبد الرحمن بن حبيب؛ المتغلب على القيروان.

ـ ثم **أبو يحيى بن قَرْياس الهواري** (ت: سنة 156هـ/772م)؛ ثار على يزيد بن حاتم والي إفريقية؛ ولكنه لم يفلح؛ وقتل مع عدد من أنصاره الهواريين، والزناتيين والنفوسيين.

ـ ثم **وزواوة بن نعم الحلفاء الهواري** (كان حيا سنة 212هـ/827م)؛ وهو من القادة الذين أرسلوا لغزو صقلية.

ـ ثم **أصبغ بن وكيل الهواري** المعروف بفرغلوش (ت: 216هـ/831م)؛ جاء هذا القائد البحري مع رفاق له من متطوعي الأندلس. ولما وصل وجد جيش المسلمين في صقلية في حالة سيئة؛ فكان نجدة إلهية إليهم. وبشروط منه سلمت إليه قيادة المسلمين بالكامل؛ منعا

"

للتضارب، والتناقض؛ ولكنه لم يدم طويلا؛ إذ مات بوباء الطاعون؛ الذي اجتاح صقلية، ومات منه كثير من المسلمين.

ـ ثم **زنون** (ذي النون) **بن سليمان بن السمح بن وردجيقن الهواري**؛ وقد سماه المؤرخون العرب في البداية **دنون**، ثم **ذي النون** فيما بعد (توفي بأقليش سنة 274هـ/887م)؛ وهو جد بني ذي النون ملوك طليطلة في زمن الطوائف. كان في بداية أمره بحصن أقليش؛ قاعدة كورة شنتبرية؛ حيث أسند إليه السلطان محمد بن عبد الرحمن بن الحكم إدارة شئون قومه، ومن سكن كورة شنتبرية. وبهذا بدأ شأنهم في الرياسة والملك. وكان أول من دخل من هذه الأسرة إلى بلاد الأندلس جدهم سليمان بن السمح.

ـ ثم الأمير **موسى بن زنون** (ذي النون) **بن سليمان بن السمح بن وردجيقن الهواري** (ت: سنة 295هـ/907م)؛ يعتبر هو المؤسس الأول لإمارة بني ذي النون في بلاد الأندلس؛ ولي إمارة شنتبرية بعد وفاة أخيه **أبي جوشن**؛ الذي لم يدم حكمه طويلا؛ حيث عاجلته المنية. وكان من قبل هو وأخيه رهينتين لدى محمد بن

عبد الرحمن بقرطبة؛ ضمانا لطاعة أبيهما زنون. ولما ولي موسى إمارة شنتبرية؛ شرع في التطلع للاستبداد؛ وانتهز فرصته في عهد عبد الله ابن محمد الأموي؛ فكان له ذلك؛ وبقي حتى وفاته.

ــ ثم الأمير **الفتح بن موسى بن زنون** (ذي النون) **بن سليمان بن السمح الهواري** (ت: سنة 303هـ/915م)؛ خلف والده في الاستبداد بحصن أقليش بالأندلس، وقتله واحد من أتباعه؛ غدرا أمام طليطلة.

ــ ثم **يحيى بن موسى بن ذي النون الهواري** (ت: سنة 325هـ/926م)؛ كان من ولاة الدولة الأموية؛ ولكنه أخذ في قطع الطرق، والتعرض للناس؛ فأرسل الأمير عبد الله بن محمد الأموي جيشا لمطاردته؛ فقبض عليه؛ ثم صفح عنه الناصر؛ فانصلح حاله.

ــ ثم الأمير **مطرف بن موسى بن ذي النون الهواري** (ت: سنة 333هـ/944م)؛ في البداية أقطعه أبوه ــ الأمير المستبد على بني أمية ــ حصن وبذة؛ ولما اعتلى عبد الرحمن الناصر لدين الله عرش الخلافة؛ أعلن الأمير مطرف ولاءه؛ فأقره الناصر في إمارته؛ ثم أضاف إليه أغلب

"

الحصون والقرى في مقاطعة شنتبرية؛ وظل محافظا على العهد، والطاعة إلى يوم وفاته. غير أنه جاء في القطعة التي حققها عبد الرحمن علي الحجي لكتاب المقتبس؛ أن الخليفة المستنصر بالله أقر لمطرف بن إسماعيل إمارة وبذة وبقية الحصون في عام 363هـ/973م؛ مما يعني أن المطرف لم يمت في سنة 333هـ/944م؛ كما ذكرت مصادر أخرى.

ـ ثم **عبد الرحمن بن عامر بن ذي النون الهواري** (من أعلام النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة)؛ حكم في عهد الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر؛ وكان مستبدا بنواحي شنتبرية؛ على نهج أسلافه من بني ذي النون. ولما استنجد به سكان طليطلة؛ لصد جور واليهم عبد الملك بن متيوه؛ بعث إليهم ولده إسماعيل بن عبد الرحمن بن ذي النون؛ الذي استولى على المدينة، وأحسن السيرة فيهم.

"

ـ ثم **الظافر إسماعيل بن عبد الرحمن بن عامر بن ذي النون الهواري** (ت: سنة 429 أو 435هـ/1037 أو 1043م)؛ سار سيرة حسنة في حكم طليطلة؛ ثم أضيفت إليه قلعة كونكة؛ وقد أخذ عليه ابن حيان ـ كما نقل صاحب الذخيرة ـ ميله إلى البخل، ((**والكلف بالإمساك، والتقتير في الإنفاق**)) بالإضافة إلى سبقه لإعلان الخلاف والفرقة، والتطرف.

ـ ثم **هُذيْل بن خَلَف بن لُبّ بن رَزين الهواري** المعروف بابن الأصلع (من أعلام أوائل القرن الخامس للهجرة)؛ نقل كل من: ابن عذاري، وابن الخطيب عن ابن حيان خبر هذيل هذا بقولهما هو: ((**صاحب السهلة؛ متوسطة ما بين الثغرين الأعلى والأدنى؛ من قرطبة. وكان من أكابر برابر الثغر؛ ورث ذلك عن سلفه. ثم سما لأول الفتنة إلى اقتطاع عمله، والأمارة بجماعته، والتشبه بجاره إسماعيل بن ذي النون؛ في الشرود عن سلطان قرطبة. فاستوى له من ذلك ما أراد؛ هو وغيره؛ إلا أنه كان مع تعززه على هشام؛ لم يخرج عن طاعته؛ ولا وافق منذرا، وأصحابه على التمالؤ عليه؛ إلى**

"

أن ظفر سليمان بهشام المؤيد؛ المخلوع آخر القوم بقرطبة؛ فسلك مسلكهم. ورضي منه بذلك سليمان؛ وعقد له على ما في يده؛ لعجزه عنه... فسلم من معرة الفتنة أكثر وقته، وتخطته الحوادث لقوة سعده؛ واقتصر مع ذلك على ضبط بلده المرسوم بولاية والده؛ وترك التجاوز لحده، والامتداد إلى شيء من أعمال غيره. فاستقام أمره، وعمر بلده، وأنظر بُعْدَ جُمْهُور الثوار بالأندلس مدة الحياة. وليس في بلد الثغر أخصب بقعة من سهلته المنسوبة إلى بني رَزين سلفه؛ لاتصال عمارتها؛ فكثر ماله؛ إذ ناغى جاره، وشبيهه إسماعيل بن ذي النون في جمع المال؛ ونافسه في خلال البخل، وفرط القسوة... وكان بارع الجمال، حسن الخلق، أرفع الملوك همة في اكتساب الآلات... وتصير أمره إلى الحاجب ذي الرياستين أبي مروان عبد الملك بن رزين بن هذيل؛ حسام الدولة. وعندئذ احتفل مجدهم، وبلغ النهاية في الإشراف نَجْدُهم)).[1] وبعد وفاة هذيل خلفه ابنه عَبود بن هذيل؛ ولما توفي ولي بعده عبد الملك.

---

[1] البيان المغرب، ج: 1، ص ص: 181 ـــ 182. أعمال الأعلام، ص ص: 205 ـــ 206.

"

ـ ثم الأمير **المأمون أبو زكرياء يحيى بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن عامر بن ذي النون الهواري** (ت: سنة 460 أو 467 هـ/1067 أو 1074م)؛ وهو من ملوك الطوائف ببلاد الأندلس؛ تولى ـ بعد وفاة والده ـ على طليطلة؛ وتزاحم مع ابن هود على وادي الحجارة؛ فتقاتلا؛ واستعان كل منهما بالنصارى ضد خصمه؛ مما أدى إلى تخريب بلادهما من طرف النصارى. واستمرت الحرب سجالا بينهما؛ حتى وفاة ابن هود. عندها.. تمكن يحيى بن ذي النون من إخضاع شرق الأندلس كله تحت سلطانه؛ إلى أن مات بطليطلة. وقال فيه أبو محمد الحجاري في كتاب المغرب: ((**لم يكن فيهم** (بنو ذي النون) **أعظم قدرا، ولا أشهر ذكرا منه؛ اجتمع في مجلسه أبو عبد الله محمد بن شرف؛ حسنة القيروان، وعبد الله ابن خليفة المصري؛ الحكيم** (الشاعر)، **وأبو الفضل البغدادي؛ الأديب** (محمد بن عبد الواحد الدارمي). **ولم يجتمع عند ملك من ملوك الأندلس ما اجتمع عنده من الوزراء والكتاب الجلة؛ منهم: أبو عيسى بن لبون** (الأديب الشاعر والوزير القائد)، **وابن سفيان**

"

(أبـــو محمـــد الشاعـــر البليـــغ)، **وأبـــو عامـــر بـــن الفـــرج** (الوزيـــر الشاعـــر)، **وأبـــو المطـــرف بـــن مثـــنى)).**[1]

ــ ثـــم حفيـــده **القـــادر يحـــيى بـــن إسماعيـــل بـــن المأمـــون بـــن يحـــيى بـــن ذي النـــون** (تـــوفي مقتـــولا في بلسيـــة سنـــة 481 أو 485هــ/1088 أو 1092م)؛ لـــم يســـر سيـــرة أسلافـــه؛ فكـــان ســـيئ الـــرأي؛ فانتـــهى أمـــره بالقتـــل؛ والوصـــول بدولتـــه إلى السقـــوط في يـــد المرابطيـــن.

ــ ثـــم **يعقـــوب بـــن يوســـف بـــن حيـــون الهـــواري** (مـــن أعـــلام النصـــف الأول مـــن القـــرن الثامـــن للهجـــرة)؛ ولاه السلطـــان العبـــد الـــوادي **أبـــو حمـــو الأول** سنـــة 710هــ قائـــدا عـــلى **بـــني توجيـــن**؛ بعـــد إخضاعهـــم.

***

ــ *مواطنهـــم:* يقـــول ابـــن خلـــدون أن مواطـــن جمهـــور **هـــوارة**؛ في بدايـــة الفتـــح الإســـلامي؛ تمتـــد مـــن **طرابلـــس إلى برقـــة.** ثـــم يتابـــع: **((وكانـــوا ظواعـــن، وآهليـــن. ومنهـــم مـــن قطـــع الرمـــل إلى بـــلاد القفـــر، وجـــاوزوا لمطـــة؛ مـــن قبائـــل الملثميـــن؛ فيمـــا يـــلي بـــلاد كوكـــو مـــن الســـودان؛**

---

[1] المغـــرب في حـــلى المغـــرب، ج: 2 ص: 12.

"

تجـاه إفريقيـة؛ ويعرفـون بنسبهـم هُكـّارة؛ قلبـت العجمـة واوه كافـا أعجميـة؛ تخـرج بيـن الكـاف العربيـة، والقـاف)).[1] وتوجـد منهـم بعـض الفئـات **بجبـل أوراس**، وأخـرى **بمصـر**، وبعضهـم ــ أيضـا ــ منتشـرون بيـن **برقـة، والإسكندريـة.** ويوجـد منهـم حي بيـن **تبسـة، ومرماجنـة**، إلى **باجـة.** وآخـرون في نـواحي **الأربـس.** ثـم يضيـف ابـن خلـدون: **((جبـل مسلاتـة، ويعتمـره قبائـل هـوارة؛ إلى بلـد مسراتـة، ويفـضي إلى بلـد سـرت، وبرقـة؛ وهـو آخـر جبـال طرابلـس... وكانـت برقـة مـن مواطـن هـوارة هـؤلاء. ومنهـم مكـان** (هكـذا) **بـني خطـاب؛ ملـوك زويلـة؛ إحـدى أمصـار برقـة... ومـن قبائـل هـوارة هـؤلاء بالمغـرب أمـم كثيـرة... ومـن أشهرهـم بالمغـرب الأوسـط؛ أهـل الجبـل المطـل عـلى البطحـاء؛ وهـو مشهـور باسـم هـوارة، وأوطنـوه؛ وكانـت رئاستهـم في بـني عبـد العزيـز منهـم)).**[2]

É É É

---

[1] العبـر، ج: 6، ص: 286.

2 نفسه، ص ص: 290 ــ 292.

"

4 ـ صنهاجة:

فعلى الرغم من الدور الخطير الذي لعبته **صنهاجة** في تاريخ المغرب الإسلامي؛ فإن المصادر التاريخية لم تتوصل إلى حقيقة نسبهم. وما جاء فيها.. لا يفي بالحاجة؛ وحتى تسلسل الآباء الذي نسبه ابن خلدون إلى **((المحققين من نسابة البربر))** لم يرد فيه اسم **برنس** (أب البرانس)؛ مع أنهم يقولون بانتسابهم إليهم. وجاءت هذه السلسلة هكذا: **صنهاج بن عاميل بن زعزاع بن يبرين بن مكسيلة بن دهيوس بن حلحال بن شرو بن مصرايم ابن حام.** فأين إذن **برنس** إذا كانوا ينتسبون إليه..؟ وهذا ابن خلدون يقول أيضا: **((وأما ذكر نسيهم؛ فإنهم من ولد صنهاج؛ وهو صناك بالصاد المشممة بالزاي، والكاف القريبة من الجيم. إلا أن العرب عربته، وزادت فيه الهاء؛ بين النون والألف؛ فصار صنهاج. وهو عند نسابة البربر من بطون البرانس؛ من ولد برنس بن بر)).**[1] ومع هذا بقيت الحقيقة غائبة. وتعتبر قبائل صنهاجة من أوفر القبائل وأوسعها. حتى أن بعضهم يزعم أنهم

---

[1] **العبر، ج: 6، ص: 309.**

"

يمثلون ثلث الأمازيغ. ويقول ابن خلدون عنهم أيضا في سياق النص السابق: **((هذا القبيل من أوفر قبائل البربر، وهو أكثر أهل الغرب لهذا العهد، وما قبله. لا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم؛ في جبل أو بسيط)).** وبطون صنهاجة كثيرة جدا. يقول بعضهم أنها تصل إلى سبعين بطنا. اختصرهم ابن خلدون في: **أنجفه، وتلكاتة، وشرطة، وكدالة، ولمتونة، ومسوفة، ومندلة، وبنو وارث، وبنو يتيسن.** ومن أفخاذ **أنجفه: بنو سليب، وفشتالة، ومزوارت، وملوانة.** ويزعم بعض النسابين أن قبائل: **جزولة، ولمطة، وهسكوررة** اخوة صنهاج من أمهم تاصكي؛ فاندرجوا ضمن بطون صنهاجة؛ بالالتحاق. وصنفهم ابن خلدون إلى ثلاث طبقات حسب ظهورهم تاريخيا:

ــ **الطبقة الأولى:** تمثلها **قبيلة تلكاتة**؛ التي تولت حكم إفريقية، والمغرب الأوسط؛ نيابة عن الفاطميين. وهم من أهل المدر. فترأست تلكاتة القبائل الصنهاجية المتواجدة بإفريقية، والمغرب الأوسط. وكانوا بمثابة الدرع الواقي؛ الذي تصدى للقبائل الزناتية؛ المستميتة في قتال

"

الفاطميين. وتدرجت تلكاتة الصنهاجية؛ من مراتب الرئاسة إلى مراتب الملك. فمن مرتبة المشيخة، والرئاسة؛ أصبح أعيانهم قادة، وأمراء؛ في ظل الدولة الفاطمية؛ بعدها أضحوا ولاة، وحكاما في الأقطار؛ ثم انتهى بهم الحال إلى الاستبداد، والسلطان المطلق.

ـ **الطبقة الثانية**: وتمثلها قبائل: **لمتونة، ومسوفة**. وهم من أهل الوبر؛ الذين اختاروا حياة الرحلة، والانتجاع؛ في أعماق الصحراء، وتخوم السودان. وقد تمكنت هذه الطبقة من تشييد دولة عظيمة بالمغربين: الأقصى، والأوسط؛ بفضل **الدعوة** الصادقة، والمؤثرة؛ التي تولى أمرها عبد الله بن ياسين الجزولي، ثم **العصبية الصنهاجية** المتماسكة. وقد استطاعوا تحقيق أهدافهم، وإقامة دولتهم بالتدريج؛ كما تقتضيه **سنن العصبية**. فبعد إدماج قبائلهم؛ ضمن عصبية واحدة كبرى؛ شرعوا في ابتلاع الإمارات، والممالك الشمالية؛ حتى وصلوا في أوج ملكهم؛ إلى إحكام قبضتهم على بلاد الأندلس.

ـ **الطبقة الثالثة**: فعلى الرغم من وفرة عدد أعضاء هذه الطبقة؛ فإنهم لم يتوصلوا إلى مرتبة الملك. وهم عبارة عن مجموعة كبيرة من

"

القبائل المتفرقة؛ الذين انتشروا في بعض المناطق من المغرب الأقصى؛ بصورة خاصة. وظلت فئات منهم في عزة، ومنعة من سلطان الدولة، وقهرها؛ بينما خضعت فئات أخرى لقهرها، وأحكامها؛ فأعطوها ـ صاغرين ـ حق الولاء، والطاعة، وانقادوا لمستلزمات الضرائب، والمغارم المفروضة عليهم. وقد صنف صاحب كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب؛ المجاورين منهم لمصمودة إلى: **صنهاجة القبلة** (أي أهل الجنوب سكان السهوب المجاورة لوادي درعة؛ حيث الشمس الساطعة)، **وصنهاجة الظل** (أي أهل الجبال؛ حيث الظلال). أما ابن خلدون فيصنف هؤلاء المجاورين لمصمودة إلى: **صنهاجة البز**؛ بسبب مهنتهم؛ وهي الحياكة. ثم **صنهاجة الذل**؛ بسبب رضوخهم للمغارم. **وصنهاجة العز**؛ نظرا لمنعة جبالهم، واعتزازهم.[1] كما يقول ابن منصور: ((**ولا يزال هذا التقسيم جاريا على القبائل التي تدعى صنهاجة بشمال المغرب الأقصى؛ مع تغيير في الأسماء. فهم اليوم يقسمون إلى صنهاجة غدو، وصنهاجة السراير، وصنهاجة مصباح. وهذا**

[1] ـ العبر، ج: 6، ص ص: 425 ـــ 427.

"

الفريـــق الأخيـــر يقســـم بـــدوره إلى صنهاجـــة الشمـــس، وصنهاجـــة الظـــل)).[1]

وقـــام ابـــن منصـــور بتحقيـــق أسمـــاء بعـــض البطـــون مـــن صنهاجـــة؛ تلـــك الـــتي وردت في العبـــر؛ منهـــا: **أنجفـــة** (وتســـمى ــ أيضـــا ــ **هنجافـــة**؛ وبالأمازيغيـــة هي **أينكفـــو**). وهـــم بطـــن كبيـــر يصنـــف ضمـــن صنهاجـــة القبلـــة، وصنهاجـــة الظـــل؛ وكـــان ابـــن خلـــدون قـــد ذكـــر مـــن أفخـــاذ هـــذه الطبقـــة: **بـــني سليـــب، وفشتالـــة، وبـــني مـــزوارت، وملوانـــة**، ثـــم **أنوغـــة، وبجايـــة**؛ وهي الـــتي تســـمى بهـــا المدينـــة الساحليـــة بالجزائـــر. ويبـــدو أن أبنـــاء هـــذه القبيلـــة ذابـــوا في قبائـــل أخـــرى. ويتســـاءل ابـــن منصـــور عـــن احتمـــال انتســـاب قبيلـــة بشمـــال تونـــس إليهـــم؛ تســـمى **بجـــاوة**. ثـــم **بطويـــة** (وتســـمى أحيانـــا بطيـــوة). وتوجـــد في الجزائـــر مدينـــة باســـم بطِّيـــوَة ــ وهي منسوبـــة إليهـــم ــ بالقـــرب مـــن آرزيـــو. كمـــا توجـــد بهـــذا الاســـم قبيلـــة مشهـــورة بمنطقـــة الريـــف؛ بالمغـــرب الأقـــصى. وتنقســـم قبيلـــة بطويـــة إلى ثلاثـــة بطـــون؛ هـــم: **بنـــو وورياغـــل، وبقويـــة، وأولاد عـــلي.**

---

[1] قبائـــل البربـــر، ج: 1، ص: 329.

"

ومن بطون صنهاجة التي حقق أسماءها ابن منصور: **تاركة** (تنطق بجيم بدوية)؛ وهم من قبائل اللثام؛ سكان الصحراء؛ بالجزائر، وليبيا. ثم **بنو جعد**؛ منهم بقية في نواحي البويرة، وعين بسام؛ بالجزائر. ثم **بنو حميد**؛ منهم بقية اندرجوا في قبيلة يسر؛ بدوار يسر الويدان بالجزائر. ثم **بنو خليل** (ويعرفون الآن بني خليلي)؛ وهم بين بجاية، وتيزي وزو بالجزائر. ثم **بنو دركون** (بجيم بدوية؛ ويسموهم — أيضا — **بني دركول**). وتتواجد بقية منهم بناحية زمورة بجوار غليزان بالجزائر؛ ومنهم جماعة بالمغرب الأقصى.

ثم **بنو زروال**؛ يتواجدون في الجزائر، وفي المغرب الأقصى. ثم **زناكة** (يسمون أحيانا **إيزناكن، وإيصنهاكن**)؛ وتتفرق أحياؤهم بين الجزائر، والمغرب الأقصى. ثم **زغاوة** (من أهل اللثام). ثم **كدالة** (بجيم بدوية؛ وهم من أهل اللثام). ثم **لمتونة** (بلام أصلية)؛ وهم ملوك المرابطين؛ ومن أهم بطونهم: **بنو زمال، وبنو صولان، وبنو ناسجة، وبنو ورتنطق**. ثم **لمدية** (بلام أصلية)؛ وتسمى بهم مدينة في الجزائر. ثم **متنان**؛ منهم بقية بالقرب من

"

عين بسام بالجزائر. ثم **بنو مزكلدة**؛ منهم بقية بين فاس ووزان بالمغرب الأقصى. ثم **مزغنة**؛ نسبت إليها مدينة الجزائر؛ إذ يقولون **جزائر بني مزغنة**. ومازالت منهم بقية؛ على الضفة اليمنى لوادي يسر؛ اندرجوا في قبيلة بني سليمان الشراقة. ومنهم أيضا جماعة في مدينة الأربعاء؛ جنوب شرقي مدينة الجزائر. ثم **ملوانة (أو إيملوان)**، وهم متفرقون بين قبائل عديدة؛ في الجزائر، والمغرب الأقصى؛ وبهم يسمى **حمام ملوان** جنوب مدينة الجزائر. ثم **مليانة**؛ سميت باسمهم مدينة مليانة الجزائرية. ثم **مسوفة** (من أهل اللثام)؛ شاركوا في تأسيس دولة المرابطين. ثم **صنهاجة**؛ احتفظوا بالاسم الجامع للبطون كلها. وبقيت منهم فئة بين عنابة، وسكيكدة بالجزائر، وفئة أخرى قرب وادي يسر. ثم **صنهاجة مصباح**؛ متواجدون شمال إقليم فاس؛ بالمغرب الأقصى؛ ويتفرعون إلى صنهاجة الشمس، وصنهاجة الظل. ثم **صنهاجة غدو**؛ يتواجدون شمال إقليم تازة؛ بالمغرب الأقصى. ثم **صنهاجة السراير**؛ وهم قبيلة كبيرة، تتواجد أحياؤها بإقليم الحسيمة؛ بالمغرب الأقصى؛ ويتفرعون إلى سبعة بطون ضخمة؛

"

هم: **بنو أحمد، وبنو بشير، وبنو بوشيبت، وتغزوت، وبنو خنوس، وبنو زرقت، وكتامة وبنو سدات.** ثم **بنو عمران**؛ توجد منهم خمسة بطون بالجزائر هم: **بنو عمران** في الساحل الغربي لبجاية؛ بدوار أبراريس. **وبنو عمران** على ضفة وادي يسر، وفي مدينة الأربعاء؛ وفي جنوب مدينة الجزائر. **وبنو عمران** بالقرب من برج منايل، وتيزي وزو. **وبنو عمران**؛ وهم جبالة. **وبنو عمران** بالقرب من ميناء جيجل. ثم **فشتالة** (بالأمازيغية **إيفشتالن)**. وينتسبون إلى هنجافة؛ ولهم بقية في شمال إقليم فاس؛ بالمغرب الأقصى. ثم **بنو سليب**؛ تتواجد فئة منهم بجهات قالمة؛ بالجزائر. ثم **بنو وارث** (بالأمازيغية **بنو وارثن)**؛ وتوجد بقية منهم بقرب بجاية؛ يسمون **آيت وارث وَغْلي.** ثم **وانوغة** (أو **أنوغة)**؛ يوجد بطن منهم قرب يسر؛ وهم ضمن قبيلة بني مكلا. ثم **وتريكة** (من أهل الشام). ثم **ورتنطق** (من أهل الشام)؛ وينتسبون إلى لمتونة. ثم **بنوورياكل** (بجيم بدوية)؛ وهم غير بني ورياغل بالغين. يتواجد بنو ورياكل بجهات بجاية؛ إذ هم الذين نزل في ضيافتهم ابن تومرت بملالة؛

"

عنـد رجوعـه مـن المشـرق. ومنهـم في وادي ورغـة؛ شمـال إقليـم فـاس جماعـة كذلـك.

! ! !

ـ *أعيانهـم:* تفيـض المصـادر التاريخيـة، والأدبيـة، والدينيـة بأعيـان صنهاجـة؛ بطبقاتهـا المختلفـة. وسنتكلـم في هـذا المجـال عنهـم بـدءا بأهـل الفكـر منهـم:

ـ **أبـو عمـرو ميمـون بـن أبي جميـل الصنهـاجي** (مـن أعـلام صـدر الإسـلام)؛ وهـو ابـن أخـت القائـد الفاتـح طـارق بـن زيـاد النفـزي. ذكـره صاحـب مفاخـر البربـر ضمـن فصـل: الفقهـاء والأعـلام مـن البربـر؛ نقـلا عـن كتـاب أعـلام القبائـل للـرازي.

ـ ثـم **أبـو محمـد سِـرْوَاس بـن حَمـود الصنهـاجي** (تـوفي بطليطلـة سنـة 391هـ/1000م)؛ كـان مـن المحدثيـن، ومعلمـا للقـرآن بمدينـة طليطلـة.

ـ ثـم **أبـو محمـد عبـد اللـه بـن سـلام القرطـبي الصنهـاجي** (ت: سنـة 402هـ/1011م)؛ كـان مـن أهـل الصـلاح، والزهـد.

"

ـ ثم **أبو عمر أحمد بن محمد بن العاص ابن أحمد بن سليمان بن دَرَّاج القسطلي الصنهاجي** (ت: سنة 421هـ/1030م)؛ وهو من فحول الشعراء؛ وقد عادله الثعالبي في كتابه يتيمة الدهر بالمتنبي؛ وساواه ابن حزم بالمتنبي وابن تمام. كما أشاد بعلمه وشعره كل علماء اللغة والأدب؛ وقال فيه الحميدي: **((وهو معدود في جملة العلماء، والمقدَّمين من الشعراء، والمذكورين من البلغاء؛ وشعره كثير؛ مجموع يدل على علمه؛ وله طريقة في البلاغة والرسائل تدل على اتساعه وقوته. وأول مدح من الملوك فالمنصور** (هكذا) **أبو عامر محمد ابن أبي عامر مدبر دولة هشام المؤيد؛ وأول شعر مدحه فقوله يعارض أبا العلاء صاعد ابن الحسن اللغوي بقصيدة أولها:**

أضَاءَ لَهَا فَجْرُ النُّهَى فَنَهَاهَا
عَنِ الدَّنَفِ المُضْنَى بحَرِّ هَوَاهَا
وَضَلَّلَهَا صَبيحٌ جَلاَ لَيْلَةَ الدُّجَى
وَقَدْ كَانَ يَهْدِيهَا إلَيَّ دُجَاها

وهي طويلة، ومستحسنة؛ فساء الظن بجودة ما أتى به من الشعر؛ واقمّم فيه؛ وكان للشعراء ــ في أيام المنصور أبي عامر ــ ديوان يرزقون منه على مراتبهم؛ ولا يخلون بالخدمة بالشعر في مضانها؛ فسعي به إلى المنصور؛ وأنه منتحلٌ سارقٌ؛ لا يستحق أن يثبت في ديوان العطاء؛ فاستحضره المنصور... واختبره، واقترح عليه؛ فبرَّز، وسبق، وزالت التهمة عنه؛ فوصله بمائة دينار، وأجرى عليه الرزق، وأثبته في جملة الشعراء؛ ثم لم يزل يسهر، ويجود شعره فيما بعد؛ وفي ذلك المجلس بين يدي المنصور أبي عامر قال القصيدة المشهورة التي أولها:

حَسْبِي رِضَاكَ مِنَ الدَّهْرِ الَّذِي عَتَبَا
وَعَطْفِ نُعْمَاكَ لِلْحَظِّ الَّذِي انْقَلَبَا

وهي طويلة، حسنة، كرر فيها المعنى الذي استُحْضِرَ من أجله، وتكذيب الدعوى التي قذف بها؛ منها:

وَلَسْتُ أوَّلَ مَنْ أعْيَتْ بَدائِعُهُ
فَاسْتَدْعَتِ القَوْلَ مِمَّنْ ظَنَّ أوْ حَسِبَا

"

إنَّ امــرأ القَيْسَ فِي بَعْضِ لَمُتَّهــمٌ
وَفِي يَدَيْهِ لِوَاءَ الشِّعْــرِ "إنْ رَكِبَــا"
وَالشِّعْرُ قَدْ أسَرَ الأعْشَى وَقَيَّــدَهُ
دَهْراً، وَقَدْ قِيلَ: "وَالأعْشَى إذَا شَرِبَا"
وَكَيْفَ أظْمَا وَبَحْرِي زاخُر فطنــا
إلَى خَيَالِ مِنَ الضَحْضَاحِ قَدْ نَضَبَا
فَإنْ نَأى الشَّكُ عَنِّيً أوْ فَهَا أنَــذَا
مُهيَّــأ لجـلِي الخُبْــر مُرتَقِبــــا
عَبْدٌ لِنُعْمَاكَ فِي فَكَّيْهِ نَجْمُ هُــدًى
سَارِ لِمَدْحِكَ يَجْلُو الشَّكَ وَالرِّيَبَــا
إنْ شِئْتَ أمْلَى بَدِيعَ الشِّعْرِ أوْ كَتَبَا
أوْ شِئْتَ خَاطَبَ بالَمنْثور أوْ خَطَبَــا
كَرَوْضَة الحَزْنِ أهْدِي الرَّشَى مَنْظَرَهَا
وَالَماءَ وَالزَّهْــرَ وَالأنْوَارَ وَالعُشْبَــا
أوْ سَابقِ الخَيْلِ أعْطِي الحَضْرَ مُتَّئِداً
وَالشَّدَّ وَالكَرَّ وَالتَّقْرِيبَ وَالخَبَبَــا)).[1]

ولــه ديــوان شعــر؛ حققــه محمــود مــكي بدمشــق سنــة 1381هـ/1961م. وممــا قالــه في مــدح سليمــان بــن الحكــم الأمــوي:

---

[1] جــذوة المقتبــس، ص ص: 110 ــ 112.

"

هَنيئـــًا لِهَــــذَا المُلْكِ رَوْحٌ وَرِيْحَــــانُ
وَلِلدِّيــــنِ وَالدُّنْيَــا أمَـــانٌ وَإِيمَـــانُ
فَإِنَّ قَعِيدَ الخِـــزْيِ قَدْ ثُـــلَّ عَرْشُـــهُ
وَإِنَّ أَمِيــرَ المُؤْمِنِيــنَ سُلَيْمَــــانُ
سَـــمِيُّ الَّذِي انْقَــادَ الأنَامُ لأمْـــرِهِ
فَلَمْ يَعْصِهِ فِي الأرْضِ إنْسٌ وَلاَ جَانُ
وَقَـــامَ فَقَامَـــتْ لِلْمَعَـــالِي مَعَالِـــمٌ
وَلِلْخَيْــرِ أسْوَاقٌ وَلِلْعَــدْلِ مِيــزَانُ
وَجَــدَّدَ لِلإسْلاَمِ سُـــورَ خِلاَفَـــةٍ
عَلَيْهَا مِنَ الرَّحْمَنِ نُـــورٌ وَبُرْهَـــانُ
وَأَكَّدَهَـــا عَهْـــدٌ لأَكْـــرَمِ مَنْ وَفَى
بِعَهْدٍ، زَكَتْ مِنْهُ عُهُـــودٌ وَأيْمَـــانُ
قَرِيبُ النَّـــبِيِّ المُصْطَفَى وَابْنِ عَمِّـــهِ
وَوَارِثُ مَا شَادَتْ قُرَيْشٌ وَعَدنَـــانُ
وَمَا سَاقَتِ الشُّورَى وَأوْجَبَهُ التُّـــقَى
وَأوْرَثَ ذو النُّورَيْنِ عَمُّكَ عُثْمَـــانُ
وَمَا حَاكَمَتْ فِيهِ السُّيُوفُ وَحَـــازَهُ
إلَيْـــكَ أبُو الأمْلاكِ جَدُّكَ مَــــرْوَانُ

ويصـــف المقاتليـــن في جيشـــه فيقـــول:

وَقَدْ لَمَعَتْ حَوْلَيْـــكَ مِنْهُمْ أسِنَّـــةٌ
تُخَيِّلُ أنَّ الحَــــزْنَ وَالسَّهْلَ نِيـــرَانُ

"

أسُـــودُ هَيَـــاجٍ مَا تَـــزَالُ تَرَاهُـــمُ
تَطِيـــرُ بِهِمْ نَحْـــوَ الكَرِيهَةِ عِقْبَـــانُ
وَأقْمَـــارُ حَـــرْبٍ طَالِعَاتٌ كَأَنَّمَـــا
عَمَائِمُهُمْ فِي مَوْقِفِ الرَّوْعِ تِيجَـــانُ
وَكُـــلُّ زَنَـــاتِيٍّ كَـــأَنَّ حُسَامَـــهُ
وَهَامَـــةَ مَـــنْ لاقَـــاهُ نَارٌ وَقُرْبَـــانُ
وَأبْيَـــضَ صِنْهَـــاجٍ كَـــأَنَّ سِنَانَـــهُ
شِهَابٌ إِذَا أهْوَى لِقِـــرْنٍ وَشَيْطَـــانُ

وقـــال واصفـــا الصلـــح، وداعيـــا إليـــه:

وَقُلْـــتَ لَعـــاً لِلْعَاثِرِيـــنَ كَأَنَّـــهُ
نُشُورٌ لِقَوْمٍ حَانَ مِنْهُمْ وَقَدْ حَانُـــوا
وَقَدْ أمِنَ التَّثْرِيبَ أخْـــوَةَ يُوسُـــفٍ
وَأدْرَكَهُـــمْ لِلَّـــهِ عَفْـــوٌ وَغُفْـــرَانُ
وَحَنَّتْ لِدَاعِي الصُّلحِ بَكرٌ وَتَغْلِـــبٌ
وَشَفَّعَـــتِ الأرْحَامَ عَبْسٌ وَذبْيَـــانُ
وَفازَتْ قِدَاحُ المُشْتَـــرِي بِسُعُودِهَـــا
وَسَالَـــمَ بَهْـــرَامٌ وَأعْتَـــبَ كِيـــوَانُ

ومـــن قصيـــدة طويلـــة وحسنـــة؛ مـــدح فيهـــا خيـــران العامـــري؛ تعـــرض ضمنهـــا لوصـــف هـــول البحـــر؛ فقـــال:

"

لَكَ الخَيْرُ قَدْ أوْفَى بعَهْدِكَ خَيــرَانُ
وَبُشْرَاكَ قَدْ وَافَاكَ عِــزٌّ وَسُلْطَــانُ
هُوَ النَّجْمُ لاَ يُدْعَى إِلَى الصُّبْحِ شَاهِدٌ
هُوَ النُّورُ لاَ يُبْغَي عَلَى الشَّمْسِ بُرْهَانُ
إِلَيْكَ رَكَبْنَــا الفُلْكَ تَهْوِي كَأَنَّهَــا
وَقَدْ ذَعِرَتْ مِنْ مَغْرب الشَّمْسِ غِرْبَانُ
عَلَى لُجَجٍ خُضْرٍ إِذَا هَبَّــتِ الصَّبَــا
تَرَامَى بنَــا فِيهَــا ثَبيــرٌ وَثَهْــلاَنُ
مَوَاثِــلَ تَــرْعَى فِي ذَرَاهَا مَوَاثِــلاَ
كَمَا عُبدَتْ فِي الجَاهِلِيَّــةِ أوْثَــانُ
وَفِي طَيِّ أسْمَــالِ الغَريب غَرَائِــبٌ
سَكَنَّ شِغَافَ القَلْب شِيبٌ وَوِلْــدَانُ
يُــرَدِّدْنَ فِي الأحْشَاءِ حَرَّ مَصَائِــب
تَزيــدُ ظَلاَمــاً لَيْلَهَا وَهْيَ نيــرَانُ
إِذَا غِيــضَ مَاءُ البَحْرِ مِنْهَا مَدَدنَــهُ
بدَمْعِ عُيُــونٍ تَمْتَريهــنَّ أشْجَــانُ
وَإِنْ سَكَنَتْ عَنْهَا الرِّيَاحُ جَرَى بهَــا
زَفِيــرٌ إِلَى ذِكْــرِ الأَحِبَّــةِ حَنَّــانُ
يَقُلْنَ وَمَوْجُ البَحْرِ وَالهَمُّ وَالــدُّجَى
تَمُــوجُ بهَــا فِينَــا عُيُــونٌ وَآذَانُ
ألاَ هَلْ إِلَى الدُّنْيَا مَعَــادٌ وَهَلْ لَنَــا
سِوَى البَحْرِ قَبْرٌ أوْ سِوَى المَاءِ أكفَانُ

"

وقـــال في مـــدح منـــذر بـــن يحي التجيـــبي صاحـــب سرقسطـــة:

يَا عَاكِفِيـــنَ عَلَى المُـــدَامِ تَنَبَّهُـــوا
وَسَلـــُوا لِسَانِي عَنْ مَكَارِمِ مُنْـــذِرِ

مَلِـــكٌ لَو اسْتَوْهَبْتَ حَبَّـــة قَلْبـــهِ
كَرَمـــاً لَجَـــادَ بِهَـــا وَلَمْ يَتَعَـــذرِ

ويقـــول فيـــه حيـــن قـــدم إليـــه صاعـــد بـــن الحســـن الربـــعي الموصـــلي اللغـــوي:

عَـــلاَ فَحَوَى مِيـــرَاثَ عَادٍ وَتُبَّـــعٍ
بهمَّتِـــهِ العُلْيَـــا وَنسبَتِـــهِ الدُّنْيَـــا

فَأعْرَبَ عَنْ أَقْوَامِ يَعْـــرُبَ وَاحْتَـــبَى
فَلَمْ يَنْسَ مِنْ هُودٍ سَنَاءً وَلاَ هَدْيَـــا

وَمِنْ حِمْيَرٍ رَدَّ القَنَا أحْمَرَ الـــذرَى
وَمِنْ سَبَـــأ قَـــادَتْ كَتَائِبُهُ السَّبْيَـــا

وَمَا نَامَ عَنْهُ عِرْقُ قَحْطَانَ إذ فَـــدَى
عُرُوقَ الثَّرَى مِنْ غُلَّةِ القحْطِ بالسقْيَا

وَمَا أسْكَنَتْ عَنْهُ السّكُونُ سِيَـــادَة
وَلاَ رَضِيَـــتْ طَيٌّ لِرَاحَتِـــهِ طَيَّـــا

وَلاَ كَنَدَتْ أسْيَافُـــهُ مُلْكَ كِنْـــدَةٍ
فَيَتْـــرُكَ فِي أرْكَانِ عِزَّتِهَـــا وَهيَـــا

"

إلى قولـــه:

وَاهْـــدَتْ لَهُ بَغْدَادُ دِيوَانَ عِلْمِهَـــا
هَدِيَّـــة مَنْ وَالَى وَتُحْفَة مَنْ حَيَّـــا

فَكَانَتْ كَمَنْ حَيَّا الرِّيَاضَ بزَهْرِهـــَا
وَأهْدَى إِلَى صَنْعَاءِ مِنْ نَسْجِهَا وَشْيَا

وَحَسْبُ رُوَاة العِلـــْمِ أنْ يَتَدَارَسُـــوا
مَآثِـــرَهُ حِفْظـــاً وَآثَـــارَهُ وَعْيَـــا

وَيَكْفِي مُلُوكَ الأرْضِ مِنْ كُلِّ مَفْخَرٍ
إذَا امْتَثَلُوا مِنْ بَعْضِ أفْعَالِـــهِ شَيَّـــا

إذَا لَمَعَـــتْ زُرْقُ الأسِنَّـــةِ حَوْلَـــهُ
كَإِضْـــرَامِ نيـــرَانِ الهُمُومِ حَوَالَيَـــا

وَقَد لاَذَ أبْطَـــالُ الجِـــلاَدِ بعَطْفِـــهِ
كَمَا لاَذَ أطْفَـــالُ الجَـــلاَءِ بِعِطْفَيَّـــا

وَقَد قَصَّـــرَتْ عَنْهُ رِمَـــاحُ عُدَاتِـــهِ
كَمَا قَصَّرَتْ عَنْهُم رِيَاشُ جَنَاحَيَـــّا

إلى أن يقـــول:

فَيَالَـــكِ مِنْ ذِكْرَى سَنَـــاءٍ وَرِفْعَـــةٍ
إِذَا وَضَعُوا فِي التُّـــرْبِ أيْمَـــنَ شِقَيـــّا

وَفَاحَـــتْ لَيَالِي الدَّهْـــرِ مِنِّيَ مَيِّتَـــاً
فَأخْزَيْـــنَ أيَّامَـــاً دُفِنْـــتُ بهَـــا حَيَّـــا

وَكَـــانَ ضَيَـــاعِي حَسْرَة وَتَنَدُّمـــاً
إِذَا لَمْ يُفِـــدْ شَيْئـــاً وَلَمْ يُغْنِنِي شَيَّـــا

"

وَأصْبحْتُ فِي دَار الغِنىَ عَنْ ذَوي الغِنىَ
وَعُوِّضْتُ فَاسْتَقْبَلْــتُ أسْعَــدَ يَوْمَيــّا
سِوَى حَسْرَتَيْ عَرْضٍ وَوَجْهٍ تضَعْضَعَا
لِقَارعَــةِ البَلْــوَى وَكَانَــا عَتَادَيَّــا
فَيَا عَبْــرَتِي سُــحِّي لَعَــلِّي مُبَلَّــلٌ
بجَرْيكِ مَا أنْزَفْتُ مِنْ مَــاءِ خَدَيَّــا
وَيَا زَفْرَتِي هَلْ فِي وَقُودِكِ جَــذوَة
تُنيــرُ لَنَا صُبْحاً ثَنَاهُ الأسَى مُسْيَــا
وَيَا خَلَّتِي إنْ سَوَّفَ الغَوْثُ بالْمُــنىَ
وَيَا غُلَّتِي إنْ أبْطَأَ الغَوْثُ بالسُّقْيَــا
فَقُومَــا إلَى رَبِّ السَّمَاءِ فَأسْعِــدَا
تَقَلُّبَ وَجْــهِي فِي السَّمَاءِ وَكَفِّيَــا
عَسَى مَيِّتُ الأضْمَاءِ فِي رَوْضَةِ النَّدَى
سَيَرْجعُ عَنْ رَبِّ السَّمَاءِ وَقَد حُيَّــا
وَيَا أوْجُــهَ الأحْــرَار لاَ تَتَبَــدَّلِي
بظِــلٍّ يَحْيَى بَعْدُ ظِــلاً وَلاَ فَيَّــا

ولــه قصيــدة طويلــة وبديعــة؛ في مــدح المنصــور ابــن أبي عامــر؛ عــارض فيهــا قصيــدة أبي نــواس الــتي مطلعهــا:

أجَــارَة بَيْتَينَــا أبُــوكِ غَيُــورُ
وَمَيْسُورُ مَا يُرْجَى لَدَيْــكِ عَسِيــرُ

"

فقــــال القسطـــلي معارضـــا:

أَلَمْ تَعْلَـــمِي أنَّ الثَّـــوَاءَ هُوَ التَّـــوَى
وأنَّ بُيُـــوتَ العَاجزيـــنَ قُبُـــورُ

تُخَوِّفُـــنِي طُـــولَ السِّفَـــار، وَإِنَّـــهُ
لِتَقْبيـــلِ كَـــفِّ العَامِـــرِيِّ سَفِيـــرُ

ذَرِيـــنِي أَرِدْ مَـــاءَ المَفَـــاوز آجنـــاً
إِلَى حَيْثُ مَـــاءُ المَكْرُمَـــاتِ نَمِيـــرُ

فَإِنَّ خَطِيـــرَاتِ المَهَالِـــكِ ضُمَّـــنٌ
لِرَاكِبِهَـــا أَنَّ الجَـــزَاءَ خَطِيـــــرُ

ثـــم يتطـــرق فيهـــا لـــوداع زوجتـــه وابنـــه الصغيـــر، بأسلـــوب رائـــع؛ قـــال عنـــه ابـــن بســـام: **((بمـــا لا شبيـــه لـــه، ولا نظيـــر، ولا مثيـــل، ولا عديـــل)).**

وَلَمَّـــا تَدَانَتْ لِلْوَدَاعِ وَقَدْ هَفَـــا
بصَبْـــرِيَ مِنْهَـــا أَنَّـــة وَزَفِيــــــرُ

تُنَاشِدُنِي عَهْدَ المَـــوَدَّةِ وَالهَـــوَى
وَفِي المَهْدِ مَبْغُـــومُ النِّـــدَاءِ صَغِيـــرُ

عَيِيٌّ بِمَرْجُوعِ الخِطَاب وَلَفْظُـــهُ
بمَوقِـــعِ أَهْـــوَاءِ النُّفُـــوسِ خَبِيـــرُ

تَبَـــوَأَ مَمْنُوعَ القُلُـــوب وَمُهِّـــدَتْ
لَـــهُ أَذرُعٌ مَحْفُوفَـــة وَنُحُـــورُ

"

فَكُــلُّ مُفَــدَّاة التَّرَائِــب مُرْضِــعٌ
وَكُــلُّ مُحَيَّــاةِ المَحَاسِــنِ ظِيــرُ
عَصَيْتُ شَفِيعَ النَّفْسِ فِيهِ وَقَــادَني
رَوَاحٌ بِتَــدْآبِ السُّــرَى وَبُكُــورِ
وَطَارَ جَنَاحُ البَيْنِ بي وَهَفَــتْ بهَــا
جَوَانحُ مِنْ ذُعْــرِ الفِــرَاقِ تَطِيــرُ
لَئِــنْ وَدَّعَتْ مِنِّي غَيُــوراً فَإِنَّــني
عَلَى عَزْمَتِي مِنْ شَجْوِهَــا لَغَيُــورُ
وَلَوْ شَاهَدَتْــني وَالهَوَاجــرُ تَلْتَــظِي
عَلَيَّ وَرَقْــرَاقُ السَّــرَابِ يَمُــورُ
أسَلِّطُ حَــرَّ الهَاجــرَاتِ إذَا سَطَــا
عَلَى حُرِّ وَجْهِي وَالأَصِيــلُ هَجِيــرُ
وَأسْتَنْشِقُ النَّكْبَــاءَ وَهيَ بَــوَارِحٌ
وَأسْتَوْطِئُ الرَّمْضَــاءَ وَهِيَ تَفُــورُ
وَلِلْمَوْتِ فِي عَيْنِ الجَبَــانِ تَلَــوُّنٌ
وَلِلذعْرِ فِي سَمْعِ الجَــرِيءِ صَفِيــرُ

ـ ثــم **أبــو إسحــاق إبراهيــم بــن وَزَمَّــر الحجــاري الصنهــاجي** (مــن أعــلام النصــف الأول مــن القــرن الخامــس للهجــرة)؛ هــو جــد عبــد اللــه صاحــب كتــاب المسهــب الآتي ذكــره. وهــو مــن مدينــة الفــرج بــوادي الحجــارة؛ وقــد صنــف للأميــر المأمــون بــن ذي النــون الهــواري (الأميــر عــلى

"

طليطلـــة وشـــرق الأندلـــس) كتـــاب مغنطيـــس الأفكـــار فيمـــا تحتـــوي عليـــه مدينـــة الفـــرج مـــن النَّظـــْم، والنثـــر، والأخبـــار. وكـــان إبراهيـــم هـــذا مولعـــا بالتـــاريـــخ، والأدب، ولـــه أشعـــار متناقلـــة بيـــن النـــاس؛ منهـــا:

لَئِـــنْ كَرِهـــُوا يَوْمَ الوَدَاعِ فَإِنَّـــني
أهِيـــمُ بِهِ وَجْـــداً لأَجْـــلِ عِنَاقِـــهِ
أصَافِـــحُ مَنْ أهْـــوَاهُ غَيْرَ مُسَاتِـــرٍ
وَسِـــرُّ التَـــلاقِي مُوَدَّعٌ فِي فِراقِـــه

ويقـــول أيضـــا:

ألاَ إنَّهَـــا وَاللَّـــهِ إحْدَى الكَبَائِـــرِ
تَعُقُّـــونَ أسْلافـــاً لَكُـــمْ بِالمَآثِـــرِ
مَتىَ كَانَ مِنْكـــُمْ مَنْ يَجُودُ لِقَاصِدٍ؟
مَتىَ كَانَ مِنْكُم مَنْ يَهَـــشُّ لِشَاعِـــرِ

وفي رد عـــلى أبيـــات لابـــن عائـــش؛ في يـــوم صحـــو بعـــد مطـــر؛ قـــال:

لَبَّيْـــكَ لَبَّيْـــــكَ وَلَـــوْ أنَّـــني
أسْـــعَى عَـــلىَ الـــرَّأسِ إلىَ مِصْـــرِ
فَكَيْـــفَ وَالـــدَّارُ جـــوَاري وَمَـــا
عِنْـــدِيَ مِـــنْ شُغْـــلٍ وَلاَ عُـــذْرِ

"

وَلَو غَـــدَا لِي أَلْــفُ شُغْــلٍ بِــلاَ
عُـــذْرٍ تَرَكْــتُ الْكُــلَّ لِلْحَشْـــرِ
وَكُلَّمَــــا أَبْصَـــرَنِي نَاظِـــرٌ
بِبَابِكُـــمْ عَظَّـــمَ مِـــنْ قَـــدْرِي
أَنَـــا الَّـــذِي يَشْرَبُهَـــا دَائِمـــاً
مَا حَضَرَتْ فِي الصَّحْـــوِ وَالقَطْــرِ
وَلَيْـــسَ نَـــقْــلِي أَبَـــداً بَعْدَهَـــا
إِلاَّ الَّـــذِي تَعْهَـــدُ مِـــنْ شُكْــرِي

ويمدحـــه بقولـــه:

لَوْ كَانَ ثَانٍ فِي النَّدَى لابْنِ عَائِشٍ
لَمَا كَانَ فِي شَرْقٍ وَغَرْبٍ أَخُو فَقْرِ
يَهَشُّ إِلَى الأَمْدَاحِ كَالْغُصْنِ لِلصَّبَـــاً
وَبِشْـــرُ مُحَيَّاه يَنُـــوبُ عَنِ الزَّهْـــرِ
فَيَـــا رَبِّ زِدْ عُمْــرَه إِنَّ عُمْـــرَهُ
حَيَاة أُنَـــاسٍ قَدْ كفُوا كُلْفَة الدَّهْـــرِ

ــ ثـــم **عبـــد الرحمـــن بـــن محمـــد بـــن أحمـــد القرطـــبي الصنهـــاجي** المعـــروف بابـــن اللَّبـــان (ت: ســـنة 480هـــ/1087م)؛ كـــان مـــن العلمـــاء المستنيريـــن المتفوقيـــن؛ متمكـــن مـــن أدوات علمـــه.

"

ـ ثم **أبو بكر زاوي بن مناد بن عطية ابن المنصور الصنهاجي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو فقيه ومحدث؛ ولي خطة القضاء، وله مؤلفات.

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن وَزَمَّر الحجاري الصنهاجي** (كان حيا قبل سنة 480هـ/1087)؛ هو عم عبد الله صاحب المسهب؛ له كتاب بعنوان: الحديقة في البديع. وكان أديبا، وشاعرا؛ من شعره:

وَشَادِنٍ يُنْصِفُ مِنْ نَفْسِهِ
أمَّنَني مِنْ سَطْوَةِ الدَّهْرِ
يَنَامُ لِلشُّرْبِ عَلىَ جَنْبِهِ
وَيَصْرِفُ الذنْبَ إلىَ الخَمْرِ

ومما قاله في أبي بكر بن عبد العزيز صاحب بلنسية:

رُدُّوا عَلَيَّ ركَابَهُمْ بالأجْرَعِ
حَتَّ يُقَضِّي الشَّوْقُ حَقَّ مُوَدِّعِ
وَأَبُثُّهُمْ مَا قَدْ أثَارُوا مِنْ جَوًى
بِفِرَاقِهِمْ وَاسْتَقْطَرُوا مِنْ أدْمُعِ

"

وقولـــه في فـــرس:

وَمُسْتَبِـــقٍ يَحَـــارُ الطَّـــرْفُ فِيـــهِ
وَيَسْلَـــمُ فِي الكِفَاحِ مِنَ الجِمَـــاحِ

كَـــأنَّ أدِيمَـــــهُ لَيْـــــلٌ بَهِيـــمٌ
تَحَجَّـــلَ بالْيَسيـــرِ مِـــنَ الصَّبَـــاحِ

إذَا احْتَـــدمَ التَسَابُـــقُ صَارَ جِرْمـــاً
تَقَلَّـــبَ بَيْـــنَ أجْنِحَـــةِ الرِّيَـــاحِ

وسألـــه ابـــن أخيـــه عبـــد اللـــه (صاحـــب المسهـــب) عـــن أفضـــل مـــن لـــقي مـــن الأعيـــان؛ فنـــوه بالوزيـــر أبي بكـــر بـــن عبـــد العزيـــز، والمعتمـــد ابـــن عبـــاد. وقـــال لـــه بأنـــه قصـــد ابـــن عبـــاد؛ عندمـــا كـــان يشـــارك يوســـف بـــن تاشفيـــن غزواتـــه ضـــد النصـــارى؛ فرفـــع إليـــه قصيـــدة جـــاء فيهـــا:

لاَ رَوَّعَ اللـــَّـهُ سِرْبـــاً فِي رِحَابِهِـــمُ
وَإِنْ رَمَـــوْنِي بتَرْوِيـــعٍ وَإبْعَـــادِ

وَلاَ سَقَاهُمْ عَلىَ مَا كَانَ مِنْ عَطَـــشٍ
إلاَّ ببَعْـــضِ نَدَى كَفِّ ابـــْنِ عَبَّـــادِ

ذِي المَكرُمَاتِ التِي مَا زَلتْ تسْمَعُهَا
أنْـــسُ المُقِيمِ وَفِي الأسْفَارِ كَالـــزَّادِ

يَا لَيْتَ شِعْـــرِيَ مَاذا يَرْتضِيهِ لِمَـــنْ
نَـــادَاهُ يَا مَوْئِلِي فِي جَحْفَل النـــَّادِي

"

وقال لابن أخيه: ((وكنت ممن زاره بسجنه بأغمات؛ وحملتني شدة الحمية له، والامتعاض لما حل به أن كتبت على حائط سجنه متمثلا:

فَإِنْ تسْجُنوا القَسْرِيَّ لاَ تسْجُنوا اسْمَهُ
وَلاَ تَسْجُنُوا مَعْرُوفَهُ فِي القَبَائِلِ

ثم تفقدت الكتابة بعد أيام؛ فوجدت تحت البيت: لذلك سجناه [البيت للمتنبي]:

وَمَنْ يَجْعَلِ الضِّرْغامَ فِي الصَّيْدِ بَازُهُ
تَصَيَّدَهُ الضِّرْغامُ فِيمَا تَصَيَّدَا

فما أدري من جاوب بذلك. ثم عدت له ووجدته قد محي؛ وأعلمت بذلك ابن عباد؛ فقال: صدق المجاوب؛ وأنا الجاني على نفسه، والحافر بيده لرمسه؛ ولما أردت وداعه أمر لي بإحسان على قدر ما استطاع؛ فارتجلت:

آلَيْتُ لاَ أقْبَلُ إحْسَانَكُمْ
وَالدَّهْرُ فِيمَا قَدْ عَرَاكُمْ مُسِي
فَفِي الَّذِي أسْلَفْتُمُ غُنْيَة
وَإنْ يَكُنْ عِنْدَكُمُ قَدَ نُسِي

"

قال: وفيه أقول من قصيدة:

يَا طَالِبَ الإنْصَافِ مِنْ دَهْرِهِ
طَلَبْتَ أمْراً غَيْرَ مُعْتَادِ
فَلَوْ يَكُونُ العَدْلُ فِي طَبْعِهِ
لَمَا عَدَا مُلْكَ ابْنِ عَبَادِ)).[1]

ـ ثم **المظفر بالله عبد الله بن بلكين بن باديس بن حبوس التلكاتي الصنهاجي** (توفي بالسوس الأقصى بعد سنة 483هـ/1090م)؛ خلف جده باديس سنة 460هـ/1067م؛ في إمارة غرناطة، وأسند إمارة مالقة إلى أخيه تميم. وكان عبد الله أديبا بليغا، وشاعرا مطبوعا، وله خط رائع؛ نسخ بخطه الجميل القرآن الكريم، وله أيضا كتاب التبيان؛ هو عبارة عن مذكرات، وتاريخ للأحداث التي عاصرها؛ قام بتحقيقه، وطبعه ليفي بروفنسال بعنوان: مذكرات الأمير عبد الله.

ـ ثم **أبو يحيى تميم بن المعز بن باديس ابن المنصور التلكاتي الصنهاجي** (ت: سنة 501هـ/1107م)؛ وهو من سلاطين الدولة الزيرية بإفريقية. لما انتصب على سدة الحكم؛ وجد

---

[1] نفح الطيب، ج: 3، ص ص: 571 ـ 572.

"

الدولة تعاني من بعض الاضطراب، والخلل؛ نتيجة لعبث القبائل الهلالية؛ فنهض لإصلاح الحال، وضبط الأوضاع؛ فتم له تحقيق ذلك؛ باستعادة سوسة، وتونس، وصفاقس؛ ولكن شاءت الأقدار أن يهاجمه الإفرنج خلال حملاته الترميمية؛ فلم يتركوا له الوقت الكافي؛ لاستعادة الأنفاس؛ فاستولوا ـــ في عهده ـــ على المهدية، وصقلية؛ ومع هذا لم تلن عزيمته؛ إذ تغلب ـــ فيما بعد ـــ على حملة شنها ضده الإيطاليون. وكان ـــ إلى جانب ممارسته للحكم ـــ أديبا، وشاعرا؛ وله ديوان شعر ضخم. هذا وقد طالت فترة حكمه؛ إذ وصلت إلى 46 سنة. وخلف من الأولاد، والأحفاد الذكور حوالي الثلاثمائة. قال فيه ابن عذاري: ((**كان رحمه الله شهما، شجاعا، حازما، عازما؛ يستصغر صعاب الأمور، ويستهل عظائم الخطوب؛ ويغلب عليه شدة البطش، والمبادرة؛ وهو أحد فحول شعراء الملوك؛ وذوي السبق، والتقدم في معانيه، وبدائعه؛ حوى فيه الجودة، والكثرة. وله ديوان كبير من شعره**

"

مشهـــور)).[1] وقـــد أورد العمـــاد الأصفهـــاني مجموعـــة مـــن أشعـــاره في كتابـــه خريـــدة القصـــر؛ منهـــا:

مَا اخْتَلَفَ الصُّبْحُ وَالمَسَـــاءُ
وَأَنْفِـــذَ الحُكْمُ وَالقَضَـــاءُ
إلاَّ وَلِلَّـــهِ فِيـــهِ سِـــرّ
يَحْكُم فِي الخَلْقِ مَا يَشَـــاءُ

ومـــن شعـــره أيضـــا:

وَجْـــهٌ هُوَ البَـــدْرُ الُمنيـــرُ وَقامَـــة
كَالغُصْنِ مَـــاسَ نَضَـــارَة وَشَبَابَـــا
يَسْقِيكَ مِنْ حَلَب العَصِيـــرِ مُدَامَـــة
وَمِـــنَ الُمؤَشَّـــرِ مَسْكَـــة وَرُضَابَـــا
غَنَّـــتْ وَكَاسَاتُ الُمـــدَامِ مُـــدَارَةَ
عَـــذُبَ الوصَالُ لَنـــا بهِنَّ وَطَابَـــا
كـــأسٌ مِنَ الذهَبِ السَّبِيكِ تَضُمـــهُ
قَصَـــبُ اللُّجَيـــنِ تَعَمَّمَتْ عُنَّابَـــا

ومنـــه أيضـــا:

سُعَـــادٌ قَـــد أَلَمَّـــتْ بي ستَمْحُو البُعْدَ بالقُـــرْبِ
كَبَـــدْرٍ تَحْتَـــهُ غُصْـــنٌ عَلىَ حِقْفٍ مِنَ الكُثْـــبِ
فَحَلَّتْ فِي حِمَى قَلْـــبِي عَلىَ التَأهِيلِ وَالرَّحْـــبِ

---

[1] البيان المغرب،ج: 1، ص: 303.

"

ومنـــه قولـــه:

وَجَاهِلـــَةٍ بِالحُبِّ لَمْ تَـــدْرِ طَعْمَـــهُ
وَقَدْ تَرَكَتني أعْلَمَ النَّاسِ بـــالحُـــبِّ

قَامَـــتْ عَلىَ قَلْبي رَقِيباً وَحَارِســـاً
فلَيـــْسَ لِدَانٍ مِنْ سِوَاهَا إلىَ قَلـــْبِي

أدَرْتُ الهَوَى حَتىَّ إذَا صَارَ كَالرَّحَـــا
جَعَلـــْتُ لُهُ قَلْبِي بِمَنْزِلـــَةِ القُطْـــبِ

وقولـــه كذلـــك:

مَا العَيْـــشُ إلاَّ مَعَ التَّهْجيرِ وَالدُّلَـــجِ
أوِ المُـــدَامِ وَصَـــوْتُ الطَّائِرِ الهَـــزِجِ

والشُّرْبُ بَيْنَ الغَوَانِي وَالقِيَانِ مَعـــاً
فَـــإنَّ أوْجُهَهَـــا تُغْنِي عَنِ السُّـــرُجِ

وَالقَصْرُ وَالبَحْرُ وَالبُسْتَانُ فِي نَسَـــقٍ
وَنَحْنُ فِي مُشْرِفٍ مِنْ مَنْظَرٍ بَهَـــجِ

وَالكَـــأسُ دَائِـــرَةَ فِي كَفِّ غَانِيَـــةٍ
بَيْضَاءُ فِي دَعَجٍ صَفْـــرَاءُ فِي نَعَـــجٍ

أقُـــولُ وَالكَأسُ تَزْهَى فِي أنَامِلِهَـــا:
رِفْقاً عَلىَ هَـــذِهِ الأرْوَاحِ وَالمُهَـــجِ

اللـــه فِي مُدْنِـــفٍ أوْدَى بمُهْجَتِـــهِ
طـــَرْفٌ تَقَلَّبَ بَيْنَ السِّحْرِ وَالغَنَـــجِ

كَمْ حُجَّـــة لِي وَلَكِنْ لَيْسَ يَقْبَلُهَـــا
لَوْ كَانَ يَنْتَفِعُ المُشْتَـــاقُ بِالحُجَـــجِ

"

وقـــال في منافـــق:

رَأَيْتُـــكَ قَاعِداً عَـــنْ كُـــلِّ خَيــــر
وَأَنْـــتَ الشَّهْمُ فِيِ قَالُـــوا وَقُلْـــتُ

وَطَـــرَّاراً لَـــهُ لُطْـــفٌ وَحِـــذقٌ
وَأَلْفَـــــاظٌ يُنَمِّقُهَـــا وَسَمْـــــتُ

وَثِقْـــتُ إلَيْـــهِ مِنْ حَسَبٍ وَبَيْـــتٍ
وَلَـــوْلاَ ذَاكَ مِنْـــهُ مَـــا وَثِقْـــــتُ

وَقدْ يَعِدُ الوُعُـــودَ وَلَيْـــسَ يُـــوفِي
وَلَيْـــسَ بقَائِـــلٍ يَوْمـــاً فَعَلْـــــتُ

كَخَـــزٍّ المَاءِ فَـــوْقَ المَـــاءِ طَـــافٍ
يَـــرُوقُ وَمَالُـــهُ أصْـــلٌ وَنَبْـــــتُ

كَذلـــكَ زَهْـــرَة الدفْـــلىَ تَرَاهَـــا
تُشَوِّقُ العَيْنَ حُسْنـــاً وَهيَ سُحْـــتُ

وقـــال:

فَنَـــادِ بِمَسْمَعَيْـــكَ لِـــكَيْ يُغَنُّـــوا
وَحُـــثَّ العُـــودَ مِنْ بَـــمٍّ وَزِيـــرِ

وَلاَ تَشْـــرَبْ بِـــلاَ طَـــرَب فَـــإنِّي
رَأَيْـــتُ الخَيْـــلَ تَشْرَبُ بِالصَّفِيـــرِ

ويقـــول أيضـــا:

إنْ نَظـــرَتْ مُقْلـــتِي لِمُقْلَتِهَـــا
تَعْلَـــمُ مِمَّـــا أرِيـــدُ فَحْـــواهُ

"

كَأَنَّهَــا فِي الفُــؤَادِ نَاظِــرَة
تَكْشِــفُ أسْــرَارَهُ وَنَجْــواهُ

ويقــول في أخــرى:
سَلِ المَطَرَ العَــامَّ الَّذِي عَمَّ أرْضَكُمْ
أجَاءَ بِمِقْدَار الَّذِي فَاضَ مِنْ دَمْــعِي
إذا كُنْتَ مَطْبُوعاً عَلىَ الصَّدِّ وَالجَفَا
فَمِنْ أيْنَ لِي صَبْرٌ فَأجْعَلــهُ طَبْــعِي

ويقــول أيضــا:
وَخَمْــرٍ قَدْ شَرِبْتُ عَلىَ وُجُــوهٍ
إذَا وُصِفَتْ تُجَــلُّ عَنِ القِيَــاسِ
خُــدُودٌ مِثْــل وَرْدٍ فِي ثُغُــور
كَــدُرٍّ فِي شُعُــورٍ مِثْــلُ آسِ
ويقــول:
فَكَّرْتُ فِي نَارِ الجَحِيمِ وَهَوْلِهَــا
يَــا وَيْلَتَــاهُ وَلاَتَ حِيــنَ مَنَــاصِ
فَدَعَوْتُ رَبِّي أنَّ خَيْــرَ وَسَائِــلِي
يَــومَ المَعَــادِ شَهَــادَة الإخْــلاَصِ

وقــال كذلــك:
لَهَا وَجْــهٌ لَهَــا شَعَــرٌ كَمِثْلِ الرُّومِ وَالزِّنْــجِ
لَهَا جَفْنَــانِ قَدْ شُحِنَــا بِنَبْلِ السِّحْرِ وَالغُنْــجِ

"

لَهَا ثَغْــرٌ لَهَــا رِيــقٌ كَمِثْلِ الخَمْرِ وَالبُنْــجِ
لَهَا نَهْــدَانِ قَدْ نَجُمَــا كَنَابَيْ فِيلِ شِطْرَنْــجِ

ومما قــال أيضــا:

أَيَا مَنْ وَجْهُــهُ حُلْــوُ وَيَا مَنْ قَلْبُــهُ خِلْــوُ
وَيَا مَنْ لَحْظُــهُ سُكْــرُ وَيَا مَنْ لَفْظُهُ صَحْــوُ
وَيَا مَنْ قَــدُّهُ غُصْــنُ نَمَاهُ الــدِّلُّ وَالزَّهْــوُ
لَقَدْ أصْبَحْتَ ذَا جَــوْرٍ عَلىَ مَنْ جسْمُهُ نضْوُ
وَقَدْ طَالَتْ مَوَاعِيــدِيَ هَذَا مِنْــكِ بِي لَهْــوُ
فَإِنْ كُنْت أخَا ذَنْــبٍ أمَا عِنْــدَكَ لِي عَفْــوُ

ـ ثــم **أبــو محمــد عبــد اللــه بــن إبراهيــم بــن إبراهيــم بــن وَزَمَّــر الحِجــاري الصنهــاجي** (ت: سنــة 520هــ/1126م)؛ كــان كاتبــا ماهــرا، وشاعــرا مجيــدا، يحــب الرحلــة، والانتقــال عبــر البــلاد، والأوطــان. يلقبــه أدبــاء الأندلــس ومؤرخوهــا بحافــظ الأندلــس، وإمــام الأدبــاء، وبجاحــظ الأندلــس. ومــن مؤلفاتــه كتــاب المُسْهــبْ في فضائــل المغــرب؛ الــذي كــان هــو الأســاس، والقاعــدة الــتي أنجــز عليهــا كتــاب المُغــْرِبْ في حُــلىَ المَغــْرِبْ. وقــد بــدأه عبــد اللــه الحجــاري بستــة أسفــار؛ انطلق فيهــا مــن أحــداث فتــح الأندلــس؛ إلى عــام 530هــ/1135م؛ السنــة الــتي شــرع فيهــا بكتابــة الكتــاب؛ وكــان

"

تاريخا للسياسة، والفكر، والأدب، والأعلام؛ وانتهى منه في غرة عام 641هـ/1243م. وكتابته حدثت صدفة؛ بعد أن طلب منه عبد الملك ابن سعيد (صاحب قلعة بني سعيد) أن يصنف له كتابا يشمل ما يعرفه من التاريخ، والأدب، والأدباء في ديار المغرب، والأندلس؛ فأنجز ذلك المشروع الأدبي الهام؛ فأعجب به عبد الملك؛ وكان لا يترك قراءته أبدا؛ بل أضاف إليه ما يعرفه هو؛ ثم توارثه: ولده، وأحفاده (أحمد، ومحمد، وموسى، وعلي) فكانوا يتولونه بالعناية، والتنقيح، والإضافة؛ طوال فترة زمنية تصل إلى مائة وخمسة عشر عاما؛ حتى أصبح كما عرفه أهل التاريخ، والأدب؛ في زمن سابق؛ لأن ما هو معروف الآن؛ ليس سوى قسم صغير منه؛ نشرة شوقي ضيف تحت عنوان: المُغْرِبْ فِي حُلىَ المَغْرِبْ. وجاء في الأخبار أن عبد اللَه الحجاري عندما قدم أول مرة على عبد الملك استخف به البوابون وازدروه بسبب زي البداوة التي كان عليه؛ فكتب إليه رقعة طلب فيها المثول بين يديه؛ وسجل فيها مطلع قصيدته التي أراد أن يلقيها أمامه؛ وهي:

"

عَلَيْــكَ أحَالَــنِي الذكْــرُ الجَمِيــلُ

ولمــا قــرأ الرقعــة، ومطلــع القصيــدة؛ أمــر الحــراس بإدخالــه. وعندمــا دخــل لــم يبــادر إلى السـلام، والتحيـة ــ كمـا جـرت العـادة ــ بـل ظــل واقفــا في صمــت؛ يجيــل النظــر فيهــم. وقــد وصــف المقّــري ذلــك الموقــف بقولــه: **((فاستثقلــه الحاضــرون، واستبــردوا مقصــده؛ ونسبــوه للجهــل، وســوء الأدب. فقــال لــه أحدهــم: مالــك لا تسلــم عــلى القائــد، وتدخــل مداخــل الأدبــاء، والشعــراء؟ فقــال: حــتى أُخجــل جميعكــم قــَدْرَ مــا أخجلتمــوني عــلى البــاب مــع قــوم أنــذال، وأعلــم أيضــا مــن هــو الكثيــر الفضــول مــن أصحــاب القائــد أعــزه اللــه تعــالى؛ فأكــون أتقيــه إن قــدر لي خدمتــه. فقــال لــه عبــد الملــك: أتأخذنــا بمــا فعــل السفهــاء منــا؟ قــال: لا، واللــه؛ بــل أغفــر لــك ذنــوب الدهــر أجمــع؛ إنمــا هي أسبــاب نقصدهــا لنحــاور بهــا مثلــك؛ أعــزك اللــه تعــالى، ويتمكــن التأنيــس، وينحــل قيــد الهيبــة)).**[1]

وبعدهــا أنشــده قصيدتــه المطولــة؛ دون ورقــة؛ وهــي الــتي يقــول فيهــا:

---

[1] نفــح الطيــب، ج: 4، ص: 123.

"

عَلَيْــكَ أحَالَنِي الذكْــرُ الجَمِيــلُ
فَجئْـــتُ وَمِنْ ثَنَائِــكَ لِي دَلِيــل
أتَيْـــتُ وَلَــمْ أقَــدِّمْ مِنْ رَسُــول
لأنَّ القَلْــبَ كَانَ هُــوَ الرَّسُــول

إلى أن يقــول:

وَوَدَّعْــتُ الحَبِيــبَ بغَيــرِ صَبْــر
فَصَــحَّ العَــزْمُ وَاقْتُضِيَ الرَّحِيــلُ
وَأسْبَلْــتُ الظَّــلاَمَ عَــلَيَّ سِتْــرا
وَنَجْــمُ الأفْــقِ نَاظِــرُهُ كَلِيــلُ
وَلَمْ أشْــكُ الهَجيــرَ وَقَدْ دَعَــانِي
إلَى أرْجَائِــكَ الظِّــلُّ الظَّلِيــلُ

ثــم يشيــر إلى شكلــه البــدوي:

أجِلْ طَرْفــاً لــَدَيَّ فَــإنَّ عِنْــدِي
مِــنَ الآدَابِ مَا يَحْــوِي الخَلِيــلُ
وَمَثِّلْــنِي بــِدَنٍّ فِيـــهِ سِـــرٌّ
يَخِــفُّ بِــهِ وَمَنْظَــرُهُ ثَقِيــــلُ

ومــن شعــره الجيــد:

مَلِــكٌ طُفَيْلِيٌّ السَّمَــا
حِ عَلىَ الأقَــارِبِ وَالأبَاعِــدْ

"

مَـــا فُرِّجَـــتْ أبْوَابُـــهُ
إلاَّ تَفَرَّجَـــــتِ الشَّدَائِــــدْ

ومـــن شعـــره أيضـــا:
كَمْ بـــِتُّ مِنْ أسْرِ السُّهَـــادِ بلَيْلَـــةٍ
نَادَيْتُ فِيهَا هَلْ لِجُنْحِـــكِ آخِـــرُ
إذْ قَامَ هَذَا الصُّبْـــحُ يُظْهِـــرُ مِلَّـــة
حَكَمَتْ بِأَنْ ذُبِـــحَ الظَّلاَمُ الكَافِـــرُ

وممـــا قالـــه في بـــني سعيـــد:
زَارَتْـــكَ فِي اللَّيْـــلِ البَهِيـــمْ
كَالغُصْـــنِ يَثْنِيـــهِ النَّسِيــــمْ
سَلَبَـــتْ ظَـــلاَمَ اللَّيـــلِ مَـــا
أبْصَرْتَ فِي العِقْـــد النَّظِيـــمْ
فَلِـــذَاكَ أمْـــسَى عَاطِــــــ
ـــلُ الآفَاق مُسْـــوَدَّ الأدِيـــمْ
لَـــوْلاَ المُـــدَامُ لَمَـــا اهْتَـــدى
فِيـــهِ إلىَ كَـــأسٍ نَدِيــــمْ

ويقـــول أيضـــا:
قَـــوْمٌ لَهُـــمْ فِي فَخْرِهِـــمْ
شَرَفُ الحَدِيـــثِ مَعَ القَدِيـــمْ

"

وَرِثُــوا النَّدَى وَالبَأسَ وَالـــ
ـــعَلْيَــا كَرِيمــاً عنْ كَرِيـــمْ
مِـــنْ كُــلِّ وَضَّـــاحٍ بـــهِ
يُجْـــلىَ دُجَى اللَّيْـــلِ البَهِيـــمْ

وقـــال فيهـــم أيضـــا:
وَجَدْنَا سَعِيداً مُنْجباً خَيــْـرَ عُصْبَـــةٍ
هُـــمُ فِي بَنِي أزْمَانِهـــمْ كَالْمَوَاسِـــمِ
مُشَنَّفَـــة أسْمَاعُهُـــمْ بفضَائِـــــلٍ
مُسَـــوَّرَةٌ أيْمَانُهُـــمْ بِالصَّــــــوَارِمِ
فَكَمْ لَهُمْ فِي الحَرْبِ مِنْ فَضْلِ نَاثِـــرٍ
وَكَمْ لَهُمْ فِي السِّلْمِ مِنْ فَضْلِ نَاظِـــمِ

وكتـــب إلى القـــاضي أبـــو عبـــد اللـــه محمـــد اللـــوشي؛ يطلـــب منـــه مـــده بأشعـــار لـــه؛ لـــكي يدرجهـــا في كتـــاب المسهـــب؛ فلـــم يلـــبي طلبـــه؛ فأرســـل إليـــه أبياتـــا يلومـــه فيهـــا:
يَا مَانعاً شِعــْـرَهُ عَنْ سَمْعِ ذِي أدَب
نَائِي المَحَلِّ بَعِيدِ الشَّخْصِ مُغْتَــرِبِ
يَسِيـــرُ عَنــْكَ بِهِ فِي كُلِّ مُتَّجَـــهٍ
كَمَا يَمُرُّ نَسِيـــمُ الرِّيـــحِ بِالعَـــذبِ
إنِيِّ وَحَقِّـــكَ أهْـــلٌ أنْ أفُوزَ بـــهِ
وَاسْـــألْ فَدَيتكَ عَنْ ذَاتِي وَعَنْ أدَبِي

فأجابه؛ مع ما بعث إليه من أعمال الشعرية:

يَا طَالِباً شِعْرَ مَنْ لَمْ يَسْمُ فِي الأَدَبِ
مَاذَا تُرِيدُ بِنَظْمٍ غَيْرَ مُنْتَخَبِ

إنِّي وَحَقِّكَ لَمْ أَبْخَلْ بِهِ صَلَفاً
وَمَنْ يَضِنُّ عَلَىَ جيدٍ بِمخْشَلَبِ

لَكِنَّنِي صُنْتُ قَدْري عَنْ روَايَتِهِ
فَمِثْلُهُ قَلَّ عَنْ سَامٍ إلَىَ الرُّتَبِ

خُذْهُ إلَيْكَ كَمَا أَكْرِهْتُ مُضْطَرِباً
مُحَلِلاً ذَمَّ مَوْلاَهُ مَدَى الحِقَبِ

ولما أراد إبراهيم الحجاري الانتقال إلى جهة أخرى من البلاد ـ لولوعه بالسفر، وحبه للرحلة ـ عذله عبد الملك عن التحول عنه؛ فأجابه بأبيات:

يَقُولُونَ لِي مَاذَا المَلاَلُ تُقِيمُ فِي
مَحَلٍ فَعِنْدَ الأُنْسِ تَذْهَبُ رَاحِلاَ

فَقُلْتُ لَهُمْ مِثْلُ الحَمَامِ إذَا شَدَا
عَلَىَ غُصْنٍ أَمْسَى بِآخَرَ نَازِلاَ

وكانت وجهته؛ بعد قلعة بني سعيد (أو قلعة يَحْصَب كما تسمى أيضا)؛ نحو رُوطة حاضرة الأمير المستنصر بن هود. حيث اقتادته

"

المقادير إلى نكبته المعروفة؛ إذ سقط أسيرا في أيدي النصارى؛ عندما شارك في غزوة شنها ابن هود عليهم. ومن هنا بدأت صفحة جديدة من حياته كأسير في بسقاية؛ فأرسل سيلا من الأشعار إلى ابن هود يستعطفه، ويحثه على خلاصه؛ ولكن دون جدوى. فراسل عبد الملك بن سعيد؛ ومما كتب إليه:

أرَئِيسَ الزَّمَانِ أغْفَلْتَ أمْرِي
وَتَلَذذْتَ تَاركاً لِي بِأسْرِ
مَاكَذَا يَعْمَلُ الكِرَامُ وَلَكِنْ
قَدْ جَرَى عَلىَ الْمُعَوَّدِ دَهْرِي

فاستجاب له عبد الملك وافتداه؛ فأضحى بذلك؛ طليق بني سعيد.

ـ ثم **أبو يحيى عبد الله بن موسى بن عبد الرحمن بن حماد الصنهاجي** (ولد بغرناطة سنة 521هـ/1127م)؛ من حفاظ كتاب الله؛ الملتزمين به. أشتهر بالفضل، والزهد، والمعرفة، والأدب.

ـ ثم **أبو عمر ميمون بن ياسين اللمتوني الصنهاجي** (توفي بإشبيلية سنة 530هـ/1135م)؛ كانت له رحلة إلى مكة للحج، والتزود بالعلم؛ وهو من المهتمين برواية الحديث؛ وقد

"

اشترى صحيح البخار: الأصل الخاص بأبي ذر الهروي؛ من ابنه أبي مكتوم بمبلغ كبير من المال؛ وأحضره معه إلى بلاد المغرب.

ــ ثم **أبو عمران موسى بن حماد الصنهاجي** (توفي بمراكش سنة 535هـ/1140م)؛ وهو من الفقهاء الحفاظ، وكان عالما بالمسائل، والأحكام؛ متمكنا من معارفه؛ ولي القضاء بمراكش فكان من أجل القضاة في زمنه.

ــ ثم **أبو عبد الله محمد بن مفرج بن سليمان الصنهاجي** (ت: سنة 536هـ/1141م)؛ وهو من الفقها.

ــ ثم **أبو زكرياء يحيى بن يوغان الصنهاج** (توفي بتلمسان سنة 537هـ/1142م)؛ وهو من الزهاد الصوفيين.

ــ **أبو بكر بن علي الصنهاجي** الملقب بالبيذق (ربما كانت وفاته في حدود سنة 555هـ/1160م)؛ اشتهر من خلال كتابه الذي سرد فيه أخبار المهدي ابن تومرت، وعبد المؤمن بن علي. وكان قد اكتشفه ليفي بروفنسال، ونشره سنة 1347هـ/1928م.

"

ـ ثم **عز الدين بن محمد عبد العزيز بن شداد بن تميم بن المعز بن باديس** (كان حيا سنة 571هـ/1175م)؛ أديب، ومؤرخ؛ من مؤلفاته كتاب الجمع والبيان في أخبار القيروان.

ـ ثم **الأمير عبد الرحمن بن زيري الصنهاجي** (من أعلام النصف الثاني من القرن السادس للهجرة)؛ أديب وشاعر؛ من شعره هذه القصيدة التي بعثها إلى الأمير ساكن بن عامر بن محمد بن عسكر الهلالي في دمشق؛ وكان ذلك الأمير قد وعده بكتاب:

سَرَى البَرْقُ مِنْ عَلْيَا مَعَالِمِ قَابِسٍ
وَفِي القَلْبِ مِنْ لَمْعِ البُرُوقِ كَوَامِنُ

يَذكّرُنِي عَهْدِي بِهَا وَمَنَازِلِي
بسَاحَتِهَا وَالحَادِثَاتُ سَوَاكِنُ

وَنَحْنُ عَلَى تِلْكَ المَوَاطِنِ وَالرُّبَى
نُزُولٌ وَوَشْكُ البَيْنْ بِالوَصْلِ بَائِنُ

أخَادِعُ عَنْ سُكَانهَا الدَّهْرَ وَحْدَهُ
كَأَنِّي لِمَا يَأتِي بهِ الدَّهْرُ ضَامِنُ

وَلَمَّا سَرَى البَرْق الَّذِي ذكَرَ الصِّبَا
تَأوَّهْتُ شَوْقاً وَالدُّمُوعُ هَوَاتِنُ

وَنَادَيْتُ مِنْ عُلْيَا هِلاَل بْنِ عَامِرٍ
فَتىً صَادِقَ الدَّعْوَى إذا مَانَ مَائِنُ

"

نَمَتْــه رِيَــاحٌ مِنْ صَلِيبَــةِ فــَادع
لآل عَلِيٍّ وَهْــوَ لِلْمَجْــدِ صَائِــنُ
وَحَلَّتْ بَنُــو دَهْمَانَ مِنْــهُ بعَشْــوَةٍ
وَعَــزَّ بهِ بَيْــنَ الأفَاضِــلِ ظَاعِــنُ
فَمَــا هُوَ إلاَّ فِي ذُرَى آل عَسْكَــر
لِعَامِرِهِمْ نَجْــلٌ وَذَلِــكَ سَاكِــنُ

ــ ثــم **أبــو العبــاس أحمــد بــن محمــد بــن مــوسى ابــن عطــاء اللــه الصنهــاجي** المعــروف بابــن العريــف (تــوفي بمراكــش سنــة 536 أو 538هــ/ 1141م أو 1143م)؛ وهــو مــن المتصوفيــن الزهــاد بالمريــة؛ وكــان ينعــت بشيــخ المتصوفــة؛ فأمــر السلطــان علــي بــن يوســف بــن تاشفيــن بالقبــض عليــه ضمــن المتصوفيــن؛ ونقلهــم إلى مراكــش؛ أيــن تــوفي مــع أبي الحكــم ابــن برجــان. ومــن مؤلفــات ابــن العريــف: كتــاب محاســن المجالــس. ومــن شعــره:

سَلُوا عَنِ الشَّوْق مَنْ أهْوَى فَإنَّهُــمُ
أدْنَى إلىَ النَّفْسِ مِنْ وَهْمِي وَمِنْ نَفْسِي
فَمَنْ رَسُــولِي إلىَ قَلْبي لِيَسْألُهُــمْ
عَنْ مُشْكِلٍ مِنْ سُؤَالِ الصَّبِّ مُلْتَبِــسِ
حَلُّوا فُؤَادِي فَمَا يَنْدَى وَلَوْ وَطِئُــوا
صَخْــراً جِلاَدٍ بِمَاءٍ مِنْــهُ مُنْبَجِــسِ

"

وَفِي الحَشَا نَزَلُوا وَالوَهْمُ يَجْرَحُهُـــمْ
فَكَيْفَ قَـــرُّوا عَلىَ أذْكىَ مِنَ القَبَسِ
لأنْهَضَـــنَّ إلىَ حَشْـــرِي بِحُبِّهِـــمُ
لاَ بَارَكَ اللَـــّهُ فِيمَنْ خَانَهُمْ وَنَسِي

ومـــن شعـــره أيضـــا:
مَنْ لَمْ يُشَـــاوِرْ عَالِمـــاً بأصُولِـــهِ
فَيَقِينُـــهُ فِي المُشْكِلاَتِ ظُنُـــونُ
مَنْ أنْكَـــرَ الأشْيَـــاءَ دُونَ تَيَقُّـــنٍ
وَتَثَبُّـــتٍ فَمُعَانِـــدٌ مَفْتُـــــونُ
الكُتْـــبُ تَذكِرَة لِمَنْ هُوَ عَالِـــمٌ
وَصَوَابُهَـــا بِمُحَالِهَـــا مَعْجُـــونُ
وَالفِكْـــرُ غَوَّاصٌ عَلَيْهَا مُخْـــرِجٌ
وَالحَـــقُّ فِيهَـــا لُؤْلُـــؤ مَكْنُـــونُ

وقـــال كذلـــك:
وَإذَا نَزَلَتْ بِسَاحَتِكَ الرَّزَايَـــا
فَلاَ تَجْزَعْ لَهَا جَزَعَ الصَّـــبِيِّ
فَـــإنَّ لِكُـــلِّ نَازِلَـــةٍ عَـــزَاءً
بِمَا قَدْ كَـــانَ مِنْ فَقْدِ النَـــّبِيِّ

"

ومـــن قولـــه:

شَدُّوا الرِّحَالَ وَقَدْ نَالُوا الُمُنَى بِمِـــنىً
وَكُلُّهُمْ بأَلِيـــمِ الشَّـــوْقِ قَدْ بَاحَـــا

رَاحَتْ رَكَائِبُهُمْ تَنْـــدَى رَوَائِحُهَـــا
طِيباً بمَا طَابَ ذَاكَ الوَفْدُ أشْبَاحَـــا

نَسيـــمُ قَبـــْرِ النَّبيِّ الُمُصْطَفىَ لَهُـــمُ
رَاحٌ إِذَا سَكِرُوا مِنْ أجْلِـــهِ فَاحَـــا

يَا رَاحِلِيـــنَ إلىَ الُمُخْتَار مِنْ مُضَـــرِ
زُرْتُمْ جُسُوماً وَزُرْنَاً نَحْنُ أرْوَاحَـــا

إنَّـــا أقَمْنَـــا عَلىَ شَوْق وَعَنْ قَـــدَرٍ
وَمَنْ أقَـــامَ عَلىَ عُذْرٍ كَمَنْ رَاحَـــا

ومنـــه قولـــه:

لَسْـــتُ أدْرِي أطَـــالَ لَيْـــلِيَ أمْ لاَ
كَيْـــفَ يَـــدْرِي بذَاكَ مَنْ يَتَقَـــلىَّ

لَـــوْ تَفَرَّغْـــتُ لاسْتِطَالَـــةِ لَيْـــلِي
وَلِـــرَعْيِ النُّجـــُومِ كُنْـــتُ مُخِـــلاَّ

إنَّ لِلْعَاشِقِيـــنَ عَـــنْ قِصَـــرِ اللَّيْـــ
ـــلِ وَعَنْ طُولِهِ مِنْ الفِكـــْرِ شُغْـــلاَ

"

ـ ثم **أبو الوليد إسماعيل بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي** المعروف بابن العريف (من أعلام النصف الأول من القرن السادس للهجرة)؛ وهو أخو أبي العباس المتصوف السابق الذكر. كان راوية لأخيه؛ إذ كتب عنه مجموعة كبيرة من أشعاره.

ـ ثم **أبو الحسن زاوي بن مناد بن عطية الله بن المنصور الصنهاجي** يكنى ـ أيضا ـ أبا بكر، ويعرف بابن تقسوط (توفي بداية سنة 539هـ/1144م)؛ وهو من مواليد دانية بالأندلس؛ وتعلم بها، وبمرسية، وبقرطبة. كان من أهل العلم، والفضل؛ له إلمام بعلم الحديث.

ـ ثم **أبو علي المنصور بن محمد بن الحاج داود بن عمر اللمتوني الصنهاجي** (توفي ببياسة سنة 549هـ/1154م)؛ كان ـ بالإضافة إلى كونه من رؤساء لمتونة، وأعيانها ـ عالما بالأخبار، والسنن، والآثار؛ ويعد من بين الحفاظ، ورواة الحديث. أما أعماله السياسية؛ فتتمثل في الولاية التي أسندت إليه من طرف يحيى بن غانية؛ الذي ولاه على بلنسية.

"

ـ ثم **أبو الوليد عبد الملك بن أحمد بن أبي يداس الجياني الصنهاجي** (ت: سنة 560هـ/1164م)؛ وهو من علماء اللغة، والقراءات والنحو، والأدب؛ بالإضافة إلى كونه شاعرا؛ ولي الخطابة بجامع شقورة إلى أن وافته المنية.

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن علي الصنهاجي** المعروف بابن الأشيري (توفي شمالي بعلبك سنة 561هـ/1165م)؛ كان من كتاب البلاط اللمتوني؛ فنكب بعد سقوط الدولة؛ فهاجر إلى الشام؛ وتصدر في دمشق لتدريس الموطأ، وكتب أخرى؛ زار بغداد، وحدث بها، ثم ذهب إلى حلب؛ وتصدر لتدريس الحديث بها. وهو شاعر جيد الصناعة؛ وله شرح على قصيدة الحصري. توفي أثناء عودته من المدينة إلى الشام.

ـ ثم **أبو بكر محمد بن خير بن عمر ابن خليفة الإشبيلي اللمتوني الصنهاجي** (ت: سنة 575هـ/1179م)؛ وهو مقرئ، وحافظ للحديث؛ ومستوعب لعلوم اللغة، والأدب؛ وهو موصوف بالدقة، والإتقان، والصدق؛ وعليه فقد كانت كتبه تباع بأغلى الأثمان. ومن مؤلفاته الباقية:

"

فهرسة جمع فيها مروياته عن شيوخه، وشروح على كتاب صحيح مسلم.

ـ ثم **أبو الربيع سليمان بن عبد الرحمن ابن المعز التلمساني الصنهاجي** (توفي بسلا سنة 579هـ/1183م)؛ وهو من الزهاد؛ اشتغل في النسخ؛ ولم يكن يأخذ ثمنا لعمله سوى ما يأخذه العدل.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن يحيى بن القاسم الجزيري الصنهاجي** (ت: سنة 585هـ/1189م)؛ وهو من فقهاء المذهب المالكي؛ انتقل من الريف المغربي إلى الأندلس؛ فأسندت إليه مرتبة القضاء بالجزيرة الخضراء التي أضحى ينسب إليها. من مؤلفاته: كتاب المقصد المحمود في تلخيص العقود؛ المعروف بوثائق الجزيري.

ـ ثم **يحيى بن علم الملك التلكاتي الصنهاجي** يعرف بابن النحاس (ت: سنة 589هـ/1193م)؛ وهو من أحفاد السلطان تميم بن المعز. كما كان من بين أمراء الدولة الأيوبية؛ وانتقل مع صلاح الدين إلى الشام. وله أعمال شعرية؛ لم تتوفر الآن.

"

ـ ثم أبو بكر عتيق بن علي بن حسن الصنهاجي المعروف بالفصيح (توفي بمراكش سنة 595هـ/1198م)؛ وهو من القضاة المتفقهين بمذاهب شتى؛ تنقل كثيرا عبر الأقطار؛ فزار مدنا عديدة ببلاد المغرب؛ ثم انتقل إلى بلاد المشرق؛ أين حج، ثم زار بغداد، ومصر. وبعد عودته إلى المغرب، توقف بتونس، وتلمسان؛ حيث عقد حلقات للتدريس بهما؛ ثم أقام بها نهائيا؛ إذ ولي فيها مرتبة القضاء؛ ولكنه صرف عنها؛ بسبب شكاوى الناس. وله شعر جمعه ضمن ديوان؛ وله أيضا تسجيلات كثيرة.

ـ ثم أبو علي عمر بن العباس التلمساني الصنهاجي المعروف بالحباك (توفي غريقا وهو في طريقه للحج سنة 613هـ/1216م)؛ وتصوف بعد حضوره جنازة أبي مدين شعيب؛ فترك لزوجته كل ما يملك، واختار حياة الزهاد والمتنسكين.

ـ ثم أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي يسمى ابن حَمَادُوهْ (توفي بمراكش سنة 626 أو 628هـ/1228 أو 1230م)؛ ولد ببرج حمزة؛ في منطقة البويرة حاليا؛ ثم انتقل إلى قلعة بني حماد؛

"

القرية من المسيلة؛ للدراسة، ولتحصيل العلم بها؛ ثم ذهب إلى بجاية، ومدينة الجزائر، وتلمسان؛ للغرض نفسه؛ فكان يسعى وراء العلم، والعلماء؛ وبعد ذلك هاجر إلى الأندلس؛ حيث ولي القضاء بالجزيرة الخضراء؛ كما ولي القضاء ـــ أيضا ـــ في سلا بالمغرب الأقصى. وكان عالما في علوم، وفنون عديدة؛ كـ: التاريخ، والأدب، وعلوم اللغة والنحو؛ بالإضافة إلى شاعريته المتميزة. وله مجموعة من المؤلفات؛ منها: شرح الأربعين حديثا، شرح كتاب الأعلام بفوائد الأحكام؛ لعبد الحق الإشبيلي، وشرح مقصورة ابن دريد، وكتاب النبذة المحتاجة في أخبار صنهاجة بإفريقية وبجاية، وكتاب ضخم ضمنه برنامجه العلمي، وتلخيص كتاب أخبار الرسل والملوك؛ للطبري، وكتاب أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، وكتاب عجالة المودع وعلالة المشيع؛ وهو كتاب أدبي. وديوان شعر. ومن شعره هذه الأبيات التي يصف فيها ـــ متألما ـــ خراب قلعة بني حماد:

إنَّ العَرُوسَيْنِ لاَ رَسْمٌ وَلاَ طَلَلُ
فَانْظُرْ هُنَا لَيْسَ إلاَّ السَّهْلُ وَالجَبَلُ
وَقَصْرُ بَلاَرَة أوْدَى الزَّمَانُ بِهِ
فَأيْنَ مَا شَادَ مِنْهُ السَّادَة الأوَلُ

"

وَمَـا رُسُـومُ المَنَـارِ الآنَ مَاثِلَـةً
لَكِنَّهَـا خَبَـرٌ يَجْرِي بِـهِ المَثَـلُ

ثـم يقـول:
قَدْ عَفَـا قَصْرُ حَمَـادٍ فَلَيْسَ لَـهُ
رَسْـمٌ وَلاَ أَثَـرٌ بَـاقٍ وَلاَ طَلَـلُ

وبـث شوقـه إلى بعـض المعالـم:
ألاَ لَيْتَ شِعْـرِي هَلْ أبيتَـنَّ لَيْلَـةً
بوَادِي الجَوَى مَا بَيْنَ تِلْكَ الجَـدَاوِلِ
وَهَلْ أرِدَنَّ عَيْنَ السَّلاَمِ عَلَى الصَّدَى
فَأبْـرَدُ مِنْ حَـرِّ الضُّلُوعِ النَّوَاهِـلِ
وَأنْظُـرُ طِيقَـانَ المَنَـارِ مُطِلَّـةً
عَلَى الدُجُنَّاتِ الزَّهِـرَاتِ الخَمَائِـلِ
كَـأنَّ القِبَـابَ المُشْرِقَـاتِ بأفْقِـهِ
نُجُـومٌ تَبَدَتْ فِي سُعُـودِ المَنَـازِلِ
فَصَبْـراً جَمِيلاً غَيْر أنْ مَا أصَابَـني
سَيَبْـقَى بَقَـاءَ الطَّالِعَاتِ الأوَافِـلِ

ـ ثـم **يوسـف بـن محمـد بـن عـلي بـن محمـد ابـن جماعـة الصنهـاجي** المعـروف بابـن صامـد (ت: سنـة 633هـ/1235م)؛ وهـو مـن سكـان مالقـة؛ ويعـد مـن أهـل الخيـر والصـلاح؛ ولـه أعمـال،

"

ومؤلفـــات جيـــدة؛ منهـــا: كتـــاب الإقتـــداء بسنـــن الهـــدى؛ في الفقـــه، وكتـــاب المنتـــقى مما هـــو المرتـــضى للمتكلميـــن في أصـــول الديـــن، وكتـــاب المقـــام الأعـــلى بأسمـــاء اللـــه الحســـنى وصفاتـــه العـــلى، وكتـــاب المرشـــد في روايـــة ورش وقالـــون.

ــ ثـــم **أبـــو عبـــد اللـــه محمـــد بـــن عبـــد المنعـــم الصنهـــاجي** المعـــروف بابـــن عبـــد المنعـــم (ت: بعـــد سنـــة 635هـــ/1237م)؛ اشتهـــر بملكـــة الحفـــظ القويـــة؛ ولـــم يظهـــر في زمانـــه مـــن يضاهيـــه في حفـــظ، واستظهـــار مـــواد اللغـــة؛ حـــتى قيـــل أنـــه كـــان يستظهـــر كتـــاب التـــاج للجوهـــري، وكتبـــا أخـــرى؛ فكـــان معجـــزة مـــن معجـــزات عصـــره في هـــذا البـــاب. ويســـرد عـــن ظهـــر قلـــب ــ أيضـــا ــ كتـــاب سيبويـــه؛ إذ أختبـــره فيـــه بعـــض الفاسييـــن مـــرات عديـــدة. كمـــا أنـــه فلتـــة مـــن فلتـــات زمانـــه في الشطرنـــج. ولـــه إلمـــام بعلـــم الأصـــول، وبعـــض العلـــوم العقليـــة؛ مـــع أنـــه لـــم يخـــرج عـــن الحـــدود الـــتي سطرتهـــا السنـــة النبويـــة.

"

ـ ثم **أبو عمرو ميمون بن علي بن الخالق الخطابي الصنهاجي** المعروف بابن خبازة (توفي برباط الفتح سنة 637هـ/1239م)؛ وهو من الكتاب المترسلين؛ ومن الشعراء والأذكياء؛ ولي بمراكش حسبة الطعام؛ اتجه في كبره إلى التصوف.

ـ ثم **أبو محمد عبد الحق بن يوسف بن تورنارت بن تمحليت الصنهاجي** (توفي بجيان سنة 640هـ/1242م)؛ وهو من سكان جيان بالأندلس؛ ومن المشتغلين بالقراءات، واللغة، والأدب.

ـ ثم **أبو موسى عيسى بن يوسف بن أبي بكر بن تامحْجَلت** (توفي بمراكش سنة 641هـ/1243م)؛ كان متمكنا من الرواية، والآداب، وقرض الشعر، والكتابة المرسلة؛ وله خط جيد، ويتميز بالضبط؛ ولي في خطة الكتابة لدى سلطان غرناطة محمد بن يوسف بن نصر.

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله النامیسي الصنهاجي** (كان حيا سنة 647هـ/1249م)؛ وهو من الرواة، والمحدثين؛ وله مشاركة في علم الكلام.

"

ـ ثم **أبو إبراهيم عبد الواسع بن عبد السلام الزموري الصنهاجي** (توفي بأزمور سنة 667هـ/1268م)؛ وهو فقيه ومقرئ ومدرس؛ تولى الإفتاء.

ـ ثم **أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يلين البهنسي الصنهاجي** الشهير بالقَرَافِي (توفي بدير الطين سنة 684هـ/1285م)؛ وهو من أئمة المذهب المالكي؛ إذ تربع على رأس هذا المذهب في عصره. وإلى جانب الفقه؛ فقد برع في الأصول، والعلوم العقلية، والتفسير؛ وله مؤلفات هامة، ومفيدة؛ منها: كتاب الذخيرة؛ في الفقه المالكي؛ وهو في ست مجلدات، وكتاب الخصائص؛ في قواعد اللغة العربية، وكتاب شرح التهذيب، وكتاب شرح الجلاب، وكتاب شرح محصول الإمام فخر الدين الرازي، وكتاب التعليقات على المنتخب، ومختصر تنقيح الفصول؛ في الأصول، وكتاب شرح تنقيح الفصول، وكتاب الأجوبة الفاخرة في الرد عن الأسئلة الفاجرة؛ في الرد على أهل الكتاب، وكتاب الأمنية في إدراك النية، وكتاب الاستغناء في أحكام الاستثناء، وكتاب الإحكام في تمييز الفتاوى عن

"

الأحكام وتصرف القاضي والإمام، وكتاب اليواقيت في أحكام المواقيت، وكتاب شرح الأربعين؛ لفخر الدين الرازي في أصول الدين، وكتاب الانتقاد في الاعتقاد، وكتاب المنجيات والموبقات؛ في الأدعية وما يجوز منها وما يكره وما يحرم، وكتاب الإبصار في مدركات الأبصار، وكتاب البيان في تعليق الأيمان، وكتاب العموم ورفعه، وكتاب الأجوبة عن الأسئلة الواردة على خطب ابن نُباتة، وكتاب الاحتمالات المرجوحة، وكتاب البارز للكفاح في الميدان؛ وكتب أخرى، وكتاب أنوار البروق في أنواء الفروق؛ في أربعة أجزاء. ويقول ابن فرحون: **((قال الشيخ شمس الدين بن عدلان الشافعي: "أخبرني خالي الحافظ شيخ الشافعية بالديار المصرية أن شهاب الدين القرافي حرر أحد عشر علما في ثمانية أشهر"؛ أو قال: ثمانية علوم في أحد عشر شهرا". وذكر عن قاضي القضاة تقي الدين ابن شكر قال: " أجمع الشافعية، والمالكية؛ على أن أفضل أهل عصرنا بالديار المصرية ثلاثة: القرافي بمصر القديمة، والشيخ ناصر الدين بن مُنَيِّر بالإسكندرية، والشيخ تقي الدين بن دقيق**

"

العيـــد بالقاهـــرة المعزيـــة؛ وكلهـــم مالكيـــة؛ خـــلا الشيـــخ تـــقي الديـــن؛ فإنـــه جمـــع بيـــن المذهبيـــن"... ويَلِّيـــنْ ... لعلهـــا قبيلـــة مـــن قبائـــل صنهاجـــة)).[1]

ـ ثـــم **أبـــو عبـــد اللـــه عبـــد اللـــه بـــن عـــلي ابـــن إسماعيـــل بـــن الحســـن بـــن عطيـــة الإسكنـــدري الصنهـــاجي** المعـــروف بالأبيـــاري (كـــان حيـــا سنـــة 684هـــ/1285م)؛ ولاه ناصـــر الديـــن قاضيـــا للقضـــاة.

ـ ثـــم **أبـــو عبـــد اللـــه شـــرف الديـــن محمـــد بـــن سعيـــد بـــن حمـــاد بـــن محســـن بـــن عبـــد اللـــه الصنهـــاجي** المعـــروف بالبوصيـــري (اختلفـــت المصـــادر في تحديـــد سنـــة وفاتـــه؛ بيـــن: 695 أو 696 أو 697هـــ/1295 أو 1296 أو 1297م)؛ وهـــو مـــن فحـــول الشعـــراء؛ عـــرف بطـــول النفـــس في النظـــم؛ فكانـــت ألفاظـــه عذبـــة، ونظمـــه جيـــد السبـــك، بديـــع الصياغـــة؛ وتميـــز بحســـن التصـــرف؛ اشتهـــر بقصائـــده في مـــدح الرســـول؛ كقصائـــد: نهـــج البـــردة، والهمزيـــة، وغيرهمـــا. وهـــو في أصولـــه مـــن قلعـــة بـــني حمـــاد بالجزائـــر؛ قـــد يكـــون مـــن بطـــن يعـــرف ببـــني حبنـــون الصنهاجييـــن. ومـــن شعـــره المشهـــور:

فَقَـــدْتُ طَوَائِـــفَ الْمُسْتَخْدِمِينَـــا
فَلَـــمْ أرَ فِيهِـــمُ رَجُـــلاً أمِينَـــا

---

[1] الديبـــاج، ج: 1، ص ص: 238 ـــ 239.

"

فَقَــدْ عَاشَرْتُهُــمْ وَلَبِثْــتُ فِيهِــمْ
مَعَ التَّجْرِيــبِ مِنْ عُمْرِي سِنِينَــا
فَكُتَّــابُ الشِّمَــالِ هُــمُ جَمِيعــاً
فَــلاَ صَحِبَــتْ شِمَالِهِــمُ اليَمِينَــا
فَكَمْ سَرَقُــوا الغِــلاَلَ وَمَا عَرَفْنَــا
بِهِــمْ فَكَأَنَّمَــا سَرَقُــوا العُيُونَــا
وَلَــوْلاَ ذَاكَ مَــا لَبِسُــوا حَرِيــراً
وَلاً شَرِبُــوا خُمُــورَ الأَنْدَرِينَــا
وَلاَ رَبَّــوْا مِــنَ الْمُــرْدَانِ مُــرْداً
كَأَغْصَــانٍ يَقُمْــنَ وَيَنْحَنِينَــا
وَقَــدْ طَلَعَــتْ لِبَعْضِهِــمُ ذقُــونٌ
وَلَكِــنْ بَعْــدَ مَــا نَتَفُــوا ذقُونَــا
وَأَقْــلاَمُ الجَمَاعَــةِ جَائِــلاَتٍ
كَأَسْيَــافٍ بِأَيْــدِي لاَعِبِينَــا
وَقَــدْ سَاوَقْتُهُــمْ حَرْفــاً بِحَــرْفٍ
وَكُلُّ اسْــمٍ يَخُطُّــوا مِنْــهُ سِينَــا
أَمَــوْلاَيَ الوَزِيــرِ غَفَلْــتَ عَمَّــا
يَتِــمُّ مِنَ اللِّئَــامِ الكَاتِبِينَــا
تَنَسَّــكَ مَعْشَــرٌ مِنْهُــمْ وَعُــدُّوا
مِــنَ الزُّهَّــادِ وَالْمُتَوَرِّعِينَــا
وَقِيــلَ لَهُــمْ دُعَــاءٌ مُسْتَجَــابٌ
وَقَدْ مَلأُوا مِنَ السُّحْــتِ البُطُونَــا

"

إلى أن يقـــول:

وَفِي دَارِ الوَكَالــَةِ أيّ نَهْـــب

فَلَيْتَــكَ لَــوْ نَهَبْــتَ النَّاهِبِينَــا

فَقَــامَ بِهَــا يَهُــودِيٌّ خَبيــثٌ

يَسُــومُ المُسْلِمِيــنَ أذىً وَهُونَــا

إذَا أَلْــقىَ بِهَا مُــوسَى عَصَــاهُ

تَلَقَّفَــتِ القَوَافِــلَ وَالسَّفِينَــا

وَشَاهِدُهُــمْ إذَا اتُّهِمُــوا يُــؤَدِّي

عَنِ الكُــلِّ الشَّهَــادَةَ وَاليَمِينَــا

وهــذه القصيــدة طويلــة جــدا؛ نكتــفي منهــا بمــا تقــدم. ولــه في أعْــوَر؛ بإحــدى عينيــه فــص أبيــض، وأسمــه عمــر:

سَمَّوْهُ غُمَراً فَصَحفْنَا اسْمَهُ عُمَــرا

فَبَيَّنَ الدَّهْــرُ مِنَّــا مَوْضِعَ الغَلَــطِ

فَأصْبَحَتْ عَيْنــُهُ غَيْنــاً بنُقْطِتِهَــا

وَطَالَ مَا ارْتَفَعَ التَّصْحِيفُ بِالنُّقَــطِ

وقــال أيضــا في مــن بعينــه بيــاض:

أنْظُــرْ تَجِــدْ لِلَّــهِ فِي

عَيْنَيْــهِ سِــراً أيَّ سِــرٍ

طَمَــسَ اليَمِيــنَ بكَوْكَــب

وَسَيَطْمِسُ اليُسْرَىَ بِفَجْرٍ

"

وفي قصيدة أخرى يقول:

أهوَى وَالمَشِيبُ قَدْ حَالَ دُونَهْ

وَالتَّصَابي بَعْدَ المَشِيب رُعُونَهْ

أبَتِ النَّفْسُ أنْ تُطِيعَ وَقَالَتْ

إنَّ جِنِّيِّ لاَ يَدْخُلُ القِنِّينة

كَيْفَ أعْصَى الهَوَى وَطِينَة قَلْبي

بالْهَوَى قَبْلَ آدَمَ مَعْجُونَة

وكانت لديه أتان؛ فاستعارها منه ناظر الشرقية؛ فأعجبته، وأحب امتلاكها؛ فبعث إليه ثمنها كما قدره؛ وهو مائتي درهم؛ فأجابه بهذه الأبيات على لسان الحمارة:

يَا أيُّهَا السَيِّدُ الَّذِي شَهِدَتْ

ألْفَاظُهُ لِي بِأنَّهُ فَاضِلُ

مَا كَانَ ظَنِّي يَبِيعُنِي أحَدٌ

قَطُّ وَلَكِنْ سَيِّدِي جَاهِلُ

لَوْ جَرَّسُوهُ عَلَيَّ مِنْ سَفَهٍ

لَقُلْتُ غَيْظاً عَلَيْه يَسْتَاهِلُ

أقْصَى مُرَادي لو كنت في بلدَي

أرْعَى بهَا فِي جَوَانب السَّاحِلِ

وَبَعْدَ هَذَا فَمَا يَحِلُّ لَكُمْ

أخْذِي لأنِّي مِنْ سَيِّدِي حَامِلُ

"

فلما وصلته الأبيات ردها إليه؛ ووهبه الدراهم. وقال في الشيخ زين الدين بن الرعاد:

لَقَدْ عَابَ شِعْرِي فِي البَرِيَّةِ شَاعِرٌ
وَمَنْ عَابَ أَشْعَارِي فَلاَ بُدَّ أنْ يُهْجَى
وَشِعْرِيَ بَحْرٌ لاَ يُوَافِيهِ ضِفْدَعٌ
وَلاَ يَقْطَعُ الرَّعَادُ يَوْماً لَهُ لُجَّا

ومن أهم قصائده في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم: القصيدة الهمزية، وقصيدة البردة، والقصيدة التي نظمها على وزن بانت سعاد؛ ومطلعها:

إلَى مَتَىَ أنْتَ باللَذَاتِ مَشْغُولُ
وَأنْتَ عَنْ كُل مَا قَدَّمْتَ مَسْئولُ

أما الهمزية فطويلة وأبياتها 456 بيتا؛ وهي عبارة عن ملحمة؛ سجل فيها سيرة الرسول كاملة؛ نختار منها مقدمتها:

كَيْفَ تَرْقَى رُقِيَّكَ الأَنْبيَاءُ
يَا سَمَاءً مَا طَاوَلَتْهَا سَمَاءُ
لَمْ يُسَاوُوكَ فِي عُلاَكَ وَقَدْ حَا
لَ سَناً مِنْكَ دُونَهُمْ وَسَنَاءُ

إِنَّمَـا مَثَّلُـوا صِفَاتِـكَ لِلنَّـا
سِ كَمَـا مَثَّـلَ النُّجُـومَ المَـاءُ

أَنْتَ مِصْبَاحُ كُلِّ فَضْـلٍ فَمَا تَصْـ
ـدُرُ إِلاَّ عَـنْ ضَوئِـكَ الأَضْـوَاءُ

لَـكَ ذَاتُ العُلُومِ مِنْ عَالِـمِ الغَيْـ
ـبِ وَمِنْهَـا لآدَمَ الأَسْمَـاءُ

لَمْ تَـزَلْ فِي ضَمَائِرِ الكَوْنِ تُخْتَـا
رُ لَـكَ الأُمَّهَـاتُ وَالآبَـاءُ

مَا مَضَـتْ فَتْـرَةٌ مِنَ الرُّسْـلِ إِلاَّ
بَشَّـرَتْ قَوْمَهَـا بِـكَ الأَنْبِيَـاءُ

تَتَبَـاهَى بِـكَ العُصُـورُ وَتَسْمُـو
بِـكَ عَلْيَـاءٌ بَعْدَهَـا عَلْيَـاءُ

وَبَـدَا لِلْوُجُـودِ مِنْـكَ كَرِيـمٌ
مِـنْ كَرِيـمٍ آبَـاؤُهُ كُرَمَـاءُ

نَسَـبٌ تَحْسَـبُ العُـلاَ بِحُـلاَهُ
قَلَّدَتْهَـا نُجُومَهَـا الجَـوْزَاءُ

حَبَّـذَا عِقْـدُ سُـؤْدَدٍ وَفَخَـارٍ
أَنْـتَ فِيـهِ اليَتِيمَـةُ العَصْمَـاءُ

وَمُحَيًّـا كَالشَّمْسِ مِنْكَ مُـضِيءٌ
أَسْفَـرَتْ عَنْـهُ لَيْلَـةٌ غَـرَّاءُ

لَيْلَـةُ المَوْلِـدِ الَّذِي كَـانَ لِلدِّيـ
ـنِ سُـرُورٌ بِيَوْمِـهِ وَازْدِهَـاءُ

"

أمـــا قصيـــدة البـــردة الـــتي تعـــرف أيضـــا باســـم الكواكـــب الدريـــة؛ فأبياتهـــا 162 بيتـــا؛ نذكـــر منهـــا:

أمِنْ تَذَكـــُّرِ جيـــرَانٍ بذِي سَـــلَمِ
مَزَجْتَ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِـــدَمِ
أمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَـــاءِ كَاظِمَـــةٍ
وَأوْمَضَ البَرْقُ فِي الظَّلْمَاءِ مِنْ إضَـــمِ
فَمَا لِعَيْنَيْكَ إنْ قُلْتَ اكْفُفَـــا هَمَتَـــا
وَمَا لِقَلْبكَ إنْ قُلْتَ اسْتَفِـــقْ يَهِـــمِ
أيَحْسَبُ الصَّبُّ أنَّ الحُبَّ مُنْكَتِـــمٌ
مَا بَيْنَ مُنْسَجِـــمٍ مِنْـــهُ وَمُضْطَـــرِمِ
لَوْلاَ الهَوَى لَمْ تُرِقْ دَمْعاً عَلَى طَلَـــلٍ
وَلاَ أرِقْتَ لِذِكْـــرِ البَـــانِ وَالعَلَـــمِ
فَكَيْفَ تُنْكِـــرُ حُباً بَعْدَ مَا شَهِـــدَتْ
بهِ عَلَيْكَ عُـــدُولُ الدَّمْعِ وَالسَّقَـــمِ
وَأثْبَـــتَ الوَجْدُ خَطَّيْ عَبْرَةٍ وَضَـــنًى
مِثْـــلَ البَهَارِ عَلَى خَدَّيْكَ وَالعَنَـــمِ
نَعَمْ سَرَى طَيْفُ مَنْ أهْوَى فَأرَّقَـــنِي
وَالحُـــبُّ يَعْتَرِضُ اللَّـــذَاتِ بالألَـــمِ
يَا لاَئِمِي فِي الهَوَى العُذْرِيِّ مَعْـــذِرَةً
مِنِّي إلَيْكَ وَلَـــوْ أنْصَفْـــتَ لَمْ تَلُـــمِ
عَدَتْكَ حَالِيَ لاَ سِـــرِّي بمُسْتَتَـــرٍ
عَنْ الوُشَـــاةِ وَلاَ دَائِي بِمُنْحَسِـــمِ

"

مَحَّضْتَنِي النُّصْحَ لَكِنْ لَسْتُ أسْمَعُهُ
إنَّ المُحِبَّ عَنِ العُــذالِ فِي صَمَــمِ
إنِّي اتَّهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فِي عَذَلِي
وَالشَّيْبُ أبْعَدُ فِي نُصْحٍ عَنِ التُّهَــمِ
فَإنَّ أمَّارَتِي بالسُّــوءِ مَا اتَّعَضَــتْ
مِنْ جَهْلِهَا بِنَذِيرِ الشَّيْــبِ وَالهَــرَمِ

إلى أن يقــول:
مُحَمَّــدٌ سَيِّــدُ الكَوْنَيْنِ وَالثَّقَلَيْــ
ــيْنِ وَالفَرِيقَيْنِ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ
نَبِيُّنَــا الآمِــرُ النَّــاهِي فَلاَ أحَــدٌ
أبَــرَّ فِي قَــوْلِ لاَ مِنْــهُ وَلاَ نَعَــمِ
هُوَ الحَبِيبُ الَّذِي تُــرْجَى شَفَاعَتُــهُ
لِكُلِّ هَــوْلٍ مِنَ الأهْوَالِ مُقْتَحَــمِ
إلى قولــه:
وَكُلُّ آيٍ أتىَ الرُّسْلُ الكِــرَامُ بهَــا
فَإنَّمَا اتَّصَلَــتْ مِنْ نُــورِهِ بِهِــمِ
فَإنَّهُ شَمْسُ فَضْــلٍ هُمْ كَوَاكِبُهَــا
يُظْهِــرْنَ أنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلَــمِ
أكْرِمْ بِخَلْــقِ نَــبِيٍّ زَانَــهُ خُلُــقٌ
بالحُسْــنِ مُشْتَمِــلٍ بالبِشْرِ مُتَّسِــمِ
كَالزَّهْرِ فِي تَرَفٍ وَالبَدْرِ فِي شَــرَفٍ
وَالبَحْرِ فِي كَرَمٍ وَالدَّهْــرِ فِي هِمَــمِ

"

كَأَنَّـــهُ وَهْـــوَ فَـــرْدٌ مِنْ جَلاَلَتِـــهِ
فِي عَسْكَرٍ حِينَ تَلْقَاهُ وَفِي حَشَـــمِ

ـ ثم **أبو زيد عبد الرحمن الكيمراني الصنهاجي** (ت: سنة 712هـ/1312م)؛ فقيه، ومقرئ، ومدرس.

ـ ثم **أبو فارس عبد العزيز بن عبد العظيم ابن علي الحفوي الصنهاجي** والحفوي نسبة إلى بطن من صنهاجة (عاش قبل عام 712هـ/1312م)؛ وهو فقيه عدل.

ـ ثم **أبو عبد الله بن القاضي الصنهاجي** (عاش قبل عام 712هـ/1312م)؛ كاتب؛ يجيد النظم والنثر.

ـ ثم **أبو محمد عبد الوهاب بن محمد بن عبد القدوس القرطبي الصنهاجي** (عاش قبل عام 712هـ/1312م)؛ فقيه، وخطيب جامع قرطبة؛ وهو المقرئ بها.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن محوت الصنهاجي** (عاش قبل عام 712هـ/1312م)؛ فقيه، ومفتي.

ـ ثم **أبو عمر ميمون بن علي بن عبد الخالق الفاسي الخطابي الصنهاجي** (عاش قبل عام 712هـ/1312م)؛ من الصوفية، ومحدث، ومفتي.

ـ ثم **زين الدين محمد بن سليمان بن أحمد ابن يوسف المراكشي الصنهاجي** (ت: سنة 717هـ/1317م)؛ أمام، ومقرئ؛ سنن الإسكندرية.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن محمد بن داود ابن آجُرُّوم الفاسي الصنهاجي** (ت: سنة 723هـ/1323م)؛ ومعنى آجروم بالأمازيغية: الفقير الصوفي؛ وهو من علماء النحو، والأدب، والقراءات؛ وله إلمام بعلم الفرائض والحساب؛ وله مؤلفات، وأراجيز عديدة في: النحو، والقراءات، وغيرها؛ واشتهرت منها مقدمة الأجرومية في النحو. قال السيوطي عن مذهبه في النحو أنه على مذهب الكوفيين؛ وبذلك فهو يخالف مذهب البصريين. ويقال بأنه ألف مقدمة الأجرومية أمام الكعبة المشرفة. من شعره في الغربة:

يَا غَائِباً كَانَ أنسي رَهْنَ طَلْعَتِهِ
كَيْفَ اصْطِبَارِي وَقَدْ كَابَدْتُ بَيْنَهُمَا
دَعْوَايَ أَنَّكَ فِي قَلْبي يُعَارِضُهَا
شَوْقِي إِلَيْكَ فَكَيْفَ الجَمْعُ بَيْنَهُمَا

"

ـ ثم أبو المكارم منديل بن محمد بن محمد ابن داود بن آجُرُّوم الفاسي الصنهاجي (من أعلام النصف الثاني من القرن الثامن)؛ وهو ابن صاحب الأجرومية؛ وله شعر جيد؛ منه:

أَيُّهَا العَارِفُونَ قَدْرَ الصَّبُوحِ
جَدِّدُوا أُنْسَنَا بِبَابَ الفُتُوحِ

إلى أن يقول:

جَدِّدُوا ثَمَّ أُنْسَنَا ثُمَّ جدُّوا
يَسْرَح الطَّرْفُ فِي مَجَالٍ فَسِيحِ
حَيْثُ شَابَتْ مَفَارِقُ اللَّوْزِ نَوْراً
وَتَسَاقَطْنَ كَاللُّجَيْنِ الصَّرِيحِ
وَبَدَا مِنْهُ كُلُّ مَا احْمَرَّ يَحْكِي
شَفَقاً مَزَّقَتْهُ أَيْدِي الرِّيحِ
وَكَأَنَّ الَّذِي تَسَاقَطَ مِنْهُ
نُقَطٌ لُحْنَ مِنْ دَمٍ مَسْفُوحِ
وَإِذَا مَا وَصَلْتُمْ لِلْمُصَلَّىٰ
فَلْتَحِلُّوا بِمَوْضِعِ التَّسْبِيحِ
وَبِطَيْفُورِهَا فَطُوفُوا لِكَيْمَا
تُبْصِرُوا مِنْ ذُرَاهُ كُلَّ سُطُوحِ
وَلْتُقِيمُوا هُنَاكَ لَمْحَةَ طَرْفٍ
لِتَرُدُّوا بِهِ ذَمَاءَ الرُّوحِ

"

ثُمَّ حُطـــُّوا رِحَالِكُمْ فَوْقَ نَهْــــر
كَـــلَّ فِي وَصْفِـــهِ لِسَــانُ المَدِيـــحِ
فَوْقَ حَافَّاتِــــهِ حَدَائِــــقُ خُضْــــرٌ
لَيْــــسَ عَنْهَـــا لِعَاشِـــقٍ مِنْ نـــزُوحِ
وَكَـــأنَّ الطُّيُـــورَ فِيهَـــا قِيَـــانٌ
هَتَفَـــتْ بَيْـــنَ أعْجَـــمٍ وَفَصِيـــحِ
وَهْيَ تَدْعُوكُـــمُ إِلَى قُبَّـــةِ الجَـــو
زِ هَلُمُّـــوا إِلَى مَكَـــانٍ مَلِيــــحِ
فِيهِ مَا تَشْتَهُـــونَ مِنْ كُلِّ نـــَوْرٍ
مُغْلَـــقٍ فِي الكِمَــامِ أوْ مَفْتُـــوحِ
وَغُصُونٍ تَهِيـــجُ رَقْصـــاً إِذَا مَـــا
سَمِعَتْ صَوْتَ كُلِّ طَيْـــرٍ صَـــدُوحِ
فَأجِيبُـــوا دُعَاءَهَـــا أيُّهَا السِّـــرْ
بُ وَخَلُّـــوا مَقَـــالَ كُـــلِّ نَصِيـــحِ

ومـــن شعـــره الـــذي قالـــه لابـــن مـــرزوق الخطيـــب؛ يسليـــه بـــه؛ عندمـــا سجـــن بعـــد مـــوت السلطـــان المريـــني أبي سالـــم:

يَا شَمْـــسَ عِلْـــمٍ أفَلَـــتْ بَعْدَمَـــا
أضَـــاءَتِ المَشْـــرِقَ وَالمَغْرِبَـــا
حُجِبَتْ قَسْراً عَنْ عُيُونِ الوَرَى
وَالشَّمْسُ لاَ يُنْكَر أنْ تُحْجَبَـــا

"

ــ ثم **أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن ابن أحمد الصنهاجي** المعروف بابن الحداد (يحتمل أنه كان حيا سنة 723هـ/1323م)؛ وهو من المتصوفين؛ وكان قبل تصوفه شاعرا، ومحدثا ذكيا؛ ولكنه ترك ذلك كله، وانغمس في الصوفية. ويقال أنه كان يستغفر الله عندما يذكره بعضهم بأشعاره، وما كان ينظمها في شبابه؛ بغرض مدح الملوك والأمراء.

ــ ثم **عائشة بنت علي بن عمر بن شبل الصنهاجي** (توفيت بمصر سنة 739هـ/1338م)؛ وهي عالمة فاضلة في علوم الحديث، وراوية له، ومحدثة به.

ــ ثم **وجيه الدين يحيى بن محمد الصنهاجي** (توفي بالإسكندرية سنة 739هـ/1338م)؛ فقيه مالكي، ولي القضاء بالإسكندرية.

ــ ثم **أبو عبد الله محمد بن عمر بن علي المليكشي الصنهاجي** (توف بتونس سنة 740هـ/1339م)؛ وهو من الأدباء العاملين في مجال الكتابة؛ إذ ولي خطة الإنشاء في بلاط الحفصيين بإفريقية. له شعر سلس، ونثر متقن. ونقل ابن الخطيب، والمقري عن صاحب الإكليل الزاهر قوله فيه: **((كاتب الخلافة، ومشعشع**

"

الأدب الذي يزري بالسلافة؛ كان بطل مجال، ورب رواية وارتجال؛ قدم هذه البلاد وقد نبا به وطنه، وضاق ببعض الحوادث عطنه؛ فتلوم تلوم النسيم بين الخمائل، وحل منها محل الطيف من الوشاح الجائل؛ ولبث مدة إقامته تحت جراية واسعة، وميرة يانعة؛ ثم آثر قطره؛ فولى وجهه شطره؛ واستقبله دهره بالإنابة، وقلده خطة الكتابة؛ فاستقامت حاله، وحطت رحاله؛ وله شعر أنيق، وتصوف وتحقيق، ورحلة إلى الحجاز سعيها في الخير وثيق ونسبها في الصالحات عريق)).[1]

ومن شعره؛ قوله:

رِضىً نِلْتِ مَا تَرْضَيْنَ مِنْ كُلِّ مَا يَهْوَى
فَلاَ تُوقِفِينِي مَوْقِفِ الذلِّ وَالشَّكْوَى

وَصَفْحاً عَنِ الجَانِي المُسِيءِ لِنَفْسِهِ
كَفَاهُ الَّذِي يَلْقَاهُ مِنْ شِدَّةِ البَلْوَى

بِمَا بَيْنَنَا مِنْ خَلْوَةٍ مَعْنَوِيَّةٍ
أَرَقَّ مِنَ النَّجْوَى وَأَحْلَى مِنَ السَّلْوَى

قِفِي أَتَشَكَّى لَوْعَةَ البَيْنِ سَاعَةَ
وَلاَ يَكُ هَذَا آخِرَ العَهْدِ بِالنَّجْوَى

---

[1] الإحاطة، ج: 2، ص: 563. نفح الطيب، ج: 6، ص: 240.

"

قِفِي سَاعَةً فِي عَرْصَةِ الدَّارِ وَانْظُـــرِي
إِلَى عَاشِــقٍ مَــا يَسْتَفِيـــقُ مِـــنَ البَلْـــوَى
وَكَمْ قَدْ سَأَلْتُ الرِّيـــحَ شَوقاً إِلَيْكُـــمُ
فَمَـــا حَـــنَّ مَسْـــرَاهُ عَـــلَيَّ وَلاَ أَلْـــوَى
فَيَا رِيـــحُ حَتَّى أَنْتِ مِمَّنْ يَغَـــارُ بِي
وَيَا نَجْـــدُ حَتَّى أَنْتَ تَهْـــوَى الَّذِي أَهْـــوَى
خُلِقْـــتُ وَلِي قَلْبٌ جَلِيدٌ عَلَى النَّـــوَى
وَلَكِـــنْ عَـــلَى فَقْـــدِ الأَحِبَّـــةِ لاَ يَقْـــوَى

تعـــرف صدفـــة عـــلى قينـــة رائعـــة؛ فمـــال إليهـــا؛ بعـــد أن توافقـــا؛ ولكنـــه انعطـــف عنهـــا خوفـــا مـــن السقـــوط في هواهـــا؛ زهْـــدا، ونسْكـــا؛ ثـــم قـــال:

لَمْ أَنْـــسَ وَقْفَتَنَـــا بِبَـــابِ المَلْعَـــبِ
بَيْنَ الرَّجَـــا وَاليَـــأسِ مِنْ مُتَجَنِّـــبِ
وَعَـــدَتْ فَكُنْتُ مُرَاقِبـــاً لِحَدِيثِهَـــا
يَـــا ذلَّ وَقْفَـــةِ خَائِـــفٍ مُتَرَقِّـــبِ
وَتَدَلَّلَـــتْ فَذلِلْـــتُ بَعْـــدَ تَعَـــزُّزٍ
يَأتِي الغَـــرَامُ بِكُلِّ أَمْـــرٍ مُعْجِـــبِ
بَدَوِيَّـــةٌ أَبْـــدَى الجَمَالُ بِوَجْهِهَـــا
مَا شِئْتَ مِنْ خَدٍ شَرِيـــقٍ مُذهِـــبِ
تَدْنُـــو وَتَبْعُـــدُ نَفْـــرَةً وَتَجَنِّيـــــاً
فَتَكَادُ تَحْسِبُهَـــا مَهَـــاةَ الرَّبْـــرَبِ

"

وَرَنَـــتْ بلَحْظٍ فَاتِـــنٍ لَكَ فَاتِـــرٍ
أنْضَى وَأمْضَى مِنْ حُسَامِ المُضْـــرَبِ
وَأرَتْكَ بَابِـــل سِحْرِهَـــا بجُفُونهَـــا
فَسَبَتْ، وَحُقَّ لِمِثْلِهَـــا أنْ تَسْتَـــبِي
وَتَضَاحَكَتْ فَحَكَتْ بنَيِّـــرِ ثَغْرِهَـــا
لَمَعَانَ نُـــورِ ضِيَاءِ بَـــرْقٍ خُلَّـــبِ
بمُنَظَّمٍ فِي عِقْدِ سَمْـــطَيْ جَوْهَـــرٍ
عَنْ شِبْهِ نُـــورِ الأقْحُوَانِ الأشْنَـــبِ
وَتَمَايَلَتْ كَالغُصْنِ أخْضَلَهُ النَـــدَّى
رَيَّـــانَ مِنْ مَاءِ الشَّبِيبَـــةِ مُخْصِـــبِ
تَثْنيـــهِ أرْوَاحُ الصَّبَابَـــةِ وَالصَّبَـــا
فَتَـــرَاهُ بَيْـــنَ مُشَـــرِّقٍ وَمُغَـــرِّبِ
أبَـــتِ الرَّوَادِفُ أنْ تَميـــلَ بمَيْلِـــهِ
فَرَسَتْ وَجَـــالَ كَأنَّـــهُ فِي لَوْلَـــبِ
مُتَتَوِّجـــاً بهِـــلاَلِ وَجْـــهٍ لاَحَ فِي
خلَلِ السَّحَابِ لِحَاجِبٍ وَمُحَجَّـــبِ
يَا مَنْ رَأى فِيهَـــا مُحِبـــاً مُغْرَمـــاً
لَـــمْ يَنْقَلِـــبْ إلاَّ بقَلْـــبٍ قُلَّـــبِ
مَا زَالَ مُـــذ وَلَّى يُحَـــاوِلُ حِيلَـــةً
تُدنيـــهِ مِنْ نَيْـــلِ المُـــنَى وَالمَطْلَـــبِ
فَأجَالَ نَـــارَ الفِكْرِ حَتَّى أوقَـــدَتْ
فِي القَلْـــبِ نَار تَشَـــوُّقٍ وَتَلَهُّـــبِ

"

فَتَلاقَتِ الأَرْوَاحُ قَبْلَ جُسُومِهَا
وَكَذَا البَسِيطُ يَكُونُ قَبْلَ مُرَكَّبِ

وله أيضا:

أَرَى لَكَ يَا قَلْبِي بِقَلْبِي مَحَبَّة
بَعَثْتُ بِهَا سِرِّي إِلَيْكَ رَسُولاَ
فَقَابِلْهُ بِالبُشْرَى، وَأَقْبِلْ عَشِيَّة
فَقَدْ هَبَّ مِسْكِيُّ النَّسِيمِ عَلِيلاَ
وَلاَ تَعْتَذِرْ بِالقَطْرِ أَوْ بَلَلِ النَّدَى
فَأَحْسَنُ مَا يَأْتِي النَّسِيمُ بَلِيلاَ

ـ ثم **أبو هادي مصباح بن سعيد الصنهاجي** (توفي بقسنطينة سنة 747هـ/1346م)؛ وهو من فقهاء الذهب المالكي؛ وكان من أهل الزهد، والصلاح.

ـ ثم **أبو محمد عبد العزيز بن صالح السلاوي الصنهاجي** (كان حيا سنة 763هـ/1361م)؛ وهو من المتصوفين؛ دمث الأخلاق، من أهل الخير والصلاح، يعمل جاهدا لقضاء حاجات المسلمين. وعندما يحس بأن أحدهم أنكر عليه شيئا ينشد قائلا:

"

وَاحِيـرَتِي مِنْ قَلْبِيَ القَاسِي
وَمَا جَرَى مِنْهُ عَلىَ رَاسِي
العِزُّ مَوْجُودٌ لِمَنْ يَشْتَرِي
وَإِنَّمَا المِحْنَة إِفْلاَسِي
إِنْ أَنْكَرُوا دُفِّي وَشَبَّابَتِي
وَهزَّ عِطْفِي بَيْنَ جُلاَّسِي
لاَ غَرْوَ أَنْ أَفْتَوْ عَلىَ عِلْمِهِمْ
فَإِنَّهُمْ مَا شَرِبُوا كَاسِي

ـ ثم **حسن بن عبد الله المليكشي الصنهاجي** (توفي بالقاهرة سنة 778هـ/1376م)؛ وهو من علماء الحديث؛ ومن الفقهاء المالكيين؛ واشتغل في علوم عديدة. وهو من مواليد بجاية؛ رحل إلى مصر؛ حيث تصدر للتدريس في المدرسة الناصرية.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن محمد بن منصور ابن علي بن الأشهب التلمساني الصنهاجي** (توفي بمكناسة سنة 791هـ/1388م)؛ أستاذ، وراوية، ومن المولعين بالرحلة.

ـ ثم **برهان الدين إبراهيم بن عبد الله ابن عمر الصنهاجي** (توفي بدمشق سنة 796هـ/1393م)؛ ولي قضاء المالكية بدمشق؛ وهو

"

مـــن حفـــاظ الموطـــأ؛ وكـــان عالمـــا بالأصـــول، والفقـــه، وعلـــوم العربيـــة، والنحـــو.

ـ ثـــم **إبراهيـــم بـــن عبـــد اللـــه بـــن عمـــر الصنهـــاجي** (تـــوفي بدمشـــق سنـــة 798هـــ/1395م)؛ وهـــو مـــن الفقهـــاء؛ كـــان يحفـــظ الموطـــأ؛ ولي قضـــاء دمشـــق؛ فلـــم يقبـــل إلا بإلحـــاح عليـــه.

ـ ثـــم **عثمـــان بـــن سليمـــان الجزائـــري الصنهـــاجي** (تـــوفي بالقاهـــرة سنـــة 825هـــ/1421م)؛ نشـــأ بمدينـــة الجزائـــر، وأخـــذ العلـــم في تونـــس، ومصـــر. يفهـــم مـــن وصـــف ابـــن حجـــر لـــه أنـــه مـــن فئـــة الأقـــزام؛ وكـــان مـــن أصحـــاب العلـــم، والفضـــل.

ـ ثـــم **أبـــو الخيـــر خليـــل بـــن هـــارون بـــن مهـــدي ابـــن عيـــسى بـــن محمـــد الجزائـــري الصنهـــاجي** (تـــوفي بالمدينـــة المنـــورة سنـــة 826هـــ/1422م)؛ وهـــو مـــن فقهـــاء المالكيـــة؛ درس في مدينـــة الجزائـــر، وفي تونـــس، والإسكندريـــة، ومكـــة؛ ولـــه مؤلفـــات؛ منهـــا: كتـــاب تذكـــرة الإعـــداد لهـــول يـــوم الميعـــاد؛ في الأذكـــار، والأدعيـــة، وكتـــاب مختصـــر التذكـــرة، وكتـــاب أشـــرف مسمـــوع في تحقيـــق الموضـــوع.

"

ـ ثـم **أبو العباس أحمد بن عيسى التلمساني البطوي الصنهاجي** (كان حيا سنة 843هـ/1439م)؛ وهو من فقهاء المذهب المالكي؛ ولي القضاء؛ وصف بالعدل، والتوثيق.

ـ ثم **عثمان بن يوسف بن محمد بن علي الجزائري الصنهاجي** (توفي بمكة المكرمة حوالي 863هـ/1458م)؛ وهو من علماء المذهب المالكي؛ نشأ ودرس بالجزائر، ثم رحل إلى المشرق بغرض الحج، وطلب العلم.

ـ ثم **سالم بن إبراهيم بن عيسى الصنهاجي** (توفي بدمشق سنة 873هـ/1468م)؛ وهو فقيه مالكي، من الحفاظ، وأصحاب الحديث. ولد بمشدالة، وترعرع ببجاية، وأكمل تعليمه بتونس ومصر والحجاز ودمشق. تعرض للأسر من طرف قراصنة النصارى؛ ثم أطلق سراحه. ولي القضاء بدمشق، والقدس؛ فكان حازما، صارما، عادلا، عفيف النفس عزيزها، نزيها في سيرته.

ـ ثم **أحمد بن محمد بن يوسف الصنهاجي** المعروف بالدقون (ت: سنة 921هـ/1515م)؛ أستاذ وخطيب ومحدث وراوية وأديب؛ له معرفة بقرض الشعر؛ ولي الخطابة بالقرويين. كان خفيف الظل؛ وعرف بكثرة المزاح؛ ومما أجاز

"

بـه أبـا القاسـم محمـد بـن إبراهيـم المشـرائي قولـه نظمـا:

أشْهَدُكُمْ يَا مَنْ حَضَرْ أهْلَ البَدَاوَى وَالحَضَرْ
أني أجَـزْت قَاسِمـاً ابْنَ الفَقِيـهِ المُعْتَبَـرْ

وفي إجـازة أخـرى لأبي عبـد اللـه محمـد ابـن أحمـد شقـرون بـن أبي جمعـة المغـراوي قولـه:

أجَازَ لَكَ الدقُّونُ يَا نَجْـلَ سَيِّـدِي
أبي جُمْعَـةٍ وَالآل كُلَّ الَّذِي رَوَى
فَحَدِّثْ بِمَا اسْتُدْعِيتَ فِيـهِ إجَـازَة
وَسَلِّمْ عَلىَ مَنْ خَافَ النَّفْسَ وَالهَوَى

ــ ثـم **أبـو هـادي مصبـاح بـن سعـد الصنهـاجي** (تـوفي بقسنطينـة سنـة 947هــ/1540م)؛ وهـو مـن فقهـاء المذهـب المالـكي.

ــ ثـم **حمـد بـن محمـد بـن عيـسى التلمسـاني البطـوي الصنهـاجي** (مـن أعـلام النصـف الأول مـن القـرن العاشـر للهجـرة)؛ وهـو مـن فقهـاء المالكيـة؛ لـه إلمـام بعلـم الحديـث؛ ويميـل إلى التصـوف؛ هاجـر إلى المدينـة المنـورة، وتـوفي بهـا.

"

ـ ثـم **أبـو الثنـاء محمـود بـن عمـر بـن محمـد أوقيـت الصنهـاجي** (تـوفي بتنبوكتـو سنـة 955هـ/1548م)؛ وولي قضـاء تنبكتـو؛ فكـان حازمـا، شديـدا، وعـادلا في أحكامـه؛ لا يحـابي، ولا يجامـل أهـل الجـاه، والسلطـان؛ فظهـر فضلـه، وسمـا شأنـه. وكـان يقـوم بالتدريـس إلى جانـب عملـه في القضـاء؛ فتخـرج على يديـه نخبـة مـن الطـلاب، والشيـوخ. ولـه شـرح عـلى مختصـر خليـل؛ في الفقـه المالـكي؛ وهـو في مجلديـن، وكتـاب تاريـخ الفتـاش في أخبـار البلـدان والجيـوش وأكابـر النـاس.

ـ ثـم **أبـو عبـد اللـه عبـد الخالـق الصنهـاجي** (كـان حيـا سنـة 999هـ/1590م)؛ وهـو مـن بـني أمغـار أهـل تيـط. ذكـره ابـن القـاضي بالسـوء؛ إذ قـال فيـه: **((وهـو رأس الطائفـة الأندلسيـة الملعونـة؛ ولقـد شاهـدت بمدينـة مكناسـة ثُلْمَـة عظيمـة في الديـن: أجلسـوه عـلى كـرسي بجامعهـا الأعظـم؛ وهـو يتكلـم في التصـوف بزعمـه! ويضـل العامـة بمذهبـه الشنيـع! أهلكهـا اللـه ـ مـن طائفـة مضـرة بالسنـة السمحـة ـ بحمـده)).**[1]

---

[1] درة الحجـال ج: 3، ص: 168.

"

ـ ثم **سعيد بن مسعود الماغوسي المراكشي الصنهاجي** (ت: سنة 1016هـ/1607م)؛ وهو من العلماء الأفاضل؛ له مؤلفات عديدة؛ منها: شرح لامية العرب، ونظم الفرائد الغرر في سلك فصول الدرر؛ وهو شرح لدرر السمط في مناقب السبط؛ لابن الأبار.

ـ ثم **أبو العباس أحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر التكروري التنبكتي الصنهاجي** (توفي بتنبكتو سنة 1036هـ/1626م)؛ وهو من الفقهاء، والحدثين. نكب عندما عارض حملة سلطان السعديين المنصور؛ الموجهة لاحتلال بلده تنبكتو؛ فأسر، وضاعت كتبه التي تقدر بـ 1600 مجلد. وفي هذه الحادثة نقل مع أسرته إلى مراكش؛ وبعد إطلاق سراحه؛ توجه إلى فاس؛ ثم سمح له بالعودة إلى تنبكتو؛ أين توفي هناك. وكان من أهل العلم، والفضل؛ لا يجامل في الحق، ولا يتساهل فيه. وله مؤلفات عديدة؛ أهمها: كتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج؛ وهو في التراجم، وله أيضا مصنفات تدخل في إطار الحواشي، والمختصرات قد تصل إلى الأربعين؛ وجلها في الفقه والحديث والعربية؛ بقيت كلها ضمن المخطوطات.

"

ـ ثم **عثمان بن زيان الصنهاجي** اشتهر باسم الصنهاجي (من أعلام القرن الحادي عشر للهجرة)؛ وهو من علماء النحو، والفقه؛ توفي ببلدة أولاد علي بن صناج؛ ألف كتابا في النحو، وآخر في التوحيد.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد ماني الفاسي الصنهاجي** (ت: سنة 1333هـ/1913م)؛ وهو من فقهاء المذهب المالكي؛ وله إلمام بالإفتاء. ألف بعض الكتب؛ منها: منظومة في البدريين، والتعريف بمعاذ، ومعوذ؛ ابني عفراء المذكورين في الشمائل.

ooo

وبعد ذكر العلماء، ورجال الفكر من بني صنهاجة؛ نتكلم الآن عن زعمائهم، ورجال السياسة فيهم؛ وهم:

ـ **ثابت بن وزريون الصنهاجي** (كان حيا سنة 127هـ/744م)؛ وهو الذي ثار في باجة على عبد الرحمن بن حبيب (والي القيروان). ولكن مصيره بقي مجهولا؛ بعد إخماد تلك الثورة؛ التي قتل خلالها عبد الرحمن بن حبيب أعدادا كبيرة من الأمازيغ.

"

ـ ثم **عبد الملك بن سكرديد الصنهاجي** (كان حيا سنة 153هـ/769م)؛ وهو أحد قادة الصفرية؛ الثائرين بإفريقية في عهد والي القيروان عمر بن حفص بن قبيصة؛ كما شارك في الحلف الأمازيغي الذي حاصر عمر بطبنة.

ـ ثم **تيولوتان بن تيكلان اللمتوني الصنهاجي** (ت: سنة 222هـ/836م)؛ ملك جميع الصحراء الفاصلة بين الأقطار المغربية بكاملها، وبين بلاد السودان. ويقول صاحب روض القرطاس: أنه في إمكانه حشد مائة ألف مقاتل على النجب؛ وأن أزيد من عشرين ملكا من ملوك السودان كانوا تحت سلطانه، ويؤدون إليه الجزية؛ وكانت البلاد الخاضعة لهيمنته تمتد لثلاثة أشهر سيرا.

ـ ثم حفيده **الأتير بن يطين** (أو بطين) **بن تيولوتان بن تيكلان اللمتوني الصنهاجي** (ت: سنة 237هـ)؛ ملك مناطق الصحراء ـ بعد جده ـ على أحسن وجه.

ـ ثم **تميم بن الأتير بن يطين بن تيولوتان اللمتوني الصنهاجي** (توفي مقتولا سنة 306هـ/918م)؛ قتله أشياخ بعض القبائل من

صنهاجة؛ مما أدى إلى افتراق أمرهم؛ وبقائهم على فرقتهم طوال 120 سنة.

ـ ثم **مناد بن منقوش بن صناك** الأصغر (من أعلام القرن الثالث للهجرة)؛ كبير قبيل تلكاتة الصنهاجية، وأميرهم في عهد الأغالبة، وبني العباس. كان ـ في وقته ـ مواليا لهم، وتابعا لسلطانهم.

ـ ثم **زيري بن مناد التلكاتي الصنهاجي** (ت: سنة 361هـ/971م)؛ وهو الممهد الأول للدولة الصنهاجية بالمغرب الأوسط؛ في ظل الدولة الفاطمية. شيد مدينة آشير الحصينة؛ بجبل تيطري. كما أمر ولده بلكين ببناء: مليانة، ولمدية، والجزائر. وكان له عشرة من الأبناء؛ أصغرهم بلكين. وقُتل زيري في معركة دارت بينه وبين منافسه، وخصمه جعفر بن علي أمير المسيلة. ومن صفات زيري بن مناد؛ أنه ـ إلى جانب ما عرف عنه من كرم، وشجاعة ـ فقد كان يميل إلى الوحشية، والقسوة مع أعدائه.

ـ ثم **أبو الفتوح سيف الدولة بلكين بن زيري بن مناد التلكاتي الصنهاجي** ويسمى يوسف (ت: سنة 373هـ/983م)؛ هو مؤسس الدولة الزيرية بالمغرب الأوسط وإفريقية؛ بعد أن

"

استخلفه المعز لدين الله الفاطمي على تلك الديار. وكانت له حروب حامية ضد قبائل زناتة؛ التي كانت تميل إلى طاعة بني أمية بالأندلس. تميز هو الآخر بالقسوة؛ مثل أبيه.

ــ ثم **أبو الفتح المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد التلكاتي الصنهاجي** (ت: سنة 386هـ/1027م)؛ تربع على عرش المغرب الأوسط، وإفريقية بعد موت أبيه؛ فكان شهما، كريما، حازما، شجاعا؛ عادلا. من إنجازاته العمرانية: بناء مصلى للعيد برقادة، وتشييد قصر صبرة؛ القريب من القيروان؛ الذي انتقل إليه من بلاده آشير. ويقال أنه أنفق في بنائه ثمانمائة ألف دينار.

ــ ثم **حُباسة بن ماكسن بن زيري بن مناد التلكاتي الصنهاجي** (توفي في وقعة رمداي خارج قرطبة سنة 402هـ/1011م)؛ ويعد من الفرسان الأبطال؛ فهو ــ كما كان يوصف عادة ــ فارس صنهاجة، وفتاها بدون منازع. والسبب في مماته ــ كما ذكرت المصادر التاريخية ــ أنه خاض عباب المعركة التي كانت دائرة خارج قرطبة؛ ونظرا لبعض حركاته الخطيرة؛ من على ظهر حصانه؛ الذي كان عليه سرج طري العمل، متفتح اللِّبد ــ

"

كما قال أبو حيان ـ فإنه مال به أثناء المراوغة، والمحاولة؛ فسقط؛ فبادره المدعو النبيه النصراني بطعنة؛ كانت بها نهايته.

ـ ثم **أبو مناد نصير الدولة باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري التلكاتي الصنهاجي** (ت: سنة 406هـ/1015م)؛ سلطان إفريقية بالقيروان. حدثت في أيامه فتن؛ بينه وبين قرابته على الحكم؛ فقمع محاولاتهم بشدة. كما ثارت عليه قبائل زناتة؛ فقضى بقية عمره في الحروب ضدهم؛ إذ توفي فجأة بالقرب من المسيلة؛ بينما كان خارجا لملاقاة المتمردين.

ـ ثم **أم ملال السيدة بنت المنصور بن بلكين التلكاتي الصنهاجي** (توفيت سنة 414هـ/1023م)؛ وهي من شهيرات النساء بالمغرب الإسلامي؛ شاركت أخاها باديس في الحكم،؛ إذ انشغل بالفتن، والحروب، وترك لها تسيير شئون الدولة؛ ولما مات فجأة؛ تولت الوصاية على عرش ابنه المعز؛ الذي يبلغ لم يبلغ التاسعة من عمره؛ فكانت تتحلى بالحنكة، والحكمة، والحزم؛ وظلت في مهامها إلى يوم وفاتها؛ فرثاها أكثر من مائة شاعر.

"

ـ ثم **حماد بن بلكين بن زيرى بن مناد التلكاتي الصنهاجي** (ت: سنة 419هـ/1028م)؛ بدأ يظهر في عهد ابن أخيه باديس بن المنصور؛ الذي ولاه تيهرت؛ ولكن عاد فعزله وولى عمه الآخر يطوفت. وقد اضطر باديس إلى الاعتماد عليه للمرة الثانية؛ ولكن في هذه المرة؛ احتاط حماد لكي يدوم له الأمر؛ فقضى بقية حياته في صراع حثيث؛ ضد باديس، والمنصور من جهة، وقبائل زناتة من جهة أخرى. وفي سنة 405هـ أسقط دعوة الفاطميين من منابر دولته، وأعلن دعوة العباسيين، وأظهر المذهب السني. وبهذه الخطوة يكون قد سبق المعز في الارتداد عن المذهب الشيعي. ويبدو أن حمادا كان سيئ الحكم، قاسيا على أنصاره، ورعيته؛ بل كان لا يتورع عن الغدر والخيانة؛ إذا لزم الأمر. وقد انتهى ببعض تصرفاته إلى حد الوحشية؛ إذ وصل به الحال إلى قتل حرمه بيديه؛ عند هزيمته أمام ابن أخيه باديس؛ لكي لا تقع في الأسر، ويلحقه منها العار. ومع هذا فقد استطاع بعد إلحاح حثيث، وكفاح شديد؛ من تشيد دولة كبيرة له، ولأبنائه في المغرب الأوسط؛ تميزت ـ فيما بعد ـ بازدهار حضاري، وثقافي عظيم؛ تجلى ذلك

"

في المنجـــزات العظيمـــة؛ الـــتي قامـــت بعاصمـــة الدولـــة؛ المعروفـــة بقلعـــة بـــني حمـــاد. ويشيـــر ابـــن خلـــدون إلى تلـــك الإنجـــازات بقولـــه: **((تـــم بناؤهـــا وتمصيرهـــا عـــلى رأس المائـــة الرابعـــة. وشيـــد مـــن بنيانهـــا، وأسوارهـــا؛ وأستكثـــر فيهـــا مـــن المساجـــد، والفنـــادق؛ فاستبحـــرت في العمـــارة، واتسعـــت في التمـــدن؛ ورحـــل إليهـــا مـــن الثغـــور، والقاصيـــة، والبلـــد البعيـــد طـــلاب العلـــوم، وأربـــاب الصنائـــع؛ لنفـــاق أســـواق المعـــارف، والحـــرف، والصنائـــع بهـــا)).**[1]

ـ ثـــم **أبـــو مثْـــنى الحاجـــب المنصـــور زاوي بـــن زيـــري بـــن منـــاد التلكـــاتي الصنهـــاجي (**كـــان حيـــا سنـــة 420هـــ/1029م**)**؛ هـــو الـــذي لجـــأ مـــع أنصـــاره مـــن صنهاجـــة إلى الأندلـــس أيـــام ابـــن عامـــر؛ هاربيـــن مـــن باديـــس بـــن المنصـــور. كمـــا أنـــه الممهـــد الحقيـــقي لملـــك بـــني زيـــري بالأندلـــس. ولكنـــه بعـــد الفتنـــة الكبـــرى الـــتي انطلقـــت مـــن قرطبـــة؛ كـــره البقـــاء في الأندلـــس، وعـــاد إلى القيـــروان.

ـ ثـــم **أبـــو مسعـــود حبـــوس بـــن ماكســـن بـــن زيـــري بـــن منـــاد الصنهـــاجي (**تـــوفي بغرناطـــة سنـــة

---

[1] **العبـــر، مج: 6 ، ص: 350.**

"

429هـ/1037م)؛ أقام ملكه بإلبيرة، وغرناطة، وما تبعها؛ وأورثه بنيه.

ـ ثم **محمد بن تيفاف** (أو تيفاب) **اللمتوني الصنهاجي** المعروف بتارسنا (توفي حوالي سنة 429هـ/1037م)؛ تمكن هذا الأمير من جمع شمل صنهاجة الصحراء ـ من جديد ـ تحت لوائه. وكان رجلا صالحا؛ ومتدينا؛ قتل في إحدى المعارك الجهادية؛ ضد بعض الفئات من اليهود.

ـ ثم **يحيى بن إبراهيم الجدالي الصنهاجي** (توفي بعد عام 440هـ/1048م)؛ وهو صهر محمد ابن تيفاف؛ فأضحى ـ بعد مماته ـ زعيما لصنهاجة في الصحراء؛ هو الذي طلب من أبي عمران الفاسي؛ شيخ المالكية بالقيروان ـ أثناء عودته من الحج ـ أن يبعث معه فقيها؛ ليعلم قومه شئون دينهم؛ فكتب إلى من يعرفه بالمغرب الأقصى؛ فدله على عبد الله بن ياسين الجزولي؛ فأخذه معه، وحمل قومه على طاعته؛ إلى أن مات.

ـ ثم **القائد بن حماد بن بلكين بن زيري التلكاتي الصنهاجي** (ت: سنة 446هـ/1054م)؛ افتتح عهده بصد هجمات زناتة؛ في الوقت الذي

"

سادت البلاد هدنة حذرة؛ بينه وبين بني عمه في إفريقية. ويقول ابن خلدون أنه أعاد الدعوة للفاطميين؛ فأتحفوه بلقب "شرف الدولة"؛ وهو اللقب الذي سبق أن منحوه إلى المعز؛ بينما ينفي آخرون ذلك. ويمكن أن يكون هذا قد تم نكاية في المعز بن باديس الذي أسقط دعوتهم. وقد ورث عن أبيه حماد قسوته، وشراسته؛ إذ قتل ابنه زيري بنفسه؛ ولكنه قاصر عنه في الحنكة السياسية، والموهبة الحربية. ومع هذا فقد عرفت دولته فترة هادئة، مستقرة.

ـ ثم **محسن بن القائد بن حماد بن بلكين التلكاتي الصنهاجي** (ت: سنة 447هـ/1055م)؛ قبل أن يموت والده القائد أوصاه بأمرين: الأول؛ أن يحسن إلى أعمامه؛ خاصة يوسف، وريغلان. والأمر الثاني؛ آلا يخرج من القلعة مدة ثلاث سنين. والغريب في شأن محسن؛ أنه أخل بالوصيتين؛ إمعانا، وإصرارا. فأساء إلى أعمامه جميعا؛ بعزلهم من مناصبهم وقتلهم. كما خرج من القلعة لمحاربة عمه يوسف؛ وأثناء ذلك حاول الغدر بعمه الآخر بلكين؛ فانكشفت المكيدة، ودارت عليه الدائرة؛ وقتله بلكين بمساعدة أنصاره من عرب هلال.

"

ـ ثم **يحيى بن عمر بن تكلاكين اللمتوني الصنهاجي** (توفي بجهات درعة سنة 448هـ/1056م)؛ وهو الممهد الأول لقيام الدولة المرابطية. كان مع يحيى بن إبراهيم الدكالي؛ في العودة من الحج، وشاركه في جلب عبد الله بن ياسين إلى الصحراء. ولما تنكرت جدالة؛ خرج مع ابن ياسين إلى جزيرة في نهر السينغال؛ فتنسك معه في رباطه؛ ثم أخذت شلتهم تتنامى ؛ معتزلين عمن خالفهم؛ ولما قويت شوكتهم، وكثرت عصبتهم؛ خرجوا لقتال المخالفين من قومهم، وقتال الوثنيين من السودان. وقتل يحيى بن عمر في بعض الوقائع ضد جدالة ببلاد درعة.

ـ ثم **بلكين بن محمد بن حماد بن زيري التلكاتي الصنهاجي** (ت: سنة 454هـ/1062م)؛ بتوليه الحكم انتقل الملك من بيت القائد إلى بيت أخيه محمد بن حماد. كان بلكين ـ كغيره من أمراء تلكاتة ـ يميل إلى القسوة، وسفك الدماء، والجبروت. فافتتح عهده بقتل وزير سلفه الأمير محسن، ثم قتل جعفر بن أبي رمان صاحب بسكرة، ونكب المدينة، وأثخن في أهلها. ثم توغل غربا؛ في بلاد زناتة، والمناطق الصحراوية؛ طالبا المرابطين؛ دون جدوى.

"

وامتدت يده الفاتكة إلى زوجته؛ تانميرات بنت عمه علناس بن حماد؛ الأمر الذي دفع بأخيها؛ الناصر بن علناس لرصد الفرصة المواتية؛ للانقضاض على بلكين؛ قاتل أخته؛ فكان له ذلك. وقد ساعدت الأوضاع السياسية المتردية؛ في دولة بني باديس الزيرية بإفريقية ـــ بعد الغزو الهلالي ـــ وتضعضع أحوال زناتة في غرب البلاد ـــ بفعل زحف المرابطين ـــ على ديارهم على تعزيز نفوذ بني حماد، واتساع رقعة دولتهم شرقا، وغربا؛ على حساب الطرفين الضعيفين. وبدأت قوة الحماديين تظهر، وتزداد ظهورا منذ عهد بلكين بن محمد بن حماد؛ ووصلت بعنفوانها في عهد الناصر بن علناس إلى حد كبير.

ـــ ثم **شرف الدولة المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري التلكاتي الصنهاجي** (توفي بالمهدية سنة 454هـ)؛ خلف والده على عرش إفريقية؛ وعمره لم يصل إلى التاسعة. ولما اشتد ساعده؛ أعلن ما يجيش به صدره، وما نشأ عليه خفية؛ فترك ـــ بذلك ـــ أثرا تاريخيا لا يمحى؛ إذ كان أول من تمرد ـــ من بني زيري ـــ على الفاطميين، ومذهبهم الشيعي؛ وشجع رعيته على اعتناق المذهب

"

المالكي؛ لأن المذهب السني الذي كان معمولا به؛ إلى جانب الشيعة في إفريقية آنئذ؛ هو المذهب الحنفي. وبهذا فتح المعز على نفسه باب المصائب؛ إذ أرسل الفاطميون إليه قبائل بني هلال، وسليم؛ لتأديبه؛ فعاثت تلك القبائل بالبلاد فسادا؛ وقامت بمهمة تدميرية؛ تعجز عنها الجيوش النظامية.

ـ ثم **سيف الدولة بلكين بن باديس بن حبوس التلكاتي الصنهاجي** (توفي مسموما في حياة أبيه سنة 456هـ/1063م)؛ **وكان** وليا لعهد أبيه؛ ولاه والده ـ في البداية ـ على إمارة مالقة. التي انتقلت إليهم بعد انتزاعها من حكم بني حمود؛ فتحولت إلى كورة من كور غرناطة. وتقول المصادر أن الذي قتله ـ غدرا بالسم ـ وزير أبيه: يوسف بن نغْرالة اليهودي؛ ولكنه حول التهمة ـ بدهائه ـ إلى فتيان القصر؛ فانتقم منهم باديس ظلما. وتقول المصادر ـ أيضا ـ بأنه تآمر على الدولة؛ بمداخلة ابن صمادح؛ أمير المرية إذ أطمعه في تحويل إمارة باديس إليه. وعندما قرأ الناس في غرناطة ـ الصنهاجيون منهم على الخصوص ـ قصيدة الشيخ أبي إسحاق الإلبيري؛

"

ثـــاروا عـــلى ابـــن نغرالـــة وقتلـــوه. وممـــا جـــاء في تلـــك القصيـــدة التحريضيـــة:

ألاَ قُـــلْ لِصَنْهَاجَـــةٍ أجْمَعِيـــنْ
بُـــدُورُ الزَّمَـــانِ وَأسْدُ العَرِيـــنْ
مَقَالَـــة ذِي مُقَّـــةٍ مُشْفِـــــق
يَعُدُّ النَّصِيحَـــة زُلْـــفَى وَدِيـــنْ
لَقَـــدْ زَلَّ سَيِّدِكُـــمْ زَلَّـــــة
تَقَـــرُّ بهـــا أعْيُـــنُ الشَّامِتيـــنْ
تَخَيَّـــرَ كَاتِبَـــــهُ كَافِـــــراً
وَلَـــوْ شَـــاءَ كَانَ مِنَ المُؤْمِنيـــنْ
فَعَـــزَّ اليَهُـــودُ بـــهِ وَانْتَخَـــوا
وَتَاهَـــوا وَكَانُوا مِنَ الأرْذَليـــنْ
وَنَالُـــوا مُنَاهُمْ وَجَازُوا المَـــدَى
وَقَـــدْ جَـــازَ ذَاكَ وَمَا يَشْعُـــرُونْ
فَكَمْ مُسْلِـــمٍ رَاهِـــب رَاغِـــب
لأرْذَل قِـــرْدٍ مِـــنَ المُشْرِكِيـــنْ

ـــ ثـــم **أبـــو منـــاد المظفـــر باللـــه باديـــس بـــن حبـــوس بـــن ماكســـن بـــن زيـــري بـــن منـــاد التلكـــاتي الصنهـــاجي** (ت: سنـــة 467هـ/1074م)؛ خلـــف والـــده حبـــوس في إمـــارة غرناطـــة؛ في ظـــل الدعـــوة لآل حمـــود بمالقـــة. وكـــان طاغيـــة، جبـــارا، وداهيـــة وشجاعـــا وحازمـــا وجَلْـــدا. وقـــال ابـــن خلـــدون أنـــه

هو الذي اختط قصبة غرناطة، وشيد قصورها، وأقام حصونها، ومختلف المنشآت التي ظلت إلى عهده؛ وبذلك يكون هو الذي مصَّرها. كما زحف على مالقة ــ بعد ظهور بوادر الضعف عليها ــ فاحتلها، واكمل بناء قصبتها؛ ثم أسند إمارتها ــ بعدئذ ــ لولده بلكين.

ــ ثم **أبو بكر بن عمر اللمتوني الصنهاجي** (ت: سنة 480هـ/1087م)؛ عينه عبد الله بن ياسين ــ بعد موت يحيى بن عمر الجدالي ــ قائدا للصنهاجيين؛ فتولى إدارة الحرب بينهم بجدارة، وكفاءة عالية؛ إذ تمكن من السيطرة على المناطق الشمالية لبلاهم؛ مثل بلاد فازاز، والسراير ومكناسة، وبرغواطة. ثم وصلته أخبار باشتعال فتن داخلية بين قبائل صنهاجة في أعماق الصحراء؛ فعاد لإصلاح حال قومه؛ بعد أن أسند أمر جيشه، والمناطق المفتوحة إلى يوسف بن تاشفين؛ الذي استبد بالأمر، وانفرد بالحكم.

"

ـ ثـم **الناصر بن علناس بن حماد بن زيري التلكاتي الصنهاجي** (ت: سنة 481هـ/1088م)؛ باستيلائه على الحكم؛ يكون المُلك قد انتقل إلى بيت ابن ثالث لحماد؛ وهو علناس. وكان الناصر ـ كغيره من بني حماد ـ شديدا وقاسيا؛ إذ كان لا يتورع عن القتل لأبسط الأسباب. وقد افتتح حكمه بقتل أعيان بسكرة؛ من بني جعفر ابن أبي رمان، وبعض الفئات من صنهاجة، وبعض الموظفين في بلاطه، وكثير من زعماء زناتة. هذا وقد تدعم ـ في بداية عهده ـ سلطان الدولة الحمادية؛ التي استفادت من تدهور الأوضاع في دولة بني باديس بالمهدية، وانشغال زناتة في كفاح المرابطين. ولكن لم تدم الأحوال كما كانت؛ إذ ساعدت بذور الفرقة بين بني زيري؛ في إفريقية والمغرب الأوسط على تعزيز نفوذ قبائل بني هلال؛ التي ترصدت الفرص ـ واحدة بعد الأخرى ـ لكي تضعف سلطان الدولة ونفوذها؛ وتوسع سلطان القبائل الهلالية وتنشره عبر البلاد كافة بالتدريج؛ شيئا فشيئا؛ حتى أصبحت جل المناطق السهبية، والسهلية خاضعة لنفوذهم. بل أجبروا الناصر بن علناس نفسه على إخلاء قلعته، والهجرة إلى شاطئ البحر؛

"

حيث شيد مدينة الناصرية (بجاية) واتخذها عاصمة لملكه. وفي هذا يقول ابن خلدون: **((وفي سنة ستين** [وأربعمائة] **افتتح جبل بجاية، وكان له قبيل من البربر يسمون بها الاسم... وهذا القبيل من صنهاجة... فلما افتتح هذا الجبل اختط به المدينة، وسماها الناصرية؛ وتسمى عند الناس باسم القبيلة؛ وهي بجاية. وبنى بها قصر اللؤلؤة؛ وكان من أعجب قصور الدنيا، ونقل إليها الناس، وأسقط الخراج عن ساكنيها، وانتقل إليها سنة إحدى وستين. وفي أيام الناصر هذا كان استفحال ملكهم، وشغوفه على ملك بني باديس إخوانهم بالمهدية... فبنى المباني العجيبة المؤنقة، وشيد المدائن العظيمة)).**[1]

ـ ثم المنتصر تميم بن بلقين بن باديس بن حبوس (توفي بمراكش سنة 488 هـ)؛ ولاه جده باديس على مالقة؛ تحت وصاية شيخ من صنهاجة؛ نظرا لصغره؛ فكان جريئا، وشهما؛ ولكنه قاسيا وعنيفا. ولما استولى يوسف بن تاشفين على غرناطة؛ اتبعها بمالقة، وألقى القبض على تميم ، ثم أرسله إلى السوس؛

[1] العبر، مج: 6، ص: 357.

"

ولكنه عفى عنه فيما بعد، فاستقر بمراكش حتى مات.

ـ ثم **عبد الحق بن عبد العزيز بن خراسان الصنهاجي** (ت: سنة 488هـ/1095م)؛ وهو مؤسس إمارة بني خراسان بتونس.

ـ ثم **المنصور بن الناصر بن علناس بن حماد التلكاتي الصنهاجي** (ت: سنة 498هـ/1104م)؛ أمه هي بلارة بنت تميم بن العز؛ وهي التي بنى لها زوجها الناصر قصري بلارة: أحدهما بالقلعة، والآخر ببجاية. وورث المنصور عن والده الدهاء، والشجاعة، والحزم. وهو أقل قسوة، ووحشية من أسلافه؛ وإن كان قد قتل زوجته ظلما؛ بسبب خلاف حدث بينه وبين والدها؛ ماخوخ زعيم بني وامانوا. وسار المنصور على نهج والده في جل الميادين: السياسية، والعسكرية، والحضارية؛ فكان نسخة منه. وعليه فقد قضى جل وقته في مطاردة القبائل الزناتية، وصد أطماع المرابطين، ومواجهة عيث، وفساد قبائل بني هلال، وتأديب الخارجين عن سلطانه من أهل بيته، وعمومته. وكان ولوعا بالبناء، والعمران، وأسباب الحضارة. وقال ابن خلدون فيه: ((**فاتخذ بجاية**

"

هـذه معقـلا، وصيرهـا دارا لملكـه، وجـدد قصورهـا، وشيـد جامعهـا. وكـان المنصـور هـذا جماعـا، مولعـا بالبنـاء؛ وهـو الـذي حضـر ملـك بـني حمـاد، وتأنـق في اختطـاط المبـاني، وتشييـد المصانـع، واتخـاذ القصـور، وإجـراء الميـاه في الريـاض، والبساتيـن؛ فبـنى في القلعـة قصـر الملـك، والمنـار، والكوكـب، وقصـر السلـم؛ وفي بجايـة قصـر اللؤلـؤة، وقصـر أميمـون)).[1]

ـ ثـم **أبـو معبـد باديـس بـن المنصـور بـن الناصـر بـن علنـاس التلكـاتي الصنهـاجي** (ت: سنـة 500هـ/1106م)؛ كـان قاسيـا شديـد الوحشيـة. افتتـح عهـده بقتـل وزيـر أبيـه عبـد الكريـم بـن سليمـان؛ ثـم قتـل عامـل أبيـه عـلى بجايـة؛ الـتي لـم ينتقـل إليهـا بعـد؛ ثـم أسـاء إلى أخيـه العزيـز؛ والي الجزائـر؛ فعزلـه، ونفـاه إلى جيجـل. كمـا ألـقى أحـد الصالحيـن إلى أسـد؛ فلـم يفترسـه الأسـد. وبذلـك تصبـح وحشيـة الأسـد أقـل حـدة مـن وحشيـة باديـس بـن المنصـور. ويقـال أن موتـه حـدث بواسطـة السـم؛ الـذي دستـه أمـه في طعامـه؛ بعـد أن توعدهـا بالقتـل.

---

[1] العبـر، مج: 6، ص: 358.

"

ـ ثم **عبد العزيز بن عبد الحق بن عبد العزيز بن خراسان الصنهاجي** (ت: سنة 500هـ/1106م)؛ وهو ثاني الأمراء من بني خراسان بتونس؛ وقد اتصف بالضعف.

ـ ثم **أبو يعقوب يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن ترقوت اللمتوني الصنهاجي** (توفي بمراكش سنة 500هـ/1106م)؛ وهو ممهد الدولة المرابطية، وباسط سلطانها في بلاد المغرب والأندلس. شارك ابن عمه أبا بكر بن عمر في فتوحاته، وانتصاراته ببلاد المغرب؛ ولما قرر العودة إلى الصحراء استخلفه على البلاد المفتوحة؛ فنهض بهمة، وحزم عظيمين؛ فأضاف جزءا كبيرا من البلاد إلى ملكه؛ فاستفحل أمره، وعظم شأنه؛ فلما عاد ابن عمه أبو بكر وجه قد استبد بالملك؛ فتركه وعاد إلى الصحراء؛ متجنبا الفتنة، زاهدا في مغريات الدنيا. وهكذا أضحى ابن تاشفين هو الآمر الناهي؛ فتحول إلى ملك عظيم؛ نشر سلطانه على بلاد المغرب والأندلس. ويتحلى ابن تاشفين بالتدين، والخلال الحميدة، والتفاني في الجهاد، والغيرة على المسلمين.

"

ـ ثـم **سيـر بـن أبي بكـر اللمتـوني الصنهـاجي** (تـوفي قـرب إشبيليـة سنـة 507هـ/1113م)؛ وهـو ابـن عـم يوسـف بـن تاشفيـن؛ وكـان مـن الذيـن يكلفهـم بالمهـام الكبـرى. ويعـد مـن بيـن القـادة الكبـار للدولـة المرابطيـة.؛ فهـو الـذي فتـح إشبيليـة، وقـام بنـفي المعتمـد ابـن عبـاد. وبهدهـا أسنـدت ولايتهـا إليـه. كمـا فتـح قرمونـة، ولبلـة. ومـات فجـأة؛ أثنـاء تشييعـه لزوجتـه حـواء بنـت تاشفيـن، خـلال زفـاف ابنتـه فاطمـة.

ـ ثـم **مَـزْدَلِي بـن بُوبْلِنْكَـانْ بـن حمـني** أو (حسـن) **بـن محمـد بـن ترْقـوت اللمتـوني الصنهـاجي** (تـوفي في حصـن مسطاسـة سنـة 508هـ)؛ وهـو مـن أعيـان المرابطيـن، وابـن عـم يوسـف بـن تاشفيـن، وعضـده الأيمـن؛ إذ تـولى مهـام كبـرى في الدولـة؛ وهـو الـذي أعـاد فتـح بلنسيـة، وأخـرج النصـارى منهـا عـام 494هـ/1100م. وولي عـلى تلمسـان، وقرطبـة، وغرناطـة، والمريـة.

ـ ثـم **أبـو طاهـر يحـيى بـن تميـم بـن العـز بـن باديـس التلكـاتي الصنهـاجي** (تـوفي بالمهديـة سنـة 509هـ/1115م)؛ وهـو مـن سلاطيـن الدولـة الزيريـة بإفريقيـة. تمكـن مـن بنـاء أسطـول غـزا بـه جنـوة، وسردانيـة؛ حيـث فـرض عـلى أهلهـا

"

الجزيــة. وكــان شجاعــا، حازمــا؛ ولــه اشتغــال بالشعــر، والأدب؛ ولكنــه تــرك ذلــك بعــد اعتــلاء ســدة الحكــم. حــدث خــلاف بينــه وبيــن بعــض إخوتــه؛ فنفاهــم؛ فغــدر بــه بعضهــم؛ فطعنــوه طعنــات؛ أودت بحياتــه؛ بعــد حيــن.

ـــ ثــم **أبــو بكــر بــن إبراهيــم المســوفي الصنهــاجي** المعــروف بابــن تيفلويــت (تــوفي بسرقسطــة سنــة 510هـــ/1116م)؛ وهــو صهــر عــلي بــن يوســف. كــان واليــا للمرابطيــن عــلى غرناطــة، ثــم سرقسطــة؛ كــان مــن أهــل الفضــل، والجــود، والحيــاء، والشجاعــة. ومــدح مــن طــرف الفيلســوف ابــن باجــة، ومــن الشاعــر ابــن خفاجــة.

ـــ ثــم **العزيــز بــن المنصــور بــن الناصــر بــن علنــاس التلكــاتي الصنهــاجي** (ت: سنــة 515هـــ/1121م)؛ افتتــح عهــده؛ بعقــد صلــح مــع زناتــة؛ وأصهــر إلى أحــد زعمائهــم؛ فتــزوج بنــت ماخــوخ. وكانــت أيامــه في غالــب أوقاتهــا آمنــة، هادئــة؛ باستثنــاء بعــض العمليــات القليلــة؛ الــتي اضطرتــه إليهــا الظــروف؛ مثــل: حصــاره لجزيــرة جربــة ثــم احتلالهــا، وإخضــاع تونــس؛ ومناوشــة الأعــراب، ومكافحــة عيثهــم، وفسادهــم في القلعــة ونواحيهــا ومنطقــة الــزاب. ومــع هــذا فقــد كــان يعقــد مجالــس للعلمــاء، والأدبــاء؛ بالإضافــة إلى

"

ولوعه بالبناء. وفي عهده مر ابن تومرت ببجاية؛ عائدا من المشرق عام 512هـ؛ فاجتهد فيها لتغيير المنكر؛ فرفعت به الشكاوى إلى السلطان عبد العزيز؛ فأمر بإحضاره؛ فهرب إلى بني ورياكل؛ القاطنين في وادي بجاية.

ـ ثم **علي بن يحيى بن تميم بن المعز التلكاتي الصنهاجي** (ت: سنة 515هـ/1121م)؛ وهو أحد سلاطين بني زيري بإفريقية؛ كان حازما، وشجاعا؛ قضى فترة حكمه في إخماد الفتن التي يشعلها الأعراب من بني هلال، وسليم. وحاول في آخر أيامه غزو صقلية؛ لكبح عدوان روجر الثاني المتكرر؛ ولكن عاجله القدر؛ فتوفي قبل تحقيق غرضه.

ـ ثم **أبو طاهر تميم بن يوسف بن تاشفين اللمتوني الصنهاجي** (ت: سنة 520هـ/1126م)؛ كلف بمهام عديدة؛ عسكرية، وسياسية في المغرب، والأندلس. ويبدو أنه لم يحالفه التوفيق في كثير منها.

"

ـ ثم **أبو بكر بن علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني الصنهاجي** المعروف باسم بكور (كان حيا سنة 522هـ/1128م)؛ أسندت إليه ولاية من إشبيلية سنة 518هـ/1124م إلى سنة 522هـ/1106م. وهو أكبر أبناء السلطان علي بن يوسف.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني الصنهاجي** (ت: سنة 537هـ/1142م)؛ خلف والده يوسف في ملك المغرب، والأندلس؛ فسار على نهجه، واقتفى أثره في مواصلة الجهاد، ونصرة الحق، وإنصاف المظلومين، وكبح الظالمين، والانتصار للدين، والورع، ومخافة الله. وفي عهد ظهرت بوادر الدعوة الموحدية؛ وذلك في سنة 514هـ. وعندما شعر بدنو أجله أوصى بأن يدفن بين عامة المسلمين؛ فكان له ذلك.

ـ ثم **أبو المعز تاشفين بن علي بن يوسف ابن تاشفين اللمتوني الصنهاجي** (توفي في وهران سنة 539هـ/1144م)؛ اشتهر بالشجاعة، والشهامة؛ وكانت له في حياة أبيه ملاحم ضد النصارى بالأندلس؛ إذ فتح مدنا عديدة بها؛ منها: طليطلة، وكركي، وأشكونية، وغيرها. ولما

"

انتصب على سدة الحكم بمراكش؛ مرت أيام حكمه كلها في حروب، وفتن ضد الموحدين؛ الذين استفحل أمرهم بالمغرب الأقصى. وكانت نهايته في معركة بينه وبين عبد المؤمن بن علي أمام وهران؛ حيث سقط به جواده في هوة؛ مات إثرها.

ـ ثم **أبو إسحاق إبراهيم بن تاشفين بن علي بن يوسف اللمتوني الصنهاجي** (قتل بمراكش سنة 540هـ/1145م)؛ بايعه المرابطون بعد مقتل أبيه بوهران؛ ولكنهم عدلوا عنه بعد أيام؛ وبايعوا عمه إسحاق.

ـ ثم **إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين** (ت: سنة 541 هـ/1146م)؛ وهو آخر سلاطين الدولة المرابطية؛ وبقتله انتهى أمرها. بويع في مراكش بالملك بعد تنحية ابن أخيه إبراهيم؛ فزحف إليه عبد المؤمن بن علي؛ الذي قتله؛ بعد أن تغلب عليه.

ـ ثم **أبو زكرياء يحيى بن علي بن غانية المسوفي الصنهاجي** (توفي بغرناطة سنة 543هـ/1148م)؛ وهو من الأبطال المعدودين؛ حمل لواء الجهاد بالأندلس؛ فكان من أكفأ الأمراء المسلمين بتلك الديار؛ وكان شهما، داهية،

"

حازما، خبيرا بفنون الحرب. بدأ حياته السياسية، والعسكرية في ظل أمير قرطبة اللمتوني محمد بن الحاج (زوج أمه، وكفيله بعد أبيه)؛ الذي ولاه مدينة أستجة في البداية؛. واشتهر يحيى تبعا لما أظهره من بسالة، وإقدام، وحنكة عسكرية؛ خاصة عندما هزم ابن رُذْمير (ألفونسو المحارب ملك أرغون). ويقال أنه تزوج امرأة من صنهاجية جميلة، وفاضلة؛ ولكنه طلقها؛ فلما سألوه عن سبب طلاقه لها؛ قال: **((والله ما فارقتها عن خلة تُذَم؛ ولكن خفت أن أشْتَغَلَ بها عن الجهاد))**. وفي أواخر حياته واجهته ضغوط كثيرة؛ نتيجة لخيانة بعض المسلمين؛ مثل ابن حمدين؛ الذي تحالف مع النصارى، وأدخلهم على ابن غانية بقرطبة؛ فعاثوا بالمدينة فسادا، ونهبوا المسجد، ودنسوه.

ـ ثم **أبو بكر بن إسماعيل بن عبد الحق ابن عبد العزيز بن خراسان الصنهاجي** (ت: سنة 544هـ/1149م)؛ وهو رابع أمراء بني خراسان بتونس؛ ولما استولى بنو حماد على تونس؛ نزل أبو بكر هذا بمدينة بنزرت؛ حتى ثار سكان تونس على معد بن منصور الحمادي؛ فاستدعوه للإمرة عليهم؛ وبعد مدة

"

غـــدر بـــه ابـــن أخيـــه؛ فقتلـــه، ورمى بـــه في البحـــر؛ مدعيـــا بأنـــه غـــرق.

– ثـــم **محمـــد بـــن عـــلي بـــن يوســـف بـــن غانيـــة المســـوفي الصنهـــاجي** (ت: سنـــة 546هـــ/1151م)؛ وهـــو مؤســـس إمـــارة بـــني غانيـــة بميورقـــة؛ انتقـــل إليهـــا بعـــد مـــوت أخيـــه يحـــيى، وانقـــراض دولـــة المرابطيـــن؛ فأنشـــأ إمارتـــه في تلـــك الجـــزر؛ معلنـــا بالدعـــوة لبـــني العبـــاس، وبـــقي عـــلى ذلـــك الحـــال حـــتى مـــات.

– ثـــم **يحـــيى بـــن العزيـــز بـــن المنصـــور بـــن الناصـــر بـــن علنـــاس التلكـــاتي الصنهـــاجي** (ت: سنـــة 547هـــ/1152م)؛ كـــان ضعيـــف الشخصيـــة، مولعـــا بمجالســـة النســـاء، وبالصيـــد؛ ولـــم يخلـــف أثـــرا يستحـــق أن يذكـــر. وفي هـــذا يقـــول ابـــن الخطيـــب: **((وكـــان مولعـــا بالصيـــد، مغرمـــا بـــه، كلفـــا بالملهيـــن؛ يحضـــر منهـــم عنـــده نحـــو العشريـــن؛ بيـــن رجـــل وامـــرأة؛ مـــن شيـــوخ، وعجائـــز، وحمـــقى؛ فكـــان يستلـــقي في بيتـــه عـــلى الفـــرش الوثيـــرة الحشايـــا، ويستـــدعي المضحكيـــن، وجـــوارح الصيـــد؛ فيختبـــر هـــذا البـــازي، ويتفقـــد هـــذا الكلـــب، ويستنهـــض هـــذا المضحـــك في النـــوع الـــذي سلكـــه؛ فيلهيـــه، ويضحكـــه. ويجلـــس أبـــدا بيـــن أخواتـــه: تقســـوط، وأم مـــلال، وشبلـــة؛ في زي**

"

العرائس؛ من الحلي، والملابس. فلا يزال كذلك إلى أن ينام. ثم يغتدي إلى الصيد)).[1]

وانتهى أمره إلى تسليم أمره للموحدين؛ وإنهاء عمر الدولة الحمادية؛ وذلك سنة 547هـ؛ بمبايعته لعبد المؤمن بن علي.

ـ **ثم أبو محمد عبد الله بن فاطمة الصنهاجي**(كان حيا سنة 549هـ/1154م)؛ كان من القادة المحنكين في الجيش اللمتوني. شارك في استنقاذ بلنسية من أيدي النصارى. ثم أسندت إليه ولايتها سنة 503هـ/1109م؛ وبعدها كلف بولاية فاس ؛ ثم نقل إلى ولاية إشبيلية من سنة 509هـ/1115م إلى سنة 511هـ/1115م.

ـ **ثم علي بن أحمد بن عبد العزيز بن عبد الحق بن خراسان الصنهاجي** (ت: سنة 555هـ/1160م)؛ وهو آخر أمراء بني خراسان بتونس. اقتحم عليه عبد المؤمن بن علي حاضرة ملكه، ونقله إلى مراكش؛ فتوفي في طريقه إليها.

ـ **ثم الحسن بن علي بن يحيى بن تميم ابن المعز بن باديس التلكاتي الصنهاجي** (ت: سنة 563هـ/1167م)؛ هو آخر العقد من سلاطين

---

[1] أعمال الأعلام، ق: 3 ، ص ص: 99 ـ 100.

"

الدولــة الزيريــة بإفريقيــة؛ تربــع عــلى العــرش وهــو طفــل لا يتجــاوز عمــره الإثــني عشــر ســنة؛ فحكــم في ظــل الأوصيــاء؛ فاختــل شــأن الدولــة، وتعرضــت لغــزو النصــارى بقيــادة روجــار Roger II ملــك صقليــة؛ الــذي استــولى على المهديــة حاضــرة الدولــة الزيريــة؛ فاستنجــد الحســن بعبــد المؤمــن بــن عــلي؛ فزحــف إلى المهديــة بجيــش الموحديــن فافتتحهــا، وأخــرج منهــا النصــارى، وبــقي الحســن في رعــايــة عبــد المؤمــن، وابنــه يوســف حــتى تــوفي وهــو في طريقــه إلى مراكــش.

ــ ثــم **عــلي بــن إسحــاق بــن محمــد بــن غانيــة المســوفي الصنهــاجي** (ت: ســنــة 585هـــ/1189م)؛ كــان أميــرا عــلى مايورقــة بالأندلــس؛ فانتهــز فرصــة غفــل فيهــا الموحــدون؛ فجهــز أسطولــه، وغــزا بــه مدينــة بجايــة. وكانــت محاولتــه هــذه شــرارة أشعلــت ــ مــن جديــد ــ نــار الثــورة، والفتــن المتتاليــة ببــلاد المغــرب الأوســط، وإفريقيــة. وكانــت نهايتــه القتــل بواسطــة سهــم في موقعــة تــوزر.

ــ ثــم **داود بــن عائشــة الصنهــاجي** (ربمــا كــان حيــا سنــة 585هـــ/1189م)؛ وهــو مــن القــادة العسكرييــن الأفــذاذ. كــان يتحــلى بالشجاعــة، والعزيمــة الفولاذيــة. فهــو الــذي أسقــط ملــك بــني

"

صمادح بالمرية؛ ثم استولى على مرسية، فدانية، فشاطبة؛ فبلنسية، فشنتمرية، فشقورة.

ـ ثم **إبراهيم بن إسماعيل بن علان اللمتوني الصنهاجي** (ت: سنه 627هـ/1229م)؛ شيخ اللمتونيين في حامية تلمسان؛ حاول الاستيلاء عليها ـ أيام المأمون الموحدي ـ بعد نزوة من نزوات العصبية؛ فتصدى له بنو عبد الواد، وقتلوه؛ فكان سببا غير مباشر؛ لتدرج بني عبد الواد نحو ملك تلمسان.

ـ ثم أبو علي عمر بن يحيى بن مُحَلىَّ البطوي الصنهاجي (توفي مقتولا سنة 785هـ/1383م)؛ تجمعه مع أبي يوسف سلطان بني مرين قرابة خؤولة؛ أهلته لكي يتولى ـ من طرفة ـ أعمال مالقة؛ التي خرجت من أيدي بني اشقيلولة؛ في جوازه الثاني للأندلس. ولكنة خان الأمانة؛ بتخليه عنها لأبن الأحمر؛ مقابل بعض المغريات؛ دون الرجوع إلى صاحب العهدة؛ سلطان بني مرين. ومع هذا لم تدم علاقته الحميمة مع ابن الأحمر؛ إذ فسد الجو بينهما؛ فنشبت فتن متتالية بينهما؛ حتى عاد سلطان بني مرين مرة أخرى إلى الأندلس؛ فقبض عليه، وأرجعه إلى المغرب؛ أين أطلق سراحه بعد مدة. ولما مات أبو يوسف عاد عمر

"

هذا إلى الأندلس؛ طلبا للمغامرة؛ ولكنه ـ هذه المرة ـ انقاد إلى مصيره المحتوم؛ إذ قتل في النهاية بأيدي أبناء أبي العلاء المريني اللاجئين ببلاد الأندلس؛ ثأرا منه في دم عمهم؛ مقتول أبيه.

ـ ثم **طلحة بن يحيى بن مُحَليّ البطوي الصنهاجي** (توفي مقتولا سنة 786هـ**/**1384م)؛ وهو مثل أخيه عمر؛ يستند إلى القرابة التي تربطه بالسلطان يعقوب بن عبد الحق. ويعد طلحة هذا من بين الأبطال المشهورين؛ إذ استعانت الدولة المرينية بخبرتهم في بداية تكوينها؛ إلا أنه شارك أخيه في خيانته للدولة فيما بعد؛ سواء في الأندلس؛ حيث قاسم أخاه عمر الفوائد التي اتفق عليها مع ابن الأحمر؛ أو في ديار المغرب؛ حيث ثار على السلطان، وأعلن العصيان. هذا وقد انتهى به الأمر إلى القتل في إحدى المعارك.

ـ ثم **محمد بن علي بن مُحَليّ البطوي الصنهاجي** (ت: سنة 787هـ**/**1385م)؛ ولاه السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق على أعمال مراكش كافة سنة 768هـ**/**1366م؛ بعد افتكاكها من أيدي الموحدين. وكانت ولايته محمودة، إذ

"

سار في الأمر سيرا حسنا؛ وبقي فيها إلى عام 787هـ/1385م؛ السنة التي هلك فيها بمحبسه.

***

ـ ***مواطنهم:*** يقول ابن خلدون عن شعب صنهاجة: **((وهو أكثر أهل الغرب لهذا العهد، وما قبله؛ لا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم؛ في جبل أو بسيط)).**[1] وينقسم الصنهاجيون؛ حسب مواطنهم، ونظام حياتهم؛ إلى فئتين عظيمتين: صنهاجة الشمال **(سكان التلول، والجبال)**؛ ومن أهم قبائلهم **تلكاتة**؛ ويسكنون بيوت الطين والحجر. وصنهاجة الجنوب (سكان الصحراء)؛ وأعظم قبائلهم هي: **لمتونة، ومسوفة، وكدالة.** وتمتد مواطنهم **جنوب المفازة الصحراوية الكبرى**؛ وحتى بلاد السودان. وهم من أهل الوبر.

فأما قبائل صنهاجة الشمال فهم على طبقتين: إحداهما تمثلها قبيلة **تلكاتة؛** من أهل المدر. والأخرى تتكون من القبائل الصنهاجية التي اختارت العيش في الأرياف، والجبال؛ حيث انتشرت جماعاتهم في شمال المغرب؛ بعد سقوط

---

[1] **العبر، مج: 6 ، ص: 309.**

"

دول صنهاجة؛ وظلت على حالها حتى عصر ابن خلدون. وهذه الطبقة لم تتوصل إلى إقامة إمارات، وممالك؛ على الرغم من ضخامة هياكلها، وتعدد قبائلها. ومواطن هذه الطبقة محاورة لمواطن قبائل مصمودة؛ حيث تتواجد فئات منهم **بجبل درن**، ثم إلى الشرق منه؛ في المحيط الذي تربض فيه: **تازي، وتادلا، ومعدن بني فازان، وآكرسلوين، ودرعة**، وضواحي السوس الأعلى ومدنه مثل: **تارودانت، وإفري، وفونان**..إلخ.[1] أما **تلكاتة** فهم مدريون. وقد تمكنوا من تأسيس دول هامة في إفريقية، والمغرب الأوسط، والأندلس. وتتواجد أوطانهم الأولى **بالمغرب الأوسط**؛ من **المسيلة، إلى الجزائر، ثم لمدية، ومليانة**. وأوطانهم هذه هي التي تغلبت عليها ـــ فيما بعد ـــ قبائل الثعالبة، وزغبة، كـ: بني يزيد، وحصين، العطاف.[2] أما صنهاجة الجنوب فتمكنوا ـــ بدورهم ـــ من تشييد دولة عظمى؛ وهي دولة المرابطين. وثمة نص لابن خلدون يصفهم، ويصف أوطانهم بقوله: **((وهذه الطبقة من صنهاجة هم الملثمون الموطنون بالقفر؛ وراء الرمال الصحراوية**

---

[1] **العبر، مج: 6، ص ص: 425 ـــ 427.**

[2] **نفسه، ص ص: 309 ـــ 316.**

"

الجنوبيـــة؛ أبعـــدوا في المجـــالات هنالـــك؛ منـــذ دهـــور قبـــل الفتـــح؛ لا يعـــرف أولها؛ فأصحـــروا عـــن الأريـــاف، ووجـــدوا بها المـــراد، وهجـــروا التلـــول، وجفوهـــا؛ واعتاضـــوا منهـــا بألبـــان الأنعـــام، ولحومهـــا؛ انتبـــاذا عـــن العمـــران، واستئناســـا بالإنفـــراد، وتوحشـــا بالعـــز عـــن الغلبـــة، والقهـــر. فنزلـــوا مـــن ريـــف الحبشـــة جـــوارا، وصـــاروا مـــا بيـــن بـــلاد البربـــر، وبـــلاد الســـودان حجـــزا، واتخـــذوا اللثـــام خطامـــا؛ تميـــزوا بشعـــاره بيـــن الأمـــم؛ وعفـــوا في تلـــك البـــلاد، وكثـــروا؛ وتعـــددت قبائلهـــم مـــن: كدالـــة، فلمتونـــة، فمسوفـــة، فوتريكـــة، فتاركـــا، فزغـــاوة، ثـــم لمطـــة اخـــوة صنهاجـــة؛ كلهـــم مـــا بيـــن البحـــر المحيـــط بالمغـــرب، إلى غدامـــس؛ مـــن قبلـــة طرابلـــس، وبرقـــة)).[1]

É É É

[1] العبــر، مج: 6، ص ص: 370 ـــ 373.

"

5 ــ عَجيســـــة:

لـــم تسعفنـــا المصـــادر التاريخيـــة بمعلومـــات كافيـــة؛ تخـــص بطـــون **عَجيســـة**، وتسلســـل أنسابها؛ كمـــا جـــرت العـــادة مـــع غيرهـــا مـــن القبائـــل. وكـــل مـــا وصلنـــا عنهـــم؛ هـــو عبـــارة عـــن لمحـــات عامـــة؛ ســـردها ابـــن خلـــدون؛ في جمـــل خاطفـــة؛ تبعـــث عـــلى الحيـــرة، والاستفســـار. مـــن ذلـــك قولـــه: ((**وأمـــا عَجيســـة: وهـــم بطـــون البرانـــس مـــن ولـــد عَجيســـة مـــن برنـــس؛ ومدلـــول هـــذا الاســـم البطـــن؛ فـــإن البربـــر يسمـــون البطـــن بلغتهـــم عـــدّس؛ بالـــدال المشـــددة؛ فلمـــا عربتهـــا قلبـــت دالهـــا جيمـــا مخففـــة؛ وكـــان لهـــم بيـــن البربـــر كثـــرة، وظهـــور**)).[1] ويبـــدو أن كثرتهـــم انتهـــت إلى التقلـــص والانكمـــاش؛ في عهـــد الدولـــة الزيريـــة؛ الـــتي سلطـــت عليهـــم آلـــة الانتقـــام الجهنميـــة؛ نتيجـــة للضعـــف، والهـــوان الذيـــن أضحيـــا يخيمـــان عليهـــم؛ بعـــد القضـــاء عـــلى ثـــورة أبي يزيـــد؛ الـــتي تورطـــوا فيهـــا؛ حيـــن أجـــاروه ضـــد الدولـــة الفاطميـــة.

---

[1] العبـــر، مج: 6، ص ص: 295 ـــــ 296.

ولما اختار حماد بن بلكين أرضهم لبناء قلعته العتيدة؛ نشبت مناوشات عديدة بينهم وبين الدولة؛ فانتهى بهم الحال إلى القتل، والتشرد في الأقطار. ثم أضافت عشائر عياض الهلالية ما كانت قد تعففت عنه الدولة الحمادية. وهكذا هلكت أحياء **عَجيسة**، وتفرقت عبر بلاد المغرب، وإفريقية. وبمرور الزمن؛ ذاب أبناء عَجيسة ضمن قبائل أخرى مجاورة لمواطنهم الأصلية؛ مثل: كتامة، وصنهاجة، وزواوة. وقد بقيت منهم بعض الفئات التي احتفضت باسم القبيلة الأول؛ من بينها: قبيلة عَجيسة المتواجدة على بعد 26 كلم إلى الجنوب الغربي من مدينة بجاية الجزائرية. ثم قبيلة أخرى باسم عَجيسة؛ متواجدة في الحضنة الشرقية؛ ضمن دوار الجزار؛ بجوار مدينة بريكة الجزائرية. كما توجد قرية باسم عَجيسة ـــ أيضا ـــ ضمن أرض بني تليلان؛ بين مدينتي: قسنطينة، والقل. وقد اندمجت بعض البطون من عَجيسة ضمن قبيلة الأعراش (دوار رأس تالا تينزار ـــ الكركور)، ثم قبيلة الساحل القبلي(دوار ذرا قبيلة ـــ الكركور) بالمغرب الأوسط.[1]

---

[1] **قبائل المغرب، ج: 1 ، ص: 336. دور كتامة، ص ص: 70 ـــ 71.**

"

ويبدو أن بعض الفئات منهم اختارت الهجرة إلى بلاد الأندلس.

! ! !

ـ *أعيانهم*: نبغ من **عَجيسة** رجال علم وفقه ذاع صيتهم؛ في المغرب، والمشرق؛ من بينهم أسرة بني مرزوق الشهيرة؛ منهم:

ـ **أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد ابن محمد بن محمد بن محمد بن مرزوق التلمساني العَجيسي** الشهير بالخطيب (توفي سنة 781هـ/1379م)؛ وهو من أعلام الفقه المالكي؛ وله عناية بالأدب، وعلوم الدين، وفنون أخرى. وصل عدد مؤلفاته حوالي 17 كتابا؛ في الفقه، والفتوى، والتوحيد، والتفسير، والحديث الشريف، والتاريخ، والتراجم، والخطابة، والأدب، والشعر، والتنجيم، وغير ذلك من الفنون. ولاه السلطان أبو الحسن المريني الخطابة بمسجد العباد بتلمسان؛ ثم نقله قربه بالمغرب؛ حيث ولاه الخطابة؛ كما كلفه ببعض السفارات. أما السلطان أبو عنان فقد حاول في البدء تقريبه إليه؛ وبعثه في سفارة إلى تونس؛ ولكنه اتهمه ـ فيما بعد ـ بالتآمر؛ فسجنه، ثم أطلق سراحه. وبعد مدة رحل إلى تونس؛ ثم إلى

"

القاهرة؛ التي استقر بها حتى وافته المنية. له مؤلفات كثيرة في مختلف العلوم والفنون؛ كـ: الفقه والتوحيد والفتاوى والتفسير والحديث والمنطق والعروض والقوافي والشعر، وغيره من الفنون المختلفة. منها: كتاب عجلة المستوفز المستجاز في ذكر من سمع من الشيوخ دون من أجاز من أئمة المغرب والشام والحجاز، وكتاب تيسير المرام في شرح عمدة الأحكام؛ وهو في خمسة أجزاء، وكتاب شرح الأحكام الصغرى؛ وهو شرح لكتاب عبد الحق الإشبيلي، وشرح كتاب الشفاء للقاضي عياض؛ لم يكتمل، وإزالة الحاجب عن فروع ابن الحاجب، وتحفة الطرف إلى الملك الأشرف، والمسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، وكتاب الإمامة، وكتاب إيضاح الرشد فيما تشتمل عليه الخلافة من الحكم والفوائد، وشرح صحيح البخاري، والإمامة، وشرح البردة، وديوان خطب وقصائد، وكتاب في التنجيم، وكتاب جني الجنتين في فضل الليلتين؛ وهما ليلتي: القدر، والمولد، وكتاب الأربعين المسندة في الخلافة والخلفاء، وكتاب جمع فيه ما قيل في الصبر. وقد أورد له ابن الخطيب، ومن بعده المقري؛ بعض المقطوعات

"

الشعرية القليلة؛ منها هذه القصيدة الطويلة؛ التي سنثبتها هنا كاملة؛ لأنها تكاد تكون الوحيدة؛ مما وصل إلينا من شعر ابن مرزوق الخطيب؛ باستثناء أبيات قليلة؛ استشهد بها ابن الخطيب — أيضا — في بعض المواضع، وفي مناسبات مختلفة. أما القصيدة الكاملة فنظمها عن الحج، وزيارة الديار المقدسة؛ وقرِئَتْ بمناسبة ليلة المولد عام 763هـ/1361م.

[أيا نسيم][1] السحر	بالله[2] بلغ خبر
إن أنت يوماً بالحمى	جررت فضل المئزر
ثم حثثت الخطو من	فوق الكثيب الأعفر
مستقرياً في عشبه	خفيَّ[3] وطء المطر
تروي عن الضحاك في الر	وضِ حديث الزهر
مخلق الأذيال بالـ	ـعبير أو بالعنبر
وصف لجيران الحمى	وجدي بهم وسهري
وحقهم ما غيرت	ودي صروف الغير
لله عهد فيه قَضَّـ	ـيْت حميد الأثر

[1] في النفح: ((قل لنسيم)).
[2] نفسه: ((لله)).
[3] نفسه: ((مخفيَّ وطء)).

أيامـــه هـــي الـــتي   أحسبهـا من عمــري

وباليـــل فيـــه مـا   عيـب بغيـر القصـر

العمـر فينـان ووجـ   ـه الدهر طلق الغـرر

والشمـل بالأحبـاب منـ   ـظـوم كنظم الـدرر

صفـو من العيـش بـلا   شائبـة مـن كـدر

ما بيـن أهل تقطـف الـ   ـأنـس جـني الثمـر

وبيـن آمـال تبيـ   ـح القرب صافي الغدر[1]

يا شجـرات الـحي حيَّـ   ـاك الحيـا من شجـر

إذا أجـال الشـوق فـي   تلـك المغـاني فكـري

خرجت من خـدي حديـ   ـث الدمع فوق الطـرر

وقلـت يا خَـدُّ ارْوِ مِـنْ   دمعي صحاح الجوهري

عهدي بحادي الركب[2] كالـ   ـورقـاء عند السحـر

والعيـس تجـتاب الفـلا   واليَعْمَـلاتُ[3] تَنْبَـري[4]

تخبـط بالأخفـاف مظـ   ـلوم البَرَى[5] وهو بَرِي[6]

قـد عطفـت عـن مَيَـدٍ   والتفَّـت[7] عن حـور

قِسِيُّ سَيْـرٍ ما سوى الـ   ـعـزم لهـا من وتـر

حتى إذا الأعـلام حـلْـ   ـلَـت لحـفي البشـر

---

[1] مفردهـا غديـر: وهـو النهـر، أو بقيـة مـن المـاء يتركهـا السيـل.

[2] أي الـذي يتغـنى بالحـداء لتنشيـط حرطـة الإبـل في سيرهـا.

[3] مفردهـا يَعْمَلـة: وهي الناقـة النجيبـة المطبوعـة عـلى العمـل.

[4] أي تبـاري بقيـة الإبـل في السرعـة.

[5] البَـرَى هنـا: التـراب.

[6] أي بـريء؛ وقـد خففـت الهمـزة واكتـفي باليـاء.

[7] في النفـح: ((والتفتـتْ))؛ وهـو أسلـم.

"

واسبتشــر النـــازح بالـــ ـــقــرب ونيل الوطـــر
وعيـــن الميقـــات للسَّـــ ـــفْــرِ[1] نجـــاح السفـــر
والنـــاس[2] بيـــن محـــرم بالحـــــج أو معتمـــر
لبيـــــك لبيـــــك إلـــــ ـــه الخلق باري الصور
ولاحـــــت الكعبـــة بيـــ ـــت الله ذات الأثـــــر
مقـــام إبراهيـــم[3] والمـــ ـــأمـــن عنـــد الذعـــر
واغتنـــم القـــوم طـــــوا ف القـــادم المبتـــدر[4]
وأعقبـــوا ركعـــتي السّـــ ـــعي استـــلام الحجـــر[5]
وعرفـــوا فـــي عرفـــــا ت كـــل عـــرف أذفـــر[6]

---

[1] أي للمسافريـــن.

[2] في النفـــح: ((فالنـــاس)).

[3] مقـــام إبراهيـــم: هـــو الحجـــر الـــذي وقـــف عليـــه سيدنـــا إبراهيـــم عليـــه الســـلام. وضعـــه وضعـــه لـــه ابنـــه إسماعيـــل؛ ليقـــف عليـــه؛ وهـــو يرفـــع الحجـــارة عـــلى الكعبـــة؛ فأنطبـــع أثـــر قدميـــه عليـــه بشكـــل غائـــر. وبـــقي هـــذا الحجـــر ملتصقـــاً بحائـــط الكعبـــة؛ إلى عهـــد الخليفـــة عمـــر بـــن عبـــد العزيـــز؛ الـــذي فصلـــه عـــن البيـــت، وأخـــره بضعـــة أمتـــار؛ لئـــلا يشغـــل المصليـــن والطائفيـــن. ومـــا تـــزال أثـــر قـــدمي إبراهيـــم الخليـــل ظاهـــرة عـــلى الحجـــر إلى الآن. وقـــد أحيـــط بغطـــاء زجـــاجي مأطـــر بدعائـــم مذهبـــة لحمايتـــه مـــن التأثيـــرات المناخيـــه.

[4] أي المبـــادرة بسرعـــة والشـــروع في طـــواف القـــدوم.

[5] أي استـــلام الحجـــر الأســـود؛ ســـواء بالمســـح عليـــه أو بتقبيلـــه.

[6] أي: كـــل ذي رائحـــة طيبـــة.

"

ثـم أفــاض النــاس سعيــ ـــاً في غــد للمشعـــــر[1]
فـــــوقفـــوا وكبــــروا قبــل الصباح المسفـــر
وفي منى نالــوا المـــنى وأيقنـــــوا بالظفــــــر
وبعــد رمـــي الجمـــــرا ت كـــان حلق الشعـــر
أكرم بذاك الصحب[2] والــ ـــلــه وذاك النَّفَـــــر[3]
يا فــوزه مـــن موقــف يا ربحـــه مـــن متجـــر
حـــتى إذا كـــان الــــودا ع وطــواف الصـــدر[4]
فـــأي صبـــر لم يخـــن أو جلـــــد لـــم يغـــدر
وأي وجــد لـــم يصـــل وسلـــــوة لـــم تهجـــر
مـــا أفجـــع البيـــن لقلــ ـــب الوالـــه المستغفر[5]
ثـــم ثنـــوا نحـــو رســو لِ اللـــه سير الضمــر
فعاينـــوا فـــي طيبــــة[6] لألاء نـــــور نيــــــر

---

[1] هـــو المشعـــر الحـــرام؛ بيـــن عرفـــات ومـــنى؛ يســـمى مزدلفـــة. وفيـــه قـــال سبحانـــه وتعـــالى: ﴿لَيْـسَ عَلَيْكُــمْ جُنَــاحٌ أَنْ تَبْتَغُــوا فَضْــلاً مِــنْ رَبِّكُــمْ فَــإِذَا أَفَضْتُــمْ مِــنْ عَرَفَــاتٍ فَاذْكُــرُوا اللَّـــهَ عِنْــدَ الْمَشْعَــرِ الْحَــرَامِ وَاذْكُــرُوهُ كَمَــا هَدَاكُــمْ وَإِنْ كُنْتُــمْ مِــنْ قَبْلِـــهِ لَمِــنَ الضَّالِّيـــنَ﴾. ســـورة البقـــرة؛ الآيـــة: 198. وقـــد اخْتُلِـــفَ في تحديـــد مكـــان المشعـــر بالضبـــط؛ فمـــن قائـــل في جبـــل قـــزح الرابـــض في آخـــر مزدلفـــة؛ وقائـــل مـــا بيـــن الجبليـــن. ولكنهـــم أجمعـــوا عـــلى المزدلفـــة كلهـــا. وجـــاء في الأثـــر عـــن جابـــر أن النـــبي صـــلى اللـــه عليـــه وسلـــم ((صـــلى الفجـــر بالمزدلفـــة، ركـــب ناقتـــه حـــتى أتى المشعـــر الحـــرام؛ فـــدعى وكبـــر وهلـــل؛ ولـــم يـــزل واقفـــاً حـــتى أسفـــر)).

[2] في النفـــح: ((السَّفْـــر)).

[3] نفســـه: ((السَّفْـــر)).

[4] طـــواف الصـــدر: هـــو طـــواف الـــوداع؛ (الطـــواف الأخيـــر)؛ ومنـــه يتجهـــز النـــاس للعـــودة إلى بلدانهـــم.

[5] في النفـــح: ((المُسْتَعْبِـــر)).

[6] طيبـــة: أحـــد أسمـــاء المدينـــة المنـــورة.

زاروا رسـول الله واسـ ـتشفعوا بلثـم الجـدر
نالـوا بـه مـا أملـوا وعرجـوا في الأثـر
عـلى الضجيعيـن أبـى بكـر الرضـا وعمـر
زيـارة الهـادي الشفيـ ـع جُنَّة[1] في المحشـر
فأحسـن اللـه عـزا ءَ قاصـد لـم يـزر
ربـع ترى مستنزل الـ ـآيِ بـه والسـور
وملتـقى جبريـل بالـ ـهادي الزكي العنصر
وروضـة الجنـة بـ ـيـن روضة ومنبـر[2]
منتخـب اللـه ومخـ ـتار الورى من مضر[3]
والمنتـقى والكـون مـن ملابس الخلـق عـري
إذ لـم يكـن في أفـق من زحـل أو مُشْتَـرِ[4]
ذو المعجزات[5] الغرّ أمـ ـثـال النجوم الزهـر
يشهـد بالصـدق لـه منهـا انشقـاق القمـر
والضـبّ والظـبي إلى نطق الحصى والشجـر
من أطعم الألـف بصـا ع في صحيـح الخبـر

---

[1] أي وقايـة.

[2] الروضـة الشريفـة: تقـع وسـط، وفي مقدمـة المسجـد النبـوي؛ وملاصقـة لبيـت رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلـم وموضـع قبـره. قـال فيهـا عليـه الصـلاة والسـلام: ((مـا بيـن منبـري وبيـتي روضـة مـن ريـاض الجنـة؛ ومنبـري عـلى حـوضي))؛ وفي روايـة: ((ومنبـري عـلى ترعـة مـن تـرع الجنـة)).

[3] مضـر بـن نـزار بـن معـدّ بـن عدنـان. أبـو عـرب الشمـال.

[4] في النفـح: ((ومشتـري)).

[5] سيذكـر ـ فيمـا يـلي ـ بعـض معجـزات رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلـم. ومنهـا: انشقـاق القمـر، وكـلام: الضـب والظـبي والحـصى والشجـر، وإطعـام الجيـش بصـاع، واتجـاج إيـوان كسـرى، وانطفـاء نـار المجـوس...إلـخ.

"

والجيـــش رواه بمـــا ءِ الراحـــة المنهمـــر
يا نكتـة الكـون الـتي فاتـت منـال الفِكَـر
يا حجـة اللـه على الـ ـرائـح والمبتكـر
يا أكرم الرسـل على الـ ـلـه وخيـر البشـر
يا مـن لـه التقـدم الـ ـحـق عـلى التأخـر
يـا مـن لـدى مولـده المقـدس المطهـر
إيـوان كسرى ارتـج إذ ضاقت[1] قصور قيصـر
وموقـد النـار طفـا كأنهـا لـم تسعـر[2]
يا عمـدتي يـا ملجـئي يـا مفـزعي يا وزري
يا من لـه اللـواء والـ ـحوض وورد الكوثـر
يا منقـذ الغـرقى وهـم رهن العـذاب الأكبـر
إن لـم تحقـق أمـلي بُـؤْتُ بسعي المخسـر
صلى عليـك اللـه يـا نـور الدجـا المعتكـر
يا ويـح نفـسي كم أرى من غفلـتي في غمـر[3]
واحسرو[4] من قلـتي الـ ـزّاد وبعـد السفـر
يحجـني واللـه بالـ ـبرهان وعـظ المنبـر
يا حسنهـا مـن خطـب لو حركـت من نَظَـرِ[5]
يـا حسنهـا من شجـر لو أورقـت من ثمـر

---

[1] في النفـح: ((ضـاعت)).

[2] جـاء هـذا البيـت في نفـح الطيـب هكـذا:

((وموقـد النـار طـفى كأنـه لـم يسعـر)).

[3] ورد هـذا الشطـر في النفـح هكـذا: ((في غفلـة مـن عُمُـري)).

[4] في النفـح: ((واحسـرتي))؛ وهـو أصـوب.

[5] في النفـح: ((نظـري)).

"

أومـــــل الأوبـــة والـــ	ـــأمـــر بكـــف القـــدر
أسَـــوِّفُ العـــزم بهـــــا[1]	مـــن شهـــــر لشهـــر
مـــن صفـــر لرجــــــب	مـــن رجـــب لصفـــر
ضيعت في الكبـــرة مـــا	أعددتــــه في صغـــري
وليـــس مَا مَـــرَّ من الـــ	ـــأيـــــام بالمنتظـــــر
وقـــــلّ مـــا أن حمـــدت	سلامـــة فـــي غــــرر
ولـــي غريـــم لا يـــــني	عـــن[2] طلـــب المنكســـر
يا نفـــس جدي قد بدا الـــ	ـــصبح ألا فاعتبـــري
واتعـــظي بمـــن مـــضى	وارتدعي وازدجـــري
ما بعد شيـــب الفود مـــن	مرتقــــــب فشمـــــري
أنـــت وإن طال المـــدى	في قلعـــة[3] أو سفـــــر[4]
وليـــس من عـــذر يقيـــ	ـــــم حجـــة المعتـــذر
يا ليـــت شعري والمـــنى	تســـرق طيـــب العمـــر
هل ارتـــجي من عـــودة	أو رجعــــــة أو صـــدر
فأبـــرد الغلــــــة مـــــن	ذاك الـــزلال الخَصِـــر[5]
مقتديـــاً بمـــن مـــــضى	مـــن سلـــف ومعشـــر
نالـــوا جـــوار الله وهـــ	ــــو الفخـــر للمفتخـــر
أرجـــو بإبراهيم مـــــو	لانـــا بلـــوغ الوطــــر

---

[1] في النفـــح: ((بـــه)).

[2] نفســـه: ((في)).

[3] أي في انتقـــال.

[4] في النفـــح: ((وسفـــر)).

[5] أي العـــذب البـــارد.

فوعـــده لا يمتـــــري   في الصدق منه الممتـــر[1]

فهـــو[2] الإمام المرتـــضى   والخيّـــر ابـــن الخيّـــر

أكـــرم من نـــال المـــنى[3]   بالمرهفـــات البتـــــر

ممهـــد الملـــــك وسيـــ   ـــف الحق والليث الجري

خليفـــــة اللـــه الــــذي   فـــاق بحســـن السيـــر

وكان منه الخُبْـــرُ في الـــ   ـــعليـــاء وفـــق الخبـــر

فصـــدق التصديق مـــن   مـــــرآه للتصـــــور

ومستعيـــن اللــــه فـــي   ورد لـــــه وصـــــدر

فاق الملوك الصيـــد[4] بالـــ   ـــمجـــد الرفيع الخطـــر

فأصبحـــــت ألقابهـــــم   منسيـــة لـــم تذكـــــر

وحـــاز منهم[5] أوحـــــد   وصف العديد الأكثـــر

برأيـــــه المأمـــون أو   عسكـــــره المظفـــــر[6]

بسيفـــــه السفـــــاح أو   بعزمــــه المقتـــــدر

بالعلـــــم المنصـــــور أو   بالذابـــل المستنصـــــر[7]

بابـــــن[8] الإمــــام الطـــ   ـــاهر البر الزكي السير

---

[1] في النفـــح: ((ممتـــري)). والممتـــري: هـــو الـــذي يشـــك في شيء مـــا.

[2] نفســـه: ((وهـــو)).

[3] نفســـه: ((العُـــلا)).

[4] في النفـــح: ((الصيـــدا)).

[5] نفســـه: ((منـــه)).

[6] سيشيـــر فيمـــا يـــلي بتوريـــة إلى بعـــض الخلفـــاء العباسييـــن.

[7] في النفـــح: ((المنتصـــر)).

[8] نفســـه: ((يـــا ابـــن)).

"

مدحـــك قـــد علـــم نظـــ ـــم الشعر من لم يشعر[1]
جهـــد المقل اليـــوم مـــن مثـــلي كوسع المكثـــر
فـــإن يقصـــر ظاهـــري فلم يقصر مُضْمِـــري

كمـــا أورد ابن الخطيـــب لـــه هـــذه الأبيـــات؛ حيـــن قـــال: ((**ركـــب مـــع السلطـــان** [ابـــن الأحمـــر] **خـــارج الحمـــراء؛ أيـــام ضربـــت اللـــوز قبابهـــا البيـــض، وزينـــت الفحـــص العريـــض، والـــروض الأريـــض؛ فارتجـــل في ذلـــك:**

[أنظـــر إلى النـــوار في أغصانه
يحكي النجوم إذا تبدت في الحلك[2]]
حيا أميـــر المسلميـــن وقال قـــد
عميت بصيرة من بغيـــرك مَثَّلَـــك[3]
يا يوسفاً حـــزت الجمال بأســـره
فمحاسن الأيـــام تومي هيـــت لك[4]

---

[1] **نظـــم ابـــن مـــرزوق هـــذه الأبيـــات الأخيـــرة؛ بغـــرض إلقائهـــا في المولـــد النبـــوي؛ أمـــام السلطـــان المريـــني أبي سالـــم إبراهيـــم بـــن علـــي؛ ولكـــن هـــذا الأخيـــر لـــقي مصرعـــه قبـــل المولـــد النبـــوي في سنـــة 762هـــ/1360م.**

[2] **سقـــط هـــذا البيـــت في الإسكوريـــال.**

[3] **أي عميـــت بصيـــرة مـــن زعـــم أن لـــك مثيـــلاً.**

[4] **أي: هلـــم تعـــالى. وجـــاء هـــذا القـــول في الذكـــر الحكيـــم:** ﴿ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَ ﴾**؛ سورة يوسف؛ من الآية: 23. وقد أوردنا الآية كاملـــة من قبـــل.**

"

أنت الذي صعدت به أوصافه

فيقال فيه ذا مليك أو ملك[1]

وممـا قالـه عند وداعه لأهل تونس:

أُوَدِّعُكُمْ وَأُثْنِي ثُمَّ أُثْنِي

عَلَى مَلِكٍ تَطَاوَلَ بِالْجَمِيلِ

وَأَسْأَلُ رَغْبَةً مِنْكُمْ لِرَبِّي

بِتَيْسِيرِ الْمَقَاصِدِ وَالسَّبِيلِ

سَلَامُ اللَّهِ يَشْمَلُنَا جَمِيعاً

فَقَدْ عَزَمَ الغَرِيبُ عَلَى الرَّحِيلِ

وحليت بعض المراسلات؛ المتبادلة بين ابن الخطيب وابن مرزوق؛ بمقطوعات شعرية؛ منها هذه القطعة لابن مرزوق؛ التي رحب فيها بمقدم صديقه إلى مدينة فاس؛ للمثول بين يدي السلطان أبي عنان المريني:

يا قادماً وافى بكل نجاج

أبشر بما تلقاه من أفراح

هذي ذرى ملك الملوك فلذ بها

تنل المنى وتفز بكل سماح

---

[1] اقتبس هذا من قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾. سورة يوسف؛ من الآية: 31. وقد سبق إثبات الآية كاملة.

"

معـــنى الإمـــام أبي عنـــان يممن
تظفــر ببحر في العـــلى[1] طفـــاح
من قاس جود أبي عنان ذي الندى[2]
بسواه قاس البحر بالضحضـــاح[3]
ملك يفيــض على العفـــاة نوالـــه
قبل الســـؤال وقبـــل بسطـــة راح
فلجود كعب وابن سعدى[4] في الندى
ذكـــر محـــاه مـــن نـــداه مـــاح
ما أن رأيت ولا سمعـــت بمثلـــه[5]
مـــن أريـــحي للندى مـــرتـــاح
بســـط الأمان على الأنام فأصبحوا
قـــد ألحفـــوا منه بظـــل جنـــاح
وهمى على العافين سيـــب نوالـــه
حتى حـــكى سح الغمـــام الســـاح
فنوالـــــه وجلالـــــه وفعالـــــه
فاقـــت وأعيـــت ألســـن المـــداح

---

[1] **في الاستقصـــا: ((بالنـــدا)).**

[2] **في النفـــح: ((في النـــدى)).**

[3] **الضحضـــاح: المـــاء القليـــل.**

[4] **يقصـــد بكعـــب: كعـــب بـــن مامـــة بـــن عمـــرو الإيـــادي الـــذي يضـــرب المثـــل بجـــوده؛ أمـــا ابـــن سعـــدى؛ فهـــو: أوس بـــن خالـــد ابـــن حارثـــة بـــن لام الطـــائي. يضـــرب بـــه المثـــل في الجـــود والفضـــل.**

[5] **في النفـــح: ((ما إن سمعـــت ولا رأيـــت بمثلـــه)).**

"

وبه الدنا أضحت تــروق وأصبحــت
كل المــنى تنقــاد بعــد جمــاح
من كـــان ذا ترح فرؤية وجهــه
متــلافــة الأحــزان والأتــراح
فانهض أبا عبد الإلـــه تفــز بمـــا
تبغيــه من أمــل ونيــل نجــاح
لا زلــت ترتشــف الأماني راحة
من راحـــة المولى بكل صبــاح

ـ ثــم **أبــو عبــد اللــه محمــد بــن أحمــد بــن محمــد بــن أحمــد بــن محمــد بــن محمــد بــن أبي بكــر بــن مــرزوق التلمســاني العَجيــسي** المعــروف بالحفيــد (تــوفي بتلمســان ســنــة 842هــ/1438م)؛ وهــو حجــة في الفقــه المالــكي؛ ومــن علمــاء النحــو والأصــول والحديــث والتفسيــر وفنــون أخــرى؛ كمــا أنــه ينظــم الشعــر. ومــن مؤلفاتــه: كتــاب المفاتيــح المرزوقيــة لحــل الأقفــال واستخــراج خبايــا الخزرجيــة؛ وهــو في العــروض والقــوافي، وكتــاب إسمــاع الصــم في إثبــات الشــرف مــن جهــة الأم، وكتــاب المفاتيــح القرطاسيــة في شــرح الشقراطسيــة،

"

وكتاب المعراج في استمطار فوائد الأستاذ ابن سراج؛ وخصصه لإجابة ابن سراج في بعض المسائل النحوية والمنطقية، وكتاب الروضة؛ وهو رجز في علم الحديث، وكتاب مختصر الحديقة؛ وهو مختصر مرجوز لألفية العراقي في علم الحديث؛ وكتاب المقنع الشافي؛ أرجوزة في الميقات تحتوي على 1700 بيت، وأرجوزة في ألف بيت على الشاطبية، وأرجوزة في تلخيص المفتاح، وأرجوزة في تلخيص ابن البنا، وأرجوزة في جمل الخونجي، وكتاب نهاية الأمل في شرح الجمل؛ وهو في المنطق، وأرجوزة؛ اختصر بها ألفية ابن مالك، وكتاب اغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصة،؛ وهو في الفقه والتفسير، وكتاب نور اليقين في شرح أولياء الله المتقين، وكتاب الدليل الموفي في ترجيح طهارة الكاغد الرومي، وكتاب النصح الخالص في الرد على المدعي رتبة الكمال للناقص؛ وهو في سبعة كراريس؛ رد فيه على فتوى الإمام قاسم

"

العقبـــاني، ومختصـــر كتـــاب الحـــاوي في الفتاوى؛ لابن عبـــد البـــر التونـــسي، وكتـــاب الاعتراف في ذكـــر مـــا في لفـــظ أبي هريـــرة مـــن الإنصـــاف، وكتـــاب الـــروض البهيـــج في مسألـــة الخليـــج، وكتـــاب أنـــوار الـــدراري في مكـــررات البخـــاري، ورسالـــة في ترجمـــة إبراهيـــم المصمـــودي، وكتـــاب برنامـــج الشـــوارد، وكتـــاب تفسيـــر ســـورة الإخـــلاص؛ اتبع فيـــه طريقـــة الحكمـــاء، وشـــرح عـــلى ابـــن الحاجـــب،، وشـــرح عـــلى التسهيـــل، وثلاثـــة شـــروح عـــلى البـــردة: الأول عـــرف بالأكبـــر؛ هـــو إظهـــار صـــدق المـــودة في شـــرح البـــردة؛ كـــل بيـــت يشتمـــل عـــلى سبعـــة فنـــون، والثـــاني عـــرف بالأوســـط، الثالـــث عـــرف بالأصغـــر؛ وهـــو الاستيعاب لمـــا فيهـــا مـــن البيـــان والإعـــراب. ولـــه أيضـــا بعـــض الكتـــب لـــم يتمكـــن مـــن إكمالهـــا؛ وهي: روضـــة الأريـــب في شـــرح التهذيـــب، والمنـــزع النبيـــل في شـــرح مختصـــر خليـــل، وإيضـــاح المسالـــك في شـــرح ألفيـــة ابن مالـــك، وعقيـــدة أهـــل التوحيـــد المخرجـــة مـــن ظلمـــة التقليـــد، والآيـــات

"

الواضحات في وجه دلالة المعجزات، والدليل الواضح المعلوم في طهارة كاغد الروم، وشرح صحيح البخاري؛ بعنوان المتجر الربيح والمسعى الرجيح والمرحب الفسيح والوجه الصبيح والخلق السميح في شرح الجامع الصحيح؛ وهو في جزأين. ومما قاله عن تلمسان نظما:

بَلَدُ الجِدَار مَا أمَرَّ نَوَاهَا
كَلِفَ الفُؤَادُ بحُبِّهَا وَهَوَاهَا
يَا عَاذِلِي كُنْ عَاذِرِي فِي حُبِّهَا
يَكْفِيكَ مِنْهَا مَاؤُهَا وَهَوَاهَا

وقال فيها أيضا ضمن أرجوزة في علم الحديث:

وَمَنْ بِهَا أهْلُ ذَكَاءٍ وَفِطَنْ
فِي رَابِعٍ مِنَ الأقَالِيمِ قُطِنْ
يَكْفِيكَ أنَّ الدَّاوُدِيَّ بِهَا دُفِنْ
مَع ضَجِيعِه ابْن غَزْلُون الفَطِنْ

"

ـ ثم **أبو زكرياء شرف الدين يحيى بن عبد الرحمن بن محمد بن صالح بن علي ابن عمر بن عَقيل الزرماني العَجيسي** (توفي بالقاهرة سنة 862هـ/1457م)؛ فقيه مالكي، وعالم في النحو، وعلوم العربية، وتاريخ الصحابة؛ كما أنه مشارك في علوم أخرى كثيرة. رحل إلى القاهرة سنة 804هـ/1401م؛ وولي تدريس المذهب المالكي بالشيخونية، وجامع ابن طولون، والأشرفية القديمة، والخروبية. من مؤلفاته: شرح على ألفية ابن مالك؛ في أربعة مجلدات؛ بالإضافة إلى بعض الشروح الأخرى على الألفية أيضا، وشرح على البخاري؛ لم يكتمل، وكتاب التذكرة.

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن محمد بن يعقوب التلمساني العَجيسي** الشهير بالعبادي (توفي بتلمسان سنة 868هـ/1463م).

ـ ثم **بدر الدين محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن محمد العَجيسي** (ت: سنة 871هـ/1466م)؛ فقيه مالكي، ونحوي؛ اشتغل في تديس الفقه بمصر؛ في جامع ابن طولون، والأشرفية، والخروبية.

"

ـ ثم **سليمان بن صالح بن علي بن حسن ابن علي البجائي العَجيسي** (توفي بمكة سنة 884هـ/1479م)؛ فقيه مالكي، له مشاركة في علوم عديدة؛ رحل إلى الحج؛ واختار الإقامة بمكة المكرمة.

ـ ثم ولده **محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن مرزوق التلمساني العَجيسي**؛ المعروف بالكفيف (توفي بالقاهرة سنة 901هـ/1495م)؛ وهو ولد ابن مرزوق الحفيد؛ كان من أعلام الفقه المالكي. له مؤلفات عديدة؛ منها: النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مناقب، وروضة النسرين في مناقب الأربعة الصالحين: الهواري، والتازي، وأبركان، والغماري، ثم كتاب تآليف في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

ـ ثم **محمد بن أحمد بن محمد بن أبي يحيى ابن أحمد بن محمد بن مرزوق التلمساني العَجيسي**؛ المعروف بالسبط؛ لأنه سبط ابن مرزوق الحفيد(كان حيا سنة 920هـ/1514م)؛ وهو فقيه، ومحدث.

ooo

"

أما أهل السيف، والسياسة من العجيسيين؛ فلم تشر إليهم المصادر المتوافرة حتى الآن؛ ولا يوجد تفسير لهذا الصمت؛ سوى أن هذا القبيل كانت له اهتمامات أخرى غير الحرب والسياسة؛ تبعا لما كان عليه حالهم من الضعف ووهن الشوكة. غير أن هناك استثناء واحدا ويتمثل في شخص:

ـ **داود بن إبراهيم العجيسي** (كان حيا سنة 323هـ/934م)؛ ولي على تيهرت؛ أيام الدولة الفاطمية.

***

ـ ***مواطنهم***: كانت مواطن عجيسة مجاورة لمواطن قبيلة تلكاتة الصنهاجية؛ بالمغرب الأوسط. ويقول ابن خلدون أن بقاياهم ـ في وقته ـ كانوا متواجدين في **ضواحي تونس، وفي الجبال المشرفة على المسيلة.** أما مواطنهم الأولى فهي في الجبل الذي بنيت فيه قلعة بني حماد؛ قرب المسيلة. وقد تغلبت عليه قبائل عياض الهلالية؛ حتى أصبح يسمى باسمهم. ويقول موسى لقبال أن اسم عياض حرفته العامة؛ حتى صار معضادا، ومعاضيد؛ كما

"

يسمـــون في الوقـــت الحاضـــر. وعليـــه فقـــد أصبـــح **جبـــل عجيســـة**، أو عيـــاض ــ بعـــد ذلـــك ــ **يســـمى جبـــل المعاضيـــد.**[1]

É É É

6 ــ *كتامـــــة:*

وهـــم أبنـــاء **كتـــام** أو (كتـــم) **بـــن برنـــس.** وقـــد اختلفـــت الآراء حـــول الأصـــل الأول لكلمـــة كتامـــة؛ فمـــن قائـــل.. بأنهـــا اســـم علـــم؛ لشخـــص ينتســـب إليـــه أبنـــاء هـــذه القبيلـــة. وقائـــل بعلاقتهـــا بمعـــنى الكتمـــان. وقائـــل آخـــر بعلاقتهـــا ــ بشكـــل مـــا ــ مـــع كلمـــتي: **الكتيـــم**؛ الـــتي أطلقهـــا ابـــن خلـــدون عـــلى سكـــان إيطاليـــا؛ عنـــد احتكاكهـــم بالقرطاجييـــن. أو **القطيـــم**؛ الـــتي تـــرمي إلى معـــنى؛ ينسجـــم مـــع الشـــذوذ الخلـــقي. وقـــد قـــام الدكتـــور مـــوسى لقبـــال بتحليـــل هـــذه الآراء كلهـــا؛ ثـــم ركـــز عـــلى النقـــوش البيزنطيـــة؛ المكتشفـــة في مواطـــن كتامـــة القديمـــة؛ (في فـــج فيـــدول **Col de fedoules**)؛ بيـــن ميلـــة، وجيجـــل. تلـــك النقـــوش الـــتي وردت فيهـــا عبارتـــان هامتـــان؛ هي: **Ucutamii** أو **Ucutumani** والعبـــارة الأخيـــرة وضعـــت في صيغـــة الجمـــع؛ لـــدى اللاتينييـــن؛ وهي تقابـــل كلمـــة **كتامييـــن** المعربـــة. ومـــن هنـــا ننضـــم

---

[1] **العبـــر، مج: 6، ص ص: 295 ــــ 296. دور كتامـــة، ص ص: 70 ــــ 71.**

"

إلى رأي لقبال؛ الـذي يميـل إلي وجـود اسـم كتامـة؛ قبـل الفتـح؛ حيـث كـان يـدل عـلى مجموعـة مـن النـاس؛ يعيشـون في ظـل نظمهـم الخاصـة؛ بالمناطـق المعروفـة الآن كمواطـن لكتامـة.[1] وبطـون كتـام جميعهـا تجتمـع في ولديـه الاثنيـن: **غرسـن**، **ويسـودة.** وعنهمـا تفرعـت بطـون كتامـة كلهـا؛ فمـن بطـون غرسـن: **إيـان وقـلان وماوطـن مُصالـة ومعّـاذ وينـاوة وينطاسـن.** وتفـرع عـن إيـان: **ملوسـة.** أمـا ينـاوة فتفـرع عنهـم بطـون: **جيمْلـة ووهيصـة ومسالتـة.** وينطاسـن ـــ هـم الآخـرون ـــ تفـرع عنهـم: **إجّانـة وأوفـاس وغسمـان.** أمـا بطـون يسـودة بـن كتـام؛ فهـم: **دِهَاجَـة وفلاسـة ومَتْوَسَـة ووريسـن.** ويقـول ابـن خلـدون أن قصـور كتامـة بالمغـرب ـــ في وقتـه ـــ تنسـب إلى دهاجـة. وهـذه أهـم بطـون كتامـة؛ الـتي اتفـق عليهـا النسابـون. ولكـن.. نلاحـظ ـــ خلافـا لمـا اتفـق عليـه نسابـة الأمازيـغ كلهـم ـــ فابـن حـزم ينسـب زواوة إلى كتامـة. وكمـا يقـول ابـن خلـدون أيضـا؛ أن **((البرابـرة))** ينسبـون: **بـني**

---

[1] **دور كتامـة، ص ص: 93 ـــ 97.**

"

قِنْسيلـــة ومصالـــة وهَشْتَيْـــوَة إلى كتامـــة**.** وربمـــا يقصـــد بعبـــارة ((البرابـــرة)) نسابتهـــم**.**[1]

ويستحســـن الاستعانـــة ــ في هـــذا البـــاب ــ بمـــا قـــام بـــه مـــوسى لقبـــال مـــن تحقيقـــات تتعلـــق ببطـــون كتامـــة**.** مـــن ذلـــك أنـــه تفـــرع عـــن **إيـــان ابـــن غرســـن:** قبيلـــة **ملوســـة**؛ الـــتي تنســـب إليهـــم بلـــدة **ملـــوزة** الجزائريـــة؛ في الوقـــت الحاضـــر**.** وقبيلـــة ملوســـة أو ملـــوزة مـــا زالـــت معروفـــة؛ وهي متواجـــدة قـــرب المسيلـــة؛ بالجزائـــر**.** كمـــا توجـــد بقيـــة منهـــم؛ ضمـــن قبيلـــة أنجـــرة؛ المستقـــرة بيـــن سبتـــة، وطنجـــة؛ حيـــث توجـــد في تلـــك الجهـــات بلـــدة سماهـــا البكـــري **ملوثـــة**؛ ومنهـــم ــ أيضـــا ــ فـــرع **بـــني زلـــدوي** الموجـــودون بالجبـــال المشرفـــة عـــلى قسنطينـــة؛ ويعرفـــون بـــ **بـــني زونـــداي**؛ حيـــث كانـــت تقـــام بينهـــم ســـوق زنـــداي؛ في أيـــام الجمعـــة مـــن كـــل أسبـــوع؛ وقـــد اشتهـــروا بالشـــدة، والخـــلاف، والتمـــرد، وتعـــدد الفتـــن فيمـــا بينهـــم**.** ومـــن ملوســـة جماعـــات أخـــرى؛ اندرجـــوا ضمـــن قبيلـــة أولاد عبـــد النـــور؛ إلى الشـــرق مـــن جبـــل غـــروس؛ ثـــم إن مدينـــة **تامالـــوس**؛ القريبـــة مـــن القـــل تنتـــمي هي الأخـــرى إلى ملوســـة**.** وعـــن **قـــلان**

---

[1] **العبـــر، مج: 6، ص: 302.**

"

ابـــن غرســـن؛ يقـــول مـــوسى لقبـــال أن بلـــدة **قـــلال** القريبـــة مـــن سطيـــف لهـــا علاقـــة مـــا؛ بهـــم؛ وإن تعـــرض الاســـم للتصحيـــف. كذلـــك **ماوطـــن بـــن غرســـن**؛ وهـــم بنـــو **ماوطنـــت**؛ الذيـــن ينتســـب إليهـــم **كـــادو بـــن مُعـــارك المـــاوطي**؛ ذلـــك الصـــبي الـــذي نصبتـــه جماعـــة مـــن كتامـــة بمثابـــة الإلـــه؛ إذ اتخـــذوه قبلـــة يصلـــون إليـــه، وكتبـــوا صفحـــات زعمـــوا أنهـــا نزلـــت عليـــه؛ ثـــم سمـــوه المهـــدي؛ كـــل هـــذا بسبـــب العصبيـــة الكتاميـــة؛ الـــتي تحركـــت في داخلهـــم؛ بعـــد أن فـــاض مرجلهـــا، وتململـــت مـــن سباتهـــا؛ غيـــرة عـــلى أبنـــاء العـــم المقتوليـــن بالقيـــروان. ثـــم **مُصالـــة بـــن غرســـن**؛ وهـــو الـــذي يرجـــع إليـــه ــ حسبمـــا يبـــدو ــ **فـــج مصالـــة** أو **فـــج مزالـــة**؛ المعـــرف حاليـــا. ثـــم **معـــاذ بـــن غرســـن**؛ الـــذي يبـــدو أن **بـــني معـــاذ** ــ القريبـــة مـــن الميليـــة ــ تنتســـب إليـــه. أمـــا **ينـــاوة بـــن غرســـن**؛ فأهـــم بطونهـــم هي: قبيلـــة **جيملـــة**؛ وهـــم موجـــودون ــ في هـــذه الأيـــام ــ عـــلى ضفـــاف وادي جنديـــن؛ إلى جـــوار جيجـــل؛ وقـــد يمتـــد انتشـــار أحيائهـــم حـــتى نـــواحي العلمـــة. ويطلـــق اســـم هـــذه القبيلـــة ــ بعـــد تصحيفـــه ــ عـــلى المدينـــة الرومانيـــة الأثريـــة **Cuiculum** المعروفـــة حاليـــا بـــ **جميلـــة**. ثـــم قبيلـــة

مسالتة؛ التي توجد بقية منهم؛ يدعون بهذا الاسم؛ وهم مندرجون ضمن قبيلة الساحل القبلي بدوار (تالا إيفاسين)؛ هم بين آقبو، وسطيف؛ بالجزائر؛ وربما سمي باسمهم وادي **مسالقة** الواقع بين مدينتي: قالمة، وعزابة؛ بعد أن صحفته ألسن العامة. ثم **لهيصة**؛ التي لم يبق منهم أثر يذكر؛ على الرغم من ظهورهم، ونشاطهم؛ أيام الدعوة الفاطمية. أما ينطاسن بن غرسن؛ فمنهم: قبيلة إجانة؛ التي تكون بقاياهم موجودة بين الميلية، والطاهير؛ وبين جبل سدات، والمسيد؛ حيث تعرف تلك المنطقة — بعد تصحيفها — بـ **أرجانة**؛ كما يسمى أحد أودية تلك الجهة بوادي أرجانة. وربما انتسبت إليهم فئة تسمى ورجانة؛ وهي متواجدة في جهات جبل شلية بالأوراس؛ وتتواجد فئة أخرى في محيط سدراتة. أما **أوفاس**؛ فلا نعرف عنهم — في الحاضر — سوى اسم تالا **إفاسين**؛ بين آقبو وسطيف؛ والتي سبق ذكرها عند الكلام عن مسالتة. أما غسمان؛ فوردت في بعض المصادر — أيضا — عثمان؛ وربما كانت التسمية الأخيرة هي الصحيحة؛ بدليل وجود حي بهذا الاسم؛ قرب

فج مزالة؛ في سفح جبل الحلفا؛ كما توجد مدينة باسم العثمانية؛ وتقع على وادي العثمانية أيضا؛ وهي قريبة من قلعة تازروت؛ موطن قبيلة عثمان قديما؛ وإلى هذه القبيلة ينسب بنو عثمان؛ ويوجدون في حوز مكناسة بالمغرب الأقصى.

هؤلاء هم أبناء غرسن بن كتام؛ أما أبناء يسودة بن كتام فهم: **دهاجة أبناء يسودة؛** ومنها بطن بالاسم نفسه؛ اندرج أبناؤه ضمن قبيلة زردازة (دوار بوطيب)؛ المتواجدة بين سكيكدة، وعنابة؛ حيث يوجد سد زردازة؛ كما كان يوجد بالقرب من سكيكدة ميناء باسم دهاجة؛ ذكره اليعقوبي في كتاب البلدان. وذكر النعمان قبيلة باسم دهاجة؛ بين قبائل ميلة. ونسب إليهم البكري موضعا سماه قصر دهاجة؛ قال أنه بالقرب من جبل صرصر؛ بالمغرب الأقصى. أما **فلاسة أبناء يسودة؛** فلا نعرف عنهم شيئا. أما **متوسة أبناء يسودة؛** فهم معروفون الآن؛ بالقرب من مدينة عين البيضاء الجزائرية؛ حيث اندمج أبناؤهم ضمن قبيلة الحراكتة؛ كما يوجد بطن منهم يدعى متوسين؛ اندرج أبناؤه ضمن قبيلة جيملة السابقة الذكر؛ وبالقرب من بجاية؛ توجد قرية

"

بقيت إلى اليوم؛ تسمى متوسة. أما **وريسن أبناء يسودة؛** فمن آثارهم قرية **الوريسية؛** القريبة من إيكجان؛ يبدو أن لها علاقة ما باسم **وريسن.** وثمة قبيلتان من كتامة؛ ولكن.. لا يُعرف تسلسل نسبهم؛ في أبناء كتام؛ مع أن جل النسابين، والمؤرخين يعدونهم من بين قبائل كتامة؛ وهاتان القبيلتان هما: **بنو ثابت، وسدويكش.**[1]

وقد أزال موسى لقبال بعض الغموض الذي يكتنف هاتين القبيلتين؛ حين قال عن **سدويكش** أنهم اختاروا الحياة في التلول والسهول؛ من مواطن كتامة القديمة. وأبناء هذه القبيلة عُرفوا لدى العامة؛ **بقبائل الحدرة.** وكلمة الحدرة ـــ هنا ـــ صُحفت؛ بسبب لهجة سكان المنطقة؛ من كلمة **حضرة؛** بمعنى حاضرة؛ أي مدينة؛ إلى كلمة **حدرة.** وكما هو معروف؛ فإن لهجة أبناء المنطقة تنطق الذال دالا. أما **بنو ثابت** فقد ظلوا في مواطنهم الجبلية الأولى. وعليه.. يمكننا ـــ بواسطة هذا التفسير ـــ كشف اللغز الذي تسبب في حيرة ابن خلدون؛ حين قال أنه يجهل إلى أي القبائل من

---

[1] أنظر دور كتامة، ص ص: 98 ـــ 111.

"

كتامة تنتمي هاتان الفئتان (سدويكش وبنو ثابت)؛ وإن كان متيقنا من انتسابهما إلى كتامة. والحقيقة هي أنهما عبارة عن تجمعات قبلية؛ شملت بقايا البطون الكتامية؛ السابقة الذكر؛ فأضحت جميعها تسمى بهذين الاسمين المستحدثين؛ بعد أن أضحوا ينفرون من نسبتهم القديمة لكتامة؛ كما ذكر ابن خلدون: **((وهم ينتفون من نسب كتامة، ويفرون منه؛ لما وقع منذ أربعمائة سنة؛ من النكير على كتامة؛ بانتحال الرافضة، وعداوة الدول بعدهم؛ فيتفادون بالانتساب إليهم. وربما انتسبوا إلى سليم؛ من قبائل مضر؛ وليس ذلك بصحيح. وإنما هم من بطون كتامة)).**[1]

وجملة القول.. تعتبر قبائل كتامة من أشهر القبائل الأمازيغية، وأوفرها عددا، وأمضاها عصبية. وهم من أهل المدر المستقرين في بيوت مبنية بالطين والحجر. مع بعض الاستثناءات الطفيفة؛ التي تخص جماعات من بني سدويكش؛ التي اختارت حياة البدو، والانتجاع. كما تعتبر كتامة من أهم القبائل الأمازيغية التي تركت أثرا بارزا في تاريخ المغرب

---

[1] **العبر، مج: 6، ص: 304.**

الإسلامي؛ بل تركت أثرا عظيما في التاريخ الإسلامي ككل؛ في المغرب والمشرق. وعلى الرغم من كون هذه القبيلة العظيمة لم تتوصل ــ منفردة ــ إلى إقامة دولة خاصة بأبناء كتامة؛ إلا أنها تمكنت ــ بفضل تضحيات أبنائها، وأبناء صنهاجة ــ من تشييد إمبراطورية إسلامية عظمى للفاطميين؛ أحفاد علي بن أبي طالب.

وإذا كانت عشائر بني سدويكش قد اختارت حياة البدو، بسكنى الخيام، وامتلاك الأغنام، والبقر، والجمال؛ فإن إخوانهم من بني ثابت ظلوا على عادات أسلافهم؛ في سكنى المدر، والاعتزاز بجبالهم الوعرة الشاهقة. وكانت للبطنين المذكورين ارتباطات طاعة، وخضوع نحو دول المنطقة؛ إذ التزمت عشائرهم جميعا؛ بإعطاء الضرائب المستحقة. وقد تولى بعض أبناء بني ثابت مهاما سامية في الدولة الحفصية؛ منهم حسن بن ثابت الذي تولى منصب الحجابة؛ في ديوان السلطان أبي يحيى زكرياء الحفصي. ويبدو أن مهام موظفي الدولة من بني ثابت؛ انحصرت في أعمال الجباية، وجمع المغارم. وقد بقي بنو ثابت على هذه الحال؛ انطلاقا من عهد عبد المؤمن ابن علي؛

"

وحتى عهد أبي العباس الحفصي؛ الذي أزال مشيخة بني ثابت، وأدمجهم في عداد جنده، وحاشيته.

! ! !

ـ ***أعيانهم:*** أما رجالات كتامة، وأعيانها؛ فهم كثيرون؛ في مختلف العهود؛ ظهر أكثرهم بدءا بالعهد الفاطمي. ونبدأ ـ هنا ـ بالحديث عن علمائهم، ثم ننتقل إلى زعمائهم السياسيين، والعسكريين:

ـ أبو علي حسن بن سعد بن إدريس خلف بن رزيق بن كسلة بن مليكة القرطبي الكتامي (ت: سنة 332هـ/942م)؛ فقيه؛ من أهل الصلاح؛ رحل مرتين إلى المشرق؛ فزار مصر، ومكة، واليمن، وبغداد. قال عنه ابن الفرضي: **((وكان يذهب إلى النظر، وترك التقليد؛ ويميل إلى قول محمد بن إدريس الشافعي. وكان يحضر الشورى؛ ولما رأى الفتيا دائرة على مذهب المالكيين؛ ترك شهودها، ولزم بيته...وكان شيخا صالحا؛ لم يكن بالضابط جداً)).**[1]

[1] تاريخ علماء الأندلس، ص: 110.

"

ـ ثم **أحمد بن عبد الله بن موسى الكتامي** المعروف بابن العجوز (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة)؛ كان فقيها، وشاعرا؛ وهو من بيت علم في المغرب.

ـ ثم **أبو زيد عبد الرحمن بن مسعود الكتامي** المعروف بابن عامر (من أعلام النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة)؛ فقيه مالكي.

ـ ثم **أبو عبد الرحمن عبد الرحيم بن أحمد ابن عبد الرحمن السبتي الكتامي** المعروف بابن العجوز (ت: سنة 418هـ/1027م)؛ مفتي، وفقيه؛ عالم بالمذهب المالكي؛ له رواية واسعة بإفريقية، والأندلس ومفتي.

ـ ثم **أبو جعفر أحمد بن سليمان بن أحمد الطنجي الكتامي** المعروف بابن أبي الربيع (توفي قبل 440هـ/1048م)؛ من المتخصصين في القراءات؛ قام بإقراء الناس في بيجانة، والمرية بالأندلس. وله رحلة إلى المشرق.

"

ـ ثم **عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن أحمد السبتي الكتامي** المعروف بابن العجوز (ت: سنة 449هـ/1057م)؛ فقيه، ومفتي؛ كان من أهل الفضل، والاستقامة.

ـ ثم **عبد الواحد بن فتوح الزواق الكتامي** المعروف بالمنبِّز (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ قال عنه ابن رشيق: **((وهو كتامي؛ نشأ بتونس؛ وبها تأدب. وهو شاعر مفلق؛ قوي أساس الشعر، وأركانه؛ وثيق دعائمه وبنيانه؛ كأنه أعرابي بدوي؛ يركب ظهر الشعر؛ ويخوض بحر الفكر. يتكلف بعض التكلف؛ وفي قصائده طول. عريان الظاهر من حلية الأدب؛ لغفلة في طبعه، وثقل في سمعه)).**[1] من شعره؛ ما قاله في وصف ديك:

وَهَـبَّ لِلأطْيَـارِ ذُو خِبْـرَةٍ
عَنْـهُ بمَا يُعْـرِبُ عَنْ خُبْرِهَـا

فَنَّـص جِيـدا وَرَقَّى مِنْبَـراً
دَار الـذِي عـوّدَ مِنْ خِدْرِهَـا

---

[1] الأنموذج، ص: 226.

"

وَاسْتَفتـــَحَ الصَّـــوْتَ بتَصْفِيقَـــهِ اسْـــ
ـــتَفْتَاحَ ذَاتِ الطَّارِ فِي شَعْرِهـــَا
فَبَلْبَـــلَ البُلْبُـــلَ فِي غُصْنـــهِ
وَأرَّقَ الوَرَقـَـاءَ فِي وَكْرِهَـــا
كَأَنَّمَـــا تُـــوِّجَ يَاقُوتَـــة
فَاتَّخَـــذ الشِّنْفَيْـــنِ مِنْ شَطْرِهَـــا
كَأَنَّمَـــا يَخْطُـــرُ فِي حُلَّـــةٍ
مِنْ عَـــدَنِيِّ الوَشْيِ لَمْ يَشْرِهَـــا

ولـــه أيضـــا:

وَمَـــلاَة زِنْجيـــةٍ كَبُطُـــونِ الـــ
ـــرَّاحِ مَـــرَّتْ بَعِيـــدَة الأرْجَـــاءِ
قَدْ تَجَشَّمْتُ هَوْلَهَـــا وَدُجَى اللـــَّ
ـــيْلِ كَذَيْـــلِ الغِفَارَةِ السَّـــوْدَاءِ

ويصـــف فـــرس؛ فيقـــول:

مُخْلَوْلَـــقُ الصَّهْوَةِ مِثْل المِـــدْوَكِ
يَعْـــدُو وَمُعْدِيـــهِ بـــلاَ تَحَـــرُّكِ
كَأَنَّـــهُ فَـــوْقَ مِهَـــادٍ مُتَّـــكِ
يَضْحَـــكُ لِلْعَيْـــن وَلَمَّا يضْحَـــكِ
ذُو مُقْلَـــةٍ تَنْظُـــرُ فِي مُحْلَوْلَـــكِ
كَأَنَّهَـــا فِلْـــذَة قَلْـــبِ المشْـــرِكِ

"

وعـــن وصفـــه للحمـــام الداجـــن؛ قـــال ابـــن رشيـــق: **((لا أعــرف أحــدا وصفــه بمثــل هــذه الصفــة))**؛ إذ قـــال:

يَجْتَـــابُ أرْدِيَةِ السَّحَاب بخَافِـــق
كَالبَرْق أوْمَضَ فِي السَّحَابِ فَأبْرَقَـــا
لَوْ سَابَـــقَ الرِّيحَ الجَنُـــوب لِغَايَـــة
يَوْمـــاً لَجَاءَكَ مِثْلَهَـــا أوْ أسْبَقَـــا
يَسْتَقْـــرِبُ الأرْضَ البَسيطَة مَذهَبـــاً
وَالأفْقَ ذَا السُّقُفِ الرَّفِيعَـــةِ مُرتَـــقَى
وَيَظَـــلُّ يَسْتَرْقِي السَّمَـــاءَ بخَافِـــق
فِي الجَوِّ تَحْسبُهُ الشِّهَـــابَ المُحْرقَـــا
قِسْـــهُ بِأعْتَـــق كُلِّ حَامِلِ رِيشَـــةٍ
مِمَّـــا يَطِيـــرُ تَجِـــدْهُ مِنْـــهُ أعْتَقَـــا
يَبْـــدُو فَيَعْجبُ مَنْ يَـــرَاهُ لِحُسْنـــهِ
وَتَكَـــادُ آيَـــة عِتْقِـــهِ أنْ تَنْطِقَـــا
مُتَرَقْرِقـــاً مِنْ حَيْـــثُ دُرْتَ كَأنَّمَـــا
لَبِسَ الزُّجَاجَة أوْ تَجَلْبَـــبَ زِئبَقَـــا

وقـــال في القـــاضي جعفـــر بـــن عبـــد اللـــه الكـــوفي:

حُـــرُّ المُـــرُوءَةِ وَالأبُـــوَّةِ سَيِّـــدٌ
ينْـــمِي لأشْـــرَفِ سَادَةٍ أخْيَـــارِ

"

القَاطِعِيـــنَ نِيَـــاطَ كُـــلِّ مُبَالِــغٍ
فِي المَـــدْحِ تَحْتَ دَقَائِقِ الأفْكَـــارِ
كَانُـــوا إِذَا بَخِـــلَ السَّحَابُ بِمَائِـــهِ
وَهَبُوا سَحَائِـــبَ فِضَّةٍ وَنُضَـــارِ
يَا صَيْـــرَفِيِّ بَنِي الزَّمَـــانِ أمَا تَـــرَى
عِـــزَّ الفُلُـــوسِ وَذِلَّـــةَ الدِّينَـــارِ

ولـــه في العتـــاب:

قَدْ كُنْتُ أحْسَبُ عِلِّيِيـــنَ مَنْزِلَـــتِي
فِي وُدِّكُمْ وَإذَا بِي أسْفَلَ الـــدَّرَكِ
يَا حُسْنَ وُدِّي لَوْ أنِّي نَعِمْـــتُ بِـــهِ
فِيكُمْ وَفُزْتُ بِحَظٍّ غَيْرَ مُشْتَـــرِكِ
يَا رَوْضَـــةً شَأنُهَا فِي عَيْنِ زَائِرِهَـــا
وَقَدْ تَنَـــزَّهَ مَا فِيهَـــا مِنَ الحَسَـــكِ

ــ ثـــم **إبراهيـــم بـــن يعقـــوب السبـــتي الكتـــامي** (مـــن أعـــلام النصـــف الأول مـــن القـــرن الخامـــس للهجـــرة)؛ فقيـــه.

ــ ثـــم **أبـــو محمـــد عبـــد اللـــه بـــن إبراهيـــم بـــن جمـــاح السبـــتي الكتـــامي** (تـــوفي حـــوالي عـــام 470هـــ)؛ فقيـــه، وعالـــم بالتوحيـــد، والاعتقـــاد؛ كمـــا أشتهـــر بالقـــدرة عـــلى الحفـــظ. وهـــو مـــن أصحـــاب أبي الوليـــد البـــاجي؛ حـــتى أنـــه كـــان يستخلفـــه في تدريـــس طلابـــه عندمـــا يسافـــر.

"

ـ ثم **محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم ابن أحمد الكتامي** المعروف بابن العجوز (توفي بفاس سنة 474هـ/1081م)؛ فقيه من بيت علم؛ ولي قضاء فاس.

ـ ثم **أبو طاهر جعفر بن علي بن دواس الكتامي** المعروف بقمر الدولة (توفي بعد عام 500هـ/1106م)؛ وهو من مواليد مصر؛ ثم نشأ بطرابلس الشام. له شعر عذب الإنشاد، حسن المعاني، رشيق الألفاظ؛ كما كان يعزف على العود، ويجيد الغناء؛ وله أسلوب حسن في ذلك؛ انتقل إلى بغداد؛ حيث لقي بها حفاوة؛ تليق به. من شعره:

إنْ صَارَ مَولاَيَ ذَا يَسَار
فَإنَّني ذَلِكَ المُقِلُّ
كَالشَّمْسِ إنْ زِيدَتِ ارْتِفَاعاً
يَقْصُرُ فَيءٌ لَهَا وَظِلُّ

وله أيضا:

لَمَّا رَأيْتُ المَشِيبَ فِي الشَّعَرِ الأسْـ
ـوَدِ قَدْ لاَحَ صِحْتُ وَاحَزَنِي
هَذَا وَحَقِّ الإلَهِ أحْسَبُهُ
أوَّلَ خَيْطٍ سُدِّي مِنَ الكَفَنِ

"

وقـــال كذلـــك:

أنَـــا مِمَّنْ إذَا أتَى صَاحِبُ البَيْتِ لِلْكِـــرَا
تَتَجَافَى جُنُوبُهُـــمْ كُلَّ وَقْتٍ عَنِ الكَـــرَى

وقـــال:

لاَ يَظُـــنُّ العَـــدُوُّ أنَّ انْحِنَـــائِي
كِبَـــراً عِنْدَمَـــا عَدِمْتُ شَبَـــابِي
ضَاعَ مِـــنِّي أعَـــزَّ مَا كَانَ مِـــنِّي
فَأنَـــا نَاظِـــرٌ لَـــهُ فِي التُّـــرَابِ

وقـــال أيضـــا:

تَعَجَّبَـــتْ دُرُّ مِنْ شَيْبِي فَقُلْتُ لَهَـــا
لاَ تَعْجَبِي فَطُلُوعُ البَدْرِ فِي السَّدَفِ
وَزَادَهَا عَجَباً أنْ رُحْتُ فِي سَمَـــلٍ
وَمَا دَرَتْ دُرُّ أنَّ الدُّرَّ فِي الصَّـــدَفِ

ــ **ثـــم أبـــو القاســـم عبـــد الرحمـــن بـــن محمـــد بـــن عبـــد الرحمـــن بـــن عبـــد الرحيـــم بـــن أحمـــد الكتـــامي** المعـــروف بابـــن العجـــوز (ت: ســـنة 515هـــ/1121م)؛ وهـــو مـــن الذيـــن سمـــع منهـــم الشيـــخ عيـــاض. وقـــال فيـــه: ((**مـــن بيـــت علـــم وجلالـــة. فقيـــه ابـــن فقيـــه ابـــن فقيـــه؛ خامـــس**

"

خمسة. وعبد الرحيم أكبرهم في العلم، والجلالة، والأمانة؛ وهو المنتقل إلى سبتة من أصيلا؛ وأصلهم من بلدهم: كتامة... كان يميل إلى النظر، والحجة؛ ودرس الفقه ببلدنا. وولي قضاء الجزيرة الخضراء، ثم قضاء سلا، ثم خلافة القضاء بالحضرة؛ وتوفي مصروفا عن ذلك)).[1]

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف الإشبيلي الكتامي** (من أعلام النصف الأول من القرن السادس للهجرة)؛ فقيه، وراوية.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن عيسى الكتامي** المعروف بابن المدرة (من أعلام النصف الأول من القرن السادس للهجرة)؛ وهو من سكان قصر عبد الكريم؛ كان من أصحاب أبي العباس ابن العريف، وكان له عناية، واهتمام بالآداب.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن زكرياء بن عبد الله بن إبراهيم بن حسنون البياسي الكتامي** (توفي بعد عام 560هـ/1164م)؛ تصدر للإقراء، والخطبة، والصلاة في بياسة؛ كما ولي القضاء بها.

---

[1] الغنية، ص ص: 69 ـ 70.

"

ـ ثم **أبو تميم ميمون بن جبارة بن خلفون الكتامي** (توف بتلمسان وهو في طريقه إلى مراكش سنة 584هـ/1188م)؛ عالم في الفقه والنحو والأدب؛ ولي قضاء بلنسية بالأندلس؛ فترك أثرا محمودا؛ ودرس بها الأصول فاستنفع الناس به؛ ثم ولي القضاء ببجاية أيضا.

ـ ثم **محمد بن خلف الله بن خليفة بن محمد القسنطيني الكتامي** المعروف بابن الشمني (ولد بقسنطينة سنة 593هـ/1196م)؛ وهو عالم في الحديث، والفقه. رحل إلى مصر؛ أين تصدر لتدريس الفقه، والحديث بجامعها؛ كما تولى خطة الشهادة بين الناس.

ـ ثم **أبو علي حسن بن عمر القسنطيني الكتامي** الشهير بابن الفكون (كان حيا سنة 602هـ/1205م)؛ وهو شاعر المغرب الأوسط في وقته؛ بدون منازع. قال فيه الغبريني: **((من الأدباء الذين تستظرف أخبارهم، وتروق أشعارهم؛ غزير النظم، والنثر؛ وكأنهما أنوار الزهر. رحل إلى مراكش، وامتدح خليفة بني عبد المؤمن، وكانت جائزته عنده من أحسن الجوائز... وهو من الفضلاء، النبهاء؛ وكان مرفع المقدار، ومن له الحظوة والاعتبار.**

"

وكان الأدب له من باب الزينة والكمال؛ ولم يكن يحترف به لإقامة أود، أو إصلاح حال)).[1]

أما ابن القنفذ فذكر في الفارسية؛ بأن ابن الفكون مدح الناصر الموحدي؛ عند وصوله إلى قسنطينة **((بقصيدة عظيمة))**. ومن مؤلفاته: الرحلة؛ التي سجل فيها مشاهداته خلال تنقله من قسنطينة إلى مراكش، ثم ديوان شعر قال فيه الغبريني: **((وهو موجود بين أيدي الناس، ومحبوب عندهم))**. وهذه عينات من شعره؛ نبدأ بمقطع رائع تغنى فيه ببجاية:

دَعِ العِرَاقَ وَبَغْدَادٍ وَشَامِهَا
فَالنَاصِرِيَّة مَا إنْ مِثْلُهَا بَلَدُ
بَرٌ وَبَحْرٌ وَمَوْجٌ لِلْعُيُونِ بِهِ
مَسَارِحُ بَانَ عَنْهَا الهَمُّ وَالنَّكَدُ
حَيْثُ الهَوَى وَالهَوَاءُ الطَّلقُ مُجْتَمِعٌ
حَيْثُ الغِنَى وَالْمُنَى وَالعِشَةَ الرَّغدُ
وَالنَّهْرُ كَالصِّلِّ وَالجَنَّاتُ مُشْرِفَةَ
وَالنَّهْرُ وَالبَحْرُ كَالمِرْآة وَهوَ يَدُ

[1] عنوان الدراية، ص: 334.

"

فَحَيْثُمَـــا نَظَرْتَ رَاقَتْ وَكُلُّ نَـــوَا
حِي الدَّار لِلْفِكْر، لِلأَبْصَار تَتَّقِـــدُ
إِنْ تَنْظُـــرِ البَـــرَّ فَالأَزْهَـــارُ يَانِعَـــة
أَوْ تَنْظُرَ البَحْرَ فَالأَمْـــوَاجُ تَطَّـــرِدُ
يَا طَالِباً وَصْفِهَا إِنْ كُنْت ذَا نَصَفٍ
قُلْ جَنَّة الخُلْدِ فِيهَا الأَهْلُ وَالوَلَـــدُ

ثـــم قولـــه في بعـــض ســـادات بـــني عبـــد المؤمـــن؛ حيـــث تعـــض لجمـــال قصـــر الربيـــع:

عَشَوْنَـــا إِلَى نَـــار الرَّبِيـــعِ وَإِنَّمَـــا
عَشَوْنَـــا إِلَى نَار النَّـــدَى وَالْمُحَلَّـــقِ
رَكِبْنَـــا بِوَادِيـــهِ جيَـــــادَ زَوَارق
نَزَلْنَـــا إِلَيْهَا عَـــنْ ضَوَامِـــرَ سُبَّـــقِ
وَخُضْنَـــا حَشَاهُ وَالأَصِيـــلُ كَأَنَّـــهُ
بِصَفْحَتِـــهِ تبـــدِّى مُـــرَوّق زَنْبَـــقِ
وَسَيِّدُنَـــا قَـــدْ سَـــارَ فِيـــهِ لأَنَّـــهُ
بِزَوْرَقِـــهِ إِنْسَـــانُ مُقْلَـــةٍ أَزْرَقِ
فَقُلْـــتُ وَطَرْفِي يَجْتَلِي كُلَّ عِبْـــرَةٍ
وَزَوْرَقُـــهُ يَهْـــوِي بِهِ ثُمَّ يَرْتَـــقِي
أَيَـــا عَجَبـــاً لِلْبَحْرِ عَـــبَّ عُبَابَـــهُ
تَجَمَّـــعَ حَتَّى صَارَ فِي بَطْنِ زَوْرَقٍ

"

وَلَمَّـــا نَزَلْنَـــا سَاحَةَ القَصْرِ رَاعَنَـــا
بِكُلِّ جَمَالٍ مُبْهِجِ الطـــَّرْفِ مُرْتَـــقِ
فَمَا شِئْتَ مِنْ ظِلٍّ وَرِيفٍ وَجَـــدْولِ
وَرَوضٍ مَتَى تَلَمَّـــمَ بِهِ الرِّيحُ يَعْبَـــقِ
وَشـــَادِي مَغَانِي الحُسْنِ فِي نَغَمَاتِـــهِ
يُطَارِحُـــهُ هَـــدْرُ الحَمَامِ المُطَـــوَّقِ
فَيَا حُسْنَ ذَاكَ القَصْرِ لاَ زَالَ آهِـــلاً
وَيَـــا طِيـــبَ رَيَّا نَشْـــرِهِ المُتَنَشِّـــقِ
رَتَعْنَا بِهِ فِي رَوْضَـــةِ الأُنْسِ بَعْدَمَـــا
هَصَرْنَـــا بِهِ غُصْنَ المَسَـــرَّةِ مُـــورَقِ
وَيُضْحِكُنَـــا طُولَ الوَصَـــا وَرُبَّمَـــا
يَمُـــرُّ عَلَى الأَوْهَـــامِ ذِكْرُ التَّفَـــرُّقِ
فَتَضْحَى مُوصُونَاتُ الدُّمُوعِ هَدَالَـــةَ
وَنَحْنُ عَلَى طَرَفٍ مِنَ الدَّهْرِ أَبْلَـــقِ
لِمِثْلِهِمَـــا مِـــنْ مَنْـــزَهٍ وَنَزَاهَـــةٍ
يُجَـــرُّ ذَيْـــلَ الذَيْلِ كُلُّ مُوَفَـــقِ
فَلِلَّـــهِ سَاعَـــاتٌ مَضَيْـــنَ صَوَالِـــحٌ
عَلَيْهِنَّ مِنْ زَيِّ الصِّبَـــا أَيُّ رَوْنَـــقِ
خَلَعْنَـــا عَلَيهَـــا النُّسْـــكَ إِلاَّ أَقَلَّـــهُ
وَإِنْ عَاوَدَتْ، نَخْلَعُ عَلَيْهَا الَّذِي بَقِي

"

ثم يكمل قوله نثراً، ويتبعه بالشعر:

"ولما نضب ماء الأصيل، ورق نسيمه العليل، وهم العشي بالانصرام، وودع النهار بسلام، وأرخى الليل فوقنا سدوله، وجرر على الأفق ذيوله؛ عدنا إلى زورقنا ذلك، ومُحَيَّا الجو غير محتجب، ووجه الأفق غير متلفع بثوب الغمام ولا منتقب، وقد تشكلت الكواكب في الماء؛ فكأنما يجري بنا زورقنا في السماء. فأمروا أعزهم الله بوصف تلك الحالة؛ فبادرتهم بهذه العجالة":

وَلَيْلِ مَسَرَّةٍ مَا زِلْتُ مِنهَا
أمُرُّ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمِ

لَبِسْتُ ثِيَابَهُ عِزا إلَي أنْ
تَحَدَّرَتِ النُّجُومُ مِنَ النُّجُومِ

فَنَهْرٌ كَالسَّجَنْجَلِ قَدْ تَرَاءَتْ
عَلَى شَطَّيْهِ جَنَّاتُ النَّعِيمِ

يَسُرُّ النَّفْسَ فِي نَظَرٍ وَشِيمِ
مِنَ المَرْأى الوَسِيمِ أَوِ النَّسِيمِ

تَشَكَّلَتِ الكَوَاكِبُ فِيهِ حَتَّى
جَرَتْ فِي قَعْرِهِ شُهُبُ النُّجُومِ

"

وَأَشْكَـــلَ مَنْظَـــراً عُلْـــواً وَسُفْـــلاً
مِنَ الفَلَـــكِ الأَثِيـــرِ إِلَى التُّخُـــومِ
فَمَـــا تَمْتَـــازُ أَرْضٌ مِـــنْ سَمَـــاءِ
وَحُوتُ المَـــاءِ مِنْ حُوتِ النُّجُـــومِ

وهـــذه القصيـــدة أوردهـــا العبـــدري في رحلتـــه؛ كمـــا نقلهـــا المقـــري في كتابـــه نفـــح الطيـــب؛ بعـــد أن مهـــد لهـــا بقولـــه: **((قصيـــدة مشهـــورة عنـــد العلمـــاء بالمغـــرب؛ وهي مـــن در النظـــام، وحـــر الكـــلام؛ وقـــد ضمنهـــا ذكـــر البـــلاد الـــتي رآهـــا في ارتحالـــه مـــن قسمطينـــة إلى مراكـــش؛ وأولهـــا:))**.[1]

أَلاَ قُـــلْ لِلسَّـــرِيِّ ابْنِ السَّـــرِيِّ
أَبِي البَـــدْرِ الجَـــوَادِ الأَرْيَـــحِيِّ

ومنهـــا:

وَكُنْتُ أَظُـــنُّ أَنَّ النَّـــاسَ طُـــرًّا
سِـــوَى زَيْدٍ وَعَمْرٍو غَيْـــرُ شَيِّ
فَلَمَّـــا جِئْـــتُ مِيلَـــةَ خَيْـــرَ دَارٍ
أَمَالَتْـــنِي بِكُـــلِّ رَشَـــا أَبِـــيِّ

---

[1] ج: 2، ص: 483.

"

وَكَــــمْ أوَّرَتْ ظِبَــاءُ بَني ورَار
أوَارَ الشَّـــوْق بالرِّيِّــقِ الشَّـــهِيِّ
وَجِئْـــتُ بِجَايَة فَجَلَتْ بُــدُوراً
يَضِيــقُ بوَصْفِهَا حَرْفُ الــرَّوِيِّ
وَفِي أرْضِ الجَزَائِــرِ هَامَ قَلْــبِي
بمَعْسُــول المَرَاشِــفِ كَوْثَــرِيِّ
وَفِي مِلْيَانَــةٍ قَدْ ذبْـــتُ شَوْقــاً
بلِيــنِ العِطْفِ وَالقَلْبِ القَــسِيِّ
وَفِي تَنسٍ نَسَيْتُ جَمِيلَ صَبْــرِي
وَهِمْـــتُ بكُلِّ ذِي وَجْــهٍ وَضِيِّ
وَفِي مَازُونَـــةٍ مَا زِلْــتُ صَبَّــا
بوسْنَــانِ المَحَاجِــرِ لَــوذَعِيِّ
وَفِي وَهْــرَانَ قَدْ أمْسَيْتُ رَهْنَــاً
بظَــامِي الخَصْرِ ذِي رِدْف رَوِيِّ
وَأبْــدَتْ لِي تِلِمْسَــانٌ بُــدُوراً
جَلَبْــنَ الشَّــوْقَ لِلْقَلْبِ الخَــلِيِّ
وَلَمَّا جئتُ وَجْدَة هِمْتُ وَجْــداً
بمُنْخَنــثِ المَعَاطِــفِ مَعْنَــوِيِّ
وَحَلَّ رَشَــا الرِّبَاطِ رِشَا رِبَــاطِي
وَتَيَّمَــنِي بِطَــــرْفٍ بَابِــلِيِّ

"

وَأطْلَــعَ قُطْرُ فَاسٍ لِي شُمُوســـاً
مَغَارِبهـــنَّ فِي قَلْـــبِ الشَّـــجِيِّ
وَمَــا مَكْنَاسَـــة إلاَّ كِنَـــــاسٌ
لأحْوَى الطَّرْفِ ذِي حُسْنٍ سَـــنِيِّ
وَإنْ تَسْألْ عَنَ ارْضِ سَلاَ فَفِيهَـــا
ظِبَـــاءٌ كَاسِـــرَاتٌ لِلْكَـــمِيِّ
وَفِي مَرَاكِـــشٍ يَا وَيْـــحَ قَلْـــبي
أَتَى الوَادِي فَطَـــمَّ عَلَى القَـــرِيِّ
بُـــدُورٌ بَلْ شُمُـــوسٌ بَلْ صَبَـــاحٌ
بَـــهيٌّ فِي بَـــهيٍّ فِي بَـــــهِيٍّ
أبَحْـــنَ مَصَارِعَ العُشَّـــاق لَمَّـــا
سَعَيْـــنَ بِهِ فَكَـــمْ مَيْـــتٍ وَحَيِّ
بِقَامَـــةِ كُلِّ أسْمَـــرَ سَمْهَـــرِيِّ
وَمُقْلَـــةِ كُلِّ أبْيَـــضَ مشْـــرَفِيِّ
إذَا أنْسَيْنَـــنِي حُسْنـــاً فَـــإنِّي
أنَسِّيهـــمْ هَـــوَى غَيْـــلاَنِ مَـــيِّ
فَهَا أنَا قَد تَخَذتُ الغَـــرْبَ دَاراً
وَأدْعَى اليَـــــوْمَ بِالمَرَاكِـــشِيُّ
عَلَى أنَّ اشْتِيَـــاقِي نَحْـــوَ زَيْـــدٍ
كَشَوقِكَ نَحْوَ عَمْـــرٍو بِالسَّـــوِيِّ

"

تَقَسَّمَنِي الهَـــوَى شَرقـــاً وَغَرْبـــاً
فَيَـــا لِلْمَشْــــــرِقِيِّ المَغْــــــرِبِيِّ
فَلِي قَلْبٌ بِأَرْضِ الشَّــــرْق عَـــانٍ
وَجِسْمٍ حَلَّ بالغَــــرْبِ القَـــصِيِّ
فَهَـــذَا بِالغُـــدُوِّ يَهِيـــمُ غَرْبـــاً
وَذَاكَ يَهِيـــمُ شَرْقـــاً بِالعَـــشِيِّ
فَلَوْلاَ اللـــَّهُ مـــتُّ هَوًى وَشَوقـــاً
وَكَـــمْ لِلَّـــهِ مِنْ لُطْـــفٍ خَـــفِيِّ

ـ ثم **أبو بكر محمد بن علي بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن زكرياء بن عبد الله بن إبراهيم بن حسنون البياسي الكتامي** (ت: سنة 604هـ/1207م)؛ أخذ القراءات عن أبيه وآخرين؛ ولي الصلاة، والخطبة ببلده بياسة. ويعتبر من القراءِ الماهرين؛ ومن أصحاب الضبط المحققين، وكان صحيح الرواية.

ـ ثم **أبو جعفر أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن يحيى بن إبراهيم بن يحيى بن خلصة القرطبي الكتامي** (توفي بقرطبة في حدود عام 609هـ/1212م)؛ وهو أستاذ، وعالم في القراءات؛ ولي الخطابة بقرطبة، وقام بتدريس علوم العربية، وآدابها، والقراءات.

"

ـ ثم **أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى القرطبي الكتامي** المعروف بابن القطان (توفي بسلجماسة سنة 628هـ/1230م)؛ وهو من علماء الحديث. كان بارعا في التمحيص، والنقد؛ مهتما بالضبط، والتقييد؛ عارفا بعلل الحديث؛ حريصا على ذكر الرجال، والتاريخ. ولي القضاء بسجلماسة. ومن مؤلفاته: كتاب الوهم والإيهام الواقِعَيْن على كتاب الأحكام؛ وهو نقد لأحكام أبي محمد عبد الحق بن الخراط الإشبيلي، وله أيضا مقالة في الأوزان، وكتاب النظر في أحكام النظر، وبرنامج؛ ذكر فيه شيوخه، ونظم الجمان في أخبار الزمان.

ـ ثم **أبو محمد عصام بن أحمد بن محمد ابن إبراهيم بن يحيى بن خلصة القرطبي الكتامي** (توفي بقرطبة سنة 631هـ/1233م)؛ متمكن من علوم اللسان؛ سواء كانت نحوا أو لغة أو أدبا؛ وله إلمام بالتاريخ؛ كما خلف أباه في الخطابة، والإقراء.

"

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن عثمان بن عبد الجبار المتوسي الملياني الكتامي** (توفي بمليانة سنة 644هـ/1246م)؛ عالم في العربية، والفقه، وأصول الدين؛ كما كان يميل إلى التصوف، وينكب على العبادة؛ له تقييدات على كتاب التلقين لمحمد بن علي المازري. وقد علق على ذلك الغبريني بقوله: **((وكان له في "التلقين" تقدم، ونظر لم يكن لغيره، ولم يكن مثل في غيره من الكتب؛ وإن كان الرجل إماما في الفقه؛ ولكنه في هذا الكتاب أجل من غيره من الكتب؛ وله عليه تقييد فيه تنبيهات خفيفة؛ سمعت أنه كمل بعض ما فات المازري على التلقين)).**[1]

ـ ثم **أبو زكرياء يحيى بن زكرياء بن محجوبة السطيفي الكتامي** (توفي ببجاية سنة 677هـ/1278م)؛ وهو صوفي؛ رحل إلى المشرق، وعاد؛ حيث استقر ببجاية. له كتاب في شرح أسماء الله الحسنى، وله أيضا تقاييد في التصوف؛ وكان ينظم الشعر الصوفي؛ منه:

---

[1] عنوان الدراية، ص: 188.

"

أتَـــتْ وَاللَّيْـــلُ مَمْـــدُود الجَنَـــاحْ
تَعُـــودُ مُسْهَداً رَطْـــبَ الجِـــرَاحْ
فَقَالَـــتْ: كَيْفَ أنْتَ وَلاَ جَنَـــاح؟
فَقُلْـــتُ: العَودُ يَذهَبُ بِالجَنَـــاحْ
فَوَالَهْـــفِي عَلَى الشَّكْـــوَى لِسَـــارِ
وَوَاجَزَعِي لإعْجَـــالِ الصَّبَـــاحْ

ـ ثـــم **أبـــو الحســـن عـــلي بـــن محمـــد بـــن عـــلي ابـــن يوســـف الإشبيـــلي الكتـــامي** المعـــروف بابـــن الضايـــع (ت: سنـــة 680هــ/1281م)؛ كتـــب عنـــه ابـــن الخطيـــب نقـــلا عـــن أبي جعفـــر بـــن الزبيـــر: ((**قـــال الأستـــاذ أبـــو جعفـــر بـــن الزبيـــر: بلـــغ** [ابـــن الضائـــع] **الغايـــة في الفـــن النحـــوي، وفـــاق أصحـــاب الأستـــاذ أبي عـــلي الشلوبيـــن بأسرهـــم؛ ولـــه في مشكـــلات الكتـــاب العجايـــب. وقـــرأ ببلـــده أيضـــا علـــم الكـــلام، وأصـــول الفقـــه؛ وكـــان متقدمـــا في هـــذه العلـــوم الثلاثـــة، متصرفـــا فيهـــا. أمـــا فـــن العربيـــة، وعلـــم الكـــلام؛ فلـــم يكـــن في وقتـــه مـــن يقاربـــه في هذيـــن العلميـــن. أمـــا فهمـــه، وتصرفـــه في كتـــاب سيبويـــه؛ فمـــا أراه يسبقـــه في ذلـــك أحـــد. ولـــه إمـــلاء عـــلى طايفـــة كبيـــرة مـــن إيضـــاح الفـــارسي. وكـــان لـــه اعتنـــاء كبيـــر بكـــلام**

"

الفارسي على الجملة... وكان بالجملة إماما في هذا كله؛ لا يجارى)).[1] من مؤلفاته: شرح جمل الزجاجي؛ الكبير، والصغير، وكتاب شرح سيبويه، والرد على ابن عصفور. وفيه يقول ابن الأزرق الوادي آشي:

بَضَائِعُكَ ابْنَ الضَّائِعِ النَّدْبَ قَدْ أَتَتْ
بحَظٍّ مِنَ التَّحْقِيقِ وَالعِلْمِ مَوْفُورِ
فَطِرْتَ عُقَاباً كَاسِراً أَوَمَا تَرَى
مَطَارَكَ قَدْ أَعْيَا جَنَاحَ ابْن عُصْفُورِ

ـ ثم **أبو مروان عبد الملك بن محمد ابن إسحاق الكتامي** (توفي بأزمور سنة 693هـ/1293م)؛ وهو فقيه صالح.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الضرير التلمساني الكتامي** المعروف بابن الخضار (ت: سنة 727هـ/1229م)؛ فقيه، ومن علماء الحديث.

---

[1] **الإحاطة، ج: 4، ص: 120.**

"

ــ ثم **أبو عبد الله محمد بن محمد عيسى الزنديوي (الكتامي** (ت: سنة 882هـ/1477م)؛ فقيه، ومفسر؛ ولي القضاء بمدينة قسنطينة في سنة 839هـ/1435م.

ــ ثم **أبو عبد الله محمد بن غازي العثماني** (أو الغسماني) **الكتامي** (توفي بفاس سنة 929هـ/1522م)؛ فقيه؛ ولي الإمامة، والخطابة بجامع القرويين؛ كما كان شيخا للجماعة بفاس. وله مشاركة في التاريخ؛ من مؤلفاته: الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون. وفهرست بعنوان: التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والنادي.

ــ ثم **قاسم بن يحيى بن محمد الفكون القسنطيني الكتامي** (ت: سنة 965هـ/1557م)؛ فقيه مالكي، ومفسر؛ له مشاركة في علوم عديدة؛ ولي القضاء، والإمامة بقسنطينة.

ــ ثم **عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون القسنطيني الكتامي** (توفي في قسنطينة بالطاعون سنة 1073هـ/1662م)؛ وهو عالم المغرب الأوسط في وقته. كان أديبا ونحويا، وعالما في الحديث؛ جمع بين: علمي الظاهر، والباطن. وكان أميرا للحج؛ فهو الذي يقود

"

حجاج الجزائر إلى الديار المقدسة. تصوف؛ فأضحى منقبضا، ومتزويا عن الناس؛ وترك كثيرا من العلوم الدنيوية التي كان — من قبل — مهتما بها، وكان إماما يقتدي الناس به فيها، وتعددت تآليفه عنها؛ وشهد له بالتقدم على أهل عصره فيها. ولما تذكر أعماله في تلك العلوم أمامه؛ يقول: "قرأتها لله، وتركتها لله".
من مؤلفاته: شرح على البسط والتعريف في علم التصريف؛ للمكودي، وشرح على شواهد الشريف على الأجرومية، ورسالة محدد السنان في نحور إخوان الدخان؛ وهي في تحريمه، وديوان في مدح النبي العربي الكريم صلى الله عليه وسلم؛ رتبه على حروف المعجم، وشرح جمل المجراد ومخارج الحروف من الشاطبية، وتأليف في حوادث فقراء الوقت؛ ربما كان هو منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية.
هذا ونشر له المقري خطابا أرسله إليه، مع قصيدة؛ منها:

لاَ زِلْتَ بَحْراً بكُلِّ فَن
يَرْوِي بِهِ الطَّالِبُونَ غَايَهْ

"

لَقَـــدْ تَصَـــدَّرْتَ فِي المَعَـــالِي
كَمـَــا تَعَالَيْـــتَ فِي العِنَايَـــهْ
مِنْ فِيـــكَ تُسْتَنْظَـــمُ المَعَـــانِي
بُلِّغْـــتَ فِي حُسْنِهَـــا النِّهَايَـــهْ
رَقَّـــاكَ مَـــوْلاكَ كُـــلَّ مَـــرْقًى
تَحْـــوِي بِهِ القُـــرْبَ وَالوِلاَيَـــهْ
أعْجُوبَـــة مَـــا لَهَـــا نَظِيـــرٌ
فِي الحِفْـــظِ وَالفَهْـــمِ وَالهِدَايَـــهْ
بِجَـــاهِ خَيْـــرِ العِبَـــادِ طُـــراً
وَالآلِ وَالصُّحْـــبِ وَالنُّقَايَـــــهْ
صَـــلَّى عَلَيْـــهِ الإلَـــهُ تَتْـــرَى
نُكْـــفِي بِـــهِ الشَّـــرَّ وَالغِوَايَـــهْ

ــ ثـم **أبـو عبـد اللـه محمـد بـن عبـد الكريـم ابـن محمـد بـن عبـد الكريـم الفكـون القسنطـني الكتـامي** (تـوف بعـد عـام 1073هــ/1662م)؛ خلـف والـده في إمـارة الحـج. وكـان عالما في الفقـه المالـكي.

OOO

هؤلاء بعض علماء، وأدباء كتامة؛ وبقي الآن الحديث عن رجال كتامة؛ ممن تخصص في فن السيف والسياسة. من هؤلاء:

ـ **مهدي بن كناوة** (أو أبي كناوة) **اللهيصي الكتامي** (توفي مقتولا بعد عام 288هـ/900م)؛ وهو شيخ لهيصة، وزعيمها. كان فارسا مقداما، ومقاتلا شجاعا. عارض الدعوة الفاطمية منذ البداية؛ وظل في موقفه المعادي لأبي عبد الله الداعي؛ حتى قتله أخوه أبو مديني ابن كناوة؛ الذي كان متحمسا للدعوة الشيعية. وقد سجل القاضي النعمان خبره؛ فقال: **((وكان جميع المؤمنين أنصار غشمان** (أو غسمان أو عثمان)، **والجماعة المخالفون أنصار لهيصة؛ وكان صاحب أمرهم مهدي بن أبي كناوة؛ وكان أخوه أبو مديني قد دخل الدعوة، وصار إلى أبي عبد الله مهاجرا؛ وكانت له بصيرة ونية ونجدة. وكان أخوه مهدي من أشد فارس كان** (هكذا) **في عصره، وأهوله منظرا. يقال أنه كان أشعر البدن كله؛ هائل المنظر، شديد الضربة. فيقال: أن الأولياء احتالوا عليه في بعض تلك الحروب؛ وقد زحف إليهم، والتحم القتال؛**

"

وفي موضع المعركة مقبرة فيها قبور محجر عليها؛ فأدخلوا له رجالا من أشد من قدروا عليه في ذلك التحجير؛ وقدموا إليه فارسا ليجره إليهم؛ فشتمه، وأغضبه؛ فحمل عليه؛ وانجر له الفارس إلى موضع الرجالة؛ فرماه مهدي برمح؛ فأصابه؛ فأنفذه، وسقط الرمح بين يدي الفارس؛ وظن الناس أنه قد أخطأه؛ فما علموا أنه أصابه حتى رأوه قد سقط عن برذونه؛ وخرج الرجال على مهدي؛ فأخذوا عنانه، وأحاطوا به؛ وحملت الخيل عليه؛ فضرب في الرجالة؛ ففرقهم؛ وحمى نفسه من الخيل؛ وخلص منهم. فكان من شأنه من يومئذ أعجوبة؛ لم ير الناس مثلها)).[1] وهكذا لما عجز الآخرون عن قتل الخصم العنيد للدعوة؛ مهدي ابن كناوة؛ تولى أخوه أبو مديني المهمة. فتم له ذلك بواسطة مكيدة، وخيانة. وبموت مهدي توحد الحيان: غسمان ولهيصة؛ في ظل الدعوة الشيعية.

---

[1] رسالة افتتاح العوة، ص ص: **106 ـــ 107**.

"

ـ ثم **فتح بن يحيى المسالتي الكتامي** المعروف بالأمير (توفي مقتولا سنة 293هـ/905م)؛ وهو من أعيان كتامة الموالين للأغالبة. بقي على عدائه للشيعة حتى قتله أبو عبد الله الداعي؛ عندما فتح طبنة.

ـ ثم **لاوه بن صوحان اللهيصي الكتامي** (كان حيا سنة 288هـ/900م)؛ لم تشر إليه المصادر بعد عام 288هـ/900م. وهو العام الذي تآمر فيه مع أبي مديني لقتل أخيه مهدي. وقد ذكر القصة النعمان؛ فقال: **((وطالت الحرب بين الفريقين** (قبيلة غسمان المناصرة للداعي، وقبيلة لهيصة المعادية له)؛ **ينتصف بعضهم من بعض؛ فلما نظر أبو مديني إلى تمادي أخيه مهدي في غيه، وإصراره؛ اغتم لذلك وساءه؛ وكان ربما وقف إليه؛ فوعظه، ودعاه إلى الله، وخوفه، وحذره عقابه؛ فلا يزداد على ذلك إلا غيا، وتماديا. فلما رآه لا ينصرف عن ذلك؛ اجتمع مع فتى من لهيصة؛ كان قد صار إلى الدعوة، وهاجر إلى تازروت في من هاجر من المؤمنين؛ يقال له لاوة بن صوحان؛ وكان له شدة، ونجدة. فقال له أبو مديني؛ وقد خلا معه: "ويحك فقد ترى**

"

تمادي مهدي؛ وما أكسبنا من العار، وأدخل لهيصة فيه؛ من الخلاف، والعصيان. ولو قد أراح الله منه لافترق أمر لهيصة، وصاروا إلى الدين. فقد رأيت أن وصاروا إلى الدين. فقد رأيت أن نجتمع؛ أنا وأنت؛ إذا التقينا، ونخرج ناحية إليه؛ على حسب ما كنت أفعله؛ لنعظه، ونكلمه؛ فإذا أمكننا؛ رميناه جميعا؛ برمحين في ساعة واحدة؛ فإن اتقى؛ فلعله أن يتقي أحدهما؛ ولعل الله أن يريح منه، ويقطع أثره. فاتفقا على ذلك، وتعاقدا عليه. فلما التقوا للحرب؛ خرجا ناحية، وَدَعَوَا به؛ فأقبل إليهما؛ وكلمه أخوه أبو مديني؛ بمثل ما كان يكلمه؛ حتى أنس إليه؛ ثم ضرباه جميعا ضربة رجل واحد؛ فاختلف رمحاهما فيه؛ فسقط إلى الأرض. وحمل الأولياء عليه؛ وحملت لهيصة؛ فاستنقذته، وحملته؛ فمات من جراحته تلك؛ بعد أن وصل إلى موضعه. وتفرق أمر لهيصة من بعده، وأقبلوا إلى الدعوة؛ واصطلح غشمان، ولهيصة، وتآلفوا على الدين)).[1]

[1] رسالة افتتاح العوة، ص ص: 107 ــــ 108.

"

ـ ثم **أبو مديني بن كناوة اللهيصي الكتامي** (كان حيا سنة 296هـ/908م)؛ انضم إلى الدعوة الشيعية منذ بدايتها. وقد وصل تعصبه للدعوة؛ انه قتل أخاه مهدي؛ بعد استدراجه؛ وخيانة ثقته فيه. وقد أضحى منذ ذاك التاريخ محل ثقة أبي عبد الله الداعي؛ الذي كان يكلفه في المهام الصعبة؛ على رأس جيشه.

ـ ثم **أبو زاكي تمام بن معارك بن ضبارة** (أو دبَّارة) **الأجاني الكتامي** (توفي مقتولا سنة 298هـ/910م)؛ وهو من القادة الكتاميين الذين قامت على كاهلهم الدولة الفاطمية ببلاد المغرب. وهو ممن يثق فيهم الداعي؛ إذ كان يوليه المهام الكبرى عند الحاجة. تآمر مع أبي عبد الله الداعي، وأخيه أبي العباس على نقض طاعة عبيد الله الشيعي. فلما انكشف أمرهم قتلهم؛ وكان مقتل تمام بواسطة عمه ماقنون؛ الذي كان واليا على طرابلس؛ إذ بعثه إليه عبيد الله برسالة حملها معه؛ ولما فتحها عمه؛ وجد بها الأمر بقتل تمام. ولما عرضها قنون على ابن أخيه أجابه: "يا عم؛ نفذ ما أمِرْت به!" فنفذ فيه الأمر.

"

ـ ثم **هارون بن يونس المسالتي الكتامي** المعروف بشيخ المشائخ (ت: مقتولا سنة 298هـ/910م)؛ وهو من الذين قامت بسواعدهم الدولة الفاطمية ببلاد المغرب. قتله عبيد الله الشيعي بتهمة التآمر عليه مع عبد الله الداعي، وأخيه أبي العباس.

ـ ثم **أبو حميد دواس بن صولات اللهيصي الكتامي** (توفي مقتولا بعد عام 299هـ/911م)؛ وهو من قادة كتامة الذين قامت بسواعدهم الدولة الفاطمية. ولاه أبو عبد الله الداعي تيهرت؛ بعد فتحها، وإسقاط الدولة الرستمية.

ـ ثم **كادو بن معارك الكتامي** المعروف بالمارطِيِّ (توفي مقتولا سنة 300هـ/912م)؛ كان صغير السن عندما قدمه قومه الكتاميون عليهم، وادعوا أنه المهدي الحقيقي. وفي هذا يقول ابن عذاري: ((**ولحق من كان حوالي رقادة من كتامة ببلادهم. فلما حصلوا بها؛ أظهروا الخلاف على عبيد الله؛ وقدموا على أنفسهم حدثا يعرف بالمارطي؛ واسمه كادو ابن معارك، وجعلوه قبلة يصلون إليه؛ وزعموا أنه المهدي المنتظر؛ وكتبوا كتابا فيه شريعة؛ زعموا أنها نزلت عليه. فتغلب على**

"

جميع الزاب؛ وقوي أمره، واشتدت شوكته. فأخرج إليه عبيد الله قوادا؛ حاربوهم. وهرب إليهم أحد القواد؛ وهو صولات ابن جندة؛ في نحو مائتي رجل. ثم أخرج عبيد الله ابنه أبا القاسم إلى بلد كتامة؛ لمحاربة المارطي... وكانت له على المارطي وقائع. وهرب من قواد أبي القاسم إلى المارطي رجال؛ ثم أمنهم أبو القاسم، ولاطفهم حتى انصرفوا إليه)).[1] ويبدو أن كلمة مارطي هي نتيجة للتصحيف الذي لحق كلمة ماوطي؛ نسبة إلى فخذ ماوطنت؛ التابع لبطن غرسن؛ من كتامة. هذا وقد تم قتل المارطي (أو بالأحرى ماوطي)، وأنصاره؛ بعد أسرهم، ونقلهم إلى رقادة.

ـ ثم حباسة بن يوسف الملوسي الكتامي (توفي مقتولا سنة 302هـ/914م)؛ وهو أحد كبار القادة في الدولة الفاطمية؛ وممن قامت على عاتقهم الدولة الفاطمية ببلاد المغرب. كما تولى مهمة فتح سرت، وأجدابية، وبرقة؛ ونكل بأهلها؛ بوصية من أبي عبيد الله الشيعي؛ لسوء معاملتهم له عند قدومه من

---

[1] البيان المغرب، ج: 1، ص ص: 166 ــ 167.

"

المشرق. وكان أيضا هو فاتح الإسكندرية؛ إلى جانب أبي القاسم بن عبيد الله الشيعي سنة 302هـ/914م، ثم انتقل أبو القاسم إلى الفيوم؛ وهنا حدث الخلاف بينهما؛ إذ أرسل إليه أبو القاسم أبو فريدن القائد ليخلفه؛ على أن يلحق به حباسة إلى الفيوم؛ فغضب حباسة وقال: "لما أشرفت على أخذ البلد؛ يفوز أبو فريدن بخيره وذكره"؛ ثم ركب مع ثلاثين فارسا من كتامة، وعاد إلى المغرب؛ قاصدا تيهرت؛ حيث كان أخوه عروبة واليا عليها؛ ولكن قبض عليه في الطريق، وقتل مع أخيه عروبة. وهكذا انتهت هذه الحملة على مصر بانهزام أبي القاسم، وعودته إلى رقادة.

ـ ثم **أبو ميمون عروبة** (أو غَزَوَيْه) **بن يوسف الملوسي الكتامي** (توفي مقتولا سنة 302هـ/914م)؛ أحد كبار القادة في الدولة الفاطمية؛ وهو من الذين قامت بسواعدهم الدولة الفاطمية ببلاد المغرب. عين واليا على تيهرت. وهو الذي نفذ أمر عبيد الله الشيعي في أبي عبد الله الداعي، وأخيه أبي العباس؛ إذ قتلهما قائلا لأبي عبد الله "أمرني بقتلك من أمرت الناس بطاعته، وانخلعت له من الملك بعد توطئته"؛ ثم طعنه. وذكر ابن

"

عــذاري نــادرة؛ جــاء فيهــا: **((وحــدث الثقــة أن أبــا عبــد اللــه نــام يومــا بحضــرة أصحابــه. وعنــده جماعــة مــن دعــاة كتامــة؛ فتحــرك في نومــه؛ فانكشفــت سوءتــه؛ فنظــر بعضهــم إلى بعــض؛ ولــم يقدمــوا أن يستــروه؛ فمــد عروبــة ابــن يوســف يــده إلى الملحفــة الــتي كانــت عليــه؛ فستــره بهــا. وانتبــه أبــو عبــد اللــه؛ فقــال: " مــن ستــرني إذا انكشــف؟" فقالــوا لــه: "عروبــة"؛ فقــال: "هــو واللــه قاتــلي". فجعــل عروبــة يبــكي بيــن يدييــه، ويقــول: "ياسيــدي مــر بقتــلي"؛ فقــال لــه: "لا سبيــل إلى ذلــك؛ لكنــك واللــه قاتــلي)).**[1] ومــع هــذا فقــد دارت الدوائــر عــلى عروبــة؛ بعــد خروج أخيــه حباســة عــن طاعــة الدولــة؛ فحــاول الهــرب؛ ولكــن قبــض عليــه؛ وأعــدم مــع أخيــه. وجــاء في المصــادر التاريخيــة؛ أن رأسيهمــا عرضــا عــلى عبيــد اللــه الشيــعي؛ فقــال عنــد مشاهدتهمــا: " مــا أعجــب أمــور الدنيــا! هــذه الــرؤوس ضــاق بهــا المشــرق والمغــرب؛ وحملتهــا هــذه القفــة".

---

[1] البيــان المغــرب، ج: 1، ص: 164.

"

ــ ثــم **أبــو حــدو الكتــامي** (كــان حيــا سنــة 303هــ/915م)؛ وهــو مــن القــادة الكتاميــين الذيــن كانــوا ضمــن الجيــش الفاطــمي الزاحــف عــلى مصــر. انتهــز فرصــة مــا؛ وهــرب إلى الجيــش العبــاسي؛ فاستقبــل بحفــاوة؛ ثــم أرســل إلى بغــداد؛ أيــن بــقي في خدمــة الخلافــة العباسيــة.

ــ ثــم **أبــو مديــن بــن فــروخ اللهيــصي الكتــامي** (تــوفي ببرقــة سنــة 306هــ/918م)؛ وهــو مــن قــادة الدولــة الفاطميــة ببــلاد المغــرب. أعــاد فتــح برقــة؛ بعــد خروجهــا عــن الطاعــة؛ ثــم أسنــدت إليــه ولايتهــا حــتى مماتــه.

ــ ثــم **أبــو معلــوم فحلــون الكتــامي** (تــوفي مقتــولا سنــة 310هــ/922م)؛ وهــو مــن قــادة الدولــة الفاطميــة ببــلاد المغــرب؛ بعثــه عبيــد اللــه إلي جبــل أوراس؛ قصــد إخضــاع سكانــه؛ فأســاء السيــرة فيهــم؛ فقتلــوه، وممــن معــه مــن جنــد كتامــة كافــة.

ــ ثــم **معــلى بــن محمــد الملــوسي الكتــامي الــداعي** (تــوفي مقتــولا سنــة 315هــ/927م)؛ وهــو مــن الدعــاة للمذهــب الشيــعي؛ في الدولــة الفاطميــة ببــلاد المغــرب. أرسلــه أبــو القاســم بــن عبيــد اللــه مقيــدا إلى أبيــه برقــادة؛ فأمــر بقطــع رأســه.

"

ـ ثـم **أبـو مالـك بـن يغمراسـن بـن شُحْمة اللهيصي الكتامي** (كان حيا سنة 323هـ/934م)؛ ولي على تيهرت في ظل الدولة الفاطمية؛ فقام عليه أهلها؛ وأخرجوه منها سنة 223هـ/934م.

ـ ثـم **موسى بن محمد الكتامي** (كان حيا سنة 349هـ/960م)؛ وهو من قادة الجيش في الدولة الفاطمية ببلاد المغرب.

ـ ثـم **أبـو يوسف ماقنون** (أو ماكنون) **ابن ضبارة** (أو دبّارة) **الأجاني الكتامي** (كان حيا سنة 349هـ/960م)؛ وهو من قادة الدولة الفاطمية بالمغرب؛ ممن أقاموها، ووطدوا أركانها. والي طرابلس، ثم ميلة في عهد الفاطميين.

ـ ثـم **يعقوب الكتامي** (كان حيا سنة 349هـ/960م)؛ كان رئيسا للبحر في الدولة الفاطمية ببلاد المغرب. وكان موصوفا بالشجاعة، والإقدام؛ قاد النجدة البحرية؛ التي وجهت إلى الإسكندرية؛ لدعم أبي القاسم بن عبيد الله عام 306هـ/918م؛ ولكن الحملة فشلت، وأسر يعقوب؛ وأرسل إلى بغداد؛ ولكنه تمكن من الهرب، والعودة إلي إفريقية.

"

ـ ثم أبو علي جعفر بن فلاح بن مرزوق الكتامي (توفي مقتولا بالشام سنة 360هـ/970م)؛ وهو أحد القادة الكبار في جيش الدولة الفاطمية. جهزه المعز لدين الله الفاطمي مع جوهر الصقلي لفتح مصر؛ ولما تحقق لهما ذلك؛ وجهه جوهر على رأس جيش لفتح الشام؛ فتم له ذلك. ولما زحف إليه الحسن بن أحمد القرمطي؛ كان آنئذ جعفر مريضا على نهر يزيد؛ فخرج إليه بعلته فظفر به القرمطي، وقتله. وعنه يقول ابن خلكان: **((قال بعضهم: قرأت على باب قصر القائد جعفر بن فلاح المذكور؛ بعد قتله؛ مكتوبا:**

يَا مَنْزِلاً عَبَثَ الزَّمَانُ بِأهْلِهِ
فَأَبَادَهُمْ بِتَفَرُّق لاَ يُجْمَعُ
أيْنَ الذِّينَ عَهِدْتُهُمْ بِكَ مَرَّةً
كَانَ الزَّمَانُ بِهِمْ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ
ذَهَبَ الذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ
وَبَقى الذِينَ حَيَاتُهُمْ لاَ تَنْفَعُ

"

وكان جعفر المذكور رئيسا جليل القدر؛ ممدوحا؛ وفيه يقول أبو القاسم محمد بن هاني الأندلسي الشاعر المشهر:

كَانَتْ مُسَاءَلَةَ الرُّكْبَانِ تُخْبِرُنِي
عَنْ جَعْفرِ بْنِ فَلاَحِ أَطْيَبَ الخَبَرِ
حَتَى الْتَقَيْنَا فَلاَ وَاللَّهِ مَا سَمِعَتْ
أذنِي بِأَحْسَنَ مِمَّا قَدْ رَأى بَصَرِي)).

والناس يرون هذين البيتين لأبي تمام في القاضي أحمد بن داود؛ وهو غلط.)).[1] ولا بد من التنبيه إلى سقوط البيت الثالث من النسخة التي حققها إحسان عباس؛ وهي التي تشير إلى ما كتب على باب قصر جعفر؛ بينما أثبته ابن العماد الحنبلي؛ حين نقل الأبيات إلى كتابه شذرات الذهب.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن جعفر بن فلاح ابن مرزوق الكتامي** (توفي مقتولا بالقاهرة سنة 409هـ)؛ وهو أحد أكابر الوزراء في الدولة الفاطمية بمصر؛ فلقب بوزير الوزراء؛ ذي الرياستين الآمر، المظفر، قطب الدولة؛ وكان له النظر في شئون الدولة كلها. كما يعد

---

[1] ـ وفيات الأعيان، ج:1، ص ص: 361 ـــ 362 شذرات الذهب، ج: 3 ص: 29.

"

من قادة جيوشها الكبار؛ إذ قاد الجيوش الفاطمية نحو الشام. ولما مرض سنة 406هـ؛ ذهب الحاكم بأمر الله إلى داره لعيادته. وتم مقتله بمؤامرة؛ إذ قتل بواسطة فارسين متنكرين.

ـ ثم **سيف الدولة حسين** (أو طليب) **بن دواس الكتامي** (ت: سنة 411هـ)؛ كان من كبار القادة في الدولة الفاطمية بمصر. وهو الذي دبر مقتل الحاكم بالله الفاطمي؛ بإيعاز من أخته ست الملك. وكانت العلاقة قد ساءت بينه وبين الحاكم؛ فاستدعاه مرة إلى قصره؛ فلم يجبه؛ ولما التقيا في بعض المناسبات؛ سأله عن عدم تلبية طلبه؛ فأجاب: "لأن تقتلني في داري أحب إلي من أن تقتلني في قصرك". واستغلت ست الملك تغير الحال بينهما؛ فأوعزت إلى ابن دواس بقتل أخيها؛ على أن تطلق يده في شئون الدولة بعده؛ ولكنها خانته؛ بعد استكمال مهمته؛ وأمرت من قتله.

ـ ثم **أبو محمد سند الدولة الحسن بن محمد بن ثعبان الكتامي** (توفي بحلب سنة 415هـ/1024م)؛ أمير من أمراء الدولة الفاطمية؛ ولي على حصن أفامية بالشام، ثم ولي على

"

حلب. كان هو الذي أرسل إليه أبو العلاء المعري "الرسالة السَّنَدية" وهي في مجلد واحد.

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن شعيب أبي مدين بن مخلوف الغشماني** (العثماني) **الكتامي** (توفي مقتولا سنة 709هـ)؛ وهو من الفقهاء المنحدرين من بيت علم وورع؛ ولي خطة الكتابة، والعلامة في الدولة المرينية؛ ولكنه تعرض لمؤامرة من بعض اليهود؛ الذين بثوا الضغينة عليه؛ في قلب السلطان المريني؛ فقتله ظلما؛ ولكنه اكتشف الدسيسة ـ فيما بعد ـ ففتك بالمتآمرين من اليهود.

***

ـ ***مواطنهم:*** تمتد مواطن كتامة من تخوم بجاية غربا، إلى بونة شرقا، ومن سواحل البحر الأبيض المتوسط شمالا، إلى جبل أوراس جنوبا. قد لخصها ابن خلدون بقوله: **((وكانت بتلك المواطن بلاد مذكورة؛ أكثرها لهم، وبين ديارهم، ومجالات تقلبهم؛ مثل: ايكجان، وسطيف، وباغاية، ونقاوس، وبلزمة، ويتكست، وميلة، وقسنطينة، والسيكرة، والقل، وجيجل؛ من حدود جبل أوراس، إلى سيف البحر؛ ما**

"

بيـــن بجايـــة، وبونـــة... وكـــان مـــن هـــذه البطـــون (الكتاميـــة) بالمغـــرب الأقـــصى كثيـــر منتدبـــون عـــن مواطنهـــم، وهـــم بهـــا إلى اليـــوم)).[1]

É É É

7 ــ *كزولــــــة:*

لا يوجـــد الكثيـــر ممـــا يمكـــن أن يقـــال بخصـــوص **كزولـــة** أو (جزولـــة)**.** وكـــل مـــا هنـــاك؛ أن جدهـــم غيـــر معـــروف؛ وأنهـــم اخـــوة لصنهاجـــة ولمطـــة وهسكـــورة؛ مـــن أمهـــم المسمـــاة **تصـــكي العرجـــاء بنـــت زحيـــك بـــن مادغيـــس الأبتـــر.** ويقـــال أنهـــا تزوجـــت ــ بعـــد ذلـــك ــ مـــن أوريـــغ؛ فولـــدت لـــه هـــوار؛ وهكـــذا يصبـــح ــ بـــدوره ــ أخـــا لهـــم مـــن أمهـــم تصـــكي**.** ويقـــول ابـــن خلـــدون أن بطـــون كزولـــة كثيـــرة**.** وهـــم ظواعـــن؛ ينتجعـــون بأنعامهـــم في بـــلاد الســـوس**.** ومـــن أفخـــاذ كزولـــة فخـــذ يـــسمى يزدكتـــن؛ ببـــلاد الســـوس**.** وبعـــد دخـــول عـــرب المعقـــل إلى تلـــك الديـــار؛ تغلبـــوا عـــلى بطـــون كزولـــة، وأدرجوهـــم ضمـــن رعاياهـــم**.**[2]

! ! !

---

[1] **العبـــر مج: 6، ص: 301.**

[2] **العبـــر مج: 6، ص ص: 419 ـــ 420.**

"

ـ ***أعيانهم:*** اشتهر من هذه القبيلة عدد من العلماء؛ الذين خلفوا أثرا محمودا في بلاد المغرب كلها. من هؤلاء:

ـ **عبد الله بن ياسين بن مكوك بن سير علي بن ياسين الجزولي** (توفي بتامسنا سنة 451هـ/1059م)؛ كان فقيها مالكيا؛ درس العلم بالسوس؛ على واجاج بن زلو اللمطي. ولما وصل خطاب أبي عمران الفاسي إلى واجاج؛ طالبا فيه البحث عن فقيه؛ يتوجه مع زعيم صنهاجة إلى بلده في الصحراء؛ لكي يعلمهم دينهم. وقع اختياره على عبد الله بن ياسين؛ فأرسله معهم. فكان بينهم بمثابة ابن تومرت بين الموحدين؛ إذ أضحى زعيما روحيا لديهم؛ يطيعه الكبير والصغير فيهم. وكانوا لا يقدمون إلى إمامة الصلاة بينهم إلا من صلى خلف عبد الله بن ياسين. وكان يرافق الجيوش المرابطية في الغزوات. وتوفي مقتولا في إحداها.

ـ ثم **أبو موسى عيسى بن عبد العزيز بن يللبخت بن عيسى بن يوماريلي اليَزْدَكْتَنِي المراكشي الجزولي** (توفي بمراكش غير أن الآراء اختلفت في سنة الوفاة: 606 أو607 **أو** 610 أو616

"

أو617هـ/1209 أو 1210 أو 1213 أو 1219 أو 1220م)؛ وهو من علماء اللغة، والنحو. كما كان إماما في القراءات. رحل إلى المشرق؛ حيث حج؛ ثم انتقل إلى مصر؛ أين درس فيها على ابن بري الجمل؛ وقام بالتعليق عليها في تسجيلاته. ثم عاد إلى المغرب؛ حيث تصدر لتدريس النحو مدة طويلة في، والجزائر، والمرية. كما وُلِي خطة الخطابة بمراكش. من مؤلفاته: رسالة في النحو بعنوان: الجزولية، وشرح قصيدة بانت سعاد، وكتاب الأمالي في النحو، ومختصر شرح ابن جني لديوان المتنبي؛ وهو كتاب الفَسْر. قال عنه ابن خلكان: **((كان إماما في النحو؛ كثير الإطلاع على دقائقه، وغريبه، وشاذه. وصنف فيه المقدمة التي سماها القانون؛ ولقد أتى فيها بالعجائب؛ وهي في غاية الإيجاز؛ مع الاشتمال على شيء كثير من النحو؛ ولم يسبق إلى مثلها؛ واعتنى بها جماعة من الفضلاء فشرحوها؛ ومنهم من وضع لها أمثلة... وكان إماما في القراءات، والنحو، واللغة. وكان يتصدر في الجامع للإقراء؛ وأنه شرح مقدمته في مجلد كبير؛ أتى فيه بغرائب، وفوائد. وذكر بعض أصحابه أنه حضر عنده**

"

ليقـرأ عليـه قـراءة أبي عمـرو؛ فقـال بعـض الحاضريـن: "أتريـد أن تقـرأ عـلى الشيـخ النحـو؟" قـال: فقلـت: "لا". قـال: فسألـني آخـر كذلـك. فقلـت: "لا"؛ فأنشـد الشيـخ، وقـال: "قـل لهـم:

لَسْتُ لِلنَّحْوِ جِئْتُكُـمْ   لاَ وَ لاَ فِيـهِ أرْغَـبُ

خَـلِّ زَيْـدَاً لِشَأنِـهِ   أيْنَمَـا شَـاءَ يَذهَـبُ

أنَا مَا لِي وَلامْـرِيءٍ   أبَدَ الدَّهْرِ يَضْـرِبُ")).[1]

ـ ثـم أبـو فـارس عبـد العزيـز بـن تليـلا الجـزولي الشهيـر بالجـزولي (تـوفي بأزمـور سنـة 680هـ/1281م)؛ فقيـه مالـكي، ومفـتي؛ تصـدر للتدريـس بازمـور. ثـم اتجـه نحـو التصـوف، وكـان معظمـا مـن طـرف السلطـان أبي الحسـن المريـني.

ـ ثـم أبـو زيـد عبـد الرحمـن بـن عفـان الجـزولي (تـوفي بفـاس سنـة 741 أو 744هـ/1340 أو 1343م)؛ وهـو مـن كبـار العلمـاء في الفقـه المالـكي. قيـد طلبتـه نقـلا عنـه ثلاثـة شـروح عـلى رسالـة أبي زيـد؛ أولهـا في سبعـة مجلـدات، وثانيهـا في ثلاثـة مجلـدات، وثالثهـا في مجلديـن اثنيـن.

---

[1] وفيـات الأعيـان، ج: 3 ص ص: 488 ــ 490.

"

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الرزاق الجزولي** المعروف بابن الحاج (توفي بفاس سنة 758هـ/1356م)؛ عالم متفنن؛ له اهتمام بفنون عديدة. كان خطيبا بليغا، وكاتبا بارعا، وأديبا محنكا. ولي الخطابة والقضاء بفاس زمنا.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن سليمان بن داود الجزولي** (ت: سنة 863هـ/1458م)؛ وهو من علماء الفقه، والعربية، والحساب. مات أبوه وهو في الثامنة تقريبا. فتجول رفقة أخيه عيسى بمراكش؛ وبعدها رحل من بلاد جزولة ـ بعد أن تلقى بها شيئا من العلم ـ قاصدا فاسا، ثم تلمسان؛ أين تلقى علوما مختلفة بهما؛ ثم توجه إلى تونس، فالقاهرة؛ للغرض نفسه. وبعدها ذهب إلى الديار المقدسة؛ حيث زار المدينة؛ ثم استقر بمكة؛ أين تصدر للتدريس، والإفتاء بها. قال عنه القرافي: **((كان بارعا في الفقه، والأصلين؛ متقدما في العربية))**.[1]

ـ ثم **محمد بن سليمان الجزولي** (توفي مسموما بآفغال سنة 870هـ/1465م)؛ وهو فقيه من أهل الصلاح. من مؤلفاته دلائل الخيرات،

---

[1] توشيح الديباج، ص: 206.

"

وحـــزب الفـــلاح، وحـــزب الجـــزولي؛ وهـــو بالعاميـــة. ولـــه أتبـــاع يدعـــون "الجزوليـــة" وهـــم عـــلى الطريقـــة الشاذليـــة.

ــ ثـــم **أبـــو الحجـــاج يوســـف التغاتيـــني الجـــزولي** (تـــوفي في حـــدود ســـنـــة 900هـــ/1494م)؛ فقيـــه؛ لـــه شـــرح عـــلى ابـــن الحاجـــب.

ــ ثـــم **أحمـــد بـــن مـــوسى الجـــزولي** (ت: سنـــة 927هـــ/1520م)؛ فقيـــه جزولـــة في وقتـــه؛ ووصفـــه صاحـــب درة الحجـــال بـــ ((**عمـــدة بـــلاد جزولـــة**)).

ــ ثـــم **عبـــد المسيـــح** (أو عبـــد السميـــح) **بـــن محمـــد القنفيـــسي الجـــزولي** (تـــوفي بعـــد عـــام 940هـــ/1533م)؛ فقيـــه بـــلاد جزولـــة في وقتـــه.

ــ ثـــم **أبـــو إسحـــاق إبراهيـــم بـــن سعيـــد الجـــزولي** (ت: سنـــة 986هـــ/1578م)؛ فقيـــه؛ لـــه اهتمـــام ومشاركـــة في الأصليـــن؛ وكـــان يستظهـــر مختصـــر خليـــل بالكامـــل.

ــ ثـــم **محمـــد بـــن محمـــد بـــن عـــلي التافجـــروني الـــدرعي الجـــزولي** (تـــوفي بفـــاس سنـــة 988هـــ/1580م)؛ فقيـــه؛ رحـــل إلى مصـــر وحـــج؛ ثـــم عـــاد؛ بعـــد تـــزوده بالعلـــم.

***

"

ــ ***مواطنهم:*** يمكن تحديد مواطن كزولة بأرض السوس؛ حيث يتنقلون في ربوعها؛ طلبا للكلأ. وهم بذلك يجاورون قبيلة لمطة؛ التي تناصبهم العداء؛ إذ كانت تنشب بينهم الفتن؛ بين الحين والآخر. كما أنهم موزعون بين القبائل في المغرب الأوسط. إذ ينسب إليهم جبل كزول؛ القريب من تيهرت.[1]

8 ــ لمطة:

فالذي قيل عن قبيلة كزولة يصدق قوله على قبيلة **لمطة**. فهم ــ بدورهم ــ لا يعرف اسم أبيهم؛ أما أمهم فهي **تصكي العرجاء**؛ تلك الأم الأسطورية؛ المشتركة بينهم، وبين كل من: صنهاجة، وكزولة، وهسكورة، وهوارة. حتى وإن كان بعضهم ينسب صنهاجة إلى عاميل بن زعزاع، وهوارة إلى أوريغ بن برنس؛ فإن أباء: لمطة، وكزولة، وهسكورة غير معروفين. وعلى الرغم من قول ابن خلدون بكثرة شعوب لمطة؛ فأنه لم يذكر سوى

---

[1] **العبر، مج: 6، ص ص: 419، 420.**

"

قبيلتيـــن اثنتيـــن؛ همـــا: قبيلـــة **زكـــن**، وقبيلـــة **لخـــس**. وقـــد أضحـــت هاتـــان القبيلتـــان في عـــداد قبيلـــة ذوي حســـان الهلاليـــة؛ بينمـــا ظـــل الآخـــرون مـــن أبنـــاء لمطـــة في أعمـــاق الصحـــراء؛ بيـــن الملثميـــن مـــن صنهاجـــة.[1]

! ! !

ــ ***أعيانهـــم:*** ومـــن أعيـــان لمطـــة وعلمائهـــا المذكوريـــن:

ــ **واجـــاج** (واكـــاك) **بـــن زلـــو اللمـــطي** (كـــان حيـــا سنـــة 440هـــ/1048م)؛ وهـــو مـــن سكـــان الســـوس الأقـــصى؛ انتقـــل إلى القيـــروان؛ حيـــث تلـــقى العلـــم بهـــا عـــن أبي عمـــران الفـــاسي؛ وبعـــد عودتـــه إلى الســـوس؛ شيـــد داراً سماهـــا: "دار المرابطيـــن"؛ وخصصهـــا لطلبـــة العلـــم، وقـــراءة القـــرآن الكريـــم.

---

[1] العبـــر، مج: 6، ص: 420.

"

ــ ثــم **أبــو محمــد عبــد اللــه بــن محمــد بــن وقــاص الميــورقي اللمــطي** (تــوفي مقتــولا بميورقــة سنــة 580هــ/1184م)؛ فقيــه، ومفــتي ميورقــة؛ ولي الخطابــة والصــلاة بجامعهــا أيضــا. كــان قــد رحــل إلى المشــرق، وحــج.

ــ ثــم **عــلي بــن اللمــطي** (تــوفي مقتــولا سنــة 602هــ/1205م)؛ كــان كاتبــا ليحــيى بــن غانيــة. وقتــل في وقعــة تاجــرا بيــن ابــن غانيــة، وجيــش الموحديــن؛ بقيــادة عبــد الواحــد بــن أبي حفــص.

ــ ثــم **أبــو عبــد اللــه محمــد بــن عبــد اللــه ابــن محمــد بــن وقــاص الميــورقي اللمــطي** (تــوفي في حــدود سنــة 618هــ/1221م)؛ فقيــه، ومحــدث؛ ولي الصــلاة، والخطبــة بجامــع ميورقــة. قــال فيــه ابــن الأبــار: **((وكــان خطيبــا مصقعــا؛ بليغــا مفوهــا؛ يقــرض يسيــرا مــن الشعــر؛ أخــذ عنــه)).**[1]

ــ ثــم **مجيــر الديــن عمــر بــن عيــسى بــن نصــر ابــن محمــد بــن عــلي بــن اللمــطي** (تــوفي بقــوص سنــة 721هــ/1321م)؛ وهــو مــن أصدقــاء أبي حيــان النفــزي؛ قــال فيــه محمــد ابــن شاكــر الكتــبي: **((كــان صحيــح الــود، حافــظ العهــد حســن الصحبــة)).**[2] اشتغــل ــ بعــض الوقــت ــ كاتبــا

---

[1] التكملــة، ج: 2، ص: 608.

[2] فــوات الوفيــات، ج: 3، ص: 139.

"

لـــدى ابـــن دقيـــق القشيـــري؛ القـــاضي بمصـــر. لـــه اهتمـــام بعلـــوم العربيـــة؛ ولـــه أشعـــار مدحهـــا أبـــو حيـــان، ووصفهـــا بالجيـــدة؛ وكـــان قـــد نقلهـــا عنـــه. مـــن شعـــره:

أَبَى الدَّمْعُ إلاَّ أنْ يَفِيضَ وَأنْ يَجْـــرِي
عَلَى مَا مَضَى مِنْ مُدَّةِ النَّأيِ مِنْ عُمْرِي
وَمَالِيَ إنْ كَفَفْتُ مَـــاءَ مَحَاجِـــرِي
وَقَدْ بَعُـــدَتْ دَارُ الأَحِبَّـــةِ مِنْ عُـــذرِ
أمَا إنَّه لَـــوْلاَ اشْتِيَـــاقِي لِذِكْرِهِـــمْ
وَلاَ شَـــوقَ إلاَّ مَـــا يُهَيَّـــجُ بِالذكْـــرِ
لَمَا شَاقَنِي نَظْمُ القَرِيـــضِ وَلاَ صَبَـــا
فُؤَادِي عَلَى البَلْوَى إلَى عَمَلِ الشِّعْـــرِ
وَكَانَ لِمِثْـــلِي عَنْ أفَانيـــنَ مَنْطِـــقِي
هُنَالِكَ مَا يُلْـــهِي عَنِ النَّظْـــمِ وَالنَّثْـــرِ

ولـــه أيضـــا:

جَفْـــنٌ قَرِيـــحٌ بالْبُكَـــاءِ مُوَكَّـــــلُ
فَعَلَـــتْ بِهِ العَبَـــرَاتُ مَا لاَ يُفْعَـــلُ
وَجَوَانِحٌ مِـــنِّي عَلَى شَحَـــطِ النَّـــوَى
أضْحَتْ تُمَزِّقُ فِي الهَوَى وَتُوَصِّـــلُ

"

عَجَبــاً لِحُكْــمِ الحُـــبِّ فِيَّ، فَلَيْتــَهُ
يَوْماً يَجُــورُ بــِهِ وَيَوْمــاً يَعْــدِلُ
إنِّي وَإنْ أمْــسَى يُحَمِّلُــنِي الهَــوَى
مِنْ ثِقْلِــهِ فِي الحُبِّ مَا لاَ يُحْمَــلُ
فَلَقَــدْ حَلَتْ مِنْهُ مَــرَارَاتُ الجَــوَى
عِنْــدِي وَخَــفَّ لَــدَيَّ مَا يُسْتَثْقَــلُ
لاَ يَطْمَــعِ اللُّــوَامُ فِي تَــرْكِ الهَــوَى
إنْ كَثَّــرُوا مِنْ لَوْمِهِــمْ أوْ قَلَّلُــوا
لَهْفِي عَلَى زَمَــنِي بِمُنْعَــرَجِ اللِّــوَى
وَالشَّمْــلُ مُجْتَمِعٌ وَجَــدِّيَ مُقْبِــلُ
مَا كَانَ أهْنَــا العَيْــشَ فِيــهِ فَلَيْتَــهُ
لَــوْ دَامَ مِنْــهُ رَيْثَمَــا أتَأمَّــلُ

ولــه كذلــك:

وَزَهَّــدَنِي فِي الخِــلِّ أنَّ وِدَادَهُ
لِرَهْبَةِ جَــاهٍ أوْ لِرَغْبَــةِ مَــالِ
فَأصْبَحْتُ لاَ أرْتَــاحُ مِنْهُ لِرُؤْيَــةٍ
وَلاَ أرْتَجِي نَفْعاً لَدَيْــهِ بِحَــالِ

"

ـ ثـم **عبـد العزيـز بـن محمـد البوفـرجي اللمـطي** (تـوفي بفـاس سنـة 899هـ/1493م)؛ فقيـه، وخطيـب القروييـن.

ـ **عبـد العزيـز بـن عبـد الواحـد الميمـوني اللمـطي** (تـوفي بالمدينـة المنـورة سنـة 980هـ/1572م)؛ ورد هـذا التاريـخ في درة الحجـال؛ لابـن القـاضي؛ بينمـا أرخ الزركـلي وفاتـه في سنـة 880هـ/1475م. وهـو مـن الفقـه، والنحـو؛ ألـف ألفيـة في النحـو تضـاهي ألفيـة ابـن مالـك، كمـا أعـد تقييـدا علـى مختصـر خليـل، وكتـاب منهـج الوصـول، وكتـاب مهيـع السالـك للأصـول، ونظـم جواهـر السيـوطي؛ في علـم التفسيـر، وكتـاب درر الأصـول، وكتـاب نتائـج الأنظـار، وكتـاب نخبـة الأفكـار، وكتـاب الجـدل، وكتـاب نزهـة الألبـاب؛ في الحسـاب وغيـره.

ـ ثـم **إبراهيـم بـن أحمـد اللمـطي** (ت: سنـة 988هـ/1580م)؛ كـان أستـاذا ؛ وكـان يعلـم الصبيـان؛ فانتفـع بـه عـدد كبيـر مـن النـاس.

ـ ثـم **أبـو مالـك عبـد الواحـد بـن محمـد بـن عبـد الواحـد الميمـوني اللمـطي** (تـوفي بالجزائـر سنـة 988هـ/1580م)؛ وهـو مـن علمـاء الفقـه،

"

والفرائض، والنحو. رحل من فاس إلى الجزائر؛ أين استقر بها، وتوفي فيها.

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن عثمان بن عبد الواحد الميموني اللمطي** (ولد بعد عام 940هـ/1533م)؛ كان يستظهر مختصر ابن الحاجب؛ وهو أستاذ في النحو؛ أخذ علومه عن والده أبوعمر عثمان اللمطي، وابن غازي.

***

ـ ***مواطنهم:*** ذكر ابن خلدون أن مواطن لمطة؛ تمتد بجوار مواطن الملثمين الصنهاجيين؛ وأكثر أحياء لمطة ظواعن؛ يرتحلون طلبا للنجعة؛ وهم بذلك يصنفون ضمن أهل الوبر. وتتواجد قبيلتان منهم ببلاد السوس؛ هما: **زكن، ولخس.** منهم من اختار الصحراء موطنا، ومنهم من ساح في السهوب الجنوبية لتلمسان، وإفريقية. ولهم بقية ـ الآن ـ مستوطنة بجبل زالغ المشرف على فاس.[1]

É É É

[1] أنظر العبر، مج: 6، ص:420. وقبائل المغرب، ج: 1، ص: 332.

"

9 ــ مصمــودة:

يكتنــف نســب مصمــودة بعــض الغمــوض؛ فبينمــا يتجاهــل ابــن حــزم ذكــر تسلســل نسبهــم؛ مخالفــا ــ بذلــك ــ عادتــه؛ الــتي اتبعهــا مــع جــل القبائــل البتريــة؛ نــراه ــ مــع ذلــك ــ يتطــرق إلى نتفــة مــن نسبهــم بــشيء مــن الاحتشــام، والاضطــراب معــا؛ حيــن يقــول: أنهــم أبنــاء **مصمــود بــن يونــس بــن بربــر.** ثــم يتخلــص حيــن ينتقــل مباشــرة إلى تعــداد قبائلهــم؛ إذ يقــول أنهــم: **بطــون برغواطــة، وغمــارة، وأهــل جبــل درن.** وفي الفصــل المخصــص لأهــل جبــل درن؛ يذكــر أسمــاء قبائــل مصمــودة؛ وهي: **آصــادن وتينملــل وحاحــة ودكالــة وركراكــة وغمــارة وكدميــوة وكنفيســة وهرغــة وهزميــرة وهنتاتــة وهيلانــة ووريكــة وواوزكيــت.** وفي مواضــع أخرى يضيــف إليهــم: **برغواطــة وكــلاوة وهزرجــة.** علمــا بأنــه يصــر عــلى كــون برغواطــة قبيلــة مصموديــة.[1]

وبمقابلــة أسمــاء القبائــل المصموديــة الــتي وردت في العبــر؛ مــع مــا جــاء في المقتبــس مــن كتــاب الأنســاب في معرفــة الأصحــاب، ومــا ورد في كتــاب قبائــل المغــرب؛ يتضــح الآتي: فبالنسبة إلى قبيلــة

---

[1] العبــر، مج: 6، ص ص: 427 ــ 428. 460 ــ 471.

"

اصادن؛ يذكر ابن خلدون من بطونهم: **مسفاوة، وماغوس**؛ مع احتمال انتساب غمارة، ورهون، وأمول إليهم أيضا. أما صاحب كتاب الأنساب؛ فيصنفهم مرة ضمن هسكورة الظل؛ باسم **آيْصّاد**(صادة)، ومرة أخرى ضمن فقرة القبائل باسم **آصّادَن** (صادة). وإليهم تنسب المدينة الأزلية اصادة؛ التي قال البكري: أنها تقع جنوب مدينة يُجاجين؛ التابعة لبني مسارة من مصمودة. أما قبيلة **تينملّل**؛ فذكر منها صاحب كتاب الأنساب إحدى عشر فخذا. وتكاد منزلة قبيلة تينملل ــ بين الموحدين ــ تساوي منزلة هرغة؛ قبيلة المهدي؛ بسبب أسبقيتهم في نصرة الدعوة، ولجوء المهدي إليهم، وبناء مسجده، ومنزله بينهم. وقد لحق بهم ما لحق بهرغة من الفناء، والاندثار؛ بعد أن أكلتهم الأقطار، والحروب. وأضحت بقاياهم في حكم غيرهم من المصامدة. ويقول ابن منصور أنهم أصبحوا يعرفون بأهل وادي نفيس؛ الذين يتواجدون ــ الآن ــ في الجهة الجنوبية الغربية من مراكش؛ إلى جوار قرية أميزميز. أما قبيلة **حاحة**؛ فلم يرد اسمهم بين قبائل الموحدين في كتاب الأنساب؛

"

ولكنهم ذكروا في بعض المواضع من كتاب أخبار المهدي؛ كمخالفين للموحدين. ويقول ابن خلدون أن بطني: زكن، وولخص البدويان من حاحة. وهم ضمن حلف ذوي حسان بالسوس. وقال عنهم ابن منصور أن قبائلهم عديدة؛ ويحملون الاسم القديم نفسه، ويسكنون بمواطنهم الأولى؛ على ساحل البحر؛ بين أكادير، والصويرة.

وأما قبيلة **دكالة**؛ فهي الأخرى لم تكن ضمن الحلف الذي يجمع قبائل الموحدين؛ وإن أشار إلى اسمها صاحب كتاب الأنساب بوجود بعض الفئات منهم ضمن قبيلة كدميوة كمهاجرين. أما غالبيتهم فقد انحازوا إلى المرابطين. ويبدو أن موقفهم هذا.. أوهم النسابين بانتمائهم إلى صنهاجة. ومواطنهم في ساحة الجبل من جهته الشمالية؛ ومن مراكش إلى البحر المحيط غربا. وهناك يوجد رباط آسفي؛ الذي اشتهر بأحد بطون دكالة؛ وهم بنو ماكر. وتجاورهم في تلك الجهات قبيلة حاحة. وتوجد بآخر أوطانهم؛ وإلى الجنوب منها؛ بلدة دنست؛ التي يستقر فيها رؤساء دكالة؛ الذين ينتسبون إلى بطن منهم اسمه مغراوة. وبالطبع.. فهم ليسوا من مغراوة

"

الزناتيـة. ومـن أولائـك الرؤسـاء: إبراهيـم بـن حسيـن بـن حمـاد بـن حسيـن، ثـم ابنـه محمـد ابـن ابراهيـم، ثـم ابـن عمهـم خالـد بـن عيسـى ابـن حمـاد. وكانـوا جميعهـم في عهـد بـني مريـن. واشتهـرت دكالـة بوفـرة جبايتهـا، واتسـاع مغارمهـا. ويقـول ابـن منصـور أنهـا بقيـت إلى الآن في مواطنهـا الأولى؛ في السهـول الساحليـة؛ بيـن وادي أم الربيـع، ووادي نسيفـة (تنسيفـت). وأن قبائلهـم كثيـرة؛ اختلطـوا مـع العـرب الهلالييـن، واندمجـوا فيمـا بينهـم. ومنذئـذ انقسمـت دكالـة إلى قسميـن: **دكالـة الحمـراء**؛ المتمركـزة جنوبـا؛ حـول آسـفي؛ وهي معروفـة ــ الآن ــ باسـم **عبـدة**، ثـم **دكالـة البيضـاء**؛ المتمركـزة شمـالا؛ وقـد احتفظـت باسـم **دكالـة**. وأمـا قبيلـة **ركراكـة**؛ فيقولـون أنهـا أسبـق قبائـل المغـرب الأقـصى إلى الدخـول في الإسـلام؛ وذكرهـم صاحـب كتـاب الأنسـاب ضمـن فقـرة القبائـل. يقـول صاحـب قبائـل المغـرب: أن مواطنهـم الأولى كانـت عـلى ضفـتي وادي نسيفـة (تنسيفـت)؛ وبالتحديـد.. عنـد مصبـه في البحـر. ومـن بـقي منهـم؛ اندرجـوا ضمـن قبائـل أخـرى.

"

أما قبيلة **غمارة؛** فلهم شهرة خاصة؛ بسبب دورهم المتميز بين قبائل مصمودة؛ إذ كانوا السباقين لإقامة الدول المصمودية. كما ساهموا في صنع الأحداث التاريخية ببلاد المغرب. وهم أبناء **غمار بن مصمود.** وربما غمار بن مسطاف بن مليل بن مصمود. أو غمار بن أصاد بن مصمود. لهم بطون كثيرة جدا؛ وذكر منها ابن خلدون: **أغصاوة وبني حميد وبني زروال ومتيوة ومجكسة وبني نال.** ومواطنهم الأولى كانت في جبال الريف المغربي؛ وتمتد على طول ساحل البحر الأبيض المتوسط، وحتى ساحل المحيط الأطلسي؛ مشتملة على: غساسة، فنكور، فبادس، فتيكيساس، فتيطاوين، فسبتة، فالقصر؛ حتى طنجة. ثم تنحدر أوطانهم إلى بسائط قصر كتامة، ووادي ورغة؛ وتمتد إلى حدود تامسنا؛ أين تتواجد برغواطة.

أما قبيلة **كدميوة؛** وهم من قبائل الموحدين؛ فيقول عنهم صاحب كتاب الأنساب: أنهم يتفرعون على 46 فخذا. وصنفهم إلى صنفين: **كدميوة الجبل، وكدميوة الفحص.** ويتواجدون في المناطق الجنوبية من مراكش؛

حيث تقع قرية أميزميز. والجبل الذي يسكنون فيه بجوار جبل هنتاتة. من رؤسائهم أيام الموحدين؛ بنو سعد الله. وفي عهد بني مرين خالفهم شيخ كدميوة؛ يحيى بن سعد الله؛ بامتناعه عن دفع الضرائب؛ فانتهى أمره إلى الهلاك. ثم تقلد رئاسة كدميوة ــ لفترة قصيرة ــ أحد المنافسين ليحيى وهو عبد الكريم بن عيسى؛ ولكنه قتل بدوره من طرف المرينيين. وبعده عادت رئاستهم إلى أسرة بني سعد الله.

أما قبيلة **كلاوة**؛ فلا نعرف عنها ما يكفي؛ سوى أنها تنقسم إلى فرعين: كلاوة شمالية؛ في دائرة أولاد آيت ورير، وكلاوة جنوبية؛ في دائرة وزرزازات. وهم جميعا بالجهة الجنوبية الشرقية من مراكش. أما قبيلة **كنفيسة**؛ فهي ــ أيضا ــ من قبائل الموحدين. وذكر صاحب كتاب الأنساب منهم 22 فخذا. أما ابن خلدون فاكتفى بذكر بطن واحد منهم؛ أعطاه مرتبة قبيلة؛ هي سكسيوة أو (سكساوة)؛ التي قال أن موطنهم: **((بأمنع المعاقل من هذا الجبل. يطل جبلهم على بسيط السوس من القبلة؛ وعلى ساحل**

"

البحر المحيط من الغرب؛ ولهم بمنعة معقلهم ذلك؛ اعتزاز على أهل جلدتهم)).[1] أما قبيلة **هرغة** (أرغن)؛ فهي قبيلة المهدي؛ وعليه.. فلها مترلة خاصة بين قبائل الموحدين. إذ كانت من بين أولى القبائل تعصبا للدعوة الموحدية. وقد ذكر صاحب كتاب الأنساب من أفخاذهم حوالي 15 فخذا؛ دون المضافين إليهم. ولكنهم فنوا، واندثروا؛ وفي عهد ابن خلدون لم يبق منهم سوى أخلاط، وأوشاب؛ في حكم غيرهم من المصامدة. أما قبيلة **هزميرة**؛ فلم يكونوا ضمن حلف قبائل الموحدين؛ وكل ما نعلمه عنهم أنهم تعرضوا للتصفية من طرف جيوش الموحدين. وأنهم كانوا يسكنون حوز مراكش.

أما قبيلة **هنتاتة** (ينتي)؛ فتأتي في المرتبة الثالثة؛ بعد هرغة، وتينملل. وذكر صاحب كتاب الأنساب منهم تسع أفخاذ. وكانت مواطنهم في جبل درن المتاخم لمراكش. ومن أهم شيوخهم؛ أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي؛ صاحب المهدي، وجد ملوك الدولة الحفصية بتونس. ثم أبو محمد بن يونس؛ وهو من

---

[1] العبر، مج: 6، ص: 462.

وزراء الدولة الموحدية. ومنهم ـ أيضا ـ علي ابن محمد، وموسى بن علي بن محمد، وعبد العزيز بن محمد؛ وكلهم من أسرة أولاد يونس؛ الذين اضطلعوا بخدمة الدولة المرينية؛ منذ انحيازهم إلى أصحابها؛ في أواخر الدولة الموحدية؛ بعد الجفاء الذي حصل بين سلاطين الدولة الموحدية، وبين الهنتاتيين؛ في آخر عمرها.

أما قبيلة **هيلانة** (إيلانة)؛ فجاء في كتاب مفاخر البربر: أنهم ينتسبون إلى إيلان بن مصمود؛ ثم ينقل عن أبي عبد الله بن أبي المجد؛ صاحب كتاب الأنساب؛ زعمه بكون إيلانة من أصول عربية. ومواطنهم كانت بجوار مراكش؛ وبهم يسمى باب إيلان بتلك المدينة، كما تنسب إليهم أغمات إيلان. ويبدو أنهم اندثروا الآن. ومنهم الفقيه المؤرخ أبو علي صالح بن الشيخ الولي أبي صالح عبد الحليم الإيلاني نزيل نفيس(كان حيا سنة 712هـ/1312م).

أما قبيلة **وريكة** (ايوريكن)؛ فهم بجوار هنتاتة؛ وكانت بينهم ـ في القديم ـ فتن، واقتتال دائم. ولما قامت الدولة الموحدية؛ تعزز نفوذ الهنتاتيين؛ وقويت شوكتهم بالولاية؛ فخضعت إليهم وريكة، وصارت في جملتهم.

"

ومواطنهم معلقة في الجبال الشاهقة؛ المطلة جنوب مراكش؛ على أطراف الوادي المنسوب إليهم. أما قبيلة **وازكيتة** (واوزككيت)؛ ذكرهم صاحب كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب ضمن أهل تينملل. ويقول ابن منصور أنهم ــ الآن ــ يتواجدون في مواطنهم الأولى بالقرب من مراكش؛ وهم على فرعين: فرع **وزكيتة**؛ بجوار آسي، وفرع **آيت واوزكيت**؛ بجوار ورزازات؛ ويتكونون من 25 قبيلة؛ كما اندرجت بعض أفخاذهم ضمن قبائل أخرى.

أما **برغواطة**؛ فقد اختلف المؤرخون، والنسابون في تحديد نسبهم؛ فبعضهم يميلون إلى الاعتقاد بأنهم خليط من قبائل عديدة؛ **بترية**، **وبرنسية**؛ تجمعوا في حلف يسمى **برغواطة**؛ نسبة إلى **قرية برباط** في الأندلس؛ حيث نشأ صالح ابن طريف؛ مؤسس دولتهم؛ ومن هؤلاء: البكري، وصاحب كتاب مفاخر البربر، ولسان الدين بن الخطيب. أما الآخرون فيرون بأن برغواطة قبيلة من قبائل مصمودة؛ وينكرون هذه الرواية؛ وأبرز هؤلاء ابن خلدون؛ الذي يستند ــ كعادته ــ إلى حجة الموطن الذي يجاور مصمودة. ويقول: ((**وقد**

"

يغلط بعض الناس في نسب برغواطة هؤلاء؛ فيعدهم في قبائل زناتة، وآخرون يقولون في صالح أنه يهودي؛ من ولد شمعون بن يعقوب... وقيل له برباطي؛ نسبة إلى الموطن الذي نشأ به؛ وهو برباط؛ وادٍ بفحص شريش من بلاد الأندلس؛ فعربت العرب هذا الاسم؛ وقالوا برغواط. ذكر ذلك كله صاحب نظم الجوهر، وغيره من النسابين للبربر. وهو من الأغاليط البينة. وليس القوم من زناتة؛ ويشهد لذلك كله موطنهم، وجوارهم لإخوانهم المصامدة. أما صالح بن طريف؛ فمعروف منهم؛ وليس من غيرهم. ولا يتم الملك، والتغلب على النواحي، والقبائل لمنقطع جذمة، دخيل في نسبه. سنة الله في عباده. وإنما نسب الرجل في برغواطة؛ وهم شعب من شعوب المصامدة معروف)).[1]

ونلاحظ ــ هنا ــ كيف يعلل ابن خلدون موقفه بأمرين: **الموطن، والنسب**. وكلا الأمرين؛ فيهما قول. فبالنسبة للموطن؛ فقد سبق أن أشرنا إلى شواهد أخرى؛ تثبت أن كثيرا من القبائل المتباينة الأنساب؛ تعيش في مواطن قريبة،

---

[1] العبر، مج: 6، ص ص: 434 ــ 435.

ومتداخلة مع بعضها. وأبرز مثال – في هذا المجال – اختلاط قبائل مصمودة، مع قبائل صنهاجة وغيرها؛ في موطن واحد؛ كـ: كزولة ولمطة وهسكورة. ومن جهة أخرى؛ فمواطن برغواطة – في الأصل – هي مواطن لزناتة وزواغة؛ وليست لمصمودة فحسب.[1] أما قضية النسب؛ فابن خلدون بنفسه؛ وضع بعض الاستثناءات في نظريته عن العصبية إذ يقول: **((أنه يحدث لبعض أهل النصاب الملكي دولة تستغني عن العصبية)).**[2] وصالح بن طريف كما نعلم؛ من أهل النصاب الملكي؛ نظرا لمرتبة والده بين الأمازيغ الثوار؛ على الحكم الأموي. أما قبيلة **هزرجة** (ايليزركن)؛ فقد ورد اسم هذه القبيلة في كتاب الأنساب؛ ضمن فقرة القبائل. ويعتقد ابن منصور أن قبيلة الزرقيين؛ المتواجدة في جنوب وادي درعة؛ ممن تبقى من هزرجة.

[1] أنظر البكري؛ المغرب، ص: 135. وقبائل المغرب، ج: 1، ص: 323.

[2] المقدمة، ج: 2، ص: 635.

"

وقد تركت قبائل مصمودة أثرا كبيرا في تاريخ دول المغرب الأقصى. فمنذ الفتح الإسلامي برزت منهم غمارة؛ بشمال المغرب الأقصى؛ حيث شيدت إمارة غمارية بحتة في سبتة؛ عرفت بدولة بني عصام، ثم إمارة أخرى في حمايتهم وحماية صنهاجة؛ في نكور؛ كان يتأمر عليها عربي؛ هو صالح بن منصور الحميري. هذا بالإضافة إلى البدع التي ظهرت في أوساط تلك القبيلة؛ مثل: تنبؤ حاميم بن من الله بن حريز الغماري، وتنبؤ عاصم بن جميل اليزدجومي الغماري. ويخالف ابن خلدون من سبقه؛ بخصوص برغواطة؛ كما سبقت الإشارة إليه. وإن صح ما يزعم ابن خلدون؛ في كون برغواطة من مصمودة. عندئذ تضاف بدعة أخرى إليهم؛ تتمثل في النحلة البرغواطية. تلك النحلة التي يزعم أصحابها أن صالحا نبي يوحى إليه. والفرق بين غمارة، وبرغواطة؛ يكمن في أن برغواطة تمكنت من الصمود بنحلتها؛ زمنا أطول بكثير مما عرفته غمارة. ومع هذا فقد انتهى أمرهما جميعا إلى الفشل، والاندثار. وأهم الأدوار التي قامت بها قبائل مصمودة؛ يمكن إجمالها في وقوفها وراء نشأة الدولة الموحدية، والتمكين لها

"

في البـــلاد. وقـــد تحققـــت تلـــك الملحمـــة بفضـــل عـــدد مـــن قبائلهـــم؛ هي: **هرغـــة، تينملـــل، وهنتاتـــة، وكنفيســـة، وكدميـــوة.** بالإضافـــة إلى قبائـــل حليفـــة مـــن غيرهـــم؛ مثـــل: **كوميـــة، وصنهاجـــة القبلـــة، وصنهاجـــة الظـــل.**[1]

! ! !

ـــ أعيانهـــم:

لمصمـــودة علمـــاء كبـــار، ورجـــالات عظمـــاء؛ تركـــوا وراءهـــم ذكـــرا محمـــودا؛ كمـــا خلفـــوا آثـــارا جليلـــة ببـــلاد المغـــرب الإســـلامي؛ منهـــم:

ـــ أبـــو العـــلاء عبـــاس بـــن ناصـــح بـــن تلتيـــت المصمـــودي الثقـــفي الجزيـــري (مـــن أعـــلام النصـــف الأخيـــر مـــن القـــرن الثـــاني للهجـــرة)؛ عـــاش في عهـــد الحكـــم بـــن هشـــام في الأندلـــس. انتقـــل إلى المشـــرق في صغـــره رفقـــة والـــده؛ فتـــقى علومـــا كثيـــرة ثـــم عـــاد إلى الأندلـــس؛ حيـــث أسنـــد إليـــه الأميـــر الحكـــم خطـــة القضـــاء بشذونـــة والجزيـــرة الخضـــراء. وكـــان عالمـــا في اللغـــة والفقـــه، وشاعـــرا مجيـــدا. وقـــال فيـــه ابـــن الفـــرضي: ((**فلـــقي الأصمـــعي**

---

[1] للتوســـع أنظـــر: أنظـــر إبراهيـــم الهـــرغي؛ المقتبـــس مـــن كتـــاب الأنســـاب في معرفـــة الأصحـــاب، ص ص: 33 ـــ 49. وابـــن خلـــدون؛ العبـــر؛ مج: 6، ص ص: 427 ـــ 446. 460 ـــ 472. وإبـــن منصـــور؛ قبائـــل المغـــرب، ج: 1 ص ص: 321 ـــ 328.

"

وغيـــره مـــن علمـــاء البصريـيـــن والكوفيـيـــن... ثـــم إن العبـــاس بـــن ناصـــح انصـــرف إلى الأندلـــس فلـــم يـــزل متـــرددا عـــلى الحكـــم ابـــن هشـــام بالمديـــح، ويتعـــرض للخدمـــة. فاستقضـــاه عـــلى شذونـــة والجزيـــرة. وولي القضـــاء بعـــده ابنـــه عبـــد الوهـــاب ابـــن عبـــاس؛ وكـــان شاعـــرا. ثـــم ابـــن ابنـــه محمـــد ابـــن عبـــد الوهـــاب بـــن عبـــاس؛ وكـــان شاعـــرا؛ فهـــم ثلاثـــة قضـــاة في نســـق، وثلاثـــة شعـــراء في نســـق. وكـــان عبـــاس مـــن أهـــل العلـــم باللغـــة العربيـــة. وكـــان جـــزل الشعـــر؛ يسلـــك في أشعـــاره مسالـــك العـــرب القديمـــة. وكـــان لـــه حـــظ مـــن الفقـــه والروايـــة؛ لـــم تشهـــر عنـــه لغلبـــة الشعـــر عليـــه. وقـــرأت في كتـــاب محمـــد بـــن احمـــد بخطـــه: عبـــاس بـــن ناصـــح بـــن تلتيـــت المصمـــودي)).[1]

ومـــن الحكايـــات الـــتي ذكرهـــا عنـــه المقـــري: أن عباســـا قـــدم مـــن مدينـــة الفـــرج بـــوادي الحجـــارة إلى قرطبـــة. ولمـــا مثـــل أمـــام الحكـــم ابـــن هشـــام أخبـــره بمـــا قـــام بـــه النصـــارى مـــن فســـاد وعيـــث في ديـــار المسلميـــن؛ وذكـــر لـــه أنـــه سمـــع امـــرأة تقـــول: "واغوثـــاه بـــك يـــا حكـــم، لقـــد أهملتنـــا حـــتى

[1] تاريـــخ علمـــاء الأندلـــس، ج: 1، ص ص: 296 ـــ 297.

"

كلب العدو علينا، فأيمنا وأيتمنا" ثم أنشد أمامه قصيدة أولها:

تَمَلْمَلْتُ فِي وَادِي الحِجَارَةِ مُسْهَراً
أرَاعِي نُجُوماً مَا يُرِدْنَ تَغَوُّراً
إِلَيْكَ أَبَا العَاصِي نَضَيْتُ مَطِيَّتِي
تَسيرُ بهَمٍّ سَارِياً وَمُهَجِّرَا
تَدَارَكْ نِسَاءَ العَالَمِينَ بنصْرَةٍ
فَإنَّكَ أحْرَى أنْ تغِيثَ وَتَنْصُرَا

فلما سمع الحكم قوله؛ نادى ــ في الحال ــ إلى الجهاد، وخرج بعد أيام ثلاثة. فأثخن في ديار العدو، وأعاد للمسلمين حقهم، وخلص النساء من الأسر. ثم طلب تلك المرأة فمثلت بين يديه. فقال للعباس سلها: هل أغاثها الحكم؟ فأجابت المرأة: والله لقد شفى الصدور، وأنكى العدو، وأغاث الملهوف؛ فأغاثه الله، وأعز نصره. فارتاح لقولها، وظهر السرور على محياه؛ ثم أنشد:

أَلَمْ تَرَ يَا عَبَّاسُ أَنِّي أَجَبْتُهَا
عَلى البُعْدِ أَقْتَادُ الخَمِيسَ المُظَفَّرَا
فَأَدْرَكْتُ أوْطَاراً وَبَرَّدْتُ غُلَّة
وَنَفَّسْتُ مَكْرُوباً وَأغنَيْتُ مُعْسِرَا

"

وهـذه الحكاية شبيهة بحكاية المرأة المستنجدة بالخليفة العباسي المعتصم من عمورية في المشرق؛ وعلى الرغم من قدم القصة الأندلسية وأسبقيتها ـ زمنيا ـ إلا أنها لم تشتهر؛ بسبب ما كان يغلف التراث الأندلسي من إهمال.. فالقصة الأندلسية حدثت سنة 194هـ/809م، بينما تكون القصة المشرقية وقعت في سنة 224هـ/838م. وأبطال القصة الأندلسية هم: الأمير الحكم بن هشام، والشاعر الفقيه عباس بن ناصح بن تلتيت المصمودي، والمرأة المستنجدة بالأمير في الثغر. أما القصة المشرقية فأبطالها هم: الخليفة العباسي المعتصم، والشاعر العباسي أبو تمام، والمرأة المستنجدة في عمورية بندائها: "وامعتصما".[1]

ـ **عبد الوهاب بن عباس بن ناصح بن تلتيت المصمودي** (من أعلام النصف الأول من القرن الثالث للهجرة)؛ وهو فقيه وقاضي؛ ومن شعراء الأندلس. خلف والده في قضاء شذونة والجزيرة.

---

[1] **أنظر القصة في نفح الطيب، ج: 1، ص ص: 343 ـ 344.**

"

ـ محمد بن عبد الوهاب بن ناصح بن تلتيت المصمودي (من أعلام النصف الأول من القرن الثالث للهجرة)؛ فقيه وقاضي خلف أباه أيضا في منصب القضاء بشوذنة والجزيرة. ويعد أيضا من بين شعراء الأندلس. كما كان عليه والده وجده.

ـ أبو محمد يحيى بن يحيى بن كثير بن وَسلاَسْ بن شملل بن منقايا القرطبي المصمودي الشهير بالليثي (ت: سنة 233هـ/944م)؛ جده كثير المكنى بأبي عيسى هو الذي دخل الأندلس مع طارق بن زياد. وهو من مصمودة طنجة رحل إلى المشرق وهو ابن ثمان وعشرين سنة؛ فسمع من مالك بن أنس؛ ثم حج. كما سمع في مكة من سفيان بن عيينة؛ وفي مصر من الليث ابن سعد، وعبد الله بن وهب، وعبد الرحمن بن القاسم؛ وتفقه بالمدينة، وبمصر من علماء الفقه المالكي. ومن النوادر التي نقلها المؤرخون؛ أنه كان يوما في مجلس مالك؛ فسمعوا بعضهم يقول: قد حضر الفيل؛ فانفض المجلس من الطلاب؛ حبا في مشاهدة الفيل؛ ولم يبق مع ملك إلا يحيى؛ فقال له مالك: "مالك لا تخرج فتراه؛ لأنه لا

"

يكون بالأندلس؟" فأجابه يحيى: "إنما جئت من بلدي لأنظر إليك، وأتعلم من هديك، وعلمك؛ ولم أجيء لأنظر إلى الفيل". فاستحسن مالك جوابه؛ وسماه عاقل أهل الأندلس. وعاد إلى الأندلس بعد ذلك. ثم كانت له رحلة ثانية إلى المشرق؛ فوجد مالكا مريضا؛ وتوفي أثناء وجوده بالمدينة؛ فحضر جنازته. وبعدها لقي عددا من أصحاب مالك؛ فاستفاد منهم بعلم غزير.

ـ ثم **حاميم بن منَّ الله بن حرير بن عمر بن رحفو المجكسي الغماري المصمودي** (توفي مقتولا سنة 315هـ/927م)؛ ادعى النبوة، وابتدع نحلة، وانتحل نصوصا؛ زعم ـ باطلا ـ بأنها أوحيت إليه من الله. وأورد صاحب مفاخر البربر بعض أخباره؛ فقال: ((و**حاميم ابن منَّ الله الملقب بالمفتري؛ ادعى النبوة ببلاد غمارة سنة 310هـ/922م؛ وشرع ديانة تشبه ديانة برغواطة؛ في الضلالة، والكفر؛ وهي صلاتان: صلاة عند شروق الشمس، وأخرى عند غروبها. وفرض صوم يوم الاثنين، والخميس، وعشرة أيام من رمضان. وأحل لهم الأنثى من الخنازير؛ وقال: " إنما حرِّم في**

"

قــرآن محمــد الذكــر!" وجعــل الحــوت لا يؤكــل إلاّ بذكــاة، وحــرم رأس كــل حيــوان. ونحــو هــذا مــن الضلالــة، والكفــر. فبعــث إليــه الأميــر الناصــر الأمــوي ــ مــن قرطبــة ــ عسكــرا ضخمــا؛ فالتقــوا معــه في قصــر مصمــودة؛ بمقربــة مــن طنجــة؛ فقتــل، ورجــع أصحابــه للإســلام)).[1]

وأورد ابــن خلــدون عينــات مــن النصــوص الــتي ادعى بأنهــا وحي؛ فقــال: **((وصنــع لهــم قرآنــا كــان يتلــوه عليهــم بلسانهــم؛ مــن كلامــه: "يــا مــن يخــلي البصــر، وينظــر في الدنيــا، خلــني مــن الذنــوب. يــا مــن أخــرج مــوسى مــن البحــر؛ آمنــت بحاميــم، وبأبيــه أبي خلــف مــنَّ اللــه. وَأمــِّنْ رأسي، وعقــلي، ومــا يكنــه صــدري، وأحــاط بــه دمي، ولحــمي؛ وآمنــت بتابعيــت عمــة حاميــم؛ أخــت أبي خلــف مــنَّ اللــه)).**[2] وكانــت عمتــه هــذه تشتغــل بالسحــر، والكهانــة. ويلجــأ إليهــا النــاس في الحــروب، وســنــوات القحــط؛ مستغيثــن بهــا. وفي ذلــك قــال بعــض الشعــراء:

وَقَالُوا افْتِــرَاءً: إنَّ حَامِيــمَ مُرْسَــلٌ
إِلَيْهِمْ بِدِينٍ وَاضِــحِ الحَــقِّ بَاهِــرِ

---

[1] مفاخــر البربــر، ص: 77.

[2] العبــر، مج: 6، ص: 446.

"

فَقُلْتُ: كَذبْتُمْ! بَدَّدَ اللـــَّهُ شَمْلَكـــُم!

فَمــَا هُوَ إلاَّ عَاهِـــرٌ وَابْنُ عَاهِـــرٍ!

فَإنْ كَانَ حَامِيـــمُ رَسُـــولاً، فَإنَّـــني

بمُرْسِـــلِ حَامِيـــم لَأوَّلُ كَافِـــرِ!

رَوَوْا عَنْ عَجُوزٍ ذَاتِ إفْـــكٍ بَهيمَـــةٍ

تَجَـــاوَزَ فِي أسْحَارِهَـــا كُلَّ سَاحِـــرِ

أحَادِيثُ إفْـــكٍ حَاكَ إبْلِيسُ نَسْجَهَـــا

يُسِرُّونَهَا وَاللَّـــهُ مُبْـــدِي السَّرَائِـــرِ!

ـ ثـــم **أبـــو إسحـــاق إبراهيـــم بـــن هـــارون بـــن خلـــف بـــن عبـــد الكريـــم بـــن سعيـــد الأشبـــوني المصمـــودي** المعـــروف بالزاهـــد (ت: سنـــة 360هـــ/970م)؛ أقـــام بقرطبـــة في طلـــب العلـــم مـــدة أربعيـــن سنـــة قـــال فيـــه ابـــن الفـــرضي: **((كـــان ضابطـــا لمـــا كتـــب؛ ثقـــة فيمـــا روى)).**[1]

ـ أبـــو الأصبـــغ عيـــسى بـــن عبـــد الرحمـــن بـــن حبيـــب بـــن واقـــف بـــن يعيـــش بـــن عبـــد الرحمـــن ابـــن مـــروان بـــن سكثـــان الشـــذوني المصمـــودي (تـــوفي بأشونـــة سنـــة 366هـــ/976م)؛ رحـــل إلى مصـــر، ومكـــة؛ أيـــن سمـــع عـــلى عـــدد مـــن

---

[1] **تاريـــخ علمـــاء الأندلـــس، ج: 1، ص: 17.**

"

العلمـــاء، ثـــم عـــاد إلى الأندلـــس؛ حيـــث ولاه المستنصـــر باللـــه الأمـــوي قضـــاء أشونـــة ومـــا يتبعهـــا.

ــ ثـــم **يحـــيى بـــن عبـــد اللـــه بـــن يحـــيى بـــن يحـــيى ابـــن كثيـــر بـــن وســـلاس بـــن شملـــل بـــن منقايـــا المصمـــودي** (ت: سنـــة 367هــ/977م)؛ كـــان مـــن أفاضـــل الفقهـــاء؛ ولـــه مرتبـــة جليلـــة بيـــن قضـــاة الأندلـــس. ولي قضـــاء إلبيـــرة، وبجانـــة، وجيـــان، وطليطلـــة.

ــ ثـــم **أبـــو عمـــر أحمـــد بـــن عبـــد العزيـــز بـــن أبي الحبـــاب المصمـــودي** (ت: سنـــة 404هــ/1013م)؛ وهـــو مـــن علمـــاء النحـــو، واللغـــة.

ــ ثـــم **أبـــو الزبيـــر طلحـــة بـــن الزبيـــر بـــن سليمـــان بـــن تميـــم الحـــاحي المصمـــودي** (تـــوفي في العشـــر الأول مـــن القـــرن الخامـــس للهجـــرة)؛ وهـــو مـــن الأدبـــاء؛ ولـــه تأليـــف بعنـــوان: الترجبـــح والتنقيـــح في الناســـخ والمنســـوخ. وقـــال صاحـــب مفاخـــر البربـــر: أنـــه ليـــس مـــن تأليفـــه؛ وإنمـــا رواه عـــن صاحبـــه أبي عـــلي الكفيـــف الماجـــري.

ــ ثـــم **أبـــو القاســـم خَلِفـــَة بـــن تامَصَلْـــت بـــن يحـــيى البرغـــواطي المصمـــودي** (كـــان حيـــا سنـــة 467هــ/1074م)؛ وهـــو عالـــم بالقـــراءات.

"

ـ ثم **محمد بن عبد الله بن وُجَلِّيد بن تامصال بن حمزة بن عيسى الهرغي المصمودي** الشهير بابن تومرت والمدعو المهدي (ت سنة 522 أو 524هـ/1128 أو 1129م)؛ أختلف الناس في نسبه، وفي أسماء أسلافه. وهناك من ينسبه إلى سليمان بن عبد الله حفيد علي بن أبي طالب. غير أن بعض المحققين ينفون هذا النسب. ونشأ ابن تومرت في بيت نسك، وعبادة. وكان محبا للعلم، حريصا على المعرفة، ساعيا للتزود بها؛ حيثما توفرت؛ وعليه فقد سافر للمشرق ـ بعد مروره ببلاد الأندلس ـ طلبا للعلم. فكانت وجهتة الأولى ـ بعد الأندلس ـ الإسكندرية، ثم الحجاز؛ بغرض أداء فريضة الحج؛ ثم انتقل إلى العراق؛ أين لقي جملة من العلماء الأفاضل؛ منهم الإمام الغزالي؛ فتتلمذ عليه. وفي هذا يقول ابن خلدون: **((ولقي جلة العلماء يومئذ، وفحول النظار. وأفاد علما واسعا. وكان يحدث نفسه بالدولة لقومه على يديه؛ لما كان الكهان، والحزاء يتحينون ظهور دولة يومئذ بالمغرب. ولقي فيما زعموا أبا حامد الغزالي، وفاوضه بذات صدره في ذلك؛ فأراده عليه؛ لما كان**

"

فيه الإسلام يومئذ بأقطار المغرب من اختلال الدولة، وتقويض أركان السلطان الجامع للأمة، المقيم للملة؛ بعد أن سأله عمن له من العصابة، والقبائل؛ التي تكون بها الاعتزاز، والمنعة، وبشأنها يتم أمر الله في درك البغية، وظهور الدعوة. وانطلق هذا الإمام راجعا إلى المغرب بحرا؛ منفجرا من العلم، وشهابا واريا من الدين. وكان قد لقي بالمشرق أئمة الأشعرية من أهل السنة، وأخذ عنهم، واستحسن طريقهم في الانتصار للعقائد السلفية، والذب عنها بالحجج العقلية الدافعة في صدور أهل البدعة. وذهب إلى رأيهم في تأويل المتشابه من الآي والأحاديث... وكان من رأيه القول بعصمة الإمام على رأي الإمامية من الشيعة. وألف في ذلك كتابه في الإمامة الذي افتتحه بقوله: "أعز ما يطلب". وصار هذا المفتتح لقبا على ذلك الكتاب. واحتل بطرابلس؛ أول بلاد المغرب؛ مفتيا بمذهبه ذلك، مظهرا النكير على علماء المغرب في عدولهم عنه. وأخذ نفسه بتدريس العلم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ما استطاع؛ حتى لقد

"

لــقي ــ بســبب ذلــك ــ إذايــات في نفســه؛ احتسبهــا مــن صالــح أعمالــه)).[1] مــن منظومــه:

أنِّي وَفِي النَّفْــس أشْيَــاءٌ مُخَبَــأة
لأَلْبسَـــنَّ لَهَــا دِرْعــاً وَجلْبَابَــا
وَاللــَّهِ لَوْ ظَفِــرَتْ كَفِّي بِبُغْيَتِهــَا
مَا كُنْت عَنْ ضَرْبِ أعْنَاقِ الوَرَى آبى
حَتَّى أطَهِّــرَ هَذَا الدِّينَ مِنْ نَجَــسٍ
وَأوجبُ الحَــقَّ لِلسَّــادَاتِ إيجَابَــا
وَأمْلأُ الأرْضَ عَدْلاً بَعْدَ مَا مُلِئَــتْ
جُــوراً وَأفْتَحُ لِلْخَيْــرَاتِ أبْوَابَــا

ولــه أيضــا:

أخَـــذْتَ بِأعْضَادِهِــمْ إذْ نَــأوا
وَخَلَّفَــكَ القَــوْمُ إذْ وَدَّعُــوا
أخَـــذْتَ بِأعْضَادِهِــمْ إذْ نَــأوا
وَخَلَّفَــكَ القَــوْمُ إذْ وَدَّعُــوا
فَكَمْ أنْــتَ تَنــْهَى وَلاَ تَنْتَــهي
وَتُسْمِــعُ وَعْظــاً وَلاَ تَسْمَــعِ
فَيَا حَجَــرَ الشَّحْذِ حَتَّى مَــتَى
تَسِــنُّ الحَدِيــدَ وَلاَ تقْطَــعُ

---

[1] العبــر، مج: 6، ص ص: 465 ــــ 467.

"

ومما كان يردده في مدح عبد المؤمن بن علي:

تَكَامَلَتْ فِيكَ أوْصَافٌ خُصِصْتَ بهَا
فَكُلُّنَا بكَ مَسْرُورٌ وَمُغْتَبِطُ
السِّنُّ ضَاحِكَة، وَالكَفُّ مَانحَة
وَالصَّدْرُ مُتَّسِعٌ، وَالوَجْهُ مُنْبَسِطُ

ولابن تومرت مؤلفات عديدة؛ في الأصول والفقه؛ أهمها: كتاب أعز ما يطلب؛ سمي بهذا؛ تبعا للجملة الأولى التي ابتدأ بها الكتاب. وهذا الكتاب عبارة عن مجموعة من الرسائل التي تعالج مواضيع أصولية وفقهية وسياسية وجهادية وأحاديث للرسول. ثم كتاب موطأ الإمام المهدي؛ ويسمى في الأصل "محاذي الموطأ"؛ وهو ـ في الحقيقة ـ موطأ الإمام ملك برواية يحيى بن بكير؛ تم اختصار السند فيه. ثم كتاب مختصر صحيح مسلم. ثم مجموعة من الرسائل الأخرى، وبعض الأدعية، والخطب؛ التي لم ترد في كتاب أعز ما يطلب؛ وقد نشر بروفنسال أربع رسائل في كتاب أخبار المهدي. كما كتب باللسان الأمازيغي المصمودي رسائل أخرى منها: السبعة أحزاب، و(الدواتر)؛ وهو الطهارة، وعلامة المنافق،

"

و(أمحانت أكوصت)، و(تازكوت أن تيتار) (أو تحيار)، و(نوفنا درا أن يا العالمين).[1]

ــ ثم **أبو الربيع بن جابر الدكالي المصمودي** (توفي في العشر الأول من السنة السابعة للهجرة)؛ وهو فقيه، وراوية.

ــ **أبو سعيد بن تونارت الدكالي المصمودي** (من أعلام القرن السابع للهجرة)؛ وهو من فقهاء المذهب المالكي. كان مستوعبا للفقه، ومتمكنا من مواضيع المدونة؛ تولى التدريس ببجاية.

ــ ثم **عبد الله بن ياسين الرجراجي المصمودي** (ت: سنة 624هـ/1226م)؛ فقيه، ومفتي.

ــ ثم **أبو محمد عبد الله بن عبد الكريم الغماري المصمودي** (كان حيا سنة 654هـ/1256م)؛ وهو فقه؛ رحل من المغرب إلى المشرق؛ ولما مر بطرابلس؛ أطال الإقامة فيها؛ حيث أسمع لطلاب العلم كتابه في الفرائض، وكتب أخرى. وكان هذا في السنة المذكورة آنفا.

---

[1] يمكن التوسع من خلال مراجعة كتاب أعز ما يطلب الذي حققه عمار طالبي. وكتاب المهدي بن تومرت لعبد المجيد النجار.

"

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن عيسى الغماري المصمودي** (كان حيا سنة 658هـ/1259م)؛ وهو فقيه، وولي القضاء بطرابلس في السنة المذكورة.

ـ ثم **أبو إسحاق إبراهيم بن مناد البرغواطي المصمودي** (توفي بسبتة سنة 670هـ/1271م)؛ وصفه صاحب مفاخر البربر بـ **((الفقيه البارع، والأديب المتفنن))**.

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن عيسى بن عبد الرحمن الغماري المصمودي** (توفي بتونس سنة 682هـ/1283م)؛ وهو فقيه مالكي، وقاضي. جمع بين علوم: الفقه، وأصول الدين؛ وبين فنون الأدب. وكانت له عناية بالتنقيح، والمنهج المفيد.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن علي الغماري المصمودي** (كان حيا سنة 684هـ/1285م)؛ فقيه مالكي.

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن عبد الله بن عبد العزيز البرغواطي المصمودي** (توفي بأزمور سنة 688هـ/1289م)؛ هو فقيه من أهل الفضل.

ـ ثم **أبو بكر بن فتح الغماري المصمودي** (كان حيا سنة 706هـ/1306م)؛ وهو فقيه، وأديب من سكان نفزاوة؛ بالجنوب التونسي. قال فيه التجاني: **((وهذا الفقيه أبو بكر بن**

"

فتح له من الأدب، ولطافة الشعر ما تراه؛ وهو ممن يستغرب وجوده في مثل تلك البقاع؛ وله التقدم في حسن الخط؛ وهو انفرد فيه بطريقة اخترعها؛ لم تعرف قط في أنواع الخط المعدودة، وبرع فيها في وقتنا هذا جماعة من أهل الجريد أخذوها عنه)).[1]

ومن شعره قصيدة طويلة مدح بها ابن اللحياني؛ منها الأبيات التي تعرض فيها لذكر التجاني؛ كاتبه:

هَذا انْتِصَابُ العَبْدِ خِيفَةَ نَاقِدٍ
أَوْ ذِي مَعَارِفَ يَسْتَطِيلُ بَيَانِي
لاَ سِيَّمَا وَلَدَيْكَ جِهْبِذُ نَقْدِهَا
وَالوَبْلُ مِنْ ثَجَّاجِهَا التِّيجَانِي
الفَاضِلُ الفَطِنُ الُمجَلِّي فِي المَدَى
وَالأَخْصَلُ الُمخْتَارُ خَصْل رِهَانِ
بِأَبِي مُحَمَّدٍ اسْتَقَلَّ رِوَاؤُهَا
وَشَفَى الرِّوَى مِنْهَا صَدَى الضَّمْآنِ
غَوَّاصُ لُجَّتِهَا وَمُخْرِجِ مَا بِهَا
مِنْ لُؤلُؤٍ رَطْبٍ وَمِنْ مَرْجَانِ
وَمُقَلّد الأَجْيَاد كُلَّ سَنِيَّةٍ
أَرْبَتْ عَلَى اليَاقُوتِ وَالعِقْيَانِ

[1] الرحلة، ص: 153.

"

وَلَرُبَّمَا أهْــدَى إِلَيَّ جَمِيــلَ مَــا

مِنْــهُ بظَهْــرِ الغَيْــبِ قَدْ أوْلاَنِي

فَلأجْعَلَــنْ مِمَّــا عَنَــاني شُكْــرَهُ

وَأسَجِّلَــنْ فِيــهِ هُمُــومِ عِنَــانِي

وَأعُــوذُ مَــنْ بــَاعَ ذَوِي قَرِيحَــةٍ

خَمَــدَتْ بِحُكْمِ طَوَارِقِ الأزْمَــانِ

وممــا كتبــه للتجــاني أيضــا:

يَا أيُّهــَا السَّيِّــدُ وَالُمسْتَفَــادْ

جَوْهَــرَةَ أحْســدُ فِيهَا العِبَــادْ

خَاطَبْتُ ذاكَ المَجْدُ أثْنَاءَ مَــَا

رَفَعْتُ لِلْمَوْلَى الأجَــلِّ العِمَــادْ

وَإن عَــلَيَّ أنَّــهُ صَائِــرٌ

إلَيْــكَ تَقْرِيــراً عَنِ الاعتمــادْ

إلى أن يقــول:

مُنْتَظِراً عَنْهُ الجَــوَابَ الــَّذِي

أنَا الثَّرَى وَهُوَ انْسكَابُ العِهَــادْ

مُسَافِــراً مِنْــهُ تَــزَوَّدْتُ مِنْ

رِضَــاه زَاداً مَا لَــهُ مِنْ نَفَــادْ

وَأنْــتَ زَوِدْنِي مُقِيمــاً فَــلِي

مِنْ فَضْلِ سَعْيٍ صَالِحٍ خيــر زَادْ

زَادَانِ ذَا يُغْــنِي لأدْنَى مَــدَى

وَذاك يَبْــقَى ذُخْــرَة لِلْمَعَــادْ

"

وَدُمْ لِعَيْـــنِ الأدَبِ المُنْتَـــقَى
قَرِيـــرَ عَيْنِ قُـــرَّةٍ فِي السَّـــوَادْ

وكتـــب جوابـــا عـــلى أبيـــات بعـــث بهـــا التجـــاني إليـــه:

أرَاحَـــــةٍ غِـــبٍّ أَلِيـــمِ العَنَـــــا
أمْ سِنَـــةٍ مِنْ بَعْدِ طـُــولِ السُّهَـــادْ
أمْ فَجْأَة الوَصْـــلِ عُقَيْـــبَ الجَفَـــا
أمْ مُسْتَطَـــابُ الـــرَّيِّ بَعْدَ الجِـــرَادْ
أمْ رِقْعَـــــةٍ مَنَّ بهَـــا سَيِّـــــدٌ
طَابَـــتْ بهَا الأذكَارُ فِي كُلِّ نَـــادْ
أشْعَـــرَنِي البُشْـــرَى وَحَسْـــبِي بمَا
قَـــرَّرَ مِنْ ودٍّ وَحُسْـــنِ اعْتِقَـــادْ
أيَّتُهَـــا النَّفْـــسُ اتِّكَـــــالاً عَـــلَى
مَنْ رَفَـــعَ السَّبْعَ الطِّبَـــاقِ الشِّـــدَادْ
وَفِعْـــلِ مَوْلَى شَـــدَّ رُكْنَ العُـــلَى
مُطَـــرِّزاً أعْلاَمُهَـــــا بِالجِهَـــــادْ
أيَّـــــدَهُ اللَّـــهُ بِأيْـــــدٍ لَـــــهُ
فِعْـــلَ العَوَالِي وَالسُّيُـــوفِ الحِـــدَادْ
وَأنْـــتَ يَا أفْضَـــلَ مَنْ يُرْتَـــجَى
لِفَضْـــلِ سَـــعْيٍ صَالِـــحٍ مُسْتَفَـــادْ
دَارَكَـــــكَ اللَّـــهُ بِألْطَافِـــــهِ
مُقَرِّبـــاً شَمْلَـــكَ بَعْـــدَ البِعَـــــادْ

"

صَابرْ لَكَ الخَيْـــرُ ضُرُوبَ النـــَّوَى
وَاقْطَـــعَ مَسَافَاتِ الرُّبَى وَالوِهـــَادْ
فَعَـــنْ قَلِيــــلٍ سَـــوْفَ تُلْـــفِي الأَلَى
مُحْضَتُهـــُمْ مِنْـــكَ صَرِيح الـــوِدَادْ
قَرِيـــرُ عَيْـــنٍ بالَّذِي شِئْـــتَ مِـــنْ
قُرْبَ وسَـــادٍ بَعْدَ طـــُولِ السُّهَـــادْ
وَفَضْـــلُ نُعْـــمَى بِرْدُهَـــا سَابِـــغٌ
مَا انْهَـــلَّ قَطْرٌ فَوْقَ قطْـــرٍ وَجَـــادْ
وَصَلِّ صَـــلاَةَ اللـــَّهِ لِلْمُصْطَـــفَى
خَيـــْرَ شَفِيـــعٍ ضَامِنِ الخُلْدِ هَـــادْ

وأرســـل إليـــه أرجـــوزة مداعبـــا؛ نذكـــر منهـــا:
إرْبَـــأ بِنَفْسٍ حُرَّةٍ عَنْ ذِكْرِ مَـــا
يُبَلْبِـــلُ البَالَ لِسُكَّـــانِ الحِـــمَى
وَعَـــدِّ عَنْ رِقَةِ طَبْـــعٍ عُـــذري
فَمَـــا لِذِي عَقْلٍ بِـــهِ مِنْ عُـــذر
وَإنَّمَـــا الإنْسَـــانُ بالشَّهَامَـــه
فَدُمْ بِهَا حَفَّـــتْ بِكَ الكَرَامَـــه
وَاحْتَمِـــلِ القَسْـــوَةَ وَالبَـــدَاوَه
وَأهْلَهَـــا مَا دُمْـــتَ فِي نَفْـــزَاوَه
طَبْـــعِ المِيَـــاهِ وَالهَـــوَاءِ وَالبَلَـــد
لُذ عَائِـــذاً بِقُلْ هُوَ اللّـــهُ أحَـــد

"

إنْ هِيَ إلاَّ سَفْــرَة سَتُسْفِــــــر
عَنْ حُسْــنِ عُقْبَى مَعَ وَفْرٍ يَفِــر
لَوْ بِعْــتَ فِي أَثْنَائِهَــا دُنْيَاكَــا
وَأَنْــــتَ ذُو مُلْــكٍ وَمَا أدْرَاكَــا
بِجَلْسَــةٍ بَيْــنَ يَــدَيْ عِمَــاد
وُقِيــتَ فِيهَــا أعْيُــن الحُسَّــاد
وَنَظْــرَة لِوَجْهِـــــهِ مُشْتَقَـــــه
مِنْ نَظْــرَةِ النَّعِيــمِ فاعلمْ وَافْقَــه
كُنْتَ عَلىَ مَا بِعْتَ مِنــْهُ رَابِحَا
فَاضْمُمْ عَلَى يَقِينِــكَ الجَوَانِحَــا
زَهْر النُّجُومِ حَاسِدَاتٌ مَوضِعَــك
إيْ وَالَّــذِي بِفَضْلِهِ قَدْ رَفَعَــك
وَأَنْــتَ بِالتَّمْيِيــز جِـــدّ عَالِــم
بَيْــنَ الَّذِي رَأَيْــتَ مِنْ عَوَالِــم
فَاحْكُــمْ بِعَقْلٍ رَاجِــحٍ وَفَهْــم
تَجِــدْكَ فُــزْتَ بِأجَــلِّ سَهْــم
فَاشْكُــرْ يَزِدْكَ اَللَّــهُ مِنْ إكْرَامِه
وَالحَسَــبُ المــرْضِيِّ مِنْ إمَامِــه
بِأفْضَــلِ الخَصْلَــةِ وَالمَرَاتِــــب
أضْحَى لَكَ الخَيْــرُ وَيُمْنُ رَاتِــب
صَابِــرْ عَلَى التَأوِيبِ وَالإدْلاَج
وَدَائِــمِ الإلْجَــامِ وَالإسْــرَاج

"

وَاقْطَــعْ مَدَاهَـــا فَدْفَداً فَفَدْفَــدَا
وَاصْـــغِ لِحَادٍ فِي مَرَاعِيهَا حَـــدَا
وَاشْرَبْ زُلاَلاً لاَ زُعَاقـــاً آسِـــن
وَعَـــدِّ عَنْ تَعْتِيـــقِ كُلِّ مَاجِـــن
كَـــذاكَ حَتَّى تُبْصِـــر المَعَالِمَـــا
مِنْ دَارِ تَرْشِيشَ صَحِيحاً سَالِمَـــا

ــ ثـــم **أبـــو زيـــد عبـــد الرحمـــن بـــن الهزميـــري المصمـــودي** (تـــوفي بفـــاس سنـــة 706هـــ/1306م)؛ وهـــو مـــن الصوفيـــة.

ــ ثـــم **أبـــو محمـــد عبـــد الجليـــل بـــن ويجـــلان الدكـــالي المصمـــودي** (تـــوفي بأغمـــات قبـــل عـــام 712هـــ/1312م)؛ وهـــو فقيـــه، ومـــن الزهـــاد الصالحيـــن.

ــ ثـــم **أبـــو عـــلي عمـــر بـــن أبي العبـــاس أحمـــد ابـــن سلكـــو الدكـــالي المصمـــودي** (تـــوفي قبـــل سنـــة 712هـــ/1312م)؛ وهـــو فقيـــه، وولي القضـــاء.

ــ ثـــم **أبـــو عيـــسى الدكـــالي المصمـــودي** (تـــوفي قبـــل سنـــة 712هـــ/1312م)؛ وهـــو مـــن الزهـــاد، والصوفيـــة؛ مـــن مؤلفاتـــه: كتـــاب تلقيـــن المريديـــن.

ــ ثـــم **أبـــو يعقـــوب الحســـاني الغمـــاري الصمـــودي** (تـــوفي قبـــل سنـــة 712هـــ/1312م)؛ وهـــو فقيـــه، ومحـــدث، وراويـــة.

"

ـ ثم **أبو عبد الله بن أبي علي عمر بن مخلد الدكالي الحاحي المصمودي** (توفي قبل سنة 712هـ/1312م)؛ وهو فقيه ابن فقيه.

ـ ثم **أبو العباس حميد بن قاسم الحاحي المصمودي** (ت: سنة 712هـ/1312م)؛ وهو فقيه، من أهل الصلاح.

ـ ثم **أبو علي صالح بن أبي صالح عبد الحليم الإيلاني المصمودي** (كان حيا سنة 712هـ/1312م)؛ كان مقيما بنفيس. وهو فقيه، وتاريخي.

ـ ثم **أبو زيد عبد الرحمن الرجراجي المصمودي** (ت: سنة 718هـ/1318م)؛ وهو من فقهاء المالكية؛ ومن الحفاظ. كان يعلق في دروسه على المدونة في مسجد الطاعة بفاس.

ـ ثم **أبو القاسم بن محمد الغماري المصمودي** (كان حيا سنة 720هـ/1320م)؛ وهو فقيه مالكي، ومحدث؛ اشتغل في تدريس المدونة بمسجد زنقة حجامة. كان متفوقا في حفظ المدونة، وتحصيل مسائل المذهب؛ ومعترف له بالعلم. ومن أنشاده:

قَنُوعُ النَّفْسِ يَعْقِبُهَا رَوَاحاً
وَحِرْصُ النَّفْسِ يُدْنِي لِلتَّوَانِي

"

وَلَيْـــسَ بِزَائِدٍ فِي الرِّزْق حِـــرْصٌ
وَلَيْـــسَ بِنَاقِــصٍ مِنْهُ التَّــوَانِي
إذَا مَا اللـــَّهُ سَبَّـــبَ رِزْقَ عَبْـــدٍ
أتَى لـَــكَ بِالتَّـــوَانِي وَالتَّـــدَانِي

ــ **ثــم أبــو محمــد عبــد الكريــم بــن الحسيــن ابــن عبــد الملــك بــن يحــيى بــن باسيــو بــن تــادررت اليدرازتيــني الواغديــني التنمــالي المصمــودي** (تــوفي بجهــات غرناطــة سنــة 723هــ/1323م)؛ وهــو مــن الفقهــا، والعلمــاء؛ ذوي الفضــل، والصــدق. ولــد ببجايــة، ثــم انتقــل إلى غرناطــة؛ فولي القضــاء ببعــض جهاتهــا؛ مثــل مــا كــان يعــرف باســم شالــش؛ التابعــة لغرناطــة. مــن مؤلفاتــه: كتــاب المعــاني المبتكــرة الفكريــة في ترتيــب المعالــم الفقهيــة، وكتــاب الإيجــاز في دلالــة المجــاز، وكتــاب نصــرة الحــق ورد البــاغي في مسألــة الصدقــة ببعــض الأضحيــة، وكــراس المباحــث البديعــة في مقتــضى الأمــر مــن الشريعــة.

ــ **ثــم أبــو عمــران مــوشى المصمــودي** (تــوفي بتلمســان سنــة 730هــ/1329م)؛ هكــذا جــاء اسمــه في درة الحجــال؛ بالشيــن؛ وقــال ابــن القــاضي ــ في جملــة مقتضبــة ــ أنــه فقيــه، وتــوفي بتلمســان.

"

ولسنا ندري الأسباب التي جعل المصادر الأخرى تصمت عنه.

– ثم **يحيى بن إبراهيم بن يحيى البرغواطي المصمودي** (توفي في سجنه بالمطبق سنة 768هـ/1366م)؛ وهو من أهل أنفا. انقطع لمعاشرة السائرين في طريق الصوفية؛ من الفقراء، والصالحين؛ ثم ذهب إلى الأندلس؛ دون أن يتخلى عن تعبده؛ فنزل برباط السودان؛ خارج مالقة. وهناك اشتهر أمره، وتزاحم عليه الناس من كل مكان. قال فيه ابن الخطيب: **((هذا الرجل نسيج وحده في الكفاية، وطلاقة اللسان؛ مدل على أغراض الصوفية، حافظ لكل غريبة من غرائب طريقتهم؛ متكلم في مشكلات أقوالهم، قايم على كثير من أخبارهم؛ يستظهر حفظ جزأي إسماعيل الهروي؛ المسمى بـ: منازل السائرين إلى الحق، والقصيدة الكبيرة لابن الفارض. عديم النظير في ذلك كله؛ مليح الملبس، مترفع عن الكُدْية، عزيز النفس، قليل الإطراء، حسن الحديث، عذب التجاوز فيه، على سنن من السذاجة، والسلامة، والرجولة، والحمل؛ صاحب شهرة قرعت به أبواب الملوك بالعدوتين. وعلى**

"

ذلك فمغضوض منه، محمول عليه؛ لما جبل عليه من رفض الاضطلاع، وترك السمت، واضطراح التغافل، وولوعه بالنقد، والمخالفة في كل ما يطرق سمعه؛ مرشحا ذلك بالجد المبرم؛ ذاهبا أقصى مذاهب القحة؛ كثير الفلتات. نالته بسبب هذه البلية محن كثيرة؛ أفلت منها بجريعة الذقن؛ وَوُسِمَ بالوَهَنِ في دينه؛ مع صحة العقل... وأفضى به الهوى، وتسور حمى السياسة؛ والإغياء في ميدان القحة إلى مصرع السوء؛ فجلد جلدا عنيفا بين يدي السلطان؛ كان سبب وفاته في المطبق)).[1] له مؤلفات عديدة؛ منها: نِسْبَة الذنب إلى الذاكر؛ وصف بأنه جزء نبيل وغريب المأخذ، وفيما أشكل من كتاب أبي محمد بن الشيخ، ،كتاب في الاعتقاد؛ وهو في مجلد كبير؛ وقد اشتمل على كثير من الأقوال، والحكايات؛ كان قد استحسنه عبد الله بن المقري؛ ولم يعجب تلميذه ابن الخطيب.

---

[1] **الإحاطة، ج: 4، ص ص: 427 ــ 428.**

"

ـ ثـم **أبـو عبـد اللـه محمـد بـن مـوسى بـن عابـد الغمـاري المصمـودي** (كـان حيـا سنـة 780هـ/1378م)؛ رحـل إلى مكـة، واستقـر بهـا في السنـة المذكـورة. وهـو مـن الزهـاد، والعبـاد.

ـ ثـم **شمـس الديـن أبـو عبـد اللـه محمـد بـن يوسـف الركـراكي** (الرجـراجي) **المصمـودي** (تـوفي بحمـص الشـام سنـة 793هـ/1390م)؛ عـاش في مصـر، والشـام. وهـو فقيـه مالـكي، وعالـم بالأصـول، والمعقـول؛ فاتهـم مـن جـراء آرائـه؛ وسجـن، ثـم نـفي إلى الشـام. وبعدهـا ولاه الظاهـر القضـاء؛ إلى أن مـات. وقـد رثـاه حجـاج بـن عيـسى بقولـه:

لَهْفِي عَلَى قَاضِي القُضَاةِ مُحَمَّـدٍ
أَلِـف العُلُوم الفـَارِس الرَّكْرَاكِي
قَدْ كَانَ رَأساً فِي القَضَاء فَلأجْلِ ذا
أسِفَـتْ عَلَيْهِ عِصَابَـةِ الأتْـرَاكِ

ومما قالـه القـرافي بخصوصـه: **((مـن المائـة الثامنـة قـدم مـن الغـرب؛ وقـد راهـق، أو بلـغ الحلـم. فـلازم الاشتغال عـلى مشائـخ عـدة مـن أبنـاء العـرب والعجـم؛ ومهـر في المعقـول، وقـرأ الأصليـن، والعربيـة؛ وكـان غايـة في الذكـاء؛ وحصـل مـن الفقـه طرفـا جيـدا. فـأول مـا**

"

اشتهر أمره أن نازع البرهان الأخنائي في تدريس المنصورية. وكان كثير الاستهتار بالكبار، والاستهزاء بالصغار. فكتبوا فيه محاضر؛ ونسبوه إلى العمل بالنجوم، والسحر؛ فخلعه أكمل الدين. ثم ولاه بدر الدين الأخنائي مدرس الحجازية، وتصدر بالجامع الأزهر، ثم شغر درس الفقه بالشيخونية؛ فقرره فيه الأكمل. ثم درس بالقمحية بمصر؛ واتصل بالملك الظاهر؛ فراح عليه، وأجلسه عنده يوم المحاكمات)).[1]

ـ ثم **شمس الدين محمد بن محمد بن علي ابن عبد الرازق الغماري (**توفي بمصر سنة 802هـ/1399م**)**؛ فقيه وعالم في النحو، وكان عارفا باللغة العربية؛ وكان من الحفاظ؛ فيستظهر كثير من الشعر؛ وله مشاركة جليلة في فنون الأدب.

ـ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد المصمودي

(توفي بتلمسان سنة 805هـ/1402م**)**؛ نشأ وترعرع في بلاد صنهاجة؛ قرب مكناسة؛ إذ تلقى تعليمه الأول بتلك الديار، ثم أكمل تعليمه بفاس؛ وبعدها انتقل إلى تلمسان؛ أين استقر حتى وفاته. وهو من شيوخ ابن مرزوق الحفيد،

---

[1] توشيح الديباج، ص:255.

"

ومحمد المجاري الأندلسي. غلب عليه الاتجاه الصوفي. وصفه المجاري بقوله: **((قرأت عليه في بيته جميع البرهانية في أصول الدين؛ تفقهها بلفظي. وكان ـ رحمه الله ـ صائم الدهر، شديد الانقباض عن الناس. وكان بيته في غاية الضيق؛ كانت له فيه سجادة يصلي عليها، وعليها ينام؛ إذا غلبه النوم، ويتوسد حجرا، ولباسه كساء. وبالجملة إني لم ألق مثله؛ من جمع العلم، والعبادة... وكان شيخنا الإمام أبو عثمان العقباني رحمه الله يحدث له تردد في بعض المسائل؛ في أصول الدين؛ فيبعثني إليه أسأله عن نظره فيها، وأرد عليه الجواب؛ فإذا أخبرته بما عنده فيها استحسنه غاية)).**[1]

ـ ثم **أبو حفص عمر الرجراجي المصمودي** (توفي بفاس سنة 810هـ/1407م)؛ وهو من فقهاء المالكية؛ يميل إلى الزهد، والورع؛ وكان متقدما في الفقه. ولي إمامة جامع الأندلسيين بفاس.

---

[1] برنامج المجاري، ص: 133.

"

ـ ثم **أبو وكيل ميمون بن مساعد المصمودي** (توفي جوعا في تلمسان سنة 816هـ/1413م)؛ وهو من علماء النحو، والعربية؛ توفي مع جماعة من الفقهاء؛ من جراء المجاعة التي انتشرت بتلك الديار في السنة المذكورة. من مؤلفاته: كتاب الدرة، وكتاب التحفة، ونظم الأجرومية.

ـ ثم **أبو مهدي عيسى بن علال المصمودي** (ت: سنة 823هـ/1420م)؛ وهو ينسب إلى قصر كتامة؛ أين يتواجد قومه؛ من مصمودة الهبط. وهو فقيه مالكي؛ له تعليق على مختصر ابن عرفة.

ـ ثم **محمد بن يعقوب الغماري المصمودي** (من أعلام النصف الأول من القرن التاسع للهجرة)؛ فقيه مالكي، وعالم في الأصول، والفروع.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن سعيد بن عثمان الهزميري المصمودي** (من أعلام القرن التاسع للهجرة)؛ نزيل مصر. وهو من علماء اللغة، والنحو، والفقه.

"

ـ ثـم **أبـو مهـدي عيـسى بـن عـلال المصمـودي** (ت: سنـة 830هـ/1426م)؛ وهـو إمـام جامـع القروييـن؛ ولي القضـاء؛ وكـان زاهـدا، ورعـا. ولـه تعليـق عـلى مختصـر ابـن عرفـة.

ـ ثـم **أبـو محمـد الهنتـاتي المصمـودي** (تـوفي بتونـس سنـة 833هـ/1429م)؛ وهـو مـن كبـار الفقهـاء؛ اشتهـر بالتحقيـق. ولي مـن طـرف أبي فـارس في خطـة القضـاء. ولـه تأليـف في الـرد عـلى البـرزلي؛ بخصـوص العقوبـة بالمـال؛ الـتي كـان البـرزلي يجيزهـا؛ هـذا وقـد رد عليـه البـرزلي بـدوره. ونقـل عنـه الونشريـسي بعـض فتاويـه في المعيـار.

ـ ثـم **أبـو عبـد اللـه محمـد الحسيـن بـن أحمـد الحفـصي الهنتـاتي المصمـودي** (ت: سنـة 839هـ/1435م)؛ وهـو أخـو السلطـان أبي فـارس عبـد العزيـز. كـان مـن كبـار الفقهـاء بتونـس. وهـو مفـتي العسكـر بالدولـة الحفصيـة.

ـ ثـم **عبـد اللـه بـن أبي البركـات الغمـاري المصمـودي** (تـوفي مقتـولا في السجـن سنـة 853هـ/1449م)؛ فقيـه؛ ولي حجابـة أبي العبـاس أحمـد ابـن أبي حمـو الزيـاني، وكـان صاحـب أشغالـه أيضـا. أمـر بقتلـه خنقـا في محبسـه.

"

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن عيسى بن عبد الرحمن البجائي الغماري** (توفي بتونس سنة 862هـ/1457م)؛ وهو فقيه وأديب؛ ولي القضاء بتونس؛ كما أسند إليه السلطان المستنصر الحفصي مهمة السفارة؛ مرات عديدة.

ـ ثم **أحمد بن الحسن التلمساني الغماري المصمودي** (توفي بتلمسان سنة 874هـ/1469م)؛ وهو من الصوفية، والزهاد الصالحين.

ـ ثم **بدر الدين الغماري** (من أعلام النصف الثاني من القرن الثامن للهجرة)؛ فقيه مالكي؛ ولي القضاء بدمشق.

ـ ثم **محمد بن محمد بن عيسى بن علال المصمودي** (توفي بفاس سنة 885هـ/1480م)؛ كان فقيها مالكيا؛ ولي القضاء بفاس؛ فكان محمود السيرة.

ـ ثم **الحسين بن علي الشوشاوي الرجراجي المصمودي** (توفي في آخر المائة التاسعة للهجرة)؛ فقيه مالكي؛ قام بإعداد شرح على كتاب مورد الضمآن، وشرح على تنقيح القرافي، وله أيضا نوازل في الفقه المالكي.

"

ـ ثـم **أبـو مالـك عبـد الواحـد بـن الحسـن الرجـراجي المصمـودي** (تـوفي في حـدود عـام 900هـ/1494م)؛ تصـدر للإقـراء؛ ولـه مؤلفـات؛ منهـا: في ظـاءات القـرآن، وطـاءات القـرآن، وذالات القـرآن، ودالات القـرآن.

ـ ثـم **أبـو إسحـاق إبراهيـم الفـاسي المصمـودي** (تـوفي بفـاس سنـة 912 أو 913هـ/1506 أو 1507م)؛ وهـو مـن علمـاء الفرائـض، والحسـاب.

ـ ثـم **شمـس الديـن محمـد بـن عـلي المصمـودي** (ت: سنـة 915هـ/1509م)؛ فقيـه مالـكي . قـال فيـه ابـن العمـاد: ((**كـان فقيهـا فاضـلا؛ نـاب عـن العفيـف بـن حنبـل قـاضي المالكيـة بحلـب؛ وكتـب بهـا عـلى الفتـوى**)).[1]

ـ ثـم **أبـو محمـد عبـد الحـق المصمـودي** (ت: سنـة 955هـ/1548م)؛ وهـو فقيـه مالـكي؛ متمكـن مـن الفرائـض، والحسـاب.

ـ ثـم **أحمـد بـن عـلي بـن عرضـون الغمـاري المصمـودي** (تـوفي بعـد عـام 970هـ/1562م)؛ وهـو فقيـه، ومحاسـب، وفـرضي.

---

[1] شـذرات الذهـب، ج: 8، ص: 72.

"

ـ ثم **مبارك بن علي بن إبراهيم التورختي المصمودي** (ت: سنة 980هـ/1572م)؛ فقيه مالكي؛ سماه ابن القاضي "شيخ الجماعة".

ـ ثم **إبراهيم بن الحسن المصمودي** (كان حيا سنة 999هـ/1590م)؛ وهو من الفقهاء، والنحويين؛ ولي إمامة جامع علي بن يوسف بمراكش.

ـ ثم **عبد الواحد بن أحمد بن عبد الله الرجراجي المصمودي** (كان حيا سنة 999هـ/1590م)؛ كان يستظهر مختصر خليل، وله مشاركة في علوم أخرى.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن الحسن** (أو الحسين) **بن عرضون الرجني الغماري المصمودي** (ت: سنة 1012هـ/1603م)؛ وهو فقيه، ونحوي؛ له دراية جيدة بألفية ابن مالك؛ كما أنه متمكن من علوم العروض، والأصلين، والمنطق، والبيان؛ وله أيضا نضم حسن. ولي خطة قاضي القضاة بشفشاون. ومن شعره قوله لرفيق له؛ يحرضه على مواصلة العادة في الخروج لوادي ويَسْلان للتنزه:

إذَا القَلْبُ مِنِّي دَهَاهُ شَجَنْ

وَأجْفَانُ عَيْنِي جَفَهَا الوَسَنْ

"

وَجَمْــــرُ الغَضَا فِي الحَشَا قَدْ أضَـــا
حَتَّتَـــتُ المَــطِيَّ إِلَى وِيسَلَـــنْ
فَسَرَّحْتُ طــَرْفِي وَأجْرَيْتُ طِــرْفِي
وَمَسَّتْ فَشَاهَتْ وُجُــوهُ الحَـــزَنْ
كَتَائِـــبُ نُـــورٍ رَكَائِـــبُ طَيْـــرِ
أمَيـــرُ الجَمِيـــعِ ذُرَاهُ سَكَـــنْ
وَهَـــذَا الخَمِيـــسَ ألاَ نُزْهَـــــة
بِبَطْحَائِـــهِ يَـــا سَلِيـــلَ الحَسَـــنْ
نُدِيـــرُ كُئُوســـاً نُسَـــلِّي نُفُوســـاً
بِتَرْجِيـــعِ أوْتَـــارِ أمِّ الحَسَـــنْ

"وأم الحســـن" هـــو طائـــر العندليـــب أو الشحـــرور؛ عنـــد أهـــل المغـــرب. ومـــن شعـــره أيضـــا:

أجَنَّـــة الخُلْـــدِ هَـــذِي يَابْـــنَ عَدْنَـــانِ
أجبْ هُدِيتَ أرَوْضٌ لابْنِ رَضْـــوَانِ؟
أمَا تَـــرَى الطَّيْر فِي الأدْوَاحِ سَاجعَـــة
أدْمَـــتْ أنَامِلُهَـــا أوْتَـــارَ عِيـــدَانِ؟
تَحْـــكِي مَزَامِيرَ مَنْ لاَنَ الحَدِيـــدَ لَـــهُ
تَشْدُو الزُّجَيِّـــل فِي رَصْدٍ وَزِيـــدَانِ
تَنْفِي عَنِ الصَّبِّ مَا بالقَلْب مِنْ كَـــرَبِ
بَلْ تَتْرُكُ الصَّبَّ فِي تيهِ الهَوَى عَـــانِ

"

وَإنْ أرَدْتَ مِنَ الأوْصَافِ صَفوَتَهَا
فَانْظُرْ لِمَائِدَةٍ حُفَّتْ بِألْوَانِ
لاَ يَسْتَطِيعُ لِسَانٌ وَصْفَ لَهْجَتِهَا
عَلَى الكَمَالِ وَلَوْ لِسَان سُبْحَانِ

وله كذلك:

يَا وَاهِماً نَحْوَ المُصَلَّى هَائِماً
باللــَّهِ فَاصْعَدْ عَلَى سَنَامِ المَنْبَرِ
وَانْظُرْ إلَى النُّورِ المُنِيرِ كَأَنَّهُ
دُرَرٌ نُثِرْنَ عَلَى أدِيمٍ أخْضَرِ

OOO

الكلام السابق يتعلق بأهل العلم من بني مصمودة؛ وبقي الآن التطرق لأهل السيف والسلطان والسياسة منهم؛ وهم:

ـ سفيان بن عبد ربه المصمودي (ت: سنة 211هـ/826م)؛ وهو حاجب الدولة الأموية بالأندلس؛ أيام عبد الرحمن بن الحكم. كان قبل وصوله إلى هذه المرتبة المكلف بالخزانة الكبرى. وقال فيه ابن حيان: **((كان من أكابر رجال أهل الخدمة الكفاة المستقلين بأعبائها؛ ممن جمع إلى الغناء، والكفاءة، والعفة، والأمانة. قد تولى خدمة الخزانة الكبرى أيام**

"

الأمير الحكم؛ وهو أول من استخزن بالأندلس؛ وحمل هذا الاسم الذي اعتور من عمل عمله إلى اليوم... ولم يزل يتنقل في مراتب الخدمة إلى أن نال الحجابة. ومن ولده الأديب أبو الأسود؛ وكان ذا وجاهة عند الناس؛ حدثا، مؤنس الجليس، ممتعا؛ توفي في أيام الخليفة الناصر لدين الله رحمه الله)).[1]

ـ ثم **محمود بن عبد الجبار بن زاقلة المصمودي** (توفي مقتولا في جليقية سنة 225هـ/839م)؛ قاد ثورة سنة 213هـ/828م ضد الأمير الأموي؛ عبد الرحمن بن الحكم؛ فاستبد بماردة؛ فلم يتمكن عبد الرحمن من إخراجه منها حتى عام 215هـ/830م. ولكنه نقل ثورته إلى، وعصيانه إلى حصن منت شلوط؛ القريب من بطليوس؛ فأخذ ـ من هناك ـ يشن الغارة تلو الأخرى على مدن الدولة الأموية؛ المجاورة لحصنه. فلاحقه عبد الرحمن بصوائفه، وطاولته حتى اضطرته إلى اللجوء إلى ملك جليقية؛ الذي منحه قلعة في شمال البرتغال سنة 223هـ/837م. ومع هذا لم يهنأ باله في الغربة؛ فأرسل إلى الأمير عبد الرحمن؛ طالبا الأمان؛

---

[1] **المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ص: 25 ـ 26.**

"

بغرض العودة؛ ولكن أمره اكتشف؛ فهاجمه ملك جليقية؛ قبل تحقيق بغيته؛ فقتل في معركة دارت بنه وبين النصارى؛ قتل فيها. وذلك أن جواده اصطدم في شجرة بلوط ـ نتيجة لجموحه ـ فسقط محمود قتيلا. ويقال: أنه بقي مجدلا على الأرض مدة؛ دون أن يجرأ أحد من أعدائه الاقتراب منه؛ خوفا أن تكون مكيدة منه.

ـ ثم **منصور البرغواطي المصمودي** (توفي مقتولا بسفاقص سنة 451هـ/1059م)؛ كان من صنائع الزيريين، وقادهم البارزين. وقد اشتهر بالشجاعة، والإقدام. أسند إليه المعز ابن باديس أعمال سفاقص؛ فأغرته نفسه بالاستبداد، فشرع في مفاوضة أحياء بني هلال؛ المتغلبين على ضواحي تلك الجهات؛ فواعدوه بالمساندة. ولكن ابن عمه حمو بن مليل البرغواطي غدر به قبل تحقيق هدفه؛ وقتله في الحمام؛ وانتصب بدلا منه في حكم سفاقص، والاستبداد بها. وعندما وصل الأعراب؛ حلفاء منصور؛ عرض عليهم بعض المال في مقابل تأييده؛ بدلا من ابن عمه؛ فقبلوا، ووقفوا إلى جانبه.

"

ـ ثـم **سوَّاجـَّات البرغـواطي** الشهير بسقـوت (تـوفي في معركـة بينـه وبيـن المرابطيـن سنـة 471هـ/1078م)؛ كـان مـولى ليحـيى بـن عـلي بـن حمـود؛ اشتـراه مـن حـداد؛ سبـق أن حصـل إليـه مـن سـبي برغواطـة. ونظـرا لكفاءتـه، ونباهتـه؛ ولاه ـ مـع فـتى آخـر يسـمى رزق اللـه ـ سبتـة؛ وانتقـل هـو إلى الأندلـس. وفي سنـة 453هـ/1061م انقـض سوجـات عـلى زميلـه رزق اللـه، وقتلـه؛ ثـم استقـل بملـك سبتـة، وطنجـة؛ مستبـدا عـلى الحموديـين. وبعدهـا تسـمى بالمنصـور؛ كمـا أورث إمارتـه ابنـه العـز بـن سواجـات؛ الـذي عـرف بالحاجـب. وأورد ابـن عـذاري خبـرا طريفـا قـال فيـه: **((وذكـر عـن أبي الوليـد بـن جهـور؛ صاحـب قرطبـة أنـه قـال: "وردت عـلي مـن الكتـب في يـوم واحـد: كتـاب مـن ابـن صمـادح؛ صاحـب المريـة؛ يطلـب جاريـة عـوادة، وكتـاب مـن ابـن عبـاد؛ يطلـب جاريـة زامـرة، وكتـاب مـن سواجـات؛ صاحـب سبتـة؛ يطلـب قارئـا يقـرأ القـرآن". فـوَجَّـهَ إليـه مـن طلبـة قرطبـة رجـلا يعـرف بعـون اللـه بـن نـوح.**

"

وعجب أبو الوليد من ذلك؛ وقال: "جاهل يطلب قارئا، وعلماء يطلبون الأباطيل")).[1]

ـ ثم **المعز بن سواجات** (سقوت) المعروف بالحاجب (توفي قتيلا في سبتة سنة 476هـ/1083م)؛ خلف والده في الإمارة؛ بعد مقتله في موقعة ضد المرابطين. وبقي يقاوم تحرشات المرابطين مدة؛ حتى اشتد حصارهم لسبتة من جهة البحر. وهكذا انتهت معركته ضدهم؛ بسقوط سبتة، وقتله في السنة المذكورة آنفا.

ـ ثم **حمو بن مليل البرغواطي المصمودي** (توفي بعد عام 493هـ/1099م)؛ كان من أتباع منصور البرغواطي؛ المتغلب على سفاقص؛ فانتهز فرصة سنحت؛ فغدر به؛ في الحمام، وقتله في عام 451هـ/1059م، ثم استولى على مقاليد الأمور في تلك المدينة؛ وتآمر مع الأعراب ضد دولة المعز بن باديس. ولما مات المعز، وخلفه ابنه تميم؛ كانت بينهما أحداث ووقائع عديدة؛ انتهت باستعادة سفاقص من طرف تميم سنة 493هـ؛ فهروب حمو إلى قابس؛ أين أجاره أميرها مكن بن كامل الدهماني؛ فبقي عنده حتى مات.

---

[1] البيان المغرب، ج: 3، ص: 250.

"

ـ ثم **إسماعيل بن يسلاَّلي** (يحيى) **الهزرجي المصمودي** (توفي قتيلا سنة 549هـ/1154م)؛ وهو من أصحاب العشرة بين الموحدين. سماه صاحب المعجب إسماعيل بن يحيى؛ وكان المهدي أذن له بالقضاء بين الناس؛ ونسب إليه صاحب المعجب مواقف سامية في الفداء، والتضحية؛ منها أنه نبه المهدي عندما أنصار الدولة المرابطية قتله؛ إذ سأله عن إعراب الآية: ((إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين)). فانتبه المهدي للخطر المحدق به؛ ورحل. والموقف الثاني حدث له مع عبد المؤمن؛ حينما علم بالمؤامرة التي دبرت لقتله من طرف أقرباء المهدي؛ طلب من عبد المؤمن أن يترك له فراشه تلك الليلة؛ فلبى عبد المؤمن طلبه؛ معتقدا أن نفسه هوت ذلك؛ ولما نام فيه وقع قتل خطأ بدل عبد المؤمن.

ـ ثم **عمر بن تفراجين** (تفراكين) **التينملي المصمودي** (توفي قتيلا سنة 549هـ/1154م)؛ وهو من أهل الخمسين في النظام الموحدي؛ الذي أحدثه ابن تومرت. تركه عبد المؤمن بن علي واليا على مراكش. ولما أراد أقرباء

"

المهـدي (بنـو أمغـار) الثـورة بها قتلـوه؛ لأنـه عارضهـم.

ـ ثـم **محمـد بـن عبـد الكريـم الرجـراجي** (الركـراكي) **المصمـودي** (تـوفي بسجـن المهديـة سنـة 597هـ/1200م)؛ وهـو مـن قـادة الموحديـن؛ الموصوفيـن بالشجاعـة، والإقـدام. نشـأ بالمهديـة؛ بيـن جنـد الموحديـن؛ إذ كـان أبـوه منهـم. وقـد قـدم محمـد هـذا للدولـة، وسكـان المهديـة خدمـات جليلـة؛ في مكافحـة الأعـراب، ومطاردتهـم في تلـك النـواحي؛ إذ كـان الـولاة بتلـك المناطـق قـد أطلقـوا يـده، وفوضـوا لـه أمـر مكافحـة الفسـاد؛ دون أن يحاسبـوه عـلى شيء؛ فتمكـن مـن كبـح، الأعـراب، وأزالـة فسادهـم، وعيثهـم مـن تلـك الجهـات؛ فانتشـر الأمـن، وازدهـرت الأوضـاع الاقتصاديـة. ولـم تكـن قبائـل الأعـراب تجـرؤ عـلى الانتجـاع في الأراضي الـتي في حمـاه إلا بإذنـه؛ فنـوه بذكـره النـاس، واشتهـرت مـزايـاه بينهـم؛ حـتى أنهـم كانـوا يدعـون لـه في المساجـد؛ بعـد كـل صـلاة. ولمـا استبـدل الـوالي الموحـدي في إفريقيـة؛ وقـدم إليهـا الشيـخ أبـو سعيـد المؤمـني؛ أحضـر معـه أخـاه أبـا عـلي، وأسنـد إليـه أعمـال المهديـة؛ تراجـع عمـا جـرت عليـه العـادة مـع ابـن عبـد الكريـم؛ وطالبـه بأسهامـه فيمـا يغنمـه

خلال غزوه للأعراب؛ فأبى، وطلب مجاراته على ما سبق مع الولاة السابقين. فقبض عليه أبو علي، وامتحنه، وأهانه. فاستنجد أبن عبد الكريم بأبي سعيد؛ الوالي على إفريقية؛ فلم يلتفت إليه. وخلال هذه الأحداث؛ بدأ الفساد في الانتشار عبر الطرقات، وفي البراري، وفي الساحل؛ حيث استفحل شأن الأعراب من جديد؛ بسبب الفراغ الأمني. فطلب الناس من أبي علي إطلاق سراح ابن عبد الكريم؛ فرفض؛ وكادت أن تنشب فتنة؛ جراء ذلك؛ فاضطر إلى إطلاق سراحه؛ طلبا منه الخروج للأعراب. وبدلا من توجهه إلى الأعراب؛ فقد اختار الهجوم على القصر، واعتقال أبي علي. وتم له ذلك، ثم استبد بالمهدية؛ بعد ثورته تلك؛ ولم يطلق أبا علي إلا بفدية ثقيلة. وكانت نهايته بسقوط المهدية؛ في براثن ابن غانية؛ فمات مسجونا لديه.

ـ ثم سبع بن منخفاد الغماري المصمودي (توفي مقتولا سنة 562هـ/1166م)؛ وهو الذي تزعم الثورة ضد الموحدين بجبال غمارة. هذا وقد انتهت ثورته بالفشل؛ وقتل ثم صلب.

"

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن يغمور الهنتاتي المصمودي** (كان حيا سنة 603هـ/1206م)؛ وهو من شيوخ الموحدين؛ ولاه الناصر الموحدي المهدية؛ بعد إخراج ابن غانية منها.
ـ ثم **أبو محمد عبد الواحد أقوسقور** (أقسجور) **بن أبي حفص عمر الهنتاتي المصمودي** (توفي بتونس سنة 618هـ/1221م)؛ وهو من شيوخ الموحدين. أسند إليه الناصر الموحدي أعمال إفريقية؛ ومطاردة ابن غانية في أطرافها. فتدعم بواسطته سلطان الموحدين بتلك الربوع. وبوجوده في تلك الديار مهد لأبنائه التعرف عليها، والتطلع للبقاء فيها.
ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن عبد الواحد ابن أبي حفص عمر الهنتاتي المصمودي** المعروف بـ عبو (كان حيا سنة 625هـ/1227م)؛ ولاه العادل الموحدي إفريقية؛ فبقي بها؛ حتى خلعه أخوه أبو زكرياء بإيعاز من المأمون الموحدي؛ ثم سجنه بقصر من قصور تونس.
ـ **ميمون بن موسى الهنتاتي المصمودي** (كان حيا سنة 626هـ/1228م)؛ ولي خطة الوزارة في عهد أبي زكرياء الحفصي؛ ولكنه نكبه فيما بعد؛ واستصفى أمواله، ثم نفاه إلى الإسكندرية.

"

ـ ثـم **أبـو عبـد الرحمـن يعقـوب بـن يوسـف ابـن محمـد الهـرغي المصمـودي** (تـوفي قتيـلا سنـة 639هـ/1241م)؛ اشتهـر بالشجاعـة والأقـدام. وكانـت تجمعـه بالجوهـري؛ صاحـب الأشغـال في الدولـة الحفصيـة صداقـة؛ ولمـا سمـع بمقتلـه؛ خـاف أن يـأتي دوره بعـده؛ فحـاول الشـروع في الثـورة في طرابلـس، والاستبداد عـلى السلطـان أبي زكريـاء الحفـصي؛ ولكنـه مـني بالفشـل منـذ البـدء؛ إذ قبـض عليـه مـن طـرف أعيـان طرابلـس، ثـم جاءهـم الأمـر بقتلـه، وصلبـه؛ فتـم ذلـك.

ـ ثـم **أبـو زكريـاء يحيـى بـن عبـد الواحـد بـن أبي حفـص عمـر الهنتـاتي المصمـودي** (تـوفي خـارج بونـة سنـة 647هـ/1249م)؛ هـو المؤسـس الأول للدولـة الحفصيـة بتونـس؛ بعـد أن فصلهـا عـن سلطـان الدولـة الموحديـة سنـة 627هـ/1229م. وقـام بعـد الاستبـداد بتدعيـم سلطانـه، وتوسيـع نفـوذه بإفريقيـة، والمغـرب الأوسـط. وكـان متقشفـا، جماعـا للمـال، محبـا للعلـم، للعلمـاء. وكـان أديبـا، وينظـم الشعـر؛ مـن شعـره مـا قالـه في الجـوز:

تَفَضَّـلْ بِطَعْـمٍ لـَهُ مَلْبَـسٌ
صَلَابَـة وَجْـهِ لَئِيـمٍ حَـكَى

"

إِذَا بَــزَّ عَنْ جسْمِــهِ ثَوْبَــهُ
أَتَـَـاكَ كَمَا يُمْضَــغُ المُصْطَــكَى

وفي وصفــه للرمــح يقــول:
وَأسْمَــرَ غرٍّ شَيَّبَ النَّقْــعُ رَأسَــهُ
ألاَ إِنَّمَــا بَعْدَ القَشِيب مَشِيــبُ
مَــدَدْتُ بِــهِ كَــفِّي إِلَيْهِمْ كَأَنَّــهُ
رِشَــاءٌ وَمِنْ قَلْبِ الكَمِيِّ قَلِيــبُ

ولــه أيضــا:
أمَالِكَــتَيْ قَلْبِ الكَئِيب تَعَطُّفــاً
بسَاكِنَــتَيْ رَبْعِ الضُّلُوعِ تَرَحُمَــا
عَلَى هَائِــمٍ أَعْيَاهُ حَمْلُ غَرَامِــهِ
وَأَعْقَبَــهُ فَــرْط الغَــرَامِ تَأَلُّمَــا
فَلَــمْ يُبْــقِ فِيهِ البَيْنُ إلاَّ تَنَفُّسَــا
وَلَمْ يُبْــقِ فِيهِ الشَّوْقُ إلاَّ تَوَهُّمَــا

ـ ثــم أبــو يحــيى زكريــاء بــن يحــيى بــن عبــد الواحــد بــن أبي حفــص الهنتــاتي المصمــودي (تــوفي ببجايــة سنــة 646هــ/1248م)؛ وهــو ولي عهــد أبي زكريــاء؛ ولكنــه تــوفي في حياتــه؛ حينمــا كــان ببجايــة؛ واليــا عليهــا؛ مــن طــرف أبيــه.

ـ ثم **أبو عبد الله المستنصر بالله محمد ابن أبي زكرياء يحيى الحفصي الهنتاتي المصمودي** (ت: سنة 675هـ/1276م)؛ في عهده أسقط المغول الخلافة العباسية ببغداد؛ فانتهز هذه الفرصة؛ فأعلن نفسه خليفة للمسلمين؛ وبالفعل وصلته بيعة نيلبة عن أهل مكة؛ خصه بها عبد الحق بن سبعين. ويبدو أنه كان متقلب المزاج؛ فكان سرعان ما ينقلب على المقربين منه. وهو الذي أمر بقتل ابن الأبار؛ بسبب بعض الوشايات في حقه؛ فعذب قبل قتله، وأحرقت كتبه، ومؤلفاته؛ ويقال أنها كانت نحو خمسة وأربعين تأليفا.

ـ ثم **أبو زكرياء الواثق يحيى بن محمد المستنصر الحفصي الهنتاتي المصمودي** (توفي بعد 678هـ/1279م)؛ افتتح عهده بإطلاق المساجين، ورفع المظالم كافة، وإلغاء المكوس، والسعي لبناء، وترميم المساجد؛ ومنها جامع الزيتونة؛ والإحسان إلى الجند. ولكن اتضح فيما بعد أنه كان ضعيفا، وخاملا؛ فترك شئون دولته بيد كاتبه وصاحب علامته الفقيه يحيى بن أبي مروان فاستبد عليه. وكان مكروها؛ فأساء لنفسه، وللسلطان الواثق؛ فكان سببا في تحول الناس عنهما؛ والتطلع إلى الأمير أبي إسحاق؛

"

الموجـــود بالأندلـــس؛ فراسلـــه بعضهـــم؛ طالبيـــن إليـــه المسيـــر إليهـــم؛ وإنقـــاذ الدولـــة. فلـــم يتـــردد أبو إسحـــاق في ذلـــك؛ وهـــو المعـــارض؛ واللاجئ السيـــاسي لـــدى ابـــن الأحمـــر؛ فســـارع بالذهـــاب إلى إفريقيـــة؛ بمساعـــدة سلطـــان تلمســـان؛ فأسقـــط الواثـــق، واعتقلـــه، وعـــذب حـــتى مـــات.

ــ ثـــم **أبـــو محمـــد عبـــد الحـــق بـــن تفراجيـــن** (تفراكيـــن) **التينمـــلي المصمـــودي** (كـــان حيـــا سنـــة 681هـــ/1282م)؛ وهـــو مـــن شيـــوخ الموحديـــن في تونـــس. أسنـــد إليـــه الـــدعي مهمـــة تأديـــب الأعـــراب؛ فأتمهـــا.

ــ ثـــم **أبـــو إسحـــاق إبراهيـــم بـــن يحـــيى بـــن عبـــد الواحـــد بـــن أبي حفـــص عمـــر الهنتـــاتي المصمـــودي** (تـــوفي مقتـــولا سنـــة 682هـــ/1283م)؛ بعـــد أن أسقـــط الواثـــق؛ نكـــل بـــه، وبأسرتـــه، وحاشيتـــه؛ فهـــرب مـــن بينهـــم أحـــد فتيـــان المستنصـــر إلى المغـــرب؛ حيـــث تآمـــر مـــع مغامـــر مـــن أهـــل بجايـــة يـــدعى ابـــن أبي عمـــاره؛ وعـــرف ــ فيمـــا بعـــد ــ بالـــدعي. وقـــد تسببـــت هـــذه المؤامـــرة في قتـــل أبي إسحـــاق ببجايـــة، وهلـــك أبنائـــه. ويبـــدو أنـــه غيـــر صالـــح للحكـــم؛ فممـــا قالـــه ابـــن القنفـــذ: ((**وكـــان الأميـــر أبـــو إسحـــاق فيـــه غلظـــة، وشجاعـــة، وخفـــة،**

"

وغيبة عن مجلسه؛ في لهوه، وأنسه. وكان ل ينظر في عواقب الأمور... واستولت العرب في أيامه بتونس على القرى، والمنازل، ونهبوا الأموال، والحريم. وهو أول من كتب البلاد الغربية للعرب بالظهائر؛ وزاد في العوائد؛ ليجد الراحة في لذاته؛ بعد تقدم غزواته؛ وقلت المجابي، في أيامه، وكثر الإخراج والإنفاق)).[1]

ـ ثم أبو حفص عمر بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص عمر الهنتاتي المصمودي (ت: سنة 694هـ/1294م)؛ كان عاقلا، وحليما، وكريما؛ ويعظم العلماء؛ اشتهر خلال عهده بالتسامح، وعدم إراقة الدماء. ومع اتصاف أيامه بالهناء والأمن والعدل؛ إلا أنها عرفت غزوا من طرف النصارى؛ الذين اعتدوا على جربة والمهدية؛ فعاثوا بهما فسادا. هذا بالإضافة إلى عبث الأعراب، واستبدادهم بالقرى، والبوادي. ومن جهة أخرى طمع في الاستيلاء على الدولة؛ الأمير أبي زكرياء ابن السلطان أبي إسحاق؛ الذي اقتطع قسنطينة، وبجاية.

[1] الفارسية، ص: 139.

"

ـ ثم مسلم بن سعيد التنملي المصمودي (توفي بغرناطة سنة 698هـ/1298م)؛ كان من عامة الناس؛ فتمكن بذكائه ودهائه وكفايته من التقرب إلى سلطان بني نصر محمد بن محمد بن يوسف؛ ثاني ملوكهم؛ فأسند إليه خطة الحفازة؛ وهي التي ينظر صاحبها في عموم الجبايات، وجمع الأموال، ومعاقبة المتهاونين، والمتحايلين؛ فعظم شأنه، واشتدت سطوته؛ ونمت ثروته؛ فصاهر البيوتات الكبيرة، ،أضحى من عظماء خدام الدولة. ويبدو أن ولي العهد كان يحقد عليه؛ لشيء في نفسه منه. فكان ينتظر فرصة وصوله إلى سدة الحكم؛ لي يشفي غليله منه؛ ولكن شاءت الظروف أن يموت مسلم قبل تملكه. فلما اعتلى السرير ـ بعد مدة ـ نبش قبر مسلم، واحرق رفاته. وبذلك أطفأ نار حقده.

ـ ثم أبو زكرياء يحيى بن إبراهيم بن أبي زكرياء الحفصي الهنتاتي المصمودي (توفي ببجاية سنة 700هـ/1300م)؛ كان قد نجى إلى تلمسان أيام أبي عمارة؛ فتمكن من الاستيلاء على بجاية، وقسنطينة وتشيد إمارة بهما؛ فقسم الدولة إلى دولتين. ثم حاول الاستيلاء على تونس؛ ولكنه فشل. كان حكمه في إمارته

"

محمودا؛ إذ عرف بحسن السيرة، والعدل بين الناس، والبعد عن المنكرات.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن يحيى بن محمد بن أبي زكرياء الحفصي الهنتاتي المصمودي** (ت: سنة 709هـ/1309م)؛ حاول استعادة قسنطينة ـ بعد اعتلائه سدة الحكم ـ ولكنه أخفق. وفي وقته هدد النصارى تونس؛ ثم عادوا من حيث أتوا.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن محمد المزدوري الهنتاتي المصمودي** (كان حيا سنة 711هـ/1311م)؛ وهو من أعيان الموحدين؛ كان شيخا لدولة زكرياء بن اللحياني؛ وكان له دور كبير في وصول ابن اللحياني إلى الحكم. يبدو أنه كان ينظم شيئا من الشعر؛ إذ أورد له التجاني بيتين من الرجز؛ قالهما عندما اضطر لسكنى بلد بين سفاقص وطرابلس؛ يسمى عيون وَذرفْ:

هَذِي عُيُونُ وَذرفِ   دَعِ العُيُونَ تَذرفِ
بَدِّلْتُ مِنْ أَرْضِي بِهَا   وَا أَسَفِي وَا أَسَفِي

"

ـ ثم **أبو يحيى زكرياء بن أحمد بن اللحياني الحفصي الهنتاتي المصمودي** (توفي بمصر سنة 728هـ/1327م)؛ استولى على الحكم بعد عودته من الحج؛ فوجد البلاد قد تغلبت عليها قبائل الأعراب؛ من بني هلال وسليم. بالإضافة إلى الانشقاقات بين أفراد العائلة المالكة؛ لذا فقد حدث له ما سبق أن أحدثه هو لغيره؛ إذ خرج عليه أمير بجاية وقسنطينة؛ فلم يمهله طويلا؛ حتى استولى على دولته. فلجأ بأمواله، وذخائره إلى مصر؛ أين توفي بها. وكان إلى جانب مرتبته السلطانية فقيها، وأديبا، وله منظومات شعرية.

ـ ثم **أبو بكر بن يحيى بن أبي إسحاق إبراهيم الحفصي الهنتاتي المصمودي** (ت: سنة 747هـ/1346م)؛ زحف من قسنطينة ـ مسقط رأسه ـ إلى تونس؛ حيث افتك الحكم من اللحياني؛ واعتلى سدة الحكم بها. عرفت فترة حكمه حروبا شديدة؛ بينه وبين بني عبد الواد؛ الذين تمكنوا من احتلال تونس لبعض الوقت. ولكنه استرجعها؛ بدعم من بني مرين. كما استطاع التكيف ـ بذكاء ـ مع الوضع المردي في إفريقية؛ بسبب تغلب الأعراب على أغلب جهاتها.

"

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن تفراجين (تفراكين) التينملي المصمودي** (توفي قتيلا سنة 747هـ/1346م)؛ كان وزير في الدولة الحفصية.
ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن تفراجين (تفراكين) التينملي المصمودي** (توفي بتونس سنة 766هـ/1364م)؛ وهو الحاجب الوزير بالدولة الحفصية؛ ذاع صيته، واستفحل أمره؛ حتى أضحى نفوذه يفوق نفوذ السلطان الحفصي نفسه.
ـ **أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الحسن بن أبي هلال الهنتاتي المصمودي** (كان حيا سنة 769هـ/1367م)؛ كان وزيرا في الدولة الحفصية.
ـ ثم **عامر بن محمد بن علي الهنتاتي المصمودي** (توفي مقتولا سنة 771هـ/1369م)؛ وهو من كبار زعماء هنتاتة؛ ترعررع في ظل الدولة المرينية؛ إذ كان أباه، وعمه في خدمة الدولة؛ منذ قيامها؛ فتوليا الجباية. ولما كبر عامر هذا؛ التزم بخدمة السلطان أبي الحسن؛ فأخلص له، وتفانى في الحفاظ على أمواله، وأبنائه. وقد وصفه ابن الخطيب، بصفات جليلة؛ كما أورد ابن خلدون جملة من أخباره؛ التي تدل على منزلته الرفيعة بين بني مرين.

"

ـ ثم أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن يحيى بن أبي إسحاق إبراهيم الحفصي الهنتاتي المصمودي (ت: سنة 796هـ/1393م)؛ كان أميرا على بجاية وقسنطينة؛ فزحف على تونس، وأحتلها بالقوة؛ ثم اعتلى سدة الحكم بها. وقد أعاد الاستقرار إلى الدولة؛ بفضل حزمه، وحنكته. كما استرجع الأمصار التي تغلبت عليها قبائل بني هلال؛ فثاروا عليه؛ ولكنه أخضعهم بالمطاولة. وفي وقته هجمت جيوش جنوة على المهدية؛ ففشل مسعاهم.

ـ إبراهيم ابن الكاتب أبي يعقوب يوسف ابن القائد إبراهيم الغماري المصمودي (ت: سنة 798هـ/1395م)؛ وهو فقيه، وكاتب ببلاط الدولة الحفصية؛ كما ولي في بعض المهام السامية في الدولة.

ـ ثم أبو فارس عبد العزيز بن أحمد بن محمد بن أبي بكر الحفصي الهنتاتي المصمودي (ت: سنة 837هـ/1433م)؛ افتتح عهده بمواصلة ما شرع فيه والده؛ من تمهيد الدولة، وتعزيز سلطانها. وبالفعل فقد تمكن من استعادة بعض الهيبة إليها. كما حاول غزو مالطة؛ إذ قام جيشه بحصارها؛ دون جدوى، ثم غزا صقلية؛

"

فغنم جيشه منها بعض المغانم، وعاد. وتوفي بالقرب من ونشريس؛ وهو في طريقه لحرب سلطان تلمسان.

ـ ثم **محمد بن الحسن بن محمد الحفصي الهنتاتي المصمودي** (كان حيا سنة 981هـ/1573م)؛ وهو آخر السلاطين الحفصيين. سار على نهج بعض أسلافه؛ في التحالف مع الأسبانيين؛ ضد إرادة مواطنيه. فانتهى عهده بانهزامه أمام العثمانيين؛ برفقة حلفائه الأسبان؛ والهجرة معهم إلى أسبانيا؛ في السنة المذكورة.

***

ـ ***مواطنهم:*** تمتد مواطن مصمودة من منطقة الريف شرقا، إلى المحيط الأطلسي غربا. ومن البحر الأبيض المتوسط شمالا، إلى تخوم تامسنا، ودكالة جنوبا. وتشمل جبال الأطلس الكبير؛ حيث تنتهي عند سفوحها المتصلة بإقليم السوس. ومنها تتجه حدودهم شرقا مع اتجاه السلسلة الجبلية؛ حتى بداية جبال الأطلس الأوسط؛ على مشارف تازة، وتادلا. وهناك

"

تجاورهم قبائل صناكة (صنهاجة) السابقة الذكر.[1]

É É É

10 ـ هسكورة:

وهم ـ كما سبق ذكره ـ من أبناء تصكي العرجاء. ولا يعرف لهم أب. اندرجوا ـ في عهد الموحدين ـ ضمن حلف مصمودة؛ بانتمائهم إلى الدعوة الموحدية؛ مع أن أغلبهم ـ في بداية الدعوة ـ كانوا معادين لها؛ ثم التحقوا بها لاحقا؛ بعد فتح مراكش؛ حاضرة الدولة المرابطية. وقد قسم صاحب كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب هسكورة إلى قسمين؛ هما: هسكورة القبلة، وهسكورة الظل. وذكر من أفخاذ القسم الأول سبعة أفخاذ؛ هم: **ايزمراون (زمراوة)**، **وايفسفيسن (فسفيسة)**، **وايكرنان (كرنانة)**، **وايمغران (مغرانة)**، **وايونيلن (نيلة)**، **وآيت ووارت (بنو واوارت)**، **وآيت يلفتن (بنو يلفتن)**. أما القسم الثاني فإحدى عشر فخذا؛ هم: **ايزمراون** (زمراوة)، **ايسايوين** (سايوية)، **ايصاد** (صادة)، **ايغجدامن** (غجدامة)، **اينتيفت**

---

[1] العبر، مج: 6، ص ص: 428 . 436. 460 ـــ 462.

"

(هنتيفــة)، **آيــت سكــور** (بنــو سكــور)، **ايــن لسيــد** (لسيــدة)، **ايــن ماصــوص** (ماصوصــة)، **آيــت مصطــاو** (مصطــاوة)، **ايــن ميمنونــة** (ميمنونــة)، **ايــن ولتــان** (هلتانــة).[1]

أمــا ابــن خلــدون فقــال أن لهسكــورة بطونــا عديــدة، وواسعــة؛ أهمهــم:[2] **نتيفــت وبنــو رسكونــت وزمــراوة وغجرامــة وفطواكــة ومصطــاوة وبنــو نفــال**. وقــد بــرزت منهــم أحيــاء: **انتيفــت وفطواكــة وبنــو نفــال**. فالرئاســة في **انتيفــت** محصــورة في أســرة **أولاد هنــو**؛ ومنهــم **يوســف بــن كنــون**؛ صاحــب حصــن تاقيّــوت، وأولاده هــم: عــلي ومخلــوف وهــلال بــن مخلــوف. وكانــت **لأنتيفــت** مواقــف مضطــربــة تجــاه الدولــة؛ تميــل إلى الطاعــة أحيانــا، وتجنــح إلى العصيــان أحيانــا أخــرى. أمــا **فطواكــة** فهــم أوســع بطــون هسكــورة، وأكبرهــا؛ وعليــه فرئاستهــم في هسكــورة هي الأعظــم والأهــم؛ ولرؤسائهــم ميــزة الاجتمــاع، والاتصــال بملــوك الدولــة؛ الذيــن يرجعــون إليهــم عندمــا يتعلــق الأمــر ببطــون هسكــورة كلهــا. كانــت رئاستهــم أيــام المأمــون (سلطــان بــني عبــد المؤمــن)،

---

[1] ص: 44.

[2] العبــر، مج: 6، ص ص: 420 ـــ 424. 552 ـــ 556.

"

وابنه الرشيد؛ ممثلة في شخص **عمر بن وقاريط الهسكوري**؛ ثم خلفه على رئاسة القبيلة **مسعود بن كلداسن.** وقال ابن خلدون أن الأسرة التي تترأس **فطواكة**، ومن ورائها هسكورة كلها؛ هي أسرة **بني خطاب**؛ الذين ينتسبون إلى جدهم مسعود بن كلداسن. وكانت فطواكة ــ بدورها ــ متقلبة في ولائها للدولة الموحدية. ولما ظهر بنو مرين؛ انحازت فطواكة إليهم؛ فتعزز موقف رؤسائهم (من بني خطاب)؛ داخل قبيلتهم هسكورة. ويبدو أن أبرز المهام التي كانت تسندها الدول المختلفة إلى أولئك الرؤساء؛ هي جمع المغارم، والجباية، داخل قبائلهم، ثم حشد المقاتلين؛ ووضعهم في خدمة الدولة.

ومع هذا يرى ابن خلدون بأن هسكورة كانت في منعة من قهر الدولة؛ إذ يقول: **((واعتصم هسكورة هؤلاء بمعقلهم، واعتزوا فيه بمنعتهم؛ فلم يغمسوا في خدمتهم يدا،** (الكلام هنا عن بني مرين) **ولا أعطوهم مقادا، ولا رفعوا بدعوتهم راية؛ إنما هي منابذة لأمرهم، وامتناع عليهم سائر الأيام. فإذا زحفت الحشود، وتمرست بهم العساكر؛ دافعوا**

"

بطاعة معروفة، وإتاوة غير ملزمة؛ ورئيسهم مع ذلك يستخلص جبايتهم لنفسه، ويدفعهم في المضايق لحمايته؛ وربما تخطاهم إلى بعض قبائل الجبل، ومن قاربه من أهل بسائط السوس)).[1] أما **بنو نفال**؛ فهم ـ كذلك ـ ممن حاول مقاومة نفوذ الدولة؛ ولكنهم أذعنوا لقوتها، وغلبتها. وقد انحصرت الرئاسة فيهم ضمن أسرة **أولاد تروميت**؛ ومنهم **علي بن محمد**؛ الذي ترأس عليهم في عهد أبي سعيد، وابنه أبي الحسن المريني.

! ! !

ـ ***أعيانهم:*** من أعلام هسكورة، وعلمائها الأعيان:

ـ **أبو عبد الله بن شعيب الهسكوري** (توفي بتونس سنة 664هـ/1265م)؛ وهو من العلماء الزهاد.

ـ ثم **أبو محمد صالح الهسكوري** (توفي بفاس قبل سنة 712هـ/1312م)؛ وهو فقيه؛ من أهل الزهد، والورع.

---

[1] **العبر، مج: 6، ص ص: 552 ـــ 553.**

"

ـ ثم **أبو محمد عبد الله الهسكوري** (ت: سنة 716هـ/1316م)؛ فقيه.

ـ ثم **أبو عمران موسى بن يموين بن باكرين بن ياسين بن العلم بن زيري الهسكوري** المعروف بالبخاري (كان حيا سنة 723هـ/1323م)؛ كان من أقدر الناس ـ في وقته ـ على الحفظ؛ فكان يستظهر كتاب سيبويه، ومتون في الفقه. عرف بصلابته، وحبه لإظهار المخالفة.

ـ ثم **أبو محمد عبد الحق الهسكوري** (كان حيا سنة 770هـ/1368م)؛ فقيه؛ تصدر للتدريس بفاس.

***

ـ ***مواطنهم:*** تتواجد مواطن هسكورة بجبال درن، ومنها إلى تادلا من الجهة الشرقية؛ ثم إلى درعة من ناحية الجنوب. وهذا نص لابن خلدون يصف فيه حال هسكورة، وموطنها: **((وأما هسكورة فكان لهم بين الموحدين مكان، واعتزاز؛ بكثرتهم، وغلبهم؛ إلا أنهم كانوا أهل بدو، ولم يخالطوهم في ترفهم، ولا أنعموا في نعيمهم. وكان جبلهم الذي أوطنوه**

"

مــن حالــه؛ دون القنــة منهــا، والــذروة. واعتصمــوا منــه بالآفــاق الفــدد، واليفــاع الأشــم، والطــود الشاهــق؛ قــد لمــس الأفــلاك بيــده، ونظــم النجــوم في مفرقــه، وتلفــع بالسحــاب في مروطــه، وآوى الريــاح النجــوم في مفرقــه، وتلفــع بالسحــاب في مروطــه، وآوى الريــاح العواصــف الدجــوة، وألــقى إلى خبــر السمــاء بإذنه، وأظــل عــلى النجــوم في مفرقــه، وتلفــع بالسحــاب في مروطــه، وآوى الريــاح العواصــف الدجــوة، وألــقى إلى خبــر السمــاء بإذنــه، وأظــل عــلى البحــر الأخضــر بشماريخــه، واستدبــر القفــر مــن بــلاد الســوس بظهــره، وأقــام سائــر جبــال درن في حجــره)).[1]

É É É

---

[1] العبــر، مج: 6، ص: 552.

"

إضافة

هذا ما أمكن إثباته في هذا الكتاب؛ بخصوص القبائل الأمازيغية؛ التي كانت معروفة في العصر الاسلامي. ولكن ثمة معلومات أخرى متفرقة تشير إلى بعض الأعلام؛ من الأمازيغ وإلى نشاطاتهم؛ دون أن تنسبهم إلى قبيلة تذكر؛ وقد اكتفت المصادر بذكر الجذم أو الشعب الذي يرجعون إليه؛ فاستعملت عبارة: البرنسي، أو البربري؛ دون تخصيص. وعليه فلا مانع من ذكر بعض الأعيان على هذه الصورة؛ لما لهم من أهمية، وتفوق في المجالات العلمية، والأدبية، والسياسية. ومن هؤلاء:

ـ **رزين البرنسي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الأول للهجرة)؛ ربما كان هو الجد الأول لبني رزين الهواريين؛ قبل انتقالهم إلى السهلة؛ المعروفة بهم؛ خاصة وأن هوارة من البرانس. وفي القرون المتقدمة؛ كان اسم الجذم (برنس أو أبتر) هو البارز، والمهيمن؛ حيث كان ينتسب إليه أبناؤه مباشرة. و نقل ابن حيان عن الرازي خبرا مفاده؛ أن رزين هذا هو أول من اختط منية الرصافة بقرطبة؛ وليس

"

عبد الرحمن الداخل كما اشتهر. ومما قاله: **((وكانت خطة منية الرصافة هذه في الإسلام لرزين البرنسي؛ أحد أكابر رجال البربر الداخلين إلى الأندلس في جيش طارق؛ وإليه ينسب البلاط الذي بها، والزيتون الذي بازائها؛ فكان المختط للرصافة. ولرزين هذا آثار كثيرة بقرطبة وغيرها؛ منها المسجد المنسوب إليه بالربض الغربي؛ وينسب إليه أيضا الجنان التي تجاور عين قُبَّش بذلك الربض. وانتقلت الرصافة عن ورثتها؛ فاشتراها الأمير الداخل عبد الرحمن بن معاوية)).**[1]

ـ ثم **أبو عبد الله عكرمة البربري** مولى ابن عباس رضي الله عنه (ت: سنة 105هـ/723م)؛ قال فيه المالكي: **((كان كثير الرواية عن مولاه، وعليه معتمده، وروى عن عبد الله ابن عمر بن العاص، وعن أبي هريرة؛ وروى عنه خلق يطول ذكرهم. أدخله مالك في موطئه؛ وكنى عن اسمه فقال: "أخبرني مخبر عن ابن عباس"؛ وهو عكرمة... وقيل لسعيد ابن جبير: "تعلم أحدا أعلم منك؟" قال:**

---

[1] المقتبس؛ تحق مكي، ص: 234.

"

"نعـــم؛ عكرمـــة". قـــال قتـــادة: "أعلـــم النـــاس بالتفسيـــر عكرمـــة". قـــال أبـــو بكـــر: وقـــد اختلـــف بالحديـــث في عكرمـــة؛ فممـــن وثقـــه وأثـــنى عليـــه يحـــيى بـــن معيـــن، وعـــلي بـــن المديـــني، وأبـــو الحســـن الكـــوفي، وإسماعيـــل القـــاضي؛ وضعفـــه غيرهـــم؛ ولكنهـــم متفقـــون عـــلى حفظـــه، ومعرفتـــه بالعلـــم، وتفسيـــر القـــرآن الكريـــم". دخـــل عكرمـــة إفريقيـــة، وأقـــام بالقيـــروان، وبـــث بهـــا العلـــم؛ وكـــان مجلســـه في مؤخـــر جامـــع القيـــروان في غـــربي الصومعـــة. [قـــال] **أبـــو العـــرب: "ذكـــر أحمـــد بـــن صالـــح أن أصـــل عكرمـــة مـــن بربـــر إفريقيـــة؛ وذكـــر غيـــره أنـــه مـــن ســـبي إفريقيـــة. اشتـــراه** (أي باعـــه) [ولـــد] **ابـــن عبـــاس. فقيـــل لـــه: "أتبيـــع علـــم أبيـــك"؟؛ فاستـــرده، وأعتقـــه... تـــوفي هـــو وكُثَيِّـــر عـــزة في يـــوم واحـــد؛ وصـــلي عليهمـــا جميعـــا؛ فقيـــل: "مـــات أشعـــر النـــاس، وأعلـــم النـــاس".)).**[1]

---

[1] ريـــاض النفـــوس، ج: 1، ص ص: 145 ـــ 146.

"

ـ ثـم **ميمـون بـن سعـد البربـري** مـولى الوليـد ابـن عبـد الملـك (مـن أعـلام النصـف الأول مـن القـرن الثـاني للهجـرة)؛ دخـل الأندلـس مـع عبـد الرحمـن بـن معاويـة سنـة 138هـ/755م. وولاه عبـد الرحمـن عـلى طليطلـة. وهـو الـذي قتـل يوسـف الفهـري.

ـ ثـم **حبيـب البرنـسي** (كـان حيـا سنـة 236هـ/850م)؛ ثـار في السنـة المذكـورة بالجزيـرة الخضـراء عـلى عبـد الرحمـن بـن الحكـم؛ فاجتمـع إليـه عـدد كبيـر مـن الثـوار؛ ولمـا نهـض الأميـر عبـد الرحمـن إليـه؛ سبقـه جمـع مـن البربـر؛ إلى ملاقـاة الثـوار، وقمعـوا ثورتهـم؛ ولكـن قائدهـم حبيـب البرنـسي هـذا تمكـن مـن النجـاة؛ ثـم اختـفى ذكـره نهائيـا.

ـ ثـم **داود بـن ميمـون بـن سعـد البربـري** (مـن أعـلام القـرن الثـاني للهجـرة)؛ لـم يتجـه نحـو دروب الحكـم، والسلطـان؛ مثلمـا كـان أبـوه؛ ولكنـه وانغمـس في العبـادة، والزهـد؛ فأضـحى بذلـك مثـالا صادقـا للزهـد والنسـك والـورع.

"

ـ ثم **أبو القاسم عباس بن فرناس التاكرني البربري** (ت: سنة 274هـ/887م)؛ كان شاعرا فحلا، وعالما في الهندسة، والكيمياء، والحكمة، والتنجيم؛ فكان بذلك موسوعة يجمع علوما، وفنونا عديدة. ومما قاله فيه صاحب المُغْرب: **((ذكر ابن حيان أنه نجم في عصر الحكم الربضي؛ ووصفه بأنه حكيم الأندلس؛ الزائد على جماعتهم بكثرة الأدوات، والفنون. وهو مولى بني أمية، وبيته في برابر تَاكُرُنَّا. وكان فيلسوفا حاذقا، وشاعرا مُفْلقاً؛ مع علم التنجيم. وهو أول من استنبط بالأندلس صناعة الزجاج من الحجارة، وأول من فك بها كتاب العروض للخليل؛ وكان صاحب نَيْرَنْجَات؛ كثير الاختراع والتوليد، واسع الحيل؛ حتى نسب إليه السحر، وعمل الكيمياء؛ وكثر عليه الطعن في دينه. واحتال في تطيير جثمانه؛ فكسا نفسه الريش على سَرَقِ الحرير؛ فتهيأ له أن استطار في الجو؛ من ناحية الرصافة، واستقل في الهواء؛ فحلق فيه حتى وقع على مسافة بعيدة. وقال فيه مؤمن** [بن سعيد]:

"

يَطُــمُّ عَلَى العَنْقَــاءِ فِي طَيَرَانِهَــا
إذَا مَا كَسَا جُثْمَانَهُ رِيشَ قَشْعَــمِ

وتــوفي في أعقــاب أيــام محمــد بــن عبــد الرحمــن سنــة أربــع وسبعيــن ومائتيــن. فتــداول صحبــة السلاطيــن الثلاثــة؛ مدحهــم أجمعيــن؛ وعمــل المنقانــة؛ لمعرفــة الأوقــات، ورفعهــا للأميــر محمــد)).[1] أمــا المقــري فيقــول فيــه: ((ومــن حكاياتهــم في الذكــاء، واستخــراج العلــوم، واستنباطهــا؛ أن أبــا القاســم عبــاس ابــن فرنــاس؛ حكيــم الأندلــس؛ أول مــن استنبــط بالأندلــس صناعــة الزجــاج مــن الحجــارة، وأول مــن فــك بهــا كتــاب العــروض للخليــل، وأول مــن فــك الموسيــقى... وطــار في الجــو مسافــة بعيــدة؛ ولكنــه لــم يحســن الاحتيــال في وقوعــه؛ فتــأذى في مؤخــره؛ ولــم يــدر أن الطائــر إنمــا يقــع عــلى زَمكِّــه؛ ولــم يعمــل لــه ذنبــا... وصنــع في بيتــه هيئــة السمــاء؛ وَخَيَّــل للناظــر فيهــا النجــوم، والغيــوم، والبــروق، والرعــود. وفيــه يقــول مؤمــن ابــن سعيــد أيضــا:

[1] المغــرب في حــلى المغــرب، ج: 1، ص: 333.

"

سَمَـــاءُ عَبَـــاسٍ الأَدِيـــبِ أبي الـــ
ـــقَاسِمِ نَاهِيكَ حُسْنُ رَائِقِهَـــا)).[1]

كمـــا يعـــد **عبـــاس بـــن فرنـــاس** مـــن الشعـــراء الممتازيـــن في بـــلاد الأندلـــس؛ وهـــذه عينـــات مـــن شعـــره؛ وهي قصيـــدة هنـــأ بها الأميـــر محمـــد بـــن عبـــد الرحمـــن بالخلافـــة؛ جـــاء فيهـــا:

مَا غَابَتِ الشَّمْسُ حَتَّى أشْرَقَ القَمَـــرُ
مُحَمَّـــدٌ فَارْتَضَـــاهُ اللَّـــهُ وَالبَشَـــرُ
يَا لَيْلَة أسْفَرَتْ قَبْلَ الصَّبَـــاحِ عَنِ الـــ
ـــمَهْدِيِّ يَفْدِيكَ مِنِّي السَّمْعُ وَالبَصَـــرُ
لَتُطْبِقَـــنَّ عَـــلَى الدُّنْيَـــا خِلاَفَتُـــــهُ
سَمَـــاءَ جَوْدٍ لَهَا مَاء اللُّـــهَى مَطَـــرُ
وَيَهْلِكُ الشركُ فِي أقْـــصَى مَدَاخِلِـــهِ
حَـــتَّى يَغِيـــبَ فَلاَ يُـــدْرَى لَهُ أثَـــرُ
بِـــذاكَ تُخْبرُنَا غُـــرُّ النُّجُـــوم كَمَـــا
أوْحَى إلَيْهَا بِـــذاكَ الشَّمْسُ وَالقَمَـــرُ

وقـــال بعـــد إتمـــام توسيـــع المسجـــد الجامـــع:

مَحَمَّـــدٌ خَيْرُ مُسْتَرْعًى وَمُؤتَمِـــن
لِلْمُسْلِمِيـــنَ جَمِيعاً حَيْثُمَا كَانُـــوا

---

[1] نفـــح الطيـــب، ج: 3، ص: 374.

"

بَنَى لَهُمْ مَسْجِــداً جَلَّتْ عَجَائِبُــهُ
لَوْلاَ السَّمَــاءُ لَمَا ضَاهَــاهُ بُنْيَــانُ
كَــذَا يَكُونُ الإمَامُ الُمرتَضَى أبَــداً
أقْــوَى صَبَابَاتِــهِ تَقْــوَى وَإيمَــانُ

وعنــد إنجــاز الأعمــال الإضافيــة لمنيــة الرصافــة أعــد قصيــدة طويلــة؛ نذكــر منهــا:

وَأعْرَافُــهُ الشُّــمُّ الــتِّي لاَحَ دُونَهَــا
نُجُومُ الثُّرَيَّــا وَالسِّمَاكَيْــنِ وَالغَفْــرِ
إذَا بَلَــغَ النَّضْــرُ الُمكَثَّــرُ فَرْعَهَــا
وَصَوَّبَ لَمْ يَبْلُغْ إلَى الأرْضِ فِي شَهْــرِ
لَهَا الغُرَفُ البيضُ التِّي يَضْحَكُ الضُّحَى
وَتُلْحِفُهَــا مِنْ نُورهَا فِي سَنَــا الغُــرِّ
كَــأنَّ قُصُــورَ الأرْضِ بَعْدَ تَمَامِــهِ
نُتُوءُ الذرَى أخْفَى شُخُوصاً مِنَ الــذرِّ
وَتَنْتَشِــرُ الأبْصَارُ مِنْهَا إلَى مَدَى التَّـ
ــنَــزُّهِ بالأطْيَارِ وَالوَحْــشِ وَالزَّهْــرِ
وَأعْجَــبُ منْ أفْيَائِهَــا الغُــرَرِ الَّــتِي
يَقِيــلُ بهنَّ البَــرْدُ فِي غُــرةِ الحَــرِّ
يَنِــمُّ بِأخْــفَى سِرِّهَــا غَيْــرَ كَاتِــمٍ
صَدَاهَــا فَأخْفَى السِّرِّ فِيهَا مِنَ الجَهْــرِ
كَأنَّ الَّذِي يُخْفِي الحَدِيــثَ بنَجْوهَــا
عَلَى أخْفَضِ الأصْوَاتِ يَشْدُو عَلَى وِتْرِ

"

نؤومُ الضُّحَى ضَافِيٍ العُلَى سَجْسَجُ السَّنَا
تُــضِيءُ بلاَ شَمْسٍ عَلَيْهَا وَلاَ بَــدْرِ
وَيَاحَبَّــذَا أنْبَاتُهَــا الُخُضْــرُ حَوْلَهَــا
وَأنْهَارُهَا البيضُ التِي تَحْتَهَــا تَجْــرِي
تَــرَى البَاسِقاتِ النَّاشِرَاتِ فُرُوعَهَــا
موَائِــسَ فِيهَــا مِنْ مُزَاوَلَــةِ الوَفْــرِ
كَأنَّ صِبَاغــاً صِيــغَ فَوْقَ غُصُونَهَــا
مِنَ الذهَبِ النَّاريِّ عَرَاجِينَ مِنْ تَمْــرِ
تَبَدَّلْــنَ حَــالاَتٍ ثَلاَثــاً لَهُــنَّ فِي
مَصُوغِ الحُلَى شَكْلٌ وَفِي الجَوْهَرِ النَّضْرِ
نَشَتْ لُؤلُــؤاً ثُمَّ اسْتَحَالَــتْ زُمُــرُّداً
يَعُودُ إلَى العِقيَانِ بَعْــدَ جَــنى البُسْــرِ
وَقَدْ يُشْتَهَى مِنْهَا شَــرَابٌ أَلَــذُّ مِنْ
تَضَرُّعِ مُشْتَــاق إلَى عَاشِــقِ الكِبْــرِ
وَمِنْ أرجَــاتٍ فِي الغُصُــونِ كَأَنَّهَــا
خُدُودُ عَذَارَى فِي مَقَانِعِهَا الخُضْــرِ

إلى أن يقــول:

يُغــَرِّدُ فِيهَا كُلُّ مُخْتَضِــبِ الشَّــوَى
مُوَشَّى القَرَا قَاني الطُّلَى أخْضَرِ الصَّدْرِ
إلَى كُلِّ سَلْتَــاءِ أضَاعَــتْ خِضَابَهَــا
مُدَبَّجَةِ الكَشْحَيْــنِ وَالبَطْنِ وَالظَّهْــرِ

"

إِذَا مَا اسْتَهَلَّـــتْ فِي شـَــجِيٍّ غِنائِهَـــا
يُنَسِّيكَ تَرْجاعَ اليَـــرَاعِ بِـــلاَ زَمْـــرِ

ثـــم يقـــول:

وَكُـــلِّ بَدِيـــعٍ فِيـــهِ لَمْ يُـــرَ مِثْلُـــهُ
مِنَ الطَّيْـــرِ وَالنِّيَنانِ وَالتَّمْرِ وَالقُمْـــرِي
وِرَاثَـــة آبَـــاء تَوَلَـــوْا خَلاَئِـــــفٍ
بَهَاليـــلَ أمْـــلاَكٍ خَضَارِمَـــةٍ زُهْـــرِ

ولمـــا صنـــع المنقـــانـــة (الساعـــة) نقـــش فيهـــا أبياتـــا مـــن نظمـــه؛ هي:

ألاَ إِنَّـــنِي لِلدِّيـــــنِ خَيْـــــرُ أدَاةِ
إذا غَابَ عَنْكُـــمْ وَقْـــتُ كُلِّ صَـــلاَةِ
وَلَمْ تُرَ شَمْـــسٌ بالنَّهَـــارِ وَلَمْ تُنِـــرْ
كَوَاكِـــبُ لَيْـــلٍ حَالِـــكِ الظُّلُمَـــاتِ
بِيُمْـــنِ أمِيـــرِ المُسْلِمِيـــن مُحَمَّـــدٍ
تَجَلَّتْ عَنِ الأوقَـــاتِ كُلُّ صَـــلاةِ

ومـــن مقطوعاتـــه الشعريـــة الـــتي كـــان يعدهـــا للتلحيـــن والغنـــاء؛ هـــذه الأبيـــات الـــتي كتبهـــا بالذهـــب عـــلى تفاحـــة؛ ثـــم قدمهـــا إلى الأميـــر محمـــد؛ الـــذي أمـــر أن تغـــنى:

"

تُفَّاحَـــة مُصْفَـــرَّة البَعْـــضِ
بخَوْفِهَـــا مِـــنْ أَلَـــمِ العَـــضِّ
أمَّنْتَهَـــا ذَاكَ وَكَتَّبْتُهَـــــا
حُسْنـــاً بِذَا مِنْ ذَهَبٍ مَحْـــضِ
وَقُلْتُ فِيهَا الحَقَّ مِنْ بَعْدِ ذَا
وَمَا لِقَـــوْلِ الحَـــقِّ مِنْ نَقْـــضِ
"مُحَمَّدٌ أكْرَمُ مُسْتَخْلَـــفٍ
مِـــنْ خُلَفَـــاءِ اللَّـــهِ فِي الأرْضِ"

وفي أخـــرى يقـــول:

تَحَفَّظْ مِنَ الهِجْرَانِ إنْ كُنْتَ تَقْـــدِرُ
يَمُوتُ الفَتَى فِي حُبِّـــهِ حِينَ يَهْجُـــرُ
فَأَمَّـــا إذا مَا بَـــانَ عَنْـــهُ حَبِيبُـــهُ
فَلاَ شَـــكَّ فِيـــهِ: ذلِكَ اليَوْمَ يُقْبَـــرُ
رَأَيْـــتُ أمِيـــرَ المُؤمِنيـــنَ مُحَمَّـــداً
وَفِي وَجْهِـــهِ بَـــدْرُ المَجَـــرَّةِ يُبْصِـــرُ
هُمَامٌ كَأنَّ الشَّمْسَ تُلْقِي شُعَاعَهَـــا
عَلَى الخَلْـــقِ مِنْه حِينَ يَبْدُو وَيَظْهَـــرُ

وقـــال مادحـــا:

وَمُخْتَلِفِ الأصْوَاتِ مُؤتَلِفِ الزَّحْـــفِ
لَهومِ الفَـــلاَ عَبْـــلِ القَنَابِـــلِ مُلْتَـــفِّ

"

إذا أوْمَضَتْ فِيــهِ الصَّــوَارِمُ خِلْتَهَــا
بُرُوقاً تَرَاءَى فِي الجِهَــامِ وَتَسْتَخْــفِي
كَــأنَّ ذُرَى الأعْــلاَمِ فِي سَيلانــهِ
قَرَاقِيــرُ يَمٍّ قَدْ عَجَــزْنَ عَنِ القَــذفِ
وَإنْ طَمَحَــتْ أرْكَانُــهُ كَانَ قُطْبُــهُ
حِجَى مَلِكٍ نَجْــدٍ شَمَائِلُــهُ عَــفِّ
سَــمِيِّ خِتَــامَ الأنْبِيَــاءِ مُحَمَّــدٍ
إذَا وُصِفَ الأَمْلاَكُ جَلَّ عَنِ الوَصْفِ
فَمِــنْ أجْلِــهِ يَوْمَ الثُلاَثَــاءِ غَــدْوَةَ
وَقَدْ نَقَضَ الإصْبَاحُ جُلَّ عُرَى السَّجفِ
بَكَى جَبَــلاً وَادِي سَلِيــطٍ فَأعْــوَلاَ
عَلَى النَّفَــرِ العُبْدَانِ وَالعُصْبَةِ الغُلْــفِ
دَعَاهُــمْ صَرِيخُ الحَيْــنِ فَاجْتَمَعُوا لَــهُ
كَمَا اجْتَمَعَ الجُعْــلاَنُ لِلْبَعْــرِ القُــفِّ
يُرِيــدُونَ إرْعَــابَ الأمِيــرِ جَهَالَــةً
بسَعْرِ كِلاَبِ الحَرْبِ فِي حَشْوَةِ العَصْفِ
فَمَا كَــانَ إلاَّ أنْ رَمَاهُــمْ ببَعْضِهَــا
فَوَلــوْا عَلَى أعْقَابِ مَهْزَلَــةَ كُشْــفِ
كَــأنَّ مَسَاعِيــرَ المَــوَالِي عَلَيْهِــمُ
زَمَامِيــجُ حَادَتْ لِلْغَرَانِيــقِ بالنَّشْــفِ
بِنَفْسي تَنَانِيــنَ الوَغَى حِينَ صَمَمَــتْ
إلَى الجَبَلِ المَشْحُونِ صَفاً عَلَى صَــفِّ

"

يَقُولُ ابْنُ بَلــُّوش لِمُــوسَى وَقَدْ دَنَــا
أرَاىً المَوْتَ قُدَّامِي وَتَحْتِي وَمِنْ خَلْفِي
قَتَلْنَاهُـــمُ أَلْفــاً وَأَلْفــاً وَمِثْلَهَــــا
وَأَلْفـــاً وَأَلْفاً بَعْدَ أَلْــفٍ إِلَى أَلْــفِ
سِوَى مَنْ طَوَاهُ النَّهْــرُ فِي مُسْلَحِبِّــهِ
فَأَغْرِقَ فِيــهِ أَوْ تَدَهْــدَهَ مِنْ جُــرْفِ
لَقَــدْ نَعِمَــتْ فِيَــهِ غُــزَاةُ نُسُورنَــا
وَسَمَّعَتِ الذؤبَــانُ قَصْفاً عَلَى قَصْــفِ

ويقــول أيضــا:
يَا بْنَ الخَلائِــفِ يَا مُحَمَّــدُ يَا
مَــنْ سَيْفُــهُ فِي رَاحَــةِ النَّصْــرِ
مَا إِنْ تَقُومُ لِحُرِّ بَأسِكَ فِي الــ
ــدُّنْيَــا مُحَصَّنَــة مِــنَ الدَّهْــرِ
أَضْحَــتْ طُلَيْطِلَــة مُعَطَّلَــة
مِــنْ أَهْلِهَـــا فِي قَبْضَـــةِ الصَّقْــرِ
تُرِكَــتْ بِلاَ أَهْــلٍ تُؤَهِّلُهَـــا
مَهْجُــورَةَ الأَكْنَــافِ كَالْقَبْــرِ
مَا كَانَ يُبْــقِي اللَّــهُ قَنْطَــرَةَ
أَضْحَــتْ سَبِيلَ كَتَائِــبِ الكُفْــرِ

"

وقـــال مهنئـــا بالنصـــر، وعيـــد الفطـــر معـــا:

إنَّ القُفُـــولَ الَّذِي أوْفَى بِعِيدَيْـــنِ
مُكَرَّمَيْنِ عَلَى الدُّنْيَـــا عَزِيزَيـــنِ

قُدُومُ أكْرَمِ مَنْ فِي الأَرْضِ قَاطِبَـــة
قُدُومُ فِطْـــرِ، فَكَانَا خَيْرَ عِيدَيـــنِ

طَابَا كَتُفـــاً حَتَيْ خَدَّيْ مُنَعَّمَـــةٍ
تَـــوَرَّدَا فِي بَيَاضٍ بَيْنَ صَدْغَيْـــنِ

مُعَقْرَبَيْنِ كَنُـــونَيْ كَاتِـــب نُقِطَـــا
فَقَابَلاَ مِنْ مِدَادِ المِسْـــكِ رَاءَيْـــنِ

أوْ مُقْلَتَيْ رَشَـــأٍ فِي طَرْفِهِ حَـــوَرٌ
مَكْحُولَتَيْـــنِ بسحْـــرِ البَابِلِيَّيْـــنِ

أوْ كَاجْتِمَاعِ الهَوَى وَالوَصْلِ فِي قَرَنٍ
لِعَاشِـــق حَارَ بَيْنَ الهَجْرِ وَالبَيْـــنِ

دَلَّ اجْتِمَاعُهُمَـــا فِي الأَرْبِعَاءِ عَلَى
هَلاكِ سِبْطَيْنِ مِنْ أهْلِ الكِتَابَيْـــنِ

مِنَ العَبَاشِمَةِ الغُـــرِّ الألَى كَرِهُـــوا
فَمَا شَرَى اللَّهُ بَيْعَ النَّقْدِ بِالدَّيْـــنِ

"

ـ ثم **أبو القاسم مطرف بن فرج بن علي المـاردي البربري** (توفي ببطليوس سنة 322هـ/933م)؛ فقيه، وراوية؛ من حفاظ المسائل.

ـ ثم **أبو الأحوص معن بن محمد بن معن البربري** (توفي بسرقسطة سنة 330هـ/641م)؛ ولاه الناصر على قضاء سرقسطة؛ وبقي في منصبه حتى وفاته. قال فيه ابن الأبار: **((وكان حصيف العقل، معروفا بالدهاء، حاضر الجواب، حسن الرد؛ له فهم وإدراك. ولا ينسب إليه فقه، ولا علم)).**[1]

ـ ثم **أبو رزين هشام بن محمد بن أبي رزين الشذوني البربري** (توفي بشريش سنة 336هـ/947م)؛ وهو من حفاظ المسائل؛ وهو المفتي بشذونة وما يتبعها؛ كان يروي المدونة، ويرحل الناس إليه للسماع منه.

ـ ثم **ملحان بن عبد الله بن ملحان بن سالم القرطبي البربري** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة)؛ اشتغل مؤدبا، ثم أصبح كاتبا لعيسى بن فطيس؛ كاتب عبد الرحمن الناصر. وكان نحويا، وعروضيا، وراوية للأشعار.

[1] **التكملة، ج: 2، ص: 729.**

"

ـ ثم **عبد الله بن مطاهر بن أصبغ بن هانئ بن قيس القرطبي البربري** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة)؛ وهو من القراء المجودين.

ـ ثم **أبو إسحاق إبراهيم بن سهل بن نوح بن عبد الله بن خَمَّار الأستجي البربري** المعروف بابن العطار (من أعلام النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة)؛ من أهل العلم، وطلبه؛ وهو والد سهل بن إبراهيم الآتي ذكره.

ـ ثم **إسماعيل بن تاجيت الجياني البربري** (من أعلام النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة)؛ فقيه.

ـ ثم **محمد بن تاجيت الجياني البربري** (من أعلام النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة)؛ فقيه.

ـ ثم **أبو القاسم سهل بن إبراهيم بن سهل بن نوح بن عبد الله بن خَمَّار الأستجي البربري** المعروف بابن العطار (توفي بالبيرة سنة 387هـ/997م)؛ وهو من العلماء الحفاظ؛ مستوعب لمعاني القرآن الكريم، والحديث؛ وكان بصيرا بالمذهب، ومتحكما في

"

الإعـــراب، والحســـاب. وكـــان مـــن أهـــل الفضـــل، والزهـــد.

ـــ ثـــم **أبـــو عثمـــان سعيـــد بـــن عثمـــان بـــن أبي سعيـــد بـــن محمـــد بـــن سعيـــد بـــن عبـــد اللـــه بـــن يوســـف بـــن سعيـــد القرطـــبي البربـــري** المعـــروف بابـــن القـــزاز ويلقـــب بلحْيَـــة الذِّبْـــل (ت: سنـــة 394 أو 395هــ/1003 أو 1004م)؛ وهـــو مـــن علمـــاء اللغـــة. قـــال فيـــه ابـــن الفـــرضي: **((وكـــان أبـــو عثمـــان هـــذا حافظـــا للغـــة والعربيـــة؛ حســـن القيـــام بهـــا؛ ضابطـــا لكتبـــه؛ متقنـــا في نقلـــه. ولـــه كتـــاب في الـــرد عـــلى صاعـــد ابـــن الحســـن اللغـــوي البغـــدادي ضيـــف محمـــد بـــن أبي عامـــر في مناكيـــر كتابـــه في النـــوادر والغريـــب المســـمى بالفصـــوص؛ وأكثـــر التحامـــل عليـــه فيـــه. وكانـــت لـــه عنايـــة بالحديـــث، وروايـــة عاليـــة عـــن قاســـم بـــن أصبـــغ وغيـــره؛ وكـــان ثقـــة. وكـــان مـــن أجـــل أصحـــاب أبي عـــلي البغـــدادي؛ ومـــن طريقـــه صحـــت اللغـــة بالأندلـــس بعـــد أبي عـــلي)).**[1]

---

[1] الصلـــة، ج:1، ص ص: 208 ـــــ 210.

"

ـ ثم **يحيى بن أيوب بن خيار بن خطاب ابن مقسم الجياني البربري** (من أعلام القرن الرابع للهجرة)؛ قال فيه ابن الفرضي: **((كان عالما بالرأي؛ متفننا، حاذقا بالكلام في المسائل؛ عاقدا للشروط. وألف في ذلك كتابا)).**[1]

ـ ثم **أم العلاء بنت يوسف الحجارية البربرية** (من أعلام القرن الخامس للهجرة)؛ كانت شاعرة متميزة؛ قال فيها صاحب المسهب: **((أنها ممن تفخر به بلدها وقبيلها)).** ومن شعرها:

كُلُّ مَا يَصْدُرُ عَنْكُمْ حَسَنُ
وَبعَلْيَاكُمْ يُحَلَّى الزَّمَنُ
تَعْكُفُ العَيْنُ عَلَى مَنْظَرِكُمْ
وَبذِكْرَاكُمْ تَلَذُّ الأُذُنُ
مَنْ يَعِشْ دُونَكُمُ فِي عُمْرِهِ
فَهْوَ فِي نَيْلِ الأَمَانِي يُغْبَنُ

ولها أيضا:

أَفْهَمْ مَطَارِحَ أَحْوَالِي وَمَا حَكَمَتْ
بِهِ الشَّوَاهِدُ وَاعْذُرْنِي وَلاَ تَلُمِ

---

[1] تاريخ علماء الأندلس، ج: 2، ص: 183.

"

وَلاَ تَكِلْـــنِي إِلَى عُـــذرٍ أَبَيِّنـــهُ
شَـــرُّ المَعَاذِيرِ مَا يَحْتَـــاجُ للْكَلِـــمِ
وَكُلُّ مَا جئتـــهُ مِنْ زَلَّـــةٍ فَبمَـــا
أصْبَحْتُ فِي ثِقـــةٍ مِنْ ذلِكَ الكـــرَمِ

ومـــن شعرهـــا كذلـــك:

لِلّـــهِ بُسْتَـــــانِي إِذَا
يَهْفُـــو بِه القَصَبُ المُنَـــدَّى
فَكَأَنَّمَـــا كَـــفُّ الرِّيَـــا
حِ قَدْ أَسْنَدَتْ بَنْـــداً فَبَنْـــدَا

وفي ردهـــا عـــلى رجـــل أشيـــب قالـــت:

الشَّيْبُ لاَ يُخْـــدَعُ فِيهِ الصِّبَـــا
بحِيلَةٍ فَاسْمَعْ إِلَى نُصْـــحِي
فَلاَ تَكُنْ أجْهَلَ مَنْ فِي الـــوَرَى
يَبِيتُ فِي الجَهْلِ كَمَا يُضْحِي

وتقـــول أيضـــا:

لـــوْلاَ مُنَافَـــرَة المُـــدَامَـــةِ لِلصَّبَابَـــةِ وَالغِنَـــا
لَعَكَفْتُ بَيْنَ كُئُوسِهَا وَجَمَعْتُ أَسْبَابَ المُنَى

"

ـ ثـم **أبـو سعيـد خلـوف بـن خلـف اللـه البربـري** (تـوفي بفـاس سنـة 515هـ/1121م)؛ فقيـه؛ ولي قضـاء غرناطـة في عهـد المرابطيـن، ثـم ولي قضـاء فـاس حـتى وفاتـه.

ـ ثـم **أبـو محمـد عبـد اللـه بـن أبي عبـد اللـه ابـن أبـوب اللنـتي البربـري** (تـوفي بالمريـة سنـة 515هـ/1121م)؛ فقيـه.

ـ **أبـو عمـر عثمـان السلالـجي البربـري** (ت: سنـة 564هـ/1168م)؛ وهـو مـن كبـار أئمـة المغـرب في علـم الاعتقـاد.

ـ ثـم **أبـو الحكـم أحمـد بـن عـلي بـن هـردوس البربـري** (تـوفي بمراكـش سنـة 572 أو 573هـ/1176 أو 1177م)؛ سمتـه بعـض المصـادر باسـم هـرودس؛ ويبـدو أن الاسم الصحيـح هـو هـردوس؛ فهـذه الكلمـة بالأمازيغيـة تعـني الفحولـة. وكـان ابـن هـردوس هـذا كاتبـا لحاكـم غرناطـة عثمـان بـن عبـد المؤمـن. وهـو مـن الشعـراء المجيديـن؛ تنـاول في شعـره ألوانـا مختلفـة؛ أبرزهـا الموشحـات. ومـن شعـره هـذه الأبيـات الـتي بعثهـا إلى أحمـد بـن عبـد الملـك ابـن سعيـد:

يَا سَمِيِّي فِي عِلْمِ مَجْـدك مَا يحـ
ـتَـاجُ فِيهِ هَذا النَّهَارُ المَطِيـرُ

"

نَـــدَفَ الثَّلْـــجُ مِنْهُ قُطْنـــاً عَلَيْنـــَا
فَغَدَوْنَـــا بِعَدْلِكُـــمْ نَسْتَجِيـــرُ
وَالَّذِي أَبْتَغِيـــهِ فِي اللَّحْـــظِ مِنْـــهُ
وَرِضَـــاهُ فِي كُلِّ أَمْـــرٍ يَسِيـــرُ
يَـــوْمُ قَـــرٍّ يَـــوَدُّ مَنْ حَـــلَّ فِيـــهِ
لَـــوْ تَبَـــدَّى لِمُقْلَتَيْـــهِ سَعِيـــرُ

ولـــه أيضـــا:

لِيَ مِنْ وَجْهِـــكَ بَـــدْرٌ قَصَّرَتْ عَنْـــهُ البُـــدُورُ
أَيُّ أُفْقٍ لُحْـــتَ فِيـــهِ جُنْـــحَ لَيْـــلٍ لاَ يُنِيـــرُ
لَيْـــسَ إِلاَّ بِكَ يَا مَـــوْ لاَيَ يُحْتَـــلُّ السُّـــرُورُ

ومـــن شعـــره كذلـــك:

إِذَا ضَاقَـــتْ عَلَيْـــكَ فَوَلِّ عَنْهَـــا
وَسِرْ فِي الأَرْضِ وَاخْتَبِرِ العِبَـــادَا
وَلاَ تُمْسِـــكْ رِحَالَـــكَ فِي بِـــلاَدٍ
غَـــدَوْتَ بِأَهْلِهَا خَبَـــراً مُعَـــادَا

ــ ثـــم **أبـــو عـــلي سالـــم بـــن سلامـــة السـوسي التارودانـــتي البربـــري** (ت: سنـــة 579هــ/1183م)؛ وهـــو مـــن فقهـــاء المالكيـــة؛ تصـــدر لتدريـــس الفقـــه بفـــاس.

"

ـ ثم **عبد الله بن محمد بن علي الفندلاوي البربري** (ت: سنة 598هـ/1201م) وكان من أئمة العلم في المغرب.

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن محمد بن حجاج البربري** المعروف بابن الياسمين (توفي قتيلا بمراكش سنة 600هـ/1203م)؛ وهو عالم بالحساب، ومن الكتاب في بلاط الدولة. اكتفت المصادر بالقول أنه بربري؛ دون ذكر القبيلة. هذا وقد توفي بمترله ذبيحا. ومن مؤلفاته: أرجوزة في الجبر والمقابلة؛ مع شرح عليها لسبط المارديني.

ـ ثم **أبو علي الحسن بن عبد الله بن بختيار المغربي البربري** (توف بالقاهرة سنة 685هـ/1286م)؛ وهو فقيه وأستاذ؛ تصدر للإقراء بالقاهرة.

ـ ثم **أبو زكرياء يحيى بن محمد بن أبي محمد صالح بن ينصارن البربري** (توفي بأسفي سنة 687هـ/1288م)؛ وهو من الفقهاء الحفاظ.

ـ ثم **أبو عبد الله البوغاغي البربري** (توفي قبل سنة 712هـ/1312م)؛ وهو من الفقهاء؛ له كتاب منار العلم.

"

ـ ثم **أبو الحسن بن سعيد البربري** المعروف بابن تامسري (توفي قبل سنة 712هـ/1312م)؛ كان فقيها مالكيا؛ وولي القضاء بتونس.

ـ ثم **أبو علي الحسن بن علي بن حسون الماجري البربري** الكفيف (توفي باسفي قبل سنة 712هـ/1312م)؛ وهو فقيه، ومحدث؛ من أهل الحفظ، والتقى. له كتاب الترجيح والتنقيح في الناسخ والمنسوخ.

ـ ثم **أبو محمد عبد الجليل بن موسى البربري** (توفي قبل سنة 712هـ/1312م)؛ وهو من الفقهاء؛ له كتاب الشعب.

ـ ثم **أبو القاسم التازغدري** (ت: سنة 830هـ/1426م)؛ وهو فقيه مالكي.

ـ ثم **أحمد بن عمر المَزْجَلْدي** (توفي بفاس سنة 864هـ/1459م)؛ وهو من فقهاء المالكية. كان من حفاظ المدونة؛ ومرجعا لها.

ـ ثم **أحمد بن عبد الرحمن بن موسى بن عبد الحق اليزليتني** المعروف بحلولو القروي (كان حيا سنة 895هـ/1489م)؛ وهو من فقهاء المذهب المالكي، والأئمة الحفاظ؛ ولي القضاء بطرابلس. من مؤلفاته: شرحان على مختصر خليل؛ أحدهما كبير والآخر صغير، وشرحان

"

علــى جمــع الجوامــع؛ صغيــر وكبيــر أيضــا، واختصــار لفتــاوى الإمــام البــرزلي؛ وصفــه القــرافي بالجيــد.

ــ ثــم **أحمــد بــن أحمــد بــن محمــد بــن عيــسى البرنــسي** المعــروف بــزروق (تــوفي قــرب طرابلــس سنــة 899هــ/1493م)؛ وهــو فقيــه مالــكي؛ مــن أهــل الصــلاح. لــه مؤلفــات عديــدة؛ منهــا: شرحــان عــلى رسالــة أبي زيــد، وشــرح مختصــر خليــل، وشــرح الوغليسيــة، وشــرح العقيــدة القدسيــة للغــزالي، وأكثــر مــن عشريــن شرحــا عــلى الحكــم، وكتــاب الجنــة للمعتصــم مــن البــدع بالسنــة، وتعليــق عــلى البخــاري، وكتــاب في علــم الحديــث.

Ë Ë Ë

"

كلمة أخيرة

هذا ما تيسر ذكره ــ في هذا المجال ــ فيما يخص القبائل الأمازيغية؛ سواء كان ذلك عن أدوارها، وحركاتها عبر التاريخ، أو عن مواطنها الأولى، وما استوطنته ــ لاحقا ــ من بلاد، ومواطن جديدة. كما اكتفيت بما بين يدي من مصادر؛ للإشارة إلى أعيان القبائل الأمازيغية؛ تاركا لغيري إكمال الباقي؛ لأن هذا الموضوع لا يتسع له كتاب واحد؛ بل يتطلب مجالا واسعا؛ قد يتجاوز حيزه مجلدات عديدة.

ومع هذا فقد حرصت على إبراز عينات كهذه؛ لكي تكون منطلقا لغيري، كما تكون رسالة صريحة للذين يشككون، أو يتجاهلون الثروة العلمية، والثقافية العظيمة التي انبثقت من بلاد المغرب؛ وسطع نورها على البلاد الإسلامية غربا وشرقا؛ حيث أضافت إلى سجل التراث الإسلامي صفحات ذهبية؛ أفادت أجيال، وأجيال ولكنها تمت في صمت غريب؛ سببه التواضع، ونكران الذات، من جهة؛ ومن جهة أخرى يبدو أنهم كانوا ضحية سحابة صمت

"

وتجاهل؛ مبعثهما الغرور الزائف؛ الذي كان يشوب أوساط ثقافية إسلامية أخرى.

غير أن هذا الاعتقاد لا يكفي لتفسير تلك الظاهرة الغريبة؛ التي حجبت هؤلاء العظماء من أبناء المغرب الإسلامي؛ إذ هناك ظاهرة أخرى أكثر غرابة؛ وإثارة للعجب..!! وهي المتمثلة في القوة الخفية الطاردة؛ لكل عبقرية تظهر في بلاد المغرب ــ باستثناء الأندلس ــ فتجبرها أخيرا على الهجرة إلى بلاد أخرى. وهنا يحق لنا التساؤل: هل تكون بلاد المغرب بمثابة المشتلة؛ التي تنبت فيها العبقريات؛ ولكن شيئا ما في تلك البيئة يمنع نمو العبقريات المذكورة..؟ بل وربما ماتت لو بقيت؛ فتضطر إلى الهجرة إلى بيئة أخرى قابلة للنمو، والازدهار. فإن كان هذا غير صحيح؛ فبماذا نفسر انتقال عباقرة هذه الديار وهجرتهم؛ بمجرد ظهور بوادر النبوغ الأولى عليهم..؟!

يبدو أن للنزعة القبلية دورا خطيرا في هذه الظاهرة السلبية. فالمحيط القبلي عاجز ــ على ما يبدو ــ على احتضان العبقريات المستنيرة؛ حتى ولو كان ميلادها داخل النظام القبلي؛ الذي يهملها ــ بعد ذلك ــ ويعجز عن

"

تطويرها، وتنميتها. بل يحدث في أحيان تناقض، وتضارب في النظر للحياة. وعليه يشعر العلماء، والعظماء بضيق داخل وسطهم القبلي؛ فيهجرونه نهائيا إلى أوساط أخرى متحضرة، ومتقدمة اجتماعيا.

وهذا هو التفسير الراجح في وجود مجتمعات جاذبة للعبقريات، والعلماء من كل الجهات، ومجتمعات أخرى طاردة لها؛ على الرغم من منيتها فيها.

وقبل الختام وجدت أنه من واجبي — كمتتبع للتراث الثقافي المغربي — لفت النظر إلى هذا الكم الهائل من المؤلفات، والنصوص الأدبية والفلسفية والدينية؛ التي تزخر بها مئات المجلدات، والتي كتبت جميعها باللغة العربية، ومن طرف علماء أمازيغ؛ حملوا على عاتقهم مهام جليلة، وثقيلة؛ لكي يرفعوا الثقافة العربية الإسلامية إلى مراتب سامية بين الثقافات الإنسانية؛ فكان لهم ما سعوا إليه.

É É É

أهم المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربية:

ـ إبراهيمي؛ ك: ـ **تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر 1982م.

ـ ابن الأبار؛ محمد بن عبد الله البلنسي (ت: 658 أو 659هـ/1260م): ـ **التكملة لكتاب الصلة**، مكتبة الخانجي بمصر والمثنى ببغداد 1956م.

ـ ابن أبي زرع؛ علي بن عبد الله، أو عبد الحليم بن صالح: ـ **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، مخطوط المكتبة الوطنية بالجزائر. ثم نسخة مطبوعة؛ تحقيق كارل يوحنا تورنبورغ، دار الطباعة المدرسية، أوبسال بالسويد، 1359هـ/1943م.

ـ ابن أبي الضياف؛ أحمد بن عمر (ت: 1291هـ/1845م): ـ **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر، والدار التونسية للنشر، 1396هـ/1976م.

"

ــ ابــن الأثيــر؛ عــلي بــن أبي المكــارم الجــزري (ت: 630هــ/1332م): ــ **الكامــل في التاريــخ**، دار الكتــاب العــربي ببيــروت، 1403هــ 1983م.

ــ ابــن الأحمــر؛ إسماعيــل بــن يوســف (ت: 807هــ/1406م): ــ **روضــة النسريــن في أخبــار بــني مريــن**؛ تحقيــق جــورج مــارسي، وغــوثي بــوعــلي باريــس 1336هــ/1917م. ثــم **كتــاب نثيــر فرائــد الجمــان في نظــم فحــول الزمــان**؛ تحقيــق محمــد رضــوان الدايــة، دار الثقافــة ببيــروت 1967م.

ــ ابــن بســام؛ عــلي الشنتريــني الأندلــسي (ت: 542هــ/1147م): ــ **الذخيــرة في محاســن أهــل الجزيــرة**؛ تحيــق إحســان عبــاس، الــدار العربيــة للكتــاب بليبيــا وتونــس 1395هــ/ 1975م ــ 1399هــ/ 1979م.

ــ ابــن بشكــوال؛ خلــف بــن عبــد الملــك (ت:578هــ/1182م): ــ **كتــاب الصلــة**، الــدار المصريــة للتأليــف والترجمــة 1966م.

ــ ابــن بطوطــة؛ محمــد بــن عبــد اللــه اللــواتي (ت: 779هــ/1377م): ــ **تحفــة النظــار في غرائــب الأمصــار وعجائــب الأسفــار**؛ تحقيــق عــلي المنتظــر الكتــاني، مؤسســة الرســالــة ببيــروت، 1395هــ/1975م.

"

ـــ ابـــن بكـــار؛ محمـــد بلهاشـــمي الغريـــسي: ـــ **مجمـــوع النســـب والحســـب والتاريـــخ والأدب**، المطبعـــة الخلدونيـــة بتلمســـان، 1381هـ/1961م).

ـــ ابـــن تاويـــت؛ محمـــد الطنـــجي، وعفيـــفي؛ محمـــد: **الأدب المغـــربي**، دار الكتـــاب اللبنـــاني ببيـــروت، 1389هـ/1969م.

ـــ ابـــن تَغْـــرِي بَـــرْدِي؛ أبـــو المحاســـن يوســـف الأتابـــكي (ت: 874هـ/1469م): ـــ **النجـــوم الزاهـــرة في ملـــوك مصـــر والقاهـــرة**، المسســـة المصريـــة العامـــة للتأليـــف والترجمـــة والطباعـــة والنشـــر 1383هـ/1963م.

ـــ ابـــن تومـــرت؛ محمـــد بـــن عبـــد اللـــه المهـــدي (ت: 424هـ/1129م): ـــ **أعـــز مـــا يطلـــب**؛ تحقيـــق عمـــار طالـــبي، المؤسســـة الوطنيـــة للكتـــاب بالجزائـــر، 1406هـ/1985م.

ـــ ابـــن حـــزم؛ علـــي بـــن أحمـــد الأندلـــسي (ت: 456هـ/1063م): ـــ **جمهـــرة أنســـاب العـــرب**؛ تحقيـــق عبـــد الســـلام محمـــد هـــارون، ثـــم كتـــاب **المفصـــل في الملـــل والأهـــواء والنحـــل**، ج:1، 1317هـ، ج: 2 ـــ 3، 1320هـ، المطبعـــة الأدبيـــة بمصـــر، ج: 4، 1321هـ، مطبعـــة التمـــدن بمصـــر، ج: 5، 1321هـ، مطبعـــة الموسوعـــات بمصـــر.

ـــ ابن حماد الصنهاجي؛ محمد بن علي (ت: 626هـ/1230م): ـــ **أخبار ملوك بني عبيد**؛ تحقيق جلول البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، 1405هـ/1984م.

ـــ ابن حيان؛ حيان بن خلف بن حسين القرطبي (ت: 479هـ/1076م): ـــ **المقتبس من أنباء أهل الأندلس**؛ وهي القطعة التي حققها محمود علي مكي، دار الكتاب العربي ببيروت 1393هـ/1973م. ثم القطعة الثانية وهي بعنوان: **المقتبس في أخبار بلد الأندلس**؛ تحقيق عبد الرحمن علي حجي، دار الثقافة ببيروت 1965م.

ـــ ابن خاقان؛ الفتح بن محمد الإشبيلي (ت: 529هـ/1134م): ـــ **قلائد العقيان في محاسن الأعيان**، المكتبة العتيقة بتونس 1966م.

ـــ ابن الخطيب لسان الدين؛ محمد السلماني (ت: 776هـ/1374م): ـــ **أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام** (القسم المخصص لتاريخ إسبانيا الإسلامية)؛ تحقيق ليفي بروفنسال، دار المكشوف ببيروت، 1956م. ثم (القسم الثالث الخصص لتاريخ المغرب العربي)؛ تحقيق أحمد العبادي، ومحمد الكتاني، دار الكتاب بالدار البيضاء، 1884هـ/1964م. ثم الإحاطة في أخبار

"

غرناطة؛ تحقيق محمد عنان، مكتبة الخانجي بمصر، ج: 1، 1393هـ/1973م، ج: 2، 1394هـ/1974م، ج: 3، 1395هـ/1975م، ج: 4، 1397هـ/1977م. ثم اللمحة البدرية في الدولة النصرية، دار الآفاق ببيروت، 1978م.

ـ ابن خلدون؛ عبد الرحمن (ت: 808هـ/1405م):

ــ **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، دار الكتاب اللبناني ببيروت، مج: 1، 1967م، ومج: 2، 3، 1977م، ومج: 4، 1968م، ومج: 5، 6، 7، 1968م. ثم **التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا**؛ تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة، 1370هـ/1958م. **ثم مقدمة ابن خلدون**؛ تحقيق علي عبد الواحد وافي، لجنة البيان العربي، ج: 1، 1384هـ/1965م، وج: 2، 1386هـ/1966م، وج: 3، 1387هـ/1967م، وج: 4، 1388هـ/1968م.

ـ ابن خلدون؛ يحيى (ت: 780هـ/1378م): ــ **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**؛ تحقيق ألفرد بل، والغوثي أبو علي، مطبعة فنطانة الشرقية بالجزائر، ج: 1، 1321هـ/1903م، وج: 2، 1328هـ/1910م، والنسخة المحققة للجزء الأول من طرف عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية بالجزائر، 1400هـ/1980م. أما الجزء الثاني فحققه

بوزياني الدراجي؛ برعاية وزارة الثقافة الجزائرية، وإنجاز دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع بالجزائر سنة 2006م.

ـــ ابن خلكان؛ أحمد بن محمد (ت: 681هـ/1282م):
ـــ **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**؛ تحقيق إحسان عباس، دار صادر ببيروت. ج:1، 1968م، ج: 2، 1969م، ج:3، 1970م، ج: 4، 5، 6، 7،1971م، ج: 8، 1972م.

ـــ ابن رشيق؛ حسن القيرواني (قد تكون وفاته في سنة 456هـ/1063م): ـــ **أنموذج الزمان في شعراء القيروان**؛ تحقيق محمد العروسي المطوي وبشير البكوش، الدار التونسية للنشر بتونس، والمؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر 1406هـ/1986م.

ـــ ابن الزبير؛ أحمد بن إبراهيم الأندلسي (ت: 708هـ/1308م): ـــ **صلة الصلة**، مكتبة خياط ببيروت.

ـــ ابن سعيد؛ علي بن موسى: (ت: 685هـ/1274م)
ـــ **كتاب الجغرافيا**؛ تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر 1403هـ/1982م.
ثم **المغرب في حلى المغرب**، بمشاركة آخرين؛ تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، 1384هـ/1964م.

ــ ابن سودة؛ عبد السلام: ــ **دليل المؤرخ في المغرب الأقصى**، دار الكتاب بالدار البيضاء، 1380هـ/1960م.

ــ ابن شاكر؛ محمد بن أحمد الكتبي (ت: 764هـ/1362م): ــ **فوات الوفيات والذيل عليها**؛ تحقيق إحسان عباس دار الثقافة ببيروت 1973 ــ 1974م.

ــ ابن صاحب الصلاة ؛ عبد الملك (كان حيا سنة 594هـ/1198م) ــ **تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم من الوارثين، وظهور المهدي بالموحدين على الملثمين وما في مساق ذلك من خلافة أمير المؤمنين وأخيرا (بعض) الخلفاء الراشدين**؛ تحقيق عبد الهادي التازي، ج: 2، دار الأندلس للطباعة والنشر ببيروت 1383هـ/1964م.

ــ ابن عبد الحكم؛ عبد الرحمن بن عبد الله: (ت:257هـ/871م): ــ **فتوح مصر والمغرب**؛ تحقيق عبد المنعم عامر، لجنة البيان العربي بالقاهرة، 1961م.

ــ ابن عذاري؛ محمد المراكشي (ت: 669هـ/1272م): ــ **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**،

تحقيق ليفي بروفنسال، وكولان، وإحسان عباس، دار الثقافة، ببيروت، 1967م.

ـ ابن العماد؛ عبد الحي الحنبلي (ت: 1089هـ/1678م): ـ **شذرات الذهب في من أخبار من ذهب**، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت.

ـ ابن عميرة؛ محمد: ـ **دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي**، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، 1984م.

ـ ابن فرحون؛ إبراهيم بن علي المالكي؛ (ت: 799هـ/1396م): ـ **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**؛ تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر بالقاهرة 1972م.

ـ ابن الفرضي؛ عبد الله بن محمد الأزدي (ت: 403هـ/1012م): ـ **تاريخ علماء الأندلس**، الدار المصرية للتأليف والترجمة 1966م.

ـ ابن القاضي؛ أحمد بن محمد المكناسي (ت: 1025هـ/1616م): ـ **درة الحجال في أسماء الرجال (وهو ذيل وفيات الأعيان)**؛ تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث بالقاهرة والمكتبة العتيقة بتونس 1970 ـ 1971م.

"

ـــ ابن القنفذ؛ أحمد بن الحسين (ت: 810هـ/1406م): ـــ **الفارسية في مباديء الدولة الحفصية**، تحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، 1968م، ثم **كتاب الوفيات**؛ تحقيق عادل نويهض، دار الأفاق الجديدة ببيروت 1403هـ/1983م.

ـــ ابن مرزوق؛ محمد (الرابع) بن أحمد (ت: 781هـ/1379م): ـــ **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**؛ تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1401هـ/1981م.

ـــ ابن مريم؛ محمد الشريف (كان حيا سنة 1025هـ/1611م): ـــ **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**؛ تحقيق محمد ابن أبي شنب، المطبعة الثعالبية بالجزائر، 1326هـ/1908م.

ـــ ابن منصور؛ عبد الوهاب: ـــ **قبائل المغرب**، المطبعة الملكية بالرباط، 1388هـ/1968م.

ـــ أبو حمو الثاني، موسى بن يوسف الزياني (ت:791هـ/1388م): ـــ **واسطة السلوك في سياسة الملوك**، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالجزائر. ثم نسخة مطبوعة بمطبعة الدولة التونسية بتونس، 1279هـ/1862م.

"

ـ أبو رزاق؛ أحمد بن محمد: ـ **الأدب في عصر دولة بني حماد،** الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر 1979م.

ـ أبو زكرياء؛ يحي بن أبي بكر الورجلاني (ت:471هـ/1078م): ـ **كتاب سير الأئمة وأخبارهم،** تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر، 1405هـ/1984م.

ـ أبو ضيف؛ أحمد عمر: ـ **القبائل العربية في المغرب (في عصر الموحدين وبني مرين)**، ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر، 1403هـ/1982م.

ـ أبو العرب؛ محمد بن أحمد القيرواني (ت: 333هـ/944م): ـ **طبقات علماء إفريقية وتونس؛** تحقيق علي الشابي ونعيم حسن الباني الدار التونسية للنشر 1968م.

ـ إحسان عباس؛ ـ **تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)**، دار الثقافة ببيروت 1978م.

ـ الإدريسي؛محمد بن عبد الله الحمودي السبتي (يكون قد توفي سنة 560هـ/ 1164م) ـ **مقتبس من نزهة المشتاق (القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس)** تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر، 1983م.

ـ اسماعيل؛ العربي ـ **دولة الأدارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة**، ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر 1983م، ثم كتاب **دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية**، الشركة الوطنية للنشر وتوزيع بالجزائر 1980م، ثم **كتاب المدن المغربية**، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، 1984م.

ـ الأصفهاني؛ محمد بن محمد (ت: 597هـ/1200م): ـ **خريدة القصر وجريدة العصر (قسم المغرب والأندلس)**؛ تحقيق محمد المرزوقي، وآخرين، الدار التونسية للنشر بتونس، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر 1971 ـ 1972 ـ 1973م.

ـ ألفرد؛ بل: ـ **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم**؛ ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي ببيروت 1181م.

ـ أماري؛ ميخائيل: ـ **المكتبة العربية الصقلية (نصوص في التاريخ والبلدان والتراجم والمراجع)**، مكتبة المثنى ببغداد و PRESSO F. A. .BROCKHAUS Libraio Della Societa LIPSIA. 1857.

ـ الأوسي المراكشي (ت: 703هـ/1303م)؛ محمد ابن محمد الأنصاري: **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**؛ تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة ببيروت 1965م.

"

ـ باجية؛ صالح ـ **الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى**، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع بتونس، 1976م.

ـ الباروني؛ سليمان (ت: 1359هـ/1940م): ـ **مختصر تاريخ الإباضية.**

ـ البكري؛ عبد الله بن عبد العزيز (ت: 487هـ/1094م): ـ **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب (جزء من أجزاء كتاب المسالك والممالك)**؛ تحقيق ماك قوكين دي سلان MAC GUCKIN DE SLANE، مكتبة أمريكا والشرق بباريس Librairie D'Amérique et D'Orient, Paris، 1965م.

ـ البلاذري؛ أحمد بن يحي (ت: 279هـ/892م): ـ **كتاب فتوح البلدان**؛ تحقيق صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة.

ـ بورويبة؛ رشيد: ـ **ابن تومرت**؛ ترجمة عبد الحميد حاجيات، ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر 1982م، ثم ـ **كتاب الدولة الحمادية وحضارتها**، ديوان المطبوعات الجامعية، والمركز الوطني للدرسات التاريخية.

ـ بوزياني؛ الدراجي: ـ **نظم الحكم والرسوم في دولة بني عبد الواد الزيانية**، ديوان المطبوعات الجامعية 1993م.

- بونار؛ رابح: ـ **المغرب العربي تاريخه وثقافته**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر، 1969م.
- البيذق؛ أبو بكر بن علي الصنهاجي: ـ **كتاب أخبار المهدى بن تومرت وابتداء دولة الموحدين**؛ تحقيق ليفي بروفنسال E. Lévi- Provençal، مكتبة المستشرقين Librairie Orientaliste بباريس 1928م. ثم نسخة أخرى بتحقيق عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزئر، 1394هـ/1974م.
- بيضون؛ إبراهيم: ـ **الدولة العربية في إسبانيا**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ببيروت 1980م.
- التجاني؛ محمد عبد الله (كان حيا سنة 717هـ/1317م): ـ **رحلة التيجاني**؛ الدار العربية للكتاب بليبيا وتونس 1981م.
- التنسي؛ محمد بن عبد الله التلمساني (ت: 899هـ/1493م): ـ **نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان ومن ملك من أسلافهم مما مضى من الزمان**، مخطوط،الخزانة العامة بالرباط، ثم نسخة مطبوعة تحت عنوان **تاريخ بني زيان ملوك**

تلمسان؛ بتحقيق محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر 1405هـ/1985م.

ـ الجزائري؛ محمد بن عبد القادر: ـ **تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر**، دار اليقظة العربية ببيروت 1384هـ/1964م.

ـ جودت؛ عبد الكريم: ـ **العلاقات الخارجية للدولة الرستمية**، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر 1984م.

ـ جوليان؛ شارل أندري: ـ **تاريخ إفريقيا الشمالية**؛ ترجمة محمد مزالي و البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر بتونس والشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر 1978م ـ 1983م.

ـ الجيلالي؛ عبد الرحمن: ـ **تاريخ الجزائر العام**، دار الثقافة ببيروت 1400هـ/1980م، ثم **تاريخ المدن الثلاث: الجزائر، لمدية، مليانة**، مطبعة صاري بدر الدين وأبنائه بالجزائر 1392هـ/ 1972م.

ـ حاجات؛ عبد الحميد: ـ **أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر، 1394هـ/1974م.

ـ حجاب؛ محمد فريد: ـ **المهدي المنتظر بين العقيدة الدينية والمضمون السياسي**، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر 1984م.

"

ــ حركات؛ إبراهيم: ــ **المغرب عبر التاريخ**، مطبعة دار السلمي بالدار البيضاء بالمغرب 1384هـ/1965م، ثم **كتاب النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين**، مكتبة الوحدة العربية الدار البضاء.

ــ الحميدي؛ محمد بن أبي نصر الأزدي (ت: 488هـ/1095م): ــ **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، الدار المصرية للتأليف والترجمة 1966م.

ــ الحميري؛ محمد بن عبد المنعم (ت: 727هـ/1326م): ــ **الروض المعطار في خبر الأقطار (معجم جغرافي مع مسرد عام)**؛ تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان بيروت 1975م.

ــ خوجة؛ حسين بن علي (ت: 1145هـ/1732م): ــ **ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان**؛ تحقيق الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب بليبيا وتونس 1975م.

ــ خوجة؛ حمدان بن عثمان الجزائري (ت: 1255هـ/1840م): ــ **المرآة (لمحة تاريخية وإحصائية على إيالة الجزائر)**؛ تحقيق محمد ابن عبد الكريم، دار مكتبة الحياة بيروت 1972م، ونسخة أخرى بعنوان: **مرآة الجزائر**؛ حققها رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1394هـ/1974م.

ـ دبوز؛ محمد علي: ـ **تاريخ المغرب الكبير**، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة 1963م ـ 1974م.
ـ الدرجيني؛ أحمد بن سعيد (ت: 670هـ/1271م): ـ **طبقات المشائخ بالمغرب**؛ تحقيق إبراهيم طلاي، مطبعة البعث بقسنطينة 1394هـ/1974م.
ـ دوزي؛ رينهارت: ـ **تاريخ مسلمي إسبانيا (ج: 1، الحروب الأهلية)**؛ ترجمة حسن حبشي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، 1963م.
ـ الرصاع؛ محمد الأنصاري (ت: 894هـ/1488م): ـ **فهرست الرصاع**؛ تحقيق محمد العنابي، المكتبة العتيقة بتونس 1967م.
ـ الرقيق القيرواني؛ إبرهيم بن القاسم (ت: بعد 417هـ/1026م): ـ **تاريخ افريقية والمغرب**؛ تحقيق المنجي الكعبي، نشر رفيق السقطي بتونس 1968م.
ـ الزركشي؛ محمد بن إبراهيم اللؤلؤي (كان حيا سنة 894هـ/1488م). ـ **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**؛ تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة بتونس 1966م.
ـ الزركلي؛ خير الدين: ـ **الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العب**

والمستعربين والمستشرقين)، مطبعة كوستا توماس وشركاه (1373هـ/1954م ـ 1378هـ/1959م).
ـ السراج؛ محمد بن محمد الأندلسي (ت: 1149هـ/1736م): ـ **الحلل السندية في الأخبار التونسية**؛ تحقيق محمد الحبيب الهيله، الدار التونسية للنشر بتونس 1970 ـ 1973م.
ـ سعد الله؛ أبو القاسم: ـ **تاريخ الجزائر الثقافي من القرن 10 إلى القرن 14هـ**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، بالجزائر 1401هـ/1981م.
ـ سعدي؛ عثمان: ـ **عروبة الجزائر عبر التاريخ**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر 1982م.
ـ السلاوي؛ أحمد بن خالد الناصري (ت:1315هـ/1897م): ـ **الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**؛ تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب بالدار البيضاء بالمغرب، 1954 ـ 1956م.
ـ السِّلَفِي؛ أحمد بن محمد (ت: 576هـ/1180م): ـ **أخبار وتراجم أندلسية (مستخرجة من معجم السِّفر للسِّلَفِي)**؛ تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة ببيروت 1963م

"

ـــ شاوش؛ محمد بن رمضان: ـــ **الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي**، المطبعة العلوية بمستغانم 1385هـ/1966م.

ـــ شعيرة؛ محمد عبد الهادي: ـــ **المرابطون تاريخهم السياسي**، مكتبة القاهرة الحديثة.

ـــ شكري؛ فيصل: ـــ **المجتمعات الإسلامية في القرن الأول (نشأتها، مقوماتها، تطورها اللغوي والأدبي)**: دار العلم للملايين بيروت 1966م.

ـــ الشهرستاني؛ محمد بن عبد الكريم (ت: 548هـ/1153م): ـــ **الملل والنحل**، دار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت 1395هـ/1975م.

ـــ الضبي؛ أحمد بن يحيى بن عميرة (ت: 599هـ/1202م): ـــ **بغية الملتمس في تلريخ رجال أهل الأندلس**، مكتبة المثنى ببغداد، وطبع بمطبعة روخس بمدريد 1884م.

ـــ الطالبي؛ محمد: ـــ **الدولة الأغلبية (التاريخ السياسي)**؛ ترجمة المنجي الصيادي، دار الغرب الإسلامي ببيروت 1985م.

ـــ الطبري؛ محمد بن جرير (ت: 310هـ/923م): ـــ **تاريخ الأمم والملوك**، مكتبة خياط ببيروت.

ـــ الطمار؛ محمد بن عمرو: ـــ **تلمسان عبر العصور (دورها في السياسة وحضارة الجزائر،**

"

المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر 1405هـ/1984م، ثم كتاب **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر 1404هـ/1983م.

ـــ العامري؛ محمد الهادي: ـــ **تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون بين الإزدهار والذبول**، الشركة التونسية للتوزيع بتونس 1974م.

ـــ العبادي؛ أحمد مختار: ـــ **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع.

ـــ العبدري؛ محمد بن محمد البلنسي (كان حيا سنة 688هـ/1289م.): ـــ **ما سما إليه الناظر المطرق في خير الرحلة الى بلاد المشرق (الرحلة المغربية)**؛ تحقيق أحمد بن جدو، كلية الآداب، بالجزائر.

ـــ عبد الوهاب؛ حسن حسني: ـــ **ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية**، مكتبة المنار بتونس 1966 ـــ 1972م.

ـــ العدوي؛ إبراهيم : ـــ **بلاد الجزائر تكوينها الإسلامي والعربي**، مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة 1970م.

ـــ عـــلام؛ عبـــد اللـــه: ـــ **الدولـــة الموحديـــة بالمغـــرب في عهـــد عبـــد المؤمـــن بـــن عـــلي**، دار المعـــارف بمصـــر 1971م.

ـــ عنـــان؛ محمـــد عبـــد اللـــه: ـــ **دولـــة الإســـلام في الأندلـــس (العصـــور: الأول، والثـــاني، والثالـــث، والرابـــع)**، لجنـــة التأليـــف والترجمـــة والنشـــر بالقاهـــرة 1380هـ/1960م ـــ 1389هـ/1969م.

ـــ عويـــس؛ عبـــد الحليـــم: ـــ **دولـــة بـــني حمـــاد صفحـــة رائعـــة مـــن تاريـــخ الجزائـــر**، دار الشـــروق ببيـــروت 1400هـ/1980م.

ـــ الغبريـــني؛ أحمـــد بـــن أحمـــد (ت: 714هـ/1315م): ـــ **عنـــوان الدرايـــة فيمـــن عـــرف مـــن العلمـــاء في المائـــة السابعـــة ببجايـــة**؛ تحقيـــق عـــادل نويهـــض، لجنـــة التأليـــف والترجمـــة والنشـــر ببيـــروت 1969م.

ـــ الغـــزالي؛ عـــلي مصطـــفى: ـــ **تاريـــخ الفـــرق الإسلاميـــة ونشـــأة علـــم الكـــلام عنـــد المسلميـــن**، مكتبـــة ومطبعـــة محمـــد عـــلي صبيـــح وأولاده بالقاهـــرة 1378هـ/1959م.

& & &

"

المراجــع باللغــة الأجنبيــة:

- ABOU OBEID EL-BEHRI: - **Description de l’afrique septenrionale**. Tràduit par MAC GUCKIN de Slane. librairie D’Amerique et D’Orient ADRIEN- MAISONNEUVE, PARIS,1965.

- BEL - ALFRED: - **La religion musulmanes en Berbérie** (Esquisse d’histoire et de sociologie religieuses), PARIS,1938.

- BOURDIEU. PIERRE: - Sociologie de L’Algérie. Presses Universitaires de Paris, 1970.

- BOUSQUET (G.H.): - **Les Berberes**. Presses Universitaires de france 1967.

- BRAHIMI; (C): - **Initiation a la Préhistorique de L’Algérie.** S. N. E. D. Alger, 1978.

- BREMOND. C.R (Général): - **Berbères et Arabes**, Payot, Paris, 1950.

- BRUNSCHVIG ROBERT: - **La Berbérie Orientale Sous Les Hafsides** (Des Origines à la fin du XVème siécle) Librairie D’Amérique et D’Orient, Andrien Maisonneuve, Paris, 1982. et - **Deux Récits de voyage inedits en Afrique du Nord**. (Abdelbasit Ben Khalil et Adorne), Paris, 1936.

- DHINA ATALLAH: - **Les Etats De L’Occident Musulman (Aux XIIIème**, **XIVéme, XVéme siécles).** Office des Publications Universitaires, Alger, 1984. et - **Le Royaume Abdelouadide à l’époque D’Abou Hammou Moussa 1er, et D’Abou Tachfin 1er**, Office des Publications Universitaires, Alger, 1985.

- GAUTIER. (EMILE .F.): - **Le Passé de L’Afrique du Nord. (les Siécles Obscures)** Payot , Paris, 1952.

- IDRIS. Hady Roger: - **La Berbérie Orientale .Sous les Zirides (Xème - XIIème Siècles).** Librairie D’Amérique et D’Orient Adrien - Maisonneuve , Paris, 1981.

- JEAN LEON LAFRICAIN: - **Description de L’Afrique.** Librairie d’Amérique et D’Orient Maisonneuve, Paris 1981.

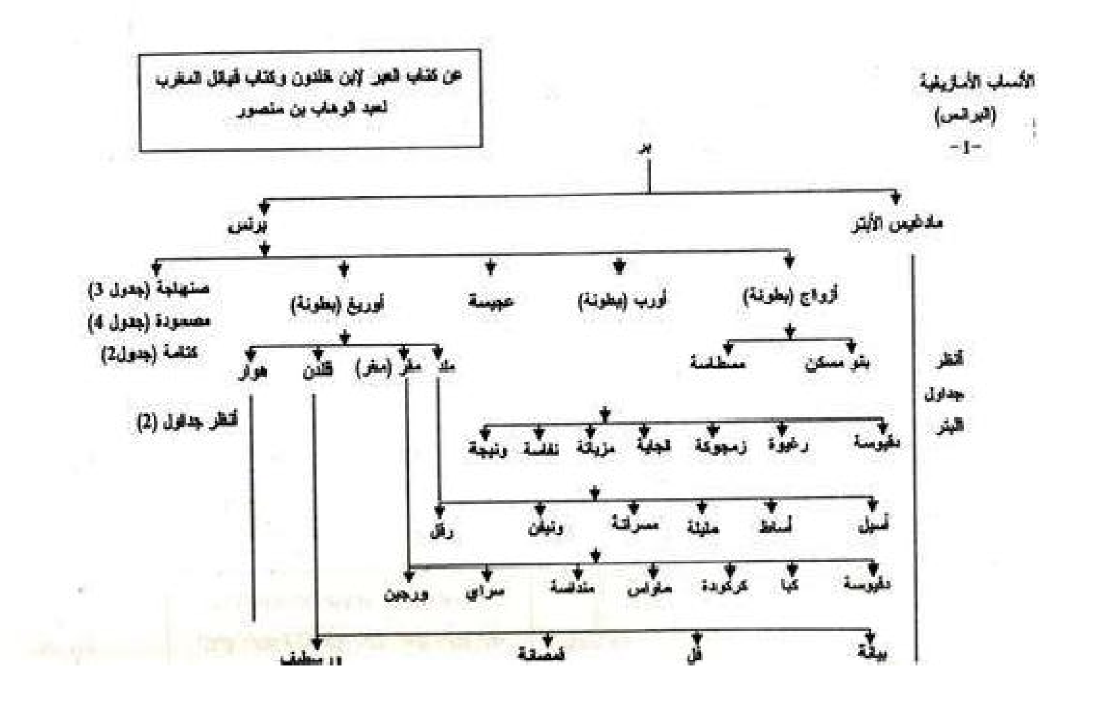
- KADDACHE; MAHFOUD: - **L’Algérie Medievale.** S. N. E. D. Alger.1982.

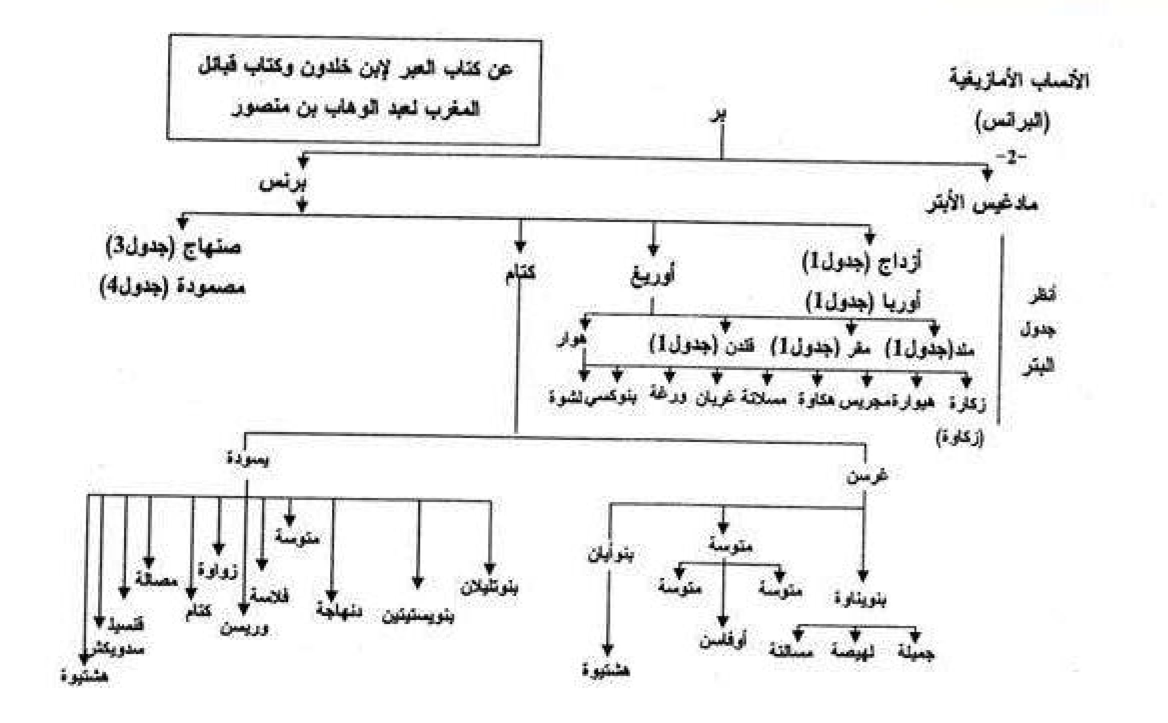
- LEVI-PROVENCAL: - **Documents inédits. D’Histoire Almohade**, Librairie Orientaliste. 1928. et - **LE Musnad D’ibn Marzuk**. Emile Larose Editeur, Paris. 1925.

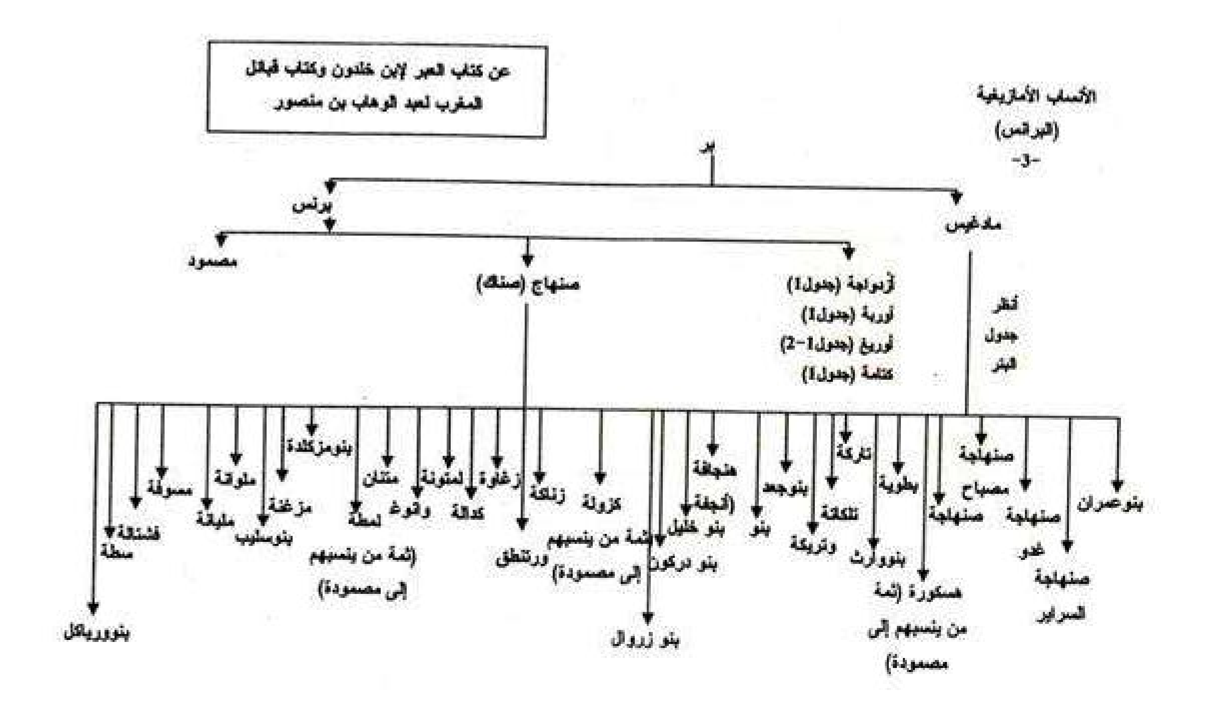
- MARCAIS GEORGES: - **La Berbérie Musulmane et L’Orient Au Moyen Age,** Editions Montaigne , Paris. 1946. et - **Les Arabes en Berbérie**, (du XIéme - au XIVéme siécle). Constantine et Paris. 1913.

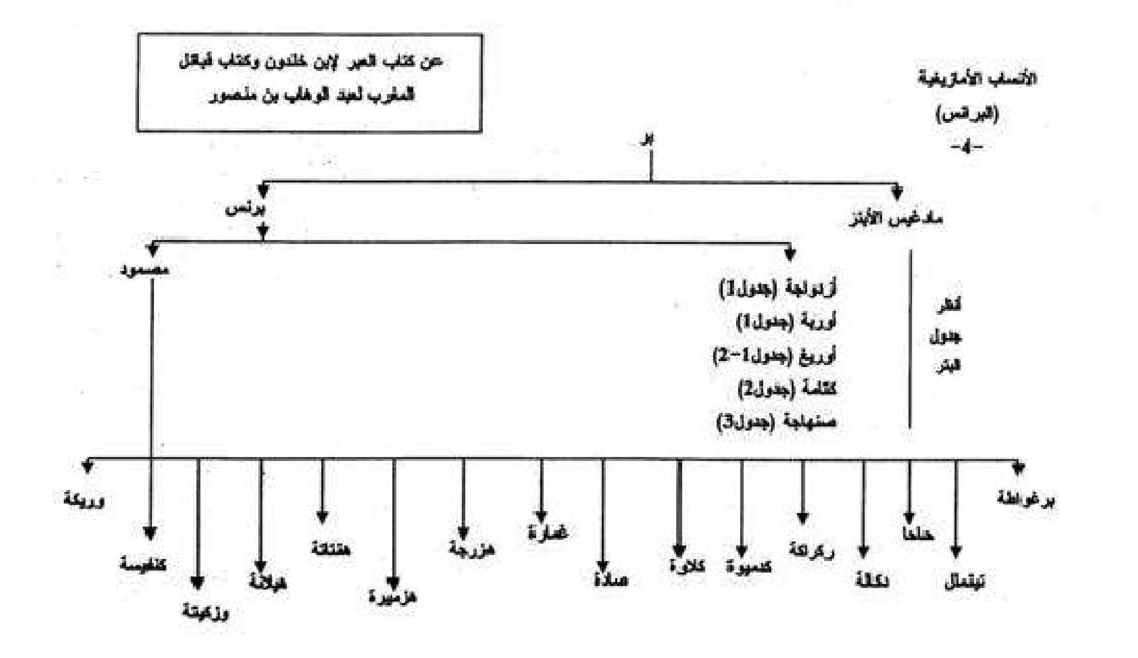
- ROBER MONTAGNE: - **Les Berbéres et Le Makhzen Dan Le Sud Du Maroc.** Librairie Félix Alcan. 1930.

لوائح توضيحية


الأنساب الأمازيغية
(البرانس)
-1-
عن كتاب العبر لإبن خلدون وكتاب قبائل المغرب
لعبد الوهاب بن منصور
بر
مادغيس الأبتر
برنس
أزواج (بطونة)
أورب (بطونة)
عجيسة
أوريغ (بطونة)
صنهاجة (جدول 3)
مصمودة (جدول 4)
كتامة (جدول2)
بنو مسكن
مسطاسة
أنظر
جداول
البتر
هوار
قلدن
مغر (مغر)
ملد
أنظر جداول (2)
دفيوسة
رغيوة
زمجوكة
لجاية
مزياتة
نفاسة
ونبجة
أسيل
أساط
مليلة
مسراتة
ونيفن
رقل
دفيوسة
كبا
كركودة
ماواس
مندلاسة
سراي
ورجين
بيقة
قل
قمصقة
سطيف


الأنساب الأمازيغية
(البرانس)
-2-
عن كتاب العبر لإبن خلدون وكتاب قبائل المغرب لعبد الوهاب بن منصور
بر
برنس
مادغيس الأبتر
صنهاج (جدول3)
مصمودة (جدول4)
كتام
أوريغ
أزداج (جدول1)
أوربا (جدول1)
أنظر جدول البتر
هوار
ملد(جدول1)
مغر (جدول1)
قلدن (جدول1)
زكارة
(زكاوة)
هيوارة
مجريس
هكاوة
مسلاتة
غريان
ورغة
بنوكسي
لشوة
يسودة
غرسن
متوسة
زواوة
فلاسة
مصالة
كتام
وريسن
دنهاجة
بنويستيتين
بنوتليلان
قتسيد
سدويكش
هشتيوة
بنويان
متوسة
متوسة
متوسة
بنويناوة
أوفاسن
هشتيوة
جميلة
لهيصة
مسالتة


الأنساب الأمازيغية
(البرانس)
-3-
عن كتاب العبر لإبن خلدون وكتاب قبائل
المغرب لعبد الوهاب بن منصور
بر
برنس
مادغيس
مصمود
صنهاج (صناك)
أزدواجة (جدول1)
أوربة (جدول1)
أوريغ (جدول1-2)
كتامة (جدول1)
أنظر
جدول
البتر
بنوعمران
صنهاجة
غدو
صنهاجة
السراير
صنهاجة
مصباح
صنهاجة
هسكورة (ثمة
من ينسبهم إلى
مصمودة)
بطوية
بنوورث
تاركة
تلكاتة
وتريكة
بنوجعد
بنو
هنجافة
(أنجفة)
بنو خليل
بنو دركون
بنو زروال
كزولة
ثمة من ينسبهم
إلى مصمودة)
زناكة
ورتنطق
زغاوة
كدالة
لمتونة
وانوغ
متنان
لمطة
(ثمة من ينسبهم
إلى مصمودة)
بنومزكلدة
مزغنة
بنوسليب
ملوانة
ملبانة
مسوفة
قشتالة
سطة
بنووورياكل


الأنساب الأمازيغية
(البرانس)
-4-
عن كتاب العبر لإبن خلدون وكتاب قبائل المغرب لعبد الوهاب بن منصور
بر
مادغيس الأبتر
برنس
أنظر جدول البتر
أزدواجة (جدول1)
أوربة (جدول1)
أوريغ (جدول1-2)
كتامة (جدول2)
صنهاجة (جدول3)
مصمود
برغواطة
تيتمال
حلحا
دكالة
ركراكة
كنميوة
كلاوة
صادة
غمارة
هزرجة
هزميرة
هنتاتة
هيلانة
وزكيتة
كنفيسة
ويكة

"

فهرس المحتويات

"

تحميل كتب ومجلات

abbassa.wordpress.com